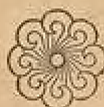
منتخبات الأدب العربي

تأليف

الاب حنا الفاخوري ولجنة من اساتذة المدرسة البولسية



المطبعة البولسية — حريصا ١٩٥٥

مقدمة

من دواعي الاسف الشديد، ومظاهر الجمود الفكري، أن يقتصر تدريس الادب العربي، في كثير من الاحيان، على جولة في عالم التاريخ، وتلقين احكام لا تستند الى برهان، ولا تعتمد على اساس، فتبدو للطالب الناشىء مادة استظهار فحسب، يحفظ منها ما اسعدته الذاكرة بحفظه، على ان يفرغ جعبته في ساعة الامتحان الرسمي، ويخرج ظافراً من معركته. ليس الادب تاريخاً يستذكر، ولا التقاماً لطعام مضغه الغير، وانما هو، في الأصل، تذوق واعٍ للفن، واستساغة شخصية للجمال، واكتناه ناضج لعناصر الحسن والاجادة. وهذا لا يعني ان التاريخ لا ينفع، والاستعانة بآراء النقاد لا تفيد، بل الخطأ، كل الخطأ، أن يكتفى بذلك، فتنثلم في الطالب رهافة الحس ان لم تعدم تماماً، ويصبح كالببغاء يردد مـا يسمع وقد لا يعي ما يقول. ولذا تحتم على كل من يرغب في ثقافة ادبية حقة، ان يتصل اتصالاً مباشراً بالروائع الفنية، ويعمل عـلى تشريحها لابراز ما فيهـا من عناصر الجمال والفن، فتكون غذاءً سائغاً يلذ ويفيد.

وها نحن نقدم للطلاب وعشاق الأدب هذا الكتاب الجديد يضم بين دفتيـه منتخبات من آثار اشهر أدباء العرب. ومرادنا ان يكون مرآة تنعكس فيها صورهم الفنية في شتى نواحي انتاجهم، ومختلف مظاهر تطورهم، كما ابرزها كتاب تاريخ الأدب. ولذا حرصنا على ان نحتفظ بما جاء في تاريخ الأدب من اقسام، وان ننتقي مقطوعات توضح وتدعم ما أبدي فيه من أحكام.

وبغيتنا ايضاً ان تصبح هذه المختارات موضوع تحليـل أدبي شفهي وخطي، فيزداد الطـلاب تذوقاً للجمال الفني، وتعمقاً في الولوج الى دقائق اسراره ودفائن كنوزه. ولا بد بعد ذلك، اذا توفرت فيهم المؤهلات، ان يشرق ذلك الجمال في نفوسهم، وان يتغلغل في مطاوي ذواتهم، ويعود فينبثق منهم انبثاق الماء من الينبوع. ولذا اجتهدنا ان نمهد لكل مقطوعة بما يسهّل فهمها وأن نتبعها بتعليق وجيز توجيهي.

ومهما تباينت الطرق واختلفت الاساليب فإن مبادىء التحليل الادبي العامة لا

تتغير ولا تتبدل. وقد أتينا على ذكر اهمّها في بعض حلقات سلسلة المشوق، ليتدرّب عليها التلميذ منذ الصغر ويتقن استغلالها. وها نحن نعود فنلخصها هنا تتمة للفائدة:

١ً **الصفات التي لا بد منها للمحلل او الناقد**: لا بد للناقد:

١ – ان يجرّد نفسه من الانانية بقدر المستطاع، فلا يتبع ميله وهواه.

٢ – ان يكون خبيراً بما يحلله، ذا ثقافة واسعة تمكنه من ادراك الحسنات والسيئات وإقامة البرهان عليها. ٣ – ان يتحرّى الإنصاف فلا يغمط إحساناً ولا يموّه مساءة. ٤ – ان يتحاشى عن الغلوّ في الحكم. ٥ – ان يتغلغل في ضمير المنقود ليستطيع لمس اسرار نفسه وخلجات قلبه فيدرك قيمة الحقائق. ٦ – ان يكون ذا ذوق فني حقيقيّ.

٢ً **طريقة التحليل الادبي**: تختلف طريقة التحليل الادبي باختلاف الموضوعات والفنون، ولكنّ هنالك مبادىء عامة ترتكز على عناصر الادب، نجتزىء بها. فعلى الناقد بعد قراءة النصّ بفهم ونظر دقيق والوقوف على الفكرة العامة والاقسام الكبرى والحسنات عموماً، أن يبين ما يلي قبل ان يبرز حكمه العام:

١ً مكان النص: من حياة الكاتب ومن باقي آثاره.

٢ً عوامل النص: وهذه العوامل تكون خارجية وداخلية:

١ – الخارجية: من اشخاص واحوال زمانية ومكانية كان لها تأثير في تكوين الاثر الادبي؛

٢ – الداخلية: من نفسية وجسدية.

والذي يطلع تمام الاطلاع على العوامل يمكنه النزول الى اعماق النص وتفهّمه تمام التفهّم.

٣ً غرض الكاتب: فقد رمى الكاتب الى غاية من مدح او فخر او وصف...

٤ً الاسلوب: الذي اتخذه للوصول الى غايته.

٥ً قيمة النص :

١ - المنوية : والمعنى الادبي يرجع الى امور ثلاثة ترتكز على قوى الانسان : العقل والمخيلة والاحساس، التي تكوّن الادب، وهي : الفكرة والخيال والعاطفة.

٢ - المبنوية : والمبنى يتألف من الفاظ ومركبات، والمركبات شعرية ونثرية.

٣ً مقاييس التحليل الادبي :

١ً مقاييس الفكرة : يُنظر في الفكرة الى حقيقتها وكمّيتها وعمقها وجدّتها.

٢ً مقاييس الخيال : يُنظر في الخيال الى هل هو خيال ابتكاريّ، والى الملاءمة بين صورته والشيء الذي تمثله، والى اتساعه ودقته وجماله، ذلك الجمـــال الذي لا يجرح الذوق، ولا يعيق الحركة، ولا يزعج العاطفة، ذلك الجمال الذي يجعلنا نحب الطبيعة حبّاً شديداً، ونتفهم أسرارها.

٣ً مقاييس العاطفة : يُنظر في العاطفة الى صدقها او صحتها وذلـك بان تصدر عن تأثر حقيقيّ لا مصطنع، ثم الى قوّتها او روعتها وذلك يتجلى في مـا تبقيه في النفس من أثر. وبقدر ما يكون ذلك الاثر عميقاً والايحاء واسعاً بقدر ذلك تكون العاطفة قوية. ثم يُنظر فيها الى ثباتها واستمرارها اي استمرار سلطانها على النفس؛ ثم الى تنوّعها او شمولها، ثم الى سموّها.

٤ً مقاييس اللفظة : يُنظر في اللفظة الى صحتها ودقتها وسهولة اللفظ بها وحسن موسيقاها وقرب متناولها.

٥ً مقاييس التركيب : يُنظر في التركيب الشعري الى حسن اختيـار الوزن والرويّ، والتحاشي عن الجوازات النافرة، والسلاسة والسهولة. فالغُنّة الموسيقية مهمة جداً في الشعر.

ويُنظر في التركيب النثري الى المتانة، وحسن تلاؤم الالفاظ، ومراعاة مقتضى الحال. فلكل مقام كلام : للنثر الشعري لغة، وللنثر العلمي لغـة أخرى، للخطابة لغة وللكلام البسيط لغة أخرى.

هذا، وان هنالك مقاييس أُخرى كثيرة ولاسيما وان لكل فنّ من فنون الانشاء قوانين خاصة، فللرواية مثلاً قوانين وللوصف قوانين أُخرى .

ويجدر بالناقد الا يقتصر على التعليقات الادبية بل ان يتعداها اذا امكن ذلك الى ما تنطوي عليه المقطوعة من قيمة أخلاقية او تاريخية . على انه يجب التحفظ دوماً من كل ثرثرة سخيفة ، وتشدّق بألفاظ رنانة، ولوك صيغ بالية مهترئة لا يوحي بها النص ولا تكشف هي عن خصائصه القناع .

ولا بدّ من إلفات النظر ختاماً الى ان التحليل والنقد الأدبيين لا يقتبسان قيمتها الكبرى والجلّى من تطبيق ما أتينا على ذكره من المبادىء فحسب ، بل وأيضاً من نفاذ بصيرة من يقوم بها، ومقدرته الشخصية على التمييز والتذوق والافصاح عن حقيقة وعناصر ومقوّمات ما يشعر به من متعة فنية .

وها نحن نثبت هنا تحليل قصيدة لأبي فراس الحمداني . وليس هو في نظرنا نموذجاً فذّاً لكل تحليل بل مثلاً يستعين به الطلاب .

ابو فراس والحمامة

[قال، وقد سمع حمامة تنوح على شجرة عالية، وهو في الاسر :]

أَقُولُ وَقَدْ نَاحَتْ بِقُرْبِي حَمَامَةٌ : أَيَا جَارَتَا هَلْ تَشْعُرِينَ بِحَالِي ؟
مَعَاذَ ٱلْهَوَى ! مَا ذُقْتِ طَارِقَةَ ٱلنَّوَى، وَلَا خَطَرَتْ مِنْكِ ٱلْهُمُومُ بِبَالِ
أَتَحْمِلُ مَحْزُونَ ٱلْفُؤَادِ قَوَادِمٌ عَلَى غُصُنٍ نَائِي ٱلْمَسَافَةِ عَالِ ؟
أَيَا جَارَتَا ، مَا أَنْصَفَ ٱلدَّهْرُ بَيْنَنَا تَعَالَيْ أُقَاسِمْكِ ٱلْهُمُومَ تَعَالِي !
تَعَالَيْ ، تَرَيْ رُوحاً، لَدَيَّ، ضَعِيفَةً ، تَرَدَّدُ فِي جِسْمٍ يُعَذَّبُ ، بَالِ
أَيَضْحَكُ مَأْسُورٌ ، وَتَبْكِي طَلِيقَةٌ ، وَيَسْكُتُ مَحْزُونٌ ، وَيَنْدُبُ سَالِ !
لَقَدْ كُنْتُ أَوْلَى مِنْكِ بِالدَّمْعِ مُقْلَةً وَلٰكِنَّ دَمْعِي فِي ٱلْحَوَادِثِ غَالِ

١ – ظروف القصيدة وعواملها :

ابو فراس الحمداني أمير عربي شريف حارب حروب ابن عمّه سيف الدولة، امير

حلب، ونافح اعداءه ، الا انه أسر اخيراً ونقل الى بلاد الروم ووضع في السجن . ولما كان مشبوب العواطف مرهف الاحساس، ثقلت عليه وطأة البعد والفراق، والذلّ والتقييد، وتمهّل المسؤولين في افتدائه، والشعور بآلام أمّه العجوز، ففاض الشعر من قلبه الرقيق فيضان الماء من الينبوع الثرّ ، فنظم قصائد دعيت «بالروميات » لانها قيلت في بلاد الروم . وهي بمثابة يوميات سجّل فيها احداث حياته وأحاسيس نفسه . وهذه القصيدة درّة من سلك الروميات الذي قلّد بـه شاعرنا جيد الأدب العربي .

٢ – خلاصتها وتصميمها :

سمع ابو فراس حمامة تنوح فراح يحادثها ويقابل تجلّده في أسره وعذابه بحزنها في حريتها وسلوّها .

اما اقسام القصيدة الرئيسية فهي :

١ – الظرف الذي قيلت فيه : (الشطر الاول من البيت الاول) .

٢ – خطاب الاسير للحمامة، وهو يتناول التساؤل عن سبب نوحها (١ – ٣) . والمقابلة بين حاله وحالها (٤ – ٧) .

٣ – هيكل التحليل :

المقدمة : **اقول :** هذه الكلمة التي وضعها ابو فراس في مطلع قصيدته تنبئنا فوراً وعفواً، بما فيها من الالتفات الى الذات ، بأنه من الشعراء الوجدانيين الذين يعيشون في عالم نفسهم قبل ان يعيشوا في عالم الغير .

ناحت : هو النواح يسمعه الشاعر في هديل الحمامة، لانه صوت فيه رنّة الأسى، ولأن الشاعر حزين فيبدو له كل شيء متوشحاً بالكآبة . (راجع المساء لخليل مطران) .

بقربي : الحمامة هي قريبة من الاسير بالمسافة، ولكن شتان ما بين حالها وحاله. وهذا ما سيبيّنه الشاعر فيما يلي .

الخطاب (القسم الاول) .

أيا : ان «أيا» لغة هي حرف نداء للبعيد، فكأنيّ بالشاعر يرى في المسافة الوجيزة التي تفصله مادياً عن جارته بعداً معنوياً شاسعاً فهي طليقة وهو أسير .

جارتا : منادى قلبت فيه ياء المتكلم ألفاً . وقد وفّق الشاعر في استعماله هذه الصيغة لان الألفين المتتابعتين في «أيا» و«جارتا» لا تلفظان الا بمدّ النفس فكأنهما تنقلان زفرة حارّة من قلب مكلوم . وهذه الزفرة لم يصعّدها الشاعر الا لانه أحس بوجود رفيقة تشاطره الألم «وكلّ حزين للحزين نسيب !» . ولذا راح يشخّص الحمامة فيما وجّه اليها من خطاب .

هل تشعرين بحالي : هي، كما سبق القول، رغبة كل انسان في أن يشاطره الغير عواطفه، جعلت الشاعر يرى في نوح الحمامة استجابة لشجنه وأساه .

معاذ الهوى : «معاذ» : مفعول مطلق محذوف العامل . واذا كان الانسان عموماً يستعيذ بالله من الخطإ او غيره فشاعرنا مسجور القلب بالهوى حتى كأن الهوى اصبح معبوده .

طارقة النوى : الطارق لغةً هو الذي يأتي ليلاً ومن ثم هو كل من يأتي على حين غرّة وبدون انتظار . والنوى الطارقة هي البعد الذي لم يكن بالحسبان . وقد قلب الشاعر الصيغة كما هو معروف في العربية فأصبح النعت مضافاً والمنعوت مضافاً اليه . والنوى الطارقة تكون آلم وابعد اثراً في النفس .

ولا . . . ببال : استعير البال للحمامة لانها شخّصت . وفي هذا البيت يجيب الشاعر بالنفي على السؤال الذي طرحه على جارته، ويدفع عنها كل شعور بألم البعاد ووطأة الهموم .

أتحمل . . . عالِ : القوادم هي عشر ريشات في مقدّم جناح الطائر وقد عنى بها الشاعر الجناحين على سبيل المجاز المرسل . ان هذا الاستفهام الذي يطرحه الشاعر على نفسه هو انكاري . ولا يزال الاسير يتوسع في ايضاح اسباب نفي الحزن عن قلب الحمامة، فهي بعيدة باعتلائها متن غصن عالٍ عن الارض ومكارهها . وفي هذا البيت يرسم لنا الشاعر بكلام وجيز مشهداً تكاد المخيلة تجسّمه للعين، فترى

ذلك الطير الحزين جاثماً على الغصن امام نافذة السجن. ولفظة عال بعد نائي تزيد معنى الارتفاع تأكيداً.

الخطاب (القسم الثاني).

أيا جارتا . . . : ويعود الشاعر الى محادثة الحمامة. وتكرار لفظة «جارة» دليل على تعلقه بها وأنسه بقربها.

ما أنصف الدهر . . . : هنا يبدأ الشاعر بمقابلة حاله بحال جارته فيرى الفرق بينهما كبيراً مما يدل على ظلم الزمان وقلة انصافه في تقسيم الحظوظ، كما سيأتي بيان ذلك.

تعالي ... تعالي ... تعالي : بالكسرة على غير قياس لضرورة الشعر. وتكرار لفظة تعالي يدلّ على شيء من العطف والحنان والرغبة في ان يستجاب النداء.

تعالَي . . . سالِ : يدعو الشاعر الحمامة ليريها ما بينه وبينها من البون الشاسع ويجلو ذلك بمقابلة حالته السيئة وتجلّده بحالتها الحسنة وحزنها. وذلك في الفاظ يظهر الطباق تنافرها ويبرز التقطيع الشعري توازيها وتفارقها (في البيت الثاني).

لقد . . . غالِ : وينهي الشاعر قصيدته بايضاح سبب ما بين تصرّفه وتصرّف جارته من اختلاف، فإذا هو قوة نفسه واباؤه على الاستسلام للضعف. وبهذا تنجلي لنا ملامح نفسية هذا الامير الشاعر.

الخاتمة : لا يقوم جمال هذه القصيدة على عمق الافكار والبراعة في التحليل والاستنتاج، ولا على وفرة الصور البرّاقة وبعد ابحاء الخيال، ولا على اشراق الديباجة وتنميق الكلام. فالالفاظ سهلة مأنوسة، والأسلوب بعيد عن التصنع والتحبير. وانما جمالها في بساطتها السائغة الاخاذة، على دقة في استعمال اللفظ، وبراعة في التعبير عن الخواطر غير متصنعة، وخصوصاً في صدق ذلك الشعور المرهف المترقرق دون توثب ولا اصطخاب في موسيقى البحر الطويل الهادئة المسترسلة، التي تنقل الى الآذان والقلوب عاطفة انسانية عميقة تنضح بها نفس ذلك الامير الاسير، شاعر القرن العاشر، فتبدو قريبة الى كل نفس في كل عصر وكل مصر.

العهد الجاهلي

(٤٧٥ ـ ٦٢٢)

الباب الاول

بزوغ الشعر الجاهليّ واستقراره

المهلهل (توفي نحو سنة ٥٣١)

[هو عديُّ بن ربيعة التَّغلِبي . قتَل أخوه كُلَيب ناقةَ البَسوس خالةِ جسَّاس بن مُرَّة البكريِّ . فانتصر جسَّاس لخالته وقتل كُلَيباً . وما إن ذاع الخبر حتى اجتمع نساء الحيّ للمأتم .

وكان همّام بن مُرَّة يُنادم المهلهل أخا كُلَيب وعاقدَه ألّا يكتمه شيئاً . فأرسل مُرَّة الى ابنه همّام فرسَهُ مع جارية، وأمره أن يَظعن ويلحق بقومه .

وكانا جالسَيْن ، فمرَّ جساس يركض به فرسُه مُخرِجاً فَخِذَيهِ، فقال همّام : « إنَّ له لأمراً، واللهِ ما رأيتُه كاشفاً فخذيه قطُّ في ركضٍ » . ولم يلبث إلا قليلاً حتى انتهت الجارية اليها . فوثب همّام اليها، فسارَّته أنَّ جساساً قتل كُليباً، وأنَّ اباه قد ظعنَ مع قومه . فأخذ همّام الفرس وربطه الى خيمته ورجع . فقال له المهلهل : « ما شأن الجارية والفرس ؟ وما بالك ؟ » فقال : « إشرب ودع عنك الباطل ! » قال : « وما ذاك ؟ » فقال : « زعمت أنَّ جساساً قتل كليباً » . فضحك المهلهل وقال : « هِمَّةُ أخيك أضعفُ من ذاك » . فسكت . ثم أقبلا على شرابهما، فجعل مهلهل يشرب شربَ الآمن، وهمّام يشرب شربَ الخائف . ولم تلبث الخمرة ان صرعت مهلهلاً ، فانسلَّ همّام ولحق بقومه . ورجع المهلهل الى الحيّ سكران، فرآهم يعقرون خيولهم، ويكسرون رماحهم وسيوفهم، فقال : « ويحكم ! ما الذي دهاكم ؟ » فلمّا اخبروه الخبر قال : « لقد ذهبتم شرَّ مذهب، أتعقرون خيولكم حين احتجتم اليها، وتكسرون سلاحكم حين افتقرتم اليه ! » فانتهوا عن ذاك ،

ورجع الى النساء فنهاهنَّ عن البكاء وقال: «استبقين للبكاء عيوناً تبكي الى آخر الابد»

ولما اصبح غدا الى اخيه فدفنه وقام على قبره يرثيه ويقول[1]:]

١ أهاج قذاء عيني الاذِّكار

أَهاجَ قَذاءَ عَيْنِيَ ٱلِاذِّكارُ هُدُوءًا، فَٱلدُّمُوعُ لَها ٱنْهِمارُ[2]
وَصارَ ٱللَّيْلُ مُشْتَمِلًا عَلَيْنا كَأَنَّ ٱللَّيْلَ لَيْسَ لَهُ نَهارُ[3]
وَبِتُّ أُراقِبُ ٱلْجَوْزاءَ، حَتَّى تَقارَبَ مِنْ أَوائِلِها ٱنْحِدارُ[4]
أُصَرِّفُ مُقْلَتِي فِي إِثْرِ قَوْمٍ تَبايَنَتِ ٱلْبِلادُ بِهِمْ فَغارُوا[5]
وَأَبْكِي، وَٱلنُّجُومُ مُطَلَّعاتٌ كَأَنْ لَمْ تَحْوِها عَنِّي ٱلْبِحارُ،[6]
عَلَى مَنْ لَوْ نُعِيتُ، وَكانَ حَيًّا، لَقادَ ٱلْخَيْلَ يَحْجُبُها ٱلْغُبارُ.
دَعَوْتُكَ يا كُلَيْبُ، فَلَمْ تُجِبْنِي، وَكَيْفَ يُجِيبُنِي ٱلْبَلَدُ ٱلْقِفارُ![7]
أَجِبْنِي يا كُلَيْبُ، خَلاكَ ذَمٌّ، لَقَدْ فُجِعَتْ بِفارِسِها نِزارُ[8]

---

(١) عن «ايام العرب في الجاهلية»، لجماعة من الاساتذة. ٢ اهاجَ: لم يرد من هذا الفعل إلا «هاج» بمعنى ثار وأثار، وأما تعديته بالهمزة فما لا وجود له في كتب اللغة. وقد تكون الهمزة، والحالة هذه، للاستفهام الانكاري. القذاء والقذى بمعنى واحد وهو ما يقع في العين من تبنة او غيرها فيؤلمها ويُسيل دمعها. هدوءًا: الهدوء اوّل الليل، وهو منصوب على الظرفيّة الزمنيّة من فعل «هاج». الانهار: السَّيَلان. – يقول: ان التذكُّر لقتل كليب قد هاج عينيّ في اوّل الليل فسالتا دموعاً. ٣ اشتمل عليه: اكتنفه واحاط به من كل جانب. – يقول ان همّي تثاقل عليَّ فخيّل اليّ معه ان الليل طويل لا ينتهي. وهذه فكرة طالما ردّدها الشعراء من بعد المهلهل. ٤ الجوزاء: برج من بروج السماء وهو عبارة عن مجموعة نجوم تنزل بينها الشمس في شهر ايار؛ ويكون انحدارها في آخر الليل. – يقول: اني قضيتُ الليلَ مسهّداً الى ان قرب انعطاف نجوم الجوزاء في الافق، اي الى الصباح. ٥ أصرّف مقلتي: أمدّ نظري. تباينت البلادُ بهم: تباعدت بهم. غاروا: اي ذهبوا في قلب الأرض من غير رجعة. ٦ كان القدماء يظنّون ان بين السماء والارض بحراً. ٧ البلَد القَفارُ: البلد الخالي من اهله. ٨ خلاكَ ذمٌّ: اي وانت بريءٌ مما تذمّ عليه. نِزار: قبيلة تفرّعت منها تغلب قبيلة كليب.

سَقَاكَ ٱلْغَيْثُ، إِنَّكَ كُنْتَ غَيْثًا وَيُسْرًا حِينَ يُلْتَمَسُ ٱلْيَسَارُ[1]
أَبَتْ عَيْنَايَ بَعْدَكَ أَنْ تَكُفَّا كَأَنَّ غَضَا ٱلْقَتَادِ لَهَا شِفَارُ[2] ...
خُذِ ٱلْعَهْدَ ٱلْأَكِيدَ عَلَيَّ، عُمْرِي، بِتَرْكِي كُلَّ مَا حَوَتِ ٱلدِّيَارُ[3]
وَهَجْرِي ٱلْغَانِيَاتِ وَشُرْبَ كَأْسٍ وَلُبْسِي جُبَّةً لَا تُسْتَعَارُ[4]
وَلَسْتُ بِخَالِعٍ دِرْعِي وَسَيْفِي إِلَى أَنْ يَخْلَعَ ٱللَّيْلَ ٱلنَّهَارُ
وَإِلَّا أَنْ تَبِيدَ سَرَاةُ بَكْرٍ فَلَا يَبْقَى لَهَا أَبَدًا أَثَارُ![5]

ميزة شعره : في هذه القصيدة اضطراب مَن فوجئ، ولَوْعة مَن أخلص، وسذاجة مَن عاش في عهد بدائي . اما الاضطراب فظاهر في صدوف الشاعر عن ترتيب المعاني وعن تسجيل نبضات العاطفة تسجيلًا تحليلياً منطقياً، كما هو ظاهرٌ في سرعة انتقال الكلام من اسلوب الى اسلوب، من الخبر الى الانشاء مثلًا، وفي سرعة انتقال نفس الشاعر من حال الى حال : من البكاء الى التهديد واعمال البطولة . والاضطراب ظاهر في انصراف الشاعر عن اختيار الفاظه اختيارًا يتفق مع المعنى، وعن تركيب جُمَله تركيباً متيناً بعيدًا عن العجلة؛ فانك ان قرأت القصيدة لاحظت فيها ابياتًا عدّة تأتي عن غير انتظار، وتأتي في رصف ألفاظٍ لا يزيد المعنى إلّا تطويلًا، وهذا الرصف تكرار ألفاظ وترديد نغمات ليس فيه جمال الا جمال العاطفة الساذجة .

وأمّا اللَّوعة فظاهرة في الدموع المنهمرة، والسَّهر الدائم الملوّع، وفي مناداة الاخ الراحل في ألمٍ ما بعده ألم .

وأمّا السذاجة فظاهرة في الغلوّ، والتكرار، وفي مخاطبة الميْت وأسلوب التعجب من عدم ردّه للجواب .

١ الغيث : المطر الذي يُغيث الارض وينقذها من الجدب . وقد شبّه الشاعر أخاه بالغيث لجوده . ـ يقول : سقى المطر قبرك بعد موتك، لانك كنتَ في حياتك مطرَ جود وغيث رحمة على جميع الناس، كما كنتَ فرَجاً لمن ضاقت بهم الحال . ٢ ان تكفّا : أي ان تنقطعا عن البكاء . غضا القتاد: اي شوكه . شُفر العين : اصل منبت الشعر في حرف الجَفن . ـ يقول : لقد أبَتْ عيناي ان تكفّا عن البكاء بعد موتك، فكأنّ اشفارَ أجفانهما شوكًا يهيجهما أبداً . ٣ عمري : ظرف زمان؛ أي مدّة عمري، ما دمت حيّاً . ٤ الغانيات : النساء الحسان . الجبّة : ثوب مقطوع الكمّ طويل يُلبس فوق الثياب . ٥ السَّراة ج سَريّ وهو السيّد الشريف .

[واشتدَّت المصيبة على الشاعر فقضى الزمن الطويل يبكي أخاه بكاءً مُرًّا ويرثيه بتفجّع . ومن ذلك قوله :]

٢ كُليب لا خير في الدنيا . . .

كُلَيبُ، لَا خَيرَ فِي ٱلدُّنيَا وَمَن فِيهَا ... إِنْ أَنْتَ خَلَّيْتَهَا فِي مَنْ يُخَلِّيهَا [1]
كُلَيبُ، أَيُّ فَتًى عِزٍّ وَمَكْرُمَةٍ ... تَحْتَ ٱلصَّفَاةِ ٱلَّتِي يَعْلُوكَ سَافِيهَا [2]
نَعَى ٱلنُّعَاةُ كُلَيْباً لِي، فَقُلْتُ لَهُمْ: ... سَالَتْ بِنَا ٱلأَرْضُ أَوْ زَالَتْ رَوَاسِيهَا [3]
لَيْتَ ٱلسَّمَاءَ عَلَى مَنْ تَحْتَهَا وَقَعَتْ ... وَحَالَتِ ٱلأَرْضُ فَٱنْجَابَتْ بِمَنْ فِيهَا [4]
أَضْحَتْ مَنَازِلُ بِٱلسُّلَّانِ قَدْ دَرَسَتْ ... تَبْكِي كُلَيْباً، وَلَمْ تَفْزَعْ أَقَاصِيهَا [5]
اَلْحَزْمُ وَٱلْعَزْمُ كَانَا مِنْ طَبَائِعِهِ ... مَا كُلُّ آلَائِهِ، يَا قَوْمُ، أُحْصِيهَا [6]
أَلنَّاحِرُ ٱلْكُومَ مَا يَنْفَكُّ يُطْعِمُهَا ... وَٱلْوَاهِبُ ٱلْمِئَةَ ٱلْحَمْرَا بِرَاعِيهَا [7]
أَلْقَائِدُ ٱلْخَيْلَ تَرْدِي فِي أَعِنَّتِهَا ... رَهْواً، إِذَا ٱلْخَيْلُ بُحَّتْ فِي تَعَادِيهَا [8]
مِنْ خَيْلِ تَغْلِبَ، مَا تُلْقِي أَسِنَّتَهَا ... إِلَّا وَقَدْ خَضَّبَتْهَا مِنْ أَعَادِيهَا . . .

ميزة شعره : هذا هو الفقيد : كَرَم وبطولة ؛ وما أصعب فقدان الكرَم والبطولة لدى البدويّ البدائيّ، ابن الصحراء، ولاسيا اذا كان ذلك البدويّ من طراز المهلهل ! فلا عجب اذن في ان تسيل الارض وجبالها، وان تتساقط السماء فِلَذاً، وان تبكي الطبيعة دماً .

---

١ إن انتَ خلّيتها . . . : في البيت اشتغال . إنْ : حرف شرط جوابه محذوف دلّ عليه ما قبله؛ انت : فاعل لفعل محذوف يفسّره الفعل الظاهر وهو في محل جزم على انه فعل الشرط . ٢ الصفاة : الحجر العريض الاملس . السّافي : التراب . ٣ الرّواسي : الجبال . ٤ انجابت : اضمحلّت . ٥ السُّلّان : موضع جرت فيه بعض مواقع حرب البَسوس . ولعلّ احياء تغلب كانت نازلةً فيه . ٦ الآلاء : السجايا والمحامد . ٧ الكُوم ج كَوْماء وهي الناقة الضخمة السّنام . ٨ ردَت الفرَس تَرْدي رَدْياً ورَدَياناً : رجمت الارض بحوافرها، او سارت سيراً بين العدْو والمشي . الرّهو : السّير السّهل، وقد نُصب على أنه نائب عن المفعول المطلق . التعادي : المباراة في العَدْو .

[وما زال المهلهل يبكي أخاه ويندبه، ويرثيه بالاشعار، وهو يجتزئ بالوعيد لبني مُرّة حتى يئس قومه وقالوا : « انه زير نساء » . وسخرت منه بكر، وهمّت بنو مُرّة بالرجوع الى الحمى، وبلغ ذلك المهلهل فانتبه للحرب، وشمّر عن ذراعيه، وجمع اطراف قومه، ثم جزّ شعره، وقصّر ثوبه، وآلى على نفسه ألا يهتمّ بلهو، ولا يشمّ طيباً، ولا يشرب خمراً، ولا يدّهن بدهن حتى يقتل بكل عضو من كليب رجلاً من بني بكر بن وائل . وها هو يبعث الحرب ويأبى الصلح ويهدد ويقول :]

٣ ذهب الصلح او تردّوا كليباً !

إِنَّ تَحْتَ ٱلْأَحْجَارِ حَزْماً وَعَزْماً وَقَتِيلًا مِنَ ٱلْأَرَاقِمِ، كَهْلَا [١]
قَتَلَتْهُ ذُهْلٌ، فَلَسْتُ بِرَاضٍ أَوْ نُبِيدَ ٱلْحَيَّيْنِ : قَيْساً وَذُهْلَا [٢]
وَيَطِيرَ ٱلْحَرِيقُ مِنَّا شِرَارًا فَيَنَالَ ٱلشِّرَارُ بَكْرًا وَعِجْلَا [٣] . . .
ذَهَبَ ٱلصُّلْحُ أَوْ تَرُدُّوا كُلَيْباً أَوْ تَحُلُّوا عَلَى ٱلْحُكُومَةِ حَلَّا [٤]
ذَهَبَ ٱلصُّلْحُ أَوْ تَرُدُّوا كُلَيْباً أَوْ أُذِيقَ، ٱلْعَدَاةَ، شَيْبَانَ ثُكْلَا [٥]
ذَهَبَ ٱلصُّلْحُ أَوْ تَرُدُّوا كُلَيْباً أَوْ تَنَالَ ٱلْعُدَاةُ هُونًا وَذُلَّا
ذَهَبَ ٱلصُّلْحُ أَوْ تَرُدُّوا كُلَيْباً أَوْ تَذُوقُوا ٱلْوَبَالَ عَلًّا وَنَهْلَا [٦] . . .

ميزة شعره : في هذه المقطوعة مظاهر شتى من شاعرية المهلهل : طلب المستحيل، ووعيد صاخب، وغنّة حربية كأنها الارجاز والهجوم، وإصرارٌ وعنادٌ ظاهران في التكرار، ومع ذلك كله سذاجة ولين مبنى .

---

١ الحزْم : ضبط الامر والحذَر من فواته، مأخوذ من الشدّ بالحبل استيثاقاً من المحزوم . العزم : عقد القلب على الشيء تريد ان تفعله، وأولو العزم هم اصحاب الجدّ والثبات والصبر . الأراقم : قوم كُليب والمهلهل . ٢ قيس وذُهل وعِجل (الواردة في البيت التالي) : قبائل من بكر . ٣ وشراراً : منصوب على الحاليّة المؤوّلة بالمشتق اي متبدّداً . ٤ او تحلّوا على الحكومة حلّا : اي اوّ تلجأوا الى الاحتكام الى السيف نجعله حَكَماً فيما بيننا . ٥ شيبان : من قبائل بكر، فقد كان جسّاس بن مرّة من ذُهل وذهل من شيبان . الثُّكل : فقدان المرأة ولدها . ٦ العلّ : الشرب بعد المرة الاولى تباعاً . النّهل : اوّل الشرب . يهدد المهلهل اعداءه بالوبال يُنزله بهم المرّة تلو المرّة . علّاً ونهلاً : منصوبان على الحاليّة المؤوّلة بالمشتق اي جرعة بعد أخرى مجروعةً .

[وجرت وقائعُ كثيرة كانت الدائرةُ فيها لبني تغلب . فقال المهلهل يصف الايام وينعاها على بكر :]

٤ على ان ليس عدلاً من كليب ...

أَلَيلَتَنَا بِذِي حُسُمٍ أَنِيرِي ... إِذَا أَنتِ ٱنقَضَيتِ فَلَا تَحُورِي [١]
فَإِنْ يَكُ بِٱلذَّنَائِبِ طَالَ لَيلِي ... فَقَدْ أَبكِي مِنَ ٱللَّيلِ ٱلقَصِيرِ [٢] !...
وَلَوْ نُبِشَ ٱلمَقَابِرُ عَنْ كُلَيبٍ ... فَيُخْبَرَ بِٱلذَّنَائِبِ أَيُّ زِيرِ [٣]
بِيَومِ ٱلشَّعْثَمَينِ ، لَقَرَّ عَينًا ؛ ... وَكَيفَ لِقَاءُ مَنْ تَحتَ ٱلقُبُورِ ؟! [٤]
وَإِنِّي قَدْ تَرَكْتُ بِوَارِدَاتٍ ... بُجَيرًا فِي دَمٍ مِثلِ ٱلعَبِيرِ [٥] ...
وَهَمَّامَ بْنَ مُرَّةَ قَدْ تَرَكْنَا ، ... عَلَيهِ ٱلقَشْعَمَانِ مِنَ ٱلنُّسُورِ [٦]
عَلَى أَنْ لَيسَ عَدلًا مِنْ كُلَيبٍ ... إِذَا رَجَفَ ٱلعِضَاهُ مِنَ ٱلدَّبُورِ [٧]
عَلَى أَنْ لَيسَ عَدلًا مِنْ كُلَيبٍ ... إِذَا طُرِدَ ٱليَتِيمُ عَنِ ٱلجَزُورِ [٨]
عَلَى أَنْ لَيسَ عَدلًا مِنْ كُلَيبٍ ... إِذَا مَا ضِيمَ جِيرَانُ ٱلمُجِيرِ ! [٩] ...

ميزة شعره : تلك مظاهر شتى من شعر المهلهل : بطولة وتخنُّث، رقّة وقسوة، بكاء وإرعادٌ وتكرار تتدفّق فيه العاطفة المكلومة الثائرة، وتمده القريحة الفيّاضة التي لا تحسن التعمُّق ولا تقوى على التحليل، ولا تتسلَّح بسلاح الكلام المنحوت من صخر .

---

١ ذو حسُم : موضع بالبادية . تحوري : ترجعي .   ٢ الذّنائب : موضع بنجد على يسار طريق مكة وهو الموضع الذي دُفن فيه كليب . يريد : فقد ابكي على ليالي السرور لانها قصيرة ؛ وقال ابو علي القالي في شرح هذا البيت : ان كان طال ليلي بهذا الموضع لقتل اخي، فقد كنتُ استقصر الليل وهو حيّ .   ٣ ايّ زير : يي ايّ زير أنا وهو نائب فاعل .   ٤ يوم الشعثَمين : زعم ابو عليّ القالي انــه موضع . وذكر ابو عبيد البكريّ انهما اخوان . فيكونان شعثم وعبد شمس اللذين قتلهما المهلهل يوم واردات .   ٥ بجَير : هو بن اخي الحارث بن همام بن مرّة . العبير : الزعفران شبّه الدم بزهره الاحمر .   ٦ القشعم : الهرم من النسور ؛ والجملة حال .   ٧ العدل : مصدر عَدَل، اي المساواة . العضاه : كل شجر له شوك . يقول : لا يعدل مصيبتنا بكليب هبوب الدبور وتحريكها للعضاه تحريكاً قوياً .   ٨ الجَزور : الناقة المذبوحة، ولا تكون الا ابنة سنة.   ٩ ضيم : ظلم، مجهول ضام . المجير : الذي يحمي من عدوّ .

الشَّنفرى (توفي سنة ٥١٠)

[تحمّل الشنفرى إهانةً أهابت بنفسه العزيزة ان تترك الاهل وتضرب في الصحراء مع الوحوش وأن تنفث همَّها في قصيدة عُرفت بلاميَّة العرب، أعربت فيها عن عتاب أليم تضمَّن فخراً ووصفاً للبراري . والقصيدة مرويَّة على ذمّة خلف الاحمر . قال الشنفرى :]

٥ اقيموا بني أمي . . .

أَقِيمُوا بَنِي أُمِّي صُدُورَ مَطِيِّكُمْ ... فَإِنِّي إِلَى قَوْمٍ سِوَاكُمْ لَأَمْيَلُ ١
فَقَدْ حُمَّتِ ٱلْحَاجَاتُ وَٱللَّيْلُ مُقْمِرٌ ... وَشُدَّتْ لِطِيَّاتٍ مَطَايَا وَأَرْحُلُ ٢
وَفِي ٱلْأَرْضِ مَنْأًى لِلْكَرِيمِ عَنِ ٱلْأَذَى ... وَفِيهَا، لِمَنْ خَافَ ٱلْقِلَى، مُتَعَزَّلُ ٣
لَعَمْرُكَ مَا فِي ٱلْأَرْضِ ضِيقٌ عَلَى ٱمْرِىءٍ ... سَرَى رَاغِباً أَوْ رَاهِباً وَهْوَ يَعْقِلُ ٤
وَلِي دُونَكُمْ أَهْلُونَ سِيدٌ عَمَلَّسٌ ... وَأَرْقَطُ زُهْلُولٌ وَعَرْفَاءُ جَيْأَلُ ٥

١ اقيموا بني امّي : اعدّوا يا بني امّي، كناية عن الاخوة والاقارب العصب من نحو الاب . مطيّكم مفرده مطيّة وهي الدابّة والفعل مطا : جدّ في السير . اميلُ افعل تفضيل من مالَ وجاءَ بدون ذكر المفضّل منه وهو ضعيف عند الصرفيين . وتلخيص المعنى : يقول لقومه : اعدّوا الرحيل فاني كاره ما انتم عليه من البقاء، وشديد الرغبة في الالتحاق بقومٍ غيركم. ٢ حُمّ الامرُ حمّاً : قضيَ . الطيّات مفرده طيّة وهي النيّة. ٣ مَنأى اسم مكان : مبعد، والفعل نأى عنه : بَعُدَ . القِلى : البغض وشدّة الكراهية . متعزّل اسم مكان، والفعل تَعزّل عنه : تنحّى، ابتعدَ . ٤ لعمرُك، اللام للابتداء وعمرُك مبتدأ والكاف مضاف اليه والخبر محذوف تقديره قسمي . سرى : مشى ليلاً . والمعنى : وحياتك ان الارض لا تضيق على الانسانِ العاقل الذي يستعمل عقله في درك المرغوب فيه وترك المرهوب منه . ٥ السِيد: يطلق على الاسد والذئب معاً . العملّس : السريع السَّير . الارقط : النمر . الزُهلول : الاملس . عُرْفاء : انثى الضبع وسميت كذلك لكثرة شعر رقبتها الذي هو بمنزلة عرف الفرس . الجيأل : علم الضّبع، وقد أتت صفة لما قبلها وتقوية لمعناه .

هُمُ ٱلْأَهْلُ لَا مُسْتَوْدَعُ ٱلسِّرِّ ذَائِعٌ … لَدَيْهِمْ، وَلَا ٱلْجَانِي بِمَا جَرَّ يُخْذَلُ [١]
وَكُلٌّ أَبِيٌّ بَاسِلٌ، غَيْرَ أَنَّنِي … إِذَا عَرَضَتْ أُولَى ٱلطَّرَائِدِ، أَبْسَلُ [٢]
وَإِنْ مُدَّتِ ٱلْأَيْدِي إِلَى ٱلزَّادِ لَمْ أَكُنْ … بِأَعْجَلِهِمْ، إِذْ أَجْشَعُ ٱلْقَوْمِ أَعْجَلُ [٣]
وَمَا ذَاكَ إِلَّا بَسْطَةٌ عَنْ تَفَضُّلٍ … عَلَيْهِمْ وَكَانَ ٱلْأَفْضَلَ ٱلْمُتَفَضِّلُ [٤]
وَإِنِّي كَفَانِي فَقْدُ مَنْ لَيْسَ جَازِيًا … بِحُسْنَى وَلَا فِي قُرْبِهِ مُتَعَلَّلُ [٥]
ثَلَاثَةُ أَصْحَابٍ: فُؤَادٌ مُشَيَّعٌ … وَأَبْيَضُ إِصْلِيتٌ وَصَفْرَاءُ عَيْطَلُ [٦]
هَتُوفٌ مِنَ ٱلْمُلْسِ ٱلْمُتُونِ يَزِينُهَا … رَصَائِعُ قَدْ نِيطَتْ إِلَيْهَا وَمِحْمَلُ [٧]
إِذَا زَلَّ عَنْهَا ٱلسَّهْمُ حَنَّتْ كَأَنَّهَا … مُرَزَّأَةٌ ثَكْلَى تَرِنُّ وَتُعْوِلُ [٨]
وَلَسْتُ بِمِهْيَافٍ يُعَشِّي سَوَامَهُ … مُجَدَّعَةً سُقْبَانُهَا وَهْيَ بُهَّلُ [٩]
وَلَا جُبَّإٍ أَكْهَى مُرِبٍّ بِعِرْسِهِ … يُطَالِعُهَا فِي شَأْنِهِ كَيْفَ يَفْعَلُ [١٠]

ميزة القصيدة : هي صورة للحياة البدويّة في عنفوانها وانطلاقها، وفي خشونتها وواقعيّتها، خشونة في المعاني وخشونة في الالفاظ، وتحت الخشونة قلب ينبض بالرقّة .

---

١ الجاني : المذنب – جرّ على نفسه جريرة : أذنبَ . والمعنى : هؤلاء هم الأهل الذين يؤتمنون على السرّ ويدافعون عن جرائر المذنب . ٢ الأبي : الشريف الذي يكره الدنايا ولا يحتمل الضيم. الباسل : الشجاع . الطريدة : ما يُصطاد . ٣ الزاد : الطعام . الجشع : الطمع بكلّ شيء . ٤ بسطة : يقـال : فلان بسط الكفّ اي كريم . وتلخيص المعنى : وما دعاني الى ذلك إلا توسعي بما فضل عني، لأن افضل القوم هو المتفضّل عليهم . ٥ الحسنى : المعروف . المتعلّل : المتشاغل بما ينسيه حزنه وألمه . ٦ المُشيَّع : الشجاع، يقال شيّع فلان فلاناً : شجّعه . الإصليت: السيف الثقيـل الماضي . العَيْطل : القوس الطويلة العنق ؛ وتلخيص المعنى : ما دام لي ثلاثة اصحاب القلب الجري، والسيف الماضي والقوس المتينة، فلا أبالي بضياع من لا يثمر فيهم المعروف ولا ترجى منهم فائدة . ٧ هَتُوف، صفة للقوس يقال قوس هتوف اي ذات صوت . المُلس : الناعمات. المُتُون مفرده مَتن : صلب قوي . الرصائع مفرده رصيعة : حلقة السيف المستديرة او كلّ حلقة مستديرة في سيف او سرج او غيره . نيطت اليها : عُلّقت بها . ٨ زلّ عنها السهم : اي زلّ عن القوس وخرج منها بسرعة . المرزّأة : المصابة بالرزايا . ثكلى : فاقدة ولدهـا . أعول : رفع صوته بالبكاء والصياح . وتلخيص المعنى : انهـا قوس طنّانة رنّانة من نبات النبع مزيّنة بالحليّ والحمائل ترنّ عند خروج السهم منها بحنين كأنّها امرأة عاجلها فقد ابنها الغالي فهي تبكي وتُعْوِل لفقده . ٩ مِهياف : سريع العطش . سَوامه : إبله الراعية . سُقبانها : اولادها – اي الناقة . بُهّل : الناقة لا صرارة عليها ولا خطام او لا سمة لها . وتلخيص المعنى : لست من الناس الذين لا يتحمّلون العطش فيروحون الى نوقهم ويحبسون اولادها عنها جائعـة ويتمتعون هم بدرّها من غير مانع . ١٠ الجُبّأ : الجبان . الأكهى : الجبـان الضعيف . مُربّ بعرسه : ملازم زوجته . وتلخيص المعنى : لست بالجبان الضعيف الذي يلازم قرينته ويطلعها على امره ويأخذ رأيها فيه .

الباب الثاني

إزدهار النهضة الجاهلية

الفصل الاول

اصحاب المعلقات

أُمرؤُ القَيْس (٥٠٠ _ ٥٤٠)

[تُقسم حياة امرئ القيس قسمين كبيرين : قسماً قضاه في اللهو، وقسماً قضاه في طلب الثأر والحرب . وشعره من ثمَّ قسمان : قسمٌ في الغزل والتشرُّد، وقسمٌ آخر في استنهاض الهمم، والمدح والشكر، والتهديد والفخر، وما الى ذلك .

القسم الاول : شعر اللهو، وفيه غزَل ووصف للطبيعة الحيَّة (ولاسيما الفرَس، والصيد، والناقة)، والجامدة (ولاسيما المطر، والليل)، وأشهر شعر امرئ القيس في هذا القسم معلَّقتُه التي تقع في ٨٠ بيتاً من البحر الطويل، والتي نقتطف منها ما يلي :]

٦ قِفا نبكِ !..

[كان أمرؤُ القيس شديد الحبِّ لابنة عمه عُنيزة ، فحدث أن خرجت هذه وصواحبها الى يوم نزهة أتاح لـهُ أن يلتقي بهنَّ ويرى عُنيزة فوصف ذلك الملتقى وضمَّ اليه وصف الفرس والصيد والبرق والمطر ، وكلّها ذكريات لما ألف الشاعر مشاهدته عهدَ لهوه، بعد أن طرده أبوه من بيته .]

الوقوف على الاطلال والذكرى والبكاء :

قِفَا نَبْكِ مِنْ ذِكْرَى حَبِيبٍ وَمَنْزِلِ — بِسِقْطِ ٱللِّوَى، بَيْنَ ٱلدَّخُولِ فَحَوْمَلِ [1]
فَتُوضِحَ فَٱلْمِقْرَاةِ، لَمْ يَعْفُ رَسْمُهَا — لِمَا نَسَجَتْهَا مِنْ جَنُوبٍ وَشَمْأَلِ [2] ...
كَأَنِّي غَدَاةَ ٱلْبَيْنِ، يَوْمَ تَحَمَّلُوا، — لَدَى سَمُرَاتِ ٱلْحَيِّ، نَاقِفُ حَنْظَلِ، [3]
وُقُوفاً بِهَا صَحْبِي عَلَيَّ مَطِيَّهُمْ، — يَقُولُونَ: «لا تَهْلِكْ أَسًى، وَتَجَمَّلِ!» [4]
وَإِنَّ شِفَائِي عَبْرَةٌ مُهَرَاقَةٌ ؛ — فَهَلْ عِنْدَ رَسْمٍ دَارِسٍ مِنْ مُعَوَّلِ؟! [5]
فَفَاضَتْ دُمُوعُ ٱلْعَيْنِ مِنِّي صَبَابَةً — عَلَى ٱلنَّحْرِ، حَتَّى بَلَّ دَمْعِيَ مِحْمَلِي [6] ...

وصف الليل :

وَلَيْلٍ كَمَوْجِ ٱلْبَحْرِ أَرْخَى سُدُولَهُ — عَلَيَّ، بِأَنْوَاعِ ٱلْهُمُومِ، لِيَبْتَلِي ؛ [7]
فَقُلْتُ لَهُ، لَمَّا تَمَطَّى بِصُلْبِهِ، — وَأَرْدَفَ أَعْجَازًا، وَنَاءَ بِكَلْكَلِ : [8]
أَلَا أَيُّهَا ٱللَّيْلُ ٱلطَّوِيلُ، أَلَا ٱنْجَلِ — بِصُبْحٍ! وَمَا ٱلْإِصْبَاحُ مِنْكَ بِأَمْثَلِ! [9]
فَيَا لَكَ مِنْ لَيْلٍ، كَأَنَّ نُجُومَهُ — بِكُلِّ مُغَارِ ٱلْفَتْلِ شُدَّتْ بِيَذْبُلِ [10]
كَأَنَّ ٱلثُّرَيَّا عُلِّقَتْ فِي مَصَامِهَا — بِأَمْرَاسِ كَتَّانٍ إِلَى صُمِّ جَنْدَلِ! [11] ...

---

١ و ٢ قِفا : الألف مبدلة من نون التوكيد ؛ يريد الشاعر نفسه على سبيل التجريد البياني . اللِّوى : ما التوى من الرمل او استرقّ منه ؛ وسِقْط اللوى : منتهاه . الدخول فحومل فتوضح فالمقراة : مواضع تحيق بسقط اللوى حيث كان منزل الأحبّة . لم يعفُ رسمها : لم يُمحَ أثرها . من جنوبٍ وشمألٍ : يريد الريح تهب من الجنوب ومن الشمال . ونَسْج الريحين : اختلافهما على المكان تستره الواحدة بالرمالِ فتكشفه الاخرى . ـ فالشاعر يستوقف نفسه ليستفيض بكاءً لدى ذكرى حبيب فارقه وديارٍ غادرها أهلها . ٣ البَين : الفِراق . تحمّلوا : ارتحلوا . سمُرات ج سمُرة : شجرة صغيرة الورق، قصيرة الشوك لها بَرَمٌ (ثمر) أصفر يؤكل . الحنظل : نبتٌ يمتدّ على الارض كالبطيخ؛ واسم حبّه الهَبيد وهو كحبّ البطيخ الا انه صغير جداً . وناقفه : من يشقّ ثمرَه بظفره ليستخرج حبّه . ـ يقول اني يوم تحمّل الاحبّة وقفت عند اشجار الحيّ حيران اشارف رحيل الاحبّة ولا أستفيد الا لوعة الفراق كالناقف الحنظل فلا يستفيد الا استخراج هبيده المرّ . ٤ وقوفاً : من وَقَفَ لازم متعدٍّ، ونصبها على المصدر . ٥ عَبرةٌ مُهَراقةٌ : دمعة مسكوبة . الرسمُ الدّارس : الاثر الذي كاد يضمحلّ . المعوَّل : المستعان بـه . ٦ المِحمَل : حِمالة السيف . ـ يقول : ان صحبي وقفوا بي عند تلك السمرات ينصحون لي بالصبر وينهونني عن الجزع، ولكن هل يكون الدواء لدائي الا البكاء؟ وأنّى لي من معينٍ، في موقفي، على التجمّل والوقف عن تذريف الدموع ؟ ففاضت دموعي بغزارة حتى بلّتْ محملي ٧ ـ ١١ السُّدول ج سِدْل :

وصف الفرس :

وَقَدْ أَغْتَدِي، وَٱلطَّيْرُ فِي وُكُنَاتِهَا بِمُنْجَرِدٍ، قَيْدِ ٱلْأَوَابِدِ، هَيْكَلِ، [1]
مِكَرٍّ مِفَرٍّ، مُقْبِلٍ مُدْبِرٍ، مَعاً، كَجُلْمُودِ صَخْرٍ حَطَّهُ ٱلسَّيْلُ مِنْ عَلِ. [2]
كُمَيْتٍ يَزِلُّ ٱللِّبْدَ عَنْ حَالِ مَتْنِهِ كَمَا زَلَّتِ ٱلصَّفْوَاءُ بِٱلْمُتَنَزِّلِ؛ [3]
عَلَى ٱلذَّبْلِ جَيَّاشٍ، كَأَنَّ ٱهْتِزَامَهُ، إِذَا جَاشَ فِيهِ حَمْيُهُ، غَلْيُ مِرْجَلِ؛ [4]
مِسَحٍّ إِذَا مَا ٱلسَّابِحَاتُ عَلَى ٱلْوَنَى أَثَرْنَ غُبَاراً، بِٱلْكَدِيدِ ٱلْمُرَكَّلِ؛ [5]
يُزِلُّ ٱلْغُلَامَ ٱلْخِفَّ عَنْ صَهَوَاتِهِ، وَيَلْوِي بِأَثْوَابِ ٱلْعَنِيفِ ٱلْمُثَقَّلِ؛ [6]

السّتور. لِيَبْتَلي : ليرمي في بليّة. تمطى : تمدّد. الصلب : الظهر. أرْدف : اتبع. الأعجاز ج عجُز وهو المؤخّر. ناء : رزح. الكلكل : الصدر. الامثل : الافضل. مُغار الفتل : مُحكَم الفتْل، شديده. يذبل : اسم جبل. في مصامها : في موضعها. الجندل : الصخر. – يقول : جاء الليل وأرخى عليّ ستور ظلامه مبطّنة بانواع الهموم ليرميني في البلايا واذا هو ليلٌ مكروبٍ، طويل الاواخر، رازح الاوائل ، لا يتنحّى الا ليعقبه يوم مثقّل مثله بالهموم.

١ وُكنات ج وُكنة : وهي عش الطائر. المنجرد : القصير الشعر الماضي في السير. الاوابد ج آبد : وهو الوحش النافر. الهيكل : الضخم. – يقول : وقد اخرج مبكّراً على فرسٍ عظيم مربع ، لا يكاد يُطلَق في إثر الوحوش حتى يدركها ، باعثاً فيها الجمود، فتقف كأنها مقيّدة.
٢ المِكَرّ : الكثير الاقبال. المِفَرّ : الكثير الإدبار. – يصف الشاعر فرسه بالسرعة والخفّة حتى لا يتبيّن رائيه إقباله وإدباره. ٣ الكُمَيْت : الفرس الاحمر الى السواد. حال مَتنه : وسط ظهره. الصفواء : الحجر الصّلب الاملس. المتنزّل : النازل. – يقول : ان فرسه مكتنز اللحم املس الظهر ولملاسته يزلق اللبد عن ظهره كما يزلق الرجل النازل عن الصخرة الملساء لا يستطيع الاستقرار عليها لملاستها؛ وقد اسند الشاعر الزلل الى الصفواء على سبيل المجاز ثم ذكر المتنزّل كقرينة لبيان المجاز الذي يقصده؛ وكان الوجه ان يقول : كما زلّ المتنزّل عن الصفواء. ٤ الذّبْل : الضُّمور. الجيّاش : الذي يجيش في عدوه كالقِدْر في غليانها. الاهتزام : الصوت الشديد المتقطع في صدر الفرس. حميه : احتدام النشاط. المِرْجل : القدر الكبيرة. – يقول : ان هذا الفرس مُتوَقِّد النّشاط على ضُموره، وصوته في صدره عند استرسال عدوه أشبَهُ بقِدْرٍ تغلي.
٥ الفَرس المِسَحّ : الجواد العدّاء. السّابحات : الخيل السريعة التي تمد يديها في عدوها. على الونى : بسبب التعب والفتور. الكَديد : الارض اليابسة. المركّل : الموطوء بالارجل. – يقول : ان هذا الفرس يبقى على نشاطه في جريه في حين ان اجود الخيل يأخذها العناء والفتور فتجر قوائمها جرّاً يثير الغبار من اصلب الارض. ٦ الصَّهَوات : ج صهوة وهي مقعد الفارس من ظهر الفرس؛ واستعمل الجمع دلالة على اتساع ظهر فرسه. – يقول : ان هذا الفرس يتمرّد على راكبه سواء كان خفيفاً ليّناً او ثقيلاً عنيفاً، فيلقيه عن ظهره ولا ينقاد الا لفارسه.

دَرِيرٍ كَخُذْرُوفِ ٱلْوَلِيدِ، أَمَرَّهُ تَتَابُعُ كَفَّيْهِ بِخَيْطٍ مُوَصَّلِ .[١]
لَهُ أَيْطَلَا ظَبْيٍ، وَسَاقَا نَعَامَةٍ، وَإِرْخَاءُ سِرْحَانٍ، وَتَقْرِيبُ تَتْفُلِ ؛[٢]
ضَلِيعٍ، إِذَا ٱسْتَدْبَرْتَهُ سَدَّ فَرْجَهُ بِضَافٍ فُوَيْقَ ٱلْأَرْضِ لَيْسَ بِأَعْزَلِ ؛[٣]
كَأَنَّ دِمَاءَ ٱلْهَادِيَاتِ بِنَحْرِهِ عُصَارَةُ حِنَّاءٍ بِشَيْبٍ مُرَجَّلِ[٤] ...

ميزة القصيدة : تتجلّى في هـذه القصيدة نفس امرئ القيس في ألمها وأملها، وفي نزعتها الجاهليّة الحسّية التي تألف الصدق والبساطة والإيجاز والدقّة .

امّا القسم الأوّل من القصيدة فيتضمّن صراع الحبّ والفناء، في اسلوب وجدانيّ مزيج من دموع وزفرات، ومناجاة وإحياء للذكريات، وفي كلام عليه من جلال القِدَم وبطء الحركة، وامتداد الموسيقى، ما يُثقل النفس بالهمّ والأسى .

وامّا القسم الثاني فهو التصوير النابض بالحيـاة . وهو يمتاز بالتشبيه وتنوّع الغنّة الموسيقيّة، ومواقفة المبنى للمعنى، والواقعيّة الصادقة .

---

١ الدَّرير : الفرس الذي يُديم الجَرْي في سُرعة . الخُذْروف : شظيّة من خشب او نحوه، يثقب وسطها ويُدخل فيه خيط، فيجرّ الصبي الخيط بيديه، فتدور الشظيّة دوراناً شديداً يُسمَع له دويّ. امرّ الخيط : احكم فتله . – يقول ان الفرس يُديم العدو في اشدّ ما تكون السرعة، وهو في ذلك أشبه بخذروف الولد . ووصفه الخيط بانه مُوصّل إشارة الى ان اللاعب عنيف يشد بقوّة، فيكون الخذروف اكثر سرعة . ٢ أيطلا الظّبي : خاصرتاه . الإرخاء : الجَري الذي فيه سهولة . السِّرحان : الذّئب . التّقريب : الجري تُرفع فيه اليدان معاً وتوضعان معاً . التّتفل : ولد الثّعلب . – يقول: انّ لفرسه ضُموراً خاصرتي الظّبي، وصلابة ساقي النعامة، وإرخاء السرحان في عدوه الخفيف، وتقريب التتفل في جريه الشديد . ٣ الضَّليع : عظيم الصَّدْر، واسع الاضلاع. استدْبره : نظر اليه من خلف . الفرج : الفضاء بين الرِّجْلَين . الضافي : الطّويل السّابغ وهو وصف للذّيل المحذوف . الاعزل: المعوجّ الى جانب . – يقول : ان فرسه يتصف باتساع الصدر وغلاظة الاضلاع وطول الذيل واستقامة عسيبه . ٤ الهاديات ج هادية : المتقدّمات في السَّير من سِرْب الوحش . النّحر : اعلى الصَّدْر . المُرَجّل : المسرّح . يقول : انّ فرسه اذا ما أُطلق في إثر الأتن الوحشيّة أدرك لسرعته اوائلها، فنالها فارسه بسلاحه، فتطاير رشاشُ الدم الى لَبان الفرس، فتخضّب شعره مثلما يكون من الحنّاء في الشّعر المُرجّل .

القسم الثاني : شعر الحرب وما اليها :

[بلغ امرأ القيس خبر مقتل أبيه، وهو بدمّون[١]، فاضطرم غيظاً وأطلق نداءه للحرب، وقال :]

٧ فاين ربيعة ؟ . .

أَرِقْتُ لِبَرْقٍ بِلَيْلٍ أَهَلّ ... يُضِيءُ سَنَاهُ بِأَعْلَى ٱلْجَبَلْ[٢]
أَتَانِي حَدِيثٌ فَكَذَّبْتُهُ ... بِأَمْرٍ تَزَعْزَعُ مِنْهُ ٱلْقُلَلْ
بِقَتْلِ بَنِي أَسَدٍ رَبَّهُمْ، ... أَلَا كُلُّ شَيْءٍ سِوَاهُ جَلَلْ ![٣]
فَأَيْنَ رَبِيعَةُ عَنْ رَبِّهَا ... وَأَيْنَ تَمِيمٌ، وَأَيْنَ ٱلْخَوَلْ ؟[٤]
أَلَا يَحْضُرُونَ لَدَى بَابِهِ ... كَمَا يَحْضُرُونَ إِذَا مَا ٱسْتَهَلْ .[٥]

[بعد مواقع كثيرة التجأ بنو اسد الى المنذر الثالث ملك الحيرة، فهرب الشاعر من وجهه . وعلم ان بين الروم والمناذرة منافسة، ففكّر في الالتجاء الى يوستنيانس قيصر الروم، وبعد ان اودع السَّموألَ ابنته هند وسلاحه ودروعه، شخص الى القسطنطينية ؛ وقد وصف رحلته تلك بقصيدة رائيَّة تتجاوز ابياتها الستين، نوردُ منها ما يلي :]

٨ الى الروم . . .

. . . فَدَعْ ذَا، وَسَلِّ ٱلْهَمَّ عَنْكَ بِجَسْرَةٍ ... ذَمُولٍ، إِذَا صَامَ ٱلنَّهَارُ وَهَجَّرَا[٦] . . .

---

١ دمّون : مساكن الحارث بن عمرو آكل المرار، وكان امرؤ القيس قد أنشأ له بها مساكن وسمّاها الصدف . ٢ أهلّ : ظهر . ٣ الجَلَل : العظيم والصغير الهيّن ؛ والكلمة من الاضداد ؛ والمُراد هنا المعنى الثاني . ٤ ربيعة وتميم : يريد قبائل ربيعة ومُضر (وتميم من مُضَر)، وقد كانت هذه القبائل من احلاف كِنْدة . الخَوَل : هم الذين يملك الإنسان امورهم كالعبيد والأتباع . ٥ استهلّ المطر : انصبّ بشدّة، واللفظة مستعارة للعطاء . ٦ الجَسْرة : الناقة العظيمة والقويّة . الذَّمول : السريعة . صامَ النّهار : قام قائم الظهيرة . هَجَّر النهارُ : اشتدّ حرّه .

عَلَيْهَا فَتًى لَمْ تَحْمِلِ ٱلْأَرْضُ مِثْلَهُ … أَبَرَّ بِمِيثَاقٍ وَأَوْفَى وَأَصْبَرَا
هُوَ ٱلْمُنْزِلُ ٱلْآلَافَ مِنْ جَوِّ نَاعِطٍ، … بَنِي أَسَدٍ، حَزْنًا مِنَ ٱلْأَرْضِ أَوْعَرَا [1]
وَلَوْ شَاءَ كَانَ ٱلْغَزْوُ مِنْ أَرْضِ حِمْيَرٍ … وَلٰكِنَّهُ، عَمْدًا إِلَى ٱلرُّومِ أَنْفَرَا [2]
بَكَى صَاحِبِي لَمَّا رَأَى ٱلدَّرْبَ دُونَهُ … وَأَيْقَنَ أَنَّا لَاحِقَانِ بِقَيْصَرَا؛ [3]
فَقُلْتُ لَهُ: لَا تَبْكِ عَيْنُكَ إِنَّمَا … نُحَاوِلُ مُلْكًا أَوْ نَمُوتَ فَنُعْذَرَا

. . .

لَقَدْ أَنْكَرَتْنِي بَعْلَبَكُّ وَأَهْلُهَا … وَلَٱبْنُ جُرَيْجٍ فِي قُرَى حِمْصَ أَنْكَرَا [4] . . .
أَلَا رُبَّ يَوْمٍ صَالِحٍ قَدْ شَهِدْتُهُ … بِتَاذِفَ ذَاتِ ٱلتَّلِّ مِنْ فَوْقِ طَرْطَرَا [5]
وَلَا مِثْلَ يَوْمٍ فِي قُذَارَانَ ظَلْتُهُ … كَأَنِّي وَأَصْحَابِي عَلَى قَرْنِ أَعْفَرَا [6]
وَنَشْرَبُ حَتَّى نَحْسَبَ ٱلْخَيْلَ حَوْلَنَا … نِقَادًا وَحَتَّى نَحْسَبَ ٱلْجَوْنَ أَشْقَرَا [7] . . .
تَبَصَّرْ خَلِيلِي هَلْ تَرَى ضَوْءَ بَارِقٍ … يُضِيءُ ٱلدُّجَى بِٱللَّيْلِ عَنْ سَرْوِ حِمْيَرَا! [8] . . .

[لقي الشاعر في القسطنطينية اكراماً يليق بمقامه، وقد وصفه لنا بنوع خاص في ابيات اوحت بها اليه ذكرى ابنته هند، فقال :]

---

١ ناعِط : جبَل باليمن برأسه حصن قديم . الحزْن : ما غلظ من الارض وصَعُب فيه السير . بني أسد : منادى ؛ فكأنه يقول : الجأوا يا بني أسَد الى الأرض الغليظة ذات الوعورة . وهو وعيد وتهديد ٢ الى الروم أنفَر : اي طلب الى الروم ان ينصروه . وقد كان ذلك منه عمداً اذ كان باستطاعته أن يجيّش الجيوش على بني اسد من بلاد حِميَر فآثر ان يغزوهم بجيوش من بلاد الروم، لتكون الضربة اشدّ وطأة عليهم . ٣ صاحبي : هو الشاعر عمرو بن قميئة، صحب امرأ القيس في رحلتـــه، وقد بكت بنته فبكى لبكائها ؛ فلمّا رآه امرؤ القيس يبكي اخذ يعزّيه بما ذكره في البيت التالي . وقد مات عمرو في تلك الرحلة، فقيل له عمرو الضائع . الدَّرْب : المدخَل الى ارض الروم . ٤ أنكرتني : لم تقـــدرني حق قدري . ٥ تاذف : قرية من قرى حلب . طرْطر : قرية تقع قرب حلب يسمّونها طَـلْطَل . ٦ قُذاران : قرية بقرب حلب . الأعْفَر : الظّبْي . يصف حاله وحال اصحابه وما كانوا عليـــه من القلق وعدم الاستقرار . ٧ النِّقاد : صغار الغنم . الجَوْن من الخَيْل : الأدم الشديد السَّواد ٨ سَرْو حِمْيَر : أعالي بلاد حِميَر باليمن، وهذا حنين منه الى أوطانه .

٨ تذكرتُ هندا

أأذكرتَ نفسكَ ما لنْ يعُودَا   فهاجَ ٱلتَّذكُّرُ قلباً عَميدَا ١
تذكَّرتُ هِندًا وأترابَهَا   فأصبحتُ أزمعتُ مِنها صُدُودَا ٢
ونادَمتُ قيصَرَ في مُلكِهِ   فأوجهَني، وركِبتُ ٱلبَرِيدَا ٣
إذَا مَا ٱزدَحمنَا عَلَى سِكَّةٍ   سَبَقتُ ٱلفُرَانِقَ سَبقاً شَدِيدَا ٤

ميزة شعره : هو الملك الذي يطالب بالثأر في لهجة الملاحم، وشدّة الاسلوب، وانطلاق النفس الشعري البعيد عن الميوعة الوجدانيّة .

طَرَفةُ بن العبد (٥٤٣ـ٥٦٩)

[طرفة شابٌ أحبَّ الحياةَ حبًا شديداً، وازدانت نفسه بسجايا النفس العربية العالية، ولكنه حسب سعادة الحياة تمرُّغاً في الحمأة، فلطّخ سجاياه بلطخات العار، واعتمد في تبرير موقفه على فلسفة مادّيّة لا تزال لطمةً لوجه الشَّرَف . ولذلك تأرجح شعره في معلّقته بين نزعتين : نزعة القلب العربيّ الشهم، ونزعة الحواس البهيميّة . أما معلّقته فتقع في ١٠٤ أبيات، اليك طائفةً منها :]

٩ لخولة اطلالٌ . . .

الوقوف على الاطلال ووصف خولة :

لِخَوْلَةَ أطْلَالٌ بِبُرْقَةِ ثَهْمَدِ   تَلُوحُ كَبَاقِي ٱلوَشْمِ فِي ظَاهِرِ ٱليَدِ ٥

---

١ القلب العميد : المُضنى من الحبّ . ٢ أزمعتُ منها . . . : توقّعتُ منها الهجران . ٣ أوجهَني : وجدني وجيهاً . البريد : الخيل التي كانت تحمل رسائل السلطان، وفي ذلك ثقة واحتفاء . ٤ الفُرانِق : كلمة معرّبة عن لفظة « بروانك » الفارسيّة، ومعناها الذي يدلّ صاحب البريد على الطريق . وفي تقدّم امرىء القيس له وجاهة وسلطان. ٥ خولة : اسم امرأة . الأطلال ج طلَل وهو الشاخص المرتفع من آثار الدار . البُرْقة في الأصل : غلظ فيه حجارة ورمل وطين مختلطة؛ وبُرَق ديار العرب تنيف على مئة منها بُرقة الأثماد، وبُرقة اليامة، وبرقة ثهمد . أما برقة ثهمد فهي اكمة بلاد جثمم . الوَشم : النقش على اليد وذلك ان تُغرز بالإبرة ثم يُذرّ عليها النيلج او صبغ آخر .

وُقُوفاً بِهَا صَحْبِي عَلَيَّ مَطِيَّهُمْ يَقُولُونَ: « لَا تَهْلِكْ أَسًى، وَتَجَلَّدِ »!..
وَإِنِّي لَأُمْضِي ٱلْهَمَّ، عِنْدَ ٱحْتِضَارِهِ، بِعَوْجَاءَ مِرْقَالٍ تَرُوحُ وَتَغْتَدِي[1]...

[وهنا يقف الشاعر وقفةً طويلة عند ناقته، فيصفها جزءاً جزءاً، وفي كلامه استرسال في حوشيّ اللفظ وخفيّ المعنى، وإكثار من التشبيه الحسيّ. ثم ينتقل الى نفسه فيصفها قائلًا:]

وصف نفسه:

وَلَسْتُ بِحَلَّالِ ٱلتِّلَاعِ مَخَافَةً، وَلٰكِنْ مَتَى يَسْتَرْفِدِ ٱلْقَوْمُ أَرْفِدِ[2]
وَإِنْ تَبْغِنِي فِي حَلْقَةِ ٱلْقَوْمِ تَلْقَنِي، وَإِنْ تَقْتَنِصْنِي فِي ٱلْحَوَانِيتِ تَصْطَدِ[3]
وَإِنْ يَلْتَقِ ٱلْحَيُّ ٱلْجَمِيعُ تُلَاقِنِي إِلَى ذِرْوَةِ ٱلْبَيْتِ ٱلْكَرِيمِ ٱلْمُصَمَّدِ[4]
نَدَامَايَ بِيضٌ كَٱلنُّجُومِ، وَقَيْنَةٌ تَرُوحُ إِلَيْنَا بَيْنَ بُرْدٍ وَمُجْسَدِ[5]
إِذَا نَحْنُ قُلْنَا: «أَسْمِعِينَا!» ٱنْبَرَتْ لَنَا عَلَى رِسْلِهَا مَطْرُوفَةً لَمْ تَشَدَّدِ[6]
إِذَا رَجَّعَتْ فِي صَوْتِهَا خِلْتَ صَوْتَهَا تَجَاوُبَ أَظْآرٍ عَلَى رُبَعٍ رَدِ[7]

---

١ أمضي: أنفذ. الهَمّ: ما يقصَد فعله من الاعمال. العوجاء: الناقة الضامرة التي اعوجّ ظهرها. المِرْقال: السريعة. تروح وتغتدي: اي تصل سير المساء بسير الصباح. يقول: إذا عزمتُ على أمرٍ يقتضي السفر ركبتُ للحال ناقةً ضامرة سريعة تقوى على السير الطويل من غير توقف.

٢ التِّلاع ج تَلْعة وهي من اسماء الاضداد، تدلّ على ما ارتفع من الارض وعلى ما انهبط منها؛ والمراد بالتلاع هنا المُنخفَضات والاودية. استرفَدَ: طلبَ الرِّفد اي العطاء والمعونة. يقول: لستُ ممّن يستترون في الاودية مخافة الضيوف والمسترفدين، ولكني عندما أدعى للمعونة ألبّي الدعوة بلا إبطاء.

٣ حَلْقة القوم: مجلس الأشراف والناظرين في القضايا الهامّة. يقول: تجدني جادًّا في اوان الجدّ، ولاهياً في اوقات الفراغ.

٤ الذِّروة: اعلى كل شيء. المصمَّد: المقصود.

٥ الندامى ج نديم وهو الصاحب على الخمر. القَيْنَة: الجارية المغنّية التي جعلت الغناء صناعة لها. البُرْد: الثوب الابيض. المُجْسَد: الثوب المصبوغ بالزّعفران. يقول: ليس ندامايَ من ابناء الإماء السود، ولكنهم احرارٌ بيض، وقينةٌ بيضاء تأتينا عشيّةً وعليها برد تحته ثوب احمر.

٦ على رِسْلِها: على مهلها. مَطروفة: مُغلَقة العين.

٧ رجّعت في صَوتها: ردّدته في حلقها. الأظآر ج ظِئْر وهي هنا الناقة المُرضِع. الرُّبَع: الفصيل. الرَّدِي: الهالك.

وَمَا زَالَ تَشْرَابِي ٱلْخُمُورَ، وَلَذَّتِي، وَبَيْعِي وَإِنْفَاقِي طَرِيفِي وَمُتْلَدِي[١]
إِلَى أَنْ تَحَامَتْنِي ٱلْعَشِيرَةُ كُلُّهَا وَأُفْرِدْتُ إِفْرَادَ ٱلْبَعِيرِ ٱلْمُعَبَّدِ[٢]
رَأَيْتُ بَنِي غَبْرَاءَ لَا يُنْكِرُونَنِي، وَلَا أَهْلُ هٰذَاكَ ٱلطِّرَافِ ٱلْمُمَدَّدِ[٣]

مبدأه في الحياة :

أَلَا أَيُّهَا ذَا ٱللَّائِمِي أَشْهَدَ ٱلْوَغَى وَأَنْ أَحْضُرَ ٱللَّذَّاتِ هَلْ أَنْتَ مُخْلِدِي؟[٤]
فَإِنْ كُنْتَ لَا تَسْطِيعُ دَفْعَ مَنِيَّتِي فَدَعْنِي أُبَادِرْهَا بِمَا مَلَكَتْ يَدِي!...

ميزة شعره : في الابيات السابقة يبدو طرفة صادقَ اللّهجة يقول ما له وما عليه وكأنّي به يفخر من غير ادّعاء، ويُصارح من غير تردُّد ولا خشية، في سذاجة طفليّة، وشدّة جاهليّة، واسلوب يعتمد الحسّ والواقع .

الحارث بن حِلِّزة (توفي في اواخر القرن السادس)

[بعد ما وضعت حربُ البسوس أوزارها وقع خلاف جديد بين البكريّين والتغلبيين على ان اولئك غدروا بقوم لهؤلاء . وكادت الحرب تنشب ثانيةً بين القبيلتين لولا أن سعى العقلاء للاحتكام الى عمرو بن هند (٥٥٤ – ٥٦٩) ملك الحيرة . وكان لسان تغلب سيّدها وشاعرها عمرو بن كلثوم، ولسان بكر شاعرها الحارث بن حلِزة . فأنشد كلٌّ من الشاعرَين مطوّلته، وكان الحكم لبكر على تغلب . واليك بعض المقاطع من معلّقة الحارث بن حلِزة :]

---

١ الطريف : الحديث المُكتَسَب من المال . المُتْلَد : المال القديم الموروث . ٢ تحامَتْني : توقّتني وتجنّبتني . المُعبّد : المطليّ بالقطران، اي الأجْرب . ٣ غبراء : اسم للارض ؛ وبنو غبراء : الفقراء . الطّراف : بيت من جِلْد للاغنياء . يقول : لا يُنكرني الغنيّ ولا الفقير، بل يعرفني الجميع : الغنيّ لشرفي، والفقير لجودي وكثرة عطائي . ٤ اللائمي : الذي يلومني ويَلحاني . أشهدَ : اي على أن أشهد (احضر) . يقول : يا من يلومُني على حضوري الحرب وأخْذي باللذّات هل تستطيع أن تضمَنَ لي الخلود في هذه الدنيا؟

١٠ آذنتنا بينها اسماء

الوقوف بالديار وذكر أسماء :

آذَنَتْنَا بِبَيْنِهَا أَسْمَاءُ رُبَّ ثَاوٍ يُمَلُّ مِنْهُ ٱلثَّوَاءُ![1]...

[وبعد الوقوف بالديار يأخذ الشاعر في وصف ناقته فيشبّهها بنعامة سمعت صوت القنّاص فانطلقت في البريّة تسرع إسراعاً شديداً . ثم ينتقل الى الدفاع عن قومه فيفنّد اقوال التغلبيين واكاذيبهم، ويقول :]

وَأَتَانَا مِنَ ٱلْحَوَادِثِ وَٱلْأَنْبَاءِ خَطْبٌ نُعْنَى بِهِ وَنُسَاءُ :
أَنَّ إِخْوَانَنَا ٱلْأَرَاقِمَ يَغْلُونَ عَلَيْنَا، فِي قِيلِهِمْ إِحْفَاءُ[2]
يَخْلِطُونَ ٱلْبَرِيءَ مِنَّا بِذِي ٱلذَّنْبِ، وَلَا يَنْفَعُ ٱلْخَلِيَّ ٱلْخَلَاءُ[3]
زَعَمُوا أَنَّ كُلَّ مَنْ ضَرَبَ ٱلْعَيْرَ مُوَالٍ لَنَا، وَأَنَّا ٱلْوَلَاءُ[4]
أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ عِشَاءً، فَلَمَّا أَصْبَحُوا أَصْبَحَتْ لَهُمْ ضَوْضَاءُ :[5]
مِنْ مُنَادٍ وَمِنْ مُجِيبٍ، وَمِنْ تَصْهَالِ خَيْلٍ، خِلَالَ ذَاكَ رُغَاءُ![6]

[وبعد ان عدّد الشاعر مفاخر البكريين ومخازي بني تغلب، اخذ يستميل عمرو بن هند ذاكراً العداوة التي كانت قائمة بين عمرو بن هند والتغلبيين، والصلة بينه وبين بكر، ومادحاً الملك، ومظهراً خدمات البكريين له ولآله بقوله :]

---

١ آذَنَتْنَا: اخبرتنا. بِبَيْنِها: بفراقها لنا وابتعادها عنّا. الثَّواءُ: الإقامة. يقول: اخبرتنا الحبيبة اسماء بابتعادها القريب، وهي لا تُملّ إقامتها فيا انّ إقامة غيرها تُمَلّ . ٢ الأراقم : أحياء من تغلب معادية لبني بكر قبيلة الشاعر . يَغْلُون علينا : يتجاوزونَ الحدّ في ما يتدعون علينا من اكاذيب . الإحفاء : شدّة الإلحاح والاستقصاء . يقول في البيتين : بلغنا من الأخبار خبر أُريدَ به الإساءة الينا، وذلك ان الأراقم ينسبون الى البكريين ما لم يفعلوه، ويغالون في هذه النسبة . ٣ الخليّ : البريء من الذنب . الخلاء : البراءة من الذنب . ٤ كل مَنْ ضرب العَيْر : اي كل إنسان أيّاً كانت حاله وسيّئاته . الولاء : اي أصحاب الولاء والنصرة . يقول : إنّهم ينسبون الينا ذنوب الناس فيجعلوننا أنصار كلّ مُجرم . ٥ أجمعوا أمرهم : عزموا (بنو تغلب) على قتالنا . عِشاءً : عند العشيّة . الضوضاء : الجلبة والضجّة . ٦ الرُّغاء : صوت الإبل .

أَيُّهَا ٱلنَّاطِقُ ٱلْمُبَلِّغُ عَنَّا عِنْدَ عَمْرٍو، وَهَلْ لِذَاكَ ٱنْتِهَاءُ!
إِنَّ عَمْرًا لَنَا لَدَيْهِ خِلَالٌ، غَيْرَ شَكٍّ، فِي كُلِّهِنَّ ٱلْبَلَاءُ[1]
مَلِكٌ مُقْسِطٌ، وَأَفْضَلُ مَنْ يَمْشِي، وَمِنْ دُونِ مَا لَدَيْهِ ٱلثَّنَاءُ[2]...
مَنْ لَنَا عِنْدَهُ مِنَ ٱلْخَيْرِ آيَاتٌ ثَلَاثٌ فِي كُلِّهِنَّ ٱلْقَضَاءُ :[3]
آيَةٌ شَارِقَ ٱلشَّقِيقَةِ إِذْ جَاءَتْ مَعَدٌّ : لِكُلِّ حَيٍّ لِوَاءُ[4]
حَوْلَ قَيْسٍ مُسْتَلْئِمِينَ بِكَبْشٍ قَرَظِيٍّ كَأَنَّهُ عَبْلَاءُ[5]...
فَجَبَهْنَاهُمُ بِضَرْبٍ كَمَا يَخْرُجُ مِنْ خُرْبَةِ ٱلْمَزَادِ ٱلْمَاءُ[6]...
وَفَعَلْنَا بِهِمْ كَمَا عَلِمَ ٱللهُ، وَمَا إِنْ لِلْحَائِنِينَ دِمَاءُ[7]...

[اما الآية الثانية فهي انّ البكريين ناصروا عمرو بن هند وانقذوا اخاه امرأ القيس عندما كان اسيراً في بني غسّان . واما الآية الثالثة فهي ان بين عمرو بن هند والبكريين قرابة .]

ميزة شعره : يمتاز شعر الحارث بالحكمة والتروّي والرصانة والدهاء، وقد اغتنم فرصة تعريض خصمه بالملك، فسعى، بما عنده من دهاء سياسيّ وقوّة عارضة ورباطة جأش، ان يصلح ما افسده النعمان بن هرم، فتمكّن من ان يستميل الملك الغاضب فيقضي لقومه على بني تغلب، واحتال بان اتخذ في دفاعه اسلوباً خطابياً، داعماً حججه بالبراهين المقنعة والحقائق التاريخية، ومتصرّفاً في استرضاء الملك احسن تصرّف . وقد رتّب أفكاره ونسّق معانيه حتى جاءت قصيدته اكثر تفنّناً من قصيدة عمرو بن كلثوم، بعيدة عن الادعاء الفارغ والمفاخرة التي تعمّدها خصمه . وهكذا أقنع الملك الذي سُرّي عنه غضبه وانحاز الى قوم الحارث ونصرهم .

١ البَلاء : النِّعمة. ٢ المُقسِط : العادل. يقول : ان عمرو بن هند ملك عادل، وهو افضل انسان يمشي على الارض ، فاذا ما مدحته كان مديحي قاصراً عمّا عنده من صفات . ٣ الآيات ج آية وهي العلامة . في كلهنّ القضاء : اي في كل آية من تلك الآيات الثلاث ما يدعو الى الحكم لنا .
٤ شارقَ الشقيقة : اي الى شرقيّ مكان يُدعى الشقيقة . يقول : اوّل دليل على شجاعتنا هو ما جرى شرقيّ الشقيقة اذ أقبلت قبائل معدّ ناشرة راياتها . ٥ قَيْس : احد ملوك حِمْيَر . مستلئمين : لابسين الدروع . الكبش : سيّد القوم . قَرَظِيّ : يمنيّ . العَبْلاء : الهضبة البيضاء . يقول : أقبلوا معتصمين بسيّد يمني منيع عظيم الشجاعة والثبات كأنّه هضبة . ٦ الخُربة : الثقب . المَزاد : زقّ الماء . وقد شبّه الدم المهراق بالماء المنسكب من الزقّ لغزارته .
٧ للحائنين : للهالكين . دماء : اي ثأر يُطلب .

عمرو بن كلثوم (توفي في اوائل القرن السابع)

[نشأ عمرو بن كلثوم في جوّ واسع من العزّ والسُّؤدد، معجباً بنفسه وبقومه، أنوفاً عزيز الجانب . وقد دافع عن قبيلته في حضرة عمرو بن هند ملك الحيرة، وفي سنة ٥٦٩ قَتَل عمر بن هند نفسه . أما معلّقته التي ضمّنها ذلك الدفاع الشهير، والتي جعلها نشيداً من اناشيد الفخر والحماسة الملحميّة، فإليك بعضها :]

١١ ابا هند! . .

أَلَا هُبِّي بِصَحْنِكِ فَاصْبَحِينَا وَلَا تُبْقِي خُمُورَ ٱلْأَنْدَرِينَا[1] . . .

[وبعد مقدّمة ضمّنها الشاعر ذكر الخمرة والحبيبة، ومخاطبة الحبيبة ووصفها، انطلق يدافع عن قومه ويفاخر ويهدّد :]

٢٠ أَبَا هِنْدٍ فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْنَا، وَأَنْظِرْنَا نُخَبِّرْكَ ٱلْيَقِينَا :[2]
بِأَنَّا نُورِدُ ٱلرَّايَاتِ بِيضاً وَنُصْدِرُهُنَّ حُمْراً قَدْ رَوِينَا[3]
وَأَيَّامٍ لَنَا غُرٍّ طِوَالٍ عَصَيْنَا ٱلْمَلْكَ فِيهَا أَنْ نَدِينَا[4]
وَسَيِّدِ مَعْشَرٍ قَدْ تَوَّجُوهُ بِتَاجِ ٱلْمُلْكِ، يَحْمِي ٱلْمُحْجَرِينَا،[5]
تَرَكْنَا ٱلْخَيْلَ عَاكِفَةً عَلَيْهِ مُقَلَّدَةً أَعِنَّتَهَا، صُفُونَا[6]

---

١ الصَّحْن : القدح الكبير . اصبَحينا : اسقينا صباحاً . الأنْدرين: قرية تقع جنوبيّ حلب على مسيرة يوم للراكب . ٢ أبا هند : يريد عمر بن هنـد، وهو ابن المُنذر الثالث ملك الحيرة وخلفه، ملك من سنة ٥٦٣ الى سنة ٥٧٨ . أنظرنا : أمهِلنا . يطلب الى الملك ان لا يتسرّع في البتّ في القضية على غير علم بتغلب وحقوقها؛ ويعدّد فيما يلي مفاخرها . ٣ يقول : اننا نرتد عن الحرب وقد ارتوت الراياتُ من دماء الاعداء . ٤ الايّام الغرّ الطِّوال : المشهورة بما احدثنا فيها من بطش واحرزنا من نصر . وفيه اعتـداد بهين الملك . ٥ و ٦ المحجَرون : اللاجئون الى من يحميهم . عاكفة عليه : (الضمير لسيّد معشر) قائمة عليه . صُفون ج صافن : صفة للفرس الذي قام على ثلاث قوائم وترك سُنبك الرابعة في الارض . يقول : اننا قتلناه على بأسه وتركنا نأخذ سلبه فيما لبثت خيولنا عليها لجمها تأهبا للقتال .

وَأَنْزَلْنَا ٱلْبُيُوتَ بِذِي طُلُوحٍ … إِلَى ٱلشَّامَاتِ، تَنْفِي ٱلْمُوعِدِينَا، [١]
وَقَدْ هَرَّتْ كِلَابُ ٱلْحَيِّ مِنَّا … وَشَذَّبْنَا قَتَادَةَ مَنْ يَلِينَا [٢]
مَتَى نَنْقُلْ إِلَى قَوْمٍ رَحَانَا … يَكُونُوا فِي ٱللِّقَاءِ لَهَا طَحِينَا،
يَكُونُ ثِفَالُهَا شَرْقِيَّ نَجْدٍ … وَلُهْوَتُهَا قُضَاعَةَ أَجْمَعِينَا [٣]
وَإِنَّ ٱلضِّغْنَ بَعْدَ ٱلضِّغْنِ يَفْشُو … عَلَيْكَ، وَيُخْرِجُ ٱلدَّاءَ ٱلدَّفِينَا [٤]
وَرِثْنَا ٱلْمَجْدَ – قَدْ عَلِمَتْ مَعَدٌّ – … نُطَاعِنُ دُونَهُ حَتَّى يَبِينَا [٥]
وَنَحْنُ، إِذَا عِمَادُ ٱلْحَيِّ خَرَّتْ … عَنِ ٱلْأَحْفَاضِ، نَمْنَعُ مَنْ يَلِينَا [٦]
نُدَافِعُ عَنْهُمُ ٱلْأَعْدَاءَ قُدْماً … وَنَحْمِلُ عَنْهُمُ مَا حَمَّلُونَا [٧]
نُطَاعِنُ مَا تَرَاخَى ٱلنَّاسُ عَنَّا … وَنَضْرِبُ بِٱلسُّيُوفِ إِذَا غُشِينَا، [٨]
بِسُمْرٍ مِنْ قَنَا ٱلْخَطِّيِّ لُدْنٍ … ذَوَابِلَ، أَوْ بِبِيضٍ يَعْتَلِينَا، [٩]
نَشُقُّ بِهَا رُؤُوسَ ٱلْقَوْمِ شَقّاً … وَنُخْلِيهَا ٱلرِّقَابَ فَيَخْتَلِينَا؛ [١٠]

---

١ ذو طلوح : موضع جنوبيّ نجد بين اليامة ومكّة. الشّامات : اسم يطلق على الشام أحياناً. – يقول : جلونا الاعداء عن تلك الارض الواسعة بين ذَيْنِك المكانين، ونزلنا فيها كالسّادة من مرابعهم. ٢ هرّت الكلاب : نبحت عن خوف. شذّب : قطع أغصان الشجرة او شوكها. القَتادة واحدة القتاد : وهو شجر صلب له شوكة حَجْناء (عقفاء) قصيرة؛ مَنابِتُه نجد وتهامة في جزيرة العرب. وقوله شذّبنا الخ : كناية عن تذليل الاعداء. ٣ الثِّفال : جلدة او ما أشبه، توضع تحت الرّحى ليسقط عليها الطحين. نَجْد : مرتفعات في قلب الجزيرة العربية مشهورة بهوائها وخيلها. اللُّهْوة : القبضة من الحب تُلقى في الرّحى. قُضاعة : قبيلة عظيمة. – يقول : انّ حربنا واسعة الدائرة قاسية الوطأة على العدوّ. ٤ الضِّغن : الحقد الذي يخفى ولا يظهر الا بالدلائل. – يقول : اذا ما تفاقم الحقد في النفس لا يلبث ان يكشف عن طويتها. ٥ معدّ : ابن عدنان ابو الشعب العظيم المقابل لقبيلة قحطان. – يقول : لقد علمت قبائل معدّ اننا ورثنا المجد عن آبائنا، ونحن ندافع عنه لكي لا يزايلنا ولا يخفى عنا ولا عن الناس. ٦ و ٧ عِماد ج عمود. الحيّ : البطن من بطون العرب اي القطعة من القبيلة. الاحفاض ج حَفَض : البيت من الشَّعَر. مَنْ يَلينا : من يجاورنا او من يلتحق بنا. قُدْماً : تقدّماً. – يقول: اننا اذا ما غزي قوم وخربت بيوتهم نمنع نحن من يلينا اي جيراننا ونحفظ بيوتهم عامرة ونتحمّل عنهم ما حمّلونا من الديات والمغارم. ٨ و ٩ و ١٠ تراخى : تباعد. غُشينا : داناناالعدوّ والتصق بنا. السمر : الرّماح، وخصّها بالسّمرة لنضوجها في منابتها. قنا ج قناة : عود الرمح. الخطّيّ : نسبة الى بلدة الخطّ على ساحل البحرين، من خليج فارس، تجلب منها الرماح. اللُّدْن ج لَدْن : المَرِن في صلابة. الذّوابل : صفة للرماح الليّنة. البيض : السيوف. نُخْليها الرّقاب : نجعل الرّقاب لها كالخَلى، وهو النبات الرقيق ما دام رطباً؛ واختلى الخلى : جزّه.

كَأَنَّ جَمَاجِمَ ٱلْأَبْطَالِ فِيهَا وُسُوقٌ بِالْأَمَاعِزِ يَرْتَمِينَا [١]
نَجُذُّ رُؤُوسَهُمْ فِي غَيْرِ بِرٍّ فَمَا يَدْرُونَ مَاذَا يَتَّقُونَا [٢]
كَأَنَّ سُيُوفَنَا، فِينَا وَفِيهِمْ، مَخَارِيقٌ بِأَيْدِي لَاعِبِينَا [٣]
كَأَنَّ ثِيَابَنَا، مِنَّا وَمِنْهُمْ، خُضِبْنَ بِأُرْجُوَانٍ أَوْ طُلِينَا
إِذَا مَا عَيَّ بِالْإِسْنَافِ حَيٌّ مِنَ ٱلْهَوْلِ ٱلْمُشَبَّهِ أَنْ يَكُونَا، [٤]
نَصَبْنَا مِثْلَ رَهْوَةَ ذَاتَ حَدٍّ مُحَافَظَةً، وَكُنَّا ٱلسَّابِقِينَا [٥]
بِشُبَّانٍ يَرَوْنَ ٱلْقَتْلَ مَجْدًا وَشِيبٍ فِي ٱلْحُرُوبِ مُجَرَّبِينَا
حُدَيَّا ٱلنَّاسِ كُلِّهِمِ جَمِيعاً مُقَارَعَةً بَنِيهِمْ عَنْ بَنِينَا! [٦]
فَأَمَّا يَوْمَ خَشْيَتِنَا عَلَيْهِمْ فَتُصْبِحُ خَيْلُنَا عُصَباً ثُبِينَا [٧]
وَأَمَّا يَوْمَ لَا نَخْشَى عَلَيْهِمْ فَنُمْعِنُ غَارَةً مُتَلَبِّبِينَا [٨]...

---

١ فيها : الضمير للسيوف وسُوقٌ ج وَسْق : الحِمْل. الأماعز ج أمعَز : الارض الصعبة . — يقول : اننا نستعمل الرماح فالسيوف على مقتضى الحال، وسيوفنا ورماحنا تتصف بما يجعلها خير السيوف والرماح. وسيوفنا تقطع رؤوس الابطال المادين فتتكدّس على الارض كأنها وسُوق محطوطة عن ظهور الإبل . ٢ نجذّ : نقطع . في غير برٍّ : في غير رحمة ولا شفقة . — يقول : اننا نقطع منهم الرؤوس على غير شفقة فيذهلهم الضرب الشديد فلا يعرفون ما يتّقون من سلاحنا . ٣ المخاريق ج مِخراق : منديل او خرقة يُلَفّ ويضرب بها ؛ وهي لعبة من لعب الصبيان . — يصف الشاعر قومه واعداءهم بالبسالة ورشاقة الضرب وأنّ كلا من الفريقين يعدّ الحرب لبسالته مجال لهو ولعب، وكلاهما يعدّ ان السيوف مخاريق لعب نظراً الى شجاعة رجالها . ٤ و ٥ عيّ بالشيء : عجز عنه . الإسناف : التقدّم بالخيل الى القتال . المشبّه ان يكون : المخشيّ ان يقع . رَهْوَة : جبل . ذات حدّ : ذات شوكة وبأس . وقوله : « مثل رهوة » وصف لمحذوف هو كتيبة . — يقول : اذا عجز حيّ عن الاقدام لهول منتظر كنا اسبق الناس الى مناصرته بكتيبة كرهوة مناعةً وقوّةً . ٦ و ٧ حُدَيّا بمعنى التحدّي : المباراة والمغالبة في الامر العظيم . العُصَب ج عُصْبة وهي الجماعة . ثُبُون ج ثُبَة : الجماعة في اثر اخرى ؛ وثُبُون ملحق بجمع المذكر السالم، وقد استعملها هنا وصفاً للعُصَب، والعصب الثُّبون اي المتلاحقة . ٨ نُمعن : نتباعد . غارة : مصدر أغار، مفعول له . متلبّبين : متحزّمين بالسلاح . — يقول : نحن نتحدّى الناس ونغالب الدنيا بأجمعها لاجل المدافعة عن بنينا . ففي يوم الخوف عليهم نصبح وقد انتشرت خيلنا عصباً متتالية للدفاع عنهم ؛ وفي يوم الامن نغير على الاعداء مدجّجين بالسلاح ممعنين في اغارتنا ؛ فالقتال دأبنا في الخوف وفي الأمن .

أَلَا لَا يَعْلَمِ ٱلْأَقْوَامُ أَنَّا تَضَعْضَعْنَا وَأَنَّا قَدْ وَنِينَا ![1]
أَلَا لَا يَجْهَلَنْ أَحَدٌ عَلَيْنَا ، فَنَجْهَلَ فَوْقَ جَهْلِ ٱلْجَاهِلِينَا ![2]

[وبعد ثورة عنيفة على عمرو بن هند اخذ الشاعر في ذكر بعض ايام قومه وفي الفخر على اعدائهم :]

إِلَيْكُمْ، يَا بَنِي بَكْرٍ إِلَيْكُمْ ! أَلَمَّا تَعْرِفُوا مِنَّا ٱلْيَقِينَا ؟[3]
أَلَمَّا تَعْلَمُوا مِنَّا وَمِنْكُمْ كَتَائِبَ يَطَّعِنَّ وَيَرْتَمِينَا ؟[4]
عَلَيْنَا ٱلْبَيْضُ وَٱلْيَلَبُ ٱلْيَمَانِي وَأَسْيَافٌ يَقُمْنَ وَيَنْحَنِينَا[5] . . .
مَلَأْنَا ٱلْبَرَّ حَتَّى ضَاقَ عَنَّا وَظَهْرُ ٱلْبَحْرِ نَمْلَأُهُ سَفِينَا
لَنَا ٱلدُّنْيَا وَمَنْ أَضْحَى عَلَيْهَا وَنَبْطِشُ، حِينَ نَبْطِشُ، قَادِرِينَا
إِذَا بَلَغَ ٱلْفِطَامَ لَنَا صَبِيٌّ تَخِرُّ لَهُ ٱلْجَبَابِرُ سَاجِدِينَا !

التحليل : تنبعث هذه القصيدة عن نفس مشبعة بالعزّ والمجد ، في موقفين من أبعث المواقف على الاندفاع المتفوّر الصاخب، واذا هي ثورة هيّاجة : ثورة عاطفة تتفجّر من الشعور اليقين بعزّة السيادة فتحمل الشاعر على الاستهانة بالملك في وجهه، وتطغى على عقله فينقاد لها في شدّة ؛ وثورة فكر ينساق لريح العاطفة الهائجة فيندافع ويتكرّر ويتخطّى حدود الواقع والحقيقة، بل حدود المنطق فيندفع في تيار التكثّر والتفاخر ؛ وثورة خيال ينطلق جامحا ويغالي غلوًّا ملحميًّا في اسلوب القصص والتصوير الحسّي الذي تعتمده الملاحم ؛ وثورة لفظ يجري على لسان الشاعر جريَ خيولٍ في ميدان سباق، ليّنا سهلًا لانه من وحي العاطفة الثائرة، متناغما متساوقا فيتألف من مجموعه موسيقى حربية مؤثّرة .

ميزة شعره : إنّ ما تمتاز به هذه المعلقة، هو السهولة وانسجام التعابير والفُنّة الموسيقية في الوزن والقافية ؛ وقد غالى الشاعر في الفخر اشدّ مغالاة فارخى العنان لعاطفته القبليّة، وجعل الدنيا وما عليها ملكاً لقومه . وهكذا كان شعره عاطفياً محضاً، لا أثر فيه للروّية وعمق التفكير .

---

١ الاقوام: بنو بكر . ونَيْنا : فترنا . ٢ الجهل : السّفه، ضدّ الحلم والعقل . — يقول : لا يسفه احدٌ علينا والا جازيناه بسفهه جزاءً يربو عليه . ولقد سمّى جزاء الجهل جهلًا لمشاكلة في اللفظ . ٣ و ٤ اليكم : تنحّوا يا بني بكر وتباعدوا عن مفاخرتنا ومنافستنا وقد علمتم حقيقة بأسنا . ٥ البَيْض ج البيضة : الخوذة من الحديد . اليَلَب : الدروع اليمانية من الجلد .

النابغة الذبياني (توفي نحو سنة ٦٠٤)

[عاش النابغة بين قبيلته وبلاطي الحيرة وغسّان . فخدم مصالح قبيلته، واستغلّ التنافس القائم بين المناذرة والغساسنة . وكان شعره من ثَمَّ للقبيلة شعرَ نصح وإرشاد، وللبلاط شعر مدح واعتذار فيهما من السياسة والدهاء شيء كثير . وهكذا اشتهر النابغة بغسّانيّاته واعتذاريّاته . وله معلّقة قالها لاسترضاء النعمان .]

القسم الاول : الغسانيات

١٢ كليني لهمّ !..

[اختصّ النابغة الملوك والامراء حتى دعي بحق « شاعر بلاط » . ومن مدائحه المشهورة القصائد المعروفة بالغسّانيّات، وهي التي مدح بها ملوك غسّان بعد إذ نقم عليه ابو قابوس، فغادر بلاط الحيرة . وأشهر ما قال فيهم بائيّته التي مدح بها عمر ابن الحرث، فتشكّى من همومه، ثم مدح الغسّانيّين وأظهر تعلقه بهم .]

كِلِينِي لِهَمٍّ، يَا أُمَيمَةُ، نَاصِبِ ؛ وَلَيلٍ أُقَاسِيهِ بَطِيءِ ٱلْكَوَاكِبِ ؛ ١
تَطَاوَلَ حَتَّى قُلْتُ : «لَيسَ بِمُنْقَضٍ، وَلَيسَ ٱلَّذِي يَرْعَى ٱلنُّجُومَ بِآيِبِ!» ٢
وَصَدْرٍ أَرَاحَ ٱللَّيلُ عَازِبَ هَمِّهِ، تَضَاعَفَ فِيهِ ٱلْحُزْنُ مِنْ كُلِّ جَانِبِ . ٣
عَلَيَّ لِعَمْرٍو نِعْمَةٌ، بَعْدَ نِعْمَةٍ لِوَالِدِهِ، لَيسَتْ بِذَاتِ عَقَارِبِ . ٤

---

١ و ٢ كِلِيني : امر من وكل : اتركيني لأمري . اميمةُ : اسم امرأة، وهو تصغير ام . الناصب : الشاقّ المتعب وهو نَعْت هَمّ . بطيء الكواكب : كناية عن طوله . يرعى النجوم : يرقبها منتظراً زوالها . الآئب : الراجع . — يقول : تطاول هذا الليل حتى توهمت انه غير منقضٍ واني سأظل ارقب النجوم فلا استطيع سبيلاً للرجوع الى الاهل . ٣ وصدرٍ : اي و كليني ايضاً لصدر . أراح : ردّ، أرجع ؛ من اراح الراعي الغنم : ردّها الى المراح . العازب : البعيد . — يقول : وَدَعيني ايضاً وصدري المتضاعف الحزن الذي ارجع هذا الليل ما تباعد من همّه . ٤ عقارب النعمة : تكديرها بالمنّ والأذى . — يقول : عليّ لعمرو نعمة حديثة بعد نعمة قديمة لوالده لم يكدّرها مَنّ ولا أذىً .

وَثِقْتُ لَهُ بِالنَّصْرِ إِذْ قِيلَ: «قَدْ غَزَتْ ... كَتَائِبُ مِنْ غَسَّانَ، غَيْرُ أَشَائِبِ.»[1]
إِذَا مَا غَزَوْا بِالْجَيْشِ، حَلَّقَ فَوْقَهُمْ ... عَصَائِبُ طَيْرٍ، تَهْتَدِي بِعَصَائِبِ![2]
يُصَانِعْنَهُمْ حَتَّى يُغِرْنَ مَغَارَهُمْ ... مِنَ الضَّارِيَاتِ بِالدِّمَاءِ الدَّوَارِبِ،[3]
تَرَاهُنَّ خَلْفَ الْقَوْمِ خُزْرًا عُيُونُهَا، ... جُلُوسَ الشُّيُوخِ فِي ثِيَابِ الْمَرَانِبِ...[4]
وَلَا عَيْبَ فِيهِمْ، غَيْرَ أَنَّ سُيُوفَهُمْ ... بِهِنَّ فُلُولٌ مِنْ قِرَاعِ الْكَتَائِبِ،[5]
تَقُدُّ السَّلُوقِيَّ الْمُضَاعَفَ نَسْجُهُ، ... وَتُوقِدُ بِالصُّفَّاحِ نَارَ الْحُبَاحِبِ.[6]
لَهُمْ شِيمَةٌ لَمْ يُعْطِهَا اللهُ غَيْرَهُمْ ... مِنَ الْجُودِ، وَالْأَحْلَامُ غَيْرُ عَوَازِبِ؛[7]
مَجَلَّتُهُمْ ذَاتُ الْإِلَهِ، وَدِينُهُمْ ... قَوِيمٌ، فَمَا يَرْجُونَ غَيْرَ الْعَوَاقِبِ؛[8]

---

١ الاشائب ج اشابة: الاخلاط والرعاع . — يقول : ان هذه الكتائب كلها من صلب غسّان، وان الملك لم يحتج الى الاستعانة بغير الغساسنة . ٢ يقول : اذا غزوا حلّقت عليهم جماعات النسور والعقبان والرّخم لتأكل ممّن يقتلونهم، وذلك لانها تعوّدت ان تجد ثَمّ رزقاً كثيراً . ٣ يصانعنهم: يدارينهم في مصاحبتهم . — يقول: ان جماعات الطير تسير مع الجيش كأنها تغير باغارتهم على الاعداء ضاريات متدرّبات على دماء القتلى . ٤ خُزراً عيونها : ج اخزر وخزراء : ضيّقة العيون خلقةً ؛ او انها تتخازر اي تضيق اجفانها لتمدّد النظر . المرانب ج المرنب صفة الكساء الذي خلِط بغزله وبَر الارنب . — يقول: ان تلك الجماعات من الطير تقع، عند اشتداد القتال، على اعالي الارض والهضاب كأنها في ريشها ووقوفها وتحديد النظر تترقب القتلى جالسة جلوس الشيوخ اذا التفّوا بالفراء يحدّدون النظر الى شيء بعيد . ٥ و ٦ الفُلول ج فَلّ وهو الثلمة في حدّ السيف . القراع : المضاربة بالسيوف . السّلوقيّ : صفة للدرع . والدرع مؤنثة وقد تذكر كما هنا ؛ وهو منسوب الى سلوق قرية باليمن تنسب اليها الدروع والكلاب . الصفّاح : الحجارة العراض . الحباحب: ذباب يطير بالليل له شعاع في ذنبه كالسّراج؛ ونار الحباحب : ما اقتُدح من الشرر بتصادم حجرين او باصطدام حوافر الخيل بالحجارة . — يقول : لا عيب في بني غسان غير ان سيوفهم مفلّلة من كثرة مقارعة الجيوش، وهي من المضاء بحيث تقطع الدروع المضاعفة اي المتداخل حلقها بعضه في بعض وتفجر النار في الحجارة اذا ضربت بها . وقد يريد ان تلك السيوف تقطع الدروع المذكورة وتقطع معها الفرسان والخيل وتصل الى الحجارة فتقدح بها شرراً ؛ وفي ذلك غلوّ فاحش . ٧ الشيمة : الطبع والخلق . الاحلام ج حِلْم : العقول . العوازب ج عازب : البعيد والغائب . — يقول : ان الجود طبيعة فيهم فاذا ما سخَوا فمن وعي ومعرفة لا عن سكر . ٨ مجلّتهم : الكتاب المتضمن للحكم ويريد هنا الانجيل لان بني غسّان كانوا نصارى . ذات الاله : اي كلام الله . العواقب ج عاقبة وهي من كل شيء آخره، يريد بها هنا الجزاء . يصفهم الشاعر بصحة كتابهم، واستقامة دينهم، وطمعهم في ثواب الله ونعيمه الدائم .

رِقَاقُ ٱلنِّعَالِ، طَيِّبٌ حُجُزَاتُهُمْ، يُحَيَّوْنَ بِالرَّيْحَانِ يَوْمَ ٱلسَّبَاسِبِ، [١]
تُحَيِّيهِمِ بِيضُ ٱلْوَلَائِدِ بَيْنَهُمْ، وَأَكْسِيَةُ ٱلْإِضْرِيجِ فَوْقَ ٱلْمَشَاجِبِ. [٢]
١٧ يَصُونُونَ أَجْسَاماً قَدِيماً نَعِيمُهَا بِخَالِصَةِ ٱلْأَرْدَانِ، خُضْرِ ٱلْمَنَاكِبِ؛ [٣]
وَلَا يَحْسَبُونَ ٱلْخَيْرَ لَا شَرَّ بَعْدَهُ، وَلَا يَحْسَبُونَ ٱلشَّرَّ ضَرْبَةَ لَازِبِ. [٤]

ميزة شعره : تضخيم في الوصف، وانطلاق في الأجواء الواسعة، وخيـال وثاب يفتتح عوالم رحبة، ولهجة ،لكيّنة فيها من الإعجاب والإكبار شيء كثير، وألفاظ شديدة الجرْس تدفّق في جلال وروعة : تلك هي غسّانيات النابغة الذبياني .

القسم الثاني : الاعتذاريات

١٤ وعيد ابي قابوس

[احرق الغساسنة الحـيرة سنة ٥٨٠ فعزم النعمان الثالث ابو قابوس ابن المنذر الرابع، على إنهاضها وبثّ الدعاوة في العرب فاستقدم مشاهير الشعراء، ومنهم النابغة الذبياني فقرّبه . فحسده الشعراء وافتروا عليه فتوعّده النعمان ففرّ الى ملوك غسّان. واعتذر الى النعمان بقصائد عطفت عليه قلبه . وهذه القصائـد سمّيت الاعتذاريات وهي بلا خلاف اشهر شعر النابغة . وفي المقطع التالي يذكر الشاعر ما اثار فيـه

---

١ و ٢ الحُجُزات ج حُجْزَة وهي معقـد الازار من الجسم ؛ كناية عن عفّتهم . الريحان : الزهر الطيب الرائحة . السّباسب : عيد الشعانين عند النصارى . والولائد ج وليـدة : الجارية . الاضريج : الثياب الحمراء التي تنسج من الصوف مخلوطاً بالحرير . المشاجب ج مِشْجَب : العود تُعلّق عليه الثياب . — يقول : انّ الممدوحين ملوك عظام من شأنهم ركوب الخيل فلا يحتاجون الى النعال الغليظة، وهم ذوو عفّة يحرص شعبهم على تكريمهم في الاعياد؛ ومن مظاهر نعمتهم ان تخدمهم الولائد الحسان وثيابهم الاضريج الذي لا يُبتذل . ٣ الأردان ج رُدْن : مقـدّم كُمّ القميص . الخـالص : الشديد البياض . المناكب ج مَنْكِب : مجتمع رأس الكتف بالعضد . — يقول : انهم يصونون أجسادهم العريـقة في النعمة بثياب بيض الاردان خضر المناكب . وكان هذا الزّيّ من لبس الملوك . ٤ اللاّزب : الثابت اللازم . — يقول ، اذا أصابهم خير لم يبطروا، واذا اصابهم شرّ لم يقنطوا، لأنهم من أهـل العزم الذين يعلمون أنّ الخير والشرّ يتداولان .

وعيد ابي قابوس من القلق والهمّ، مشيراً الى مساعي بني قُريع — وهم فئــة من الوشاة — ودسّهم عليه .]

وَعِيدُ أَبِي قَابُوسَ، فِي غَيْرِ كُنْهِهِ، أَتَانِي، وَدُونِي رَاكِسٌ فَٱلضَّوَاجِعُ ؛ [1]
فَبِتُّ، كَأَنِّي سَاوَرَتْنِي ضَئِيلَةٌ مِنَ ٱلرُّقْشِ، فِي أَنْيَابِهَا ٱلسُّمُّ نَاقِعُ ؛ [2]
أَتَانِي، أَبَيْتَ ٱللَّعْنَ ! أَنَّكَ لُمْتَنِي، وَتِلْكَ ٱلَّتِي تَسْتَكُّ مِنْهَا ٱلْمَسَامِعُ : [3]
مَقَالَةُ أَنْ قَدْ قُلْتَ : «سَوْفَ أَنَالُهُ !» وَذٰلِكَ، مِنْ تِلْقَاءِ مِثْلِكَ، رَائِعُ . [4]
لَعَمْرِي — وَمَا عُمْرِي عَلَيَّ بِهَيِّنٍ — لَقَدْ نَطَقَتْ بُطْلًا عَلَيَّ ٱلْأَقَارِعُ ، [5]
أَقَارِعُ عَوْفٍ لَا أُحَاوِلُ غَيْرَهَا ، وُجُوهُ قُرُودٍ، تَبْتَغِي مَنْ تُجَادِعُ . [6]
أَتَاكَ ٱمْرُؤٌ مُسْتَبْطِنٌ لِيَ بِغْضَةً، لَهُ مِنْ عَدُوٍّ، مِثْلَ ذٰلِكَ، شَافِعُ ؛ [7]
أَتَاكَ بِقَوْلٍ هَلْهَلِ ٱلنَّسْجِ، كَاذِبٍ، وَلَمْ يَأْتِ بِٱلْحَقِّ ٱلَّذِي هُوَ نَاصِعُ ؛ [8]
أَتَاكَ بِقَوْلٍ لَمْ أَكُنْ لِأَقُولَهُ، وَلَوْ كُبِّلَتْ فِي سَاعِدَيَّ ٱلْجَوَامِعُ . [9]

١ و ٢ في غير كُنْهِه : في غير وقته ووجهه ؛ والكنه من الامر : غايته وحقيقته . راكس : وادٍ . الضّواجع : الهضاب؛ لا مفرد لها ؛ وقد تكون هنا اسماً لهضـــاب معيّنة . ساوره : واثبه . الضئيلة : دقيقة اللحم، وهي وصف للحية المخذولة . الرّقش ج رقشاء : الحيّة فيها نُقَط سود وبيض . الناقِع : البالغ بقتل لساعته . — يقول : ان وعيد النعمان قد بلغه على غير استحقاق منه، عابراً اليه الهضاب والوهاد فراعه الامر على مثل ما تروعه أفعى خبيثة توائبه، واقضّ مضجعه . ٣ و ٤ أبَيْتَ اللّعنَ : من تحيات الملوك في الجاهلية والدعاء لهم، معناه : أبيتَ ان تأتي من الامور ما تُلْعَن عليه وتذمّ بسببه . وتلك: اشارة للملامة . تستكّ: تصمّ وتضيق . مقالةُ : بدل من جملة « انك لمتني » . من تلقاء مثلك : من عنـــد مثلك . رائع : مُخيف . — يخاطب النعمان فيقول : بلغني أنك لمتني وأكّدتَ اني لن افلت من حوزتك وان تلك الملامة وهذا التأكيد، صادرَين عن مثلك، ليمثان الذعر في النفس . ٥ و ٦ لا احاول غيرها : لا أقصد الى هجاء غيرها . وجوه قرود : استعارة كنى بها عن قبــح مخبرهم ومظهرهم . تجادع : تشاتم وتخاصم . — يقول : ان الاقارع هانت عليهم احسابهم واعراضهم فهم يعرّضونها للمقارعة والمشاتمة . ٧ — ٩ امرؤ : يريد احد الحسّاد . الشافع : المعين . مثل ذلك : اي بغضة يستبطنها، ونصبها على الحالية . هلهل النسج : سخيف، رديء . الناصع : الواضح البيّن . الجوامع ج جامعة : الغلّ . — يقول : وشى بي لديك رجل يُبطن لي البغض وقد استنصر عليّ آخر يبغضني مثله، وسلاحه الكذب والتخرّص .

حلفتُ فَلَمْ أترُكْ لِنفسِكَ رِيبَةً — وَهَلْ يَأْثَمَنْ ذُو أُمَّةٍ، وَهْوَ طَائِعُ — [1]
لَكَلَّفْتَنِي ذَنْبَ ٱمرِئٍ، وَتَرَكْتَهُ، كَذِي ٱلْعُرِّ يُكْوَى غَيْرُهُ، وَهْوَ رَاتِعُ! [2]
فَإِنْ كُنْتُ، لَا ذُو ٱلضِّغْنِ عَنِّي مُكَذَّبٌ، وَلَا حَلِفِي عَلَى ٱلْبَرَاءَةِ نَافِعُ، [3]
وَلَا أَنَا مَأْمُونٌ بِشَيْءٍ أَقُولُهُ، وَأَنْتَ بِأَمْرٍ — لَا مَحَالَةَ — وَاقِعُ، [4]
فَإِنَّكَ كَٱللَّيْلِ ٱلَّذِي هُوَ مُدْرِكِي، وَإِنْ خِلْتُ أَنَّ ٱلْمُنْتَأَى عَنْكَ وَاسِعُ! [5]
أَتُوعِدُ عَبْدًا لَمْ يَخُنْكَ أَمَانَةً، وَيُتْرَكُ عَبْدٌ ظَالِمٌ وَهْوَ ظَالِعُ! [6]
وَأَنْتَ رَبِيعٌ يُنْعِشُ ٱلنَّاسَ سَيْبُهُ، وَسَيْفٌ أُعِيرَتْهُ ٱلْمَنِيَّةُ، قَاطِعُ. [7]

١٥ يا دارَ ميّة!..

[هذه القصيدة هي اشهر اعتذاريات الشاعر، وهي التي تغلّبت على سخط النعمان وظفرت برضاه وصفحه، وفتحت للنابغة باب بلاطه، وعُدّت من المعلّقات.]

الوقوف على الأطلال:

يَا دَارَ مَيَّةَ بِٱلْعَلْيَاءِ فَٱلسَّنَدِ أَقْوَتْ، وَطَالَ عَلَيْهَا سَالِفُ ٱلْأَبَدِ [8]
وَقَفْتُ فِيهَا أُصَيْلَالًا أُسَائِلُهَا؛ عَيَّتْ جَوَابًا، وَمَا بِٱلرَّبْعِ مِنْ أَحَدِ... [9]

---

١ و ٢ الريبة: الشكّ. الأمّة: الدين. كلّفتني: حملت عليّ. العرّ: قروح تخرج بالإبل يسيل منها مثل الماء الاصفر؛ الجرب. — يقول: اقسم لأزيل الريبة من نفسك، وانا في قسمي غير حانث لخوفي الله وخضوعي لك، انك ألزمتني ذنب مجرم فحملت انا المعاقبة ورتع هو في طمأنينة.
٣ — ٥ المُنتأى: المكان البعيد. — يقول: اذا كان ذو الحقد والضغينة لا يكذّب عني، وحلفي لا ينفعني، والملك لا يحيد عن تنفيذ ما قرر، وكلامي لا يؤخذ به في شأني، فليس لي بعدُ مناص، اذ حيث ضربت في الارض ادركتني يده الرهيبة. ٦ و ٧ الظالع: الحائد عن الحق. السّيب: العطاء. أعيرته المنيّة: والاصل: أعير المنيّة. — يقول مخاطباً النعمان: انك تهدد عبداً لم يخنك لامانته، وتخلي آخر وهو ظالم متقلّب؛ أفيكون ذلك وانت بجودك مُقيل عثار الناس، وبسطوتك سيف قتّال. ٨ يا: حرف نداء والمنادى محذوف تقديره يا قومُ. العَلْياء: كل مكان مُرتفع. السَّنَد: ما قابَلك من الجبَل وعلا عن السّفح؛ ولعلّ الشاعر اراد بالعلياء والسّند موضعَين. أقوت الدارُ: خلَت وأقفرت. ٩ أصَيْلالاً: تصغير اصلان بابدال النون لاماً، والأصلان ج أصيل وهو الوقت بين العصر والمغرب؛ وقد ورد أصيلاً، وأصَيْلاناً. عيّت جواباً: اي عجزت عن ان تجيب جواباً (فتكون «جواباً» منصوبة على المصدر). من احد: من حرف زائد.

أَضْحَتْ خَلَاءً، وَأَضْحَى أَهْلُهَا ٱحْتَمَلُوا ؛ أَخْنَى عَلَيْهَا ٱلَّذِي أَخْنَى عَلَى لُبَدِ [١]

وصف الناقة والثور الوحشي :

فَعَدِّ عَمَّا تَرَى، إِذْ لَا ٱرْتِجَاعَ لَهُ، وَٱنْمِ ٱلْقُتُودَ عَلَى عَيْرَانَةٍ أُجُدِ [٢]
مَقْذُوفَةٍ بِدَخِيسِ ٱلنَّحْضِ، بَازِلُهَا لَهُ صَرِيفٌ صَرِيفَ ٱلْقَعْوِ بِٱلْمَسَدِ [٣]
كَأَنَّ رَحْلِي، وَقَدْ زَالَ ٱلنَّهَارُ بِنَا، يَوْمَ ٱلْجَلِيلِ، عَلَى مُسْتَأْنِسٍ وَحَدِ [٤]
مِنْ وَحْشِ وَجْرَةَ، مُوَشًّى أَكَارِعُهُ، طَاوِي ٱلْمَصِيرِ، كَسَيْفِ ٱلصَّيْقَلِ ٱلْفَرَدِ [٥]
سَرَتْ عَلَيْهِ، مِنَ ٱلْجَوْزَاءِ، سَارِيَةٌ، تُزْجِي ٱلشَّمَالُ عَلَيْهِ جَامِدَ ٱلْبَرَدِ [٦]

---

١ احتملوا : ارتحلوا. أخنى عليه الدهر: أتى عليه واهلكه . لُبَد : آخر نسور لُقمان ؛ وتزعم العرب ان الله تعالى، عندما أهلك عاداً، وعد لقمان بالبقاء الى ان تنتهي اعمار سبعة أنسُر كلّما هلك نسر خلفه نَسر آخر، وكان آخر نسوره يُسمّى لُبَداً، اي أنه لا يموت ؛ ويزعمون أنّه حين كبر قال له لقمان : انهض لُبَد فأنتَ الأبد . — ٢ فعد عمّا ترى : يُروى فَعدِّ عمّا مضى . انمِ : ارفعْ . القتود ج قَتَد : وهو خشب الرّحْل . العَيْرانة : الناقة الشديدة التي تشبّه بالعَيْر لصلابة خفّها . الأجُد : الموثقة الخلق، او التي عظُم فقارها ٣ المقذوفة : المرميّة باللحم. الدّخيس من اللحم : هو الذي دخل بعضه في بعض . النّحْض : اللحم . البازل : السنّ . القَعْو من البكرة : جانبُها ؛ وهما قعوان يكتنفان البكرة، وفيهما المِحور . المَسَد : الحبْـــل المضفور المحكَم الفتْل . وقد نصب « صريف » على انه مصدر تشبيهي، ورُوي بالرفع على البدل من صريف، والنصب افضل . يقول الشاعر مخاطباً نفسه، وقد انتقل الى وصف الناقة : انصرفْ عمّا ترى من تغير الدار ووحشتها اذ لا فائدة من ذلك ولا سبيل الى ردّ الأحبّة والأنس، وارفع الرّحْل للسفر على ناقة شديدة الخفّ، موثقة الخلق، مكتنزة اللحم، يُسمع لأسنانها، اذا أعيت، صريف كصريف البكَرة حين يدور بها الحبْل . ٤ زال النهار : انتصف . الجليل : موضع ؛ ورُوي « بذي الجليل » وذو الجليل : وادٍ قرب مكّة . المستأنِس : الوحش الذي أحسّ إنسياً فنظر يمنة ويسرة . الوَحَد والوَحِد : المنفرد بنفسه . — شبّه ناقته بثور من الوحش منفرد احسّ انسياً فتوجّس الفزع . وقد جعل الشاعر الثور منفرداً في سيره لأنه في تلك الحال أشدّ نشاطاً لفزعه، وخصّ نصف النهار لانّه وقت اضطرام الحرّ وتوهّج الهاجرة ٥ وَجْرة : موضع بعيد عن الناس لهذا كثر فيها الوحش. الموشي : اسم مفعول من « وشى » الثوب اي نقشه ونمّنمه ولوّنه . أكارعُه ج كراع وهو ما اشتد من الساق؛ والاكارع نائب فاعل . طاوي المصير : ضامر البطن ؛ والمصير مفرد مُصران . الصَّيقَل : الذي يسنّ السيوف ويجلوها . السيف الفرَد : الذي لا نظير له . يقول : وهذا الثور من وحش وجرة، في قوائمه نقط سود، ضامر البطن، يلمع لمعان سيف مصقول لا نظير له . ٦ السارية: السّحابة تسري ليلاً . الجوزاء : احد ابراج السماء الاثني عشر، وهو الذي تنزله الشمس في أيّار، وعدد كواكبه ثمانية عشر، وهو على صورة امرأة رأسها للمغرب ورجلاها للمشرق، لها في وسطها ثلاثة كواكب مصطفّة هي

فَٱرْتَاعَ مِنْ صَوْتِ كَلَّابٍ، فَبَاتَ لَهُ طَوْعَ ٱلشَّوَامِتِ، مِنْ خَوْفٍ وَمِنْ صَرَدِ [1]
فَبَثَّهُنَّ عَلَيْهِ، وَٱسْتَمَرَّ بِهِ صُمْعُ ٱلْكُعُوبِ بَرِيئَاتٌ مِنَ ٱلْحَرَدِ [2]
وَكَانَ ضُمْرَانُ مِنْهُ حَيْثُ يُوزِعُهُ، طَعْنَ ٱلْمُعَارِكِ، عِنْدَ ٱلْمُحْجَرِ، ٱلنَّجُدِ [3]
شَكَّ ٱلْفَرِيصَةَ بِٱلْمِدْرَى، فَأَنْفَذَهَا؛ شَكَّ ٱلْمُبَيْطِرِ، إِذْ يَشْفِي مِنَ ٱلْعَضَدِ [4]
كَأَنَّهُ، خَارِجاً مِنْ جَنْبِ صَفْحَتِهِ، سَفُّودُ شَرْبٍ نَسُوهُ عِنْدَ مُفْتَأَدِ [5]
فَظَلَّ يَعْجُمُ أَعْلَى ٱلرَّوْقِ مُنْقَبِضاً، فِي حَالِكِ ٱللَّوْنِ، صَدْقٍ، غَيْرِ ذِي أَوَدِ [6]
لَمَّا رَأَى وَاشِقٌ إِقْعَاصَ صَاحِبِهِ، وَلَا سَبِيلَ إِلَى عَقْلٍ، وَلَا قَوَدِ [7]
قَالَتْ لَهُ ٱلنَّفْسُ: «إِنِّي لَا أَرَى طَمَعاً، وَإِنَّ مَوْلَاكَ لَمْ يَسْلَمْ، وَلَمْ يَصِدِ» [8]

نطاقها . ويطلع في الجوزاء عند شدّة الحرّ كوكب يقال له الشِّعْرى اليانية او الشعرى العَبُور؛ وقد عنى هنا بالجوزاء النجم الذي يطلع في صميم الحرّ وتكون في اوقاته انواء وامطار . تزجي: تَسُوق. يقول: أتت على الوحش ليلاً من أنواء الجوزاء سحابة وكانت ريح الشمال ترشقه بالبَرَد؛ وهو في مثل تلك الحال شديد الاضطرام . ١ الكلّاب : صاحب الكلاب، القنّاص . الشوامت ج شامتة وهي قائمة الدابّة . الصَّرَد : البَرد . يقول : خاف الثور من صوت القنّاص فبات لاجل ذلك طوْع قوائمه يذهب حيث تقوده، اي على غير هدى، لما اصابه من خوف ومن بَرْد ٢ بثّهنّ : فرّقهنّ (اي الكِلاب)، والفاعل هو الضمير العائد الى الكلاب . صُمْعُ الكُعوب : اي الكعوب الضامرة المحدّدة . الحرَد : الاسترخاء . يقول : ففرّق القناص كلابه في طلب ذلك الوحش، فاستمرّت قوائمه به ولم تسترخِ، اي ان الوحش عدا مُسْرعاً . ٣ ضُمْران : اسم كلب . أوْزعه بالشيء : اغراه به . المُعارِك : المقاتِل . المَحْجَر : الملجأ . النَّجُد : الشُّجاع الماضي في ما يُعجز غيره . يروى « طعن » بالنصب على المصدر، وبالرفع على انه فاعل يوزعه . يقول : كان ضمران من الوحش حيث أمرَه الكلّابُ ان يكون، وطعنه طعْنَ المُقاتِل الشجاع الذي لا يخشى امراً من الامور . ٤ شكّ : خرَق . الفريصة : لحمة في مرجع الكتف تُرعد عند الخوف . المِدْرى : القرن . العَضَد : داء يأخذ في العَضُد . ٥ كأنه : الضمير عائد على القرن ؛ وخارجاً : حال منه . الصفحة : الجانب . السَّفُّود : حديدة ذات شعب معقفة يُشوى بها اللحم . الشَّرْب : القوم المجتمعون للشراب . نَسُوه : تركوه . المُفتَأد : موضع النار . ٦ فظلّ : الضمير يعود على ضمران . يَعْجُم : يمضغ ويعضّ . الرَّوْق : القرن . حالكِ اللون : شديد السواد . الصَّدْق : الصلب . الأوَد : الاعوجاج . يقول : ظلّ الكلب ضمران، وهو منقبض لوجهه، يعض اعلى قرن الثور، ذلك القرن الشديد السواد، الصلب، المستقيم . ٧ واشق : اسم كلب . الإقعاص : القتل . العَقْل : الدِّية . القَوَد : القِصاص بالقتل . ٨ مولاك : صاحبك وهو الكلّاب ؛ ويذهب البعض الى انه الكلب المقتول . يقول : حدّثت الكلب نفسُه بأنه لا طمع له في الثور .

مدح النعمان :

٢٠ فَتِلْكَ تُبْلِغُنِي ٱلنُّعْمَانَ ، إِنَّ لَهُ فَضْلًا عَلَى ٱلنَّاسِ فِي ٱلْأَدْنَى وَفِي ٱلْبَعَدِ [1] ...
٤٥ فَمَا ٱلْفُرَاتُ – إِذَا هَبَّ ٱلرِّيَاحُ لَهُ ، تَرْمِي أَوَاذِيُّهُ ٱلْعِبْرَيْنِ بِٱلزَّبَدِ [2]
يَمُدُّهُ كُلُّ وَادٍ مُتْرَعٍ لَجِبٍ ، فِيهِ رُكَامٌ مِنَ ٱلْيَنْبُوتِ وَٱلْخَضَدِ [3]
يَظَلُّ ، مِنْ خَوْفِهِ ، ٱلْمَلَّاحُ مُعْتَصِمًا بِٱلْخَيْزُرَانَةِ ، بَعْدَ ٱلْأَيْنِ وَٱلنَّجَدِ [4]
يَوْمًا – بِأَجْوَدَ مِنْهُ سَيْبَ نَافِلَةٍ ، وَلَا يَحُولُ عَطَاءُ ٱلْيَوْمِ دُونَ غَدِ [5] ...

ميزة شعره : استرضاء، وتكذيب للوشاة، وتصوير لعظمة النعمان، وتضخيم للخطب، ومغالاة في التخوّف، واستطرادات وصفيّة رائعة، في حجّة قويّة ودهاء في رصف البراهين، وتلوّن عجيب : تلك هي اعتذاريات النابغة .

زُهير بن ابي سُلمى (٥٣٠ – ٦٢٧)

[زهير شاعر عمّر طويلاً، وقــد أكسبته الحياة خبرةً واسعةً، فكان في كل اموره رجل العقل والحكمة، وقد جعل للعقل المحــلّ الاول في حياته وفي شعره، يسير على سَنَنه ويُخضع له العاطفة والخيال، فلا يثور ولا يُغالي في الاندفاع .

---

١ فتلك : اي الناقــة التي شبّهها بالثور . ٢ اذا هبّ الرياح له : وروي : اذا جاشت غوار به . الأواذيّ ج آذيّ وهو الموج . العِبران : الناحيتان . ٣ يمدّه : يصبّ فيه فيزيده ماءً وقوّةً . الوادي المُترع اللجِب : السَّيل الغزير الصاخب . الرّكام : الشيء المتراكم بعضه فوق بعض . اليَنْبوت : شجر الخشخاش او شجر الخرّوب . الخَضَد : ما تثنّى وكسر من النّبْت . وفي هذا الشجر المتكسّر دليل على كثرة الماء وشدّة اندفاعه . ٤ من خوفه : الهاء تعود الى الفرات . الملاح : النوتيّ . الخيزُرانة : مُرديّ السفينة، وهو خشبة تُدفع بها السفينة ؛ او هي السكّان اي ذنب السفينة لانها به تُقوَّم وتسكن . الأيْن : العياء . النّجَد : العَرَق. يقول : ان الملاّح المسافر على الفرات يظلّ، بعد التعب الشديد، متمسكاً بسُكّان السّفينة خشية ان تبتلعه وسفينته تلك المياه الغزيرة المندفعة اندفاعاً قوياً . ٥ السَّيْب : العطاء . النافلة : العطيّة الزائدة . وقوله « ولا يحول عطاء اليوم دون غدِ » اي ان اعطى اليوم لا يمنعه ذلك ان يُعطي في الغد . وهذا البيت متّصل بالبيت ٤٥، اي فما الفرات، في حالة هيجانه وتدفقه، بأجودَ من النعمان المتواصل العطاء .

ونشبت حرب السباق بين عبس وذبيان، وتضخّم أمرهـا، فسعى سيّدان من ذبيان، هما هرِم بن سنان والحرَث بن عَوْف، وتحمّلا دِيات القتلى، وحقنا بذلك الدماء. فانشأ زهير معلّقته يمدح بها المصلِحَين، ويحذّر الناس من شرّ الخيانة وإضمار الحقد، على أنّ الحرب شرّ فادح، وينتهي، ليزيد الناس اطمئناناً الى السلم، بطائفة من الحكم الرزينة تشهد لصاحبها بالرصانة والخبرة الواسعة]

١٦ أمِن امّ اوفى ؟ . .

وصف الاطلال والرحيل :

أَمِنْ أُمِّ أَوْفَى دِمْنَةٌ لَمْ تَكَلَّمِ … بِحَوْمَانَةِ ٱلدَّرَّاجِ فَٱلْمُتَثَلَّمِ [١]
وَدَارٌ لَهَا بِٱلرَّقْمَتَيْنِ، كَأَنَّهَا … مَرَاجِيعُ وَشْمٍ فِي نَوَاشِرِ مِعْصَمِ [٢]
بِهَا ٱلْعِينُ وَٱلْأَرْآمُ يَمْشِينَ خِلْفَةً … وَأَطْلَاؤُهَا يَنْهَضْنَ مِنْ كُلِّ مَجْثَمِ [٣]
وَقَفْتُ بِهَا مِنْ بَعْدِ عِشْرِينَ حِجَّةً … فَلَأْيًا عَرَفْتُ ٱلدَّارَ بَعْدَ تَوَهُّمِ [٤]
أَثَافِيَّ سُفْعاً فِي مُعَرَّسِ مِرْجَلٍ … وَنُؤْياً كَجِذْمِ ٱلْحَوْضِ لَمْ يَتَثَلَّمِ [٥]
فَلَمَّا عَرَفْتُ ٱلدَّارَ قُلْتُ لِرَبْعِهَا : … «أَلَا ٱنْعِمْ صَبَاحاً أَيُّهَا ٱلرَّبْعُ، وَٱسْلَمِ» [٦]

---

١ أمِن أمّ أوفى : يريد امِن منازل امّ اوفى ؛ وامّ اوفى : كنية امرأة الشاعر التي طلقها ثمّ جاء يتذكرها بعد عشرين حجة. الدّمنة : آثار الدار المسودّة بالرماد. حَومانة الدرّاج والمتثلم : موضعـان بنجد. — يقول : أمن منازل امّ أوفى هذه الدمنة الواقعة في حومانة الدّرّاج فالمتثلم، والتي وقفتُ عليها بعد عشرين حجة وسألتها عن اهلها فلم تُحِرْ جواباً. ٢ الرّقمتان : موضع. مراجيعُ الوشم : خطوطُه المجدّدة. نواشر المعصم : عروقه. يريد ان دارها بالرقمتين درست ولم يبق منها الا آثار واضحة كأنها الوشم المجدّد على المعصم. ٣ العين : بقر الوحش. الأرآم ج رِئْم وهو الظّبي الخالص البياض. يمشين خلفةً : اي تجيء هذه مقبلةً وتذهب هذه مدبرةً. الأطلاء ج طلا وطَلْو وهو ولد الظبي، والصغير من جميـع الحيوانات. المجثم : المكان الذي يُقِمْنَ فيه. ٤ الحجة : السنة. لأياً : بعد جهد ومشقّة وهو منصوب بنزع الخافض. ٥ الاثافيّ ج اثفيّة وهي حجارة تنصب فتوضع عليها القدر. السفع : السود يخالط سوادها حُمْرة. معرّس المِرْجل : الموضع الذي يقام فيه. النؤي : حفير يطيف بالخباء فيصرف عنه ماء المطر. جذم الحوض : أصله. لم يتثلم : لم يتشقّق. يقول انه وجد الاثافيّ حيث كانت القِدر تُنصب، ووجد النّؤي سليماً. ٦ انعمْ صباحاً : اي طب عيشاً في صباحك ؛ وروي عِم «صباحاً».

تَبَصَّرْ، خَليلي، هَلْ تَرَى مِنْ ظَعائِنٍ ... تَحَمَّلْنَ بِالْعَلْياءِ مِنْ فَوْقِ جُرثُمِ ؟[١]
عَلَوْنَ بِأَنْماطٍ عِتاقٍ، وكِلَّةٍ ... وِرادٍ حَواشيها مُشاكِهَةِ الدَّمِ[٢] . . .
كَأَنَّ فُتاتَ العِهْنِ، في كُلِّ مَنْزِلٍ ... نَزَلْنَ بِهِ، حَبُّ الفَنا لَمْ يُحَطَّمِ[٣] . . .
وَفيهِنَّ مَلْهىً لِلَطيفِ، وَمَنْظَرٌ ... أَنيقٌ لِعَيْنِ النّاظِرِ المُتَوَسِّمِ[٤]

مدح المصلحين :

سَعَى ساعِيا غَيْظِ بْنِ مُرَّةَ بَعْدَما ... تَبَزَّلَ ما بَيْنَ العَشيرَةِ بِالدَّمِ[٥]
فَأَقْسَمْتُ بِالبَيْتِ الَّذي طافَ حَوْلَهُ ... رِجالٌ بَنَوْهُ مِنْ قُرَيْشٍ وَجُرْهُمِ[٦]
يَميناً لَنِعْمَ السَّيِّدانِ وُجِدْتُما ... عَلى كُلِّ حالٍ : مِنْ سَحيلٍ وَمُبْرَمِ[٧]
تَدارَكْتُما عَبْساً وَذُبْيانَ، بَعْدَما ... تَفانَوْا وَدَقُّوا بَيْنَهُمْ عِطْرَ مَنْشَمِ[٨]
وَقَدْ قُلْتُما : «إِنْ نُدْرِكِ السِّلْمَ واسِعاً ... بِمالٍ وَمَعْروفٍ، مِنَ الأَمْرِ نَسْلَمِ !»[٩]

---

١ الظعائن ج ظعينة وهي المرأة في الهودج . تحمّلن : ارتحلن . العلياء : الارض المرتفعة . جرثم: اسم مكان لماء . ٢ الأنماط ج نمط وهو ثوب من الصوف يُطرح على الهودج . العتاق: الكريمة، الثمينة . الكِلّة : الستارة . الوراد ج ورْد وهو الاحمر . حواشيها : جوانبها . مشاكِهة: مشابهة . ٣ العِهْن : الصوف المصبوغ . الفَنا : نبات يُعرف بعنب الثعلب يحمل حبّاً مستديراً رخواً بين اوراقه يحمرّ اذا نضج . وقد شبّه الشاعر ما تفتّت من الصوف الاحمر الذي تزيّنت به هوادج هذه الظعائن بحَبّ الفنا الذي لم يحطّم، لانه اذا حُطِّم ظهر له لونٌ غير الحُمرة وإنما تشتدّ حمرته ما دام صحيحاً . ٤ المتوسِّم : الناظر المتفرّس . ٥ غَيْظ بن مرّة : حيّ من غطفان منه الحرث بن عوف وهرم بن سنان الساعيان في الصلح . تبزّل : تشقق . بالدم : بما سُفِك من دم . يقول : سعى هرم بن سنان والحرث بن عوف في الصلح بعد ما تشقق ما بين العشيرة من ألفة واخوّة بسبب الدم المسفوك . ٦ البيت : الكعبة وهو البيت الحرام الذي كان يحجّ اليه العرب ومقامه في مكة . جُرهم : قوم كانوا وُلاة الكعبة قبل قريش . ٧ يميناً : ترجع الى الفعل «أقسمتُ» في السابق، وهي نائب عن المفعول المطلق . السّحيل : الخيط المفتول على قوّة واحدة . المُبرم : المفتول على قوّتين، اراد الشاعر بالسحيل والمبرم الرّخاء والشدّة . ٨ مَنشَم : اسم امرأة عطّارة بمكة، وكانت الخزرج وجُرهم اذا ارادوا القتال وتطيّبوا بطيبها كثرت القتلى فيا بينهم، فقالوا اشأم من عِطر مَنشم، وذهب القول مثلاً؛ ومن ذلك المثل الآخر «دقّوا بينهم عطر منشم» يقال للتعبير عن شدّة التشاؤم وانتشار الشرّ والقتل بين المتحاربين . يقول : انكما تدار كتما عبساً وذبيان بعد ما تفانوا في الحرب . ٩ واسعاً : اي خالياً من الضغائن والاحقاد . من الامر نسلم : اي نسلم من الحرب .

فَأَصبَحتُما مِنها على خَيرِ مَوطِنٍ، بَعيدَينِ فيها مِن عُقوقٍ ومَأْثَمِ [1]
عَظيمَينِ في عُليَا مَعَدٍّ، هُدِيتُما، ومَن يَستَبِحْ كَنزًا مِنَ المَجدِ يَعظُمِ [2]
تُعَفَّى الكُلومُ بالمِئِينَ، فأَصبَحَتْ يُنَجِّمُها مَن لَيسَ فيها بِمُجرِمِ [3]
يُنَجِّمُها قَومٌ لِقَومٍ غَرامَةً ولَم يُهَرِيقوا بَينَهُم مِلءَ مِحجَمِ [4]
وأَصبَحَ يَجري فيهِم، مِن تِلادِكُم، مَغانِمُ شَتَّى مِن إِفالٍ مُزَنَّمِ [5]

نصائح للمتصالحين ووصف الحرب :

أَلا أَبلِغِ الأَحلافَ عَنّي رِسالَةً، وذُبيانَ: «هَل أَقسَمتُمُ كُلَّ مُقسَمِ؟ [6]
فَلا تَكتُمُنَّ اللهَ ما في صُدورِكُم لِيَخفَى، ومَهما يُكتَمِ اللهُ يَعلَمِ!
يُؤَخَّرْ، فَيُوضَعْ في كِتابٍ، فَيُدَّخَرْ لِيَومِ الحِسابِ، أَو يُعَجَّلْ فَيُنقَمِ!» [7]
وما الحَربُ إِلّا ما عَلِمتُم وذُقتُمُ —وما هُوَ عَنها بالحَديثِ المُرَجَّمِ!— [8]
مَتى تَبعَثوها، تَبعَثوها ذَميمَةً وتَضْرَ إِذا ضَرَّيتُموها فَتَضرَمِ [9]

---

١ الموطن : اي الحال . العُقوق : قطيعة الرَّحم . المأثم: الإثم ٢ مَعَدّ بن عدنان : هو أبو العرب النِّزاريّين ومنهم المَمدوحان . عُليا مَعَدّ : أي أعلى من فيها . هُدِيتما : فعل ماضٍ مجهول يُفيد الطَّلب، أي فَليَهدِكما اللهُ إلى كل خَير . كنز المجد هو هنا السعي في امر الصُّلح . ونصب عظيمين على الحال . ٣ تُعفّى : تُمحى . الكلوم ج كَلْم وهو الجُرح . يُنجّمها : يؤدّيها نجوماً اي وظائف من المال تؤدّى في الوقت المضروب . — يقول : تُمحى الجراح ببذل المئات من الإبل يبذلها اقساطاً من ليس له يد في الحرب بل يسعى في إصلاح ذات البين، يعني الممدوحَين . ٤ الغَرامَة : ما يلزم الإنسانَ اداؤه . يُهريقوا : يسفكوا . المِحْجَم : قارورة الحجّام وهي التي يقال لها كأس الحِجامة . — يقول : يؤدي الغرامة شخصان لم يسفكا من الدم ملء مِحجَم . ٥ التلاد : المال القديم الاصلي الذي وُلد عندك . الإفال ج أفيل وهو الفصيل . المزنَّم من الإبل : ما قُطع من أذنه شيء وتُرك معلّقاً؛ وتلك علامةٌ لكرام الإبل . — يقول : بذلتم لهم مغانم مختلفة من صغار إبلكم الكريمة . ٦ الأحلاف : القبائل التي حالفت ذبيان وهي أسد وغطفان وطيّىء . هل اقسمتم . . . : اي هل حلفتُم كلَّ الحلف لتفعلُنّ ما لا ينبغي . ٧ يقول : لا تُضمروا خلاف ما تُظهرون فان الله يعلم السرّ . فان لم تكشفوا ما في نفوسكم عجّل الله لكم العقوبة فانتقم منكم، او أخّركم الى يوم تُحاسبون فيه فتُعاقبون . ٨ ذقتم : خَبِرتم . الحديث المُرَجَّم : الحديث الذي تكلّم فيه صاحبه بما لا يَعلم . — يقول الشاعر ان كلامه على الحرب ليس كلام من لا يعلم، وليس حديثاً تُظَنّ به الظنون . ٩ تَضْرَ : تَهيج . تَضرم : تشتعل .

فَتَعْرُكُكُمْ عَرْكَ ٱلرَّحَى بِثِفَالِهَا، وَتَلْقَحْ كِشَافًا، ثُمَّ تُنْتَجْ فَتُتْئِمِ [١]
فَتُنْتِجْ لَكُمْ غِلْمَانَ أَشْأَمَ، كُلُّهُمْ كَأَحْمَرِ عَادٍ، ثُمَّ تُرْضِعْ فَتَفْطِمِ [٢]
فَتُغْلِلْ لَكُمْ مَا لَا تُغِلُّ لِأَهْلِهَا قُرًى بِٱلْعِرَاقِ مِنْ قَفِيزٍ وَدِرْهَمِ ... [٣]

طائفة من الحِكَم :

سَئِمْتُ تَكَالِيفَ ٱلْحَيَاةِ، وَمَنْ يَعِشْ ثَمَانِينَ حَوْلًا، لَا أَبَا لَكَ، يَسْأَمِ [٤]
وَأَعْلَمُ مَا فِي ٱلْيَوْمِ وَٱلْأَمْسِ قَبْلَهُ، وَلٰكِنَّنِي عَنْ عِلْمِ مَا فِي غَدٍ عَمِ
رَأَيْتُ ٱلْمَنَايَا خَبْطَ عَشْوَاءَ، مَنْ تُصِبْ تُمِتْهُ، وَمَنْ تُخْطِئْ يُعَمَّرْ فَيَهْرَمِ [٥]
وَمَنْ لَا يُصَانِعْ فِي أُمُورٍ كَثِيرَةٍ يُضَرَّسْ بِأَنْيَابٍ وَيُوطَأْ بِمَنْسِمِ [٦]
وَمَنْ يَجْعَلِ ٱلْمَعْرُوفَ مِنْ دُونِ عِرْضِهِ يَفِرْهُ، وَمَنْ لَا يَتَّقِ ٱلشَّتْمَ يُشْتَمِ [٧]

---

١ الثِفال : جلد يُبسَط تحت الرحى ليسقط عليه الدقيق ؛ والباء في « بثفالها » بمعنى « مع » . تَلْقَح كِشافاً : اي تحمل في عامين متواليَين ؛ فيكون نتاجها أردأ النتاج . تُنْتَج : تَضَع، تَلِد. تُتْئِم : تَلِد توأمَين . — يقول : اذا هجمَ الحرب عركتْكم عَرْكَ الرَّحى للدقيق عندما يكون تحتها الثفال، اي عندما تُدار ؛ وكانت كالناقة الوَلُود التي تنتج أردأ النتاج . ٢ أشأمَ : مصدر من الشُؤم على وزن أفعل، او صفة لمحذوف ؛ اي تلد لكم غلمان شؤم . أحمر عاد : هو قدار بن سالف عاقر ناقة صالح بني ثمود، وكان عقره لهذه الناقة شؤماً على قومه ؛ « واحمر » لقبه ؛ قال الاصمعي : أخطأ زُهَير في هذا لان عاقر الناقة ليس من عاد وإنما هو من ثمود ؛ وقال المبرّد : لا غلط هناك لان ثمود يُقال لهم « عاد الآخرة » ومعنى قول الشاعر أن تلك الحرب تأتي عليكم بالوبال، ويطول أمرها، وتشتد شرورُها . ٣ قُرى بالعراق : خصّ قرى العراق لما هي عليه من خصب . القفيز : نوع من المكاييل . — يقول : تغلّ لكم تلك الحرب غير الذي تغلّه لاهلها قرى العراق ممّا يُكال بالقفيز ويُباع بالدرام، تغلّ لكم موتاً وهلاكاً وخراباً . والمعنى ان المضار المتولّدة من هذه الحروب تفوق المنافع المتولدة من هذه القرى، فهو يحثهم على الاعتصام بحبل الصلح ويزجرهم عن الغدر بايقاد نار الحرب . ٤ تكاليف الحياة : مشاقّها . لا أبا لك : « لا » نافية الجنس ؛ « أبا » اسمها منصوب بالالف ؛ « لك » : اللام متعلّقة بنعت ؛ والشاعر يقصد بهذه الكلمة الجافية مجرّد التنبيه . ٥ العَشْواء : مؤنّث الاعشى، وهو من لا يُبصر، ويريد النّاقة التي لا تبصر أمامها، فهي تخبط بيديها كل شيء، ولا تتعهد مواضع أخفافها . — يقول ان الموت يوائب الناس كالعشواء على غير نسق وترتيب . ومفعول تخطىء محذوف تقديره تخطئه . ٦ يُصانع : يداري . يُضرس : يُمضَغ بالأضراس . المَنسم : خفّ البعير . — يقول : إن من لا يداري الناس يقهرونه ويذلّونه . ٧ يَفِرْهُ : يصُنْه . — يقول : إنّ حسن الصنيع حِصنٌ للشرف وعلة لنموّه .

وَمَنْ يَكُ ذَا فَضْلٍ فَيَبْخَلْ بِفَضْلِهِ عَلَى قَوْمِهِ، يُسْتَغْنَ عَنْهُ وَيُذْمَمِ . . . [1]
وَمَنْ يَجْعَلِ ٱلْمَعْرُوفَ فِي غَيْرِ أَهْلِهِ يَكُنْ حَمْدُهُ ذَمًّا عَلَيْهِ، وَيَنْدَمِ [2]
وَمَنْ يَعْصِ أَطْرَافَ ٱلزِّجَاجِ فَإِنَّهُ يُطِيعُ ٱلْعَوَالِي رُكِّبَتْ كُلَّ لَهْذَمِ [3]
وَمَنْ لَا يَذُدْ عَنْ حَوْضِهِ بِسِلَاحِهِ يُهَدَّمْ، وَمَنْ لَا يَظْلِمِ ٱلنَّاسَ يُظْلَمِ [4]
وَمَنْ يَغْتَرِبْ يَحْسَبْ عَدُوًّا صَدِيقَهُ وَمَنْ لَا يُكَرِّمْ نَفْسَهُ لَا يُكَرَّمِ
وَمَهْمَا تَكُنْ عِنْدَ ٱمْرِئٍ مِنْ خَلِيقَةٍ، وَإِنْ خَالَهَا تَخْفَى عَلَى ٱلنَّاسِ، تُعْلَمِ [5]
وَكَائِنْ تَرَى مِنْ صَامِتٍ، لَكَ مُعْجِبٍ زِيَادَتُهُ أَوْ نَقْصُهُ فِي ٱلتَّكَلُّمِ [6]
لِسَانُ ٱلْفَتَى نِصْفٌ وَنِصْفٌ فُؤَادُهُ، فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا صُورَةُ ٱللَّحْمِ وَٱلدَّمِ [7]
وَإِنَّ سَفَاهَ ٱلشَّيْخِ لَا حِلْمَ بَعْدَهُ وَإِنَّ ٱلْفَتَى بَعْدَ ٱلسَّفَاهَةِ يَحْلُمِ [8]

ميزة شعره : أسلوب رصين يسير في هدوء وسكينة تسوقه الحجة الساذجة ويتوكأ على الحكمة التي يعرفها كلّ إنسان . هذا كلّه في نور الوضوح وشدّة الايجاز واعتماد على الحس المصوّر والخيال المجسّم .

---

١ الفضل : المال والاحسان . ٢ يقول : ان من يصنع المعروف الى غير من يستحق الاحسان ينال الذمّ عوض الحمد والشكر، فيندم على عمله . ٣ الزّجاج ج زُجّ وهو الحديد في اسفل الرمح . العوالي ج عالية وهي طرف الرمح الاعلى . اللّهْذَم : السّنان الطويل الحادّ . كان من عادة العرب اذا التقى الفريقان ان يديروا زجاج الرّماح ؛ ثم يسعى الساعون بالصلح، فإن نجحوا، والا قلبوا رماحهم واقتتلوا بالاسنّة . فيكون المعنى : من ابى الصلح والمسالمة ذلّلته القوة .
٤ الحَوض : كل ما يغار المرء على حفظه وسلامته . – يقول : ان من لا يحمي حوضه بذاته يناله العطب، ومن لا يدفع الظلم يُظلم . ٥ الخليقة : الصفة حسنة كانت ام سيئة . مهما : في محل رفع مبتدأ ويكن فعل الشرط وهو فعل من كان التامة والفاعل هي، من خليقة متعلق بمحذوف حال من الضمير المستتر وهي بيان لمها، والواو حالية، وإنْ وصلية، وجملة خال في محل نصب حال، وجملة تخفى مفعولها الثاني ، وتعلم جواب مهما، وجملة فعل الشرط وجوابه خبر المبتدإ مهما .
٦ كائن ومثلها كأيِّن وكأيٍّ بمعنى كم الخبرية وهي في محل نصب مفعول به مقدّم لترى بمعنى تبصر . من صامتٍ . من حرف جرّ زائد صامتٍ مجرور لفظاً منصوب محلا تمييز كائن . – يقول : ان قيمة الانسان تظهر في كلامه . ٧ وقالت العرب : المرء بأصغريه : قلبه ولسانه .
٨ السّفاه : الطّيش والنّزق . يحلُمِ : كسر الفعل تجوّزاً، فكأن الشاعر عدّ آخر الكلام موقوفاً عليه ومن مقتضاه الإسكان ثم حُرّك بحركة عارضة فكسر للاتباع .

عنترة بن شدّاد العبسيّ (٥٢٥ _ ٦١٥)

[عنترة هو ابن الأَمَة الذي خُلِق ليكون حُرًّا ويضطرب في اجواء الحريّة الفسيحة التي لا تعرف قيداً ولا حدًّا . وقد ضُيّق على حرّيّته ، فكان التضييق طعنةً في قلبه .

وهو القلبُ الخفّاق الذي خُلق ليُحِبّ وينعم بالحبّ في عفّة وإباء ، فكان الحِرمان ناراً اذابته دموعاً ولوعةً وأطلقت صوته في الاسترضاء والاستعطاف .

وهو البطلُ المِغوار الذي خُلق لميادين القتال ، وقد كافح في سبيل إرضاء الحبيبة كفاحاً نسجت حوله الاخبار والاساطير وصار ملءُ الزمان والمكان .

عنترة هو الحب المتألم الذي يهوى الأنفة ويأبى الهوان، وهو رمز الكفاح البطوليّ في سبيل الحرّية والشرف والإباء .]

١٧ والامّ من حامٍ . . .

[أغار عنترة على بني ضَبّة، وقد قال في ذلك ذاكراً أصلَه مسترضياً عبلة حبيبته :]

عَفَتِ ٱلدِّيَارَ وَبَاقِي ٱلْأَطْلَالِ   رِيحُ ٱلصَّبَا وَتَقَلُّبُ ٱلْأَحْوَالِ [1]
وَعَفَا مَغَانِيهَا فَأَخْلَقَ رَسْمَهَا   تَرْدَادُ وَكْفِ ٱلْعَارِضِ ٱلْهَطَّالِ [2]
فَلَئِنْ صَرَمْتِ ٱلْحَبْلَ يَا ٱبْنَةَ مَالِكٍ   وَسَمِعْتِ فِيَّ مَقَالَةَ ٱلْعُذَّالِ [3]
فَسَلِي لِكَيْمَا تُخْبَرِي بِفَعَائِلِي   عِنْدَ ٱلْوَغَى وَمَوَاقِفِ ٱلْأَهْوَالِ [4]

---

١ عفت : محت . الاطلال : ما بقي من الآثار المتخلفة عن البناء . ريح الصبا : الهواء الناعم الذي ينسم سحراً . ٢ مغانيها : منازلها البهجة مفردها مغنى . أخلق: ذهب بجدتها فاصبحت قديمة . وكف العارض : المطر المتساقط . الهطّال : الكثير المطر . ٣ صرمت : قطعت . ابنة مالك : كناية عن حبيبته عبلة . العذّال : مفرده عاذل : اللائم . ٤ الوغى : من اسماء الحرب . الاهوال : مفرده هول وهو شدّة تبعث على الرعب .

وَأَنَا ٱلْمُجَرَّبُ فِي ٱلْمَوَاقِفِ كُلِّهَا، مِنْ آلِ عَبْسٍ مَنْصِبِي وَفِعَالِي [١]
مِنْهُمْ أَبِي شَدَّادُ أَكْرَمُ وَالِدٍ وَٱلْأُمُّ مِنْ حَامٍ، فَهُمْ أَخْوَالِي [٢]

١٨ العبد المتحرّر

[قضى عنترة سني حداثته في رعي إبل أبيه شأن العبيد، وحدث يوماً أنّ بني طيّئٍ أغاروا على بني عبس فأصابوا منهم وقتلوا أنفاراً من الحيّ، وسَبَوْا نساء كثيرة، وكان عنترة معتزلاً عنهم في ناحية من إبله على فرسٍ له فمرّ ابوه فقال: ويكَ يا عنترة كُرّ؛ فقال عنترة: العبد لا يُحسن الكرّ وإنما يُحسن الحلاب والصرّ. فقال: كُرّ وأنت حرّ. فكرّ وحدَه وهبّت في إثره رجال عبس، فهزم السريّة المُغيرة واستنقذ الغنيمة من ايديهم وقال في ذلك:]

عِقَابُ ٱلْهَجْرِ أَعْقَبَ لِي ٱلْوِصَالَا وَصِدْقُ ٱلصَّبْرِ أَظْهَرَ لِي ٱلْمُحَالَا [٣]
وَلَوْلَا حُبُّ عَبْلَةَ فِي فُؤَادِي مُقِيمٌ، مَا رَعَيْتُ لَهُمْ جِمَالَا
عَتَبْتُ ٱلدَّهْرَ كَيْفَ يُذِلُّ مِثْلِي وَلِي عَزْمٌ أَقُدُّ بِهِ ٱلْجِبَالَا! [٤]
أَنَا ٱلرَّجُلُ ٱلَّذِي خُبِّرْتِ عَنْهُ وَقَدْ عَايَنْتِ مَعْ خَبَرِي ٱلْفِعَالَا
غَدَاةَ أَتَتْ بَنُو طَيٍّ وَكَلْبٍ تَهُزُّ بِكَفِّهَا ٱلسُّمْرَ ٱلطِّوَالَا [٥]
بِجَيْشٍ كُلَّمَا لَاحَظْتِ فِيهِ حَسِبْتِ ٱلْأَرْضَ قَدْ مُلِئَتْ رِجَالَا
وَدَاسُوا أَرْضَنَا بِمُضَمَّرَاتٍ فَكَانَ صَهِيلُهَا قِيلًا وَقَالَا [٦]
تَوَلَّوْا جُفَّلًا مِنَّا حَيَارَى وَفَاتُوا ٱلظُّعْنَ مِنْهُمْ وَٱلرِّحَالَا [٧]

---

١ منصبي: مقامي، رتبتي. ٢ منهم: جار ومجرور متعلّقان بخبر محذوف، اي مبتدأ والياء مضاف اليه. شدّاد: بدل من ابي تبعه باعرابه. اكرمُ: خبر ثانٍ. ٣ عقاب: قصاص. أعقب: أورث. المحال: الشيء الذي لا يمكن ان يكون، المستحيل. ٤ أقدّ: اقطعُ وهنا استعاره للتكسير لانّ الجبل لا يُقدّ بل تُكسّر صخوره. ٥ بنو طي وكلب: اسم علم لقبيلتين من العرب. السُمر: الرماح. ٦ بمضمّراتٍ: اي بخيولٍ ضامرة سريعة العدو. ٧ تولّوا: أدبروا وهربوا. فاتوا: سبقوا. الظّعن: بمعنى الهوادج التي تُقِلّ النساء. الرّحال: بمعنى الظّعن.

وَمَا حَمَلَتْ ذَوُو ٱلْأَنْسَابِ ضَيْماً ... وَلَا سَمِعَتْ لِدَاعِيهَا مَقَالَا
وَمَا رَدَّ ٱلْأَعِنَّةَ غَيْرُ عَبْدٍ، ... وَنَارُ ٱلْحَرْبِ تَشْتَعِلُ ٱشْتِعَالَا،[1]
بِطَعْنٍ تُرْعَدُ ٱلْأَبْطَالُ مِنْهُ ... لِشِدَّتِهِ فَتَجْتَنِبُ ٱلْقِتَالَا؛
صَدَمْتُ ٱلْجَيْشَ حَتَّى كَلَّ مُهْرِي ... وَعُدْتُ فَمَا وَجَدْتُ لَهُمْ ظِلَالَا...
وَخَلَّصْتُ ٱلْعَذَارَى وَٱلْغَوَانِي ... وَمَا أَبْقَيْتُ مَعْ أَحَدٍ عِقَالَا[2]

١٩ القلب المتيّم

[طلب الشاعر عبلة ابنة عمه وألحّ في طلبها فارتحل بها اهلها الى بني شيبان، فوقف الشاعر وقلبه نار مضطرمة، وقال وفي قوله حزن اليم وشوق مُضنٍ :]

يَا طَائِرَ ٱلْبَانِ قَدْ هَيَّجْتَ أَحْزَانِي ... وَزِدْتَنِي طَرَباً يَا طَائِرَ ٱلْبَانِ[3]
إِنْ كُنْتَ تَنْدُبُ إِلْفاً قَدْ فُجِعْتَ بِهِ ... فَقَدْ[4] شَجَاكَ ٱلَّذِي بِٱلْبَيْنِ أَشْجَانِي؛
زِدْنِي مِنَ ٱلنَّوْحِ وَٱسْعِدْنِي عَلَى حَزَنِي ... حَتَّى تَرَى عَجَباً مِنْ فَيْضِ أَجْفَانِي!
وَقِفْ لِتَنْظُرَ مَا بِي، لَا تَكُنْ عَجِلاً، ... وَٱحْذَرْ لِنَفْسِكَ مِنْ أَنْفَاسِ نِيرَانِي
وَطِرْ لَعَلَّكَ فِي أَرْضِ ٱلْحِجَازِ تَرَى ... رَكْباً عَلَى عَالِجٍ أَوْ دُونَ نُعْمَانِ[5]
يَسْرِي بِجَارِيَةٍ تَنْهَلُّ أَدْمُعُهَا ... شَوْقاً إِلَى وَطَنٍ نَاءٍ وَجِيرَانِ.[6]
نَاشَدْتُكَ ٱللهَ يَا طَيْرَ ٱلْحَمَامِ إِذَا ... رَأَيْتَ يَوْماً حُمُولَ ٱلْقَوْمِ فَٱنْعَانِي[7]
وَقُلْ طَرِيحاً تَرَكْنَاهُ، وَقَدْ فَنِيَتْ ... دُمُوعُهُ وَهْوَ يَبْكِي بِٱلدَّمِ ٱلْقَانِي![8]

---

١ الإعنّة ج عِنان وهو لجام الفرس ، وقد استعملت اللفظة على سبيل المجاز المرسَل .
٢ الغواني ج غانية وهي الفتاة التي استغنت بجمالها عن الزينة . العِقال : ما تُعقل به الفرَس وهو حبل طويل يُربط في رجل الفرَس فيمنعها عن العدو . ٣ البان : اسم لشجر، يشبه الصفصاف يستعير الشعراء أغصانه في استقامة القوام فيقولون : قدّه كغصن بانٍ . ٤ الفا : صديقاً . شجاك : احزنك . البين : البعد . ٥ عالج ونعمان اسمان لمكانين في جزيرة العرب تكثر فيها كثبان الرمل .
٦ يسري فعل مضارع من سرى : مشى ليلاً . جارية : فتاة، اراد بها عبلة حبيبته . النّائي : البعيد . ٧ الحُمُول ج حِمل وهو الهودج او البعير الذي عليه الهودج . فانعاني : تحوّ زه للشعر .
٨ القاني : الشديد الاحمرار .

ميزة شعره : هذه هي العاطفة الرقيقة في إخلاصها وصدقها، تتدفق من قلب متألم يُفضي بألمه الى حبيبته والى كل إنسان، بل الى الطبيعة بأسرها في اسلوب جمع السّذاجة والعذوبة والسُّهولة وكان له في النفس وقع عميق .

٢٠ قائد الكتائب

[غزت بنو عبس، وعليهم قيس بن زهير، بني تميم . فغلب هؤلاء، وطردوا العبسيين . فوقف عنترة للعدوّ، ثم لحق به بعض قومه فدافع عن المنهزمين، وحال بينهم وبين رجال تميم، حتى لم يصيبوا مُدبراً . فلما عرف قيس بالخبر ساءه صنيع عنترة، وكبر عليه ان يدافع العبد عن كرام الرجال، فقال : « والله، ما حمى الناس الا ابن السوداء ! » فقال عنترة يفتخر :]

طَالَ ٱلثَّوَاءُ عَلَى رُسُومِ ٱلْمَنْزِلِ، بَيْنَ ٱللَّكِيكِ وَبَيْنَ ذَاتِ ٱلْحَرْمَلِ، [1]
فَوَقَفْتُ فِي عَرَصَاتِهَا مُتَحَيِّرًا، أَسَلُ ٱلدِّيَارَ كَفِعْلِ مَنْ لَمْ يَذْهَلِ . [2]
لَعِبَتْ بِهَا ٱلْأَنْوَاءُ، بَعْدَ أَنِيسِهَا، وَٱلرَّامِسَاتُ وَكُلُّ جَوْنٍ مُسْبِلِ . [3]
أَفَمِنْ بُكَاءِ حَمَامَةٍ فِي أَيْكَةٍ ذَرَفَتْ دُمُوعُكَ، فَوْقَ ظَهْرِ ٱلْمَحْمَلِ، [4]
كَٱلدُّرِّ أَوْ فَضَضِ ٱلْجُمَانِ، تَقَطَّعَتْ مِنْهُ عَقَائِدُ سِلْكِهِ لَمْ يُوصَلِ ؟ [5]

---

١ – ٣ الثواء : الاقامة . اللَّكيك : اسم موضع . الحرمل : حب نبات عده الشيخ الرئيس ابن سينا من المسكرات، او ينفع من داء المفاصل ؛ وذات الحرمل : ارض في بلاد العرب يكثر فيها هذا النبات . بين . . . وبين . . . : المشهور في « بين » انها لا تكرر الا اذا اتصلت بضمير . العرصات ج عرصة وهي ساحة الدار . أسَل : الاصل أسأل . ذَهِل عن الشيء : شُغل عنه ونسيه . الانواء ج نوء : الامطار . أنيسها : يريد عبلة ابنة عمه . الرّامسات والروامس : الرياح الدّوافن للآثار . الجوْن : الاسود، والابيض؛ يريد السحاب الاسود . المسبل : المطر . – يقف الشاعر على الاطلال موقف الصاحي الذي لم يسلُ حبه، ويتحير لما ألمّ بها من عبث العناصر الطبيعية .
٤ و ٥ الايكة : الغيضة، وهي مجتمع الشجر في مغيض ماء . ذَرَف ـِ الدمعُ : سال . المحمل : شقّان على البعير يُركب فيها او يحمل فيها العديلان . الفضض ما انتثر وتفرّق . العقائد ج العقيدة : ما عُقِد . السلك : الخيط من القطن ؛ فاذا نظم فيه الجوهر فهو السِّمط . – يستفهم الشاعر عن باعث بكائه هل هو حنين حمامة منفردة في ايكة، فتهمر لذكرى الاحبة دموعه متفرقة متتالية كالدر تقطع سلكه ولم يوصل .

لَمَّا سَمِعْتُ دُعَاءَ مُرَّةَ، إِذْ دَعَا، ... وَدُعَاءَ عَبْسٍ، فِي ٱلْوَغَى، وَمُحَلَّلِ ، [1]
نَادَيْتُ عَبْساً فَٱسْتَجَابُوا بِٱلْقَنَا ... وَبِكُلِّ أَبْيَضَ صَارِمٍ لَمْ يُفْلَلِ ؛ [2]
حَتَّى ٱسْتَبَاحُوا آلَ عَوْنٍ عَنْوَةً ... بِٱلْمَشْرَفِيِّ وَبِٱلْوَشِيجِ ٱلذُّبَّلِ . [3]
إِنِّي ٱمْرُؤٌ مِنْ خَيْرِ عَبْسٍ مَنْصِباً ... شَطْرِي، وَأَحْمِي سَائِرِي بِٱلْمُنْصُلِ ، [4]
إِنْ يُلْحَقُوا أَكْرُرْ، وَإِنْ يُسْتَلْحَمُوا ... أَشْدُدْ، وَإِنْ يُلْفَوْا بِضَنْكٍ أَنْزِلِ ، [5]
حِينَ ٱلنُّزُولُ يَكُونُ غَايَةَ مِثْلِنَا، ... وَيَفِرُّ كُلُّ مُضَلَّلٍ مُسْتَوْهِلِ . [6]
وَلَقَدْ أَبِيتُ عَلَى ٱلطَّوَى، وَأَظَلُّهُ ... حَتَّى أَنَالَ بِهِ كَرِيمَ ٱلْمَأْكَلِ ؛ [7]
وَإِذَا ٱلْكَتِيبَةُ أَحْجَمَتْ وَتَلَاحَظَتْ، ... أُلْفِيتُ خَيْراً مِنْ مُعِمٍّ مُخْوِلِ . [8]
وَٱلْخَيْلُ تَعْلَمُ، وَٱلْفَوَارِسُ، أَنَّنِي ... فَرَّقْتُ جَمْعَهُمُ بِضَرْبَةِ فَيْصَلِ ، [9]
إِذْ لَا أُبَادِرُ فِي ٱلْمَضِيقِ فَوَارِسِي ... وَلَا أُوَكِّلُ بِٱلرَّعِيلِ ٱلْأَوَّلِ . [10]
بَكَرَتْ تُخَوِّفُنِي ٱلْحُتُوفَ، كَأَنَّنِي ... أَصْبَحْتُ عَنْ غَرَضِ ٱلْحُتُوفِ بِمَعْزِلِ ، [11]
فَأَجَبْتُهَا : إِنَّ ٱلْمَنِيَّةَ مَنْهَلٌ ؛ ... لَا بُدَّ أَنْ أُسْقَى بِكَأْسِ ٱلْمَنْهَلِ ؛ [12]

---

١ — ٣ مُرَّة : ابو قبيلة، وكذلك عبس ومحلّل؛ ويريد القبائل المنتمية اليهم . لم يفلل : لم يثلم . المشرفي : السيف نسبة الى مشرف، وهو قَين (حداد) كان يعمل السيوف . الوشيج : عروق القنا، ويريد الرماح . الذُبَّل ج ذابل : اللّيّن، اللّدن . ٤ — ٧ المَنصب : الاصل والحسب . المنصُل : السّيف . يُستلحموا : يُرهقوا في القتال . الضّنك : الضّيق . المضلّل المستوهل : الذاهل العقل لشدّة الخوف . الطوى : الجُوع . وأظَلّه : ابقى عليه النهارَ . — يقول : أنا من ناحية ابي من اشرف آل عبس اصلاً، وأما من ناحية أمي، فانّ شريف فعالي في الحروب يمحو ما عليّ من شوائب الضّعة ؛ أوَلستُ عماد عَبْس ومُنقذها في كلّ ضيق احاق بها ، مهما كان عليه من الشدّة . وفضلاً عن ذلك فان الانفة تمنع عليّ ان اكون ممن يعيشون ليأكلوا ولو كان الذل وراء طعامهم . وفي البيتين الاخيرين تعريض بقيس بن زهير سيّد بني عبس لانه كان أكولاً وكان في جملة المنهزمين . ٨ — ١٠ تلاحظت : ينظر بعضها الى بعض لفرط ما نزل بها من الضّيق والشدة . المُعم المُخول : الكريم الأعمام والاخوال . المضيق : ما ضاق من الاماكن والأمور، ويريد الموقف الشديد الوطأة على الفرسان . الرّعيل : القطعة من الجيش . يقول : اذا ما حمي وطيس الحرب وضيّقت الشدة على الفرسان فتقهقروا، كنت في إقدامي وبلائي خيراً ممن ينتمي الى عبس عن أب وأم — وفي ذلك تعريض بقيس بن زهير — ؛ فلا اسبق فوارسي الى الهرب اوان الشدة بل لا يوكَّل اليّ القطعة من الجيش التي تنصرف قبل غيرها من ساحة القتال ؛ وكلٌّ يعلم مقدار بطشي ومجال سيفي . ١١ و ١٢ بَكَرت : ضمير الفاعل لعبلة . الحتوف ج حتْف وهو الموت، ويستعمل الجمع للتهويل . المنهل : المورد . — يقول : بكرت تخوّفني الموت متوهمة اني ارمي في الحياة الى غير الموت، جاهلة ان المنيّة منهل ولا بدّ للمرء ان يرده .

فَاقْنَي حَيَاءَكِ، لَا أَبَا لَكِ! وَٱعْلَمِي   أَنِّي ٱمْرُؤٌ سَأَمُوتُ إِنْ لَمْ أُقْتَلِ! [1]
إِنَّ ٱلْمَنِيَّةَ، لَا تُمَثَّلُ، مُثِّلَتْ   مِثْلِي، إِذَا نَزَلُوا بِضَنْكِ ٱلْمَنْزِلِ، [2]
وَٱلْخَيْلُ سَاهِمَةُ ٱلْوُجُوهِ، كَأَنَّمَا   تُسْقَى فَوَارِسُهَا نَقِيعَ ٱلْحَنْظَلِ. [3]
وَإِذَا حَمَلْتُ عَلَى ٱلْكَرِيهَةِ، لَمْ أَقُلْ   بَعْدَ ٱلْكَرِيهَةِ: «لَيْتَنِي لَمْ أَفْعَلِ!» [4]

ميزة شعره: جوٌّ ملحميٌّ فيه احتدامٌ وقعقعة سلاح، وفيه كلام مضخَّم يحفل بالمغالاة الساذجة، كما ينبض بالحياة في الفاظه المتوثّبة المتدافعة.

شاعر الشخصية الفذَّة:

٢١ هل غادر الشعراء من متردَّمٍ ؟..

[وخلاصة عاطفة الشاعر ونفسيّته وأعمال بطولته متجلّية في معلّقته، وهي تقع في نحو ٧٩ بيتاً نورد منها ما يلي:]

الوقوف على الاطلال وذكر الاحبّة:

هَلْ غَادَرَ ٱلشُّعَرَاءُ مِنْ مُتَرَدَّمِ   أَمْ هَلْ عَرَفْتَ ٱلدَّارَ بَعْدَ تَوَهُّمِ؟ [5]
يَا دَارَ عَبْلَةَ بِٱلْجِوَاءِ تَكَلَّمِي،   وَعِمِي صَبَاحاً دَارَ عَبْلَةَ وَٱسْلَمِي... [6]

---

١ – ٣ فاقني حياءك: الزَميه. لا أبا لك: يريد مجرَّد التنبيه. ساهمة الوجوه: متغيرة اللون، كالحة. النقيع: الشراب مما يُنقع. – يطلب الشاعر الى عبلة ان تلزم الحياء وتعلم ان عدم القتل لـه موت، وانه، وان كانت المنية لا تصوَّر، صورة حية للموت اذا ما شدَّد الضغط على الاعداء وانهلهم كؤوساً من مرارة الموت، بحيث ان الخيل انفسها تكلح وجوهها لذلك. ٤ الكريهة: الموت. ٥ غادر: ترك. المتردَّم: الموضع من الثوب الذي يحتاج الى ترقيع، شبَّه الرديء من الشعر بالثوب الخلق بجامع احتياج كلٍّ منهما الى الاصلاح. التوهم: التفرّس، ومن زائدة ومتردم مفعول غادر منصوب محلا مجرور لفظاً، وام: حرف عطف تعني بل، وتلخيص المعنى: هل ترك الشعراء الذين سبقوني شيئاً من الشعر يحتاج الى اصلاح حتى أتعرَّض له، ثم خاطب نفسه بقوله: هل عرفت الدار التي كنت ترى فيها اصحابك بعد تفرّس طويل، والمقصود من الاستفهام في الموضعين الانكار، ايّ انهم لم يتركوا له من ذلك شيئاً ولم يعرف هو الدار بعد التفرّس الطويل. ٦ الجواء: علم موضع في ديار عبس. عمي: فعل امر من وعم يعم كوعد يَعد بمعنى تنعّمي. اسلمي: انجي. ودار الثانية في عجز البيت منادى حذف منه حرف النداء.

[وبعد هذا الافتتاح يقف الشاعر امام الدار ومن كان فيها فيذكر حبّه لعبلة والفراق الذي حال بينه وبينها ، ويشبّه عبلة بروضة أُنُف إلّا أنه يعمد الى الاستطراد في تشبيهه واذا الوصف يشمل الروضة والغيث والذُّباب وما الى ذلك مما ليس له علاقة بعبلة ومما يخرج عن نطاق العاطفة المبثوثة .

ثم ينطلق الشاعر في وصف ناقته واذا الاوصاف مرجعها الى السرعة والقوّة والنشاط، واذا اللغة عسرة . وبعد الناقة يفكر الشاعر في نفسه فيُفضي الينا بما يخالجها واذا هنالك صورة رائعة لتلك الشخصية الفذّة :]

إنْ تُغْدِفِي دُونِي ٱلْقِنَاعَ فَإِنَّنِي طَبٌّ بِأَخْذِ ٱلْفَارِسِ ٱلْمُسْتَلْئِمِ . [1]
أَثْنِي عَلَيَّ بِمَا عَلِمْتِ، فَإِنَّنِي سَهْلٌ مُخَالَقَتِي إذَا لَمْ أُظْلَمِ [2]
فَإِذَا ظُلِمْتُ فَإِنَّ ظُلْمِي بَاسِلٌ مُرٌّ مَذَاقَتُـهُ كَطَعْمِ ٱلْعَلْقَمِ . [3]
وَلَقَدْ شَرِبْتُ مِنَ ٱلْمُدَامَةِ، بَعْدَمَا رَكَدَ ٱلْهَوَاجِرُ، بِٱلْمَشُوفِ ٱلْمُعْلَمِ [4]
بِزُجَاجَةٍ صَفْرَاءَ ذَاتِ أَسِرَّةٍ قُرِنَتْ بِأَزْهَرَ فِي ٱلشِّمَالِ مُفَدَّمِ، [5]
فَإِذَا شَرِبْتُ فَإِنَّنِي مُسْتَهْلِكٌ مَالِي، وَعِرْضِي وَافِرٌ لَمْ يُكْلَمِ، [6]
وَإِذَا صَحَوْتُ فَمَا أُقَصِّرُ عَنْ نَدًى، وَكَمَا عَلِمْتِ شَمَائِلِي وَتَكَرُّمِي . . . [7]

---

١ إن تغدفي : إن تلقي من اغدف . القناع : البرقع تغطي به الحسناء وجهها . الطبّ : الحاذق العالم . المستلئم : اللابس اللأمة اي الدرع، اسم فاعل من استلأم . ٢ المخالقة : مصدر خالق : صادق ، عاشر، المعنى : اثني عليّ بما علمت من محامدي ومناقبي فاني سهل المعاشرة اذا لم يهضم حقي وأظلم . ٣ الباسل : الشديد . العلقم : نبات شديد المرارة ٤ ركد : سكن . الهواجر مفرده الهاجرة : وهي اشدّ الاوقات حرّاً . المشوف : المجلوّ وهو كناية عن الدينار . المعلم : الذي فيه نقش، كتابة . المدام والمدامـة : الخمرة سمّيت كذلك لبقائها اي دوامها في الدّنّ، وعاء الخمر . ٥ الاسرة مفردها السر والسرر : خط من خطوط اليـد والجبهة . الازهر : الابريق . المفدم : المسدود الرأس بالفِدام . ٦ المعنى : اذا شربت الخمر فانني اهلك مالي بجودي ولا اشين عرضي، اهلك مالي فلا يكلم شرفي عيب عائب ؛ يفتخر بان سكره يحمله على محامد الاخلاق ويكفّه عن المثالب . ٧ يريد : انه اذا صحا من سكره لا يقصّر عن جوده وهو بذلك يفتخر بالجود ووفور العقل الذي لا ينقصه السكر .

هَلّا سَأَلْتِ ٱلْخَيْلَ، يَا ٱبْنَةَ مَالِكٍ ... -إِنْ كُنْتِ جَاهِلَةً بِمَا لَمْ تَعْلَمِي- [١]
يُخْبِرْكِ مَنْ شَهِدَ ٱلْوَقِيعَةَ أَنَّنِي ... أَغْشَى ٱلْوَغَى وَأَعِفُّ عِنْدَ ٱلْمَغْنَمِ . . . [٢]
لَمَّا رَأَيْتُ ٱلْقَوْمَ أَقْبَلَ جَمْعُهُمْ ... يَتَذَامَرُونَ كَرَرْتُ غَيْرَ مُذَمَّمِ ؛ [٣]
يَدْعُونَ عَنْتَرَ وَٱلرِّمَاحُ كَأَنَّهَا ... أَشْطَانُ بِئْرٍ فِي لَبَانِ ٱلْأَدْهَمِ ، [٤]
مَا زِلْتُ أَرْمِيهِمْ بِثُغْرَةِ نَحْرِهِ ... وَلَبَانِهِ حَتَّى تَسَرْبَلَ بِٱلدَّمِ [٥]
فَٱزْوَرَّ مِنْ وَقْعِ ٱلْقَنَا بِلَبَانِهِ ... وَشَكَا إِلَيَّ بِعَبْرَةٍ وَتَحَمْحُمِ ! [٦]
لَوْ كَانَ يَدْرِي مَا ٱلْمُحَاوَرَةُ ٱشْتَكَى ... وَلَكَانَ، لَوْ عَلِمَ ٱلْكَلَامَ، مُكَلِّمِي . . . [٧]

ميزة شعره : يتميّز عنترة بترفّعه وتعفّفه عن كلّ امرٍ مشين، فهو في حبّه يترفّع عن الدنايا «ولا يتبع النفس اللجوج هواها»، وفي حروبه يترفّع عن السلب والنهب «ويعف عند المغنم» ويتناهى في اخلاقه رقّةً، فاذا ردّ على معيّريه وشانئيه فلا يعيّرهم ولا ينالهم بسبّة بل تراه يدافع عن نفسه شأن الكبير العالي الهمّة، مظهراً صفاته، واذا وصف خصمه في الحرب، وصفه بالشجاعة والفروسيّة وملاقاة الابطال . وهو ذو العقل الراجح الذي لا تصل اليه الخمرة، وذو النفس الكريمة التي تجود بكل ما تملكه اليد .

---

١ هلا : اداة تحضيض . — يقول : يلزمك ان تسألي عني فرسان الخيل عمّا لم تعلميه من حالي في الحرب يا ابنة مالك ان كنت جاهلة به . ٢ شهد : حضر . الوقيعة : المصادمة في الحرب . أغشى : آتي . اعفّ : امتنع . المغنم : الغنيمة التي يغنمها المحارب . يخبرك : فعل مضارع مجزوم لوقوعه في جواب التحضيض . ٣ يتذامرون : يحضّ بعضهم بعضاً على قتالنا . كررت : هجمت، حملت . مذمّم : مذموم، وجملة اقبل جمعهم في محلّ نصب حال ، وليست مفعولاً لأرى لانها بصرية . وجملة كررت جواب لمّا . المعنى : لما ابصرت جمع الاعداء قد اقبلوا يحضّ بعضهم بعضاً على قتالنا حملت عليهم بحالة يحمدني عليها كلّ من يراني . ٤ اشطان مفرده شطَن : حبل . اللبان : الصدر . الادهم : الاسود . ٥ الثغرة : الرقبة في اعلى النحر . تسربل : لبس، ارتدى . ٦ الازورار : الميل . التحمحم : من صهيل الفرس ما كان فيه شبه الحنين ليرقّ صاحبه له . ٧ اي لو كان يعلم الخطاب لاشتكى اليّ مما يقاسيه ويعانيه، ولكلمني لو كان يعلم الكلام .

الاعشى الاكبر (٥٣٠ ـ ٦٢٩)

[قضى الاعشى حياته بين الخمر والميسر، يُسرف ويُتلف، ويضرب في الآفاق وراء المال؛ وقد تجلّت تلك الحياة في شعر الرُجل فكان شعره قسمين : قسماً يَصف به الخمرة ويتغزّل ، وقسماً آخر يسعى فيه وراء المال ليتمكّن من اللهو والشرب . وها نحن نسوق مثالًا واحداً من معلّقة الاعشى، وفيه غزل وخمر، وفيه موسيقى وانطلاق :]

٢٢ ودِّع هُريرة !..

وَدِّعْ هُرَيْرَةَ، إنَّ ٱلرَّكْبَ مُرْتَحِلُ، وَهَلْ تُطِيقُ وَدَاعاً أَيُّهَا ٱلرَّجُلُ ؟[١]
غَرَّاءُ ، فَرْعَاءُ ، مَصْقُولٌ عَوَارِضُهَا تَمْشِي ٱلْهُوَيْنَا كَمَا يَمْشِي ٱلْوَجِي ٱلْوَحِلُ[٢]
كَأَنَّ مِشْيَتَهَا مِنْ بَيْتِ جَارَتِهَا مَرُّ ٱلسَّحَابَةِ : لَا رَيْثٌ وَلَا عَجَلُ[٣]
تَسْمَعُ لِلْحَلْيِ وَسْوَاساً إذَا ٱنْصَرَفَتْ كَمَا ٱسْتَعَانَ بِرِيحٍ عِشْرِقٌ زَجِلُ؛[٤]
لَيْسَتْ كَمَنْ يَكْرَهُ ٱلْجِيرَانُ طَلْعَتَهَا وَلَا تَرَاهَا لِسِرِّ ٱلْجَارِ تَخْتَتِلُ[٥]
يَكَادُ يَصْرَعُهَا ، لَوْلَا تَشَدُّدُهَا ، إذَا تَقُومُ إلَى جَارَاتِهَا ، ٱلْكَسَلُ[٦]

---

١ هريرة : علم قَيْنة كانت لرجل من آل عمرو بن مرثد اهداها الى قريب له . الركْب : مصدر بمعنى ركبان الإبل وقد يكون للخيل ٢ الغرّاء : البيضاء الواسعة الجبين . الفرعاء : الطويلة الشعر . مصقول عوارضها : اي نقيّـــة الاسنان، وعوارضُ نائب فاعل لمصقول . الوجي : الذي يشتكي حافره . الوحل : الغائص في الوحل ؛ اي انّ هريرة بيضاء طويلة شعر الرأس نقية الاسنان تمشي متمهلة كمن يغوص في الوَحل . ٣ الريث : التّمهل وقد عاب الاصمعي هــذا البيت لان الاعشى جعلها خرّاجة ولاجة . ٤ الحلي :ما تتحلى به المرأة من ذهب وجواهر . الوسواس : صوت الحليّ . العشرق : شجيرة مقدار ذراع لها اكمام فيها حبّ صغار اذا جفّت فرّت بها الريح سمعت لها خشخشة . الزجِلُ : الفَرِح الطرِب الذي يرفع صوته بالغناء . ٥ تختتل : تتسمّع لسرّ الجار اي ان الجيران لا يكرهونها لأنهــا لا تسعى الى تسقط اخبارهم ومعرفة اسرارهم .
٦ يصرعها : يلقيها على الارض. الكسلُ اسم كاد مؤخر وجملة يصرعها خبر مقدّم . لولا : حرف امتناع شيء لوجود غيره، تشدّدها : مبتدأ والهاء مضاف اليه والخبر محذوف وتلخيص المعنى : يكاد الكسل يلقيها الى الارض لولا تحاملها على نفسها وهي تقوم الى جاراتها .

إِذَا تَقُومُ يَضُوعُ ٱلمِسْكُ أَصْوِرَةً ... وَٱلزَّنْبَقُ ٱلوَرْدُ مِنْ أَرْدَانِهَا شَمِلُ؟[١]
مَا رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ ٱلحُزْنِ مُعْشِبَةٌ ... خَضْرَاءُ جَادَ عَلَيْهَا مُسْبِلٌ هَطِلُ[٢]
يُضَاحِكُ ٱلشَّمْسَ مِنْهَا كَوْكَبٌ شَرِقٌ ... مُؤَزَّرٌ بِعَمِيمِ ٱلنَّبْتِ مُكْتَهِلُ[٣]
يَوْماً بِأَطْيَبَ مِنْهَا نَشْرَ رَائِحَةٍ ... وَلَا بِأَحْسَنَ مِنْهَا إِذْ دَنَا ٱلأُصُلُ[٤]...

وصف مجلس الخمر :

وَقَدْ غَدَوْتُ إِلَى ٱلحَانُوتِ يَتْبَعُنِي ... شَاوٍ مِشَلٌّ شَلُولٌ شُلْشُلٌ شَوِلُ[٥]
فِي فِتْيَةٍ كَسُيُوفِ ٱلهِنْدِ، قَدْ عَلِمُوا ... أَنْ لَيْسَ يَدْفَعُ عَنْ ذِي ٱلحِيلَةِ ٱلحِيَلُ؟[٦]
نَازَعْتُهُمْ قُضُبَ ٱلرَّيْحَانِ مُتَّكِئاً ... وَقَهْوَةً مُزَّةً رَاوُوقُهَا خَضِلُ[٧]
لَا يَسْتَفِيقُونَ مِنْهَا، وَهْيَ رَاهِنَةٌ ... إِلَّا بِهَاتِ، وَإِنْ عَلُّوا وَإِنْ نَهِلُوا[٨]
يَسْعَى بِهَا ذُو زُجَاجَاتٍ لَهُ نُطَفٌ ... مُقَلِّصٌ أَسْفَلَ ٱلسِّرْبَالِ مُعْتَمِلُ[٩]
وَمُسْتَجِيبٍ لِصَوْتِ ٱلصَّنْجِ تَسْمَعُهُ ... إِذَا تُرَجِّعُ فِيهِ ٱلقَيْنَةُ ٱلفُضُلُ،[١٠]
مِنْ كُلِّ ذَلِكَ يَوْمٌ قَدْ لَهَوْتُ بِهِ ... وَفِي ٱلتَّجَارِبِ طُولُ ٱللَّهْوِ وَٱلغَزَلُ[١١]

---

١ يضوع : ينتشر . المسك : مادة طيبة الرائحة تؤخذ من دم غزال المسك ومنه قول المتنبي : « فان المسك بعض دم الغزال » . الأصورة مفردها صوار وهو وعاء المسك وتافجته . الزنبق : هو عند العرب زيت الياسمين، وأجوده ما كان يميل الى الحمرة ولذلك وصفه بالوَرْد . ٢ الحزن : ما غلظ وارتفع من الارض وهو خلاف السهل، والحَزْنُ المراد هنا : موضع ببلاد بني يربوع من اليمامة فيه رياض وقيعان . المسبل : المطر . الهطل : المنسكب بغزارة . ٣ يريد بكوكب هنا جماعة الزهر الذي يتفتح ويشرق عند شروق الشمس . المؤزّر : المغطّى . المكتهل : الكامل التام . ٤ الأصُل مفرده أصيل : الوقت من العصر الى العشاء . ٥ الحانوت : دكان الخمّار يؤنث ويذكر . الشّاوي : الشّواء . المشَلّ والشلول والشلشل : الخفيف في الحاجة والسريع في الخدمة وكذلك الشّوِل . ٦ كسيوف الهند : في المضاء والصرامة . « أنْ » مخفّفة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن المحذوف . ٧ القهوة : الخمرة . راوُوقها : الوعاء الذي تروق فيه الخمرة . الخضل : المبتلّ الذي لا يجف لكثرة شربهم . ٨ راهنة : دائمة امامهم . ٩ له نطف : اي في أذنيه اقراط من اللؤلؤ . المقلّص : المشمّر . السّربال : القميص . المعتمل : النشيط ١٠ القينة : المغنية . المرأة الفُضُل : التي تلبس ثوباً واحداً كأنها متبذّلة . ١١ يذكر اليوم الذي أمضاه في صحبة فتية قد أطال معهم اللهو والغزل .

٢٣ وكاسٍ كعين الديك

[نظم الاعشى قصيدة فخرية قالها لشيبان بن شهاب الجحدريّ، وقد ضمّنها، على عادته، ذكراً ووصفاً للخمرة، ومما قال فيها :]

وَكَأْسٍ كَعَيْنِ ٱلدِّيكِ بَاكَرْتُ حَدَّهَا ... بِفِتْيَانِ صِدْقٍ وَٱلنَّوَاقِيسُ تُضْرَبُ

وَكَأْسٍ كَعَيْنِ ٱلدِّيكِ بَاكَرْتُ حَدَّهَا ... بِغِرَّتِهَا إِذْ غَابَ عَنِّي بُغَاتُهَا [1]

كُمَيْتٍ عَلَيْهَا حُمْرَةٌ فَوْقَ كُمْتَةٍ ... يَكَادُ يُفَرِّي ٱلْمِسْكَ مِنْهَا حُمَاتُهَا [2]

وَرَدْتُ عَلَيْهَا ٱلرِّيفَ حَتَّى شَرِبْتُهَا ... بِمَاءِ ٱلْفُرَاتِ، حَوْلَنَا قَصَبَاتُهَا [3]

لَعَمْرُكَ إِنَّ ٱلرَّاحَ، إِنْ كُنْتَ سَائِلًا، ... لَمُخْتَلِفٌ غَدِيُّهَا وَعَشَاتُهَا :

لَنَا مِنْ ضُحَاهَا خُبْثُ نَفْسٍ وَكَآبَةٌ ... وَذِكْرَى هُمُومٍ مَا تَغِبُّ أَذَاتُهَا [4]

وَعِنْدَ ٱلْعَشِيِّ طِيبُ نَفْسٍ وَلَذَّةٌ ... وَمَالٌ كَثِيرٌ غُدْوَةً نَشَوَاتُهَا [5]

عَلَى كُلِّ أَحْوَالِ ٱلْفَتَى قَدْ شَرِبْتُهَا ... غَنِيًّا وَصُعْلُوكًا وَمَا إِنْ أَقَاتُهَا [6]

أَتَانَا بِهَا ٱلسَّاقِي فَأَسْنَدَ زِقَّهُ ... إِلَى نُطْفَةٍ زَلَّتْ بِهَا رَصَفَاتُهَا [7]

وُقُوفًا، فَلَمَّا حَانَ مِنَّا إِنَاخَةٌ ... شَرِبْنَا قُعُودًا خَلْفَنَا رُكَبَاتُهَا [8]

ميزة شعره : في وصف الاعشى اندفاع ودقة وحياة . اما الاندفاع فظاهر في تذوّق الشاعر لما يقول ويصف ؛ واما الدقة فظاهرة في تتبّع الاحوال المختلفة، وتكميل الصور المذكورة، وإخراجها في مخرج التجسيم الحسيّ الواضح القسمات . واما الحياة فظاهرة في الانطلاق وحسن التصوير للحركات .

١ الواو بمعنى رُبَّ، كأسٍ مجرورة لفظاً مرفوعة محلّاً على انها مبتدأ، كعين جار ومجرور متعلقان بنعت كأس وجملة « باكرت حدّها » خبر، وتلخيص المعنى : وربّ كأس خمرٍ صافية كعين الديك قد أحتسيها صباحاً وقد غاب عنها طالبوها . ٢ الكُمَيت : صفة للخمرة الحمراء الضاربة الى السواد . الكمتة : لون بين السواد والحمرة . فرّى يُفرّي الشيء : قطعه وشقّه، وشُدّد الفعل للمبالغة . المَسْك بالفتح جلد السّخلة، ويكون وعاءً للخمر . ٣ القصَبة : عين الماء . ٤ ما تغبّ : لا تأتي يوماً دون يوم بل تأتي كل يوم، اي لا تفارق . ٥ اي عندما يشربها مساءً تطيب نفسه ويرى فيها لذّة ومالاً كثيراً . نشوات مفردها نشوة : اوّل السكر . ٦ الصعلوك : الفقير، المعدم . أقاته وأقات عليه إقاتةً : أطاقه واقتدر عليه . ٧ الزق : وعاء الخمر . النطفة : الماء الصافي الخالص من كل شوْب، الغدير . الرّصفات ج رصَفة وهي الحجارة المتراصفة بعضها الى بعض . ٨ الإناخة : ابراك الجمال والنزول عنها للاقامة .

لبيد بن ربيعة (٥٦٠ ـ ٦٦١)

[ابو عقيل لبيد بن ربيعة شاعر صادق يجعل شعره مرآةً لحياته يتقلَّب بتقلُّبها من اللهو والعبث، الى الكرم والجود، الى البأس والشجاعة، ثم الى الرزانة والحكمة. وفي ما نورده من معلَّقته شاهدٌ على صدقه وتقلُّبه مع الحياة:]

٢٤ اولم تكن تدري نوار ...

أَوَلَمْ تَكُنْ تَدْرِي نَوَارُ بِأَنَّنِي   وَصَّالُ عَقْدِ حَبَائِلٍ جَذَّامُهَا [١]
تَرَّاكُ أَمْكِنَةٍ إِذَا لَمْ أَرْضَهَا   أَوْ يَعْتَلِقْ بَعْضَ ٱلنُّفُوسِ حِمَامُهَا [٢]

[ثم يصف لهوه وشربه للخمر وبعد ذلك ينتقل الى وصف بطشه في الحرب فيقول:]

وَلَقَدْ حَمَيْتُ ٱلْخَيْلَ تَحْمِلُ شِكَّتِي   فُرُطٌ، وِشَاحِي إِذْ غَدَوْتُ لِجَامُهَا [٣]
فَعَلَوْتُ مُرْتَقِيًا عَلَى مَرْهُوبَةٍ   حَرِجٍ إِلَى أَعْلَامِهِنَّ قَتَامُهَا [٤]
حَتَّى إِذَا أَلْقَتْ يَدًا فِي كَافِرٍ   وَأَجَنَّ عَوْرَاتِ ٱلثُّغُورِ ظَلَامُهَا [٥]
أَسْهَلْتُ وَٱنْتَصَبَتْ كَجِذْعِ مُنِيفَةٍ   جَرْدَاءَ يَحْصَرُ دُونَهَا جُرَّامُهَا [٦]

---

١ نَوار: اسم حبيبته. الحبائل ج حَبالة وهي مصيدة الصائد وشركه. الجذّام: القطّاع. يقول: ألا تعلم نَوار بانّي رجلٌ حَزم وفطنة أقدر ان اخدع الناس امّا هم فلا يجدون الى خَدعي سبيلًا. ٢ اعتلقَ الشيء: علِقهُ. بعض النفوس: يعني نفسه. ٣ الشكّة: السلاح. الفُرُط: الفرس السريعة التي تتفرّط الخيل اي تتقدّمها. يقول: اني احمي رجال الحيّ وانا على فرس سريعة الى حدّ يجعل من لجامها وشاحاً لي ألقيه على عاتقي. ٤ المرهوبة: اي الجبال العالية. الحرج: المكان الضيق الكثير الشجر. القتام: الغبار الاسود. ٥ ألقت يداً: يعني الشمس. الكافر: الليل. أجَنّ: ستر. العورات ج عوْرة وهي موضع المخافة. الثّغر: موضع المخافة ايضاً. يقول: إني في النهار اصعد الى الجبال العالية التي تكتنفها الاشجار والضباب وأرقب حركات العدوّ حارساً لقومي حتى اذا خيّم الليل وستر مواضع الخوف من نواحي العدوّ نزلت الى السهل. ٦ أسهلتُ: نزلت الى السهل. وانتصبت: يريد الفرس. المُنيفة: اي النخلة المرتفعة. الجرداء: التي جرّدت من شعرها. يحصر: يكِلّ. الجرّام: الصرّام الذي يقطع أعذاق النخل اي عناقيدها.

رَفَّعْتُهَا طَرْدَ ٱلنَّعَامِ وَفَوْقَهُ حَتَّى إِذَا سَخِنَتْ وَخَفَّ عِظَامُهَا [١]
قَلِقَتْ رِحَالَتُهَا وَأَسْبَلَ نَحْرُهَا وَٱبْتَلَّ مِنْ زَبَدِ ٱلْحَمِيمِ حِزَامُهَا [٢]
تَرْقَى وَتَطْعَنُ فِي ٱلْعِنَانِ وَتَنْتَحِي وِرْدَ ٱلْحَمَامَةِ إِذْ أَجَدَّ حَمَامُهَا [٣]...

ميزة شعره : يتحدَّث الينا لبيد بصراحة جريئة، وحياة نابضة، ولهجة شديدة الوطأة، ولغة تتفق مع اللهجة والحياة النابضة .

عدي بن زيد العبادي (توفي سنة ٦٠٤)

[تأمل عديّ بن زيد العبادي المسيحيّ حال الدنيا وما فيها، فرأى أنَّ كلَّ شيء باطل وكلَّ مَن عليها فانٍ، فما من عظيم او حقير إلا والموت مصيره، وليس له من دنياه إلا ما قدَّمَ واعدَّه زاداً لآخرته فقال :]

٢٥ ربّ الخورنق

أَيُّهَا ٱلشَّامِتُ ٱلْمُعَيِّرُ بِٱلدَّهْرِ أَأَنْتَ ٱلْمُبَرَّأُ ٱلْمَوْفُورُ ؟ [٤]
أَمْ لَدَيْكَ ٱلْعَهْدُ ٱلْوَثِيقُ مِنَ ٱلأَيَّا
مِ أَمْ أَنْتَ جَاهِلٌ مَغْرُورُ ؟
مَنْ رَأَيْتَ ٱلْمَنُونَ خَلَّدْنَ ، أَمْ مَنْ
ذَا عَلَيْهِ مِنْ أَنْ يُضَامَ خَفِيرُ ؟ [٥]

---

١ رفَّعتُها : جعلتها تعدو عدواً بعضُه ارفع من بعض . الطَّرد : العَدْو . سخِنت : حميت . خفَّ عِظامها : أسرعتْ . ٢ الرِّحالة : السَّرْج . أسبَل نحرُها : جرى منه العرَق . الحَميم : العرَق . ٣ ترق : ترفع رأسها . تَطْعَن في العِنان اي تعتمد في العنان كما يعتمد الطّاعن . تنتحي : تقصد . وِرْد الحمامة : الماء الذي ترده الحمامة وهي هنا القطاة . أجدّ : أسرع . — يقول : ان فرسه اخذت ترفع رأسها وتخفضه في العنان، تسعى في سيرها سعي القطاة الى الماء وقد سبقها جماعة من الحمام راحت تجدّ في اثره . ٤ المُبرَّأ : الذي لا يصيبه عيب أو ضرّ . الموفور : بمعنى المُصان .
٥ المنون : الموت أنزلها الشاعر منزلة الجمع وارجع اليها ضمير المؤنث في (خلدنَ) . خلدن : أبقينَ احياءً . الخفير : الحارس .

أَيْنَ كِسْرَى، كِسْرَى ٱلْمُلُوكِ أَبُو سَا
سَانَ أَمْ أَيْنَ قَبْلَهُ سَابُورُ؟ [١]
وَأَبُو ٱلْحَضْرِ إِذْ بَنَاهُ وَإِذْ دِجْلَةُ تُجْبَى إِلَيْهِ وَٱلْخَابُورُ: [٢]
شَادَهُ مَرْمَرًا وَجَلَّلَهُ كِلْساً فَلِلطَّيْرِ فِي ذُرَاهُ وُكُورُ! [٣]
وَتَبَيَّنْ رَبَّ ٱلْخَوَرْنَقِ إِذْ أَشْرَفَ يَوْماً وَلِلْهُدَى تَفْكِيرُ
سَرَّهُ حَالُهُ وَكَثْرَةُ مَا يَمْلِكُ وَٱلْبَحْرُ مُعْرِضاً وَٱلسَّدِيرُ
فَارْعَوَى قَلْبُهُ فَقَالَ: وَمَا غِبْطَةُ حَيٍّ إِلَى ٱلْمَمَاتِ يَصِيرُ؟
ثُمَّ بَعْدَ ٱلْفَلَاحِ وَٱلْمُلْكِ وَٱلْأُمَّةِ وَارَتْهُمُ هُنَاكَ ٱلْقُبُورُ
ثُمَّ أَضْحَوْا كَأَنَّهُمْ وَرَقٌ جَفَّ فَأَلْوَتْ بِهِ ٱلصَّبَا وَٱلدَّبُورُ [٤]

٢٦ في اليوم او في ضحى الغدِ . . .

[وهذه مقتطفات من قصيدة يرى فيها أنّ له الماضي والحاضر واما المستقبل فللوارث ولا يعلم متى يحضره الموت فيقول :]

أَتَعْرِفُ رَسْمَ ٱلدَّارِ مِنْ أُمِّ مَعْبَدِ نَعَمْ، فَرَمَاكَ ٱلشَّوْقُ قَبْلَ ٱلتَّجَلُّدِ [٥]
أَعَاذِلُ، مَا يُدْرِيكَ أَنَّ مَنِيَّتِي إِلَى سَاعَةٍ فِي ٱلْيَوْمِ أَوْ فِي ضُحَى ٱلْغَدِ
ذَرِينِي فَإِنِّي إِنَّمَا مَالِي مَا مَضَى أَمَامِيَ مِنْ مَالٍ إِذَا خَفَّ عُوَّدِي [٦]
وَحُمَّتْ لِمِيقَاتٍ إِلَيَّ مَنِيَّتِي وَغُودِرْتُ إِنْ وُسِّدْتُ أَوْ لَمْ أُوَسَّدِ
وَلِلْوَارِثِ ٱلْبَاقِي مِنَ ٱلْمَالِ فَٱتْرُكِي عِتَابِي فَإِنِّي مُصْلِحٌ غَيْرُ مُفْسِدِ

ميزة شعره : رقّة شعور وعاطفة دينية عميقة ترى الدنيا وما فيها من زوال فتصبو الى العالم الآخر وتعمل على الالتحاق به .

١ كسرى : لقب ملوك الفرس ابو ساسان وسابور من اسماء ملوكهم . ٢ ابو الحضر : اسم لقصرٍ . الخابور : نهر بين رأس عين والفرات وهو من روافد الفرات . ٣ شاده : بناه . الخورنق والسدير قصران يُنسب بناؤهما الى النعمان من ملوك الحيرة عمّال الفرس . ٤ الصّبا : الريح الشرقية . الدّبور الريح الغربية . ألوَت به : ذهبت به . ٥ أمّ معبد : كنية امرأة . التجلّد : التصبُّر ٦ ذريني : دعيني . العُوَّد ج عائد وهو الزائر في حال مرضٍ .

الخنساء (٥٧٥ _ ٦٦٤)

[الخنساء امرأةٌ أرهقتها الايام بالتعذيب، فبكت حتى تقرّحت مقلتاها، وكان بكاؤها رثاء لاخويها ولاسيما صخر لما بلته من كثرة إحسانه، وشدّة حنانه، وقوّة جنانه . ومن رثائها له ما قالت :]

٢٧ قذى بعينكِ ؟

[نشب نزاع بين قبيلتي سُليم وغطفان على أثر خلاف بين معاوية اخي الخنساء وأحد اسياد بني مرّة، في سوق عكاظ ؛ فآل ذلك الى مقتل معاوية ثم مقتل صخر أخيه . وكان صخر متحلياً بأخصّ صفات المروءة من شجاعة وسخاء وشهامة، فضلًا عن الجمال وكرم الاخلاق والسيادة، فجزعت عليه الخنساء. ولاسيما وانه قاسمها ماله ثلاث مرات . فانفجرت سدود الأسى في نفسها شعراً يذوب رقّة وعاطفة . وفيما يلي مقطع من رثائها له .]

قَذًى بِعَيْنِكِ، أَمْ بِالْعَيْنِ عُوَّارُ، أَمْ ذَرَّفَتْ، أَنْ خَلَتْ مِنْ أَهْلِهَا ٱلدَّارُ ؟[1]
كَأَنَّ عَيْنِي لِذِكْرَاهُ، إِذَا خَطَرَتْ، فَيْضٌ يَسِيلُ عَلَى ٱلْخَدَّيْنِ، مِدْرَارُ ![2]
تَبْكِي لِصَخْرٍ،هِيَ ٱلْعَبْرَى،وَقَدْ وَلِهَتْ، وَدُونَهُ مِنْ جَدِيدِ ٱلتُّرْبِ أَسْتَارُ .[3]
تَبْكِي خُنَاسُ، فَمَا تَنْفَكُّ، مَا عَمَرَتْ، لَهَا عَلَيْهِ رَنِينٌ، وَهْيَ مِفْتَارُ ![4]
تَبْكِي خُنَاسُ عَلَى صَخْرٍ، وَحُقَّ لَهَا، إِذْ رَابَهَا ٱلدَّهْرُ ؛ إِنَّ ٱلدَّهْرَ ضَرَّارُ ![5]

---

١ القذى : ما وقع في العين . العُوّار : رمـد العين . ذرّفت : قطرت قطراً متتابعاً . أن خلت : أي لان خلت . ٢ كأن عيني : اي دموع عيني . المدرار : الغزير . ٣ تبكي : الضمير للخنساء . العَبرى : التي لا تجف دموعها . وَلِهَت : اشتدّ جزعها . الاستار : هنا طبقات التراب فوق الميت . ٤ خناس : معدول عن خنساء . الرّنين : البكاء . المفتارُ : الضعيفة المنكسرة . ٥ وحُقّ لها : اي كان البكاء حقيقاً بها وهي حقيقة به . رابها : اوجعها بشدائده . ضرّار : شديد الضرّ .

لَا بُدَّ مِنْ مِيتَةٍ فِي صَرْفِهَا غِيَرٌ ؛ وَالدَّهْرُ فِي صَرْفِهِ حَوْلٌ وَأَطْوَارُ ؛ [١]
قَدْ كَانَ فِيكُمْ أَبُو عَمْرٍو يَسُودُكُمْ ؛ نِعْمَ ٱلْمُعَمَّمُ ، لِلدَّاعِينَ نَصَّارُ ! [٢]
صُلْبُ ٱلنَّحِيزَةِ ، وَهَّابٌ ، إِذَا مَنَعُوا ؛ وَفِي ٱلْحُرُوبِ جَرِيءُ ٱلصَّدْرِ ، مِهْصَارُ . [٣]
يَا صَخْرُ ، وَرَّادَ مَاءٍ قَدْ تَنَاذَرَهُ أَهْلُ ٱلْمَوَارِدِ ، مَا فِي وِرْدِهِ عَارُ ؛ [٤]
مَشَى ٱلسَّبَنْتَى إِلَى هَيْجَاءَ مُعْضِلَةٍ ، لَهُ سِلَاحَانِ : أَنْيَابٌ وَأَظْفَارُ . [٥]
وَإِنَّ صَخْرًا لَوَالِينَا وَسَيِّدُنَا ؛ وَإِنَّ صَخْرًا ، إِذَا نَشْتُو ، لَنَحَّارُ ! [٦]
وَإِنَّ صَخْرًا لَمِقْدَامٌ إِذَا رَكِبُوا ؛ وَإِنَّ صَخْرًا ، إِذَا جَاعُوا ، لَعَقَّارُ ! [٧]
أَغَرُّ أَبْلَجُ ، تَأْتَمُّ ٱلْهُدَاةُ بِهِ ، كَأَنَّهُ عَلَمٌ فِي رَأْسِهِ نَارُ ! [٨]
جَلْدٌ ، جَمِيلُ ٱلْمُحَيَّا ، كَامِلٌ وَرِعٌ ؛ وَلِلْحُرُوبِ ، غَدَاةَ ٱلرَّوْعِ ، مِسْعَارُ ؛ [٩]
حَمَّالُ ٱلْوِيَةٍ ، هَبَّاطُ أَوْدِيَةٍ ، شَهَّادُ أَنْدِيَةٍ لِلْجَيْشِ جَرَّارُ ؛ [١٠]
وَلَا تَرَاهُ ، وَمَا فِي ٱلْبَيْتِ ، يَأْكُلُهُ ؛ لٰكِنَّهُ بَارِزٌ بِٱلصَّحْنِ مِهْمَارُ ؛ [١١]
قَدْ كَانَ خَالِصَتِي مِنْ كُلِّ ذِي نَسَبٍ ؛ فَقَدْ أُصِيبَ ، فَمَا لِلْعَيْشِ أَوْطَارُ ! [١٢]

---

١ في صرفها : في حدوثها وتصرفها . غِيَر الدهر : نوائبه واحداثه . الحَوْل : التقلّب والتحوّل . الاطوار : الاحوال . ٢ المعمَّم : المسوَّد اذ تيجان العرب العمائم . ٣ النَّحيزة : الطبيعة . المِهْصار : مبالغة من هَصَرَ العنق اي دقّها . ٤ ورّاد ماء : ارادت إقدامه على الموت . تناذره : انذر بعضهم بعضاً بصعوبته وهوله . اهل الموارد : كناية عن الابطال . تقول : انّ صخراً اقبل الى موارد الموت على غير جزع في حين ان الابطال يحذّر بعضهم بعضاً من شرّه . وقولها «ما في ورده عار» احتراس لئلا يُتوَهَّم ان صخراً اقبل على ما فيه عار . ٥ السَّبنتى : النمر . الهيجاء المعضلة : الحرب الشديدة . وفي البيت استعارة مرشّحة . ٦ نشتو : ندخل في الشتاء . وخصصته لانه زمن الجدب والشدة فيكثر فيه الطارق . النحّار : من يذبح الإبل والمواشي . ٧ العقّار : من عقر الإبل اي حصد قوائمها بالسيف لكي لا تشرد وقت النحر . ٨ الأغر : الكريم الفعال والشريف . الابلج : البعيد ما بين الحاجبين ، المشرق الوجه . العَلَم : الجبل . والعلم في رأسه نار : مثل يضرب في الشهرة . ٩ الجَلْد : الشديد القوي ، الصبور . الوَرِع : المتجنب لما فيه إثم . الرَّوْع : الخوف والحرب . المسعار : مُوقد نار الحرب . ١٠ تصف أخاها بالشجاعة والسيادة فهو مسعار الحروب مقدام ، ولا يعتصم بالجبال خوفاً ، وانما يهبط الاودية للقتال ، وهو حكيم راجح الرأي يشهد اندية عقلاء القبيلة واهل الرأي . ١١ المهمار : الكثير البذل . ١٢ خالصتي : من يُخلص الي المودة .

جَهمُ ٱلمُحيَّا، تُضِيءُ ٱللَّيلَ صورتُهُ؛ آباؤُهُ مِنْ طِوالِ ٱلسَّمكِ، أحرارُ؛ ١
مُوَرَّثُ ٱلمَجدِ، مَيمُونٌ نَقيبَتُهُ، ضَخمُ ٱلدَّسِيعةِ، في ٱلعَزَّاءِ مِغوارُ ٢
فَرعٌ لِفَرعٍ كَرِيمٍ، غيرِ مُؤتَشِبٍ، جَلدُ ٱلمَرِيرَةِ، عِندَ ٱلجَمعِ فَخَّارُ؛ ٣
طَلقُ ٱليَدَينِ لِفِعلِ ٱلخَيرِ، ذُو فَجَرٍ، ضَخمُ ٱلدَّسِيعةِ، بِٱلخَيرَاتِ أمَّارُ! ٤
لِيَبكِهِ مُقتِرٌ أفنَى حَرِيبَتَهُ دَهرٌ، وَحَالَفَهُ بُؤسٌ وَإِقتَارُ، ٥
وَرِفقَةٌ حَارَ هَادِيهِم بِمَهلَكَةٍ كَأَنَّ ظُلمَتَها، في ٱلطِّخيَةِ، ٱلقَارُ. ٦

ميزة شعرها : شعر الخنساء هو شعر النفس الحرّى والكبد المقروحة والاحشاء المفجوعة باعز الناس عليها بل بمن هو، في مقياسها، اتمّ مثال للكمال . ولذلك فهو دفقات من ذاتها على غير تكلف ولا جهد، تسيطر عليه طبيعة سامية وغلوّ يشفع فيه انه وليد عاطفة أنثوية طغت على التفكير .

الحُطَيْئة (توفي سنة ٦٧٩ م/٥٩ هـ)

[جَرْوَل بن أوس الملقَّب بالحطيئة نشأ مضطرب النسب، متبرّماً بالناس يهجوهم جميعاً إمّا بدافع الانتقام وهو مرٌّ لاذع، وإمّا بدافع التكسّب . وكان جشعاً، سؤُولاً مُلحفاً، دنيء النفس، قبيح الصورة ؛ وهو من مدرسة زهير جيّد الشعر، مستوي الاسلوب، قوي التأثير .]

---

١ جَهْم المحيّا : كالح الوجه عبوس في القتال . السمْك : القامة . ٢ ميمون النَّقيبة : مبارك النفس، مظفّر بما يحاول . الدّسيعة : الجفنة الكبيرة، وقولها ضخم الدسيعة كناية عن الكرم . العزّاء : الشدّة . ٣ المؤتشب : المخلوط النسب . جَلْد المريرة : حازم العزيمة . ٤ الفَجَر : الكرم والعطاء والمال . ٥ الحريبة : مال الرجل الذي يعيش به . ٦ المهلكة : مكان الهلاك، المفازة . الطخية : الظلمة الشديدة؛ سحاب يغطي النجوم . القار : الزفت .

[ومما يُروى ان النبيّ محمداً ولّى الزِّبرقان عملًا واقرّه عليه ابو بكر، ثم قدم على عمر في سنة مُجدبة ليؤدي صدقات قومه، فلقيه الحطيئة بقَرقرى (وهي ارض باليمامة كثيرة الخصب) ومعه ابناه أوس وسَوادَة وبناته وامرأته . فقال له الزبرقان، وقد عرفه ولم يعرفه الحطيئة : أين تريد ؟ قال : العراق، فقد حطمتنا هـذه السنة . قال : وتصنع ماذا ؟ قال : وددت ان أصادف بها رجـلًا يكفيني مؤونة عيالي وأصفيه مدحي ابداً . فقال له الزبرقان : قد أصبته، فهل لـك فيه يوسعك لبناً وتمراً ويجاورك أحسن جوار وأكرمه ؟ فقال له الحطيئة : هذا وأبيك العيش، وما كنت أرجو هذا كلّه؛ قال : فقد أصبته؛ قال عندَ من ؟ قال : عندي . قال : ومن أنت ؟ قال : الزّبرقان بن بدر . قال : وأين محلّك ؟ قال : اركب هـذه الإبل واستقبل مطلع الشمس وسل عن القمر حتى تأتي منزلي . . . فلحق الحطيئة بهنيدة بنت صعصعة، زوجة الزبرقان (او امّه امّ شذره، على رواية اخرى) فأكرمته المرأة وأحسنت اليه . فبلغ ذلك بغيضَ بن عامر بن شمّاس من بني أنف الناقة . . . وكان هؤلاء اشرف من الزبرقان، إلا انه كان قد استعلاهم بنفسه .

فارسلوا الى الحطيئة : أن ائتنا، فأبى عليهم . . . فدسّوا الى هُنيدة أن الزبرقان إنما يريد ان يتزوّج ابنته مُليكة، وكانت جميلة كاملة . فظهر من المرأة للحطيئة جفوة وهي في ذاك تُداريه . ثمّ أرادوا النُّجعة . فقالت له هُنيدة : قد حضرت النجعة فاركب انت واهلك هذا الظّهر الى مكان كذا وكذا ثم اردده الينا حتى نلحقك . . . فأرسل اليها : بل تقدّمي أنتِ . . . ففعلت وتثاقلت عن ردّها اليه وتركته يومين او ثلاثة . . . وألحّ عليه بنو انف الناقة . . . فتحمّل معهم فضربوا له قُبّة . . . فركب الزبرقان وسار حتى وقف على نادي بني شمّاس، فقـال رُدّوا عليّ جاري . فقالوا : ما هو لك بجارٍ وقد اطّرحته . . . وخُيّر الحطيئة فاختار بغيضاً ورهطه . وجعل الحطيئة يمدحهم من غير ان يهجو الزبرقان . . . حتى ارسل الزبرقان الى رجلٍ فهجا بغيضاً، فهجا الحطيئة الزبرقان مناضلًا عن بغيض .]

٢٨ الا حبّذا هندٌ !..

[قال الحطيئة هذه القصيدة مادحاً آل شمّاس :]

أَلَا طَرَقَتْنَا بَعْدَ مَا هَجَعُوا هِنْدُ ... وَقَدْ سِرْنَ خَمْساً وَٱتْلَأَبَّ بِنَا نَجْدُ، ١
أَلَا حَبَّذَا هِنْدٌ، وَأَرْضٌ بِهَا هِنْدُ، ... وَهِنْدٌ أَتَى مِنْ دُونِهَا ٱلنَّأْيُ وَٱلْبُعْدُ، ٢
وَهِنْدٌ أَتَى مِنْ دُونِهَا ذُو غَوَارِبٍ ... يُقَمِّصُ بِٱلْبُوصِيِّ مُعْرَوْرِفٌ وَرْدُ. ٣
وَإِنَّ ٱلَّتِي نَكَّبْتُهَا عَنْ مَعَاشِرٍ ... غِضَابٍ عَلَيَّ أَنْ صَدَدْتُ كَمَا صَدُّوا ٤
أَتَتْ آلَ شَمَّاسِ بْنِ لَأْيٍ، وَإِنَّمَا ... أَتَاهُمْ بِهَا ٱلْأَحْلَامُ وَٱلْحَسَبُ ٱلْعِدُّ، ٥
فَإِنَّ ٱلشَّقِيَّ مَنْ تُعَادِي صُدُورُهُمْ ... وَذُو ٱلْجَدِّ مَنْ لَانُوا إِلَيْهِ وَمَنْ وَدُّوا ٦
يَسُوسُونَ أَحْلَاماً بَعِيداً أَنَاتُهَا، ... وَإِنْ غَضِبُوا جَاءَ ٱلْحَفِيظَةُ وَٱلْجِدُّ ٧
أَقِلُّوا عَلَيْهِمْ، لَا أَبَا لِأَبِيكُمْ، ... مِنَ ٱللَّوْمِ أَوْ سُدُّوا ٱلْمَكَانَ ٱلَّذِي سَدُّوا ٨
أُولَئِكَ قَوْمٌ إِنْ بَنَوْا أَحْسَنُوا ٱلْبُنَى ... وَإِنْ عَاهَدُوا أَوْفَوْا وَإِنْ عَقَدُوا شَدُّوا ٩
وَإِنْ كَانَتِ ٱلنُّعْمَى عَلَيْهِمْ جَزَوْا بِهَا ... وَإِنْ أَنْعَمُوا لَا كَدَّرُوهَا وَلَا كَدُّوا ١٠ . . .
مَطَاعِينُ فِي ٱلْهَيْجَا مَكَاشِيفُ لِلدُّجَى، ... بَنَى لَهُمُ آبَاؤُهُمْ وَبَنَى ٱلْجَدُّ ١١

١ طرَقتنا : زارنا طَيفُها . سِرْنَ : الضمير يرجع الى الإبل . اتلأبّ : ظهر . يقول : ألا زارنا طيف هند بعد ان نام الناس وبعد ان سارت الإبل خمس ليالٍ وظهرت لنا بلاد نجد . ٢ النّأي : البعد . ٣ ذو الغوارب : البحر . قمّص البحرُ بالسفينة : حرّكها حتى كأنها بعير يَركض . البوصيّ : ضربٌ من سفن البحر معرّب بوزيّ بالفارسيّة . المُعْرَورِف : المتراكم الامواج . الوَرد : الجريء، والاحمر الضارب الى الصفرة . يقول : إن بيني وبين هنـد بحراً متراكم الامواج يتلاعب بالسُّفن تلاعباً . ٤ نكّبتُها : أبعدْتُها، والضمير يعود الى المدحة . المعاشر : آل الزِّبرقان . يقول : ان المديح الذي أبيتُ ان أوجهه الى آل الزبرقان الذين غضبوا عليّ لكوني صددت عنهم كما صدّوا عني . . . ٥ أتت آل شمّاس . . . : الجملة خبر إنّ . الأحلام : العقول . العِدّ : القـديم والكثير . ٦ الجَدّ : الحظّ . ٧ الأناة : الصّبر . الحفيظة : الغضب . الجِدّ : الاجتهـاد . يقول : ان احلامهم التي يسوسون بها الناس طويلة النظر في الامور، شديدة التأني، كما ان غضبهم يجرّ النقمة . ٨ لا أبا لابيكم : شتْم . ٩ البُنى : ما يُبنى . إن عقدوا شدّوا : أي ان قصدوا قصداً لم يتراجعوا عنه . ١٠ كدّ فلاناً : أتعبـه . — يقول : انهم يكافئون الإحسان بالإحسان، وإن هم أحسنوا تحاشوا عن تكدير نعمتهم بالمَنّ وعن كدّ المنعَم عليه بطلب الثواب . ١١ مطاعين ج مِطعان وهو الكثير الطعن . مكاشيف ج مِكشاف وهو الكثير الكشف ؛ كشف الظلمة : أزالها .

ميزة شعره : اذا مدح الحطيئة رفع . فهو يرفع باسلوبه الحافل بالرونق والجلال ، وهو يرفع بمعاني العظمة والقوّة والعمران والسخاء التي تمليها عليه قريحة فيّاضة يشدّ أزرها خيال خلّاق ينطلق في جوّ من الموسيقى الشديدة الوقع في النفوس .

٢٩ هجو الزبرقان بن بدر

وَٱللهِ، مَا مَعْشَرٌ لَامُوا ٱمْرأً جُنُباً ... فِي آلِ لَأْيِ بْنِ شَمَّاسٍ بِأَكْيَاسِ ١
لَقَدْ مَرَيْتُكُمُ لَوْ أَنَّ دِرَّتَكُمْ ... يَوْماً يَجِيءُ بِهَا مَسْحِي وَإِبْسَاسِي ٢
وَقَدْ مَدَحْتُكُمُ عَمْدًا لِأُرْشِدَكُمْ ... كَيْمَا يَكُونُ لَكُمْ مَتْحِي وَإِمْرَاسِي ٣
وَقَدْ نَظَرْتُكُمُ إِينَاءَ صَادِرَةٍ ... لِلْخِمْسِ طَالَ بِهَا حَوْذِي وَتَنْسَاسِي ٤
لَمَّا بَدَا لِيَ مِنْكُمْ غَيْبُ أَنْفُسِكُمْ ... وَلَمْ يَكُنْ لِجِرَاحِي مِنْكُمُ آسِي ٥
أَزْمَعْتُ يَأْساً مُبِيناً مِنْ نَوَالِكُمُ، ... وَلَنْ تَرَى طَارِداً لِلْحُرِّ كَالْيَاسِ ٦
مَا كَانَ ذَنْبُ بَغِيضٍ أَنْ رَأَى رَجُلاً ... ذَا فَاقَةٍ حَلَّ فِي مُسْتَوْعِرٍ شَاسِي، ٧
جَاراً لِقَوْمٍ أَطَالُوا هُونَ مَنْزِلِهِ ... وَغَادَرُوهُ مُقِيماً بَيْنَ أَرْمَاسِ، ٨
مَلُّوا قِرَاهُ وَهَرَّتْهُ كِلَابُهُمُ ... وَجَرَّحُوهُ بِأَنْيَابٍ وَأَضْرَاسِ ؟! ٩

١ الجُنُب : الغريب . في آل لأي : أي في مديح آل لأي . الاكياس ج كَيِّس وهو الظريف الخفيف المتوقّد الذهن ؛ والباء فيها زائدة . والمراد بالمعشر الزّبرقان وجماعته . ٢ مرى الناقة : مسَحَ ضرعها لتدرّ . الدرّة : اللبن . الإبساس : تسكين الناقة عند الحَلْب . — يقول : اني داريتكم وحاولت أن أملقكم فلم انل منكم شيئاً . ٣ المَتْح : نزع الدّلو وجَذبها من البئر . الإمراس : وَضع حبل البئر في البكَرَة بعد ان انزلقّ منها . — يقول : اني قصدتُ مدحكم لأرشدكم الى ما غاب عنكم من اسباب المجد فيكون لكم وحدكم الفضل في إنقاذي بجودكم من الهوّة التي انا فيها . ٤ الإيناء : الإتعاب، من « أوْنى » اي أتعَب . الصادرة : الراجعة من الماء . الخِمس : من أظماء الإبل، وهو أن ترعى ثلاثة ايام وترد الماء في الرابع . الحَوذ من حاذ الدابّة : اي ساقها سريعاً . التّنساس من نسّ الناقة اذا زجرها وساقها . — يقول : لقد انتظرتُ عطاءكم مجهَداً كناقة أعياها السير الحثيث . ٥ غيبُ أنفسكم : اي ما تضمره لي انفسكم من البغضاء . الآسي : الطبيب المداوي . ٦ النّوال : العطاء . ٧ المستوعِر : المكان الوعر . الشاسي : الغليظ . ٨ الهُون : الذّلّ . الأرماس ج رَمْس وهو القبر . ٩ القرى : الضيافة . هرّته كلابهم : نبحت عليه . — يقول : ان آل الزّبرقان كرهوا لقاءه فيا بينهم واضطهدوه ونهشوا عِرضه .

لَا ذَنْبَ لِي ٱلْيَوْمَ إِنْ كَانَتْ نُفُوسُكُمُ كَفَارِكٍ كَرِهَتْ ثَوْبِي وَإِلْبَاسِي : [١]
مَنْ يَفْعَلِ ٱلْخَيْرَ لَا يَعْدَمْ جَوَازِيَهُ لَا يَذْهَبُ ٱلْعُرْفُ بَيْنَ ٱللهِ وَٱلنَّاسِ ؛ [٢]
دَعِ ٱلْمَكَارِمَ، لَا تَرْحَلْ لِبُغْيَتِهَا، وَٱقْعُدْ فَإِنَّكَ أَنْتَ ٱلطَّاعِمُ ٱلْكَاسِي . [٣]

ميزة شعره : هجاء الحُطيئة لاذعٌ من غير فُحْش، فيه تهكُّم ينال في المهجوّ مقامه الاجتماعيّ وبخله وقعوده عن طلب المعالي، وفيه تكسُّب يكشف عن حاجة الشاعر الملحَّة الى المال . أمّا خيال الحطيئة في هذه القصيدة فهو خيالٌ مصوِّر لا تخلو صوره من خشونة .

٣٠ كرم العرب

[تنسب الى الحطيئة القصيدة التالية، وهي من الشعر القصصي الّا انها ليست في الديوان بل أُلحقت بـه في طبعات بعض المستشرقين . وهي في وصف اعرابي جواد، صاحب صيد، ألوف للفلوات .]

وَطَاوِي ثَلَاثٍ، عَاصِبِ ٱلْبَطْنِ، مُرْمِلٍ، بِبَيْدَاءَ لَمْ يَعْرِفْ بِهَا سَاكِنٌ رَسْمَا ؛ [٤]
أَخِي جَفْوَةٍ، فِيهِ مِنَ ٱلْإِنْسِ وَحْشَةٌ يَرَى ٱلْبُؤْسَ فِيهَا، مِنْ شَرَاسَتِهِ، نُعْمَا ؛ [٥]
تَفَرَّدَ فِي شِعْبٍ، عَجُوزًا إِزَاءَهَا ثَـلَاثَةُ أَشْبَاحٍ تَخَالُهُمُ بُهْمَا، [٦]
حُفَاةٌ، عُرَاةٌ، مَا ٱغْتَذَوْا خُبْزَ مَلَّةٍ، وَلَا عَرَفُوا لِلْبُرِّ، مُذْ خُلِقُوا، طَعْمَا ؛ [٧]
رَأَى شَبَحًا، وَسْطَ ٱلظَّلَامِ، فَرَاعَهُ ؛ فَلَمَّا بَدَا ضَيْفًا تَصَوَّرَ وَٱهْتَمَّا .
فَقَـالَ ٱبْنُهُ، لَمَّا رَآهُ بِحَيْرَةٍ : «أَيَا أَبَتِ ٱذْبَحْنِي! وَيَسِّرْ لَهُ طُعْمَا ؛

---

١ الفارك : المرأة المبغضة لزوجها . ٢ العُرف : المعروف . ٣ الطاعم : الآكل . الكاسي : اللابس . – يقول : دع المكارم فحسبُك من كل نُبلٍ وعملٍ عظيمٍ ان تكون آكلاً مكسوّاً . ٤ و ٥ طاوي ثلاث : يقال : فلان يطوي كذا يوماً او ليلة اي لا يأكل ولا يشرب ؛ والمعدودُ محذوف اي ثلاث ليالٍ . عاصب البطن : شادّ بطنه بعصابة من شدّة الجوع . المُرمِل : مَن نفد زاده وافتقر . الرسم : ما بقي بالارض من آثار الدار . الجفوة : الغلظة . الوحشة : النفور . البؤس : الشدّة والفقر . فيها : الضمير للبيداء . النُّعم : ضد البؤس . – يقول : ان ذلك الاعرابيّ المعدم الجائع يقيم في قفر نفوراً من الناس، وهو من الشراسة حتى ليعتد البؤس نعماً في بيدائه . ٦ و ٧ الشِّعب . ما انفرج بين جبلين . عجوزاً : منصوب بنزع الخافض اي بعجوزٍ . البُهْم ج بَهْمة : ولد الضأن والماعز . المَلّة : الرماد الحار . البُرّ : الحنطة .

وَلَا تَعْتَذِرْ بِالْعُدْمِ، عَلَّ ٱلَّذِي طَرَا ... يَظُنُّ لَنَا مَالًا، فَيُوسِعُنَا ذَمًّا!» [١]
فَرَوَّى قَلِيلًا، ثُمَّ أَحْجَمَ بُرْهَةً، ... وَإِنْ هُوَ لَمْ يَذْبَحْ فَتَاهُ، فَقَدْ هَمَّا... [٢]
وَقَالَ: «هَيَا رَبَّاهُ! ضَيْفٌ وَلَا قِرًى! ... بِحَقِّكَ، لَا تَحْرِمْهُ تَا ٱللَّيْلَةَ ٱللَّحْمَا!» [٣]
فَبَيْنَا هُمُ، عَنَّتْ عَلَى ٱلْبُعْدِ، عَانَةٌ ... قَدِ ٱنْتَظَمَتْ مِنْ خَلْفِ مِسْحَلِهَا نَظْمَا، [٤]
ظِمَاءٌ تُرِيدُ ٱلْمَاءَ؛ فَٱنْسَابَ نَحْوَهَا ... – أَلَا إِنَّهُ مِنْهَا إِلَى دَمِهَا أَظْمَا –
فَأَمْهَلَهَا حَتَّى تَرَوَّتْ عِطَاشُهَا، ... فَأَرْسَلَ فِيهَا مِنْ كِنَانَتِهِ سَهْمَا،
فَخَرَّتْ نَحُوصٌ، ذَاتُ جَحْشٍ، فَتِيَّةٌ، ... قَدِ ٱكْتَنَزَتْ لَحْمًا، وَقَدْ طُبِّقَتْ شَحْمَا. [٥]
فَيَا بِشْرَهُ إِذْ جَرَّهَا نَحْوَ أَهْلِهِ! ... وَيَا بِشْرَهُمْ لَمَّا رَأَوْا كَلْمَهَا يَدْمَى! [٦]
فَبَاتُوا كِرَامًا قَدْ قَضَوْا حَقَّ ضَيْفِهِمْ ... فَلَمْ يَغْرَمُوا غُرْمًا، وَقَدْ غَنِمُوا غُنْمَا. [٧]
وَبَاتَ أَبُوهُمْ، مِنْ بَشَاشَتِهِ، أَبًا ... لِضَيْفِهِمِ، وَٱلْأُمُّ، مِنْ بِشْرِهَا، أُمَّا.

ميزة شعره: قصيدة الحطيئة من أتمّ الشعر القصصي شروطاً وادقّه واروعه وقعاً؛ فهناك مقدمة يعرض فيها الاشخاص واحوالهم ثم عقدة يسرد فيها الحادثة وخاتمة يذكر فيها حال الجميع؛ كل ذلك باسلوب ينبض رشاقة وايجازاً، ويزيده التنقل بين الخبر والانشاء وحسن استعمال الالفاظ حياة ومتعة.

١ طرا: مخفّف طرأ على القوم: اتاهم على غير علم منهم. أوسعه ذمّاً: بالغ في ذمّه.
٢ و ٣ روّى في الامر: نظر فيه وفكّر. هَيَا اداة للنداء. ٤ عنّت: عرَضت. العانة: القطيع من الأتن الوحشية. المِسحَل: الحمار الوحشي. ٥ النّحوص: الأتان الوحشية. طبّقت شحماً: اي عمّها الشحم. ٦ الكَلْم: الجُرح. – ٧ غرِم – الدِّيَة والدَّينَ: أدّاها. الغُرْم: الدَّين.

النثر الجاهليّ

قُسُّ بن ساعدة الأيادي (توفي سنة ٦٠٠ م)

[كان اسقف نجران وخطيب العرب وحكيمها ، يدعو الى الله بالحكمة والموعظة الحسنة وقد قصد يوماً سوق عكاظ فاعتلى جملًا وأنشأ يُلقي خطبته الشهيرة[١] ويقول :]

٣١ خطبة قس بن ساعدة

أيها الناس ! اسمعوا وعوا[٢] . من عاش مات، ومن مات فات، وكلّ ما هو آتٍ آت، ليلٌ داجٍ[٣]، ونهارٌ ساجٍ[٤]، وسماءٌ ذاتُ أبراجٍ[٥]، ونجومٌ تَزهر، وبحارٌ تَزخَر، وجبالٌ مُرساة، وأرضٌ مُدحاة[٦]، وانهارٌ مُجراة، إنّ في السماء لخبرا، وإنّ في الارضِ لَعِبرا . ما بالُ الناسِ يذهبون ولا يَرجعون ؟ أرَضوا فأقاموا ؟ أم تُرِكوا فناموا ؟ يا معشر أياد، أينَ الآباء والاجداد، وأينَ الفراعنة[٧] الشداد ؟ ألَمْ يكونوا اكثرَ منكم مالًا، واطولَ آجالًا[٨] ؟ طَحنَهم الدهرُ بِكَلكَلِهِ[٩]، ومزّقهم بتطاولِهِ .

فِي ٱلذَّاهِبِينَ ٱلْأَوَّلِينَ مِنَ ٱلْقُرُونِ لَنَا بَصَائِرْ[١٠]

---

١ لهذه الخطبة روايات كثيرة منها ما اثبتناه في كتابنا تاريخ الادب العربي، ومنها ما اثبتناه في هذا الكتاب . ٢ عوا : فعل امر من وعى يعي : انتبه وتنبه . ٣ الداجي : المظلم . ٤ الساجي : الساكن لا حركة فلكية فيه ٥ الأبراج مفردها برج، وهي اثنا عشر برجاً تقابلها الشمس في طريقها طول السنة . ٦ المدحاة وقياسها مَدحوّة واستعمالها مُدحاة للمزاوجة مع مجراة ، ومدحوّة : مبسوطة . ٧ الفراعنة مفرده فرعون لقب ملوك مصر القدامى . ٨ الآجال مفردها أجَل : عُمر . ٩ الكلكل : الصدر واستعيرت للدهر مجازاً لبيان أنّ تعاقب أيام الدهر تطحن المرء كما تطحن الرحى الحبوب، بما يصادفه من مشاقّ واتعاب وأهوال . ١٠ بصائر مفردها بصيرة : العلم والخبرة .

لَمَّا رَأَيْتُ مَوَارِدًا لِلْمَوْتِ لَيْسَ لَهَا مَصَادِرْ[١]
وَرَأَيْتُ قَوْمِي نَحْوَهَا يَسْعَى ٱلْأَصَاغِرُ وَٱلْأَكَابِرْ
لَا يَرْجِعُ ٱلْمَاضِي إِلَيَّ وَلَا مِنَ ٱلْبَاقِينَ غَابِرْ[٢]
أَيْقَنْتُ أَنِّي لَا مَحَالَةَ حَيْثُ صَارَ ٱلْقَوْمُ صَائِرْ

ومن حكمه :

٣٢ حسن التصرّف

مَن عيّرك شيئاً ففيه مثله، ومَن ظلمكَ وجد مَن يظلمهُ، واذا نهيتَ عن شيء فابدأ بنفسك، وكن عفَّ العيلة[٣] مشترك الغنى، ولا تشاور مشغولاً وإن كان حازماً، ولا جائعاً وان كان فهماً، ولا مذعوراً وإن كان ناصحاً .

ومن شعره :

٣٣ سابكيكما طول الليالي . . .

[توفي له أخوان فوقف على قبريهما في دير سمعان فقال :]

خَلِيلَيَّ هُبَّا طَالَمَا قَدْ رَقَدْتُمَا أَجِدَّكُمَا لَا تَقْضِيَانِ كَرَاكُمَا[٤]
أَلَمْ تَعْلَمَا أَنِّيَ بِسِمْعَانَ مُفْرَدٌ وَمَا لِيَ فِيهِ مِنْ حَبِيبٍ سِوَاكُمَا ؟
أُقِيمُ عَلَى قَبْرَيْكُمَا، لَسْتُ بَارِحاً طِوَالَ ٱللَّيَالِي أَوْ يُجِيبَ صَدَاكُمَا[٥]
جَرَى ٱلْمَوْتُ مَجْرَى ٱللَّحْمِ وَٱلْعَظْمِ مِنْكُمَا كَأَنَّ ٱلَّذِي يَسْقِي ٱلْعُقَارَ سَقَاكُمَا !

---

١ ورد الماء : أتاه ليشرب وصدر عنه : رجع ومعناه هنا الموت وعدم الرجوع منه . ٢ الغابر: المقيم . ٣ العَيْلة : الفقر . ٤ أجدّ كما : أي استحلفكما بنفسكما، ونصبه بنزع الخافض .
٥ بارحاً من برِحَ المكان اي غادره . الصّدى : هو، على ما تقول جاهلية العرب، طائر يُخلق من رأس المقتول ولا يزال يصيح في رأسه اذا لم يؤخذ بثأره يقول : اسقوني اسقوني، حتى يُقتل قاتله ولذلك قيل له صدى . وقد استعمل هنا للميْت مُطلقاً .

فَلَوْ جُعِلَتْ نَفْسٌ لِنَفْسٍ وِقَايَةً لَجُدْتُ بِنَفْسِي أَنْ تَكُونَ فِدَاكُمَا
سَأَبْكِيكُمَا طُولَ ٱللَّيَالِي، وَمَا ٱلَّذِي يَرُدُّ عَلَى ذِي عَوْلَةٍ إِنْ بَكَاكُمَا؟ [١]

ميزته : إن صحّ ما نُقل لنا من نثره وشعره يكون أن اسلوبه بعيد عن الصنعة كثير السجع، قصير الفواصل، يعمد فيه الى ضرب الامثال وارسال الحكم . ونرى ان في شعره رقة تعبير يحسّها القارئ ويشعر بما كان عليه الرجُل من زهدٍ وانقطاع عن زخرف الدنيا .

---

١ العَولة : البكاء .

العهد الراشدي والأموي

(٦٢٢ – ٧٥٠ م/ ١ – ١٣٢ هـ)

٣٤ مقتطفات قرآنية

إنَّ في خَلقِ ٱلسَّماوَاتِ وَٱلأَرضِ وَٱختِلافِ ٱللَّيلِ وَٱلنَّهارِ لَآياتٍ لِأُولي ٱلأَلبابِ ٱلَّذِينَ يَذكُرُونَ ٱللهَ قِياماً وَقُعُوداً وَعَلى جُنُوبِهِم وَيَتَفَكَّرُونَ في خَلقِ ٱلسَّماوَاتِ وَٱلأَرضِ، رَبَّنا ما خَلَقتَ هٰذا باطِلاً سُبحانَكَ فَقِنا عَذابَ ٱلنَّارِ. (سورة آل عمران — مدنية : ١٨٩ — ١٩٠).

وَقَضى رَبُّكَ أَلَّا تَعبُدُوا إلَّا إيَّاهُ وَبِالوالِدَينِ إحساناً إمَّا يَبلُغَنَّ عِندَكَ ٱلكِبَرَ أَحَدُهُما أَو كِلاهُما فَلا تَقُل لَهُما أُفٍّ وَلا تَنهَرهُما وَقُل لَهُما قَولاً كَرِيماً. وَٱخفِض لَهُما جَناحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحمَةِ وَقُل رَبِّ ٱرحَمهُما كَما رَبَّياني صَغِيراً. رَبُّكُم أَعلَمُ بِما في نُفُوسِكُم إن تَكُونُوا صالِحِينَ فَإنَّهُ كانَ لِلأَوَّابِينَ غَفُوراً. وَآتِ ذا ٱلقُربى حَقَّهُ وَٱلمِسكِينَ وَٱبنَ ٱلسَّبِيلِ وَلا تُبَذِّر تَبذِيراً، إنَّ ٱلمُبَذِّرِينَ كانُوا إخوانَ ٱلشَّياطِينِ وَكانَ ٱلشَّيطانُ لِرَبِّهِ كَفُوراً، وَإمَّا تُعرِضَنَّ عَنهُمُ ٱبتِغاءَ رَحمَةٍ مِن رَبِّكَ تَرجُوها فَقُل لَهُم قَولاً مَيسُوراً. وَلا تَجعَل يَدَكَ مَغلُولَةً إلى عُنُقِكَ وَلا تَبسُطها كُلَّ ٱلبَسطِ فَتَقعُدَ مَلُوماً مَحسُوراً إنَّ رَبَّكَ يَبسُطُ ٱلرِّزقَ لِمَن يَشاءُ وَيَقدِرُ إنَّهُ كانَ بِعِبادِهِ خَبِيراً بَصِيراً. وَلا تَقتُلُوا أَولادَكُم خَشيَةَ إملاقٍ نَحنُ نَرزُقُهُم وَإيَّاكُم إنَّ قَتلَهُم كانَ خِطئاً كَبِيراً. (سورة الاسراء — مكية : ٢٢ — ٣١).

ٱللهُ نُورُ ٱلسَّماوَاتِ وَٱلأَرضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشكاةٍ فِيها مِصباحٌ ٱلمِصباحُ في زُجاجَةٍ ٱلزُّجاجَةُ كَأَنَّها كَوكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُبارَكَةٍ زَيتُونَةٍ لا شَرقِيَّةٍ وَلا غَربِيَّةٍ يَكادُ زَيتُها يُضِيءُ وَلَو لَم تَمسَسهُ نارٌ نُورٌ عَلى نُورٍ يَهدِي ٱللهُ لِنُورِهِ مَن يَشاءُ وَيَضرِبُ ٱللهُ ٱلأَمثالَ لِلنَّاسِ وَٱللهُ بِكُلِّ شَيءٍ عَلِيمٌ. (سورة النور — مدنية : ٣٤ — ٣٥).

ميزة هذه المقتطفات : إنَّ من أنعم النظر في هذه الآيات وَجد فيها بلاغة عجيبة؛ فالمعاني الرفيعة مصبوبة في قالب فريد من القوّة والإيجاز والموسيقى، تنطلق معها الالفاظ ناطقةً، والعباراتُ كأنها البنيان المرصوص، والكلُّ يستأثر بالقلب والنَّفس ويترك فيها أثراً بعيداً.

الباب الاول

شِعر النضال الديني

كَعْب بن زُهَيْر (توفي سنة ٦٦٢ م/٢٤ هـ)

[غضب كعب لإسلام أخيه بُجَير وكان قد نهاه عنه، وهجاه وهجا النبيّ فأهدر دَمه، فحذّره أخوه العاقبة إلا أن يجيء الى محمد مُسلِماً تائباً، فهام كعب يترامى على القبائل أن تُجيره، فلم يُجِره أحد. فلمّا ضاقت الارض في وجهه جاء أبا بكر بالمدينة وتوسّل به الى محمد، فأقبل به عليه، وأنشده قصيدته المشهورة التي نجتزئ منها بما يلي :]

٣٥ بانت سُعاد

بَانَتْ سُعَادُ فَقَلْبِي ٱلْيَوْمَ مَتْبُولُ　مُتَيَّمٌ إِثْرَهَا، لَمْ يُفْدَ، مَكْبُولُ[١]
وَمَا سُعَادُ غَدَاةَ ٱلْبَيْنِ إِذْ رَحَلُوا　إِلَّا أَغَنُّ غَضِيضُ ٱلطَّرْفِ مَكْحُولُ[٢] . . .
وَيْلُ ٱمِّهَا خُلَّةً لَوْ أَنَّهَا صَدَقَتْ　بِوَعْدِهَا وَلَوَ انَّ ٱلنُّصْحَ مَقْبُولُ[٣]
لٰكِنَّهَا خُلَّةٌ قَدْ سِيطَ مِنْ دَمِهَا　فَجْعٌ وَوَلْعٌ وَإِخْلَافٌ وَتَبْدِيلُ[٤]
فَمَا تَدُومُ عَلَى حَالٍ تَكُونُ بِهَا　كَمَا تَلَوَّنُ فِي أَثْوَابِهَا ٱلْغُولُ[٥]

---

١ بانَت : فارقت، ابتعدت . المتبول : الذي أسقمه الحبّ واضعفه . المتيَّم : الذي استولى عليه الهوى وذلّله . المكبولُ : المقيّد . ٢ البَيْن : الفراق . الأغنّ : صفة للظّبي، وهو الذي يُخرج صوته من خياشيمه . غضيض الطّرْف : فاتر الاجفان مُسترْخيها . ٣ ويل امها : في رواية ابن هشام « اكرم بها » . الخلّة : الصديقة . ٤ ساط الشيءَ : خلطه أو هو أن يجمع شيئين في الإناء ثم يضربها بيده حتى يختلطا . الفَجْع : الإصابة بمكروه . الوَلْع : الكذب . الإخلاف : عدم التقيّد بالوعد . ٥ الغولُ : من خُرافات العرب يزعمون انها تتراءى لهم في الفلوات وتتلون لهم وتضلّهم عن الطريق .

وَلَا تَمَسَّكُ بِالعَهْدِ ٱلَّذِي زَعَمَتْ إِلَّا كَمَا يُمسِكُ ٱلمَاءَ ٱلغَرَابِيلُ
أَمسَتْ سُعَادُ بِأَرْضٍ لَا يُبَلِّغُهَا إِلَّا ٱلعِتَاقُ ٱلنَّجِيبَاتُ ٱلمَرَاسِيلُ[1]

* * *

نُبِّئْتُ أَنَّ رَسُولَ ٱللهِ أَوْعَدَنِي وَٱلعَفْوُ عِندَ رَسُولِ ٱللهِ مَأْمُولُ[2]
مَهْلًا هَدَاكَ ٱلَّذِي أَعطَاكَ نَافِلَةَ ٱلقُرْآنِ فِيهَا مَوَاعِيظٌ وَتَفصِيلُ[3]
لَا تَأْخُذَنِّي بِأَقوَالِ ٱلوُشَاةِ، وَلَمْ أُذْنِبْ، وَلَوْ كَثُرَتْ فِيَّ ٱلأَقَاوِيلُ ...
مَا زِلْتُ أَقتَطِعُ ٱلبَيْدَاءَ مُدَّرِعًا جُنْحَ ٱلظَّلَامِ، وَثَوْبُ ٱللَّيْلِ مَسْبُولُ[4]
حَتَّى وَضَعْتُ يَمِينِي مَا أُنَازِعُهَا فِي كَفِّ ذِي نَقِمَاتٍ قَوْلُهُ ٱلقِيلُ[5]
إِنَّ ٱلرَّسُولَ لَنُورٌ يُستَضَاءُ بِهِ مُهَنَّدٌ مِنْ سُيُوفِ ٱللهِ مَسْلُولُ[6]
فِي عُصْبَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ قَالَ قَائِلُهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ لَمَّا أَسْلَمُوا : «زُولُوا»[7]
زَالُوا فَمَا زَالَ أَنْكَاسٌ وَلَا كُشُفٌ عِنْدَ ٱللِّقَاءِ وَلَا مِيلٌ مَعَازِيلُ[8] ...

ميزة شعره : غَزَل كعب منقبض العاطفة، ومَدحُه دُفَعٌ من الموج زاخرة بالمعاني الجميلة، وقد سيطر الخيال الحسّيّ على شعره فهو لا يرى الاشياء، ويُحِسُّها ويعبّر عنها إلا عن طريق المخيّلة المدقِّقة التي تحوّلُ العاطفة والفكرة الى صورة .

---

١ العتاق : الإبل والخيل الكريمة . النجيبات : الكريمة السريعة من الإبل . المراسيل ج مِرْسال وهو السّريع . ٢ أوعدني : هدّدني . ٣ نافلة القرآن: عطيّة القرآن . التفصيل : التّبيين .
٤ جنح الظلام : الطائفة من الليل ؛ مدّرعاً جنح الظّلام : أي لابساً الظلام كالدّرع . ثوب الليل مسبول : اي ظلام الليل شاملٌ الموجودات . ٥ ما أنازعها : اي لا أجذبها . القيل : اي القولُ الحقّ . ٦ اي انه سيف هدى . لما سمع محمد هذا البيت خلع على الشاعر بُردته .
٧ قائلهم : هو عمر بن الخطاب . زولوا : اي انتقلوا من مكة الى المدينة . ٨ الانكاس ج نِكْس وهو الضعيف . الكُشُف ج أَكْشَف وهو من لا تُرسَ له . الميل ج أميَل وهو من لا سيف له او من لا يحسن الركوب . المعازيل ج معزول وهو من لا سلاح له .

الباب الثاني

شعر اللهو

الغزل البدوي :

جميل بن مَعْمَر (توفي سنة ٧٠١ م/٨٢ هـ)

[جميل بن عبدالله بن مَعْمَر هو النفس المحبّة، المتهالكة في حبّها . علق ابنة عمه بُثينة بنت حبأ بن حُنّ من ربيعة، وكانا يقيمان في وادي القرى بالحجاز ؛ ويُروى أن السبب الذي جعل جميلا يعلق بها أنه أقبل يوماً بإبله حتى أوردها وادياً يُقال له بَغيض، فاضّجع وأرسل إبله ترعى، وأهل بثينة يومئذ في جانب الوادي، فأقبلت بثينة وجارية لها واردتين الماء . فمرّتا على فصال له بُروك فنفرتهنّ بُثينة، فقال قد نفرتهنّ، وكانت اذ ذاك جويرية صغيرة، فسبّها جميل، فبادلته السبّ وشتمته هي ايضاً، فاستحسن سبابها وهامَ بها من ذاك الحين، وفي ذلك يقول :]

وَأَوَّلُ مَا قَادَ ٱلْمَوَدَّةَ بَيْنَنَا ... بِوَادِي بَغِيضٍ، يَا بُثَيْنَ، سِبَابُ
وَقُلْنَا لَهَا قَوْلًا فَجَاءَتْ بِمِثْلِهِ : ... لِكُلِّ كَلَامٍ يَا بُثَيْنَ جَوَابُ

[واشتهر حبّ جميل لبثينة، وتحدّث به الذاهب والآيب، حتى قيل : « جميل بُثينة » . ولما خطب الشاعر بُثينة إلى اهلها، ردّوه خشية ان يعيّرهم الناس لقوله فيها الشعر واشتهار حبّه لها، وآثروا تزويجها فتى من عذرة يقال له نُبيه بن الأسود. فشقّ الامر على جميل، وكان يزورها خفية، فتعرّض له أهلها وأنسباؤها غير مرّة للايقاع به فدفعهم عنه معتزًا بسيفه، وقد قال في ذلك :]

٣٦ يقولون مَن هذا وقد عرفوني

حَلَفْتُ بِرَبِّ ٱلرَّاقِصَاتِ إِلَى مِنًى هُوِيَّ ٱلْقَطَا يَجْتَزْنَ بَطْنَ دَفِينِ [١]
لَقَدْ ظَنَّ هٰذَا ٱلْقَلْبُ أَنْ لَيْسَ لَاقِياً سُلَيْمَى وَلَا أُمَّ ٱلْحُسَيْنِ لِحِينِ [٢]
فَلَيْتَ رِجَالًا فِيكِ قَدْ نَذَرُوا دَمِي وَهَمُّوا بِقَتْلِي، يَا بُثَيْنَ، لَقُونِي !
إِذَا مَا رَأَوْنِي طَالِعاً مِنْ ثَنِيَّةٍ يَقُولُونَ: «مَنْ هٰذَا؟» وَقَدْ عَرَفُونِي [٣]
يَقُولُونَ لِي: أَهْلًا وَسَهْلًا وَمَرْحَباً وَلَوْ ظَفِرُوا بِي خَالِياً قَتَلُونِي ...
وَلَوْ أَرْسَلَتْ يَوْماً بُثَيْنَةُ تَبْتَغِي يَمِينِي، وَلَوْ عَزَّتْ عَلَيَّ يَمِينِي،
لَأَعْطَيْتُهَا مَا جَاءَ يَبْغِي رَسُولُهَا وَقُلْتُ لَهَا بَعْدَ ٱلْيَمِينِ: سَلِينِي
سَلِينِي مَالِي يَا بُثَيْنَ، فَإِنَّمَا يُبَيَّنُ عِنْدَ ٱلْمَالِ كُلُّ ضَنِينِ [٤]
فَمَا لَكِ لَمَّا خَبَّرَ ٱلنَّاسُ أَنَّنِي أَسَأْتُ بِظَهْرِ ٱلْغَيْبِ لَمْ تَسَلِينِي [٥]
فَأُبْلِيَ عُذْرًا أَوْ أَجِيءَ بِشَاهِدٍ مِنَ ٱلنَّاسِ عَدْلٍ: أَنَّهُمْ ظَلَمُونِي [٦]
بُثَيْنَ ٱلْزَمِي لَا، إِنَّ لَا، إِنْ لَزِمْتِهِ، عَلَى كَثْرَةِ ٱلْوَاشِينَ، أَيُّ مَعُونِ [٧]
لَحَا ٱللهُ مَنْ لَا يَنْفَعُ ٱلْوَعْدُ عِنْدَهُ وَمَنْ حَبْلُهُ، إِنْ مُدَّ، غَيْرُ مَتِينِ
وَمَنْ هُوَ ذُو وَجْهَيْنِ لَيْسَ بِدَائِمٍ عَلَى ٱلْعَهْدِ حَلَّافٌ بِكُلِّ يَمِينِ
وَلَسْتُ، وَإِنْ عَزَّتْ عَلَيَّ، بِقَائِلٍ لَهَا بَعْدَ صَرْمٍ: يَا بُثَيْنَ صِلِينِي ! [٨]

[وراح الشعراء من أنسباء بثينة يرشقون جميلًا بالهجاء، وقد اعترضه بنوع خاص عبدالله بن قُطبة احد بني الأحبّ وهو من رهطها الأدنين فهجاه، فردّ عليه جميل فغلبه، فاستعدى بنو الاحبّ عليه عامر بن رِبْعيّ ابن دجاجة، وكان والياً

١ الراقصات من رقص البعير اذا خبّ ؛ فالراقصات هنّ الإبل تسير خبباً . مِنى : موضع بمكة .
هويّ القطا : اي تهوي كما يهوي القطا . دفين : اسم موضع . ٢ سلَيْمى وامّ الحسين : اختان لبثينة . ٣ الثنيّة : العقبة او طريقها، او الجبل او الطريقة فيه ؛ يقال : فلان طلاع الثنايا اذا كان سامياً لمعالي الأمور . ٤ الضنين : البخيل . ٥ أسأتُ بظهر الغيب : أسأتُ اليكِ في غيابكِ . ٦ فأبلي عذراً : أقدّم عذراً فيُقبل . ٧ المَعون : المعونة .
٨ الصّرم : الهجر والقطيعة .

على بلاد عُذرة، وقالوا : « يهجونا ويغشى بيوتَنا، وينسب بنسائنا » . فأباحهم الوالي دمَه، وطلب جميلاً فهرب منه، وغضبت بثينة لهجائه أهلها جميعاً، فقال في ذلك :]

٣٧ وما صائبٍ من نابلٍ ...

وَمَا صَائِبٌ مِنْ نَابِلٍ قَذَفَتْ بِهِ   يَدٌ، وَمُمَرُّ ٱلْعُقْدَتَيْنِ وَثِيقُ [١]
لَهُ مِنْ خَوَافِي ٱلنَّسْرِ حُمٌّ نَظَائِرٌ   وَنَصْلٌ كَنَصْلِ ٱلزَّاعِبِيِّ فَتِيقُ [٢]
عَلَى نَبْعَةٍ زَوْرَاءَ، أَمَّا خِطَامُهَا   فَمَتْنٌ، وَأَمَّا عُودُهَا فَعَتِيقُ [٣]
بِأَوْشَكَ قَتْلاً مِنْكِ يَوْمَ رَمَيْتِنِي   نَوَافِذَ لَمْ تَظْهَرْ لَهُنَّ خُرُوقُ [٤]
تَفَرَّقَ أَهْلانَا، بُثَيْنَ، فَمِنْهُمُ   فَرِيقٌ أَقَامُوا، وَٱسْتَمَرَّ فَرِيقُ
فَلَوْ كُنْتُ خَوَّارًا لَقَدْ بَاحَ مُضْمَرِي   وَلٰكِنَّنِي صُلْبُ ٱلْقَنَاةِ عَرِيقُ [٥]
كَأَنْ لَمْ نُحَارِبْ يَا بُثَيْنَ، لَوَ ٱنَّهُ   تَكَشَّفُ غُمَّاهَا وَأَنْتِ صَدِيقُ [٦]

[وضاقت الدنيا بعيني جميل، فراح يضرب في الارض، وكان يصعد في الليل الى كثيب رمل ويتنسّم الريح من نحو حيّ بُثينة ويقول :]

أَيَا رِيحَ ٱلشَّمَالِ أَمَا تَرَيْنِي   أَهِيمُ وَإِنَّنِي بَادِي ٱلنُّحُولِ؟
هَبِي لِي نَسْمَةً مِنْ رِيحِ بُثْنٍ   وَمُنِّي بِٱلْهُبُوبِ إِلَى جَمِيلِ
وَقُولِي: يَا بُثَيْنَةُ، حَسْبُ نَفْسِي   قَلِيلُكِ أَوْ أَقَلُّ مِنَ ٱلْقَلِيلِ

---

١ صائب : نعت لموصوف محذوف اي سهم صائب . النّابل : من يرمي النَّبْل عن القوس . مُمَرّ : شديد الفتل واراد به وتر القوس . ٢ الخوافي : الريش الصغير تحت قوادم جناح الطائر . الحُمّ ج أحمّ وهو الاسْوَد . النظائر : المشابهة ؛ يريد بذلك الريش الذي يُراش به السهم . الزاعبيّ : الرمح . الفتيق : الحادّ . ٣ النبعة : شجر تتخذ منه الرماح، والمراد بالنبعة هنا القوس بعينها . الزّوراء : المعوّجة . الخطام : وتر القوس . المَتْن : القويّ . العتيق : القديم . ٤ بأوشك : بأسرع . الخروق : الثقوب . ٥ الخوّار : الضعيف لا بقاء له على الشدّة . مضمري : ما أضمِر اي اخفي في ضميري . صُلب القناة : شديد . العريق : الكريم الاصل . ٦ الغُمّى : الداهية، والامر الشديد لا يتّجه له .

[فاذا ظهر الصبح انصرف، وكانت بُثينة تقول، على ما يُروى، لِجوارٍ من الحيِّ عندها : « ويحكنّ إني لأسمعُ أنين جميل من بعض الغيران » . فيقُلن لها : « اتّقي الله، فهذا شيء يُخيّله لكِ الشيطان لا حقيقة له » . ولم يمض زمن حتى وقع الصلح بين جميل وبثينة وضرب معها موعداً للقاء، إلا ان قومها وجدوه عندها، فتوعّدوه وكرهوا أن ينشب بينهم وبين قومه حرب في دمه — وكان قومه اعزَّ من قومها — فأعادوا شكواه الى العامل، وشكوه الى مروان بن هشام الحضرمي والي تيماء من قِبل عبد الملك فطلبه طلباً شديداً، فهرب الى اليمن، وأقام بها مدّةً، وفي ذلك يقول :]

٣٨ ألمّ خيالٌ

أَلَمَّ خَيَالٌ مِنْ بُثَيْنَةَ طَارِقُ ... عَلَى ٱلنَّأْيِ مُشْتَاقٌ إِلَيَّ وَشَائِقُ [1]
سَرَتْ مِنْ تِلَاعِ ٱلْحِجْرِ حَتَّى تَخَلَّصَتْ ... إِلَيَّ وَدُونِي ٱلْأَشْعَرُونَ وَغَافِقُ [2]
كَأَنَّ فَتِيتَ ٱلْمِسْكِ خَالَطَ نَشْرَهَا ... تُغَلُّ بِهِ أَرْدَانُهَا وَٱلْمَرَافِقُ [3] . . .
وَهَجْرُكِ مِنْ تَيْمَا بَلَاءٌ وَشِقْوَةٌ ... عَلَيْكَ مَعَ ٱلشَّوْقِ ٱلَّذِي لَا يُفَارِقُ
أَلَا إِنَّهَا لَيْسَتْ تَجُودُ لِذِي ٱلْهَوَى ... بَلِ ٱلْبُخْلُ مِنْهَا شِيمَةٌ وَٱلْخَلَائِقُ
وَمَاذَا عَسَى ٱلْوَاشُونَ أَنْ يَتَحَدَّثُوا ... سِوَى أَنْ يَقُولُوا: إِنَّنِي لَكِ عَاشِقُ
نَعَمْ صَدَقَ ٱلْوَاشُونَ أَنْتِ كَرِيمَةٌ ... عَلَيَّ، وَإِنْ لَمْ تَصْفُ مِنْكِ ٱلْخَلَائِقُ

[وقال عندما طارده مروان بن هشام الحضرميّ والي تيماء :]

---

١ ألمّ : نزل . الطارق : من يجيء ليلاً . النأي : البُعد . الشائق : الذي يحمل على الشوق
٢ التلاع ج تَلعة : وهي ما ارتفع من الأرض . الحِجْر : من ديار ثمود بين المدينة والشام، وهي موطن جميل وبثينة . الأشعرون : قبيلة يمنية . غافق : قبيلة ازديّة يمنيّة ٣ النشر : الريح المنتشرة : الأردان : اكمام الثوب . المرافق : السواعد . يقول : ان رائحتها كرائحة المسك وقد انتشرت في ثيابها وساعديها .

٣٩ هي السحر

أَتَانِيَ عَنْ مَرْوَانَ بِالْغَيْبِ أَنَّهُ ... مُقِيدٌ دَمِي أَوْ قَاطِعٌ مِنْ لِسَانِيَا[1]
فَفِي الْعِيسِ مَنْجَاةٌ وَفِي الْأَرْضِ مَذْهَبٌ ... إِذَا نَحْنُ رَفَّعْنَا لَهُنَّ الْمَثَانِيَا[2]...
أَقُولُ لِدَاعِي الْحُبِّ، وَالْحِجْرُ بَيْنَنَا ... وَوَادِي الْقُرَى: لَبَّيْكَ! لَمَّا دَعَانِيَا
وَعَاوَدْتُ مِنْ خِلٍّ قَدِيمٍ صَبَابَتِي ... وَأَظْهَرْتُ مِنْ وَجْدِي الَّذِي كَانَ خَافِيَا
وَقَالُوا: بِهِ دَاءٌ عَيَاءٌ أَصَابَهُ؛ ... وَقَدْ عَلِمَتْ نَفْسِي مَكَانَ دَوَائِيَا
أَمَضْرُوبَةٌ لَيْلَى عَلَى أَنْ أَزُورَهَا ... وَمُتَّخِذٌ ذَنْبًا لَهَا أَنْ تَرَانِيَا[3]
هِيَ السِّحْرُ إِلَّا أَنَّ لِلسِّحْرِ رُقْيَةً ... وَإِنِّيَ لَا أُلْفِي لَهَا الدَّهْرَ رَاقِيَا...
أُحِبُّ مِنَ الْأَسْمَاءِ مَا وَافَقَ اسْمَهَا ... وَأَشْبَهَهُ أَوْ كَانَ مِنْهُ مُدَانِيَا
وَدِدْتُ، عَلَى حُبِّ الْحَيَاةِ، لَوْ أَنَّهَا ... يُزَادُ لَهَا فِي عُمْرِهَا مِنْ حَيَاتِيَا...
وَأَنْتِ الَّتِي إِنْ شِئْتِ أَشْقَيْتِ عِيشَتِي ... وَإِنْ شِئْتِ، بَعْدَ اللهِ، أَنْعَمْتِ بَالِيَا
وَأَنْتِ الَّتِي مَا مِنْ صَدِيقٍ وَلَا عِدًا ... يَرَى نِضْوَ مَا أَبْقَيْتِ إِلَّا رَثَى لِيَا[4]
وَمَا زِلْتِ بِي، يَا بُثْنَ، حَتَّى لَوَ انَّنِي ... مِنَ الْوَجْدِ أَسْتَبْكِي الْحَمَامَ بَكَى لِيَا
إِذَا خَدِرَتْ رِجْلِي وَقِيلَ شِفَاؤُهَا ... دُعَاءُ حَبِيبٍ كُنْتِ أَنْتِ دُعَائِيَا[5]...
وَمَا أَحْدَثَ النَّأْيُ الْمُفَرِّقُ بَيْنَنَا ... سُلُوًّا، وَلَا طُولُ اجْتِمَاعٍ تَقَالِيَا[6]
وَلَا زَادَنِي الْوَاشُونَ إِلَّا صَبَابَةً ... وَلَا كَثْرَةُ الْوَاشِينَ إِلَّا تَمَادِيَا
أَلَمْ تَعْلَمِي يَا عَذْبَةَ الرِّيقِ أَنَّنِي ... أَظَلُّ، إِذَا لَمْ أَلْقَ وَجْهَكِ، صَادِيَا[7]
لَقَدْ خِفْتُ أَنْ أَلْقَى الْمَنِيَّةَ بَغْتَةً ... وَفِي النَّفْسِ حَاجَاتٌ إِلَيْكِ، كَمَا هِيَا
وَإِنِّي لَيُنْسِينِي لِقَاؤُكِ، كُلَّمَا ... لَقِيتُكِ يَوْمًا، أَنْ أَبُثَّكِ مَا بِيَا

---

١ مقيدٌ دمي: اي سافكٌ دمي. ٢ العيس: الإبل الكريمة. المثاني: الحبال من صوف أو من شعر. يقول: نمى إليّ ان مروان يريد قتلي ولكنّ دون مروان إبلاً كريمة تنجو على ظهرهنّ من سطوته اذا ما رفعت لهنّ الحبال وسرتُ بهنّ عدواً سريعاً. ٣ ليلى: كناية عن بثينة.
٤ النِّضو: الهزيل. ٥ كان من عادتهم اذا خدرت رجل احدٍ ان يدعو من يحبّ.
٦ التقالي: التباغض. ٧ الصادي: الظمآن.

[ولم يزل جميل في اليمن الى ان عُزل الوالي، فرجع اذ ذاك الى ارض بثينة، فشكا أكابر الحيّ الى أبيه، وناشدوه الله والرَّحِم ، وسألوه كفَّ ابنه عن فتاتهم وعن التشبيب بها، فوعدهم كفَّه ومنعه ما استطاع . فدعا به وأنّبه ونصح له . فقال له جميل : « الرأي ما رأيت والقول كما قلت . . . والله لو قدرتُ ان امحو ذكرها من قلبي او ازيل شخصها عن عيني لفعلت، ولا سبيل الى ذلك، وانما هو بلاء بليت به لحينٍ قد أُتيحَ لي ، ولكن أنا أمتنع عن طُروق هذا الحيّ والإلمام به ولو مُتُّ كمداً، وهذا جُهدي ومبلغ ما أقدر عليه » . وقام وهو يبكي، فبكى أبوه ومَن حضر جزَعاً لما رأوا منه، ثم أنشد :]

أَلَا مَنْ لِقَلْبٍ لَا يَمَلُّ فَيَذْهَلُ ... أَفِقْ فَالتَّعَزِّي عَنْ بُثَيْنَةَ أَجْمَلُ
سَلَا كُلُّ ذِي وُدٍّ عَلِمْتُ مَكَانَهُ ... وَأَنْتَ بِهَا حَتَّى ٱلْمَمَاتِ مُوَكَّلُ
فَمَا هٰكَذَا أَحْبَبْتَ مَنْ كَانَ قَبْلَهَا ... وَلَا هٰكَذَا فِيمَا مَضَى كُنْتَ تَفْعَلُ
فَيَا قَلْبُ دَعْ ذِكْرَى بُثَيْنَةَ إِنَّهَا، ... وَإِنْ كُنْتَ تَهْوَاهَا، تَضِنُّ وَتَبْخَلُ
وَقَدْ أَيْأَسَتْ مِنْ نَيْلِهَا، وَتَجَهَّمَتْ ... وَلَلْيَأْسُ، إِنْ لَمْ يُقْدَرِ ٱلنَّيْلُ، أَمْثَلُ[1] . . .
وَآخِرُ عَهْدِي، مِنْ بُثَيْنَةَ، نَظْرَةٌ ... عَلَى مَوْقِفٍ كَادَتْ مِنَ ٱلْبَيْنِ تَقْتُلُ
فَلِلّٰهِ عَيْنَا مَنْ رَأَى مِثْلَ حَاجَةٍ ... كَتَمْتُكِهَا، وَٱلنَّفْسُ مِنْهَا تَمَلْمَلُ
وَإِنِّي لَأَسْتَبْكِي، إِذَا ذُكِرَ ٱلْهَوَى، ... إِلَيْكِ، وَإِنِّي مِنْ هَوَاكِ لَأَوْجَلُ . . .
إِذَا مَا كَرَرْتُ ٱلطَّرْفَ نَحْوَكِ رَدَّهُ ... مِنَ ٱلْبُعْدِ فَيَّاضٌ مِنَ ٱلدَّمْعِ يَهْمِلُ[2]

[ولكن وَعد جميل كان دخاناً، فعاودته ذكرى بثينة، وراح يتحيَّن الفرص للقائها، وكان يقول مخاطباً طيفها :]

إِرْحَمِينِي فَقَدْ بُلِيتُ، فَحَسْبِي ... بَعْضُ ذَا ٱلدَّاءِ، يَا بُثَيْنَةُ حَسْبِي
لَامَنِي فِيكِ، يَا بُثَيْنَةُ، صَحْبِي ... لَا تَلُومُوا، قَدْ أَقْرَحَ ٱلْحُبُّ قَلْبِي
زَعَمَ ٱلنَّاسُ أَنَّ دَائِيَ طِبِّي، ... أَنْتِ وَٱللّٰهِ يَا بُثَيْنَةُ طِبِّي[3]

١ الأمثل : الأفضل . ٢ يهمِل : يجري بشدة . ٣ دائي : حبي . دائي طبي : اي أن احبَّ غيرها .

[وراح جميل يضرب في الارض متشرّداً يائساً الى ان بلغ مصر . وقد روي عن رجل شاهد جميلًا لما حضرته الوفاة بمصر، قال انه دعاه فقال هل لـك في ان أعطيك كل ما أُخلّفه على ان تفعل شيئاً أعهده اليـك . قال فقلتُ اللهمّ نعم . قال اذا انا متُّ فخذ حلّتي هـذه التي في عَيبتي، فاعزلها جانباً، ثم كل شيء سواها لك . وارحل الى رهط بني الأحبّ من عذرة، وهم رهط بثينة، فاذا صرت اليهم فارتحل ناقتي هذه واركبها، ثم البس حلّتي هذه واشققها، ثم اعلُ على شرف، وصح بهذه الابيات وخلاك ذمّ، ثم انشدني هذه الابيات :]

صَدَعَ ٱلنَّعِيُّ وَمَا كَنَى بِجَمِيلِ وَثَوَى بِمِصْرَ ثَوَاءَ غَيْرِ قَفُولِ
وَلَقَدْ أَجُرُّ ٱلذَّيْلَ فِي وَادِي ٱلْقِرَى نَشْوَانَ بَيْنَ مَزَارِعٍ وَنَخِيلِ
قُومِي بُثَيْنَةُ فَٱنْدُبِي بِعَوِيلِ وَٱبْكِي خَلِيلَكِ دُونَ كُلِّ خَلِيلِ

[قال فلمّا قضى وواريتُه أتيتُ رهط بثينة، ففعلت ما أمرني به جميل فما استتممتُ الابيات حتى برزت اليَّ امرأة يتبعها نسوة قـد فرعتهنّ طولًا، وبرزت امامهنّ كأنها بدر قد برز في دجنة، حتى أتتني فقالت : يا هذا والله لـئن كنتَ صادقاً لقد قتلتني، ولئن كنتَ كاذباً لقد فضحتني . قلتُ مـا أنا إلا صادقٌ . وأخرجتُ حلّته . فلمّا رأتها صاحت بأعـلى صوتها وصكّت وجهها . واجتمع نساء الحي يبكينَ معها ويندبنه حتى صُعقت، فمكثت مغشياً عليهـا ساعة، ثم قامت وهي تقول :]

وَإِنَّ سُلُوِّي عَنْ جَمِيلٍ لَسَاعَةٌ مِنَ ٱلدَّهْرِ مَا حَانَتْ وَلَا حَانَ حِينُهَا
سَوَاءٌ عَلَيْنَا، يَا جَمِيلَ بْنَ مَعْمَرٍ إِذَا مُتَّ، بَأْسَاءُ ٱلْحَيَاةِ وَلِينُهَا

[وقيل انها كرّرت هذين البيتين حتى ماتت بعد ثلاثة ايام من سماعها بموت جميل .]

ميزة شعره : تلك نفس محبّة، مخلصة في حبّها حتى الموت، وذلك في سذاجة وبراءة، وفي هدوء وحزم؛ تعبّر عن حبّها المتألّم بأسلوب يذوب لوعة وحياة، يمتزج فيـه التفجّع والتلهّف والشكوى، وبلغة سهلة تسيل طبيعيّة وانسجاماً .

الغزل الحضري :

عُمَر بن ابي ربيعة (٦٤٤ـ٧١١م/٢٣ـ٩٣ هـ)

[عمر بن ابي ربيعة شاعر وقف شعره علـى المرأة، وقضى حياته في اللّهو والعَبَث . وقد وصف المرأة أتمّ وَصف في أسلوب قَصَصيّ يتدفّق حياةً . واليك بعض النماذج من شعره .]

٤٠ امِنْ آلِ نُعمٍ

أمِنْ آلِ نُعمٍ أنتَ غادٍ فَمُبْكِرُ   غَداةَ غَدٍ أمْ رائحٌ فَمُهَجِّرُ[١]
لِحَاجةِ نَفسٍ لَمْ تَقُلْ في جَوابِها   فَتُبلِغَ عُذْرًا وَالمَقالَةُ تُعْذِرُ[٢]
تَهيمُ إلى نُعمٍ فَلا الشَّمْلُ جامِعٌ   وَلا الحَبلُ مَوصُولٌ وَلا القلبُ مُقْصِرُ[٣]
وَلا قُربُ نُعمٍ إنْ دَنَتْ لكَ نافِعٌ   وَلا نَأيُها يُسْلي وَلا أنتَ تَصبِرُ . . .
إذا زُرْتُ نُعمًا لَمْ يَزَلْ ذو قَرابَةٍ   لَهـا، كُلَّما لاقَيتُهُ، يَتَنَمَّرُ
عَزيزٌ عَلَيهِ أنْ أُلِمَّ بِبَيتِهـا،   يُسِرُّ لِيَ الشَّحْناءَ وَالبُغْضُ مُظْهَرُ[٤] . . .

* * *

وَلَيلَةَ ذِي دَوْرانَ جَشَّمْتِني السُّرَى   وَقَدْ يَجشَمُ الهَوْلَ المُحِبُّ المُغَرِّرُ[٥]
فَبِتُّ رَقيبًا لِلرِّفاقِ عَـلَى شَفًا   أُحاذِرُ مِنهُمْ مَنْ يَطُوفُ وَأنْظُرُ[٦] . . .

---

١ نُعم : امرأة من قريش كانت تُكنى أمّ بكر، وهي من بني جُمَح اكثر الشاعر من ذكرها في شعره . الغادي : الذي يسير غدوةً اي قبل طلوع الشمس؛ وكذلك المُبكر . الرائح : الذي يذهب في العشيّ . المهجّر : السائر في الهاجرة اي عند اشتداد الحرّ . ٢ تُعذر : تنفي العذر؛ يقول : أأنت منصرف يوماً عن نُعم لحاجة نفس هي سرّ لا تجيب عليه اذا سُئلتَ عنه لأن الجواب ينفي العذر عنك . ٣ أقصر عن الشيء : انتهى وامسك عنه . الشّمل : ما تفرّق من الأمر؛ الشمل جامع : اي مجموع . ٤ ألمّ به : نزل . الشحناء : العداوة والبغضاء . ٥ ذو دوران : اسم موضع . جشّمه الشيءَ : كلّفه إيّاه . السُّرى : السير ليـلاً . المغرّر : من يعرّض نفسه للهلكة .
٦ على شفاً : اي على حذر .

فَلَمَّا فَقَدْتُ ٱلصَّوْتَ مِنْهُمْ وَأُطْفِئَتْ   مَصَابِيحُ شُبَّتْ بِٱلْعِشَاءِ وَأَنْؤُرُ [١]
وَغَابَ قُمَيْرٌ كُنْتُ أَرْجُو غُيُوبَهُ   وَرَوَّحَ رُعْيَانٌ وَنَوَّمَ سُمَّرُ [٢]
وَنَفَّضْتُ عَنِّي ٱلنَّوْمَ، أَقْبَلْتُ مِشْيَةَ ٱلْحُبَابِ وَرُكْنِي، خِيفَةَ ٱلْقَوْمِ، أَزْوَرُ [٣]
فَحَيَّيْتُ إِذْ لَاقَيْتُهَا فَتَوَلَّهَتْ   وَكَادَتْ بِمَكْنُونِ ٱلتَّحِيَّةِ تَجْهَرُ [٤]
وَقَالَتْ وَعَضَّتْ بِٱلْبَنَانِ: فَضَحْتَنِي   وَأَنْتَ ٱمْرُؤٌ مَيْسُورُ أَمْرِكَ أَعْسَرُ
أَرَيْتَكَ، إِذْ هُنَّا عَلَيْكَ، أَلَمْ تَخَفْ   رَقِيباً وَحَوْلِي مِنْ عَدُوِّكَ حُضَّرُ [٥]
فَوَٱللّٰهِ مَا أَدْرِي أَتَعْجِيلُ حَاجَةٍ   سَرَتْ بِكَ أَمْ قَدْ نَامَ مَنْ كُنْتَ تَحْذَرُ
فَقُلْتُ لَهَا: بَلْ قَادَنِي ٱلشَّوْقُ وَٱلْهَوَى   إِلَيْكِ، وَمَا عَيْنٌ مِنَ ٱلنَّاسِ تَنْظُرُ...
فَيَا لَكَ مِنْ لَيْلٍ تَقَاصَرَ طُولُهُ   وَمَا كَانَ لَيْلِي قَبْلَ ذٰلِكَ يَقْصُرُ
وَيَا لَكَ مِنْ مَلْهًى هُنَاكَ وَمَجْلِسٍ   لَنَا لَمْ يُكَدِّرْهُ عَلَيْنَا مُكَدِّرُ
يَمُجُّ ذَكِيَّ ٱلْمِسْكِ مِنْهَا مُفَلَّجٌ   رَقِيقُ ٱلْحَوَاشِي ذُو غُرُوبٍ مُؤَشَّرُ [٦]
يُرِفُّ، إِذَا تَفْتَرُّ عَنْهُ، كَأَنَّهُ   حَصَى بَرَدٍ أَوْ أُقْحُوَانٌ مُنَوِّرُ [٧]
وَتَرْنُو بِعَيْنَيْهَا إِلَيَّ كَمَا رَنَا   إِلَى رَبْرَبٍ وَسْطَ ٱلْخَمِيلَةِ جُؤْذَرُ [٨]
فَلَمَّا تَقَضَّى ٱللَّيْلُ إِلَّا أَقَلَّهُ   وَكَادَتْ تَوَالِي نَجْمِهِ تَتَغَوَّرُ
أَشَارَتْ بِأَنَّ ٱلْحَيَّ قَدْ حَانَ مِنْهُمُ   هُبُوبٌ، وَلٰكِنْ مَوْعِدٌ لَكَ عَزْوَرُ [٩]
فَمَا رَاعَنِي إِلَّا مُنَادٍ بِرِحْلَةٍ   وَقَدْ لَاحَ مَفْتُوقٌ مِنَ ٱلصُّبْحِ أَشْقَرُ

---

١ أنؤر مفرده نار ويقال أنور بالواو ايضاً. ٢ روّح رعيانه: اي عادوا بإبلهم الى مراحها أي بيتها. السُمّر مفرده سامر وهو من يسهر ليلاً. ٣ الحُباب: الحيّة. الرُكن: الجانب الاقوى من كل شيء. الازور: المائل. ٤ فتـولهت: حزنت حتى كاد يذهب عقلها. ٥ أريتك اصلها أرأيتك ومعناها أخبرني. هُنّا من هانَ: ذلّ وحقر. ٦ يمجّ: يخرج. المُفلّج: الفم الذي بين اسنانه فروج. رقيق الحواشي: ناعم الاطراف. الغروب مفرده غَرْب: وهو دقّة اطراف الاسنان. المؤشّر: الذي فيه حزوز تظهر على ميناء السن فتزيده جمالاً. ٧ يُرفّ: يتلألأ. تفترّ عنه: تبتسم. حصى برد: اي حبوب البرد تشبّه به الأسنان لبياضه. الأقحوان المنوّر: الذي ظهر نَوْره وهو الزهر الابيض. ٨ الربرب: القطيع من بقر الوحش. الخميلة: الشجر الكثير الملتفّ. الجؤذر: ولد البقرة الوحشية تشبّه بعينيه عيون الحِسان لجمالها. ٩ الهُبوب: النهوض من النوم. عَزْور: اسم موضع في مكة.

فَلَمَّا رَأَتْ مَنْ قَدْ تَثَوَّرَ مِنْهُمُ وَأَيقَاظَهُمْ قَالَتْ : أَشِرْ كَيفَ تَأْمُرُ
فَقُلْتُ : أُبَادِيهِمْ فَإِمَّا أَفُوتُهُمْ وَإِمَّا يَنَالُ ٱلسَّيْفُ ثَأْرًا فَيثأرُ [١]
فَقَالَتْ : أَتَحْقِيقاً لِمَا قَالَ كَاشِحٌ عَلَيْنَا وَتَصْدِيقاً لِمَا كَانَ يُؤثَرُ [٢]
فَإِنْ كَانَ مَا لَا بُدَّ مِنْهُ فَغَيْرُهُ مِنَ ٱلْأَمْرِ أَدْنَى لِلْخَفَاءِ وَأَسْتَرُ
أَقُصُّ عَلَى أُخْتَيَّ بَدْءَ حَدِيثِنَا وَمَا لِيَ مِنْ أَنْ تَعْلَمَا مُتَأَخَّرُ
لَعَلَّهُمَا أَنْ تَبْغِيَا لَكَ مَخْرَجاً وَأَنْ تَرْحُبَا سِرْباً بِمَا كُنْتُ أَحْصَرُ [٣]
فَقَامَتْ كَئِيباً لَيْسَ فِي وَجْهِهَا دَمٌ مِنَ ٱلْحُزْنِ تُذْرِي عَبْرَةً تَتَحَدَّرُ
فَقَالَتْ لِأُخْتَيْهَا: أَعِينَا عَلَى فَتًى أَتَى زَائِراً، وَٱلْأَمْرُ لِلْأَمْرِ يُقْدَرُ
فَأَقْبَلَتَا فَٱرْتَاعَتَا ثُمَّ قَالَتَا : أَقِلِّي عَلَيْكِ ٱلْهَمَّ فَالْخَطْبُ أَيْسَرُ...
يَقُومُ فَيَمْشِي بَيْنَنَا مُتَنَكِّرًا فَلَا سِرُّنَا يَفْشُو وَلَا هُوَ يَظْهَرُ؛
فَكَانَ مِجَنِّي دُونَ مَنْ كُنْتُ أَتَّقِي ثَلَاثُ شُخُوصٍ كَاعِبَانِ وَمُعْصِرُ [٤]
فَلَمَّا أَجَزْنَا سَاحَةَ ٱلْحَيِّ قُلْنَ لِي : أَلَمْ تَتَّقِ ٱلْأَعْدَاءَ وَٱللَّيْلُ مُقْمِرُ
وَقُلْنَ : أَهَذَا دَأْبُكَ ٱلدَّهْرَ سَادِرًا أَمَا تَسْتَحِي أَوْ تَرْعَوِي أَوْ تُفَكِّرُ [٥]

[في الخبر ان الثريّا (وهي بنت عبدالله بن محمد بن عبدالله بن الحارث بن اميّة الاصغر) عتبت على عمر لانه مدح رَملة بنت عبدالله بن خلف الخزاعيّة ويقال انها كانت جهمة الوجه عظيمة الانف، وكان من حديثها ان تزوّجها عمر بن عبدالله ابن معمر، وجمع بينها وبين عائشة بنت طلحة، فقال يوماً لعائشة : فعلت في محاربة الخوارج كذا وصنعتُ كذا . فقالت له عائشة : أنا اعلم انك اشجعُ الناسِ، وأعرف لك يوماً اعظم من هذا اليوم الذي ذكرته، وهو يوم اجتليت رملة، وأقدمت على وجهها وانفها . فلمّا قال عمر بن ابي ربيعة في رملة :

١ أباديهم : أظهر عليهم . افوتهم : أسبقهم . ٢ الكاشح : المبغض . يؤثَرُ : يحكى .
٣ سَرب : بالفتح الصدر، وبالكسر النفس . احصر : أضيق ذرعاً . ٤ المجن : الترس والمراد هنا مطلق الوقاية في ثلاث شخوص، وانث العدد على المعنى لكلمة شخص لان المراد به هنا المرأة . الكاعب : المرأة التي ارتفع ثديها . المعصر : الفتاة التي بلغت الشباب . ٥ السادر : الذي لا يهتم ولا يبالي ما يصنع .

وَجَلَا بُرْدُهَا وَقَدْ حَسَرَتْهُ نُورَ بَدْرٍ يُضِيءُ لِلنَّاظِرِينَا

قالت الثريّا : أفٍّ لابن ابي ربيعة مـا أكذبه أوترتفع حسناء بصفته لها بعد رملة ؟ ولكن ابن ابي عتيق توسّط بين الثريّا وعمر حتى عادت الى الرضا، وقـد قصّ عمر قصتها هذه في قوله :]

٤١ قالت ابو الخطّاب

قَالَ لِي صَاحِبِي لِيَعْلَمَ مَا بِي : أَتُحِبُّ ٱلْقَتُولَ أُخْتَ ٱلرَّبَابِ؟ [١]
قُلْتُ : وَجْدِي بِهَا كَوَجْدِكَ بِٱلْعَذْبِ إِذَا مَا مُنِعْتَ طَعْمَ ٱلشَّرَابِ
مَنْ رَسُولِي إِلَى ٱلثُّرَيَّا فَإِنِّي ضِقْتُ ذَرْعًا بِهَجْرِهَا وَٱلْكِتَابِ [٢]
أَزْهَقَتْ أُمُّ نَوْفَـلٍ إِذْ دَعَتْهَا مُهْجَتِي مَا لِقَاتِلِي مِنْ مَتَابِ [٣]
حِينَ قَالَتْ لَهَا: أَجِيبِي فَقَالَتْ : مَنْ دَعَانِي؟ قَالَتْ : أَبُو ٱلْخَطَّابِ [٤]
فَأَجَابَتْ عِنْدَ ٱلدُّعَاءِ كَمَا لَبَّى رِجَالٌ يَرْجُونَ حُسْنَ ٱلثَّوَابِ [٥]
أَبْرَزُوهَـا مِثْلَ ٱلْمَهَاةِ تَهَادَى بَيْنَ خَمْسٍ كَوَاعِبٍ أَتْرَابِ [٦]
وَهِيَ مَكْنُونَةٌ تَحَيَّرَ مِنْهَا، فِي أَدِيمِ ٱلْخَدَّيْنِ، مَاءُ ٱلشَّبَابِ [٧] . . .
ثُمَّ قَالُوا: تُحِبُّهَا ! قُلْتُ : بَهْرًا ! عَدَدَ ٱلنَّجْمِ وَٱلْحَصَى وَٱلتُّرَابِ [٨]
أَذْكَرَتْنِي مِنْ بَهْجَةِ ٱلشَّمْسِ لَمَّا طَلَعَتْ مِنْ دُجُنَّـةٍ وَسَحَابِ

---

١ القَتول، صفة مبالغة من القتل والمراد هنا المرأة التي تكثر قتل الراغبين فيها حباً . الرباب مفرده ربابة : اي سحابة وهي هنا اسم علم . ٢ ضقت ذرعاً : نفد صبري، والكتاب : اي أقسم بالقرآن . ٣ امّ نوفل هي التي كانت تتلطف لعمر عند الثريّا، فلما دعتها لصلحه لم تجبها الثريّا فكادت تزهق روحه . ٤ ابو الخطاب : كنية الشاعر . ٥ لبّى رجالٌ : اي الحُجّاج الذين يلبّون اي يقولون : لبّيك اللّهم لبيك وهم يطوفون في الحجّ ٦ أبرزوها : أظهروها . المهاة : البقرة الوحشيّة وتشبّه بهـا المرأة لسعة عينيها ودعجهما . تهادى : تمشي متمايلة . الأتراب ج ترب وهو المساوي في العمر . ٧ المكنونة : المصونة المستورة . تحيّر : اجتمع وتردّد . ماء الشباب : رونقه . ٨ بهراً : بهرني حبّها بهراً اي غلبني ؛ وقيل إن بهراً معناه تباً لكم على لومكم لي في حبها فتكون في ذلك كلمة دعاء عليهم .

فَٱرْجَحَنَّتْ مِنْ حُسْنِ خَلْقٍ عَمِيمٍ تَتَهَادَى فِي مَشْيِهَا كَٱلْحُبَابِ [١]
غَصَبَتْنِي مَجَّاجَةُ ٱلْمِسْكِ عَقْلِي فَسَلُوهَا : مَاذَا أَحَلَّ ٱغْتِصَابِي؟ [٢]
قَلَّدُوهَا مِنَ ٱلْقَرَنْفُلِ وَٱلدُّرِّ سِخَاباً ، وَاهاً لَهُ مِنْ سِخَابِ! [٣]

٤٢ وكان الحديث به اجدرا

[قيل ان عمر واعد نسوة من قريش الى العقيق ليتحدث معه ، فخرج اليهنّ ومعه الغريض، فتحدثوا مليًّا ثمّ مُطِروا، فقام عمر والغريض وجاريتان للنسوة، فأظلّوا عليهنّ بمطرف وبردين له حتى استترنَ من المطر الى ان سكن ثمّ انصرفن، فقال له الغريض : قُل في هذا شعراً حتى اتغنّى فيه فقال عمر :]

أَلَمْ تَسْأَلِ ٱلْمَنْزِلَ ٱلْمُقْفِرَا بَيَانـاً فَيَكْتُمَ أَوْ يُخْبِرَا [٤]
ذَكَرْتُ بِهِ بَعْضَ مَا قَدْ شَجَاكَ وَحُقَّ لِذِي ٱلشَّجْوِ أَنْ يَذْكُرَا، [٥]
مَبِيتَ ٱلْحَبِيبَيْنِ قَدْ ظَاهَرَا كِسَاءً وَبُرْدَيْنِ أَنْ يُمْطَرَا [٦]
وَمَمْشَى ٱلثَّلَاثِ بِهِ مَوْهِناً خَـرَجْنَ إِلَى زَائِرٍ زُوَّرَا [٧]
إِلَى مَجْلِسٍ مِنْ وَرَاءِ ٱلْقِبَا بِ سَهْلِ ٱلرُّبَى طَيِّبٍ أَعْفَرَا [٨]...
غَفَلْنَ عَنِ ٱللَّيْلِ حَتَّى بَدَتْ تَبَاشِيرُ مِنْ وَاضِحٍ أَسْفَرَا [٩]
فَقُمْنَ يُعَفِّـينَ آثَارَنَا بِأَكْسِيَةِ ٱلْخَزِّ أَنْ تُقْفَرَا [١٠]
مَهَاتَانِ شَيَّعَتَا جُـؤْذُرًا أَسِيلًا مُقَلَّدُهُ ، أَحْـوَرَا [١١]

---

١ ارجحنّ : مال واهتزّ . العميم : التام . الحُباب : الحيّة . ٢ مجّاجة : صفة مبالغة من مَجّ الشيء بمعنى لفظه من فيه ، يعني انهـا لطيب نكهة فمها كأنما تمجّ منه مسكاً . ٣ السخاب : القلادة توضع في العنق . واهاً لكذا : كلمة تعجّب بمعنى ما احسنه . ٤ المقفِر : الخالي من السكان . ٥ شجاك : احزنك . ٦ ظاهر الرجُل بين ثوبين : لبسَ احدهما على الآخر . ٧ الموهن : الثلث الاول من الليل ٨ القباب مفرده قبة وهي بناء مستّم ، والمراد هنا بيوت الحيّ . الأعفر : ذو الرّمل الاحمر . ٩ تباشير . . . : اوائل الصبح . أسفر : اضـاء . ١٠ عفّى الذيل الأثر : محاه . قفر الأثر : اقتفاه وتتبعه . ١١ المقلّد : موضع القلادة . الأسيل : اللطيف الليّن . الأحْور : البيّن الحوَر وهو شدة سواد المقلة في شدة بياضها .

وَقُمْنَ وَقُلْنَ : لَـوَ انَّ النَّهَا رَ مُدَّ لَهُ اللَّيْلُ فَاسْتَأْخَرَا
قَضَيْنَا بِـهِ بَعْضَ أَشْجَانِنَا وَكَانَ الْحَدِيثُ بِهِ أَجْدَرَا

٤٣ توبة عمر

[ذكر الرواة ان عمر تاب على حدود الاربعين، ونذر لَئِن قال بيتاً ليعتقن به رقبة، ثم انصرف الى بيته حزيناً، وأدركت جارية له ما يجول بنفسه من أسفٍ على توبته، والنفس تنازعه العودة الى ما كان فيه، فقالت له : إنَّ لـك لأمراً، وإنَّك لتريد ان تقول شعراً، فشرع يقول :]

تَقُولُ وَلِيدَتِي، لَمَّـا رَأَتْنِي طَرِبْتُ، وَكُنْتُ قَدْ أَقْصَرْتُ حِينَا :[١]
أَرَاكَ الْيَوْمَ قَـدْ أَحْدَثْتَ شَوْقاً وَهَاجَ لَـكَ الْهَوَى دَاءٌ دَفِينَا
وَكُنْتَ زَعَمْتَ أَنَّكَ ذُو عَزَاءٍ إِذَا مَـا شِئْتَ فَارَقْتَ الْقَرِينَا
بِرَبِّكَ، هَـلْ أَتَاكَ لَهَا رَسُولٌ فَشَاقَكَ أَمْ بَعَثْتَ لَهَـا خَدِينَا[٢]
فَقُلْتُ : شَكَـا إِلَيَّ أَخٌ مُحِبٌّ كَبَعْضِ زَمَانِنَـا إِذْ تَعْلَمِينَا
فَقَصَّ عَلَيَّ مَـا يَلْقَى بِهِنْدٍ فَوَافَقَ بَعْضَ مَا قَـدْ تَعْرِفِينَا
وَذُو الْقَلْبِ الْمُصَابِ، وَإِنْ تَعَزَّى، مَشُوقٌ حِـينَ يَلْقَى الْعَاشِقِينَا
وَكَمْ مِنْ خُلَّةٍ أَعْرَضْتُ عَنْهَا مِنَ اَجْلِكُمْ وَكُنْتُ بِهَا ضَنِينَا[٣]
أَرَدْتُ فِرَاقَهَـا وَصَبَرْتُ عَنْهَا وَلَوْ جُنَّ الْفُؤَادُ بِهَـا جُنُونَا

ميزة شعره : عمر هو شاعر الذكرى وشاعر الاحاديث، يقف امام الواقع، وأمام الحديث والحادث، فيردّد ما جرى فيها بدقّة الذي يحفظ ويُحسن الحديث ويُبدع فيه . وأسلوبه سهل عذب الموسيقى، يكثر فيه الحوار والقصص .

---

١ الوليدة : الجارية . اقصرتُ : انتهيتُ وأمسكتُ . ٢ الخدين : الصديق الذي يخادنك فيكون منك في كل امرٍ ظاهرٍ وباطن . ومنه خدن الجارية اي محدثها، وكان العرب في جاهليتهم لا يمنعون ان يكون للجـارية خدين يحدثها، فلما جاء الاسلام منع ذلك وفيه الآية « ولا مُتَّخذي أخدانٍ » . ٣ الخُلَّة : الخليلة، الصاحبة . الضنين : البخيل .

الباب الثالث

شعر السياسة

الأَخْطَل (٦٤٠ ـ ٧١٠ م / ٢٠ ـ ٩٢ هـ)

[روى احد اساطين الادب قال : دخل الاخطل يوماً على عبد الملك بن مروان فمدحه بقصيدة عامرة الابيات مطلعها « خفَّ القطين » فاعجب بها الخليفة ايّما اعجاب فقال له : ويحك يا اخطل، أتريد أن اكتب الى الآفاق أنّك اشعر العرب، فقال : اكتفي بقول امير المؤمنين فخلع عليه وامر بجفنة كانت بين يديه فملئت له دراهم، ثمَّ ارسل معه غلاماً فخرج به وهو يقول : هذا شاعر امير المؤمنين، هذا اشعر العرب .]

الاخطل شاعر السياسة :

٤٤ خفَّ القطينُ

[قال الاخطل هذه القصيدة في عبد الملك بن مَروان (٦٨٥ — ٧٠٥) بعد فتحه العراق وانتصاره على مُصْعَب بن الزُّبَيْر ؛ وكان مُصعب واخوه عبدالله قد نازعا الأمويّين الخلافة فبايعها بها اهل الحجاز أولاً ثم العراق واليمن ومصر . فاستهلَّ الشاعر قصيدته بالغزل، على عادة الشعراء في ذلك العهد ؛ ثم تخلّص الى الممدوح وقبيلته فمدحها، وذكر ما له ولتغلب من جليل الخدمات في سبيل بني أمية . وفرض عليه موقفه السياسي والادبي ان يهجو اعداء بني أمية ثم عدوّه جريراً]

خَفَّ ٱلْقَطِينُ، فَرَاحُوا مِنْكَ أَوْ بَكَرُوا ... وَأَزْعَجَتْهُمْ نَوًى فِي صَرْفِهَا غِيَرُ ... [1]
إِلَى ٱمْرِئٍ لَا تُعَدِّينَا نَوَافِلُهُ، ... أَظْفَرَهُ ٱللهُ، فَلْيَهْنَأْ لَهُ ٱلظَّفَرُ! [2]
ٱلْخَائِضُ ٱلْغَمْرَةَ، ٱلْمَيْمُونُ طَائِرُهُ، ... خَلِيفَةُ ٱللهِ، يُسْتَسْقَى بِهِ ٱلْمَطَرُ! [3]
مُقَدَّمٌ مِئَتَيْ أَلْفٍ لِمَنْزِلِهِ، ... مَا إِنْ رَأَى مِثْلَهُمْ جِنٌّ وَلَا بَشَرُ؛ [4]
يَغْشَى ٱلْقَنَاطِرَ، يَبْنِيهَا وَيَهْدِمُهَا، ... مُسَوَّمٌ، فَوْقَهُ ٱلرَّايَاتُ وَٱلْقَتَرُ، [5]
حَتَّى يَكُونَ لَهُ بِٱلطَّفِّ مَلْحَمَةٌ، ... وَبِٱلثَّوِيَّةِ، لَمْ يَنْبِضْ بِهَا وَتَرُ؛ [6]
وَتَسْتَبِينَ لِأَقْوَامٍ ضَلَالَتُهُمْ، ... وَيَسْتَقِيمَ ٱلَّذِي فِي خَدِّهِ صَعَرُ. [7]
ثُمَّ ٱسْتَقَلَّ بِأَثْقَالِ ٱلْعِرَاقِ، وَقَدْ ... كَانَتْ لَهُ نَقْمَةٌ فِيهِمْ وَمُدَّخَرُ. [8]
فِي نَبْعَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ يَعْصِبُونَ بِهَا، ... مَا إِنْ يُوَازَى بِأَعْلَى نَبْتِهَا ٱلشَّجَرُ، [9]
تَعْلُو ٱلْهِضَابَ، وَحَلُّوا فِي أَرُومَتِهَا، ... أَهْلُ ٱلرِّبَاءِ، وَأَهْلُ ٱلْفَخْرِ، إِنْ فَخَرُوا؛ [10]

١ خفَّ: ارتحل مسرعاً. القطين: القوم المقيمون، ويريد الاحبة. راحوا او بكروا: ساروا مساءً او بُكرة. ازعجتهم: اقلقتهم وحملتهم على الرحيل. النَّوى: ما يقصد اليه المسافر، وهي مؤنثة. صَرْف النوى: ما يحدث من تقلّبات دون تحقيقها. الغِيَر: الاحداث الثقيلة الوطأة على الانسان. — يخاطب الشاعر نفسه ويقول: ارتحل الاحبة على غير عهد مني، وقد كان الباعث على ارتحالهم بسرعة مطلباً دون البلوغ اليه شدائد مزعجة قاسية. ٢ لا تعدّينا: لا تفوتنا. النوافل ج نافلة: العطية. ٣ الغَمرة: معظم البحر؛ استعاره لشدّة الحرب وعظيم الامور. الميمون طائره: المبارك الطلْعة. ٤ لمنزله: يريد مكان نزوله في العراق. ٥ يغشى: يأتي؛ والضمير للممدوح. القناطر ج قنطرة: الجسر. مسوّم: عليه من مظاهر العظمة ودلائل الشجاعة ما يكوّن علامة فارقة. القَتَر. الغبار. ٦ الطفّ: ما اشرف من ارض العرب على ريف العراق. الملحمة: الواقعة يشتبك فيها الجيشان. الثَّويّة: موضع قريب من الكوفة. لم ينبض بها وتر: كناية عن التحام الجيشين فلا يُستعمل في القتال الا الرماح والسيوف. ٧ الأقوام: يريد بهم مُصعب بن الزبير ومن اليه. الصَّعَر: ميْل الرأس من الكبرياء؛ والكلام كناية عن اذلال العدوّ. ٨ النَّقمة: التنكيل بالعدوّ. المُدّخر: الاذلال. ٩ النَّبعة: شجرة تنبت في اعالي الجبال يؤخذ من عودها الصلب القِسيّ والسهام؛ استعارها للدلالة على الاصل الذي تفرّع منه الممدوح. يعصبون بها: يجتمعون حولها ويلوذون؛ والواو لقريش. يوازي: يساوي. يقول: إنه من أسرة في قريش هي محور هذه القبيلة وموئل لها، وليس لقوم منها كانوا عليه من عزّة وكرم اصل ان يقفا بلوا باقلّ رجال هذه الأسرة شأناً. ١٠ حلّوا في أرومتها: الضمير في حلّوا لقريش. الرباء: الفضل والمنّة. — يقول: ان اسرة الممدوح — اي أميّة — تفوق في المنعة وعراقة الاصل كل اسرة اخرى من قريش بمثل ما هو من قمة الشجرة الباسقة وارومتها.

حُشُدٌ على ٱلحقِّ، عَيَّافو ٱلخَنا، أُنُفٌ، … إذا أَلَمَّتْ بِهِمْ مَكْرُوهَةٌ، صَبَرُوا [1]
شُمْسُ ٱلعَداوَةِ حَتَّى يُسْتَقادَ لَهُمْ، … وَأَعظَمُ ٱلنَّاسِ أَحلاماً، إذا قَدَرُوا؛ [2]
أَعطاهُمُ ٱللهُ جَدّاً يُنْصَرُونَ بِهِ، … لا جَدَّ إلَّا صَغِيرٌ، بَعْدُ، مُحتَقَرُ، [3]
لَمْ يَأْشَرُوا فِيهِ، إذْ كانُوا مَوالِيَهُ؛ … وَلَوْ يَكُونُ لِقَومٍ غَيرِهِمْ أَشِرُوا... [4]
بَنِي أُمَيَّةَ! قَدْ ناضَلْتُ، دُونَكُمُ، … أَبناءَ قَومٍ، هُمُ آوَوْا، وَهُمْ نَصَرُوا، [5]
أَفحَمْتُ عَنكُمْ بَنِي ٱلنَّجّارِ، قَدْ عَلِمَتْ … عُلْيا مَعَدٍّ، وَكانُوا طالَما هَدَرُوا، [6]
حَتَّى ٱستَكانُوا وَهُمْ مِنِّي عَلَى مَضَضٍ: … وَٱلقَولُ يَنْفُذُ ما لا تَنْفُذُ ٱلإِبَرُ! [7]
بَنِي أُمَيَّةَ! إنِّي ناصِحٌ لَكُمُ، … فَلا يَبِيتَنَّ فِيكُمْ آمِناً زُفَرُ؛ [8]
وَٱتَّخِذُوهُ عَدُوّاً: إنَّ شاهِدَهُ … وَما تَغَيَّبَ مِنْ أَخلاقِهِ، دَعَرُ. [9]
إنَّ ٱلضَّغِينَةَ تَلْقاها، وَإنْ قَدُمَتْ، … كَٱلعُرِّ يَكْمُنُ حِيناً ثُمَّ يَنْتَشِرُ. [10]
وَقَدْ نُصِرْتَ، أَمِيرَ ٱلمُؤْمِنِينَ، بِنا، … لَمّا أَتاكَ بِبَطْنِ ٱلغُوطَةِ ٱلخَبَرُ. [11]
يُعَرِّفُونَكَ رَأْسَ ٱبنِ ٱلحُبابِ، وَقَدْ … أَضحَى، وَلِلسَّيفِ فِي خَيشُومِهِ أَثَرُ. [12]
فَلا هَدَى ٱللهُ قَيساً مِنْ ضَلالَتِهِمْ! … وَلا لَعاً لِبَنِي ذَكْوانَ، إذْ عَثَرُوا! [13]

١ حُشُد : مُخفَف حُشُد ج حاشد وهو من يخفّ لنصرة من يدعوه ويبذل كل ما في طوقه من جهد؛ وحُشُد على الحقّ : اي يبادرون لمناصرة الحق . الخنا : الفُحش . أُنُف ج انوف: الكثير الإباء . ٢ شُمس ج شَموس: الرجل العَسِر العداوة . حتى يُستقاد لهم : حتى يُطاعوا . — يقول : ان عداوتهم قاسية على من يتمرّد عليهم ولكنهم اذا تغلّبوا على اعدائهم فلا يستخفهم الظفر ولا ينتقمون . ٣ الجَدّ : الحظّ . ٤ لم يأشروا : لم يبطروا . فيه : الضمير للجَدّ . مواليه ج مولى : المالك . ٥ أبناء قوم : يريد الانصار وهم قبيلتا الأوس والخزرج الذين آووا محمّدا في يثرب لما هرب من مكة سنة ٦٢٢، وناصروه على قريش . ٦ أفحمتُ : اسكتّ عن قول الشعر . بنو النجّار : قوم من الانصار منهم الشاعر حسان بن ثابت . معدّ : جدّ ربيعة ومُضر . وعليا معدّ : ارفعهم شرفاً وأرومة؛ ويريد بهم بني قريش . هدروا : اكثروا من الكلام . ٧ استكانوا : ذلّوا . المضض : الألم والحُرْقة في القلب . ٨ زُفَر : رئيس القيسية اعداء بني امية وقوم الشاعر . وكان عبد الملك قد قرّبه بغية استمالة قومه . فالشاعر يوغر صدر الخليفة على عدوّهم جميعاً . ٩ شاهده : حاضره . دَعَر : شرّ وفساد . ١٠ العرّ : الجرب . ١١ الغوطة : موضع بالشام كثير المياه كثير البساتين والزروع، يعرف بغوطة دمشق . ١٢ ابن الحُباب : عُمَير بن الحباب من قيس عيلان، اعداء بني أمية؛ قتلته تغلب في واقعة الحشّاك (نهر في الجزيرة بين دجلة والفرات) وبعث برأسه الى عبد الملك في دمشق . الخيشوم : اعلى الانف . ١٣ لا لَعاً لبني ذكوان : لا اقامهم الله؛ وبنو ذكوان : قوم عُمَير بن الحُباب من قبيلة سُلَيم .

ضَجُّوا مِنَ ٱلْحَرْبِ إِذْ عَضَّتْ غَوَارِبَهُمْ، وَقَيْسُ عَيْلَانَ مِنْ أَخْلَاقِهَا ٱلضَّجَرُ. [١]
أَمَّا كُلَيْبُ بْنُ يَرْبُوعٍ فَلَيْسَ لَهُمْ، عِنْدَ ٱلتَّفَارُطِ، إِيرَادٌ وَلَا صَدَرُ. [٢]
قَوْمٌ، أَنَابَتْ إِلَيْهِمْ كُلُّ مُخْزِيَةٍ وَكُلُّ فَاحِشَةٍ سُبَّتْ بِهَا مُضَرُ. [٣]
وَأَقْسَمَ ٱلْمَجْدُ حَقًّا لَا يُحَالِفُهُمْ، حَتَّى يُحَالِفَ بَطْنَ ٱلرَّاحَةِ ٱلشَّعَرُ!

ميزة شعره : الصفة السياسية هي الخاصة البارزة في الاخطل سواء كان مادحاً ام هاجياً. فلقد وقف شعره على تأييد بني أمية يروّق بمكارمهم ويشيد بما لهم من الجدارة، ويرشق اعداءهم بسهامه اللاذعة وهو في كل ذلك أنوف لا يتذلل فيذكر ما له ولقومه من الايادي البيض على بني أمية، ولا ينسى قبيلته فيدس في مدحهِ رأيه السياسي، لاجل مصلحتها.

٤٥ نور أضاء لنا البلاد

[ومن شعره في مدح الحجّاج :]

أَحْيَا ٱلْإِلٰهُ لَنَا ٱلْإِمَامَ فَإِنَّهُ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ، لِلذُّنُوبِ غَفُورُ
نُورٌ أَضَاءَ لَنَا ٱلْبِلَادَ وَقَدْ دَجَتْ ظُلَمٌ تَكَادُ بِهَا ٱلْهُدَاةُ تَجُورُ [٤]
أَلْفَاخِرُونَ بِكُلِّ فِعْلٍ صَالِحٍ، وَأَخُو ٱلْمَكَارِمِ بِٱلْفَعَالِ فَخُورُ [٥]
فَعَلَيْكَ بِٱلْحَجَّاجِ لَا تَعْدِلْ بِهِ أَحَدًا إِذَا نَزَلَتْ عَلَيْكَ أُمُورُ [٦]
وَلَقَدْ عَلِمْتَ وَأَنْتَ أَعْلَمُنَا بِهِ أَنَّ ٱبْنَ يُوسُفَ حَازِمٌ مَنْصُورُ
وَأَخُو ٱلصَّفَاءِ فَمَا تَزَالُ غَنِيمَةٌ مِنْهُ يَجِيءُ بِهَا إِلَيْكَ بَشِيرُ [٧]

---

١ الغوارب : أعالي الاكتاف. — يقول : انهم لم يصبروا على الحرب لان من عادتهم عدم الصبر على الشدائد. ٢ كليب بن يربوع : قوم جرير عدوّ الشاعر، وهم من بني تميم. التفارط: التسابق. الايراد : ورود الماء. الصَدَر : الرجوع عن الماء. — يقول انهم قوم اذلاء ليس لهم في التسابق والمنافسة حظ. ٣ انابت اليهم : رجعت. المخزية : الفضيحة. مضر : فرع من عدنان يرجع اليها اكثر القبائل العربية ومنها قريش، قبيلة الخليفة، وكليب قبيلة جرير. ٤ تجور : تميل عن القصد. ٥ الفاخرون : صفة للهداة او خبر لمبتدإٍ محذوف تقديره هم. ٦ في هذا البيت وما بعده تجريد، جرّد الشاعر من نفسه شخصاً وخاطبه. ٧ اخو معطوف على حازم في البيت قبله ويصح ان يكون خبراً لمبتدإٍ محذوف تقديره هو.

وَتَرَى ٱلرَّوَاسِمَ يَخْتَلِفْنَ وَفَوْقَهَا صُنْعُ ٱلْعِرَاقِ : سَبَائِكٌ وَحَرِيرُ [١] . . .
وَٱلْخَيْلُ يُتْبِعُهَا عَلَى عِلَّاتِهَا لِلّٰهِ مُنْتَصِبُ ٱلْفُؤَادِ شَكُورُ [٢]
وَلَقَدْ عَلِمْتَ بَلَاءَهُ فِي مَعْشَرٍ يَغْلِي خَفِيُّ صُدُورِهِمْ وَيَفُورُ [٣]
وَٱلْقَوْمُ زَأْرُهُمُ وَأَعْلَى صَوْتِهِمْ تَحْتَ ٱلسُّيُوفِ غَمَاغِمٌ وَهَرِيرُ [٤]
فَأَبَادَ جَمْعَهُمُ حَمِيدًا وَٱنْثَنَى وَلَهُ لِوَقْعَةِ آخَرِينَ زَئِيرُ

٤٦ بكر العواذلُ

[لمّا شبّت المهاجاة بين الفرزدق وجرير حُكِّم الأخطل في ايّهما أشعر، ففضّل الفرزدق، فهجاه جرير بقصائد مُرَّة فردّ عليه الاخطل، وكان له مع جرير نقائض نُثبت منها الابيات التالية :]

بَكَرَ ٱلْعَوَاذِلُ يَبْتَدِرْنَ مَلَامَتِي وَٱلْعَاذِلُونَ فَكُلُّهُمْ يَلْحَانِي [٥]
فِي أَنْ سُقِيتُ بِشَرْبَةٍ مَقْذِيَّةٍ صِرْفٍ مُشَعْشَعَةٍ بِمَاءِ شُنَانِ [٦]
فَظَلِلْتُ أَسْقِي صَاحِبِي مِنْ بَرْدِهَا عَمْدًا لِأُرْوِيَهُ كَمَا أَرْوَانِي . . .
إِنِّي أُدِيمُ لِذِي ٱلصَّفَاءِ مَوَدَّتِي وَإِذَا تَغَيَّرَ كُنْتُ ذَا أَلْوَانِ
وَأَصُدُّ عَنْ صَرْمِ ٱلصَّدِيقِ تَكَرُّمًا حِينًا ، وَمَا دَهْرِي لَهُ بِهَوَانِ [٧]

---

١ الرواسم : الإبل التي تسير سيراً ليناً . يختلفن : يأتين متتاليات . السّبائك : صفائح الفضّة . ٢ العلات : الحالات المختلفة، ولله متعلق بشكور، ومنتصب الفؤاد خبر لمبتدإٍ محذوف تقديره هو ؛ منتصب الفؤاد وشكور خبر ثانٍ والمعنى : انه يتبع الفرسان على حالاتهم المختلفة وهو منتصب الفؤاد شكور لله . ٣ في هذا البيت إشارة الى ايقاع الحجاج بالازارقة وهم فرقة من الخوارج اصحاب نافع ابن الازرق الذين خرجوا على عبد الملك بن مروان. ٤ الغماغم مفردها غمغمة وهي صوت الابطال عند القتال . الهرير : صوت الكلب بغير نباح . ٥ العواذل ج عاذلة وهي اللائمة . يبتدرن ملامتي : يسرعن الى لومي . لحاه : عابه . ٦ المقذية : الخالية من القذى، الصافية . مشعشعة : ممزوجـة . الشنان : الماء المتفرّق، والبارد . ٧ الصَّرْم : الهَجْر . وما دهري له بهوان : اي ولا اريد له المذلّة والهوان ابداً .

وَأُفَارِقُ ٱلْخُلَّانَ عَنْ غَيْرِ ٱلْقِلَى وَأُمِيتُ عِنْدِي ٱلسِّرَّ بِٱلْكِتْمَانِ[١] . . .
وَلَقَدْ غَدَوْتُ عَلَى ٱلْقَنِيصِ بِنَهْدَةٍ عِنْدَ ٱلْبَدِيهَةِ سَهْوَةِ ٱلْقَذَفَانِ[٢]
تَنْقَضُّ فِي أَثَرِ ٱلْأَوَابِدِ مِثْلَمَا تَنْقَضُّ كَاسِرَةٌ مِنَ ٱلْعِقْبَانِ .[٣]
مَا بَالُ قَوْمٍ لَا تَغِبُّ أَذَاتُهُمْ قُعْسِ ٱلظُّهُورِ مِنَ ٱلْحَبِينِ بِطَانِ[٤]
هُمْ هَيَّجُوا حَرْبِي وَمَا لَهُمُ بِهَا لَوْ وَاجَهَتْهُمْ بِٱللِّقَاءِ يَدَانِ[٥]
حَرْبَ ٱمْرِئٍ مَا إِنْ تَرِثُّ سِلَاحُهُ أَبَدًا وَلَا يَغْتَرُّ بِٱلْحَدَثَانِ[٦]
قَبَحَ ٱلْإِلٰهُ بَنِي كُلَيْبٍ! إِنَّهُمْ لَا يَحْفَظُونَ مَحَارِمَ ٱلْجِيرَانِ[٧]
وَإِذَا تُنُودِبَ لِلْمَكَارِمِ وَٱلْعُلَى لَمْ يُنْدَبُوا لِتَرَادُفِ ٱلْأَعْوَانِ .[٨]
أَجَرِيرُ إِنَّكَ وَٱلَّذِي تَسْمُو لَهُ ، كَأَسِيفَةٍ فَخَرَتْ بِحِدْجِ حَصَانِ[٩]
حَمَلَتْ لِرَبَّتِهَا فَلَمَّا عُولِيَتْ نَسَلَتْ تُعَارِضُهَا مَعَ ٱلْأَظْعَانِ[١٠]
أَتَعُدُّ مَأْثُرَةً ، لِغَيْرِكَ فَخْرُهَا وَسَنَاؤُهَا فِي سَالِفِ ٱلْأَزْمَانِ[١١]
تَاجُ ٱلْمُلُوكِ وَفَخْرُهُمْ فِي دَارِمٍ أَيَّامَ يَرْبُوعٌ مَعَ ٱلرُّعْيَانِ[١٢] . . .

---

١ القِلى : البغض .   ٢ القنيص : ما يُصاد . النَّهدة : الفرس الحسن الجميل الجسيم المشرف . عند البديهة : اي عندما تبده وتفجأ . سهوة القذَفان : ليّنة السّير ، مؤاتية في السرعة .
٣ الأوابد ج آبدة وهي الوحش .   ٤ غبّ : أتى يوماً وترك يوماً ، انقطع . القُعْس ج أقعس : وهو من خرج صدرُه ودخل ظهرُه خلقةً . الحبين : داء في البطن يعظم منه ويَرِم . البطان ج بطين وهو عظيم البطن من أكل أو مرَض . يقول : ما بال قومك يا جرير لا يتركون الأذى وهم معيبون. قعس الظهور : عظام البطون ، وذلك دليل على سوء الخُلق وقعود الهمّة .   ٥ ما لهم بالحرب يدان : اي ليس لهم عليها قدرة ، وفي الكلام مجاز مرسل علاقته السببية .   ٦ ترثّ : تبلى .
٧ قبح الإله بني كليب : اي ابعدهم عن الخير . المحارم ج محرمة وهي ما لا يحلّ انتهاكه .
٨ تنودب من تنادب القومُ بعضهم بعضاً اذا تداعوا . الترادف : التتابع « المعونة » . يقول : ان قوم جرير بعيدون عن المكارم والعُلى فيا غيرهم يتزاحم عليها .   ٩ والذي تسمو له : اي ما تدّعيه من مفاخر . الأسيفة : الأمَة . الحِدْج : مركب النساء على البعير . الحَصان : المرأة الحرّة . يقول : إن فخرك يا جرير بمكارم غيرك كفخر امة بحدج سيدتها .   ١٠ حَمَلَت لِرَبّتها : اي رفعت حدْج سيدتها أو سندته لكي لا يميل . عوليَتْ : اي ركبت على الحدج . نَسَلَتْ : اسرعت . تُعارضها : تجري بالقرب منها . الأظعان ج ظعينة وهي المرأة في الهودج . في هذا البيت تشبيه تمثيل يفيد التقبيح .
١١ المأثرة : ما يؤثر من المفاخر والمكارم . السّناء : الرّفعة .   ١٢ دارم : قبيلة الفرزدق . يَربوع : قبيلة جرير .

ميزة شعره : كان هجاء الاخطل دفاعياً اكثر منه هجومياً ، ومؤلماً من غير فحش ، يطعن بالقبيلة أكثر مما يطعن بالفرد . وإن في لهجته أنفة وعظمة ضخمتين، وإنّ في انطلاقه الشعري ما في نفسه من سلطان واستعلاء .

٤٧ الثور الوحشي وكلاب الصيد

وَمَهْمَهٍ طَامِسٍ، تُخْشَى غَوَائِلُهُ ، قَطَعْتُهُ بِكَلُوءِ ٱلْعَيْنِ مِسْهَارِ ، [١]
بِجُرَةٍ كَأَتَانِ ٱلضَّحْلِ ، أَضْمَرَهَا ، بَعْدَ ٱلرَّبَالَةِ، تَرْحَالِي وَتَسْيَارِي ، [٢]
أُخْتِ ٱلْفَلَاةِ، إِذَا شُدَّتْ مَعَاقِدُهَا زَلَّتْ قُوَى ٱلنِّسْعِ عَنْ كَبْدَاءَ مِسْفَارِ ؛ [٣]
كَأَنَّهَا بُرْجُ رُومِيٍّ يُشَيِّدُهُ ، لُزَّ بِجِصٍّ وَآجُرٍّ وَأَحْجَارِ ، [٤]
أَوْ مُقْفِرٌ خَاضِبُ ٱلْأَظْلَافِ جَادَ لَهُ غَيْثٌ تَظَاهَرَ فِي مَيْثَاءَ مِبْكَارِ [٥]
يَجُولُ لَيْلَتَهُ وَٱلْعَيْنُ تَضْرِبُهُ مِنْهَا بِغَيْثٍ أَجَشِّ ٱلرَّعْدِ ثَيَّارِ ، [٦]
إِذَا أَرَادَ بِهَا ٱلتَّغْمِيضَ أَرَّقَهُ سَيْلٌ يَدِبُّ بِهَدْمِ ٱلتُّرْبِ مَوَّارِ . [٧]
كَأَنَّهُ ، إِذْ أَضَاءَ ٱلْبَرْقُ بَهْجَتَهُ ، فِي أَصْفَهَانِيَّةٍ أَوْ مُصْطَلِي نَارِ ؛ [٨]
حَتَّى إِذَا ٱنْجَابَ عَنْهُ ٱللَّيْلُ وَٱنْكَشَفَتْ سَمَاوُهُ عَنْ أَدِيمٍ مُصْحِرٍ عَارِ ، [٩]

---

١ المَهْمَه والمهمهة : المفازة البعيــدة الاطراف . الطامس : البعيد الذي لا يتبيّن من بعده . الغوائل ج غائلة وهي الشرّ . كلوء العين : ساهرها . المسهار : القويّ على السهر . وقد اراد بكلوء العين المسهار ناقته . ٢ أتان الضحْل : صخرة على فم الركيّة (البئر ذات الماء) يركبها الطحلب فتملاسّ . الربّالة : كثرة اللحم . ٣ النِّسع : سير من أدم، يُنسج عريضاً تشدّ به الرحـــال . وقوى النسع : طاقاته التي ضُفر منها . الكبداء : الضخمة الصدر . المسفار : الكثير الاسفار القوي عليها . ٤ الرومي : كان العرب يطلقون لفظة « روم » على اليونان ؛ وخصّ الروميّ لانه احكم عملًا . الجِصّ : الحجارة المطبوخة من الجبسين للبناء . ٥ المقفر : وصف للثور الذي يلزم القَفْر . الخاضب الاظلاف : المخضرها ؛ والاظلاف ج ظِلف وهو للبقر وشبهها بمنزلة الحافر للفرس . الميثاء : الأرض اللينة من غير رمل . مِبكار : باكرها المطر . ٦ العَين : السحاب . اجشّ الرعد : غليظه . الثيار . الشديد الانصباب . ٧ موّار : شديد، مثير للتراب . ٨ الاصفهانية : الثوب المصبوغ بالزعفران، صنع اصفهان . — يقول : اذا لمع البرق اضاء هذا الثور فظهر كأنه ملتف بثوب اصفر او كأنه مصطلٍ ناراً يظهر شخصه مصفرّاً من خلال اشعتها . ٩ انجاب السحاب او الليل : انكشف . المُصحر : الاحمر الى البياض . عارٍ : لا غيم فيه .

آنَسَ صَوتَ قَنِيصٍ، إذْ أحسَّ بِهِمْ، كَالْجِنِّ يَهْفُونَ مِنْ جَرْمٍ وَأَنْمَارِ، [١]
فَانْصَاعَ كَالْكَوْكَبِ الدُّرِّيِّ مَيْعَتُهُ غَضْبَانَ يَخْلِطُ مِنْ مَعْجٍ وَإِحْضَارِ. [٢]
فَأَرْسَلُوهُنَّ يُذْرِينَ التُّرَابَ كَمَا يُذْرِي سَبَائِخَ قُطْنٍ نَدْفُ أَوْتَارِ. [٣]
حَتَّى إذَا قُلْتُ: نَالَتْهُ سَوَابِقُهَا وَأَرْهَقَتْهُ بِأَنْيَابٍ وَأَظْفَارِ، [٤]
أَنْحَى إِلَيْهِنَّ عَيْناً غَيْرَ غَافِلَةٍ، وَطَعْنَ مُخْتَبِرِ الْأَقْرَانِ كَرَّارِ، [٥]
فَعَفَّرَ الضَّارِيَاتِ اللَّاحِقَاتِ بِهِ، عَفْرَ الْغَرِيبِ قِدَاحاً بَيْنَ أَيْسَارِ. [٦]

الاخطل شاعر الوصف:

٤٨ الخمر المعتّقة

[هذه أبيات من قصيدة مدح بها الاخطل يزيد بن معاوية، وقد ضمّنها وصفاً رائعاً للخمرة المعتّقة .]

وَشَارِبٍ، مُرْبِحٍ، بِالْكَأْسِ نَادَمَنِي، لَا بِالْحَصُورِ، وَلَا فِيهَا بِسَوَّارِ [٧]

١ آنس: سمع . القنيص: المصيد؛ ويريد الطريدة عموماً . بهم: الضمير للصياد وهم من قبيلتي جَرْم وأنمار وهما مشهورتان بالصيد . يهفون: يسرعون . — يقول: ان الثور سمع صوت طريدة احسّت بالصيادين فانصاع . . . — ٢ انصاع: انفتل ومرّ مسرعاً . الدرّي: المتوقّد الثاقب . ميعته: اول جريه . المعج: السير في كل وجه . الاحضار: الارتفاع في العدو . يقول: ان الثور لسرعته كان، في اول جريه، كالكوكب المنقض في الجوّ . ٣ ارسلوهنّ: اي الكلاب . السبائخ ج سبيخة: القطعة من القطن . الاوتار: يريد هنا اوتار المِنْدَف وهي آلة لندف القطن . ٤ ارهقته: ادركته وغشيته باظفارها وانيابها . ٥ انحى: أمال . ٦ عفّر الضاريات: اي صرع الكلاب وعفّرها بالتراب . الغريب: الذي يضرب السهام للمقامرين ولا يكون له سهم، فهو لا يحابي ولا يتحيز . القداح ج قِدح: سهم الميسر اي المقامرة . الأيسار ج يَسِر: المقامر . — يقول: كان الثور يعفر الكلاب بعزيمة صادقة مستمسكاً بهنّ استمساك الغريب الأمين يضرب القداح للمقامرين .

٧ وشارب: الواو واو رُبّ، اي ربّ شارب . المُربِح: الذي يصادف سوقاً ذات ربح . نادمه: شرب معه . الحَصُور: البخيل الذي لا ينفق على الندامى . السوّار: الوثّاب الذي يعربد من شرب الخمر .

نَازَعْتُهُ طَيِّبَ ٱلرَّاحِ ٱلشَّمُولِ ، وَقَدْ صَاحَ ٱلدَّجَاجُ ، وَحَانَتْ وَقْعَةُ ٱلسَّارِي ، ١
مِنْ خَمْرِ عَانَةَ ، يَنْصَاعُ ٱلْفُرَاتُ لَهَا بِجَدْوَلٍ صَخِبِ ٱلْآذِيِّ ، مَرَّارِ ، ٢
كُمَّتْ ثَلَاثَةَ أَحْوَالٍ بِطِينَتِهَا ، حَتَّى ، إِذَا صَرَّحَتْ مِنْ بَعْدِ تَهْدَارِ ، ٣
آلَتْ إِلَى ٱلنِّصْفِ مِنْ كَلْفَاءَ ، أَتْرَعَهَا عِلْجٌ ، وَلَثَّمَهَا بِٱلْجَفْنِ وَٱلْغَارِ . ٤
لَيْسَتْ بِسَوْدَاءَ مِنْ مَيْثَاءَ مُظْلِمَةٍ ، وَلَمْ تُعَذَّبْ بِإِدْنَاءٍ مِنَ ٱلنَّارِ . ٥
لَهَا رِدَاءَانِ : نَسْجُ ٱلْعَنْكَبُوتِ ، وَقَدْ حُفَّتْ بِآخَرَ مِنْ لِيفٍ وَمِنْ قَارِ . ٦
صَهْبَاءُ ، قَدْ كَلِفَتْ مِنْ طُولِ مَا حُبِسَتْ فِي مُخْدَعٍ بَيْنَ جَنَّاتٍ وَأَنْهَارِ ، ٧
عَذْرَاءُ ، لَمْ يَجْتَلِ ٱلْخُطَّابُ بَهْجَتَهَا ، حَتَّى ٱجْتَلَاهَا عِبَادِيٌّ بِدِينَارِ ، ٨
فِي بَيْتِ مُنْخَرِقِ ٱلسِّرْبَالِ ، مُعْتَمِلٍ ، مَا إِنْ عَلَيْهِ ثِيَابٌ غَيْرُ أَطْمَارِ . ٩
إِذَا أَقُولُ تَرَاضَيْنَا عَلَى ثَمَنٍ ، ضَنَّتْ بِهَا نَفْسُ خَبِّ ٱلْبَيْعِ مَكَّارِ . ١٠
كَأَنَّمَا ٱلْعِلْجُ ، إِذْ أَوْجَبْتُ صَفْقَتَهَا خَلِيعُ خَصْلٍ ، نَكِيبٌ بَيْنَ أَقْمَارِ . ١١
لَمَّا أَتَوْهَا بِمِصْبَاحٍ وَمِبْزَلِهِمْ ، سَارَتْ إِلَيْهِمْ سُؤُورَ ٱلْأَبْجَلِ ٱلضَّارِي ، ١٢

---

١ الشمول : الخمر لانها تجمع شمل شاربيها . وقعة السّاري : اي وقوف الذي يسير ليلاً عن السّير لطلوع الصباح . ٢ عانة : مدينة على الفرات مشهورة بخمرها . انصاع : انفتل راجعاً ومرّ . الآذيّ : الموج . المرّار : السريع الجري . ٣ كُمّت : غطيت . صرّحت : ذهب زبدها . ٤ آلتْ : نقصت وتحوّلت . الكَلْفاء : الخابية ذات اللون الاحمر الكَدِر . أترعها : ملأها . العِلج : الرّجل الضّخم . لثّمها : اي حوّطها ولفّها . الجفن : الكَرْم . ٥ الميثاء : الارض السهلة . ٦ القار : الزّفت . ٧ الصّهباء : الخمرة وسمّيت كذلك لشقرتها وحمرتها . كَلِفَتْ : اصبحت حمرتها كدِرة . المُخدَع : بيت يكون داخل البيت الكبير . ٨ اجتلى العروس على بَعلها : عرضها عليه مجلوّة . عبادي : اي رجل من عباد وهي قبائل كان منها من يتاجر بالخمرة . يقول : بقيت الخمرة التي يصفها عذراء غير مطلوبة الى ان عرضها عباديّ للبيع بدينار . ٩ مُنخرق السربال : ممزق الثياب . المعتمل : الذي يعمل لنفسه ويهتمّ . الاطمار : الثياب البالية . ١٠ خبّ البيع : الخدّاع في البيع ١١ الصفقَة : البَيْعة . الخليع : المقامر المراهن . الخَصْل : ما يُتقامر عليه . النّكيب : من حلت به نكبة اي مصيبة . الأقمار ج قمِر وهو المقامر . يقول : كانما الرجل الضخم الذي يبيع الخمرة احد المقامرين الذين نكبوا بالقمار ، فهو يهتمّ للخمرة ويتمنّع في بيعها لإظهار قيمتها . ١٢ المِبزل : ما يُثقب به إناء الخمر . سارت : ثارت وتوثبت . الأبجل : عرق غليظ في اليد . الضاري : العرق الذي بدا منه الدم . يقول : لما جاءوا بالمصباح والمثقب وثبت اليهم الخمرة وثوب الدم المندفع من الأبجل .

تَدْمَى، إِذَا طَعَنُوا فِيهَا بِجَائِفَةٍ فَوْقَ ٱلزُّجَاجِ، عَتِيقٌ، غَيْرُ مُسْطَارِ .[١]
كَأَنَّمَا ٱلْمِسْكُ نُهْبَى بَيْنَ أَرْحُلِنَا، مِمَّا تَضَوَّعَ مِنْ نَاجُودِهَا ٱلْجَارِي .[٢]

ميزة شعره: يمتاز وصف الاخطل بالدقَّة والشمول والتصوير الحيّ الناطق . وانك تشعر، وهو يصف، انّه يندفع مع ما يصف، وينبض قلبه بين الفاظه وأبياته . وإن في موسيقاه الشعريَّة أنشودة الشغف بالموصوف .

الفَرَزْدق (٦٤١ ـ ٧٣٢ م/ ٢٠ ـ ١١٤ ﻫ)

[عاش الفرزدق في بيت أصل وشرف، ونشأ نشأةً فيها من الاعتداد بالنفس والفسق شيء كثير فنظم الشعر واذا شعره مركب لتيهه وفسقه، وسلاح يناضل به نضالاً عنيفاً، ووسيلة للتكسّب وخدمة المصالح الشخصيَّة والقوميَّة .]

٤٩ عزفت باعشاش

[هذه احدى نقائض الفرزدق وفيها مدح لعبد الملك بن مروان، وفخر، وهجاء لجرير وقومه ردّ فيه على خصمه ردًّا مقذعاً .]

عَزَفْتَ بِأَعْشَاشٍ وَمَا كِدْتَ تَعْزِفُ وَأَنْكَرْتَ مِنْ حَدْرَاءَ مَا كُنْتَ تَعْرِفُ[٣]
وَلَجَّ بِكَ ٱلْهِجْرَانُ حَتَّى كَأَنَّمَا تَرَى ٱلْمَوْتَ فِي ٱلْبَيْتِ ٱلَّذِي كُنْتَ تَأْلَفُ[٤] . . .

* * *

إِلَيْكَ، أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ، رَمَتْ بِنَا هُمُومُ ٱلْمُنَى، وَٱلْهَوْجَلُ ٱلْمُتَعَسِّفُ[٥]

---

١ الجائفة: الطعنة تبلغ الجوف . العتيق: الخمر القديمة الحسنة . المسطار: الخمرة الحديثة .
٢ النهبى: اسم للمنهوب . الناجود: وعاء الخمر .
٣ عزف عن الشيء: إنصرف عنه . أعشاش: موضع بالبادية . حدراء: اسم علم لامرأة .
٤ لجّ بك الهجران: ابي ابيت إلا ان تكون هاجراً .
٥ الهوجل: الفلاة البعيدة يُسار فيها على غير هدى . المتعسف: الذي لا يهتدى فيه على طريق .

وَعَضُّ زَمَانٍ، يَا ٱبْنَ مَرْوَانَ، لَمْ يَدَعْ ‍ ‍ ‍ مِنَ ٱلْمَالِ إِلَّا مُسْحَتًا أَوْ مُجَرَّفُ[١]..

* * *

إِذَا ٱغْبَرَّ آفَاقُ ٱلسَّمَاءِ، وَكَشَّفَتْ ‍ ‍ ‍ كُسُورَ بُيُوتِ ٱلْحَيِّ حَمْرَاءُ حَرْجَفُ[٢]

وَهَتَّكَتِ ٱلْأَطْنَابَ كُلُّ عَظِيمَةٍ ‍ ‍ ‍ لَهَا تَامِكٌ مِنْ صَادِقِ ٱلنِّيِّ أَعْرَفُ[٣]

وَجَاءَ قَرِيعُ ٱلشَّوْلِ قَبْلَ إِفَالِهَا ‍ ‍ ‍ يَزِفُّ، وَرَاحَتْ خَلْفَهُ وَهْيَ زُفَّفُ[٤]

وَبَاشَرَ رَاعِيهَا ٱلصِّلَى بِلَبَانِهِ ‍ ‍ ‍ وَكَفَّيْهِ حَرَّ ٱلنَّارِ مَا يَتَحَرَّفُ[٥]

وَأَوْقَدَتِ ٱلشِّعْرَى، مَعَ ٱللَّيْلِ، نَارَهَا ‍ ‍ ‍ وَأَمْسَتْ مَحُولًا جِلْدُهَا يَتَوَسَّفُ[٦]

وَأَصْبَحَ مَوْضُوعُ ٱلصَّقِيعِ كَأَنَّهُ، ‍ ‍ ‍ عَلَى سَرَوَاتِ ٱلنِّيبِ، قُطْنٌ مُنَدَّفُ[٧]

وَقَاتَلَ كَلْبُ ٱلْحَيِّ عَنْ نَارِ أَهْلِهِ ‍ ‍ ‍ لِيَرْبِضَ فِيهَا، وَٱلصِّلَى مُتَكَنَّفُ[٨]

وَجَدْتَ ٱلثَّرَى فِينَا إِذَا يَبِسَ ٱلثَّرَى، ‍ ‍ ‍ وَمَنْ هُوَ يَرْجُو فَضْلَهُ ٱلْمُتَضَيِّفُ[٩]

---

١ المُسْحت: المستأصَل. المجرّف: المأخوذ. يقول: أتينا اليك يا أمير المؤمنين، مؤمّلين لخيرك وإفضالك ترمي بنا اليك فيافي الأرض ومجاهلها، وزمانٌ قاسٍ لم يدع لنا من المال لا اخضر ولا يابساً. — قال ابو عبيدة: سمعتُ رواية الفرزدق يروي هذا البيت: لم يدع من المال إلا مسحتٌ أو مجرّفُ بالرفع؛ وهكذا رواه صاحب اللسان؛ فكان معنى «لم يدع» لم يستقرّ ولم يبقَ. وأما من قال «إلا مسحتاً او مجرّف»، اراد: لم يترك إلا شيئاً مستأصَلاً هالكاً؛ وقيل نصب الشاعر «مسحتاً» بوقوع الفعل عليه وقد وليه الفعل، ولم يلِ الفعل «مجرّف»، فاستؤنف به، فرُفع.

٢ آفاق السماء: جوانبها. الكسور ج كسر: وهو ما وقع على الأرض من البيت. الحَرجف: الريح الشديدة الهبوب.

٣ الاطناب ج طنب: وهو حبل طويل يُشدّ به سُرادق البيت او الوتد. التّامك: السّنام العظيم. النيّ: الشحم. الأعرف: الطويل العُرف. يقول: اذا اصابها البرد دخلت الخباء فقطعت الاطناب.

٤ القريع: الفحل. الشّول: الإبل التي نقصت ألبانها. الإفال: صغار الإبل. يزفّ: يعدو.

٥ الصّلى: النار. اللّبان: الصّدر. يتحرّف: يميل

٦ الشّعرى: كوكب يطلع في أوّل الشتاء. الأرض المَحول: المُجدبة. يتوسّف: يتقشّر؛ يعني ان جلد الارض يتقشّر من الجَدب وان السماء صافية الاديم ليس فيها سحاب.

٧ الصّقيع: ما تساقط من السماء في الليل كأنه ثلج وهو المعروف بالملاح؛ موضوع الصقيع: ما تساقط منه. السّروات ج سراة وهي الظهر؛ النّيب: الإبل؛ سروات النيب: أسنمتها.

٨ المتكنّف: ما اجتمع حوله. يقول: قاتل الكلبُ اهله عن النار من شدّة البرد.

٩ الثّرى: الندى. يقول: اذا نزل عندنا الضّيف في هذه الشدّة والبرد وجد خصباً وندى.

تَرَى جارَنَا فِينَا يُجِيرُ، وَإِنْ جَنَى، فَلَا هُوَ مِمَّا يُنْطِفُ الْجَارَ يُنْطَفُ ١
وَيَمْنَعُ مَوْلَانَا، وَإِنْ كَانَ نَائِيًا، بِنَا جَارَهُ مِمَّا يَخَافُ وَيَأْنَفُ ٢
وَقَدْ عَلِمَ الْجِيرَانُ أَنَّ قُدُورَنَا ضَوَامِنُ لِلْأَرْزَاقِ، وَالرِّيحُ زَفْزَفُ ٣
نُعَجِّلُ لِلضِّيفَانِ، فِي الْمَحْلِ، بِالْقِرَى قُدُورًا بِمَعْبُوطٍ تُمَدُّ وَتُغْرَفُ ٤
تُفَرَّغُ فِي شِيزَى، كَأَنَّ جِفَانَهَا حِيَاضُ جِبًى، مِنْهَا مِلَاءٌ وَنُصَّفُ ٥
تَرَى حَوْلَهُنَّ الْمُعْتَفِينَ كَأَنَّهُمْ عَلَى صَنَمٍ، فِي الْجَاهِلِيَّةِ، عُكَّفُ ٦
قُعُودًا، وَخَلْفَ الْقَاعِدِينَ سُطُورُهُمْ جُنُوحٌ، وَأَيْدِيهِمْ جُمُوسٌ وَنُطَّفُ ٧
وَمَا حَلَّ، مِنْ جَهْلٍ، حُبَى حُلَمَائِنَا، وَلَا قَائِلٌ بِالْعُرْفِ فِينَا يُعَنَّفُ ٨
وَمَا قَامَ مِنَّا قَائِمٌ فِي نَدِيِّنَا فَيَنْطِقَ، إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَعْرَفُ ٩
وَإِنِّي لَمِنْ قَوْمٍ بِهِمْ تُتَّقَى الْعِدَى، وَرَأْبُ الثَّأَى، وَالْجَانِبُ الْمُتَخَوَّفُ ١٠
وَأَضْيَافُ لَيْلٍ قَدْ نَقَلْنَا قِرَاهُمُ إِلَيْهِمْ، فَأَتْلَفْنَا الْمَنَايَا وَأَتْلَفُوا ١١
قَرَيْنَاهُمُ الْمَأْثُورَةَ الْبِيضَ قَبْلَهَا يُثِجُّ الْعُرُوقَ الْأَزْأَنِيُّ الْمُثَقَّفُ ١٢

---

١ يُنْطِف : يصيب، يهلك . يقول : ان جارنا يجير في ظلّنا لما نحن عليه من عزّ ومَنَعَة، وهو ابداً في سلامة وخير لا يصيبه مكروه . ٢ المولى : العبد المُعتَق . ٣ الريح الزّفزف : الشديدة الهبوب والباردة . ٤ المحل : السنة المُجدبة . القِرى : الضيافة . المعبوط : المذبوح . ٥ الشّيزى : الجفان تصنع من خشب الشّيز وهو خشب أسود . حياض جبىً : اي حياض جُمع فيها الماء لورود الماشية . النُّصّف ج ناصف وهو الذي بلغ النصف . ٦ المعتفون : الضيوف وطالبو الرّزق . ٧ سطورهم : صفوفهم . الجُنوح : المائلون، العاكفون على الطعام . الجُموس ج جامسة : وهي ما جمد عليها السّمْن . النطّف ج ناطفة وهي التي تقطر سمناً . يقول : من الناس من أكل فقد جمس السمن على يده، ومنهم من كان يأكل فهو يقطر من يده . ٨ الحُبى ج حبوة من الاحتباء : وهو ان يقعد الرجل مستنداً الى ساقيه . الحُلَماء : اصحاب العقل والتفكير . ٩ النّديّ . المجلس والنادي . ١٠ الرأب . الاصلاح . الثّأى : الفساد بين القوم . الجانب المتخوّف : الناحية التي يدخل منها العدوّ، الثّغر . ١١ يقول : واضياف ليل قد نقلنا اليهم المنايا قِرى لهم اي جئنا بها اليهم، فأتلفونا وأتلفناهم اي قتلوا منا وقتلنا منهم . ١٢ المأثورة : السيوف التي صُقلت حتى ظهر اثرها اي فرندها وحسنها الذي تراه في السيف كأنه ارجل نمل . يُثجّ : يُسيل . الأزأنيّ : الرّماح . المثقّف : المقدّم بالثقاف وهو خشبة تسوّى بها الرماح حتى يستوي عوجها ويستقيم .

وَمَسْرُوحَةٍ مِثْلَ ٱلْجَرَادِ يَسُوقُهَا   مُمَرٌّ قُوَاهُ وَٱلسَّرَاءُ ٱلْمُعَطَّفُ[١]
فَأَصْبَحَ فِي حَيْثُ ٱلْتَقَيْنَا شَرِيدُهُمْ   طَلِيقٌ، وَمَكْتُوفُ ٱلْيَدَيْنِ، وَمُزْعَفُ[٢]
وَكُنَّا إِذَا مَا ٱسْتَكْرَهَ ٱلضَّيْفُ بِٱلْقِرَى،   أَتَتْهُ ٱلْعَوَالِي وَهْيَ بِٱلسَّمِّ تَرْعُفُ[٣]
وَلَا نَسْتَجِمُّ ٱلْخَيْلَ حَتَّى نُعِيدَهَا   غَوَانِمَ مِنْ أَعْدَائِنَا، وَهْيَ زُحَّفُ[٤]
كَذٰلِكَ كَانَتْ خَيْلُنَا مَرَّةً تُرَى   سِمَانًا، وَأَحْيَانًا تُقَادُ فَتَعْجَفُ[٥]
لَنَا ٱلْعِزَّةُ ٱلْقَعْسَاءُ، وَٱلْعَدَدُ ٱلَّذِي   عَلَيْهِ إِذَا عُدَّ ٱلْحَصَى يُتَحَلَّفُ[٦]
وَلَا عِزَّ إِلَّا عِزُّنَا قَاهِرٌ لَهُ،   وَيَسْأَلُنَا ٱلنِّصْفَ ٱلذَّلِيلُ فَيُنْصَفُ
وَمِنَّا ٱلَّذِي لَا يَنْطِقُ ٱلنَّاسُ عِنْدَهُ،   وَلٰكِنْ هُوَ ٱلْمُسْتَأْذَنُ ٱلْمُتَنَصَّفُ[٧]
تَرَاهُمْ قُعُودًا حَوْلَهُ، وَعُيُونُهُمْ   مُكَسَّرَةٌ أَبْصَارُهَا مَا تَصَرَّفُ[٨]
وَبَيْتَانِ : بَيْتُ ٱللهِ نَحْنُ وُلَاتُهُ،   وَبَيْتٌ بِأَعْلَى إِيلِيَاءَ مُشَرَّفُ[٩]...
تَرَى ٱلنَّاسَ، مَا سِرْنَا، يَسِيرُونَ خَلْفَنَا؛   وَإِنْ نَحْنُ أَوْمَأْنَا إِلَى ٱلنَّاسِ وَقَّفُوا
أُلُوفُ أُلُوفٍ مِنْ دُرُوعٍ وَمِنْ قَنًا   وَخَيْلٌ كَرَيْعَانِ ٱلْجَرَادِ، وَحَرْشَفُ[١٠]...
فَإِنَّكَ، إِذْ تَسْعَى لِتُدْرِكَ دَارِمًا،   لَأَنْتَ ٱلْمُعَنَّى، يَا جَرِيرُ، ٱلْمُكَلَّفُ...

ميزة شعره : في هذه القصيدة هجاء وفخر . وهجاء الفرزدق يعتمد على الفخر ويتقوّى به ويجعله وسيلة للانقضاض على خصمه وتحقيره . وفي فخره تبجّح شديد وفيه اتّساع آفاق، واشتداد لهجة، وطول نفَس، وقوّة عبارة، الّا انه يضطرب في ميدان قلّما يتبدّل ويأتي بمعانٍ قليلة التنوّع .

---

١ المسروحة : النَّبْل . الممرّ : وتر القوس . قواه : طاقاته كل طاقة قوّة . السَّرَاء : شجر تُتّخذ منه القسيّ . المعطّف : القوس . ٢ المُزعف : من ينزع للموت ممّا به من الجراحات .
٣ يقول : اذا اراد ان تقربه كرها لقيناه بالرماح تقطر دماً . ٤ استجمّ الخيل : تركها تستريح . يقول : لا نترك خيلنا تستريح اذا رجعت من غزو بل نجعلها تصل الغزو بغزو آخر من غير ما راحة ولا هوادة . ٥ تعجف : تهزل . ٦ القعساء : الثابتة . يُتَحَلَّف : اي يجتمع عليه الناس حلفاء؛ وقد روي « يتخلّف » اي اذا عُدّ الحصى كان الحصى دونه عدداً .
٧ المُتَنَصَّف : المخدوم؛ يعني امير المؤمنين . ٨ ما تصَرَّف : لا تنظر يَمْنة ولا يسرة من مهابته .
٩ بيت الله : الكعبة . وبيت بأعلى ايلياء : يريد بيت المقدس . يقول : لنا الكعبة وبيت المقدس .
١٠ القنا : الرماح . رَيْعَان كل شيء : اوّله ومقدّمه؛ ويريد بالخيل الفرسان . الحرشف : الرجّالة .

٥٠ عليّ بن زيد العابدين

[لما حجّ هشام بن عبد الملك في ايام ابيه، طاف بالبيت وجهد ان يصل الى الحجر الاسود ليستلمه، فلم يقدر على ذلك لكثرة الزحام . فنصب له كرسي وجلس عليه ينظر الى الناس، ومعه جماعة من اعيان اهل الشام . فبينما هو كذلك اذ اقبل زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب ، فطاف بالبيت . فلما انتهى الى الحجر تنحى له الناس حتى استلم الحجر . فقال رجل من اهل الشام لهشام : من هذا الذي هابه الناس هذه الهيبة ؟ فقال هشام : لا اعرفه ، مخافة ان يرغب فيه اهل الشام . وكان الفرزدق حاضراً . فقال : انا اعرفه، ثم اندفع فانشد القصيدة :]

هٰذَا ٱلَّذِي تَعْرِفُ ٱلْبَطْحَاءُ وَطْأَتَهُ ... وَٱلْبَيْتُ يَعْرِفُهُ وَٱلْحِلُّ وَٱلْحَرَمُ ١
هٰذَا ٱبْنُ خَيْرِ عِبَادِ ٱللهِ كُلِّهِمِ ... هٰذَا ٱلتَّقِيُّ ٱلنَّقِيُّ ٱلطَّاهِرُ ٱلْعَلَمُ ٢
هٰذَا ٱبْنُ فَاطِمَةٍ، إِنْ كُنْتَ جَاهِلَهُ، ... بِجَدِّهِ أَنْبِيَاءُ ٱللهِ قَدْ خُتِمُوا
وَلَيْسَ قَوْلُكَ : «مَنْ هٰذَا ؟» بِضَائِرِهِ ... أَلْعُرْبُ تَعْرِفُ مَنْ أَنْكَرْتَ وَٱلْعَجَمُ ٣
كِلْتَا يَدَيْهِ غِيَاثٌ عَمَّ نَفْعُهُمَا ، ... يُسْتَوْكَفَانِ، وَلَا يَعْرُوهُمَا عَدَمُ ٤
سَهْلُ ٱلْخَلِيقَةِ، لَا تُخْشَى بَوَادِرُهُ ؛ ... يَزِينُهُ ٱثْنَانِ : حُسْنُ ٱلْخَلْقِ وَٱلشِّيَمُ ٥
حَمَّالُ أَثْقَالِ أَقْوَامٍ، إِذَا ٱفْتُدِحُوا ، ... حُلْوُ ٱلشَّمَائِلِ ، تَحْلُو عِنْدَهُ نَعَمُ ٦
مَا قَالَ : «لَا» قَطُّ، إِلَّا فِي تَشَهُّدِهِ ، ... لَوْلَا ٱلتَّشَهُّدُ كَانَتْ لَاءَهُ نَعَمُ ٧

---

١ البطحاء . في الاصل : مسيل واسع فيه دقائق الحصى ؛ ويراد هنا الارض المنبطحة التي فيها مكة . الوطأة : موضع القدَم . البيت : الكعبة . الحرَم : مواضع معروفة محدّدة تلي مكّة، حرّم فيها بعض الامور كالصّيد وقطع الشعر . الحلّ : عبارة عمّا وراء تلك المواضع اي سائر الدّنيا ؛ وفي هذا كله كناية عن فضل الممدوح وشهرته . ٢ العَلَم : السيّد . ٣ الضائر : المُضِرّ . ٤ الغياث : المطر الذي يُغيث . استوكفه : استقطره . ٥ البوادر : ج بادرة : وهي الحدّة او ما يبدُر من الحدّة في الغضب من قول او فعل من غير رويّة . ٦ افتدحه : اثقله . الشمائل ج شميلة وهي الطبع والخصلة . ٧ التشهُّد : هو ان يقول الانسان : أشهد ان لا إله إلا الله .

عَمَّ ٱلْبَرِيَّةَ بِٱلْإِحْسَانِ، فَٱنْقَشَعَتْ   عَنْهَا ٱلْغَيَاهِبُ وَٱلْإِمْلَاقُ وَٱلْعَدَمُ[١]
إِذَا رَأَتْهُ قُرَيْشٌ، قَالَ قَائِلُهَا :   إِلَى مَكَارِمِ هٰذَا يَنْتَهِي ٱلْكَرَمُ
يُغْضِي حَيَاءً، وَيُغْضَى مِنْ مَهَابَتِهِ ؛   فَمَا يُكَلَّمُ إِلَّا حِينَ يَبْتَسِمُ[٢] ...
مَنْ يَشْكُرِ ٱللهَ يَشْكُرْ أَوَّلِيَّةَ ذَا ؛   فَٱلدِّينُ مِنْ بَيْتِ هٰذَا نَالَهُ ٱلْأُمَمُ
يُنْمَى إِلَى ذُرْوَةِ ٱلدِّينِ ٱلَّتِي قَصُرَتْ   عَنْهَا ٱلْأَكُفُّ، وَعَنْ إِدْرَاكِهَا ٱلْقَدَمُ
مِنْ جَدِّهِ، دَانَ فَضْلُ ٱلْأَنْبِيَاءِ لَهُ ؛   وَفَضْلُ أُمَّتِهِ دَانَتْ لَهُ ٱلْأُمَمُ[٣]
مُشْتَقَّةٌ مِنْ رَسُولِ ٱللهِ نَبْعَتُهُ ؛   طَابَتْ مَغَارِسُهُ وَٱلْخِيمُ وَٱلشِّيَمُ[٤]
يَنْشَقُّ ثَوْبُ ٱلدُّجَى عَنْ نُورِ غُرَّتِهِ،   كَٱلشَّمْسِ تَنْجَابُ عَنْ إِشْرَاقِهَا ٱلظُّلَمُ[٥]
مِنْ مَعْشَرٍ حُبُّهُمْ دِينٌ، وَبُغْضُهُمُ   كُفْرٌ، وَقُرْبُهُمُ مَنْجًى وَمُعْتَصَمُ[٦]
مُقَدَّمٌ بَعْدَ ذِكْرِ ٱللهِ ذِكْرُهُمُ،   فِي كُلِّ بَدْءٍ، وَمَخْتُومٌ بِهِ ٱلْكَلِمُ
إِنْ عُدَّ أَهْلُ ٱلتُّقَى، كَانُوا أَئِمَّتَهُمْ،   أَوْ قِيلَ : «مَنْ خَيْرُ أَهْلِ ٱلْأَرْضِ ؟» قِيلَ «هُمُ»
لَا يَسْتَطِيعُ جَوَادٌ بَعْدَ جُودِهِمِ،   وَلَا يُدَانِيهِمِ قَوْمٌ، وَإِنْ كَرُمُوا
هُمُ ٱلْغُيُوثُ، إِذَا مَا أَزْمَةٌ أَزَمَتْ ؛   وَٱلْأُسْدُ أُسْدُ ٱلشَّرَى، وَٱلْبَأْسُ مُحْتَدِمُ[٧]
لَا يُنْقِصُ ٱلْعُسْرُ بَسْطًا مِنْ أَكُفِّهِمِ ؛   سِيَّانِ ذٰلِكَ : إِنْ أَثْرَوْا وَإِنْ عَدِمُوا
يُسْتَدْفَعُ ٱلشَّرُّ وَٱلْبَلْوَى بِحُبِّهِمِ ؛   وَيُسْتَرَبُّ بِهِ ٱلْإِحْسَانُ وَٱلنِّعَمُ[٨]

ميزة شعره : في هذه القصيدة اندفاع من احبّ، وثورة مَن أخلص ؛ وانّنا لا نكاد نلمس صدق العاطفة في مدائح الفرزدق الّا في ما يتعلّق بآل البيت . وهو فيما سوى ذلك يعمد الى الغلوّ والمداهنة ليخفي ضعف العاطفة .

١ الغياهب ج غيهب : وهو الظلمة . الإملاق : الفقر الشديد . ٢ يُغضي : يقارب بين أجفان عينيه ويطبّقها حتى لا يبصر شيئاً . ٣ دان له : خضع . ٤ الخيم : الطبيعة والسجيّة . ٥ انجاب : انكشف . ٦ المُعتَصَم : الملجأ . ٧ الغيوث ج غيث : وهو المطر . أزَمت : اشتدّت . الشرى : مأسدة في نواحي الفرات ينسب اليها الاسود الكثيرة الفتك . البأس : الشدّة في الحرب . ٨ يُستربّ : يُستزاد .

٥١ الشاعر والذئب

[جاء في الديوان عن الحرمازي انه قال : كان الفرزدق قد خرج في نفر من الكوفة فلما عرّسوا من آخر الليل عند الغريّين* وعلى بعير لهم مسلوخة كان اجتزر شاة ثم اعجله المسير فسار بها فجاء الذئب فحرّكها وهي مربوطة على بعير، فذُعرت الإبل وجفلت الركّاب منه وثار الفرزدق، فابصر الذئب ينهسها، فقطع رجل الشاة فرمى بها الى الذئب، فأخذها وتنحّى ثم عاد فقطع اليد فرمى بها اليه، فلمّا أصبح القوم خبّرهم الفرزدق بما كان وقال :]

وَأَطْلَسَ عَسَّالٍ وَمَا كَانَ صَاحِباً دَعَوْتُ بِنَارِي مَوْهِناً فَأَتَانِي ١
فَلَمَّا أَتَى قُلْتُ ٱدْنُ دُونَكَ إِنَّنِي وَإِيَّاكَ فِي زَادِي لَمُشْتَرِكَانِ
فَبِتُّ أُسَوِّي ٱلزَّادَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ عَلَى ضَوْءِ نَارٍ مَرَّةً وَدُخَانِ
وَقُلْتُ لَهُ لَمَّا تَكَشَّرَ ضَاحِكاً وَقَائِمُ سَيْفِي فِي يَدِي بِمَكَانِ ٢
تَعَشَّ فَإِنْ عَاهَدْتَنِي لَا تَخُونُنِي نَكُنْ مِثْلَ مَنْ يَا ذِئْبُ يَصْطَحِبَانِ ٣
وَأَنْتَ ٱمْرُؤٌ يَا ذِئْبُ وَٱلْغَدْرُ كُنْتُمَا أُخَيَّيْنِ كَانَا أُرْضِعَا بِلِبَانِ ٤
وَلَوْ غَيْرَنَا نَبَّهْتَ تَلْتَمِسُ ٱلْقِرَى رَمَاكَ بِسَهْمٍ أَوْ شَبَاةِ سِنَانِ ٥

ميزة شعره : الفرزدق وصّاف ماهر يصطبغ وصفه بصبغة القصص الـذي يُحسن الشاعر سرْدَه في دقّة وتصوير .

---

* الغريّان : هما بناءان مشهوران بالكوفة ويقال هما قبر مالك وعقيل نديمي جذيمة الابرش وسمّيا غريين لانّ النعمان بن المنذر كان يغريهما بدم مَن يقتله اذا خرج في يوم بؤسه .

١ الأطلس : الذئب الامعط في لونه غبرة الى السواد . العسّال : السريع، المضطرب في سيره . الموهن : نصف الليل . ٢ تكشّر : أبدى اسنانه ضاحكاً . قائم السيف : مقبضه . ٣ اي اذا لم تظهر عليك علامة الغدر بقيتُ معك وبقيت معي كالمصطحبَين . ٤ المراد ومع أني اعرف أنك والغدر متلازمان لا تفترقان فشيمتك الغدر دائماً . ٥ القِرى : الضيافة . شباة السنان : حدّه .

٥٢ الشاعر وإبليس

[جاء في الديوان أنّ الفرزدق دخل يوماً المربد فلقي رجلاً من موالي باهلة يُقال له حُمام، ومعه نِحي من سمن يبيعه . فسامه الفرزدق به . فقال لـه حمام : « ادفعه اليك وتهب لي اعراض قومي ! » ففعل . وقال وفي قوله هجاء لابليس :]

إذَا شِئْتُ هَاجَتْنِي دِيَارٌ مُحِيلَةٌ، وَمَرْبِطُ أَفْلَاءٍ أَمَامَ خِيَامِ ١
بِحَيْثُ تَلَاقَى ٱلْحَمْضُ وَٱلدَّوُّ، هَاجَتَا لِعَيْنَيَّ أَغْرَاباً ذَوَاتِ سِجَامِ ٢
فَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا غَيْرُ أَثْلَمَ خَاشِعٍ، وَغَيْرُ ثَلَاثٍ لِلرَّمَادِ رِئَامِ ٣
أَلَمْ تَرَنِي عَاهَدْتُ رَبِّي، فَإِنَّنِي لَبَيْنَ رِتَاجٍ قَائِمٌ وَمَقَامِ ٤
عَلَى قَسَمٍ: لَا أَشْتِمُ ٱلدَّهْرَ مُسْلِماً، وَلَا خَارِجاً مِنْ فِيَّ سُوءُ كَلَامِي
أَلَمْ تَرَنِي وَٱلشِّعْرَ، أَصْبَحَ بَيْنَنَا دُرُوءٌ مِنَ ٱلْإِسْلَامِ، ذَاتُ حَوَامِ ٥
بِهِنَّ شَفَى ٱلرَّحْمَانُ صَدْرِي، وَقَدْ جَلَا عَشَا بَصَرِي مِنْهُنَّ ضَوْءُ ظَلَامِ ٦
فَأَصْبَحْتُ أَسْعَى فِي فَكَاكِ قِلَادَةٍ، رَهِينَةِ أَوْزَارٍ عَلَيَّ عِظَامِ ٧
أُحَاذِرُ أَنْ أُدْعَى، وَحَوْضِي مُحَلِّقٌ، إِذَا كَانَ يَوْمُ ٱلْوِرْدِ يَوْمَ خِصَامِ ٨

---

١ المُحيلة : المتغيِّرة . الأفلاء ج فِلو وهو الجحش والمُهر فُطِما او بلغا السَّنة . ٢ الحمض : ما مَلُح وأمرّ من النبات وهو كفاكهة الإبل تأكله عند سآمتها من الخُلّة وهي ما حلا من النبات ؛ والإبل تميل الى الحمض بعد ان تشبع من الخُلّة فكأنها تهضم به . الدوّ : المفازة . الأغراب ج غَرْب : وهو عِرق في العين يسقي لا ينقطع، ويُطلق ايضاً على مسيل الدمع في العين . السِّجام : السَّيلان . ٣ الأثلم : هنا بمعنى الجدار المهدوم . الخاشع : المتصدِّع الذي لم يبق منه الا الشيء القليل . ثلاث : اي ثلاث اثافي، والاثافيّ ج أُثفيّة : وهي الحجر يوضع عليه القِدْر للطبخ . الرئام ج رؤوم : وهي التي تعطف على ولدها . يقول : لم يبق من الدار الا بقايا جدران مهدّمة وثلاث اثافيّ تحيط بالرماد كأنها امهات تعطف على ابنائها . ٤ الرتاج : الباب العظيم، واسم مكّة ؛ فيُكنى بالباب عن الكعبة لأن منه يُدخل اليها . المقام : هو الحجر الذي يقال انه يحمل اثر قدمي ابراهيم الخليل في الكعبة . ٥ الدّروء ج دَرْء : وهو الميْل والعوج . يقول : انّ الاسلام جعل بينه وبين الشعر الهجائي سدوداً منيعة . ٦ عشا البصر : سوء البصر بالليل . ٧ القلادة : ما يجعل في العنق من الحلي، ويعني بها الطوق، والقيد . ٨ الحوض المحلِّق : الحوض الذي جفّ ماؤه . يوم الخصام : اي يوم الدينونة .

وَلَمْ أَنْتَبِهْ ، حَتَّى أَحَاطَتْ خَطِيئَتِي … وَرَائِي ، وَدَقَّتْ لِلْهَوَانِ عِظَامِي[1] . . .

لَعَمْرِي ، لَنِعْمَ ٱلنِّحْيُ ! كَانَ لِقَوْمِهِ … عَشِيَّةَ غَبَّ ٱلْبَيْعُ ، نِحْيُ حَمَامِ[2]

بِتَوْبَةِ عَبْدٍ ، قَدْ أَنَابَ فُؤَادُهُ ، … وَمَا كَانَ يُعْطِي ٱلنَّاسَ غَيْرَ ظِلَامِ[3]

أَطَعْتُكَ ، يَا إِبْلِيسُ ، سَبْعِينَ حِجَّةً ؛ … فَلَمَّا ٱنْتَهَى شَيْبِي وَتَمَّ تِمَامِي[4]

فَرَرْتُ إِلَى رَبِّي ، وَأَيْقَنْتُ أَنَّنِي … مُلَاقٍ لِأَيَّامِ ٱلْمَنُونِ حِمَامِي[5]

وَلَمَّا دَنَا رَأْسُ ٱلَّتِي كُنْتُ خَائِفًا ، … وَكُنْتُ أَرَى فِيهَا لِقَاءَ لِزَامِ[6]

حَلَفْتُ عَلَى نَفْسِي لَأَجْتَهِدَنَّهَا … عَلَى حَالِهَا : مِنْ صِحَّةٍ وَسَقَامِ

أَلَا طَالَمَا قَدْ بِتُّ ، يُوضِعُ نَاقَتِي … أَبُو ٱلْجِنِّ ، إِبْلِيسُ ، بِغَيْرِ خِطَامِ[7]

يَظَلُّ يُمَنِّينِي عَلَى ٱلرَّحْلِ وَارِكًا ، … يَكُونُ وَرَائِي مَرَّةً وَأَمَامِي[8]

يُبَشِّرُنِي أَنْ لَنْ أَمُوتَ ، وَأَنَّهُ … سَيُخْلِدُنِي فِي جَنَّةٍ وَسَلَامِ

فَقُلْتُ لَهُ : هَلَّا أُخَيَّكَ أَخْرَجَتْ … يَمِينُكَ مِنْ خُضْرِ ٱلْبُحُورِ طَوَامِي[9]

رَمَيْتَ بِهِ فِي ٱلْيَمِّ ، لَمَّا رَأَيْتَهُ … كَفِرْقَةِ طَوْدَيْ يَذْبُلٍ وَشَمَامِ[10]

فَلَمَّا تَلَاقَى فَوْقَهُ ٱلْمَوْجُ طَامِيًا ، … نَكَصْتَ ، وَلَمْ تَحْتَلْ لَهُ بِمَرَامِ[11]

أَلَمْ تَأْتِ أَهْلَ ٱلْحِجْرِ ، وَٱلْحِجْرُ أَهْلُهُ … بِأَنْعَمِ عَيْشٍ فِي بُيُوتِ رُخَامِ[12]

فَقُلْتَ : ٱعْقِرُوا هٰذِي ٱللَّقُوحَ ، فَإِنَّهَا … لَكُمْ ، أَوْ تُنِيخُوهَا لَقُوحَ غَرَامِ[13]

---

١ الهوان : بسبب الذل والحقارة . ٢ النحي : الزق او ما كان للسمن خاصة . غب البيع : تم . الحمام : الحمّى . ٣ اناب فؤاده : تاب وارتد عن غيه . الظلام : عشبة ذات عساليج طوال ؛ ويقال نظر اليّ ظلاماً اي شزراً ؛ يقول : انه لم ينل الناس قبل توبته إلا السوء والكلام المر . ٤ تم تمامي : بلغت نهاية حياتي . ٥ الحِمام : الموت . ٦ اللزام : الموت والحساب . ٧ يوضع ناقتي : يسيرها . الخطام : حبل يجعل في عنق البعير ويثنى في خطمه اي انفه ، وكل ما وضع في أنف البعير ليقتاد به . ٨ يمنيني بكذا : يجعله لي امنية . ورك الراكب : ثنى رجله ليستريح ، او اعتمد على وركه . ٩ أخيك : تصغير اخيك ، اراد به فرعون الذي غرق بجيشه في البحر الاحمر . الطوامي : الممتلئة . ١٠ الفرقة : الطائفة . يذبل وشمام : جبلان في ارض باهلة . ١١ نكصت : رجعت . ١٢ الحِجْر : ديار ثمود في ناحية الشام عند وادي القرى . ١٣ اللقوح : الناقة . الغرام : الهلاك . وفي البيت اشارة الى قصة ثمود وعقر ناقة صالح .

فَلَمَّا أَنَاخُوهَا ، تَبَرَّأْتَ مِنْهُمُ ، وَكُنْتَ نَكُوصاً عِنْدَ كُلِّ ذِمَامِ [١]
وَآدَمُ قَدْ أَخْرَجْتَهُ ، وَهْوَ سَاكِنٌ وَزَوْجَتَهُ ، مِنْ خَيْرِ دَارِ مُقَامِ
وَأَقْسَمْتَ ، يَا إِبْلِيسُ ، إِنَّكَ نَاصِحٌ لَهُ وَلَهَا ، إِقْسَامَ غَيْرِ أَثَامِ
فَظَلَّا يَخِيطَانِ ٱلْوِرَاقَ عَلَيْهِمَا ، بِأَيْدِيهِمَا ، مِنْ أَكْلِ شَرِّ طَعَامِ [٢]
وَكَمْ مِنْ قُرُونٍ قَدْ أَطَاعُوكَ، أَصْبَحُوا أَحَادِيثَ ، كَانُوا فِي ظِلَالِ غَمَامِ
وَمَا أَنْتَ، يَا إِبْلِيسُ، بِٱلْمَرْءِ أَبْتَغِي رِضَاهُ ، وَلَا يَقْتَادُنِي بِزِمَامِ
سَأَجْزِيكَ، مِنْ سَوْآتِ مَا كُنْتَ سُقْتَنِي إِلَيْهِ ، جُرُوحاً فِيكَ ذَاتَ كِلَامِ [٣]
تُعَيَّرُهَا فِي ٱلنَّارِ ، وَٱلنَّارُ تَلْتَقِي عَلَيْكَ ، بِزَقُّومٍ لَهَا وَضِرَامِ [٤]
وَإِنَّ ٱبْنَ إِبْلِيسٍ وَإِبْلِيسُ أَلْبَنَا ، لَهُمْ بِعَذَابِ ٱلنَّاسِ كُلَّ غُلَامِ [٥]
هُمَا تَفَلَا فِي فِيَّ مِنْ فَمَوَيْهِمَا عَلَى ٱلنَّابِحِ ٱلْعَاوِي أَشَدَّ رِجَامِ [٦]

ميزة شعره : في هذا الهجاء طرافة وجدّة، وفيه من التوبة ومن الطلاوة، ومن الحجج التي تجمع السذاجة الى القوّة ما ترتاح اليه النفس .

٥٣ مات الفرزدق والندى

وَمُسْتَنْبِحٍ طَاوِي ٱلْمَصِيرِ كَأَنَّمَا يُسَاوِرُهُ مِنْ شِدَّةِ ٱلْجُوعِ أَوْلَقُ [٧]
دَعَوْتُ بِحَمْرَاءِ ٱلْفُرُوعِ كَأَنَّهَا ذُرَى رَايَةٍ فِي جَانِبِ ٱلْجَوِّ تَخْفُقُ [٨]
وَإِنِّي سَفِيهُ ٱلنَّارِ لِلْمُبْتَغِي ٱلْقِرَى وَإِنِّي حَلِيمُ ٱلْكَلْبِ لِلضَّيْفِ يَطْرُقُ [٩]
إِذَا مُتُّ فَٱبْكِينِي بِمَا أَنَا أَهْلُهُ فَكُلُّ جَمِيلٍ قُلْتِ فِيَّ يُصَدَّقُ
وَكَمْ قَائِلٍ مَاتَ ٱلْفَرَزْدَقُ وَٱلنَّدَى وَقَائِلَةٍ مَاتَ ٱلنَّدَى وَٱلْفَرَزْدَقُ [١٠]

---

١ الذّمام : الحق والحرمة لان نقضه موجب الذمّ . ٢ الوراق ج ورَق . ٣ الكِلام ج كَلْم : وهو الجرح . ٤ عيّر الدراهم : وزنها واحداً بعد واحد وامتحنها لمعرفة اوزانها، وقد استعار هذا الفعل للجراح . الزّقوم : شجرة قيل انهـا في اصل الجحيم ومنها طعام اهل النار . ٥ ابن ابليس : كل من تشيّع له . ألبَنَه : سقاه . ٦ النابح العاوي : اي ابليس . الرّجام : الصخور العظام . ٧ المصير واحد المصران : الأمعاء . وطاوي : جائع . الأولق : الجنون او شبهه . ٨ حمراء الفروع : نار القِرى اي الضيافة . ٩ اي ان ناري مشبوبة للضيفان وكلابي لا تنبح في وجههم . ١٠ النّدى : الكرَم .

جرير (٦٥٣ ـ ٧٣٣ م/٣٣ ـ ١١٤ هـ)

[شاعر نبت من أصل وضيع، وناضل الى جانب الامويين. وهو شاعر العاطفة تطغى على تفكيره وخياله. وقد امتاز شعره بالسهولة والوضوح وهما ثمرة القريحة الفياضة كما امتاز بلباقة التعبير والموسيقى الاخاذة.]

شاعر النضال السياسي :

[قيل إنّ جريراً هجر البادية ودخل في كنفِ الحجّاج ونال حظوة عنده، وبلغتْ مدائحه عبد الملك فنَفِسَهُ على الحجّاج الذي احسَّ رغبته فأوفد جريراً مع ابنه محمد الى دمشق، ولمّا دخل جرير على عبد الملك استأذنه في الانشاد فأبى. وقال له بلهجة العاتب الحنق، إنما انت للحجّاج، فما زال يتوسّل اليه ويتحمّل بالناس عليه حتى سمح له فانشده :]

٥٤ ثقي بالله

أَتَصْحُو، أَمْ فُؤَادُكَ غَيْرُ صَاحِ، عَشِيَّةَ هَمَّ صَحْبُكَ بِٱلرَّوَاحِ؟ [١]
يَقُولُ ٱلعَاذِلَاتُ: عَلَاكَ شَيْبٌ! أَهٰذَا ٱلشَّيْبُ يَمْنَعُنِي مَرَاحِي!
يُكَلِّفُنِي فُؤَادِي مِنْ هَوَاهُ ظَعَائِنَ يَجْتَزِعْنَ عَلَى رِمَاحِ، [٢]
ظَعَائِنُ لَمْ يَدِنَّ مَعَ ٱلنَّصَارَى وَلَا يَدْرِينَ مَا سَمْكُ ٱلقَرَاحِ: [٣]

---

١ فؤادك : قلبك. همّ : قصد وأقرّ. الرواح : الذهاب مساءً او الرحيل. ٢ الظعائن ج ظعينة : وهي المرأة ما دامت في الهودج. يجتزعن : يقصدن. على رماح : اي على نياقٍ رامحة اي شائلة بيمينها وحذف الموصوف نياق لتصيدها من الصفة «رماح». ٣ المعنى : إنّ الظعائن نساءٌ مسلمات ما دنّ بدين النصارى ولا عرفنَ ماء المعمودية. ومعنى السَّمْك : الارتفاع. القراح : الماء النقيّ. والعماد كان يتم قديماً بالتغطيس كما هو الحال في الكنائس ذات الطقس البيزنطي، وفي البيت تعريض بالاخطل.

فَبَعْضُ ٱلْمَاءِ مَاءُ رَبَابِ مُزْنٍ ... وَبَعْضُ ٱلْمَاءِ مِنْ سَبَخٍ مِلَاحِ . ١
سَيَكْفِيكَ ٱلْعَوَاذِلَ أَرْحَبِيٌّ ... هِجَانُ ٱللَّوْنِ كَٱلْفَرْدِ ٱللِّيَاحِ ٢
يَعِزُّ عَلَى ٱلطَّرِيقِ بِمَنْكِبَيْهِ ... كَمَا ٱبْتَرَكَ ٱلْخَلِيعُ عَلَى ٱلْقِدَاحِ . ٣
تَعَزَّتْ أُمُّ حَزْرَةَ ثُمَّ قَالَتْ : ... رَأَيْتُ ٱلْوَارِدِينَ ذَوِي ٱمْتِيَاحِ . ٤
تُعَلِّلُ، وَهْيَ سَاغِبَةٌ، بَنِيهَا ... بِأَنْفَاسٍ مِنَ ٱلشَّبِمِ ٱلْقَرَاحِ ؛ ٥
سَأَمْتَاحُ ٱلْبُحُورَ فَجَنِّبِينِي ... أَذَاةَ ٱللَّوْمِ وَٱنْتَظِرِي ٱمْتِيَاحِي
ثِقِي بِٱللهِ، لَيْسَ لَهُ شَرِيكٌ، ... وَمِنْ عِنْدِ ٱلْخَلِيفَةِ بِٱلنَّجَاحِ
فَإِنِّي قَدْ رَأَيْتُ عَلَيَّ حَقًّا ... زِيَارَتِيَ ٱلْخَلِيفَةَ وَٱمْتِدَاحِي
سَأَشْكُرُ إِنْ رَدَدْتَ إِلَيَّ رِيشِي ... وَأَنْبَتَّ ٱلْقَوَادِمَ فِي جَنَاحِي . ٦
أَلَسْتُمْ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ ٱلْمَطَايَا ... وَأَنْدَى ٱلْعَالَمِينَ بُطُونَ رَاحٍ ؟ ٧

٥٥ كالفرخ في العشّ

[وهي قصيدة مدح بها عمر بن عبد العزيز نقتطف منها ما يلي :]

إِنَّا لَنَرْجُو، إِذَا مَا ٱلْغَيْثُ أَخْلَفَنَا ، ... مِنَ ٱلْخَلِيفَةِ مَا نَرْجُو مِنَ ٱلْمَطَرِ ؛ ٨
نَالَ ٱلْخِلَافَةَ إِذْ كَانَتْ لَهُ قَدَرًا ... كَمَا أَتَى رَبَّهُ مُوسَى عَلَى قَدَرِ . ٩
أَأَذْكُرُ ٱلْجَهْدَ وَٱلْبَلْوَى ٱلَّتِي نَزَلَتْ ... أَمْ تَكْتَفِي بِٱلَّذِي بُلِّغْتَ مِنْ خَبَرِي؟
مَا زِلْتُ بَعْدَكَ فِي دَارٍ تُنَغِّصُنِي ... قَدْ طَالَ بَعْدَكَ إِصْعَادِي وَمُنْحَدَرِي

---

١ رَبَاب مزن : ماء السحاب، المطر . السبخ : المستنقع . ٢ الأرحيّ : الجمل الكريم . هجان اللون : ابيض اللون . اللياح : ناصع البياض . ٣ القداح : لعب الميسر . ٤ الواردين : الذين يردون الماء واراد هنا الخليفة . الامتياح : طلب الفضل واغترافه . ٥ وهي سابغة : مائلة الى الارض . الأنفاس ج نفَس، وهو الجرعة . الشّبِم : الماء البارد . ٦ القوادم : ريش في مقدم جناح الطائر . ٧ المطايا مفرده مطيّة : وهي ما يركب من الدواب . الراح مفردها راحة : وهي باطن الكفّ . اندى العالمين : اكرم الناس جوداً وعطاءً . ٨ أخلفنا الغيث اي المطر : اطمعنا بالنزول ولم ينزل . ٩ اذ : تعليليّة اي لأن الخلافة كانت مقدّرة له من الله كما كان اتيان موسى الى طور سينا لمناجاة ربّه مقدّرا .

لَا يَنفَعُ ٱلْحَاضِرُ ٱلْمَجْهُودُ بَادِيَنَا ... وَلَا يَجُودُ لَنَا بَادٍ عَلَى حَضَرِ . [١]
كَمْ بِٱلْمَوَاسِمِ مِنْ شَعْثَاءَ أَرْمَلَةٍ ... وَمِنْ يَتِيمٍ ضَعِيفِ ٱلصَّوْتِ وَٱلْبَصَرِ [٢]
يَدْعُوكَ دَعْوَةَ مَلْهُوفٍ، كَأَنَّ بِهِ ... مَسًّا مِنَ ٱلْجِنِّ أَوْ رُزْءًا مِنَ ٱلْبَشَرِ، [٣]
مِمَّنْ يَعُدُّكَ تَكْفِي فَقْدَ وَالِدِهِ ... كَٱلْفَرْخِ فِي ٱلْعُشِّ لَمْ يَنْهَضْ وَلَمْ يَطِرِ .

٥٦ هاجَ الهوى

[وهذه قصيدة مدح بها الشاعر الحجاج وهي القصيدة التي استنشده اياها عبد الملك حين قدم عليه، قال :]

هَاجَ ٱلْهَوَى لِفُؤَادِكَ ٱلْمُهْتَاجِ ... فَٱنْظُرْ بِتُوضِحَ بَاكِرَ ٱلْأَحْدَاجِ [٤] ...

ومنها في وصف الحجّاج :

مَنْ سَدَّ مُطَّلَعَ ٱلنِّفَاقِ عَلَيْهِمِ، ... أَمْ مَنْ يَصُولُ كَصَوْلَةِ ٱلْحَجَّاجِ،
أَمْ مَنْ يَغَارُ عَلَى ٱلنِّسَاءِ حَفِيظَةً ... إِذْ لَا يَثِقْنَ بِغَيْرَةِ ٱلْأَزْوَاجِ ؟ [٥]
إِنَّ ٱبْنَ يُوسُفَ، فَٱعْلَمُوا وَتَيَقَّنُوا، ... مَاضِي ٱلْبَصِيرَةِ وَاضِحُ ٱلْمِنْهَاجِ [٦]
مَاضٍ عَلَى ٱلْغَمَرَاتِ يُمْضِي هَمَّهُ، ... وَٱللَّيْلُ مُخْتَلِفُ ٱلطَّرَائِقِ دَاجِي، [٧]
مَنَعَ ٱلرُّشَا وَأَرَاكُمُ سُبُلَ ٱلْهُدَى ... وَٱللِّصَّ نَكَّلَهُ عَنِ ٱلْإِدْلَاجِ [٨]
فَٱسْتَوْسِقُوا وَتَبَيَّنُوا سُبُلَ ٱلْهُدَى ... وَدَعُوا ٱلنَّجِيَّ فَلَيْسَ حِينَ تَنَاجِي [٩]
يَا رُبَّ نَاكِثِ بَيْعَتَيْنِ تَرَكْتَهُ ... وَخِضَابُ لِحْيَتِهِ دَمُ ٱلْأَوْدَاجِ ! [١٠]

---

١ الحاضر : ساكن المدن . والبادي : المقيم في البادية . يريد ان الموسرين من اهل البدو لا يجودون على المعسرين من ساكني الحضر والعكس . ٢ الشعثاء : المتلبدة الشعر . ٣ المسّ : الجنون . الرزء : المصيبة . ٤ توضح : موضع في بلاد يربوع من جزيرة العرب . الأحداج مفرده حدج : وهو ما يوضع على الجمل ؛ يقول : هاج باكر الأحداج الهوى لفؤادك فارم بطرفك نحو توضح . ٥ الحفيظة : الغضب . ٦ البصيرة : المعرفة . المنهاج : الطريق . ٧ الغمرات : الحروب . الداجي : المظلم . ٨ الرّشا ج رشوة : وهو ما يعطى في سبيل عمل غير محقّ . الإدلاج : السير ليلاً . ٩ استوسقوا : انقادوا واستقيموا . ١٠ المراد بالبيعتين : بيعة الخليفة وبيعة الحجاج . الأوداج : عروق القلب وهي الشرايين والاوردة .

إنَّ ٱلعَـدُوَّ إذا رَمُوكَ رَمَيْتَهُمْ   بِذُرَى عَمَايَةَ أَوْ بِهَضْبِ سُوَاجِ [1] . . .
وَلَقَدْ كَسَرْتَ سِنَانَ كُلِّ مُنَافِقٍ   وَلَقَدْ مَنَعْتَ حَقَائِبَ ٱلحُجَّاجِ [2] .

ميزة شعره المدحي : جرير في مدائحه مستجدٍ صريح التكسُّب . وهو يشمل في مدحه حقلَي الدنيا والدين . وشعره هذا بعيد عن النفس العالي ولا يتصف فيه اندفاع شديد .

شاعر النضال الادبي :

٥٧ اقلّي اللوم

[من اشهر قصائد جرير الهجائية بائيّته التي هجا بها راعي الابل وقومه بني نمير على اثر مشاحنة قامت بينه وبين الراعي وابنه جندل، وقد قضى بها على خصمه قضاءً مُبرماً حتى سميت « الدامغة »؛ وشاعت تلك القصيدة بين العرب وسمّوها ايضاً « الفاضحة » .]

أَقِلِّي ٱللَّوْمَ، عَاذِلَ، وَٱلعِتَابَا ؛   وَقُولِي، إنْ أَصَبْتُ : لَقَدْ أَصَابَا [3]
أَجِدَّكَ، مَا تَذَكَّرُ أَهْلَ نَجْدٍ ،   وَحَيًّا طَالَ مَا ٱنْتَظَرُوا ٱلإِيَابَا [4]
بَلَى، فَٱرْفَضَّ دَمْعُكَ، غَيْرَ نَزْرٍ،   كَمَا عَيَّنْتَ بِٱلسَّرَبِ ٱلطِّبَابَا ؟ [5]
وَهَاجَ ٱلبَرْقُ لَيْلَةَ أَذْرِعَاتٍ   هَوًى مَا تَسْتَطِيعُ لَهُ طِلَابَا [6]
فَقُلْتُ بِحَاجَةٍ وَطَوَيْتُ أُخْرَى ؛   فَهَاجَ عَلَيَّ بَيْنَهُمَا ٱكْتِئَابَا [7]

---

١ عماية وسواج : جبلان في العالية من بلاد نجد .   ٢ اي انه كسر اسنّة رماح المنافقين وصان حقائب الحجاج من اعتداء اللصوص .   ٣ اقلي : اي قلّلي لا تكثري اللوم . عاذلَ : نداء مرخّم اي يا عاذلة .   ٤ أجدّك : لفظة يراد بها القسم أي : بحقك . الاياب : الرجوع ، وروي اجدّك لا تذكّر عهد نجد .   ٥ ارفضّ دمعك : سال وترشّش . غير نزر : غير قليل . عيّنت : صببتَ الماء في القربة لتنظر من اين يسيل ومن اين عيبها فسدّه . السَّرَب : السّيلان . الطِّبابا ج طبّة وهي رقعة من جلد تضرب على أسفل القربة . يشبّه دمعه بماء غزير يسيل من قربة يُصبّ فيها الماء بشدّة حتى تملئ جميع اطرافها فيتسرّب اذ ذاك الماء بغزارة من جميع ثقوبها .   ٦ أذرعات : بلد في اطراف الشام، يجاور البلقاء وعمان ؛ والطِلاب مصدر مثل الطلب .   ٧ طويت اخرى : اي تركت حاجة غيرها . الاكتئاب : الحزن .

وَوَجدٍ قَدْ طَوَيتُ ، يَكادُ مِنهُ   ضَمِيرُ ٱلقَلبِ يَلتَهِبُ ٱلتِهابَا [١]
سَأَلْنَاهَا ٱلشِّفَاءَ ، فَمَا شَفَتْنَا ؛   وَمَنَّتْنَا ٱلْمَوَاعِدَ وَٱلْخِلَابَا [٢]
لَشَتَّانَ ٱلْمُجَاوِرُ دَيْرَ أَرْوَى   وَمَنْ سَكَنَ ٱلسَّلِيلَةَ وَٱلْجِنَابَا [٣]
أَسِيلَةُ مَعْقِدِ ٱلسِّمْطَيْنِ مِنهَا ،   وَرَيَّا حَيْثُ تَعْتَقِدُ ٱلْحِقَابَا [٤]
وَلَا تَمْشِي ٱللِّثَامُ لَهَا بِسِرٍّ ،   وَلَا تُهْدِي لِجَارَتِهَا ٱلسِّبَابَا [٥]
أَبَاحَتْ أُمُّ حَزْرَةَ مِنْ فُؤَادِي   شِعَابَ ٱلحُبِّ ، إِنَّ لَهُ شِعَابَا [٦]
مَتَى أُذْكَرْ بِخَوْرِ بَنِي عِقَالٍ   تَبَيَّنَ فِي وُجُوهِهِمِ ٱكْتِئَابَا [٧]
إِذَا لَاقَى بَنُو وَقْبَانَ غَمًّا   شَدَدْتُ عَلَى أُنُوفِهِمِ ٱلْعِصَابَا [٨]
أَبَى لِي مَا مَضَى لِي فِي تَمِيمٍ   وَفِي فَرْعَي خُزَيْمَةَ أَنْ أُعَابَا [٩]
سَتَعْلَمُ مَنْ يَصِيرُ أَبُوهُ قَيْناً ،   وَمَنْ عُرِفَتْ قَصَائِدُهُ ٱجْتِلَابَا [١٠]
أَثَعْلَبَةَ ٱلْفَوَارِسِ أَوْ رِيَاحاً ،   عَدَلْتَ بِهِمْ طُهَيَّةَ وَٱلْخِشَابَا [١١]

* * *

فَلَا ، وَأَبِيكَ ، مَا لَاقَيْتُ حَيًّا   كَيَرْبُوعٍ ، إِذَا رَفَعُوا ٱلْعُقَابَا [١٢]
وَمَا وَجَدَ ٱلْمُلُوكُ أَعَزَّ مِنَّا   وَأَسْرَعَ مِنْ فَوَارِسِنَا ٱسْتِلَابَا . . .
وَنَحْنُ ٱلْحَاكِمُونَ عَلَى قُلَاخٍ ،   كَفَيْنَا ذَا ٱلْجَرِيرَةِ وَٱلْمُصَابَا [١٣]

---

١ وجد : شوق . ضمير القلب : صميم القلب . ٢ ويروى : سألناهـا التودّد . الخلاب : الكذب في المواعيد وقول الباطل . ٣ لشتّان : لام الابتداء للتأكيد . شتّان : اسم فعل بمعنى بَعُدَ . دير أروى والسليلة والجناب : اسماء امكنة . ٤ اسيلة : ناعمة . السمطين : مثنى سِمط : ثوب من الصوف . ريّا : طريّة ، ندية . ٥ ويروى : أناة لا النّموم لها خدين . ٦ امّ حزرة : امرأة الشاعر . الشعاب ج شعبة : وهي الطريق . ٧ خَوْر : مصدر ، المنخفض من الارض بين النشزين مثل الغور . ٨ العصاب : عصاب الغمامة اي قطعة من جلد تشد على انف الناقة وذلك اذا ارادوا ان يعطفوها على غير ولدها كي لا تشمه ، لانها تعرف ولدها بالشمّ . ٩ فرعي خُزيمة : هما كِنانة وأسد . ١٠ القين : العبد الرّق . الاجتلاب مصدر اجتلب ، اي انه يغير على قصائد غيره فينتحلها لنفسه . ١١ ثعلبة الفوارس ورياح : من قوم جرير ؛ وطهيّة : امرأة مالك ابن حنظلة . والخشاب : اولاد مالك من غير طهية . ١٢ العقاب : الراية التي تحمل في القتال والناس يقاتلون معها وحولها ما دامت قائمة فاذا سقطت انهزم اهلها . ١٣ قلاخ : موضع باليمن كانت فيه وقعة ، ويروى على عكاظ . الجريرة : الذنب .

حَمَيْنَا، يَوْمَ ذِي نَجَبٍ، حِمَانَا، وَأَحْرَزْنَا ٱلصَّنَائِعَ وَٱلنِّهَابَا[١]
لَنَا تَحْتَ ٱلْمَحَامِلِ سَابِغَاتٌ كَنَسْجِ ٱلرِّيحِ تَطَّرِدُ ٱلْحَبَابَا[٢]
وَذِي تَاجٍ لَهُ خَرَزَاتُ مُلْكٍ سَلَبْنَاهُ ٱلسُّرَادِقَ وَٱلْحِجَابَا[٣]
أَلَا قَبَحَ ٱلْإِلٰهُ بَنِي عِقَالٍ! وَزَادَهُمُ بِغَدْرِهِمِ ٱرْتِيَابَا![٤]
أَجِيرَانَ ٱلزُّبَيْرِ، بَرِئْتُ مِنْكُمْ، فَأَلْقُوا ٱلسَّيْفَ، وَٱتَّخِذُوا ٱلْعِيَابَا[٥]
لَقَدْ غَرَّ ٱلْقُيُونُ دَماً كَرِيماً وَرَحْلًا ضَاعَ فَٱنْتُهِبَ ٱنْتِهَابَا[٦]
وَقَدْ قَعِسَتْ ظُهُورُهُمُ بِخَيْلٍ تُجَاذِبُهُمْ أَعِنَّتَهَا جِذَابَا[٧]
عَلَامَ تَقَاعَسُونَ، وَقَدْ دَعَاكُمْ؛ أَهَانَكُمُ ٱلَّذِي وَضَعَ ٱلْكِتَابَا[٨]

* * *

لَقَدْ خَزِيَ ٱلْفَرَزْدَقُ فِي مَعَدٍّ فَأَمْسَى جَهْدُ نُصْرَتِهِ ٱغْتِيَابَا[٩]
وَلَاقَى ٱلْقَيْنُ وَٱلنَّخَبَاتُ غَمّاً تَرَى لِوُكُوفِ عَبْرَتِهِ ٱنْصِبَابَا[١٠]

* * *

فَمَا هِبْتُ ٱلْفَرَزْدَقَ، قَدْ عَلِمْتُمْ، وَمَا حَقُّ ٱبْنِ بَرْوَعَ أَنْ يُهَابَا[١١]
أَعَدَّ ٱللهُ لِلشُّعَرَاءِ مِنِّي صَوَاعِقَ يَخْضَعُونَ لَهَا ٱلرِّقَابَا[١٢]
قَرَنْتُ ٱلْعَبْدَ، عَبْدَ بَنِي نُمَيْرٍ، مَعَ ٱلْقَيْنَيْنِ، إِذْ غُلِبَا، وَخَابَا[١٣]

---

١ ذو نجب : وادٍ لمحارم وهو يوم مشهور من ايام العرب كان لبني يربوع خاصّة دون بني حنظلة . الصنائع : الوقائع الحربية . ٢ المحامل مفرده محمل : ما يحمل به السيف . الحباب : ما يتراءى على وجه الماء كالوشم بحركة الهواء . ٣ السرادق : الخيمة الكبيرة . ٤ الارتياب : المنكر . ٥ العياب مفرده عيبة : وعاء للثياب . وتلخيص المعنى : انكم نساء فدعوا عنكم السلاح والتزموا اوعية الثياب . ٦ القيون مفرده القين : العبد . الرحل : ما يوضع على الجمل . ٧ قعست ظهورهم : انحنت وتراخت ظهورهم . وتلخيص المعنى : ان خيلهم تطلب التقدّم والاقتحام واما هم فيريدون التأخر بقصد الانهزام . ٨ علامَ ، على حرف جرّ وما اسم استفهام وتحذف الالف جوازاً منها كلما دخل عليها حرف جرّ . وضع الكتاب : اي الله تعالى . ٩ الاغتياب : النميمة ؛ يقول : اخزيتهُ فلم يكن عنده انتصارٌ لنفسه الا الاغتياب فقط . ١٠ النخبات مفرده نخبة : الجبان من الرجال . وكوف مصدر وكف الدمع : اي تساقط بكثرة . عبرة : دمعة . ١١ بروع اسم امّ الراعي . ١٢ يريد ان الله قد بلى الشعراء به فعليهم ان يحنوا رقابهم له تعظيماً ؛ وفي البيت افتخار بشعره . ١٣ عبد بني نمير هو راعي الابل وهو المقصود بالهجاء . القينان : كناية عن الفرزدق والاخطل .

أَتَانِي عَنْ عَرَادَةَ قَوْلُ سُوءٍ ؛ فَلَا ، وَأَبِي عَرَادَةَ مَا أَصَابَا [1]
أَتَلْتَمِسُ ٱلسِّبَابَ بَنُو نُمَيْرٍ ؟ فَقَدْ ، وَأَبِيهِمِ ، لَاقَوْا سِبَابَا [2]
أَنَا ٱلْبَازِي ٱلْمُدِلُّ عَلَى نُمَيْرٍ أُتِحْتُ مِنَ ٱلسَّمَاءِ لَهَا ٱنْصِبَابَا [3]
إِذَا عَلِقَتْ مَخَالِبُهُ بِقِرْنٍ أَصَابَ ٱلْقَلْبَ أَوْ هَتَكَ ٱلْحِجَابَا [4]
تَرَى ٱلطَّيْرَ ٱلْعِتَاقَ تَظَلُّ مِنْهُ جَوَانِحَ لِلْكَلَاكِلِ أَنْ تُصَابَا [5] ...
فَلَا صَلَّى ٱلْإِلٰهُ عَلَى نُمَيْرٍ ! وَلَا سُقِيَتْ قُبُورُهُمُ ٱلسَّحَابَا ! [6] ...
أَلَمْ تَرَنِي صُبِبْتُ عَلَى عُبَيْدٍ ، وَقَدْ فَارَتْ أَبَاجِلُهُ ، وَشَابَا [7]
أُعِدُّ لَهُ مَوَاسِمَ حَامِيَاتٍ فَيَشْفِي حَرُّ شُعْلَتِهَا ٱلْجِرَابَا [8]
فَغُضَّ ٱلطَّرْفَ ! إِنَّكَ مِنْ نُمَيْرٍ ! فَلَا كَعْباً بَلَغْتَ ، وَلَا كِلَابَا [9]
أَتَعْدِلُ دِمْنَةً خَبُثَتْ وَقَلَّتْ إِلَى فَرْعَيْنِ قَدْ كَثُرَا وَطَابَا ! [10]
وَحُقَّ لِمَنْ تَكَنَّفَهُ نُمَيْرٌ وَضَبَّةُ ، لَا أَبَا لَكَ ، أَنْ يُعَابَا ! [11]
فَلَوْلَا ٱلْغُرُّ مِنْ سَلَفَيْ كِلَابٍ وَكَعْبٍ ، لَٱغْتَصَبْتُكُمُ ٱغْتِصَابَا [12]
فَإِنَّكُمُ قَطِينُ بَنِي سُلَيْمٍ ، تَرَى بُرْقَ ٱلْعَبَاءِ لَكُمْ ثِيَابَا [13]
فَيَا عَجَبِي ! أَتُوعِدُنِي نُمَيْرٌ بِرَاعِي ٱلْإِبْلِ يَحْتَرِشُ ٱلضِّبَابَا [14]

---

١ عرادة : هو رواية الراعي واسمه عرادة النميري . ٢ فصل بين حرف التحقيق قد، وفعله بالقسم وأبيهم ولا يجوز هذا التركيب إلا مع القسم فقط . ٣ المُدلّ : الساقط من علوّ . ٤ علق بالشيء علقاً وعلقه : نشب فيه . ٥ الطير العتاق : الجوارح . يقول : انها لاصقة بالارض من مخافته . ٦ السحاب : المطر . ٧ عبيد : اسم راعي الإبل . فارت : تعقدت وورمت . الاباجل مفرده الابجل : عرق غليظ في الرجل او في اليد بازاء الاكحل . ٨ اي انه يعدّ له القصائد الموسمّة التي تؤلمه وتحط من منزلته . ٩ نمير و كعب وكلاب : اسماء قبائل . ١٠ اراد بالدمنة بني نمير ومعناها في الاصل المزبلة واراد بالفرعين كعباً وكلاباً . ١١ يعني قريبع بن الحارث بن نمير وضبّة بن نُمير . لا أبا لك : دعاء عليه . ١٢ لاغتصبتكم اللام واقعة في جواب لولا وهي حرف امتناع شيء لوجود غيره ؛ الغرّ مفرده الأغرّ : الزاهي الجميل . ١٣ البُرق مفرده الأبرق : الثوب فيه سواد وبياض . العباء : كساء من صوف بلا كمّين او بهما مفتوح من قدّام يلبس فوق الثياب ويُسمّى العباءَة . ١٤ الاحتراش : هو ان يأتي الرجل الى جحر الضبّ فيحرك يده عليه حتى يخرج ذنبه فيأخذه ، والضبّ حيوان صحراوي قريب الشبه بالحرذون .

لَعَلَّكَ، يَا عُبَيْدُ، حَسِبْتَ حَرْبِي تُقَلِّدُكَ ٱلْأَصِرَّةَ وَٱلْعِلَابَا ! [1]
إِذَا نَهَضَ ٱلْكِرَامُ إِلَى ٱلْمَعَالِي، نَهَضْتَ بِعُلْبَةٍ، وَأَثَرْتَ نَابَا... [2]
إِذَا غَضِبَتْ عَلَيْكَ بَنُو تَمِيمٍ حَسِبْتَ ٱلنَّاسَ كُلَّهُمُ غِضَابَا [3]
أَلَسْنَا أَكْثَرَ ٱلثَّقَلَيْنِ رَجْلًا بِبَطْنِ مِنًى وَأَعْظَمَهُ قِبَابَا ! [4]
وَأَجْدَرَ، إِنْ تَجَاسَرَ ثُمَّ نَادَى بِدَعْوَى : يَا لَخِنْدِفَ، أَنْ يُجَابَا ! [5]
لَنَا ٱلْبَطْحَاءُ تُفْعِمُهَا ٱلسَّوَاقِي ؛ وَلَمْ يَكُ سَيْلُ أَوْدِيَتِي شِعَابَا [6]
فَمَا أَنْتُمْ ؟ إِذَا عَدَلَتْ قُرُومِي شَقَاشِقَهَا وَهَافَتَتِ ٱللُّعَابَا [7]
بِمَوْجٍ كَٱلْجِبَالِ فَإِنْ تَرُمْهُ تُغَرَّقْ ؛ ثُمَّ يَرْمِ بِكَ ٱلْجَنَابَا [8]
فَمَا تَلْقَى مَحَلِّي فِي تَمِيمٍ بِذِي زَلَلٍ، وَلَا نَسَبِي ٱئْتِشَابَا [9]
عَلَوْتُ عَلَيْكَ ذِرْوَةَ خِنْدِفِيٍّ تَرَى مِنْ دُونِهَا رُتَبًا صِعَابَا [10]
لَنَا حَوْضُ ٱلنَّبِيِّ وَسَاقِيَاهُ وَمَنْ وَرِثَ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَابَا [11]
وَمِنَّا مَنْ يُجِيزُ حَجِيجَ جَمْعٍ، وَإِنْ خَاطَبْتَ، عَزَّكُمُ خِطَابَا [12]
سَتَعْلَمُ مَنْ أَعَزُّ حِمًى بِنَجْدٍ، وَأَعْظَمُنَا بِغَائِرَةٍ هِضَابَا [13]
أَعَزَّكَ بِٱلْحِجَازِ، وَإِنْ تَسَهَّلْ بِغَوْرِ ٱلْأَرْضِ، تُنْتَهَبِ ٱنْتِهَابَا... [14]

١ الاصرّة مفردها الصِرار : وهو ما يشدّ فوق خلف الناقة فلا يرضعها فصيلها . العلاب مفرده العلبة : وعاء من جلد يحفظ فيه الحليب . ٢ الناب : الناقة المسنّة . ٣ يُعدّ هذا البيت من اشدّ ابيات العرب فخراً . ٤ الثقلان : الجانّ والانس . منىً : اسم لجبل في مكة . ٥ واجدر : اي اخلق ان اكون كذلك . تجاسر : تطاول ثم رفع رأسه . ٦ البطحاء : الارض المنبسطة . تفعمها : تملأها . الشعاب مفرده الشعبة والشعب : وهو مسيل الماء . ٧ عدلت : امالت رؤوسها . الشقاشق مفردة الشقشقة : وهو ما يخرج من فم البعير من الزبد اذا هدر . هافتت اللعاب : القت الزبد . ٨ ترمه : تقصده وترغب فيه . الجناب : الناحية . ٩ الائتشاب : الاختلاط . ١٠ ذروة : قمّة . ١١ الكتاب : القرآن . ١٢ يريد كرب بن صفوان وكان يجيز الناس من عرفات الى مُزدلفة الى منى . ١٣ اعزّ حمى : اقوى وامنع حمى . ١٤ اعزّك : اي اغلبك وهو من قولهم مَنْ عَزَّ بَزَّ اي من غلب، قهر صاحبه بزّه ثيابه وما معه .

شَيَاطِينُ ٱلْبِلَادِ يَخَفْنَ زَأْرِي ؛ وَحَيَّةُ أَرْيَحَاءَ لِيَ ٱسْتَجَابَا [١]
تَرَكْتُ مُجَاشِعاً وَبَنِي نُمَيْرٍ كَدَارِ ٱلسَّوْءِ أَسْرَعَتِ ٱلْخَرَابَا [٢]
أَلَمْ تَرَنِي وَسَمْتُ بَنِي نُمَيْرٍ ، وَزِدْتُ عَلَى أُنُوفِهِمِ ٱلْعِلَابَا [٣]
إِلَيْكَ ! إِلَيْكَ ! عَبْدَ بَنِي نُمَيْرٍ ! وَلَمَّا تَقْتَدِحْ مِنِّي شِهَابَا [٤]

ميزة شعره الهجائي : جرير شديد اللذع في هجائه يعمد الى طريقة الافحاش والاقذاع في مراحة بذيئة، على تدينه وإباء نفسه، وذلك انه يخاطب خصمه بلغته وأسلوبه . وهو يتتبع حياة المهجو ويكثر من تعداد النقائص القوميّة والشخصيّة ويختلق الحوادث والقصص ويزيد على ذلك التهكّم والسخريَة . والهجاء عند جرير شديد الصلة بالفخر الا ان فخره دون فخر الفرزدق انطلاقاً واتساعاً .

شاعر القلب النابض :

[مما هجا به جرير خصمه الفرزدق القصيدة التالية إلا انه اطال في الغزل حتى لم يبق للهجاء إلا ابيات قليلة قال :]

٥٨ بان الخليط [٥]

بَانَ ٱلْخَلِيطُ ، وَلَوْ طُوِّعْتُ مَا بَانَا ، وَقَطَّعُوا مِنْ حِبَالِ ٱلْوَصْلِ أَقْرَانَا [٥]
حَيِّ ٱلْمَنَازِلَ ، إِذْ لَا نَبْتَغِي بَدَلًا بِٱلدَّارِ دَاراً وَلَا ٱلْجِيرَانِ جِيرَانَا . . .
أَحِبْ إِلَيَّ بِذَاكَ ٱلْجِزْعِ مَنْزِلَةً بِٱلطَّلْحِ طَلْحاً وَبِٱلْأَعْطَانِ أَعْطَانَا [٦]

---

١ زأري : اي صوتي الذي يشبه صوت الأسد . اريحاء : مدينة بيت المقدس . ٢ مجاشع : جد الفرزدق . ٣ وسمتُ : جعلت علامة . العلاب : وسم في طول العنق . ٤ الشهاب : لمعة النار التي تخرج من قدح الزناد بحجر الصوان . ٥ بان : ابتعد . الخليط : المساكن والقوم الذين امرهم واحد . الاقران مفرده قرَن : الحبل يجمع به اثنان . ٦ الجزع : محلّة القوم . الطلح : شجر ضميف . الاعطان : مَبارك الإبل .

يَا لَيْتَ ذَا ٱلْقَلْبَ لَاقَى مَنْ يُعَلِّلُهُ ... أَوْ سَاقِياً فَسَقَاهُ ٱلْيَوْمَ سُلْوَانَا[1] !..
مَا كُنْتُ أَوَّلَ مُشْتَاقٍ، أَخِي طَرَبٍ ... هَاجَتْ لَهُ غُدُوَاتُ ٱلْبَيْنِ أَحْزَانَا .
يَا أُمَّ عَمْرٍو، جَزَاكِ ٱللهُ مَغْفِرَةً ! ... رُدِّي عَلَيَّ فُؤَادِي كَٱلَّذِي كَانَا ،
أَلَسْتِ أَحْسَنَ مَنْ يَمْشِي عَلَى قَدَمٍ ؟ ... يَا أَمْلَحَ ٱلنَّاسِ، كُلَّ ٱلنَّاسِ، إِنْسَانَا !
يَلْقَى غَرِيمُكُمُ، مِنْ غَيْرِ عُسْرَتِكُمْ ، ... بِٱلْبَذْلِ بُخْلاً وَبِٱلْإِحْسَانِ حِرْمَانَا ...
لَقَدْ كَتَمْتُ ٱلْهَوَى حَتَّى تَهَيَّمَنِي : ... لَا أَسْتَطِيعُ لِهَذَا ٱلْحُبِّ كِتْمَانَا[2] ..
لَا بَارَكَ ٱللهُ فِي ٱلدُّنْيَا إِذَا ٱنْقَطَعَتْ ... أَسْبَابُ دُنْيَاكِ مِنْ أَسْبَابِ دُنْيَانَا[3] !..
مَا أَحْدَثَ ٱلدَّهْرُ، مِمَّا تَعْلَمِينَ لَكُمْ ، ... لِلْحَبْلِ صَرْماً وَلَا لِلْعَهْدِ نِسْيَانَا !
أَبُدِّلَ ٱللَّيْلُ لَا تَسْرِي كَوَاكِبُهُ ... أَمْ طَالَ حَتَّى حَسِبْتُ ٱلنَّجْمَ حَيْرَانَا[4] !..
إِنَّ ٱلْعُيُونَ ٱلَّتِي فِي طَرْفِهَا حَوَرٌ ... قَتَلْنَنَا، ثُمَّ لَمْ يُحْيِينَ قَتْلَانَا ،[5]
يَصْرَعْنَ ذَا ٱللُّبِّ حَتَّى لَا حَرَاكَ بِهِ ، ... وَهُنَّ أَضْعَفُ خَلْقِ ٱللهِ إِنْسَانَا !
يَا حَبَّذَا جَبَلُ ٱلرَّيَّانِ مِنْ جَبَلٍ ، ... وَحَبَّذَا سَاكِنُ ٱلرَّيَّانِ مَنْ كَانَا[6] !..
وَحَبَّذَا نَفَحَاتٌ مِنْ يَمَانِيَةٍ ... تَأْتِيكَ مِنْ قِبَلِ ٱلرَّيَّانِ أَحْيَانَا[7] !

ميزة شعره : لم يكن غزل جرير مستقلّاً في شعره ولم يخرج فيه عن اسلوب الاقدمين . وقد مزج فيه بين اسلوب الجاهلية واسلوب المتيّمين العذريّين ، واكثر من الحديث عن لوعته والمه وحرمانه وعن نزعات فؤاده وخلجاته في لغة سهلة رائعة الموسيقى .

---

١ علّله : شغله . السلوان : خرزة كان يستعملها العرب فيتخذونها من تراب قبرٍ فيجففونها ثمّ ينقعونها في الماء ويسقونها العاشق فينسى حُبّه . وتلخيص المعنى : يا ليت ذا القلب يلقى من يشغله عن حبه او ساقياً يسقيه ماء خرزة السلوان فينسى حبّه . ٢ كتمت الهوى : اخفيت الحبّ . تهيّمني : حملني على الهُيام وهو الحبّ الشديد . ٣ الاسباب مفرده سبب : الحبل والمراد هنا الصلة بين الحبيبين . ٤ الحيران : المقيم الذي لا يبرح . ٥ الحوَر : اشتداد سواد العين وبياضها ، واستدارة حدقتها في رقة جفون . ٦ الريّان : اسم جبل في بلاد بني عامر . ٧ النفحات : هبّات الريح ودفعاتها . يمانية : نسبة الى اليمن على غير قياس ، والمراد الريح اليانية اي الجنوبية .

٥٩ موت الفرزدق

[ومن قوله في رثاء الفرزدق وقد مات قبله بقليل وهو ممّا يدلّنا على رفعة خلق جرير وقد تناسى ما كان بينه وبين الفرزدق بعد مهاجاة دامت بينهما نحو اربعين سنة .]

لَعَمْرِي لَقَدْ أَشْجَى تَمِيماً وَهَدَّهَا عَلَى نَكَبَاتِ ٱلدَّهْرِ مَوْتُ ٱلْفَرَزْدَقِ[1]
عَشِيَّةَ رَاحُوا لِلْفِرَاقِ بِنَعْشِهِ إِلَى جَدَثٍ فِي هُوَّةِ ٱلْأَرْضِ مُعْمَقِ[2]
لَقَدْ غَادَرُوا فِي ٱللَّحْدِ مَنْ كَانَ يَنْتَمِي إِلَى كُلِّ نَجْمٍ فِي ٱلسَّمَاءِ مُحَلِّقِ[3] ...
عِمَادُ تَمِيمٍ كُلِّهَا وَلِسَانُهَا وَنَاطِقُهَا ٱلْبَذَّاخُ فِي كُلِّ مَنْطِقِ
فَمَنْ لِذَوِي ٱلْأَرْحَامِ بَعْدَ ٱبْنِ غَالِبٍ لِجَارٍ وَعَانٍ فِي ٱلسَّلَاسِلِ مُوثَقِ[4]
وَمَنْ لِيَتِيمٍ بَعْدَ مَوْتِ ٱبْنِ غَالِبٍ وَأُمِّ عِيَالٍ سَاغِبِينَ وَدَرْدَقِ[5]
وَمَنْ يُطْلِقُ ٱلْأَسْرَى وَمَنْ يَحْقِنُ ٱلدِّمَا يَدَاهُ وَيَشْفِي صَدْرَ حَرَّانَ مُحْنَقِ[6] ...
فَتًى عَاشَ يَبْنِي ٱلْمَجْدَ تِسْعِينَ حِجَّةً وَكَانَ إِلَى ٱلْخَيْرَاتِ وَٱلْمَجْدِ يَرْتَقِي

٦٠ لولا الحياء

[ومن جيّد شعره قصيدة يرثي بها امرأته خالدة أمّ حزرة وهي التي ندبت بها نوار امرأة الفرزدق، ورثاء الزوجة نادر في الادب العربي وهذه بعض ابياتٍ منها]

لَوْلَا ٱلْحَيَاءُ لَهَاجَنِي ٱسْتِعْبَارُ وَلَزُرْتُ قَبْرَكِ، وَٱلْحَبِيبُ يُزَارُ[7] ...
وَلَهَتْ قَلْبِي، إِذْ عَلَتْنِي كَبْرَةٌ وَذَوُو ٱلتَّمَائِمِ مِنْ بَنِيكِ صِغَارُ[8] ...
لَا يَلْبَثُ ٱلْقُرَنَاءُ أَنْ يَتَفَرَّقُوا: لَيْلٌ يَكُرُّ عَلَيْهِمِ وَنَهَارُ[9] ...
صَلَّى ٱلْمَلَائِكَةُ ٱلَّذِينَ تُخُيِّرُوا وَٱلطَّيِّبُونَ عَلَيْكِ وَٱلْأَبْرَارُ
فَلَقَدْ أَرَاكِ كُسِيتِ أَحْسَنَ مَنْظَرٍ وَمَعَ ٱلْجَمَالِ سَكِينَةٌ وَوَقَارُ .

---

١ أشجى : أحزن . نكبات الدهر : مصائب الدهر . ٢ الجدث : القبر . الهُوّة : الحفرة في الأرض . ٣ اللّحد : جانب القبر والمراد القبر . المُحلّق : المرتفع . ٤ ذوو الأرحام : الاقارب . العاني : الاسير . الموثق : المقيّد . ٥ الساغب : الجوعان . الدّردق : الأطفال . ٦ في البيت اشارة الى الحادثة التي وقعت للفرزدق وقد امره عبد الملك ان يقطع رأس اسير فنبا السيف في يده وعفي عن الاسير . ٧ الاستعبار مصدر من استعبر : جرَت دموعه . ٨ الكَبْرة : الضعف . ولَه : أحزنَ حزناً شديداً . التمائم مفردها تميمة : وهي خرزة تُعلّق في عنق الولد دفعاً للأخطار . ٩ القرناء : مفرده قرين : الزوج او الصديق المماثل لك .

الباب الرابع

النثر الايجازي

عليّ بن ابي طالب (٦٠٠ ـ ٦٦١ م/٤٠ هـ)

[هو رابع الخلفاء الراشدين وقد نشأ منذ صباه على العقيدة الاسلامية فتأصلت فيه جذورها حتى غدا من اشدّ الناس غيرة على الدين الجديد وابعثهم على الدعوة اليه والذود عنه والحثّ على العمل بمبادئه ومراسيمه . وامتاز عليّ ايضاً بطائفة من الخلال الحميدة ولاسيما الزهد والشجاعة والذكاء والبلاغة والحكمة وما الى ذلك مما جعله من اكرم الوجوه في عصره واوسعها اشعاعاً ونفوذاً . وستبقى خطبه وحكمه على الايام عامرة بالحيوية الفياضة، والرصانة الدقيقة والمنطق السديد والبلاغة الأخاذة .]

الخطب :

٦١ الدنيا

الدُنيا دار بلاء ومنزِلُ قلعةٍ وعناء[١]، قد نزعتْ عنها نفوسُ السعداء، وانتُزِعت بالكُرهِ من أيدي الاشقياء، فأسعدُ الناسِ أرغَبُهم عنها[٢]، واشقاهم ارغبهم فيها[٣]، هي الغاشّة لمن استرشدها والمُغوية لمن أطاعها . فطوبى لعبدٍ اتّقى فيها ربَّه ونصح نفسَهُ وقدَّم توبتَهُ من قبلِ أن تَلفظَهُ الفانية[٤] الى الباقية[٥] ويُصبحَ جسمُه عظاماً باليةً لا يَستطيعُ ان يَزيدَ في حَسَنة ولا ينقصَ من سيئةٍ ثم يُنشَرُ فَيُحشَرُ إمّا الى جنةٍ يدومُ نعيمُها او الى نارٍ لا يَنفَدُ عذابُها[٦] .

---

١ عناء : تعب. ٢ رغب عن الشيء : عافه وابتعد عنه. ٣ رغب في الشيء : أحبه وأراده.
٤ الفانية : الدنيا الحاضرة. ٥ الباقية : دار الآخرة. ٦ لا ينفدُ : لا ينتهي.

٦٢ الاستسقاء[١]

أللهمَّ قد انصاحت جبالنا[٢] واغبرَّت ارضنا، وهامت دوابُّنا وتحيَّرت في مرابضها، وعجت عجيجَ الثكالى على اولادها، وملَّتِ التردّد في مراتعها والحنين الى مواردها، أللهمَّ ارحمْ أنينَ الآنَّة وحنينَ الحانّة، أللهمَّ ارحم حيرتَها في مذاهبها وأنينَها في موالجها، أللهمَّ خرجنا اليك حينَ اعتكرتَ علينا حدابيرُ[٣] السنين واخلفتْنا مخايلَ الجودِ[٤] فكنتَ الرجاء المبتئس، والبلاغَ الملتمس، ندعوكَ حين قنِطَ الانام ومُنع الغمامُ وهلك السوام[٥] ألّا تؤاخذنا بذنوبنا، أللهمَّ انشُر علينا رحمتك بالسحاب المنبعِق[٦] والربيع المغدق[٧] والنبات المونق سحًّا وابلاً[٨] يحيا به ما قد مات ويُردّ به ما قد فات، أللهمَّ سقياً منك محيِيَة مرويَّة تامَّة عامَّة طيِّبة مباركة هنيئة مَريعة[٩] زاكياً نبتها، ثامراً فرعُها، ناضراً ورَقُها، تُنعش بها الضعيفَ من عبادِك وتحيي بها الميتَ من بلادِك وتعشب بها نجادَنا وتجري بها وهادَنا[١٠] وتُخصبُ بها جنابَنا[١١] وتعيش بها مواشينا وتندى بها أقاصينا[١٢] وتستعين بها ضواحينا[١٣] من بركاتك الواسعة وعطاياك الوافرة على بريتك المُرْمِلة[١٤]، وأنزل علينا سماء مُخضلة[١٥] مدراراً هاطلة يدفعُ الودقُ منها الودقَ[١٦] ويحفِز[١٧] منها القَطرَ حتى يَمرُع[١٨] ببركتها المجدبون، فإنك تنزلُ الغيثَ[١٩] من بعدِ ما قَنِطوا وتَنشرُ رحمتَك وأنت الوليُّ الحميدُ .

---

١ الاستسقاء: طلب الامطار . ٢ انصاحت جبالنا : تشقّقت من شدة الحرارة وعدم الماء .
٣ الحدابير مفرده حدبار : السنة المقحطة . ٤ مخايل مفرده مخيلة : السحابة تؤذن بالمطر ثمّ تنصرف بلا مطر . الجود : المطر الغزير . ٥ السوام : اسم جمع بمعنى البهائم الراعية .
٦ السحاب المنبعق : الذي ينشق عن المطر . ٧ الربيع المغدق : الكثير المطر . ٨ النبات المونق : المعجب . سحاً : منصباً . وابلاً : كثيراً . ٩ المريعة : المخصبة . ١٠ النجاد مفرده نجد : ما ارتفع من الارض . ١١ الجناب : الناحية . ١٢ تندى : تبتلّ . أقاصينا : اطراف بلادنا . ١٣ الضواحي مفرده ضاحية : البهيمة المتادة الشرب وقت الضحى .
١٤ المرملة : الفقيرة . ١٥ المخضلة : المبتلة . ١٦ الودق : المطر . ١٧ يحفز : يدفع .
١٨ يمرع المجدبون : ينالون الخصب . ١٩ الغيث : المطر الذي يغيث الارض فيكثر نباتها .

٦٣ الخطبة الشقشقية[١]

[وفيها يبدي الامام علي مدى تألمه من جور الفاتنين في خلافته وحكاية حاله مع من سبقه :]

أما والله لقد تقمّصها فلان[٢]، وإنه لَيَعلم انَّ محلّي منها محلُّ القُطب من الرَّحى: ينحدرُ عني السَّيل[٣] ولا يَرقى اليَّ الطير، فسدلتُ دونها ثوباً، وطوَيتُ عنها كَشحاً. وطفقت أرتئي بين أن أصولَ بيدٍ جذّاء[٤] او أصبرَ على طَخيةٍ عمياء[٥] يَهرَمُ فيها الكبير، ويشيبُ فيها الصغير، ويَكدَح فيها مؤمنٌ حتى يَلقى ربّه. فرأيتُ أنَّ الصبرَ على هاتا أحجى[٦]؛ فصبرتُ وفي العينِ قذًى، وفي الحلق شجاً[٧] أرى تُراثي نَهبا، حتى مضى الاولُ لسَبيله، فأدلى بها الى فلانٍ بعده! ... فيا عجبا! بَينا هو يَستقيلُها في حياته[٨] إذ عَقدها لآخرَ بعدَ وفاته! ... فصبرتُ على طولِ المدّة، وشدّةِ المِحنة؛ حتى اذا مضى لسبيله جعلها في جماعةٍ زعمَ أني أحدُهم؛ فيا لله وللشُّورى[٩]! متى اعترضَ الرَّيبُ فيَّ مع الاول منهم حتى صرتُ أُقرَنُ الى هذه النظائر؟! ...

أمَا والذي فَلَقَ الحَبَّة، وبَرَأَ النَّسمة، لولا حضورُ الحاضر، وقِيامُ الحُجّة بوجود

---

١ الشِقشِقية: نسبة الى الشِقشِقة وهي شبه جراب يخرجه البعير من فيه اذا هدر. وأسميت «الشقشقية» لأن علياً، اذ وصل الى حيث انتهى النصّ، اقبل على كتاب ينظر فيه، فقال له ابن عباس: يا امير المؤمنين، لو اطّردت خطبتك من حيث افضيت؛ فأجاب: هيهات يا ابن عباس، تلك شقشقة هدرت ثم قرّت. ٢ فلان: هو ابو بكر الخليفة الأول؛ والضمير في تقمّصها يرجع الى الخلافة. ٣ ينحدر عني السيل ولا يرقى اليّ الطير: تمثيل لسموّ قدره وقربه من صاحب الشريعة الاسلامية. ٤ جذّاء: مقطوعة: والمراد ان ليس ما يؤيّدها. ٥ الطخية: الظلمة. ٦ أحجى: ألزم، اقرب الى العقل؛ والحجى: العقل. وهاتا بمعنى هذه. يقول انه رأى الصبر على هذه الحال التي وصفها أولى بالعقل من الصولة بلا نصير. ٧ الشجا: ما اعترض في الحلق من عظم ونحوه. ٨ روي ان ابا بكر قال بعد البيعة: «أقيلوني فلست بخيركم». ٩ لما دنا اجل عمر بن الخطاب رأى ان يترك امر الخلافة من بعده الى رأي رجال الشورى، وكانوا ستة احدهم عليّ؛ فاختاروا عثمان لقرابة تمتّ اليه والنفور من عليّ، الأمر الذي اوجد علياً.

الناصر[١]، وما أخذ الله على العلماء ان لا يُقارُّوا على كِظَّة ظالم ولا سغَب مظلوم[٢]، لألقيتُ حبلها على غاربها، ولسقيتُ آخرها بكأس أوَّلها، ولألفيتم دنياكم هذه أزهدَ عندي من عفطة عنز[٣] .

٦٤ إن أبَوا اعطيتهم حد السيف

[اتّهم قومٌ عليًّا بقتل عثمان فردَّ عليهم بقوله :]

ألا وإنَّ الشيطان قد ذمَّر[٤] حزبه، واستجلب جَلبهُ . ليعودَ الجورُ الى أوطانه ويرجع الباطل الى نِصابه[٥] واللهِ ما أنكروا عليَّ مُنكراً، ولا جعلوا بيني وبينهم نَصفاً[٦]؛ وإنهم ليَطلُبون حقًّا هُم تركوه، ودماً هم سفكوه؛ فلَئن كنتُ شريكهم فيه فإنَّ لهم لنصيبهم منه، ولَئن كانوا وُلُوه دوني فما التَّبِعة إلا عندهم، وإنَّ أعظم حُجَّتهم لعلى أنفسهم ! يَرتضعون أمًّا قد فطمت[٧] ويُحيُون بدعةً قد أُميتت، يا خيبة الداعي !! مَن دعا ؟ وإلامَ أُجيب[٨] ؟ وإني لراضٍ بحجة الله عليهم، وعلمه فيهم فإن أَبوا أعطيتهم حدَّ السيف وكفى به شافياً من الباطل، وناصراً للحقّ، ومن العَجَب بَعثُهم إليَّ أن أبرُزَ للطِّعان ! وأن أصبرَ للجلاد، هَبِلَتهم الهبول[٩] لقد كنتُ وما أُهدَّد بالحرب، ولا أُرهَب بالضرب، وإني لعلى يقينٍ من ربي، وغيرِ شُبهة من ديني .

---

١ الناصر : الجيش الذي يستعين به على إلزام الخارجين بالدخول في البيعة الصحيحة . ٢ السغب: الجوع الشديد، والمراد : هضم الحقوق . ٣ العفطة : ما تنثره العنز من انفها . ٤ ذمّر : حثّ واغرى . ٥ النصاب : الأصل المنبت وأول كل شيء . ٦ النّصف : العدل ؛ يقول : انهم لم يحكّموا العدل بيني وبينهم . ٧ مثل في طلب الامر بعد فواته . ٨ استفهام يراد به التحقير ؛ والكلام في اصحاب الجمل ومنهم طلحة والزّبَير اللذان بعدما بايعا امــير المؤمنين فارقاه في المدينة واتيا مكة ونّاديا مع عائشة بطلب ثأر عثمان . وكانت المعركة في البصرة فانتصر عليّ . ٩ هبلتهم : ثكلتهم . الهبول : هي من النساء من لا يبقى لها ولد ؛ والكلام دعاء بالموت .

[عندما أغار سفيان بن عوف الاسدي على الانبار من قبل معاوية بن أبي سفيان وقتل حساناً البكريّ اميرها في خلافة الامام عليّ قام يحثّ قومه على الجهاد ويوبخهم على تقاعدهم عنه، قال :]

٦٥ الجهاد

أما بعد فإنَّ الجهادَ بابٌ من أبوابِ الجنَّة، فمَن تركه ألبسه الله ثوب الذُّلّ وأشملَهُ[1] البلاء، وألزَمه الصغارَ[2] وسامه الخسفَ[3]. ألا و إني دَعَوتكم الى قتال هؤلاء القوم ليلاً ونهاراً، وسرّاً وجِهاراً وقلت لكم أغزوهم قبل أن يغزوكم، فوالله ما غُزيَ قومٌ قطُّ في عُقر[4] دارهم إلا ذلُّوا فتواكلتم وتخاذلتم وثقُل عليكم قولي. فاتّخذتموه وراءكم ظهرياً حتى شُنّت عليكمُ الغاراتُ . هذا سُفيان بن عَوف قد بلغتْ خيالتهُ الأنبار وقتلوا حساناً البكريّ، وأزالوا خيلكم عن مَسارحها وقتلوا منكم رجالاً صالحين ثمَّ انصرفوا وافري الغنائمِ ما نال رُجلاً من رجاله كَلمٌ[5] ولا أُريق لهمُ دمٌ . فلو أنَّ أمرأً مؤمناً مات من بعد هذا أسفاً ما كان عندي مَلوماً بل كان عندي جديراً . فوا عجباً من جِدِّ هؤلاء في باطلهم وفشلكم عن حقكم . قُبحاً لكم حين صرتم غرضاً يُرمى، يُغار عليكم ولا تغيرون . تُغزَون ولا تَغزون يُعصى اللهُ وتَرضَون . فإذا أمرتُكم بالمسير اليهم في الصيف قُلتم هذه حمارَّة القَيظ[6] أمهلنا حتى ينسلخ عنّا الحرُّ . وإذا أمرتكم بالمسيرِ اليهم في الشِتاء قُلتم هذه صبارَّة[7] القرِّ أمهلنا حتى ينسلخَ عنّا البردُ . فأنتم والله من السيف أفرُّ[8] . يا أشباهَ الرجالِ وعقولَ ربّاتِ الحجال . إني لَوددتُ لو أخرجَني اللهُ من هذه الدنيا وقبضَني الى رحمته ولم أرَكُمْ ولم أعرفكُم . واللهِ لقد ملأتُم قلبي قَيحاً وشَحنتم صَدري غيظاً وجَرَّعتموني الموتَ[9] أنفاساً ،وأفسدتم عليّ رأيي

---

١ أشملهُ : كساه . ٢ الصَغار: الاحتقار، الدناءة . ٣ الخسف: الذُلّ . ٤ عقر دارهم : قرارة بيتهم . ٥ كَلمٌ: جرح . ٦ حمارّة القيظ : شدّة الحرّ . ٧ صبارّة القرّ : شدّة البرد . ٨ اي فراركم من السيف لا من الحرّ والبرد . ٩ جرّعتموني الموت: سقيتموني الموت جُرْعة جرعة .

بالعِصيانِ والخِذلان حتى قالت قُرَيشٌ إنَّ ابنَ أَبي طالبٍ شجاعٌ ولكِن لا عِلم لهُ بالحربِ، للهِ أبوهم وهل منهم أحدٌ أشدُّ لها مِراساً وأطولُ تجربةً مني لقد مارستها ولم أبلغِ العشرين، فها أنا قد نيَّفتُ على الستين . . . ولكِن لا رأيَ لمن لا يُطاع.

٦٦ دعوتكم سرًّا وجهرًا

أيها الشاهدةُ أبدانُهم، الغائبةُ عقولُهم، المختلفة أهواؤهم، المبتلى بهم أمراؤهم، صاحبُكم يطيعُ اللهَ وانتم تعصونه وصاحبُ[1] أهلِ الشام يَعصي اللهَ وهُم يُطيعونهُ، لَوددتُ واللهِ أنَّ معاويةَ صارفَني بكم صَرفَ الدِّينار بالدِّرهم[2]، فأخذَ مني عشرةً وأعطاني رَجلًا منهم . أما والذي نفسي بيدهِ ليَظهرنَّ هؤلاء القومُ[3] عليكم، ليسَ لأنَّهم أولى بالحقِّ منكم، ولكِن لإسراعهم الى باطل صاحبِهم، وإبطائكم عن حقِّي . لقد أصبحَتِ الأُممُ تخافُ ظُلمَ رُعاتِهم، وقد اصبحتُ أنا أخافُ ظُلمَ رعيَّتي، إستنفرتُكم للجِهادِ فلَمْ تَنفروا وأسمعتُكم فلَمْ تَسمَعوا ودَعوتُكم سرًّا وَجهرًا فلَمْ تستجيبوا ونصحتُ لكم فلَم تَنتَصِحوا، أتلو عليكم الحِكَمَ فتَنفُرونَ مِنها، وأعِظُكُمْ بالموعِظَةِ البالِغةِ فتتفرَّقونَ عنها أيدي سَبا[4]، أُقوِّمُكم غِدوَةً فترجعونَ إليَّ عشيَّةً كظَهرِ الحيَّةِ أعضلُ[5] المقوِّم، تُشبهونَ الإبلَ غابَ عنها رُعاتُها كلَّما جُمِعَتْ مِنْ جانبٍ تفرَّقتْ من جانبٍ آخرَ، ولَئن أمهلَ اللهُ الظالِمَ[6] فلَن يَفوتَهُ أخذُهُ وَهُوَ لَهُ بالمِرصادِ على مَجازِ طريقِهِ وبِمَوضعِ الشجا من مساغِ ريقِهِ[7] .

---

١ يريد معاوية بن ابي سفيان . ٢ اي استبدلني ديناراً بدرهم وقيمة الدينار ثمانين غرشاً ذهبياً والدرهم دون ذلك بكثير . ٣ اي جماعة معاوية . ٤ سبا اسم رجلٍ هو عبد شمس بن يعرب بن قحطان ابو قبائل العرب سُمّيَ به لكثرة سبيه في الغزوات . وايدٍ جمع يد بمعنى السلطة والملك، ومن ذلك المثل المشهور، تفرّقوا ايدي سبا ؛ اي تبدّدوا تبدّداً لا اجتماع بعده وذلك لأن الله قد ارسل على ارضه سيل العرم فأغرقها وأذهب جنّاتها فتركها سبا هو وقومه وتشتّتوا في البلاد، فذهب ملكه ادراج الرياح وذلك برواية « الطبري » . ٥ أعضل : اعجز . ٦ الظالم، اراد به معاوية الذي شاركه في الخلافة ظلماً، والحاضرين الذين كانوا يظلمونه بتأخرهم عن الجهاد، او فرارهم من ساحة الوغى . ٧ الشجا : ما يعترض في الحلق من عظم ونحوه . ومساغ الريق : ممرّه من الحلق، وفي الكلام تمثيل لقرب السطوة الالهية من القوم الظالمين .

٦٧ وصف الطاووس

[كان الامام عليّ شديد الميل الى التأمل في عظمة الله وكمالاته، ولا يني يرى تلك الكمالات متجلية في دنيا المخلوقات فيندفع في تعظيم الخالق ويسعى في حمل الناس على الشعور بما يشعر والأخذ بما يفعل . ومن اروع ما نُقل عنه في هذا الصدد وصفه للطاووس والنملة والخفّاش خلال بعض خطبه :]

ومن اعجبها خَلقاً الطاووس الذي أقامَه في أحكم تعديل، ونضّد ألوانه في احسن تنضيد، بجناح أشرجَ قصبَه، وذَنَب أطال مَسحَبَه. . تخالُ قَصبه، مداريَ من فِضّة[1] وما أُنبت عليه من عجيب داراته وشموسه خالصَ العِقيان وفِلَذَ الزَّبَرجد[2]؛ فإن شبّهتَهُ بما أنبتتِ الأرضُ قلتَ : جَنًى جُني من زهرة كل ربيع ؛ وان ضاهيتَه بالملابس فهو كموشيِّ الحُلَل او مُونِقِ عَصْب اليَمَن ؛ وإن شاكلته بالحُليِّ فهو كفُصوص ذاتِ ألوان قد نُطِّقت باللُّجَين المكلَّل[3] ؛ يمشي مَشيَ المَرِح المُختال، ويتصفّح ذَنَبه وجناحَيه فيُقهقِه ضاحِكاً لجمال سرباله وأصابيغِ وشاحه .

فاذا رمى ببصره الى قوائمه زَقا مُعوِلًا يكاد [بصوتٍ] يُبينُ عن استغاثته ويشهد بصادق توجّعه ؛ لأنّ قوائمه حُمش كقوائم الديكة الخِلاسيّة[4] وقد نجمت من ظُنبوت ساقه صِيصِيَةٌ خفيّة[5]، وله في موضع العُرف قُنزُعة[6] خضراءُ مُوشّاة، ومخرَجُ عُنُقه كالإبريق ؛ ومغرزها إلى حيث بطنُه كصِبغ الوَسمة[7] اليمانية، او كحريرة مُلبَسة مرآةً ذاتَ صِقال، وكأنه مُلفَّعٌ بمِعجَر أسحم[8] إلا أنّه يُخيَّلُ

---

١ القصب ج قصبة : الريش . المداري ج المِدرى او المدراة : مصنوع من حديد او خشب على شكل سنّ من اسنان المشط، واطول منه، لتسريح الشعر المتلبّد . ٢ الدّارات : هالات القمر . العِقيان : الذهب الخالص . ٣ فُصوص ج فَصّ : الحجر الكريم في الخاتم . اللّجين : الفضة . المكلّل : المزيّن بالجواهر . ٤ حُمش ج احمش : دقيق . الخِلاسي : الديك بين دجاجتين هندية وفارسية . ٥ الظّنبوت : حرف عظم الساق من قُدُم . الصيصية : شوكة الحائك، وهنا شوكة رجل الديك . ٦ العُرف : الشعر المرتفع من العنق على الرأس . القنزعة : الخصلة من الشعر تترك على رأس الصبي . ٧ الوسمة : نبات النيل الذي منه صبغ النيلج المعروف بالنيلة . ٨ المعجر : ثوب تشدّه المرأة على رأسها . الأسحم : الأسود .

لِكثرة مائه وشدّة بريقه أنّ الخضرة النّاضرة ممتزجة به . ومع فتق سمعه خطٌّ كمُستدقّ القلم في لون الأقحوان أبيض يقق، فهو ببياضه في سواد ما هنالك يأتلق وقلَّ صِبغٌ إلا وقد أخذ منه بقسط وعلاه بكثرة صقاله [وبريقه] وبصيص ديباجه ورونقه، فهو كالأزاهير المبثوثة لم تُربّها أمطارُ ربيع ولا شموس قيظ ؛ وقد ينحسرُ من ريشه ويعرى من لباسه فيسقطُ تترى، وينبت تِباعاً، فينحتُّ[١] من قصبه انحتات أوراق الاغصان ثم يتلاحقُ نامياً حتى يعودَ كهيئته قبل سقوطه: لا يُخالِفُ سالفَ ألوانه، ولا يقع لونٌ في غير مكانه . وإذا تصفّحتَ شعرةً من شعرات قصبه أرتك حمرةً ورديّةً، وتارةً خضرةً زبرجديّةً، وأحياناً صفرةً عسجديّةً فكيف تصِل الى صِفة هذا عمائقُ الفِطَن أو تبلُغه قرائحُ العقول .

٦٨ وصف النملة

أنظروا الى النّملة في صِغَر جثّتها، ولطافة هيئتها، لا تكادُ تنالُ بلحظ البصر، ولا بمستدرَك الفِكر، كيف دبّت على أرضها، وصبّت على رزقها ! تنقُل الحبّة الى جحرها وتعدُّها في مستقرّها ؛ تجمعُ في حرّها لبردها، وفي ورودها لصدرها[٢] مكفولةٌ برزقها، مرزوقةٌ بوفقها[٣] ؛ لا يُغفلُها المنّان، ولا يحرمُها الديّان، ولو في الصّفا اليابس، والحجر الجامس[٤]، ولو فكّرتَ في مجاري أكلها، في علوِها وسفلها، وما في الجوف من شراسيف[٥] بطنها وما في الرّأس من عينها وأذنها ؛ لقضيتَ من خلقها عجباً، ولقيتَ من وصفها تعباً، فتعالى الذي أقامها على قوائمها، وبناها على دعائمها .

ميزته : عليٌّ في خطبه يصوّر نفسه المتدفقة بالتقوى والايمان والزهد، الصاخبة على الباطل نصرةً للحق على صعيدَي الدين والدنيا ؛ وفيها، كفي مرآة يتجلى العقل العبقري الذي يسبر

---

١ ينحت : يسقط وينتثر . ٢ الصدَر : الرجوع بعد الورود . ٣ بوفقها : بما يوافقها من الرزق ويلائم طبعها، او بما هو قدر كفايتها منه . ٤ الجامس : الجامد .
٥ الشراسيف ج شرسوف : مقاطّ الاضلاع اي اطرافها التي تشرف على البطن .

الاغوار ويرسل الافكار نابضة بالقوة، متسلسلة في تساوق على غير ما هو معهود في النثر الجاهلي. وكل ذلك يختلج بفيض من الشعور الحيّ الدافق يمازجه خيال طليق واسع الآفاق، واقعي التصوير، مسكوب في قالب من التعبير الموسيقي الجامع بين الطبع والصنعة جمعاً فنياً رائعاً .

الرسائل والاوامر :

[من رسائل عليّ ما هو موجّه الى الولاة والعمّال والرعية، وفيه نصح وتحضيض وثناء وعتاب؛ ومنها ما هو موجّه الى معاوية او غيره من اعدائه، وفيه احتجاج وتهديد :]

٦٩ رسالة الى احد عمّاله يوصيه بجمع اللين الى الشدّة

أمّا بعد، فانّك ممّن أستظهرُ به على إقامة الدِّين، وأقمع به نَخوة الاثيم، وأسدُّ به لَهاةَ الثَّغر[١] المخوف . فاستعن بالله على ما أهمّكَ ، وأخلطِ الشدّةَ بضِغْثٍ[٢] من اللين، وأرفُقْ ما كان الرِّفقُ أرفق، واعتزم بالشدّة حينَ لا يُغني عنكَ الّا الشدّة، واخفض للرعيّة جناحك، [وابسط لهم وجهك] ، وألِن لهم جانبك، وآسِ[٣] بينهم في اللّحظة والنظرة والإشارة والتحيّة، حتى لا يطمع العظماء في حَيفك ، ولا ييأس الضعفاء من عدلك . والسلام .

٧٠ رسالة الى معاوية

.. وكيف انت صانع اذا تكشّفت عنك جلابيب ما أنتَ فيه من دُنيا قد تبهّجت[٤] بزينتها وخدعت بلذّتها ؛ دعتكَ فأجبتها وقادتك فاتّبعتها ، وأمرتكَ

---

١ الثغرة : موضع المخافة من حدود الممالك . اللّهاة : اللحمة المدلاة في سقف الفم على باب الحلق، قرنها بالثغر تشبيهاً له بفم الانسان . ٢ الضغث : قبضة من الحشيش مختلطة الرطب باليابس، ويريد هنا شيئاً من اللين تخلط به الشدة . ٣ آس بينهم : شارك وسوّ بينهم . ٤ تبهجت : تحسّنت .

فأطعتَها . وإنه يوشكُ ان يَقِفَكَ واقفٌ على ما لا يُنجيكَ منه مِجَنٌ ، فاقْعَسْ[1] عن هذا الامر، وخُذ أهبة الحساب، وشمِّر لما قد نزل بك ، ولا تمكِّن الغُواةَ من سَمْعِك . وإلّا تفعل أُعلِمْكَ ما أغفلت من نفسك، فإنك مُترَفٌ قد أخذ الشيطان منكَ مأخذَه، وبلغ فيك أمله، وجرى منك مجرى الروح والدم .

ومتى كنتم، يا معاوية، ساسة الرعيَّة، وولاةَ أمر الأُمّة، بغير قَدَم سابق، ولا شرف باسق؛ ونعوذُ بالله من لزوم سوابق الشقاء! وأُحذِّرك ان تكون مُتمادياً في غِرَّة الأُمنيَّة، مختلِفَ العلانية والسريرة .

وقد دعوتُك الى الحرب فدَعِ الناس جانباً واخرج اليَّ، وأَعفِ الفريقَين من القتال ليُعلَم أيُّنا المرينُ[2] على قلبه، والمُغطّى على بصره؛ فأنا ابو حسنٍ قاتل جدِّك وخالك وأخيك شَدْخاً يومَ بَدْر، وذلك السيف معي، وبذلك القلب ألقى عدوّي! ما استبدلتُ ديناً، ولا استحدثتُ نبيّاً؛ واني لعلى المنهاج الذي تركتموه طائعين، ودخلتم فيه مكرهين[3] . . .

ميزته : اخص ميزات الرسائل عند علي النزعة الى الايجاز والجزالة على غير خلوٍّ من التنسيق البديعي . وهي مرصوفة المعاني رصفاً قوياً، تقسو او تلين على ما تقضي الحال .

الامثال :

[خبر عليٌّ الحياة واعمل الفكر في شتى نواحيها فوردت له اعتبارات وحكم قوية المعنى، رشيقة التعبير، تجري مجرى الامثال . وهذه طائفة منها :]

اذا وصلت اليكم اطراف النِعم فلا تُنفِروا أقصاها بقلّة الشكر .

من استقبلَ وجوه الآراء عَرف مواقع الخطإ .

---

١ اقعَسْ : تأخَّرْ . ٢ المرين من ران الذنبُ على قلبه : غلب عليه فغطّى بصيرته .
٣ يعرّض علي بكونهم اسلموا كرهاً .

من استبدَّ برأيه هلك، ومن شاور الرجال شاركها في عقولها ٠

الطمع رِقّ مؤبّد ٠

آلة الرئاسة سعة الصدر ٠

أفضلُ الاعمال ما اكرهتَ نفسك عليه ٠

المرأة شرٌّ كلّها، وشرّ ما فيها انه لا بدّ منها ٠

العفاف زينة الفقر والشكر زينة الغنى ٠

يوم العدل على الظالم اشد من يوم الجور على المظلوم ٠

من صارع الحقّ صَرَعه ٠

كفاكَ أدباً لنفسك اجتناب ما تكرهه من غيرك ٠

لا تظنَّنَّ بكلمة خرجت من أحد سوءا وانت تجد لها في الخير محلًا ٠

ما ظَفِر مَن ظَفِر الإثم به، والغالبُ بالشرّ مغلوب ٠

الناسُ اعداء ما جهلوا ٠

المرء مخبوء تحتَ لسانه ٠

رأيُ الشيخ أحبُّ اليَّ من جَلَدِ الغلام ٠

زياد ابن أبيه (توفي سنة ٦٧٣ م/٥٣ ﻫ)

[كان زياد من ذوي الاحلام الوافرة والشدّة في الحكم، بل كان ابرع شخصيَّة تقلّدت الولاية في عهد الامويّين ومن اقوى اهل زمانه بطشاً وشدّة مراس. وقد رمى به معاوية اصحاب الفتَن فلمّ الشعث واشتطّ في العقوبة واخذ بالظِّنة وعاقب على الشُّبهة ٠ وأشهر ما خلّفه لنا زياد خطبته البتراء التي سُمّيت كذلك

لانه لم يفتتحها بحمد الله، والتي فاه بها سنة ٦٦٥ حين قدم البصرة والياً من قِبَل معاوية، وفيها أوّل إعلان للحكم العرفيّ في الاسلام .]

٧١ الخطبة البتراء

أمّا بعدُ فانّ الجهالةَ الجهلاءَ[١]، والضلالةَ العمياءَ[٢]، والغيَّ الموفي باهلِهِ على النار، ما فيه سفهاؤُكم، ويشتملُ عليه حلماؤُكم، من الامور التي يَنبتُ فيها الصغيرُ، ولا يتحاشى عنها الكبيرُ، كأنّكم لم تَقرأوا كتابَ الله[٣]، ولم تسمعوا ما اعدَّ اللهُ منَ الثوابِ الكريمِ لأهلِ طاعتهِ، والعذابِ الأليمِ لأهلِ معصيتهِ، في الزمنِ السرمديّ الذي لا يزول . إنه ليس منكم إلا مَن طَرَفَت[٤] عينهُ الدنيا، وسدَّت مسامعهُ الشهواتُ، واختارَ الفانيةَ على الباقيةِ، ولا تَذكرون أنّكم أحدثتم في الإسلامِ الحدَثَ الذي لم تسبقوا اليه، من تركِكُم الضعيفَ يُقهرُ، والضعيفةَ المسلوبةَ بالنهارِ لا تُنصرُ، والعدوُّ غيرُ قليلٍ، والجمعُ غيرُ مفترقٍ . ألم يكن منكم نُهاةٌ يمنعون الغُواةَ عن دَلَجِ الليل[٥] وغارةِ النهار ؟ قرَّبتمُ القرابةَ وباعدتمُ الدينَ، تَعتذرون بغيرِ العذرِ، وتغضُّون على النُّكرِ . كلُّ امرئٍ منكم يَردُّ عن سفيهِهِ . صَنعَ من لا يخافُ عاقبةً ولا يرجو مَعادا ، ما أنتم بالحلفاء ولقد اتّبعتمُ السفهاءَ، فلم يزَل بكم ما تَرَون من قيامِكم دونهم حتى حُرمَ الإسلامِ، ثمّ أطرَقوا وراءَكم كنوساً[٦] في مكانسِ الرِّيَبِ . حرامٌ عليَّ الطعامُ والشرابُ حتى أُسوِّيها بالارض هدماً وإحراقاً . إني رأيتُ آخرَ هذا الامرِ لا يَصلح إلا بما صَلَحَ به أوّلُهُ : لينٌ بغيرِ ضَعفٍ، وشدّةٌ في غيرِ عُنفٍ . وإني لأُقسِمُ باللهِ

---

١ الجهالة الجهلاء : الجهل الذي ما بعده جهلٌ، والجهل : السفه . ٢ العمياء : التي يعمى فيها الناس، ونسبة العمى اليها مجاز عقليّ . ٣ كتاب الله : القرآن وهو كتاب المسلمين المقدّس . ٤ طرفت عينه الدنيا : صرفته اليها والى زخرفها . ٥ دلج الليل : السّير في اوّله والمراد مطلق السير فيه، والكلام فيه كناية عن التلصّص . ٦ الكنوس مفرد كانس وهو الظبي يدخل كناسه اي مأواه – والمكانس مفرده مكنس وهو بيت الظبي .

لَآخُذَنَّ الوليَّ بالمولى، والمقيمَ بالظاعنِ، والمطيعَ بالعاصي، والصحيحَ بالسقيم، حتى يلقى الرجلُ أخاه فيقول : أنجُ سعدُ فقد هلكَ سُعَيدٌ[1]، او تستقيمَ قناتُكُم[2]. انَّ كذبةَ الاميرِ بلقاءُ[3] مشهورةٌ، فاذا تعلّقتم عليَّ بكذبةٍ فقد حلّت لكم مَعصيتي، فإذا سمعتُموها مني فاغتمزوها فيَّ، واعلموا أنَّ عندي أمثالها . مَن نُقِبَ منكم عليه فأنا ضامنٌ لِما ذهبَ من مالِه . فإيايَ ودَلَجَ الليلِ، فإني لا أوتى بمُدلجٍ إلا سفكتُ دمهُ، وقد أجّلتُكم في ذلك بمقدارِ ما يأتي الخبرُ الكوفةَ ويرجعُ اليكم . وإيّاي ودعوى الجاهلية[4]، فإني لا أجد أحداً دعا بها إلا قطعتُ لسانهُ . وقد أحدثتم أحداثاً لم تكُن، وقد أحدثنا لكلِّ ذَنبٍ عقوبةً . فمَن أغرقَ قوماً أغرقناه، ومَن أحرقَ قوماً أحرقناه، ونقبَ بيتاً نقبنا عن قلبِهِ، ومن نبش قبراً دفنّاهُ فيهِ حيّاً . فكفُّوا عني أيديَكم وألسنَتكم أكفُف عنكم يدي ولساني ؛ ولا تظهرُ من أحدِكم رِيبةٌ بخلافِ ما عليه عامّتكم إلا ضربتُ عُنقهُ . وقد كان بيني وبين قومٍ إحَنٌ[5] فجعلتُ ذلكَ دَبْرَ أُذُني وتحت قدَمي . إني لو علِمتُ أنَّ أحدَكم قد قتلَهُ السُّلُّ من بُغضي لم أكشِف له قِناعاً، ولم أهتِك له سِتراً، حتى يُبدي لي صفحتَهُ[6]، فإذا فعلَ ذلكَ لم أُناظِرْهُ[7] . فاستأنفوا أمورَكم وأعينوا على أنفُسكم، فربَّ مُبتئسٍ بقدومِنا سيُسَرُّ، ومسرورٍ بقدومنا سيبتئسُ .

أيها الناسُ ! إنّا قد اصبحنا لكم ساسة، وعنكم ذادةً، نَسوسُكم بسلطانِ اللهِ الذي أعطانا، ونذودُ[8] عنكم بِفَيءِ الله الذي خوّلنا، فلنا عليكم السَّمع والطاعة فيما أحببنا، ولكم علينا العدلُ فيما وَلينا، فاستوجبوا عدلَنا وفَيْئَنا[9] بمناصحتِكم لنا . وَأيمُ الله إنَّ لي فيكم لَصرعى[10] كثيرةً، فليَحذر كلٌّ منكم أن يكونَ من صَرعايَ .

١ مثل يضرب في تتابع الشرّ واصل المثل ان ضبة بن طابخة كان له ابنان سعد وسعيد فنفرت له ابل، فخرجا في بغائها فوجدها سعد فردّها واما سعيد فظفر به الحارث بن كعب فقتله وكان ضبّة اذا رأى سواداً بالليل قال : اسعد ام سعيد ومن هذا جاء المثل : انجُ سعد فقد هلك سعيد . ٢ قناتكم القناة : الرمح واستعيرت هنا لحسن السلوك . ٣ البلقاء مؤنث الأبلق : الواضح المشهور . ٤ دعوى الجاهلية هي الدعوة الى العصبية والتفاخر بها وقولهم يا لَفلان . ٥ الإحن مفرده إحنة وهي الحقد . ٦ صفحة الشيء : جانبه . ٧ أناظره : اتمهّل عليه . ٨ نذود : ندافع . ٩ الفيء : الغنيمة تعطى في الحرب . ١٠ الصرعى مفرده صريع وهو قتيل .

ميزته : قال الشعبيّ : «ما سمعتُ متكلماً على منبر قطّ تكلّم فأحسن إلّا أحببتُ أن يسكت خوفاً من أن يسيء إلا زياداً، فانّه كلّما اكثر كان اجود كلاماً» . ولهذه الخطبة قيمة سياسية تقوم على الدعوة الى الاصلاح وطاعة بني اميّة ؛ ولها قيمة فنيّة قائمة على حسن التأليف وشدّة العاطفة وروعة الاسلوب .

الحجّاج بن يوسف (٦٦١ ـ ٧١٤ م/٤١ ـ ٩٥ ﻫ)

[الحجّاج هو الشخصيّة القويّة التي تحبُّ الاستئثار بالقوّة والسلطان، وتنزع منزع الحزم والشدّة الى حدّ القسوة والظلم، وله عدد من الخطب التي تشهد بتلك الشدّة وتلك القسوة .]

٧٢ يا اهل العراق !

[بعد واقعةِ دير الجماجم[١]، وكانت فيه معركة هائلة بينه وبين عبد الرحمن بن الاشعث الكندي، قال :]

يا أهلَ العراقِ إنَّ الشيطانَ قد استبطنكم فخالطَ اللحمَ والدمَ، والعصبَ والمسامعَ والاطرافَ والشغافَ[٢] ثمَّ أفضى الى الاصماخِ[٣] والامخاخ ثم ارتفع فعشّش ثم باضَ وفرّخ، فحشاكم نفاقاً وشقاقاً . إن أشعركم خِلافاً اتخذتموه دليلاً تتبعونه وقائداً تُطيعونه ومؤمَراً تستشيرونه حتى صرتم تنظرون بعينهِ وتتكلّمون بلسانهِ، فكيفَ تنفعكم تجربة أو تَعظُكم وقعة أو يَحجزكم دين او يفيدكم بيان، السُّم اصحابي بالاهواز[٤] حيث رمتم المكرَ وسعيتُم بالغدرِ واستجمعتم للكفرِ

---

١ دير الجماجم موضع بقرب الكوفة من بلاد العراق، كانت فيه وقعة هائلة بين الحجاج وعبد الرحمن بن الاشعث الكندي . ٢ الشغاف : غشاء يكتنف القلب . ٣ الاصماخ : مادّة لزجة في داخل الاذنين . ٤ الاهواز : سبع كور بين البصرة وفارس لكلّ كورة منهنّ اسم مخصوص وتجمعهنّ كلمة الاهواز .

وظننتم أنَّ اللهَ يخذلُ خليفتَه وأنا أرميكم بطَرفي[1] وانتم تسلّلون لواذا وتنهزمون سراعا، ثمَّ يوم الزاوية[2] ما يوم الزاوية، بها كان فشلكم وتنازعتم وتخاذلتم وبراءة الله منكم ونكوص وليكم عنكم إذ ولّيتم كالإبل الشوارد الى اوطانها النوازع الى اعطانها، لا يسألُ المرء عن اخيه ولا يلوي الشيخ على بنيه حتّى عضّكم السلاحُ وقصمتكم الرماح . ثم يوم دير الجماجم وما يوم دير الجماجم بها كانت المعارك والملاحم بضربٍ يُزيل الرأسَ عن مقيله، ويذهلُ الخليلَ عن خليله . يا اهلَ العراق أهلَ الكفراتِ بعدَ الفجراتِ والغدَرات بعد الختَرات والثورات بعد النزوات، إن بُعثتم إلى ثغوركم غلّلتم وخنتم وإن أُمنتم أرجفتم وإن خفتم نافقتم . لا تذكرون نقمة ولا تشكرون نعمة . يا أهلَ العراق هل استخفّكم ناكثٌ او استغواكم غاوٍ او استفزّكم عاصٍ او استنصركم ظالم او استعضدكم خالعٌ إلا تبعتموه وآويتموهُ وعززتموه ورضيتموه وارضيتموه[3] . يا اهل الشام إنما انا لكم كالظليم[4] الذابِّ عن فِراخه ينفي عنها المَدر ويباعد عنها الحجر ويكنّها من المطر ويحميها من الضباب ويحرسها من الذئاب . يا اهل الشام وانتم الجُنّة والرِداء وانتم العدّة والكِفاء .

٧٣ انا ابن جلا

[لمّا قدم اميراً على العراق، دخل المسجد معتمّاً بعمامة قد غطّى بها اكثر وجهه، وصعد المنبر وهو متقلّد سيفه متنكّب قوسه، ومكثَ ساعة لا يتكلم، فقال الناس بعضهم لبعض : قبّح الله بني أميّة إنهم يستعملون مثل هذا على العراق، وهمَّ عُمير ابن ضابئ البرجمي ان يرجمه، فمنعه الناس حتى يرَوا عاقبة امره . فلمّا رأى الحجّاج عيون الناس تنظر اليه، حسرَ اللثام، ووقف وقال :]

١ بطرفي : بعيني . ٢ الزاوية موضع حوالي البصرة اشتهر بوقعة كانت هنالك بين الحجاج وابن الاشعث . ٣ هنا وجه الخطاب الآتي الى اهل الشام الذين كانوا يحرسونه بالعراق .
٤ الظليم : ذكر النعامة .

أنَا ٱبْنُ جَلاَ وَطَلَّاعُ ٱلثَّنَايَا   مَتَى أَضَعِ ٱلعِمَامَةَ تَعرِفُونِي[١]

يا أهل الكوفة إني لأرى رؤوساً قد اينعت وحان قطافها، وإني لصاحبها، وكأني أنظرُ الى الدماء بين العمائم واللحى . ثمَّ قال :

هٰذَا أَوَانُ ٱلشَّدِّ فَٱشْتَدِّي زِيَمْ   قَدْ لَفَّهَا ٱللَّيْلُ بِسَوَّاقٍ حُطَمْ[٢]

لَيْسَ بِرَاعِي إِبِلٍ وَلَا غَنَمْ   وَلَا بِجَزَّارٍ عَلَى ظَهْرِ وَضَمْ[٣]

قَدْ لَفَّهَا ٱللَّيْـلُ بِعَصْلَبِيِّ   أَرْوَعَ خَرَّاجٍ مِنَ ٱلدَّوِيِّ[٤]

مُهَـاجِرٍ لَيْسَ بِأَعْرَابِيِّ[٥]

ثمَّ قال :

قَدْ شَمَّرَتْ عَنْ سَاقِهَا فَشُدُّوا   وَجَدَّتِ ٱلْحَرْبُ بِكُمْ فَجِدُّوا

وَٱلقَوْسُ فِيهَـا وَتَرٌ عُرُدُّ   مِثْلُ ذِرَاعِ ٱلبِكْرِ أَوْ أَشَدُّ

لَا بُدَّ مِمَّا لَيْسَ مِنْـهُ بُدُّ

إني واللهِ يا أهلَ العراق ما يُقَعْقَعُ لي بالشنان[٦] ولا يغمزُ جانبي كتغماز التين[٧] ولقد فُررتُ عن ذكاء وفُتِّشت عن تجربة، وإنَّ امير المؤمنين أطـال الله بقاءَهُ نثرَ كِنانته بين يديه[٨] فعجم عيدانها، فوَجدني أمرَّها عوداً، واصلبها مَكسِراً[٩]، فرماكم بي لانكم طالما اوضعتم[١٠] في الفتنة، واضطجعتم في مرافدِ الضلال، والله

---

١ ابن جلاً : علم محكي، وهو رجل مشهور بالفتك اي أنا كابن جلا في الغارة والشدّة . ٢ زيم : اسم ناقة او فرس . السواق الحطم : الذي لا يبقي من السير شيئاً . ٣ الوضم ما يقطع عليه اللحم، وتلخيص المعنى انه ليس بضعيف الشأن كاحد هذين، الراعي والجزّار . ٤ العصلبي : الشديد القوي العصب، وزيادة اللام في عصلبي للدلالة عـلى القوّة . الاروع : الذكيّ . الدويّ : الصحراء المتّسعة، يسمع له دوي من وقع أخفاف الابل . ٥ المهاجر : البدويّ الخارج من باديته الى المدن . ٦ القعقعة : صوت الجلود اليابسة . الشنان : مفرده شَنّ وهو الجلد اليابس . والمعنى انه لا يفزع ذوي العقول . ٧ تغماز التين : جسّ التينة للنظر في هل هي يانعة ام لا، والمراد : لست بضعيفٍ لين الجانب . ٨ الكنانة : جعبة السهام . عجم العود : عضّه ليبلو صلابته . امرّها من المرارة وهي طعم شجر المرار . ٦ المكسر : اسم مكان وهو موضع الكسر . وهذه العبارة تمثيل لافراغ الفكرة فيمن يختارهم امير المؤمنين من الرؤساء الذين بصّرتهم الحروب . ١٠ اوضعتم : اسرعتم في السير .

لاحزِمَنَّكم حزم السَّلَمة[١] ولَأضربنَّكم ضَرب غرائبِ الابل[٢] فانكم لكأهل قريةٍ كانت آمنةً مطمئنّةً يأتيها رزقُها رغداً من كلّ مكانٍ، فكفرتْ بانعمِ الله فأذاقها الله لِباس الجوعِ والخوف بما كانوا يصنعون . وإني والله ما أقول إلا وَفيتُ، ولا أُهمُّ إلا أمضيتُ، ولا أخلُقُ إلا فَرَيتُ[٣] وإنّ امير المؤمنين أمرَني باعطائكم اعطياتكم، وأن أوَجهكم لمحاربة عدوّكم مع المهلّب ابن أبي صُفرة، وإني أُقسمُ بالله لا أجد رجلًا تخلّف بعد عطائه ثلاثة أيام إلا ضربتُ عنقه .

٧٤ ان للشيطان طيفاً

[وخرجَ من الكوفة الى البصرة فخطب بالناس فقال :]

أيها الناس : من اعياه[٤] داؤه فعندي دواؤه، ومَن استطال أجلَه[٥] فعليّ أن أُعجِلَه ، ومن ثَقُلَ عليه رأسه وضعتُ عنه ثِقلَه، ومن استطال ماضي عمره قصّرتُ عليه باقيه، إنّ للشيطان طَيفاً[٦] وللسلطان سيفاً، فمن سقمَت سريرته صحّت عقوبته، ومن وضعه ذنبُهُ رفعه صَلبُهُ ، ومن لم تَسعْه العافية لم تضق عليه الهلَكة ، ومن سبقَتْه بادرةُ فمِهِ[٧] سبق بدنُه[٨] بسفك دمِه، إني أُنذِر ثمّ لا أنظِر[٩] وأُحذِرُ ثم لا أغدرُ، وأتوعّدُ ثمّ لا أعفو، إنما افسدكم ترنيق[١٠] ولاتِكم، ومَن استرخى لَبَبُهُ[١١] ساءَ أدبُه، إنّ الحزمَ والعزمَ سلباني سَوطي، وأبدلاني بهِ سيفي، فقائمُهُ في يدي، ونجادُه في عُنُقي، وذُبابُه[١٢] قلادةٌ لمن عصاني ، والله لا آمرُ أحدَكم أن يخرج من بابٍ من أبواب المسجدِ فيخرجُ من الباب الذي يليه إلا ضربتُ عُنُقَهُ .

---

١ السلمة : شجرة شائكة يعسر خرط ورقها فيشدّ بعضه الى بعض ثمّ يضربها الخابط فيتناثر ورقها .
٢ غرائب الإبل : اي الغريبة عن مواطنها وهي تضرب حين تدخل بين الابل ويكون ضربها بلا شفقة لأنها لا تهمّ الضارب . ٣ لا اخلُقُ إلا فريت : اي لا اعزم إلا صممت .
٤ اعياه : أتعبه . ٥ أجله : عمره . ٦ الطيف : مسّ الشيطان . ٧ البادرة : ما يخرج من كلامٍ من الفم عن غير قصد في غضب او غيره . ٨ المراد بسبق بدنه، انه يقتل سريعاً فيكون بدنه الى الموت اسرع من خروج البادرة من فمه . ٩ لا أنظِرُ : لا أؤخر . ١٠ الترنيق : الضعف في الامر والمراد المساهلة . ١١ اللبب : ما يشدّ في صدر الدابة ليمنع استرخاء الرحل .
١٢ ذباب السيف : حدّه .

ميزته : اسلوب الحجاج في خطبه مرآة لنفسيّته الصاخبة الهدّارة التي تسلّحت بالحزم والشدّة، ولسياسته التي ألفت العنف والصرامة، ولفصاحته وبلاغته اللتين تملآن القلب روعة وهولاً . ففي كلامه تهويل وتخويف . وهو يجمّل معانيه قوية بذكر الموت والتقتيل ونشر المساوىء والتأكيد والقسم وما الى ذلك ؛ وهو يجعل عبارته موجزة سريعة تنبض نبضاً في تدفّقها واحتدامها .

النثر التفصيليّ

عبد الحميد الكاتب (٧٥٠ م/١٣٢ ﻫ)

[اتّصل العرب بغيرهم من الشعوب، وامتدّ سلطانهم، فشعروا بحاجة الى تفصيل الرسائل وايضاح العهود، وقد كان عبد الحميد رائد هذا الاسلوب التفصيليّ، وهو فارسيّ من اهل الشام . ورسائله موزعة في المجاميع الادبية، نجتزئ منها بما يأتي .]

٧٥ الى الكتّاب

[هي رسالة وجهها عبد الحميد الى الكتّاب يرشدهم فيها الى آداب الصناعة وصون أنفسهم عن النقائص .]

أمّا بعد حفظكم الله، يا أهل صناعة الكتابة، وحاطكم ووفّقكم وأرشدكم، فإنّ الله عزّ وجلّ جعل الناس بعد الانبياء والمرسلين، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، ومن بعد الملوك المكرّمين، أصنافاً، وإن كانوا في الخلقة سواء، وصرّفهم[1] في صنوف الصناعات وضروب المحاولات الى اسباب معاشهم، وأبواب رزقهم،

١ صرّفهم : وجّههم .

فجعلكم معشرَ الكتّاب في أشرف الجهات، اهل الادب والمروآت، والعلم والرزانة، بكم تنتظم للخلافة محاسنها، وتستقيم امورُها، وبنصائحكم يُصلِحُ اللهُ للخلق سلطانهم، وتعمُر بُلدانُهم، لا يستغني الملكُ عنكم، ولا يوجد كافٍ[1] إلا منكم، فموقعكم من الملوك موقع اسماعهم التي بها يسمعون، وابصارهم التي بها يُبصرون، والسنتهم التي بها ينطقون، وأيديهم التي بها يبطشون، فامتعكم بما خصَّكم من فضل صناعتكم، ولا نزع عنكم ما أضفاه[2] من النعمةِ عليكم...

. . .

فتنافسُوا يا معشر الكتَّاب في صُنوفِ الآداب، وتفقّهوا في الدين، وأبدأوا بعلمِ كتاب اللهِ عزَّ وجلَّ والفرائضِ، ثمَّ العربية، فانها ثقافُ[3] السنتكم. ثمَّ أجيدوا الخطَّ فإنَّه حِلية كتابتِكم، وأرووا الاشعار، وأعرفوا غريبها ومعانيها، وأيّامَ العربِ والعجمِ واحاديثها وسيرَها، فإنَّ ذلك مُعينٌ لكم على ما تسمو اليه هِممُكم. ولا تضيّعوا النظرَ في الحساب، فإنه قوام كتّاب الخراجِ، وأرغبوا في انفسكم عن المطامع سنيّها ودنيّها[4] وسفاسفِ[5] الامور ومحاقرها. فإنها مَذلَّة للرقاب، مَفسَدةٌ للكتّاب، ونزّهوا صناعتكم عن الدنايا، واربأوا بأنفسكم عن السعاية والنميمة وما فيه اهل الجهالات.

٧٦ رسالة الشطرنج

[وهي ما كتبه عن الخليفة الى الامصار يأمر الولاة بالضرب على أيدي المستهترين بهذه اللعبة، وقد شاعت شيوعاً عظيماً حتى صرفت الناس عن امور معاشهم، قال :]

أمّا بعد فإنَّ الله شرع دينهُ بانهاج سُبله، وايضاح معالمه باظهار فرائضِه، وبعثَ رسلَهُ الى خلقِهِ دلالةً لهم على رُبوبيته، واحتجاجاً عليهم برسالته ومقدّماً اليهم

---

١ كافٍ : قادر على الأمر ناهض به. ٢ اضفاه : اسبغه وأطاله. ٣ الثقاف : ما يقوّم به الرمح، وهنا ما يُقوّم به اللسان. ٤ سنيّها : عاليهـا. دنيّها : حقيرها. ٥ السفاسف : الحقير من الامور.

بإنذاره ووعيده، ليهلك مَن هلك عن بيّنةٍ، ويحيا من يحيا عن بيّنةٍ، ثمّ ختم بنبيّه صلّى الله عليه وحيهُ، وقفّى به رسلَه، وابتعثهُ لاحياء دينه الدارس مُرتضياً له، حين انطمستِ الأعلامُ مُختفيةً، وتشتّتت السبلُ مُتفرّقةً، وعفت الآثار دارسةً، وسطع رهجُ[1] الفِتن وابتدأ قتام الظُّلم. واستشهد الشِّركُ وأسدل الكُفر، وظهر اولياء الشيطان لطموس الاعلام ونطق زعيمُ الباطل بسكتة الحقّ، واستطرق الجورُ، واقطرّ سَلهبُ[2] الفتنة واستُضرم لِقاحُها[3] وطبّقت الارض ظُلمة كُفرٍ وغيابة فساد، فصدع[4] بالحقّ مأموراً، وبلّغ الرسالة معصوماً وفلجَ الإسلام وأهلَه دالاً لهم على المراشد، وقائداً لهم الى الهداية، ومنيراً لهم أعلام الحقّ ضاحية، ومُرشداً لهم الى استفتاح باب الرحمة وإعلان عروة النجاة، موضحاً لهم سُبُل الغواية، زاجراً لهم عن طريق الضلال، محذّراً لهم من الهلكة، موعزاً اليهم في التقدمة، ضارباً لهم الحدود على ما يتّقون من الامور ويخشَون، وما اليه يسارعون ويطلبون، صابراً نفسه عن الاذى والتكذيب، داعياً لهم بالترغيب والترهيب، حريصاً عليهم متحنّناً على كافّتهم، عزيزاً عليه عَنَتُهم[5] رؤوفاً بهم رحيماً، تقدُمه شفقتُهُ عليهم وعنايتُهُ برُشدهم الى تجريد الطلب الى ربّه فيما فيه بقاء النِّعمة عليهم وسلامة أديانهم، وتخفيفُ آصارِ[6] الأوزارِ عنهم، حتى قبضه الله اليه صلّى الله عليه وسلّم ناصحاً مُنتصحاً، أميناً مأموناً. قد بلّغ الرّسالة، وأدّى النصيحة، وقامَ بالحقّ، وعدّلَ عمودَ الدينِ حتى اعتدلَ ميلُهُ، وأذلَّ الشركَ وأهلَهُ، وأنجزَ له وَعدَه، وأراه صدقَ اسبابهِ في إكماله المسلمين دينَهُ واستقامة سُنَنِهِ فيهم، وظهور شرائعه عليهم. قد أبان لهم مُوبقات الاعمال ومُفظِعات[7] الذنوب ومُبهِظاتِ[8] الاوزار، وظلم الشبهات، وما يدعو اليه نقصان الاديان، وتستهويهم الغِوايات، وأوضحَ لهم اعلامَ[9] الحقّ، ومنازل

١ الرهج: الغبار. ٢ اقطرّ: اشتدّ. السلهب من الرجال: الطويل، ومن الخيل ما عظم وطالت عظامه. ٣ استضرم: أوقد. لقاح النار: ما تُمِدّ به من حطب. ٤ فاعل صدعَ ضمير مستتر يعود على النبي. ٥ العنت: المشقّة. ٦ آصار مفرده إصر وهو الذّنْب. ٧ المُفظعات: الموبقات. ٨ المُبهِظات: المثقلات، وليس في القاموس أبهظَ بل بَهظه الامر، ولعلّه استعمل ذلك مزاوجة لمفظعات. ٩ الاعلام مفرده علَم وهو ما ينصب في الطريق هداية للمسافرين.

المراشد، وطرقَ الهدى، وأبوابَ النجاةِ، ومعاقلَ العصمة . غيرَ مدَّخرٍ لهم نصحاً ولا مبتغٍ في إرشادهم غُنماً .

فكان فيما تقدَّم اليهم فيه نَهيُهُ، وأعلَمهم سوءَ عاقِبتـه، وحذَّرهم إصرَه، وأوعز اليهم ناهياً وواعظاً وزاجراً الاعتكافَ عـلى هذه التماثيل من الشطرنج، والمواصلة عليها لِما في ذلك من عظيمِ الإثمِ، ومُوبقِ الوِزرِ[1] مـع مُشتَغِلها عن طلب المعاشِ، وإضرارِها بالعقول ومنعِها عن حضور الصلوات في مواقيتِها مـع المسلمين . وقد بلغ أميرَ المؤمنين أنَّ ناساً ممن قِبَلكَ من اهل الاسلام قد ألهجَهُم[2] الشيطان بها وجمعَهم عليها، وألَّف بينهم فيها . فهم مُعتكِفون عليهـا من لَدُن صبحِهم الى مُمساهم مُلهيةً لهم عن الصلوات شاغلةً لهم عمَّا أُمروا به عن القيـام بسُنَنِ دينِهم، وافتُرض عليهم من شرائع اعمالهم ؛ معَ مداعبتِهم فيهـا، وسوءِ لَفظِهم عليها، وأنَّ ذلك من فِعلهم ظاهرٌ في الاندية والمجالس غـيرَ مُنكرٍ ولا معيب، ومُستفظَع عند أهل الفقه، وذوي الوَرع والاديان والاسنان منهم، فأكبر أميرُ المؤمنين ذلك وأعظمهُ وكرِهَهُ واستكبره، وعَلِم أنَّ الشيطان عندما يَئِسَ من بلوغ إرادته في معاصي الله عزَّ وجلَّ بِمِصرِ المسلمين وبجمعِهم صُراحاً وجِهاراً، أقدمَ بهم على شُبهةٍ مُهلكةٍ، وزيَّن لهم ورطةً موبقةً، وغرَّهم بمكيدةٍ إرادةَ استهوائهم بالخدَع واجتيالهم[3] بالشبهِ، والمراصد الخفيَّة المُشكلة . وكلٌّ مُقيمٌ على معصية الله، صَغُرَتْ أو كَبُرَت مستحلّاً لها مُشيداً بها[4] مظهراً لارتكابه إيَّاها، غيرَ حذرٍ عقابَ الله عزَّ وجلَّ، ولا خائفٍ مكروهاً فيها ولا رَعِبٍ من حلول سطوته عليها، حتَّى تلحقهُ المنيَّة فتختلجه[5] وهو مُصرٌّ عليها غيرُ تائبٍ الى الله منها، ولا مُستغفِر من ارتكابه إيَّاها . فكم قد أقام على موبقات الآثام، وكبائر الذنوب، حتى مرَّ به مُخرِّمُ أيامه[6] . وقد أحبَّ أميرُ المؤمنين أن يتقدَّم اليهم فيما بلغَه عنهم وأن يُنذِرهم ويوعزَ اليهم ويعلمهم ما في اعناقهم عليها، وما لهم في قبولِ ذلك

---

١ الوِزْر : الذَّنب . ٢ ألهجهم : جعلهم يلهجون بها أي يديمون ذكرها، والمراد أنهم مولعون بها . ٣ اجتاله : حوَّله عن قصده . ٤ مُشيداً بهـا : رافعاً صوته . ٥ تختلجه : تنتزعه . ٦ خرَّم الشيء وخرَّمه : فرَّق اجزاءه .

من الحظّ، وعليهم في تركه من الوزر. فآذِنْ بذلك فيهم وأشِدْهُ في أسواقهم وجميع أنديتهم، واوعز اليهم فيه وتقدّم الى عامل شرطتك في إنهاك[1] العقوبة لمن رُفِعَ اليه من اهل الاعتكاف عليها، والإظهار للّعب بها، وإطالة حبسه في ضيقٍ وضنكٍ، وطرح اسمه من ديوان امير المؤمنين ورأيه[2]، ولا يَجِدَنَّ أحدٌ عندك هَوادةً[3] في التقصير في حقّ الله عزّ وجلّ والتعدي لاحكامه، فتحلَّ بنفسك ما يسوءك عاقبةً ومغبّةً، وتتعرّض به لِغِيَرِ[4] الله عزّ وجلّ ونكاله. واكتب الى امير المؤمنين ما يكون منك إن شاء الله والسلام.

٧٧ تعزية

[وكتب عن مروان الى هشام يعزيه عن امرأ من حظاياه:]

إنّ الله أمتعَ اميرَ المؤمنين من أنيسته وقرينته مَتاعاً الى أجلٍ مُسمّى. فلمّا تمّت له مواهبُ الله وعاريتُهُ قبض اليه العاريةَ، ثمّ أعطى امير المؤمنين من الشكر عند بقائها والصبر عند ذهابها أنفسَ منها في المُنقلَب، وارجح في الميزان، وأسخى في العِوَض فالحمد لله ربّ العالمين، «إنّا لله وإنّا اليه راجعون».

ميزته: ذهب غير واحدٍ من علماء الادب الى ان الكتابة قبل عبد الحميد كانت حديثاً مكتوباً لا ترجع الى نظام ولا تميل الى فنٍّ خاص، فاستنّ لها اسلوباً خاصاً ورفعها الى الدرجة العليا من حسن الترتيب والتنسيق، وتنويع الخطاب على مقتضى المخاطَب واوجز واطنب مراعاة لمقتضى الحال، متفنناً بالبدء والختام واطالة التحميدات في صدور الرسائل، وجعل للكتابة اصولاً ما زالت تحتذى مع شيء من التغيير بحسب مقتضى الزمن.

---

١ إنهاك العقوبة: المبالغة بها. ٢ ورأيه: المراد هنا ما يحسن به امير المؤمنين.
٣ الهوادة: اللين والضعف. ٤ غِيَر: احداث الدهر.

العهد العباسي

١

العهد العباسي في الشرق

(٧٥٠ - ١٢٥٨م / ١٣٢ - ٦٥٦هـ)

الباب الاول

أدبُ الثَّورة التَّجديديَّة

في الشعر

بشَّار بن بُرْد (٧١٤ ـ ٧٨٤ م/٩٦ ـ ١٦٨ هـ)

[عاش بشار بين عصرين عصر ينزع الى العروبة والحفاظ على العادات والتقاليد العربية وعصر ينزع الى « الكسرويَّة »، وشهد نضالًا عنيفاً بين ارباب القديم وارباب الجديد في الاخلاق والادب، فكان صلة بين عهدين، وكان شعره مرآة للوجهين القديم والجديد .]

بشار شاعر التقليد :

٧٨ ليل تهاوى كواكبه

[لما اضطرب أمر بني أمية بعد بيعة يزيد بن الوليد سنة ٧٤٣ ثار اهل حمص على الذين قتلوا الوليد بن يزيد، وأرادوا المسير الى دمشق، ووثب اهل فلسطين على عاملهم، وتداعوا الى قتال يزيد بن الوليد، وتوفي يزيد في تلك السنة ، ووُلّي بعده اخوه ابراهيم، وكان مروان بن محمد (الممدوح) والياً على الجزيرة وارمينية والموصل وأذربيجان من قبل يزيد بن الوليد، فلما رأى مروان اختلال الامور، خرج من الجزيرة يريد الشام، وانضم اليه في قنسرين يزيد بن عمر بن هبيرة وقيس عيلان ، ثم بلغ حمص فانضم اليه اهلها، وخرج اليه جند إبراهيم بقيادة سليمان بن

هشام بن عبد الملك وتلاحموا في عين الجرّ، وانهزم جنـد الشام وفيهم بنو كلب، وانتصر جند مروان وهم قيس عيلان، وهرب الخليفة إبراهيم، وبويع مروان بالخلافة في دمشق وقمع الثورات المختلفة، ولمّا خرج اهل الكوفة سنة ٧٤٥، وعلى رأسهم الضحّاك بن قيس الشيباني، حاربهم مروان وقتل الضحّاك، فقال بشار هذه القصيدة يمدح مروان بن محمد ويشير الى المواقع التي انتصر فيها :]

جَفَا وِدُّهُ فَازْوَرَّ أَوْ مَلَّ صَاحِبُهْ وَأَزْرَى بِهِ أَنْ لَا يَزَالَ يُعَاتِبُهْ [1]
خَلِيلَيَّ لَا تَسْتَنْكِرَا لَوْعَةَ ٱلْهَوَى وَلَا سَلْوَةَ ٱلْمَحْزُونِ شَطَّتْ حَبَائِبُهْ [2]
شَفَى ٱلنَّفْسَ مَا تَلْقَى بِعَبْدَةَ عَيْنُهُ وَمَا كَانَ يَلْقَى قَلْبُهُ وَطَبَائِبُهْ [3]
فَأَقْصَرَ عِرْزَامُ ٱلْفُؤَادِ وَإِنَّمَا يَمِيلُ بِهِ مَسُّ ٱلْهَوَى فَيُطَالِبُهْ [4]
إِذَا كَانَ ذَوَّاقًا أَخُوكَ مِنَ ٱلْهَوَى مُوَجَّهَةً فِي كُلِّ أَوْبٍ رَكَائِبُهْ [5]
فَخَلِّ لَهُ وَجْهَ ٱلْفِرَاقِ وَلَا تَكُنْ مَطِيَّةَ رَحَّالٍ كَثِيرٍ مَذَاهِبُهْ [6]
أَخُوكَ ٱلَّذِي إِنْ رِبْتَهُ قَالَ إِنَّمَا أَرَبْتُ وَإِنْ عَاتَبْتَهُ لَانَ جَانِبُهْ [7]

---

١ جفا : بعد . الودّ : المحبوب . ازورّ : انحرف وتباعد . والضمير المضاف اليـه « ودّه » يعود على غير مذكور . والصاحب هو الودّ، أظهره في مقام الإضمار . أزرى به : حقّره . يعاتبه : في هذا الفعل ضميران احدهما فاعل مستتر يعود على ما عاد اليه الضمير في ودّه، والآخر مفعول بارز وهو الهاء الذي يعود الى الودّ او الصاحب . يقول : ان المحبّ قد جفاه حبيبه او ملّه فعاتبه المحب واكثر حتى ازرت به كثرة العتاب . ٢ وفي طبقات الشعراء لابن المعتزّ « ولا لوعة المحزون » بدلاً من « ولا سلوة المحزون » . ٣ الطبائب ج طبيبة وهي الحبيبة المواصلة المواسية . يقول : شفى نفسه من الم حبّ حبائبه البعيدات ما تلقى عينه من رؤية عبدة وما يلقاه قلبه؛ وقوله « وطبائبه » عطف على « ما تلقى »، و« كان » في قوله « وما كان يلقى » زائدة بعد ما النافية . ٤ العرزام : القوي الشديد من كل شيء ؛ اي أقصر وكفّ الفؤاد الشديد ونفـد عزمه . ٥ الذوّاق : هنا بمعنى المرأة التي تذوق كل نوع من الرجال ومواصلاتهم ؛ واستعمال هذه اللفظة بهذا المعنى قد ورد في حديث رواه عبادة بن الصامت عن محمّد نبي الاسلام : « إنّ الله لا يحبّ الذوّاقـين ولا الذوّاقـات » . ٦ المذاهب ج مذهب وهو الطريق والوجهة . ٧ رابَه : رأى منه ما يريبه ويكرهه . رابَ : كان صاحب الريبة . يقول : اخوك الذي إن رأى منك ما يريبه وعلم منك الريبة لم يفضحك ولم يقطعك بل ينسب الريبة الى نفسه كأنه هو المريب وحده، وإن عاتبته لم يجمد على العتاب بل يلين جانبه .

إِذَا كُنْتَ فِي كُلِّ ٱلذُّنُوبِ مُعَاتِبًا ... صَدِيقَكَ لَمْ تَلْقَ ٱلَّذِي لَا تُعَاتِبُهْ[١]
فَعِشْ وَاحِدًا أَوْ صِلْ أَخَاكَ فَإِنَّهُ ... مُفَارِقُ ذَنْبٍ مَرَّةً وَمُجَانِبُهْ[٢]
إِذَا أَنْتَ لَمْ تَشْرَبْ مِرَارًا عَلَى ٱلْقَذَى ... ظَمِئْتَ، وَأَيُّ ٱلنَّاسِ تَصْفُو مَشَارِبُهْ؟[٣]

* * *

يَخَافُ ٱلْمَنَايَا إِنْ تَرَحَّلْتُ صَاحِبِي ... كَأَنَّ ٱلْمَنَايَا فِي ٱلْمُقَامِ تُنَاسِبُهْ[٤]
فَقُلْتُ لَهُ : إِنَّ ٱلْعِرَاقَ مُقَامُهُ ... وَخِيمٌ إِذَا هَبَّتْ عَلَيْكَ جَنَائِبُهْ[٥]
لَعَلَّكَ تَسْتَدْنِي بِسَيْرِكَ فِي ٱلدُّجَى ... أَخَا ثِقَةٍ تُجْدِي عَلَيْكَ مَنَاقِبُهْ
مِنَ ٱلْحَيِّ قَيْسٍ قَيْسِ عَيْلَانَ إِنَّهُمْ ... عُيُونُ ٱلنَّدَى مِنْهُمْ تُرَوَّى سَحَائِبُهْ
إِذَا ٱلْمُجْحِدُ ٱلْمَحْرُومُ ضَمَّتْ حِبَالَهُ ... حَبَائِلُهُمْ سِيقَتْ إِلَيْهِ رَغَائِبُهْ[٦]
وَيَوْمٍ عَبُورِيٍّ طَفَا أَوْ طَفَا بِهِ ... لَظَاهُ فَمَا يَرْوَى مِنَ ٱلْمَاءِ شَارِبُهْ[٧]
رَفَعْتُ بِهِ رَحْلِي عَلَى مُتَخَطْرِفٍ ... يَزِفُّ وَقَدْ أَوْفَى عَلَى ٱلْجِذْلِ رَاكِبُهْ[٨]
وَأَغْبَرَ رَقَّاصِ ٱلشُّخُوصِ مَضِلَّةٍ ... مَوَارِدُهُ مَجْهُولَةٌ وَسَبَاسِبُهْ[٩]
لِأَلْقَى بَنِي عَيْلَانَ، إِنَّ فَعَالَهُمْ ... تَزِيدُ عَلَى كُلِّ ٱلْفَعَالِ مَرَاكِبُهْ[١٠]

---

١ هذا البيت والبيتان بعده من الابيات السائرة . وقد رُوي « الامور » بدل « الذنوب » .
٢ يروى « مفارق ذنب » بتقديم الفاء على القاف ، وكذلك ثبت في الديوان ، وعليه فقوله « ومجانبه » هو اسم فاعل « جانبه » اذا جلس بجنبه، وروي في الاغاني وغيرها « مُقارف » بتقديم القاف على الفاء، وهو من المقارفة بمعنى المخالطة، فقوله « ومجانبه » اسم فاعل من « جانبه » اذا كان منه بجانب ، اي بجهة اخرى، اي بعيداً عنه . ٣ القذى : يُطلق على ما يقع في الشراب كما يُطلق على ما يقع في العين . ٤ تناسبه : تكون له ذات نسب فهي لا تفرّه . ٥ الجنائب ج جَنوب بمعنى ريح الجنوب ؛ وقد أشار بذلك الى ما شاع عند الناس من تهييج ريح الجنوب روائح الكنف بالبصرة . ٦ المجحد : اسم فاعل من أجحد الرجل اذا ذهب ماله . ٧ العَبوريّ : الشديد الحر، نسبة الى الشعرى العَبُور وهو كوكب يطلع في شدّة الحر ؛ ويأتي العبوريّ بمعنى الطويل .
٨ المتخطْرِف : الواسع الخطوات ، يعني به البعير . يزفّ : يسير سيراً كسير النعام في السرعة، لان الزفيف جري النعام . الجِذْل : الجبل ؛ اي انّ راكبه كالجبل في ارتفاعه . ٩ الاغبر : المكان الكثير الغبار . رقّاص الشخوص : بمعنى فيه السراب لان الناظر يتخيّل ان الشخوص ترقص فيه . المَضِلّة : ما يضلّ فيه السائر . ١٠ الفَعال (بفتح الفاء) : الفعل الحسن خاصةً .
المراكب : عظائم الامور ؛ وقد روي في الاغاني « مراتبُه » .

أُلاكَ ٱلْأُلَى شَقُّوا ٱلعَمَى بِسُيُوفِهِمْ   عَنِ ٱلغَيِّ حَتَّى أَبْصَرَ ٱلحَقَّ طَالِبُهْ [١]
إِذَا رَكِبُوا بِٱلْمَشْرَفِيَّةِ وَٱلقَنَا   وَأَصْبَحَ مَرْوَانٌ تُعَدُّ مَوَاكِبُهْ [٢]
فَأَيُّ ٱمْرِئٍ عَاصٍ وَأَيُّ قَبِيلَةٍ   وَأَرْعَنَ لَا تَبْكِي عَلَيْهِ قَرَائِبُهْ [٣]
وَسَامٍ لِمَرْوَانٍ وَمِنْ دُونِهِ ٱلشَّجَا   وَهَوْلٌ كَلُجِّ ٱلبَحْرِ جَاشَتْ غَوَارِبُهْ [٤]
أَحَلَّتْ بِهِ أُمُّ ٱلْمَنَايَا بَنَاتِهَا   بِأَسْيَافِنَا، إِنَّا رَدَى مَنْ نُحَارِبُهْ [٥]
وَمَا زَالَ مِنَّا مُمْسِكٌ بِمَدِينَةٍ   يُرَاقِبُ أَوْ ثَغْرٍ تُخَافُ مَرَازِبُهْ [٦]
إِذَا ٱلمَلِكُ ٱلجَبَّارُ صَعَّرَ خَدَّهُ   مَشَيْنَا إِلَيْهِ بِٱلسُّيُوفِ نُعَاتِبُهْ [٧]
وَكُنَّا إِذَا دَبَّ ٱلعَدُوُّ لِسُخْطِنَا   وَرَاقَبَنَا فِي ظَاهِرٍ لَا نُرَاقِبُهْ [٨]
رَكِبْنَا لَهُ جَهْرًا بِكُلِّ مُثَقَّفٍ   وَأَبْيَضَ تَسْتَسْقِي ٱلدِّمَاءَ مَضَارِبُهْ [٩]
وَجَيْشٍ كَجُنْحِ ٱللَّيْلِ يَرْجُفُ بِٱلحَصَى   وَبِٱلشَّوْلِ وَٱلخَطِّيِّ حُمْرٍ ثَعَالِبُهْ [١٠]
غَدَوْنَا لَهُ وَٱلشَّمْسُ فِي خِدْرِ أُمِّهَا   تُطَالِعُنَا وَٱلطَّلُّ لَمْ يَجْرِ ذَائِبُهْ [١١]

---

١ أولاك : اي اولئك . الألى : موصول، جمع الذي .   ٢ المشرفية : السيوف . القنا : الرماح .   ٣ الأرعن : الجيش العظيم .   ٤ السامي : هنا، القاصد بعداوة، كأنه يرتفع لينال مطلبه . الشجا : ما يعترض في الحلق من عظم ونحوه؛ شبّه به ما يعترض من الصعاب لمعادي الممدوح . الغوارب : أعالي الموج .   ٥ جعل للمنايا أمّاً، هي عنصر الموت . وجعل لها بنات، وهي الميتات المختلفة المتشعّبة .   ٦ المرازب ج مَرزُبان وهو الرئيس؛ وانما خصّ المرازبة لانّ اكثر الثغور البريّة للسلطنة الاسلامية يومئذٍ في تخوم بلاد العجم من جهة الهند والصين .   ٧ صعّر خدّه : أماله عن وجهة الناس والنظر اليهم تهاوناً بهم واستكباراً . مشينا اليه بالسيوف نعاتبه : لون جميل من الوان البيان العربي، فهو يريد ان الجبّار الذي يصعّر خدّه لا نرضى ان نعاتبه على ذلك عتاب الناس، بل نضع له السيوف موضع العتاب؛ ثم هو يجعل المشي اليه بالسيوف عتاباً مبالغةً في التهكم والفخر، وليس ذلك تشبيها ولا استعارة، ولكنّه نوع من مخالفة مقتضى الظاهر يُسمّى «التنويع» وهو ادّعاء ان مسمّى اللفظ نوعان : متعارف وغير متعارف، على طريق التخييل .   ٨ دبّ العدوّ: مشى على هينة واستخفاء . راقبنا : حاذرنا .   ٩ ركبنا له جهراً : اي لم نقابل الدّبّ بالدّبّ، بل قابلناه بالشجاعة المجاهرة . المثقّف : الرمح المقوّم . الابيض : السيف . تستسقي الدماء : تطلب شربها .   ١٠ يرجف : يدوي؛ (وقد روي في الاغاني «يزحف») . الحصى : العدد الكثير . الشّول ج شائلة : الإبل . الخطيّ: الرمح . الثعالب ج ثعلب وهو طرف الرمح الداخل في السنان .   ١١ الطلّ : النّدى . يقول : غدونا بكرة عند ابتداء الشروق وقبل ان يسقط الندى الذي في الاشجار على الارض كأنه تذيبه الشمس .

بِضَرْبٍ يَذُوقُ ٱلْمَوْتَ مَنْ ذَاقَ طَعْمَهُ   وَتُدْرِكُ مَنْ نَجَّى ٱلْفِرَارُ مَثَالِبُهْ
كَأَنَّ مُثَارَ ٱلنَّقْعِ فَوْقَ رُؤُوسِهِمْ   وَأَسْيَافَنَا لَيْلٌ تَهَاوَى كَوَاكِبُهْ [١]
بَعَثْنَا لَهُمْ مَوْتَ ٱلْفُجَاءَةِ إِنَّنَا   بَنُو ٱلْمُلْكِ خَفَّاقٌ عَلَيْنَا سَبَائِبُهْ [٢]
فَرَاحُوا : فَرِيقاً فِي ٱلْإِسَارِ وَمِثْلُهُ   قَتِيلٌ وَمِثْلٌ لَاذَ بِٱلْبَحْرِ هَارِبُهْ [٣]
وَأَرْعَنَ يَغْشَى ٱلشَّمْسَ لَوْنُ حَدِيدِهِ   وَتَخْلِسُ أَبْصَارَ ٱلْكُمَاةِ كَتَائِبُهْ [٤]
تَغَصُّ بِهِ ٱلْأَرْضُ ٱلْفَضَاءُ إِذَا غَدَا   تُزَاحِمُ أَرْكَانَ ٱلْجِبَالِ مَنَاكِبُهْ [٥]
كَأَنَّ جُنَابَاوَيْهِ مِنْ خَمْسِ ٱلْوَغَى   شَمَامٌ وَسَلْمَى أَوْ أَجَا وَكَوَاكِبُهْ [٦]
تَرَكْنَا بِهِ كَلْباً وَقَحْطَانَ تَبْتَغِي   مُجِيراً مِنَ ٱلْقَتْلِ ٱلْمُطِلِّ مَقَانِبُهْ [٧]
أَبَاحَتْ دِمَشْقاً خَيْلُنَا حِينَ أُلْجِمَتْ   وَآبَتْ بِهَا مَغْرُورَ حِمْصٍ نَوَائِبُهْ [٨]
وَنَالَتْ فِلَسْطِيناً فَعَرَّدَ جَمْعُهَا   عَنِ ٱلْعَارِضِ ٱلْمُسْتَنِّ بِٱلْمَوْتِ حَاصِبُهْ [٩]

---

١ النقع : غبار الحرب، اي النقع الذي اثارته الخيل والرجال في الزحف . فوق رؤوسهم : هذا ما جاء في الديوان بخلاف ما جاء في الاغاني واكثر كتب الادب؛ ورواية الديوان أوثق، لان النقع كان فوق رؤوس الفريقين إلا ان الشاعر اراد ان يتوصّل بجعل النقع فوق رؤوس الاعداء الى إفادة ان سيوف جيش قومه كانت واقعة على رؤوس الاعداء مع ذلك النقع . وهذا البيت هو الذي أكسب بشّاراً شهرة في النبوغ في الشعر، وذلك انه جمع فيه تشبيه مركّب بمركّب، فجمع تشبيهين في تشبيه .   ٢ بنو الملك : جاء في الاغاني « بنو الموت » وما جاء في الديوان أظهر، لان المقام مقام افتخار بالنصر مع الخليفة يناسب ان يقول انهم ورثة ملك وشأنهم الانتصار . السبائب ج سبيبة وهي الشقّة من الثوب اراد بها الراية .   ٣ في هذا البيت من المحسّنات حسن التقسيم؛ والمراد بالبحر : الفرات؛ وقد نصب « فريقاً » على انه حال مفردة، والصواب انه مرفوع، على ما جاء في الاغاني، والجملة هي الحال .   ٤ الارعن : الجيش الكثير . يقول : ان ما مع الجيش من الحديد والسلاح يغطّي الشمس لكثرته وانه يلمع في اشعّة الشمس وكأنه يختلس ابصار الشجعان ويسلبها .   ٥ مناكب الجيش : نواحيه وجوانبه .   ٦ الجناباوان : مثنى جُنابى وهي ناحية الوادي والطريق، واراد هنا ميمنة الجيش وميسرته . الخَمس : الاشتداد . الشَّمام : اسم جبل لباهلة . سلمى : احد جبلي طيّىء . أجا : جبلهم الثاني . كواكب : جبل قرب أجا، وقد أضافه الى ضمير أجا .   ٧ المقانب : جماعات من الخيل تجتمع للغارة . أشار الى انتصار مروان على الكلبيين واليمنيين .   ٨ آبت : قصدت وأتت . مغرور حمص : هو ثابت بن نعيم الجذاميّ، وهو الذي ثار بحمص، وقد صلبه مروان على باب دمشق .   ٩ عَرّد : هرب . العارض : السحاب . المستنّ : المنصبّ . الحاصب : الرامي بشيء كالبرد والحجارة .

وَقَدْ نَزَلَتْ مِنَّا بِتَدْمُرَ نَوْبَةٌ كَذَاكَ عُرُوضُ ٱلشَّرِّ تَعْرُو نَوَائِبُهْ [١]
تَعُودُ بِنَفْسٍ لَا تَزِلُّ عَنِ ٱلْهُدَى كَمَا زَاغَ عَنْهُ ثَابِتٌ وَأَقَارِبُهْ [٢]
وَبِٱلْكُوفَةِ ٱلْحُبْلَى جَلَبْنَا بِخَيْلِنَا عَلَيْهِمْ رَعِيلَ ٱلْمَوْتِ إِنَّا جَوَالِبُهْ [٣]
فَلَمَّا ٱشْتَفَيْنَا بِٱلْخَلِيفَةِ مِنْهُمُ وَصَالَ بِنَا حَتَّى تَقَضَّتْ مَآرِبُهْ [٤]
دَلَفْنَا إِلَى ٱلضَّحَّاكِ نَصْرِفُ بِٱلرَّدَى وَمَرْوَانُ تَدْمَى مِنْ جُذَامَ مَخَالِبُهْ [٥]
مُعِدِّينَ ضِرْغَاماً وَأَسْوَدَ سَالِخاً حُتُوفاً لِمَنْ دَبَّتْ إِلَيْنَا عَقَارِبُهْ [٦]
وَمَا أَصْبَحَ ٱلضَّحَّاكُ إِلَّا كَثَابِتٍ عَصَانَا فَأَرْسَلْنَا ٱلْمَنِيَّةَ تَادِبُهْ [٧]

٧٩ ابن برمك

[وفد بشار على خالد بن برمك وقد انتدبه المنصور والياً على بلاد فارس بعد ان استوزره السفّاح فالمنصور، وقال يمدحه :]

لَعَمْرِي ! لَقَدْ أَجْدَى عَلَيَّ ٱبْنُ بَرْمَكٍ، وَمَا كُلُّ مَنْ كَانَ ٱلْغِنَى عِنْدَهُ يُجْدِي [٨]
حَلَبْتُ بِشِعْرِي رَاحَتَيْهِ، فَدَرَّتَا سَمَاحاً، كَمَا دَرَّ ٱلسَّحَابُ مَعَ ٱلرَّعْدِ [٩]
إِذَا جِئْتَهُ لِلْحَمْدِ، أَشْرَقَ وَجْهُهُ إِلَيْكَ، وَأَعْطَاكَ ٱلْكَرَامَةَ بِٱلْحَمْدِ [١٠]
لَهُ نِعَمٌ فِي ٱلْقَوْمِ لَا يَسْتَثِيبُهَا جَزَاءً، وَكَيْلُ ٱلتَّاجِرِ ٱلْمُدُّ بِٱلْمُدِّ [١١]

---

١ النّوبة : المصيبة . ٢ تعود : تثاب . بنفسٍ لا تزلّ عن الهدى : اراد بها الممدوح .
٣ الكوفة الحبلى : كانت توصف الكوفة بالعذراء كما توصف المدينة بالمنوّرة، ودمشق بالفيحاء ؛ وقد اراد بشار التعريض بأنها تغيرت عن حالها فصارت حبلى يسكنها اهل الفتن . الرعيل : القطيع .
٤ صال بنا : سطا وقهر . ٥ دلفنا : تقدّمنا . مروان : اراد به الخليفة، وقد شبّهه بالاسد . جُذام : قبيلة ثابت بن نعيم . ٦ الضرغام : الاسد . الاسود : الثعبان . يقول : اننا اعددنا للعدو عتاداً اشدّ من عتادهم . ٧ تادبه : اي تدعوه الى المأدبة ، وفي ذلك استعارة تهكميّة .
٨ أجدى عليّ : أنعم عليّ ابن برمك هو ممدوحه خالد . ٩ السّماح : العطاء عن كرم وسخاء؛ حلبت بشعري، مجاز اي التمست الخير من كفّيه . ١٠ الحمد : الثناء والشكر؛ والباء في « بالحمد » باء البدل اي بدلاً من الحمد . ١١ لا يستثيبها : لا يطلب عليها جزاء او حمداً كالتاجر الذي يطلب لكل ما يبيعه ثمناً .

مُفِيدٌ وَمِتْلَافٌ، سَبِيلُ تُرَاثِهِ، إِذَا مَا غَدَا أَوْ رَاحَ، كَالْجَزْرِ وَالْمَدِّ [١]
لَمَسْتُ بِكَفِّي كَفَّهُ أَبْتَغِي الْغِنَى، وَلَمْ أَدْرِ أَنَّ الْجُودَ مِنْ كَفِّهِ يُعْدِي
فَلَا أَنَا مِنْهُ مَا أَفَادَ ذَوُو الْغِنَى أَفَدْتُ، وَأَعْدَانِي فَأَتْلَفْتُ مَا عِنْدِي [٢]
أَخَالِدُ، إِنَّ الْحَمْدَ يَبْقَى لِأَهْلِهِ جَمَالًا، وَلَا تَبْقَى الْكُنُوزُ عَلَى الْكَدِّ
فَأَطْعِمْ وَكُلْ مِنْ عَارَةٍ مُسْتَرَدَّةٍ، وَلَا تُبْقِهَا، إِنَّ الْعَوَارِيَ لِلرَّدِّ [٣]

٨٠ حَيِّيَا صاحبيّ !..

[عقبة بن سلم الهنائي ظهر في خلافة ابي جعفر المنصور، ووُلّي على البصرة وهو ممدوح بشار بالقصائد الغرّ . قال رجل لبشار : « ان مدائحك عقبة بن سلم فوق مدائحك كل احد » . فقال بشار : « ان عطاياه إيّاي كانت فوق عطاء كل احد » . وقال له : « انه أجازني على هذه بثلاثة آلاف دينار، وقد مدحت المهدي وابا عبيد الله وزيره، وأقمتُ بابوابها حولًا فلم يعطياني شيئاً ، أفألام على مدحي هذا ؟ » واليك هذه القصيدة في مدح عقبة بن سلم :]

حَيِّيَا، صَاحِبَيَّ، أُمَّ الْعَلَاءِ وَاحْذَرَا طَرْفَ عَيْنِهَا الْحَوْرَاءِ [٤]
إِنَّ فِي عَيْنِهَا دَوَاءً وَدَاءً لِمُلِمٍّ، وَالدَّاءُ قَبْلَ الدَّوَاءِ [٥]
رُبَّ مُمْسًى مِنْهَا إِلَيْنَا عَلَى رَغْمِ إِزَاءٍ، لَا طَابَ عَيْشُ إِزَاءِ [٦]
أَسْقَمَتْ لَيْلَةَ الثُّلَاثَاءِ قَلْبِي وَتَصَدَّتْ فِي السَّبْتِ لِي لِشَقَائِي
وَغَدَاةَ الْخَمِيسِ قَدْ مَوَّتَتْنِي ثُمَّ رَاحَتْ فِي الْحُلَّةِ الْخَضْرَاءِ [٧]

---

١ التراث : تركة الميت تنتقل الى أنسبائه الاقربين ، والتاء في « تراث » مبدلة من الواو .
٢ أفاد : اكتسب . ٣ العارة : الاسم من الإعارة كالطاعة من الإطاعة، وهي الشيء الذي يتداوله الناس بينهم كالمال . ٤ ام العلاء : يحتمل انها امرأة وهميّة على عادة الشعراء في النسيب، ويحتمل أنه أراد بها إحدى محبوباته ، ولا يبعد أن تكون عبدة . ٥ المُلِمّ : الزائر .
٦ إزاء : القيم على الشيء، كأنهم سمّوه باسم المكان، لان القيّم يكون إزاء ما عُهد اليه، واراد به هنا رقيب هذه المرأة والقيّم على حراستها ، وفيه إيذان بأنها محجبة ممنعة غير مبتذلة .
٧ موّته : بالغ في قهره والتضييق عليه .

يَوْمَ قَالَتْ : إِذَا رَأَيْتُكَ فِي ٱلنَّوْمِ خَيَالًا أَصَبْتَ عَيْنِي بِدَاءِ
وَٱسْتَخَفَّ ٱلْفُؤَادُ شَوْقًا إِلَى قُرْبِكَ حَتَّى كَأَنَّنِي فِي ٱلْهَوَاءِ
ثُمَّ صَدَّتْ لِقَوْلِ حَمَّاءَ فِينَا يَا لَقَوْمِي دَمِي عَلَى حَمَّاءِ ! [1]
لَا تَلُومَا فَإِنَّهَا مِنْ نِسَاءٍ مُشْرِفَاتٍ يَطْرِفْنَ طَرْفَ ٱلظِّبَاءِ [2]
وَأَعِينَا ٱمْرَأً جَفَا وُدَّهُ ٱلْحَيُّ وَأَمْسَى مِنَ ٱلْهَوَى فِي عَنَاءِ …

* * *

وَفَلَاةٍ زَوْرَاءَ تَلْقَى بِهَا ٱلْعِينَ رِفَاضًا يَمْشِينَ مَشْيَ ٱلنِّسَاءِ [3]
مِنْ بِلَادِ ٱلْخَافِي تَغَوَّلُ بِٱلرَّكْبِ ، فَضَاءٌ مَوْصُولَةٌ بِفَضَاءِ [4]
قَدْ تَجَشَّمْتُهَا وَلِلْجُنْدُبِ ٱلْجَوْنِ نِدَاءٌ فِي ٱلصُّبْحِ أَوْ كَٱلنِّدَاءِ [5]
حِينَ قَالَ ٱلْيَعْفُورُ وَٱرْتَكَضَ ٱلْآلُ بِرَيْعَانِهِ ٱرْتِكَاضَ ٱلنِّهَاءِ [6]
بِسَبُوحِ ٱلْيَدَيْنِ عَامِلَةِ ٱلرِّجْلِ مَرُوحٍ تَغْلُو مِنَ ٱلْغُلَوَاءِ [7]
هَمُّهَا أَنْ تَزُورَ عُقْبَةَ فِي ٱلْمُلْكِ فَتَرْوَى مِنْ بَحْرِهِ بِدِلَاءِ [8]
مَالِكِيٌّ تَنْشَقُّ عَنْ وَجْهِهِ ٱلْحَرْبُ كَمَا ٱنْشَقَّتِ ٱلدُّجَى عَنْ ضِيَاءِ [9]
أَيُّهَا ٱلسَّائِلِي عَنِ ٱلْحَزْمِ وَٱلنَّجْدَةِ وَٱلْبَأْسِ وَٱلنَّدَى وَٱلْوَفَاءِ [10]

---

١ الحَمَّاء : السوداء، مؤنث الاحمّ، وهو مأخوذ من الحُمة : لون بين الدُّهمة والحمرة في الخيل؛ واراد بشّار انها صدّت لوشاية امرأة سوداء، او هو اسم امرأة سمّيت باللون ؛ وقوله « دمي على حمّاء » اي انهـا كانت سبب قتله ؛ وقوله « يا لقومي » منادى مستغاث مضاف الى ياء المتكلّم .
٢ المُشرف : العالي . طرَف الرجل بصرَه : أطبق احد جفنيه على الآخر . ٣ الزوراء : البعيدة الاطراف . العِين : بقر الوحش . الرفاض : المتفرّقة . ٤ الخافي : الجنّ . تغوّل اي تتغوّل : تشتبه وتتلوّن . فضـاء موصولة بفضاء : كناية عن سعة فضائها . ٥ الجَوْن : الاسمر ؛ وهذا النوع من الجراد معتاد الحرّ ، لا يستغيث إلا من شدّة الحرّ المفرطة فيصيح او يصكّ برجله . ٦ قال : هجع في القيلولة . اليعفور : حمار الوحش . ارتكض : اضطرب . الآل : السَّراب . الرَّيْعان : شدّة السراب . النهاء ج نِهْي وهو الغدير او شبهـه . ٧ السَّبُوح : الناقة التي تشبه بسرعتها مع قلة الاضطراب سباحة الحوت . الغلواء : الغلوّ والتجاوز . ٨ همّها : قصدها . ٩ مالكيّ : قد تكون نسبة الى بعض اجداده، او نسبة الى بني مالك بن وهبان وهم من باهلة . تنشقّ عن وجهه الحرب : اي اذا نزل الى ساحة الحرب ذهبت سورتها، وفي ذلك استعارة مكنيّة، اذ شبّه الشاعر الحرب بالليل وتخيّل ظهوره فيها شقًا لها وتمزيقاً . ١٠ النّدى : الجود .

إنَّ تِلكَ ٱلخِلالَ عِندَ ٱبْنِ سَلمٍ وَمَزِيدًا مِنْ مِثلِها في ٱلغَنَاءِ [١]
كَخَرَاجِ ٱلسَّمَاءِ سَيْبُ يَدَيْهِ لِقَرِيبٍ وَنَازِحِ ٱلدَّارِ نَاءِ [٢]
حَرَمَ ٱللهُ أنْ تَرَى كَٱبْنِ سَلمٍ عُقْبَةِ ٱلخَيْرِ مُطْعِمِ ٱلفُقَرَاءِ [٣]
يَسقُطُ ٱلطَّيْرُ حَيْثُ يَنْتَثِرُ ٱلحَبْ وَتُغْشَى مَنَازِلُ ٱلكُرَمَاءِ [٤]
لَيسَ يُعْطِيكَ لِلرَّجَاءِ وَلَا ٱلخَوْفِ وَلٰكِنْ يَلَذُّ طَعْمَ ٱلعَطَاءِ
إِنَّمَا لَذَّةُ ٱلجَوَادِ ٱبْنِ سَلمٍ فِي عَطَاءٍ وَمَرْكَبٍ لِلِقَاءِ
لَا يَهَابُ ٱلوَغَى وَلَا يَعْبُدُ ٱلمَالَ وَلٰكِنْ يُهِينُهُ لِلثَّنَاءِ [٥]
أَرْيَحِيٌّ لَهُ يَدٌ تُمْطِرُ ٱلنَّيلَ وَأُخْرَى سُمٌّ عَلَى ٱلأَعْدَاءِ [٦]...
فَعَلَى عُقْبَةَ ٱلسَّلَامُ مُقِيماً وَإِذَا سَارَ تَحْتَ ظِلِّ ٱللِّوَاءِ

ميزة شعره : من خلال القصائد المدحيّة السابقة تتجلى لنا شاعريّة بشّار الفنيّة الوثّابة، تلك الشاعريّة التي تتكيّف بكلّ حال، وتتقلّب مع الأيام والرجال، فتجيد التقليد في مواقف التقليد، وتنظم واذا نظمها متين رصين، يجري على الاساليب القديمة، وتعصف فيه العزّة، فينطلق في الفخر والوصف الملحمي انطلاقاً يستأثر بالعقول والقلوب.

بشار شاعر التجديد :

٨١ والأذن تعشق قبل العين احيانا

[كانت بالبصرة قينة لبعض ولد سليمان بن عليّ، وكانت محسنة بارعة الظرف، وكان بشار صديقاً لسيّدها ومدّاحاً له، فحضر مجلسه يوماً والجارية تغنّي، فسُرّ بحضوره وشربَ حتى سكر ونام؛ ونهض بشار، فقالت : « يا أبا معاذ أُحبُّ ان

١ الغَناء : النّفع وكفاية المهمّات . ٢ السَّيب : العطاء . نازح الدار : ناءٍ، بعيد .
٣ حرّم الله . . . : إشارة الى ان الممدوح بلغ الغاية في المحامد . ٤ تُغشى : تُقصَد ويُتردَّد اليها بكثرة . ٥ يُهينه : اي يبذله . ٦ الأريحيّ : الواسع الخلق المنبسط الى المعروف . النَّيل : العطاء .

تذكر يومنا هذا في قصيدة، ولا تذكرَ فيها اسمي ولا اسم سيّدي، وتكتبَ بها اليه؛ فانصرف وكتب اليه :]

وَذَاتِ دَلٍّ كَأَنَّ ٱلْبَدْرَ صُورَتُهَا ... بَاتَتْ تُغَنِّي عَمِيدَ ٱلْقَلْبِ سَكْرَانَا : [1]
« إِنَّ ٱلْعُيُونَ ٱلَّتِي فِي طَرْفِهَا حَوَرٌ ... قَتَلْنَنَا ثُمَّ لَمْ يُحْيِينَ قَتْلَانَا » [2]
فَقُلْتُ : أَحْسَنْتِ يَا سُؤْلِي وَيَا أَمَلِي ... فَأَسْمِعِينِي جَزَاكِ ٱللهُ إِحْسَانَا :
« يَا حَبَّذَا جَبَلُ ٱلرَّيَّانِ مِنْ جَبَلٍ ... وَحَبَّذَا سَاكِنُ ٱلرَّيَّانِ مَنْ كَانَا » [3]
قَالَتْ : فَهَلَّا فَدَتْكَ ٱلنَّفْسُ، أَحْسَنُ مِنْ ... هٰذَا لِمَنْ كَانَ صَبَّ ٱلْقَلْبِ حَيْرَانَا :
« يَا قَوْمُ أُذْنِي لِبَعْضِ ٱلْحَيِّ عَاشِقَةٌ ... وَٱلْأُذْنُ تَعْشَقُ قَبْلَ ٱلْعَيْنِ أَحْيَانَا »
فَقُلْتُ : أَحْسَنْتِ أَنْتِ ٱلشَّمْسُ طَالِعَةً ... أَضْرَمْتِ فِي ٱلْقَلْبِ وَٱلْأَحْشَاءِ نِيرَانَا
فَأَسْمِعِينِي صَوْتًا مُطْرِبًا هَزَجًا ... يَزِيدُ صَبًّا مُحِبًّا فِيكِ أَشْجَانَا [4]
يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُفَّاحًا مُفَلَّجَةً ... أَوْ كُنْتُ مِنْ قُضُبِ ٱلرَّيْحَانِ رَيْحَانَا [5]
حَتَّى إِذَا وَجَدَتْ رِيحِي فَأَعْجَبَهَا ... وَنَحْنُ فِي خَلْوَةٍ مُثِّلْتُ إِنْسَانَا [6]
فَحَرَّكَتْ عُودَهَا ثُمَّ ٱنْثَنَتْ طَرَبًا ... تَشْدُو بِهِ ثُمَّ لَا تُخْفِيهِ كِتْمَانَا :
« أَصْبَحْتُ أَطْوَعَ خَلْقِ ٱللهِ كُلِّهِمِ ... لِأَكْثَرِ ٱلْخَلْقِ لِي فِي ٱلْحُبِّ عِصْيَانَا »
فَقُلْتُ : أَطْرَبْتِنَا يَا زَيْنَ مَجْلِسِنَا ... فَهَاتِ! إِنَّكِ بِٱلْإِحْسَانِ أَوْلَانَا
لَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ أَنَّ ٱلْحُبَّ يَقْتُلُنِي ... أَعْدَدْتُ لِي قَبْلَ أَنْ أَلْقَاكِ أَكْفَانَا
فَغَنَّتِ ٱلشَّرْبَ صَوْتًا مُونِقًا رَمَلًا ... يُذْكِي ٱلسُّرُورَ وَيُبْكِي ٱلْعَيْنَ أَلْوَانَا : [7]
« لَا يَقْتُلُ ٱللهُ مَنْ دَامَتْ مَوَدَّتُهُ ... وَٱللهُ يَقْتُلُ أَهْلَ ٱلْغَدْرِ أَحْيَانَا »

---

١ عميد القلب : من هدّ قلبه العشق . ٢ الحَوَر : اشتداد بياض بياض العين وسواد سوادها، واستدارة حدقتها ورقّة جفونها، وابيضاض ما حواليها، او اسوداد العين كلّها مثل الظباء والبقر، ولا يكون في بني آدم وانما قيل للنساء حُور العيون تشبيهاً لهُنّ بالظباء. والبيت لجرير.
٣ البيت لجرير . ٤ الهَزَج : ضَرْب من الاغاني فيه تطريب بتدارك الصوت وتقاربه .
٥ المفلّجة : المقسّمة والمشقّقة بحيث تصبح اسطع نفحاً وأضوع شذاً وطيباً . ٦ الريح : الرائحة .
مُثِّلتُ إنسانا : ظهرت بمظهر الانسان، اي رجعت الى حالتي الأولى . ٧ المؤنق : المعجب .
الرَّمَل : لحن من الحان الموسيقى .

٨٢ عدمتك عاجلاً يا قلب

[قصيدة نظمها بشار في خليلته حُبّى العامريّة، الملقّبة بخاتم الملك، وبنى القصيدة على مخاطبة قلبه، قال :]

عَدِمْتُكَ عَاجِلاً يَا قَلْبُ قَلْبَا ... أَتَجْعَلُ مَنْ هَوِيتَ عَلَيْكَ رَبَّا ؟ [١]
بِأَيِّ مَشُورَةٍ وَبِأَيِّ رَأْيٍ ... تُمَلِّكُهَا وَلَا تَسْقِيكَ عَذْبَا ؟
تَحِنُّ صَبَابَةً فِي كُلِّ يَوْمٍ ... إِلَى حُبَّى وَقَدْ كَرَبَتْكَ كَرْبَا
وَتَهْتَجِرُ ٱلنِّسَاءَ إِلَى هَوَاهَا ... كَأَنَّكَ ضَامِنٌ مِنْهُنَّ نَحْبَا [٢]
أَمِنْ رَيْحَانَةٍ حَسُنَتْ وَطَابَتْ ... تَبِيتُ مُرَوَّعاً وَتَظَلُّ صَبَّا
تَرُوعُ مِنَ ٱلصِّحَابِ وَتَبْتَغِيهَا ... مَعَ ٱلْوَسْوَاسِ مُنْفَرِدًا مُكِبَّا [٣]
كَأَنَّكَ لَا تَرَى حَسَنًا سِوَاهَا ... وَلَا تَلْقَى لَهَا فِي ٱلنَّاسِ ضَرْبَا [٤]
وَكَمْ مِنْ غَمْرَةٍ وَجَوَازِ فَيْنٍ ... خَلَوْتَ بِهِ فَهَلْ تَزْدَادُ قُرْبَا ؟ [٥]
بَكَيْتَ مِنَ ٱلْهَوَى وَهَوَاكَ طِفْلٌ ... فَوَيْلَكَ ثُمَّ وَيْلَكَ حِينَ شَبَّا !
إِذَا أَصْبَحْتَ صَبَّحَكَ ٱلتَّصَابِي ... وَأَطْرَابٌ تُصَبُّ عَلَيْكَ صَبَّا [٦]
وَتُمْسِي وَٱلْمَسَاءُ عَلَيْكَ مُرٌّ ... يُقَلِّبُكَ ٱلْهَوَى جَنْبًا فَجَنْبَا
أَظُنُّكَ مِنْ حِذَارِ ٱلْبَيْنِ يَوْماً ... بِدَاءِ ٱلْحُبِّ سَوْفَ تَمُوتُ رُعْبَا
أَتُظْهِرُ رَهْبَةً وَتُسِرُّ رَغْبَا ... لَقَدْ عَذَّبْتَنِي رَغْبًا وَرَهْبَا
فَمَا لَكَ فِي مَوَدَّتِهَا نَصِيبٌ ... سِوَى عِدَةٍ فَخُذْ بِيَدَيْكَ تُرْبَا
إِذَا وُدٌّ جَفَا وَأَرَبَّ وُدٌّ ... فَجَانِبْ مَنْ جَفَاكَ لِمَنْ أَرَبَّا [٧]

---

١ عدمتك : دعاء على قلبه . قلبا : منصوب على التمييز المفسّر لنسبة تعلّق الدّعاء بالمدعوّ عليه.
٢ النحب : الموت . ٣ راعَ منه : فزع . ٤ الضّرب : المثل والشّبيه . ٥ الجواز : صكّ المسافر ليمرّ به في البلاد فلا يتعرّض له أحد . الفَيْن : المجيء ، واراد به اذنها له بالزيارة، او اراد الكناية عن تمكّنه من زيارتها دون مُعارض . ٦ التصابي : الميل الى الصّبوة وهي جهلة الفتوّة . الأطراب بصيغة الجمع : نقاوة الرياحين . ٧ الودّ : المحبّ الكثير الحبّ . أربّ : لزم وقرب .

وَدَعْ شَغْبَ ٱلْبَخِيلِ إِذَا تَمَادَى فَإِنَّ لَهُ مَعَ ٱلْمَعْرُوفِ شَغْبَا[1]
وَقَالَتْ : « لَا تَزَالُ عَلَيَّ عَيْنٌ أُرَاقِبُ قَيِّماً وَأَخَافُ كَلْبَا »
لَقَدْ خَبَّتْ عَلَيْكَ وَأَنْتَ سَاهٍ فَكُنْ خِبًّا إِذَا لَاقَيْتَ خِبًّا[2]
وَلَا تَغْرُرْكَ مَوْعِـدَةٌ لِحُبِّي فَإِنَّ عِدَاتِهَـا أَنْزَلْنَ جَدْبَا
أَلَا يَا قَلْبُ هَلْ لَكَ فِي ٱلتَّعَزِّي ؟ فَقَدْ عَذَّبْتَنِي وَلَقِيتُ حَسْبَا
وَمَا أَصْبَحْتَ تَأْمُلُ مِنْ صَدِيقٍ يَعُدُّ عَلَيْكَ طُولَ ٱلْحُبِّ ذَنْبَا ؟
كَأَنَّكَ قَدْ قَتَلْتَ لَهُ قَتِيلًا بِحُبِّكَ أَوْ جَنَيْتَ عَلَيْهِ حَرْبَا !
رَأَيْتُ ٱلْقَلْبَ لَا يَأْتِي بَغِيضاً وَيُؤْثِرُ بِٱلزِّيَارَةِ مَنْ أَحَبَّا

٨٣ لعبدة دارٌ

[من قصيدة تغزّل فيها بشار بعبدة وناجى دارها وهو مما يُغنّى :]

لِعَبْدَةَ دَارٌ مَا تُكَلِّمُنَا ٱلدَّارُ تَلُوحُ مَغَانِيهَا كَمَا لَاحَ أَسْطَارُ[3]
أُسَائِلُ أَحْجَارًا وَنُؤْيًا مُهَدَّمًا وَكَيْفَ يُجِيبُ ٱلْقَوْلَ نُؤْيٌ وَأَحْجَارُ[4]
وَمَا كَلَّمَتْنِي دَارُهَا إِذْ سَأَلْتُهَا وَفِي كَبِدِي كَٱلنِّفْطِ شُبَّتْ بِهِ ٱلنَّارُ
وَعِنْدَ مَغَانِي دَارِهَا، لَوْ تَكَلَّمَتْ لِمُكْتَئِبٍ بَادِي ٱلصَّبَابَةِ ، أَخْبَارُ ...

٨٤ فبالقلب لا بالعين يبصر ذو الحبِّ

يُزَهِّدُنِي فِي حُبِّ عَبْدَةَ مَعْشَرٌ
قُلُوبُهُمُ فِيهَا مُخَالِفَـةُ قَلْبِي
فَقُلْتُ : دَعُوا قَلْبِي وَمَا ٱخْتَارَ وَٱرْتَضَى
فَبِٱلْقَلْبِ لَا بِٱلْعَيْنِ يُبْصِرُ ذُو ٱلْحُبِّ

---

١ الشغب : تهييج الشرّ والفتنة والخصام . ٢ الخبّ : الخادع الكثير الخداع . ٣ المغاني ج مغنى وهو المنزل . الأسطار ج سطر . ٤ النؤي : الخندق يحفر حول الخيمة لمنع السيل .

فَمَا تُبْصِرُ ٱلْعَيْنَانِ فِي مَوْضِعِ ٱلْهَوَى
وَلَا تَسْمَعُ ٱلْأُذْنَانِ إِلَّا مِنَ ٱلْقَلْبِ
وَمَا ٱلْحُسْنُ إِلَّا كُلُّ حُسْنٍ دَعَا ٱلصِّبَا
وَأَلَّفَ بَيْنَ ٱلْعِشْقِ وَٱلْعَاشِقِ ٱلصَّبِّ

٨٥ لم يطل ليلي

لَمْ يَطُلْ لَيْلِي، وَلٰكِنْ لَمْ أَنَمْ، وَنَفَى عَنِّي ٱلْكَرَى طَيْفٌ أَلَمْ
وَإِذَا قُلْتُ لَهَا : جُودِي لَنَا، خَرَجَتْ بِٱلصَّمْتِ عَنْ لَا وَنَعَمْ [١]
نَفِّسِي يَا عَبْدَ عَنِّي، وَٱعْلَمِي أَنَّنِي، يَا عَبْدَ، مِنْ لَحْمٍ وَدَمْ [٢]
إِنَّ فِي بُرْدَيَّ جِسْماً نَاحِلًا، لَوْ تَوَكَّأْتِ عَلَيْهِ، لَٱنْهَدَمْ [٣]
خَتَمَ ٱلْحُبُّ لَهَا فِي عُنُقِي، مَوْضِعَ ٱلْخَاتِمِ، مِنْ أَهْلِ ٱلذِّمَمْ [٤]

٨٦ يا منظراً !

[زعم ابو العالية أنّ بشاراً قدم على المهديّ، فلمّا استأذن عليه قال له الربيع : قد اذن لك وأمرك ألّا تنشد شيئاً من الغزل والتشبيب، فادخُل على ذلك . فانشده قوله :]

يَا مَنْظَرًا حَسَنًا رَأَيْتُهْ مِنْ وَجْهِ جَارِيَةٍ فَدَيْتُهْ
بَعَثَتْ إِلَيَّ تَسُومُنِي بُرْدَ ٱلشَّبَابِ وَقَدْ طَوَيْتُهْ [٥]
وَٱللهِ رَبِّ مُحَمَّدٍ مَا إِنْ غَدَرْتُ وَلَا نَوَيْتُهْ [٦]

---

١ خرجت بالصمت : اي سكتت ولم تجب بلا ولا بنعم . ٢ نفّسي : اكشفي الكربة وفرّجي . عبدَ : منادى مرخّم للتحبّب اصله يا عبدة . ٣ إنّ في بردي : اي انّ تحت ثيابي . الناحل : الهزيل . ٤ اهل الذمم : هم الذين دخلوا في ذمّة الاسلام من نصارى ويهود، وكانوا يعلّقون في اعناقهم خواتم من الرّصاص دلالةً على ما لهم عند الدولة من عهد . – يقول : ان حبّها اصبح ملازماً لي كما لازمَ الخاتم اعناق اهل الذمم . ٥ تسومني بُرْدَ الشباب : اي تطلب ان اعود الى مرح الشباب . ٦ نويته : اي نويت الغدر .

أَمسَكتُ عَنكِ وَرُبَّمَا عَرَضَ ٱلْبَلَاءُ وَمَا ٱبْتَغَيتُهْ
إِنَّ ٱلْخَلِيفَةَ قَدْ أَبَى وَإِذَا أَبَى شَيْئًا أَبَيتُهْ
وَمُخَضَّبٍ رَخْصِ ٱلْبَنَانِ بَكَى عَلَيَّ وَمَا بَكَيتُهْ[1]
وَيَشُوقُنِي بَيتُ ٱلْحَبِيبِ إِذَا ٱذَّكَرتُ، وَأَينَ بَيتُهْ!
قَامَ ٱلْخَلِيفَةُ دُونَهُ فَصَبَرتُ عَنهُ وَمَا قَلَيتُهْ[2]
وَنَهَانِيَ ٱلْمَلِكُ ٱلْهُمَامُ عَنِ ٱلنَّسِيبِ وَمَا عَصَيتُهْ
لَا بَلْ وَفَيتُ فَلَمْ أُضِعْ عَهْدًا وَلَا رَأْيًا رَأَيتُهْ
وَأَنَا ٱلْمُطِلُّ عَلَى ٱلْعِدَى وَإِذَا غَلَا عِلْقٌ شَرَيتُهْ[3]
أُصفِي ٱلْخَلِيلَ إِذَا دَنَا وَإِذَا نَأَى عَنِّي نَأَيتُهْ[4]

٨٧ خليليَّ ان العُسْر سوف يفيق

[ثم أنشده ما مدحه به بلا تشبيب، فحرمه ولم يعطه شيئاً، فقيل له : « انّه لم يستحسن شِعْرك » . فقال : « والله لقد مدحته بشعر لو مُدح به الدهرُ لم يُخشَ صرفُه على أحد، ولكنّه كذّب أملي لاني كذبتُ في قولي » . ثم قال في ذلك :]

خَلِيلَيَّ إِنَّ ٱلْعُسْرَ سَوفَ يُفِيقُ وَإِنَّ يَسَارًا فِي غَدٍ لَخَلِيقُ[5]
ذَرَانِي أُشِبْ هَمِّي بِرَاحٍ فَإِنَّنِي أَرَى ٱلدَّهرَ فِيهِ فَرْجَةٌ وَمَضِيقُ[6]
وَمَا كُنتُ إِلَّا كَٱلزَّمَانِ إِذَا صَحَا صَحَوتُ وَإِنْ مَاقَ ٱلزَّمَانُ أَمُوقُ[7]
أَٱلْأَدمَاءَ لَا أَسْطِيعُ فِي قِلَّةِ ٱلثَّرَى خُزُوزًا وَوَشْيًا وَٱلْقَلِيلُ مَحِيقُ[8]

---

١ المخضَّب الرخص البنان : كناية عن المرأة التي يهواها . ٢ قَليَّ : أبغض .
٣ العلق : النفيس من كل شيء . ٤ أصفي الخليل : اي أصفيه الودّ وأخاصه له . ٥ يفيق : ينقلب الى يُسْر . ٦ ذراني : اتركاني . أشب همّي : اخلط همي . ٧ مـاق : حمق .
٨ الأدماء مؤنث آدم وهو الظبي أشرب لونه بياضاً؛ او هو الانسان الذي به أدْمة اي سمرة؛ وهي هنا اسم علم . الثرى : الغنى . الخزوز ج خزّ وهو الثوب سداه حرير ولحمته صوف . الوشي : الثوب المنقوش . المحيق : ما ذهبت بركته وذهب خيره .

خُذِي مِنْ يَدِي مَا قَلَّ إِنَّ زَمَانَنَا ... شَمُوسٌ وَمَعْرُوفُ ٱلرِّجَالِ رَقِيقُ [١]
لَقَدْ كُنْتُ لَا أَرْضَى بِأَدْنَى مَعِيشَةٍ ... وَلَا يَشْتَكِي بُخْلًا عَلَيَّ رَفِيقُ
خَلِيلَيَّ إِنَّ ٱلْمَالَ لَيْسَ بِنَافِعٍ ... إِذَا لَمْ يَنَلْ مِنْهُ أَخٌ وَصَدِيقُ
وَكُنْتُ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيَّ مَحَلَّةٌ ... تَيَمَّمْتُ أُخْرَى مَا عَلَيَّ تَضِيقُ [٢]
وَمَا خَابَ بَيْنَ ٱللهِ وَٱلنَّاسِ عَامِلٌ ... لَهُ فِي ٱلتُّقَى أَوْ فِي ٱلْمَحَامِدِ سُوقُ
وَلَا ضَاقَ فَضْلُ ٱللهِ عَنْ مُتَعَفِّفٍ ... وَلٰكِنَّ أَخْلَاقَ ٱلرِّجَالِ تَضِيقُ

ميزة شعره : في المقطوعات السابقة نرى الشعر يترل مع بشار من عرشه الارسطقراطي الى طبقة الشعب، فيعبّر عن الروح وتزعاتها في واقعيَّة واسعة، وفنّ صحيح . وقد خلق بشّار في غزله نموذجاً فذّاً يجمع الى الدقّة والواقعيَّة خيالًا ناعماً، وموسيقى بديعة الايقاع، واسلوباً رشيقاً مُجنّحاً لبِقاً .

٨٨ مقامك بيننا دنس علينا

[دخل اعرابيٌّ على مَجزأة بن ثور السَّدوسي وبشار عنده وعليه بزّة الشعراء، فقال الأعرابيّ : « من الرجل ؟ » فقالوا : « رجل شاعر » . فقال : « أمولى هو ام عربيّ ؟ » قالوا : « بل مولى » . فقال الأعرابي : « وما للموالي والشعر ! » فغضب بشار وسكت هنيهة، ثم قال : « أتأذن لي يا أبا ثور ؟ » قال : « قُل ما شئتَ يا أبا مُعاذ » . فأنشأ بشار يقول ويهجو الاعرابي :]

خَلِيلَيَّ، لَا أَنَامُ عَلَى ٱقْتِسَارِ، ... وَلَا آبَى عَلَى مَوْلًى وَجَارِ [٣]
سَأُخْبِرُ فَاخِرَ ٱلْأَعْرَابِ عَنِّي ... وَعَنْهُ، حِينَ تَأْذَنُ بِٱلْفَخَارِ :
أَحِينَ كُسِيتَ بَعْدَ ٱلْعُرْيِ خَزًّا، ... وَنَادَمْتَ ٱلْكِرَامَ عَلَى ٱلْعُقَارِ [٤]
تُفَاخِرُ، يَا ٱبْنَ رَاعِيَةٍ وَرَاعٍ، ... بَنِي ٱلْأَحْرَارِ، حَسْبُكَ مِنْ خَسَارِ! [٥]

---

١ الشَّموس : الشديد العداوة . ٢ تيمَّمْتُ : قصدت . ٣ الاقتسار : القهر والضيم. آبى : أمتنع . المولى : الصديق والحليف . ٤ الخزّ : الثوب سداه حرير ولحمته صوف . العقار : الخمر . ٥ بنو الأحرار : من كانوا غير عرب من الفرس وغيرهم . الخسار : السّفه والضلال .

وَكُنْتَ إذا ظَمِئْتَ إلى قَرَاحٍ، شَرِكْتَ ٱلْكَلْبَ فِي وَلَغِ ٱلإِطَارِ [١]
تُرِيغُ بِخُطْبَةٍ كَسْرَ ٱلْمَوَالِي، وَيُنْسِيكَ ٱلْمَكَارِمَ صَيْدُ فَارِ [٢] ...
وَتَغْدُو لِلْقَنَافِذِ تَدَّرِيهَا، وَلَمْ تَعْقِلْ بِدَرَّاجِ ٱلدِّيَارِ [٣]
وَتَتَّشِحُ ٱلشِّمَالَ لِلَابِسِيهَا، وَتَرْعَى ٱلضَّأْنَ بِٱلْبَلَدِ ٱلْقِفَارِ [٤]
مُقَامُكَ بَيْنَنَا دَنَسٌ عَلَيْنَا، فَلَيْتَكَ غَائِبٌ فِي حَرِّ نَارِ
وَفَخْرُكَ، بَيْنَ خِنْزِيرٍ وَكَلْبٍ، عَلَى مِثْلِي مِنَ ٱلْحَدَثِ ٱلْكُبَارِ [٥]

ميزة شعره: بشار مؤلم في هجائه، يكثر من وصف المهجو بأوجه العار، ويتعرّض لنسبه العربي آخذاً في ذلك بالنزعة الشعوبيّة الجديدة، ويمزج هجاءه بالفخر في لغة سهلة واسلوب رشيق.

ابو نواس (٧٦٢ ـ ٨١٣ م/١٤٥ ـ ١٩٨ هـ)

[ابو نواس شاعر الخمرة أذاب حياته في الاتّكاء الى زقاقها، وترشّف أقداحها، والتغنّي بمحامدها وصفاتها. ولئن نظم بعض الشعر في المدح وغيره فما ذلك إلا عرَضاً وانقياداً للاحوال القاهرة، ولم يكن نظمه عن ميل في طبيعته التي لم تمل ألا الى الخمر والمجون. وابو نواس زعيم من زعماء الخمرة بل اكبر زعيم لها، عرفها

---

١ ولغ الكلبُ: شرب باطراف لسانه. الإطار: الحفير حول البيت تركد فيه المياه.
٢ تُريغ: لغة في تريد. الخطبة: الكلام يُفاه به. الموالي: من دخلوا تحت سلطان الاسلام من غير العرب. ـ يقول: تريد ان تكسر الموالي بكلام تفوه به، وأن تغمط حقوقهم وتتناسى فضلهم صادفاً عن ذلك الفضل الى امور تافهة من مثل صيد الفار تتلهّى بها. ٣ تدّريها: تختلها لتصيدها. ولم تعقِل: لم تظفر. الدرّاج: ما يدرج في الديار من فأر وقنفذ وغيرهما. ٤ تتشح: تلبس. الشِّمال ج شَملة وهي كساءٌ يُشتمل به. البلد القِفار: يقولون: بلد قَفْر، وارض قَفْر اي خالية ويجمعونها على قِفار فيقولون: بلدٌ قِفار وارض قِفار على توهّم جمع المواضع لسعتها. ٥ الكُبار: الكبير العظيم الكبْر.

وتمتع بها طويلاً ومزج حياته بنشوتها ثم انطلق معها ثائراً على اساليب العرب ونزعاتهم، مطلقاً صوته في وصفها والتحريض على شربها .]

ابو نواس شاعر المدح والهجاء :

٨٩ زها بالخصيب السيف والرمح

[قصد ابو نواس الخصيب بن عبد الحميد العجمي عامل الخراج في مصر من قبل هارون الرشيد، فمدحه بقصيدة يذكر فيها المواضع التي مرّ بها في طريقه من العراق الى الفسطاط عاصمة مصر يومئذٍ قال :]

أَجَارَةَ بَيْتَيْنَا أَبُوكِ غَيُورُ ... وَمَيْسُورُ مَا يُرْجَى لَدَيْكِ عَسِيرُ ١
فَإِنْ كُنْتِ لَا خِلْماً وَلَا أَنْتِ زَوْجَةٌ ... فَلَا بَرِحَتْ دُونِي عَلَيْكِ سُتُورُ ٢
وَجَاوَرْتُ قَوْماً ، لَا تَزَاوُرَ بَيْنَهُمْ ... وَلَا وَصْلَ إِلَّا أَنْ يَكُونَ نُشُورُ ٣
فَمَا أَنَا بِالْمَشْغُوفِ ضَرْبَةَ لَازِبٍ ... وَلَا كُلُّ سُلْطَانٍ عَلَيَّ قَدِيرُ ٤
فَإِنِّي لِطَرْفِ الْعَيْنِ بِالْعَيْنِ زَاجِرٌ ... فَقَدْ كِدْتُ لَا يَخْفَى عَلَيَّ ضَمِيرُ ٥
كَمَا نَظَرَتْ، وَالرِّيحُ سَاكِنَةٌ لَهَا ... عُقَابٌ بِأَرْسَاغِ الْيَدَيْنِ نَدُورُ ٦
طَوَتْ لَيْلَتَيْنِ الْقُوتَ عَنْ ذِي ضَرُورَةٍ ... أُزَيْغِبَ لَمْ يَنْبُتْ عَلَيْهِ شَكِيرُ ٧
فَأَوْفَتْ عَلَى عَلْيَاءَ حِينَ بَدَا لَهَا ... مِنَ الشَّمْسِ قَرْنٌ وَالضَّرِيبُ يَمُورُ ٨

---

١ أجارةَ، الهمزة للنداء، وجارةَ منادى منصوب . بيتينا : مثنى بيت وعادة العرب تثنية المفرد ؛ وقد يكون المراد، الكناية بالبيتين مصر وبغداد . ٢ الخِلم : الصديق ، الصاحب . ٣ لا تزاور بينهم : لا زيارة تتبادل بينهم .. النُشور : يوم القيامة ٤ ضربة لازب : امر واجب . ٥ الزاجر : المانع . الضمير : الخفيّ، اي انه يمنع بعينه الصادقة النظر كل عين منافقة يضمر صاحبها له شرّاً . ٦ الارساغ مفرده رسغ وهو مفصل بين الساعد والكفّ، والساق والقدم . النُدور : خروج العظم عن موضعه . ٧ الأزيغب تصغير أزغب وهو فرخ ذو زغب وهو ريش دقيق ليّن . الشكير : صغار الرّيش . ٨ قرن الشمس : اوّل ما يبدو منها . الضريب : الجليد . يمورُ : يموج ويسيل .

تُقَلِّبُ طَرْفاً في حِجَاجَيْ مَغَارَةٍ ... مِنَ ٱلرَّأْسِ لَمْ يَدْخُلْ عَلَيْهِ ذُرُورُ [١]
تَقُولُ ٱلَّتِي مِنْ بَيْتِهَا خَفَّ مَرْكَبِي : ... عَزِيزٌ عَلَيْنَا أَنْ نَرَاكَ تَسِيرُ [٢]
أَمَا دُونَ مِصْرٍ لِلْغِنَى مُتَطَلَّبٌ ؟ ... بَلَى إِنَّ أَسْبَابَ ٱلْغِنَى لَكَثِيرُ
فَقُلْتُ لَهَا ، وَٱسْتَعْجَلَتْهَا بَوَادِرٌ ... جَرَتْ فَجَرَى فِي جَرْيِهِنَّ عَبِيرُ [٣]
ذَرِينِي أُكَثِّرْ حَاسِدِيكِ بِرِحْلَةٍ ... إِلَى بَلَدٍ فِيهِ ٱلْخَصِيبُ أَمِيرُ [٤]
إِذَا لَمْ تَزُرْ أَرْضَ ٱلْخَصِيبِ رِكَابُنَا ... فَأَيَّ فَتًى بَعْدَ ٱلْخَصِيبِ تَزُورُ [٥]
فَتًى يَشْتَرِي حُسْنَ ٱلثَّنَاءِ بِمَالِهِ ... وَيَعْلَمُ أَنَّ ٱلدَّائِرَاتِ تَدُورُ [٦]
فَمَا جَازَهُ جُودٌ وَلَا حَلَّ دُونَهُ ... وَلٰكِنْ يَصِيرُ ٱلْجُودُ حَيْثُ يَصِيرُ [٧]
فَلَمْ تَرَ عَيْنِي سُؤْدُداً مِثْلَ سُؤْدُدٍ ... يَحُلُّ أَبُو نَصْرٍ بِهِ وَيَسِيرُ
وَأَطْرَقَ حَيَّاتُ ٱلْبِلَادِ لِحَيَّةٍ ... خَصِيبِيَّةِ ٱلتَّصْمِيمِ حِينَ تَسُورُ [٨]
سَمَوْتَ لِأَهْلِ ٱلْجَوْرِ فِي حَالِ أَمْنِهِمْ ... فَأَضْحَوْا وَكُلٌّ فِي ٱلْوَثَاقِ أَسِيرُ [٩]
إِذَا قَامَ غَنَّتْهُ عَلَى ٱلسَّاقِ حِلْيَةٌ ... لَهَا خَطْوُهُ عِنْدَ ٱلْقِيَامِ قَصِيرُ [١٠]
فَمَنْ يَكُ أَمْسَى جَاهِلاً بِمَقَالَتِي ... فَإِنَّ أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ خَبِيرُ [١١]
فَمَا زِلْتَ تُولِيهِ ٱلنَّصِيحَةَ يَافِعاً ... إِلَى أَنْ بَدَا فِي ٱلْعَارِضَيْنِ قَتِيرُ [١٢]
إِذَا غَالَهُ أَمْرٌ فَإِمَّا كَفَيْتَهُ ... وَإِمَّا عَلَيْهِ بِٱلْكِفَاءِ تُشِيرُ [١٣]

١ حجاجي مثنى حجاج وهو العظم الذي ينبت عليه الحاجب . المغارة : الكهف وكنى به عينيها الغائرتين . ذرور : ما يذر من الدواء في العين ليشفيها من الرمد وغيره . ٢ خف : ارتحل مسرعاً . المركب : ما يركب بحراً او برّاً واراد المطيّة . ٣ البوادر : السوابق من الدمع . العبير : الرائحة العطرة . ٤ ذريني : دعيني ؛ والمراد انه يكثر حاسديها عندما يصبح غنياً . ٥ الركاب : المطايا التي تركب بقصد السفر . ٦ الدائرات تدور : تقلب الدهر على المرء فعليه ان يسعى وراء الصيت الحسن ما دام في عزّ ورخاء . ٧ الجود : الكرم . ولا حلّ دونه : ولا قام مقامه . ٨ التصميم : المضيّ في الامر . تسور : تثب وتثور . اطرق : اخضع ؛ شبه ابو نواس بهتان المصريين الذين شنعوا على الخصيب بحيات السحرة الذين كانوا في مجلس فرعون وشبّه الخصيب بعصا موسى التي انقلبت حيّة بامر الله وتلقفت حيات السحرة الكاذبين . ٩ سموت : علوت . الجور : الظلم . الوثاق : القيد . ١٠ الحلية : ما يتزين به من الجواهر . ١١ ان كان احد يجهل قولي فأمير المؤمنين يعرف صدق ما اقوله عن الخصيب . ١٢ توليه : تعطيه، تقدّم له . اليافع : الفتى قارب العشرين . العارضان : جانبا الوجه . القتير : بياض الشيب . ١٣ غاله الامر : اخذه من حيث لا يدري . الكفاء : المثل .

إِلَيْكَ رَمَتْ بِالْقَوْمِ هُوجٌ كَأَنَّمَا   جَمَاجِمُهَا تَحْتَ الرِّجَالِ قُبُورُ (١)
رَحَلْنَ بِنَا مِنْ عَقَرْقُوفَ وَقَدْ بَدَا   مِنَ الصُّبْحِ مَفْتُوقُ الأَدِيمِ شَهِيرُ (٢)
فَمَا نَجَدَتْ بِالْمَاءِ حَتَّى رَأَيْتُهَا   مَعَ الشَّمْسِ فِي عَيْنَيْ أُبَاغَ تَغُورُ (٣)
وَغُمِّرْنَ مِنْ مَاءِ النُّقَيْبِ بِشُرْبَةٍ   وَقَدْ حَانَ مِنْ دِيكِ الصَّبَاحِ زَمِيرُ (٤)
وَوَافَيْنَ إِشْرَاقًا كَنَائِسَ تَدْمُرٍ   وَهُنَّ إِلَى رَعْنِ الْمُدَخَّنِ صُورُ (٥)
يُؤَمِّمْنَ أَهْلَ الْغُوطَتَيْنِ كَأَنَّمَا   لَهَا عِنْدَ أَهْلِ الْغُوطَتَيْنِ ثُؤُورُ (٦)
وَأَصْبَحْنَ بِالْجَوْلَانِ يَرْضَخْنَ صَخْرَهَا   وَلَمْ يَبْقَ مِنْ أَجْرَامِهِنَّ شُطُورُ (٧)
وَقَاسَيْنَ لَيْلًا دُونَ بَيْسَانَ لَمْ يَكَدْ   سَنَا صُبْحِهِ لِلنَّاظِرِينَ يُنِيرُ (٨)
وَأَصْبَحْنَ قَدْ فَوَّزْنَ مِنْ نَهْرِ فُطْرُسٍ   وَهُنَّ عَنِ الْبَيْتِ الْمُقَدَّسِ زُورُ (٩)
طَوَالِبُ بِالرُّكْبَانِ غَزَّةَ هَاشِمٍ   وَفِي الْفَرَمَا مِنْ حَاجِهِنَّ شُقُورُ (١٠)
وَلَمَّا أَتَتْ فُسْطَاطَ مِصْرَ أَجَارَهَا   عَلَى رَكْبِهَا أَنْ لَا تَزَالَ مُجِيرُ (١١)
مِنَ الْقَوْمِ بَسَّامٌ كَأَنَّ جَبِينَهُ   سَنَا الْفَجْرِ يَسْرِي ضَوْءُهُ وَيُنِيرُ (١٢)

---

١ هوج مفرده هوجاء وهي الناقة المسرعة . ٢ عقرقوف : قرية بنواحي بغداد . اديم الصبح : بياضه، وقوله مفتوق اي منسلّ من سواد الليل . ٣ نجدت بالماء : نضحت بالعرَق . عين أباغ : واد في طريق الفرات الى الشام . ٤ غمّرن : اسقين قليلاً بقدح . النُّقيب : تصغير النقب : اسم موضع على طريق تدمر . الزمير : الغناء استعاره لصياح الديك . ٥ رَعن : انف الجبل ويكون في مقدّمه . المدخن : اسم الجبل . الصُّور مفرده اصور وهو المائل الى الشيء . ٦ يؤمّمن : يقصدن . الثُّؤور : الثارات . ٧ الجولان : اسم موضع بجوار حوران . يرضخن : يكسرن . الشطور مفرده شطر وهو القسم ويريد بذلك ان انساع السيور التي تشدّ بها الاحمال اثّرت في ظهور المطايا فحززتها لطول السفر . ٨ بيسان : بلدة عند الغور الشامي في الجنوب الشرقي من مرج ابن عامر . السنا : الضياء . ينيرُ : يضيء . ٩ فوّزن : سرن مطمئنات . نهر فطرس : لغة في بطرس وهو موضع قرب الرملة من اعمال فلسطين . الزّور مفرده ازور وهو المائل او المنحرف عن الشيء . ١٠ غزّة : بلدة عامرة تقع الى الجنوب من يافا في فلسطين ويقال لها غزّة هاشم نسبة الى هاشم بن عبد مناف القرشيّ والد عبد المطلب جدّ النبي العربي محمّد وفيها قبره . الفرما : بلدة على الساحل من جهة مصر . حاجهنّ مفرده حاج اي حاجة . الشقور مفرده الشقر : ما يهمّ القلب . ١١ الفسطاط : كانت عاصمة مصر قبل القاهرة بناها عمرو بن العاص في خلافة عمر بن الخطّاب . على ركبها : في البيت تضمين، على حرف الجرّ بمعنى مع الظرفية اي مع ركبها و « مجيرُ » فاعل اجارها . ١٢ من القوم : جار ومجرور متعلقان بمجير .

زَهَا بِٱلْخَصِيبِ ٱلسَّيْفُ وَٱلرُّمْحُ فِي ٱلْوَغَى ... وَفِي ٱلسِّلْمِ يَزْهُو مِنْبَرٌ وَسَرِيرُ [١]
جَوَادٌ إِذَا ٱلْأَيْدِي كَفَفْنَ عَنِ ٱلنَّدَى ... وَمِنْ دُونِ عَوْرَاتِ ٱلنِّسَاءِ غَيُورُ
لَهُ سَلَفٌ فِي ٱلْأَعْجَمِينَ كَأَنَّهُمْ ... إِذَا ٱسْتُؤْذِنُوا يَوْمَ ٱلسَّلَامِ بُدُورُ [٢]
وَإِنِّي جَدِيرٌ إِذْ بَلَغْتُكَ بِٱلْمُنَى ... وَأَنْتَ بِمَا أَمَّلْتُ مِنْكَ جَدِيرُ [٣]
فَإِنْ تُولِنِي مِنْكَ ٱلْجَمِيلَ فَأَهْلُهُ ... وَإِلَّا فَإِنِّي عَاذِرٌ وَشَكُورُ

٩٠ خبز الخصيب

[يظهر أنّ ابا نواس لم ينل ما أمّل من الخصيب فهجاه قائلًا :]

خُبْزُ ٱلْخَصِيبِ مُعَلَّقٌ بِٱلْكَوْكَبِ ... يُحْمَى بِكُلِّ مُثَقَّفٍ وَمُشَطَّبِ [٤]
جَعَلَ ٱلطَّعَامَ عَلَى بَنِيهِ مُحَرَّمًا ... قُوتًا وَحَلَّلَهُ لِمَنْ لَمْ يَسْغَبِ [٥]
فَإِذَا هُمُ رَأَوُا ٱلرَّغِيفَ تَطَرَّبُوا ... طَرَبَ ٱلصِّيَامِ إِلَى أَذَانِ ٱلْمَغْرِبِ [٦]

٩١ هجاء الامين

[اتُّهم ابو نواس بالمانويّة وهي تقول بمبدأي الخير والشر وبازاء النور والظلام، فحبسه الامين، فقال :]

يَا رَبِّ، إِنَّ ٱلْقَوْمَ قَدْ ظَلَمُونِي ، ... وَبِلَا ٱقْتِرَافِ مُعَطِّلٍ حَبَسُونِي [٧]
وَإِلَى ٱلْجُحُودِ ، بِمَا عَرَفْتَ خِلَافَهُ ، ... رَبِّي ، إِلَيْكَ ، بِكِذْبِهِمْ نَسَبُونِي [٨]

---

١ الوغى : ساحة الحرب . السّرير : عرش الملك .   ٢ السّلف : من تقدّم من الآباء والاجداد .   ٣ الجدير : الأهل .   ٤ المثقف : الرمح المقوّم . المشطّب : السيف فيه فلول اي طرق .   ٥ يسغب فعل مضارع من سغب : جاع .   ٦ تطرّبوا : فرحوا وهشّوا .   ٧ الاقتراف مصدر اقترف الذنب : ارتكبه . المعطّل : المذنب الذي يُنكر فيه صاحبه صفات الباري تعالى او لا يثبته .   ٨ الجحود : النكران .

مَا كَانَ إِلَّا ٱلْجَرْيُ فِي مَيْدَانِهِمْ، فِي كُلِّ خِزْيٍ، وَٱلْمَجَانَةُ دِينِي [1]
لَا ٱلْعُذْرُ يُقْبَلُ لِي، وَيَفْرَقُ شَاهِدِي مِنْهُمْ، وَلَا يَرْضَوْنَ حَلْفَ يَمِينِي [2]
مَا كَانَ، لَوْ يَدْرُونَ، أَوَّلَ مَخْبَإٍ فِي دَارِ مَنْقَصَةٍ، وَمَنْزِلِ هُونِ [3]
أَمَّا ٱلْأَمِينُ فَلَسْتُ أَرْجُو دَفْعَهُ عَنِّي؛ فَمَنْ لِي ٱلْيَوْمَ بِٱلْمَأْمُونِ؟

ابو نواس شاعر الطرد :

٩٢ كلب صيد

لَمَّا تَبَدَّى ٱلصُّبْحُ مِنْ حِجَابِهِ كَطَلْعَةِ ٱلْأَشْمَطِ مِنْ جِلْبَابِهِ [4]
وَٱنْعَدَلَ ٱللَّيْـلُ إِلَى مَآبِهِ كَٱلْحَبَشِيِّ ٱفْتَرَّ عَنْ أَنْيَابِهِ [5]
هِجْنَا بِكَلْبٍ طَالَمَا هِجْنَا بِهِ يَنْتَسِفُ ٱلْمِقْوَدَ مِنْ كَلَّابِهِ [6]
مِنْ مَرَحٍ يَغْلُو إِذَا ٱغْلَوْلِي بِهِ وَمَيْعَـةٍ تَغْلِبُ مِنْ شَبَابِهِ [7]
كَأَنَّ مَتْنَيْهِ لَدَى ٱنْسِلَابِهِ مَتْنَا شُجَاعٍ لَجَّ فِي ٱنْسِيَابِهِ [8]
كَأَنَّمَا ٱلْأُظْفُورُ فِي قِنَابِهِ مُوسَى صَنَاعٍ رُدَّ فِي قِرَابِهِ [9]
تَرَاهُ فِي ٱلْحُضْرِ إِذَا هَاهَا بِهِ يَكَادُ أَنْ يَخْرُجَ مِنْ إِهَابِهِ [10]
شَدًّا بِبَطْنِ ٱلْقَاعِ مِنْ إِلْهَابِهِ يَتْرُكُ وَجْهَ ٱلْأَرْضِ فِي ذَهَابِهِ [11]

---

١ الجري في ميدانهم : اي السير على منوالهم . المجانة من المجون : الخلاعة . ٢ يفرق : يخاف . حَلْف يمين : قسمي بالله . ٣ دار منقصة : دار سوء وصغارة نفس . الهُون : الهَين، الحقير المُهان . ٤ تبدّى : ظهر . الحجاب: الستر . الأشمط : الذي خالط سواد شعره بياض الشيب . الجلباب : القميص . ٥ انعدل : تنحى . افترّ : ابتسم . ٦ هجنا بكلب : اثرناه . ينتسف : ينتزع . الكلّاب : صاحب الكلاب والمعتني بتربيتها . ٧ يغلو : يرتفع ويزيد . ميعة الشباب : اوّله . ٨ متنيه : اي متنى ظهره وهما مكتنفا الصلب من يمين وشمال من عصب ولحم . انسلابه : اسراعه . الشجاع : الحيّة . ٩ الأظفور : الظفر . القِناب : الغطاء الذي يستر المخلب . الصنّاع : الماهر في عمله المتقن له . ١٠ الحضْر : هو في الاصل عدو الفرس والارتفاع في العدو . هاها به : صاح به . الإهاب : الجلد . ١١ القاع : ارض سهلة مطمئنة قد انفرجت عنها الجبال والإكام . الهابه : إسراعه . يترك وجه الارض . . . : اي لا يلمسه في عدوه من سرعته .

كَأَنَّ نَشْوَانًا تَوَكَّلْنَا بِهِ يَعْثُو عَلَى مَا جَرَّ مِنْ ثِيَابِهِ [١]
إِلَّا ٱلَّذِي أَثَّرَ مِنْ هُدَّابِهِ تَرَى سَوَامَ ٱلْوَحْشِ تُحْتَوَى بِهِ
فَهُنَّ أَسْرَى ظُفْرِهِ وَنَابِهِ

٩٣ ان حياة الكلب في وفاتها

قَدْ أَغْتَدِي وَٱلطَّيْرُ فِي مَثْوَاتِهَا لَمْ تُعْرِفِ ٱلْأَفْوَاهُ عَنْ لُغَاتِهَا [٢]
بِأَكْلُبٍ تَمْرَحُ فِي قِدَّاتِهَا تَعُدُّ عِنَ ٱلْوَحْشِ مِنْ أَقْوَاتِهَا [٣]
قَدْ لَوَّحَ ٱلتَّقْدِيحُ وَارِيَاتِهَا وَأَشْفَقَ ٱلْقَانِصُ مِنْ خُفَاتِهَا [٤]
وَقُلْتُ قَدْ أَحْكَمْتَهَا فَهَاتِهَا وَأْدْنِ لِلصَّيْدِ مُعَلَّمَاتِهَا [٥]
فَجَاءَ يُزْجِيهَا عَلَى شِيَاتِهَا شُمَّ ٱلْعَرَانِينِ مُؤَنَّفَاتِهَا [٦]
مُشْرِفَةَ ٱلْأَكْتَافِ مُوفِدَاتِهَا سُودًا وَصُفْرًا وَخَلَنْجِيَاتِهَا [٧]
غُرَّ ٱلْوُجُوهِ مُحَجَّلَاتِهَا كَأَنَّ أَقْمَارًا عَلَى لَبَّاتِهَا [٨]
تَرَى عَلَى أَفْخَاذِهَا سِمَاتِهَا قُودَ ٱلْخَرَاطِيمِ مُخَطَّمَاتِهَا [٩]
تَسْمَعُ فِي ٱلْآثَارِ مِنْ وَحَاتِهَا مِنْ نَهَمِ ٱلْخِرْصِ وَمِنْ خَوَاتِهَا [١٠]
لِتَفْثَأَ ٱلْأَرْنَبَ عَنْ حَيَاتِهَا إِنَّ حَيَاةَ ٱلْكَلْبِ فِي وَفَاتِهَا [١١]

---

١ كأنّ نشوانا . . . : يقول ان هذا الكلب يمسح ببطنه اثر يديه فلا ترى الا آثار أظفاره بمنزلة رجل سكران يجرّ ثوبه على اثره فلا يرى الا اثر هدب ازاره . ٢ مثواتها : اي وكونها وأعشاشها . لم تعرف الأفواه . . . : يريد ان تلك الطيور لم تفصح ولم تصوّت فيعرف بعضها من بعض، وذلك انها لا تصيح الا عند الصباح . ٣ القدّات ج قِدّة وهي سير يُقدّ من الجلد يكون في عنق الكلب . العين ج عيناء وهي واسعة العين . ٤ لوّح : غيّر . التقديح : التضمير وغؤور العين من الهزال . الواريات : السمات . الخُفات : الموت من الهزال . ٥ احكمتها : اي احكمت تأديبها . ٦ شياتها : الوانها . العرانين : الانوف . مؤنفاتها : محدّداتها . ٧ أوفد : ارتفع ؛ الموفدات : المرتفعات . الخلنجيات ج خَلَنّج وهو شجر لونه بين الصفرة والحمرة . ٨ اللبّات : الصدور . ٩ قود الخراطيم : طويلتها . مخطماتها : اي على خطامها سمات من الكيّ لئلا ينزل الماء في اعينها . ١٠ وحاتها : صوتها في عدوها من قولها أح أح . الخَوات : دويّ جناح العقاب اذا انقضّت على الصيد لتأخذه، استعاره هنا للكلاب . ١١ لتفثأ : لتصرف .

ميزة شعره : جعل ابو نواس الطرديات فناً مستقلاً، واطال الوصف في دقة وابداع، واعتمد البديع والخيال، وصوّر تصويراً حياً، إلّا انه كان فيها رتيب النغم غريب اللفظ .

ابو نواس شاعر الزُّهد :

٩٤ وإنّا على الاثر

يا بَنِي ٱلنَّقصِ وَٱلعِبَرْ وَبَنِي ٱلضُّعفِ وَٱلخَوَرْ
وَبَنِي ٱلبُعدِ فِي ٱلطِّبَاعِ عَلَى ٱلقُربِ فِي ٱلصُّوَرْ
وَٱلشُّكُولِ ٱلَّتِي تَبَايَنُ فِي ٱلطُّولِ وَٱلقِصَرْ
إِحتِسَاءً عَلَى ٱلحَرَامِ وَخَتماً عَلَى ٱلضَّرَرْ
أَينَ مَن كَانَ قَبلَكُم مِن ذَوِي ٱلبَأسِ وَٱلخَطَرْ
سَائِلُوا عَنهُمُ ٱلمَدَائِنَ وَٱستَبحِثُوا ٱلخَبَرْ
سَبَقُونَا إِلَى ٱلرَّحِيلِ وَإِنَّا عَلَى ٱلأَثَرْ
مَن مَضَى عِبرَةٌ لَنَا وَغَدًا نَحنُ مُعتَبَرْ
إِنَّ لِلمَوتِ أَخذَةً تَسبِقُ ٱللَّمحَ بِٱلبَصَرْ
فَكَأَنِّي بِكُم غَدًا فِي ثِيَابٍ مِنَ ٱلمَدَرْ [1]
قَد نُقِلتُم مِنَ ٱلقُصُورِ إِلَى ظُلمَةِ ٱلحُفَرْ
حَيثُ لَا تُضرَبُ ٱلقِبَابُ عَلَيكُم وَلَا ٱلحُجَرْ
رَحِمَ ٱللهُ مُسلِماً ذَكَرَ ٱللهَ فَٱزدَجَرْ

---

١ المدَر : الطين اليابس .

٩٥ اذا امتحن الدنيا لبيبٌ . . .

أَلَا رُبَّ وَجهٍ، فِي ٱلتُّرَابِ، عَتِيقِ؛ وَيَا رُبَّ حُسْنٍ، فِي ٱلتُّرَابِ رَقِيقِ ١
وَيَا رُبَّ حَزمٍ، فِي ٱلتُّرَابِ، وَنَجدَةٍ، وَيَا رُبَّ رَأْيٍ، فِي ٱلتُّرَابِ، وَثِيقِ ٢
فَقُلْ لِقَرِيبِ ٱلدَّارِ: إِنَّكَ رَاحِلٌ إِلَى مَنْزِلٍ نَائِي ٱلمَحَلِّ سَحِيقِ ٣
أَرَى كُلَّ حَيٍّ هَالِكاً وَٱبنَ هَالِكٍ، وَذَا نَسَبٍ، فِي ٱلهَالِكِينَ، عَرِيقِ ٤
إِذَا ٱمتَحَنَ ٱلدُّنْيَا لَبِيبٌ، تَكَشَّفَتْ لَهُ عَنْ عَدُوٍّ فِي ثِيَابِ صَدِيقِ

٩٦ يا ربّ !

يَا رَبِّ إِنْ عَظُمَتْ ذُنُوبِي كَثْرَةً فَلَقَدْ عَلِمْتُ بِأَنَّ عَفْوَكَ أَعظَمُ
إِنْ كَانَ لَا يَرْجُوكَ إِلَّا مُحسِنٌ فَبِمَنْ يَلُوذُ وَيَسْتَجِيرُ ٱلمُجْرِمُ ؟
أَدْعُوكَ، رَبِّ، كَمَا أَمَرْتَ، تَضَرُّعاً، فَإِذَا رَدَدْتَ يَدِي فَمَنْ ذَا يَرْحَمُ ؟
مَا لِي إِلَيْكَ وَسِيلَةٌ إِلَّا ٱلرَّجَا، وَجَمِيلُ عَفْوِكَ، ثُمَّ أَنِّي مُسْلِمُ

٩٧ دبّ في السّقام

دَبَّ فِيَّ ٱلسَّقَامُ سُفْلًا وَعُلْوَا، وَأَرَانِي أَمُوتُ عُضْوًا فَعُضْوَا
لَيْسَ تَمْضِي مِنْ لَحْظَةٍ بِيَ إِلَّا نَقَصَتْنِي بِمَرِّهَا فِيَّ جُزْوَا ٥
ذَهَبَتْ جِدَّتِي بِحَاجَةِ نَفْسِي، وَتَطَلَّبْتُ طَاعَةَ ٱللهِ نِضْوَا ٦
لَهْفَ نَفْسِي عَلَى لَيَالٍ وَأَيَّـامٍ، تَجَاوَزْتُهُنَّ لِعْباً وَلَهْوَا
قَدْ أَسَأْنَا كُلَّ ٱلإِسَاءَةِ، فَاللّهُـمَّ صَفْحاً عَنَّا، وَغَفْرًا، وَعَفْوَا !

---

١ العتيق : الكريم اي ربّما غيّب التراب وجهاً كريماً او وجهاً حسناً رقيقاً . ٢ الحزم : الشدّة والقوّة . النجدة : المساعدة . ٣ النائي : البعيد . السحيق : البعيد جداً . ٤ العريق : المتقادم بالنسب اي له عِرق بالقِدَم . ٥ جُزْوا : لغة في جزء للتخفيف . ٦ الجدّة : الجديد واراد الشباب . النضو : الضعيف الهزيل .

٩٨ ايا ربّ !

أيَا رَبِّ قَدْ أحسَنْتَ عَوْدًا وَبَدْأةً
إلَيَّ فَلَمْ يَنهَضْ بِإحسَانِكَ ٱلشُّكْرُ
فَمَنْ كَانَ ذَا عُذرٍ لَدَيْكَ وَحُجَّةٍ
فَعُذْرِيَ إقرَارِي بِأنْ لَيسَ لِي عُذرُ

ميزة شعره : زهديات ابي نواس هي صرخة من صرخات النّفس المتبرمة، ونبضة من نبضات القلب النادم الخائف . فهي صادقة اللهجة، عميقة الأثر .

ابو نواس شاعر الغزل :

٩٩ حامِلُ الهوى تعِب

[وهو اول ما قاله من الشعر وهو صبيّ]

حَامِلُ ٱلهَوَى تَعِبُ　　يَستَخِفُّهُ ٱلطَّرَبُ
إنْ بَكَى فَحَقٌّ لَهُ　　لَيسَ مَا بِهِ لَعِبُ
كُلَّمَا ٱنقَضَى سَبَبٌ　　مِنكِ عَادَ لِي سَبَبُ
تَضحَكِينَ لَاهِيَةً　　وَٱلمُحِبُّ يَنتَحِبُ
تَعجَبِينَ مِنْ سَقَمِي،　　صِحَّتِي هِيَ ٱلعَجَبُ !

١٠٠ وما يدرون ما دائي

[قالها في دنانير جارية البرامكة :]

صُلِيتُ مِنْ حُبِّهَا نَارَينِ : وَاحِدَةً　　فِي وَجنَتَيهَا وَأُخرَى بَينَ أحشَائِي [1]
وَقَدْ حَمَيتُ لِسَانِي أنْ أُبِينَ بِهِ　　فَمَا يُعَبِّرُ عَنِّي غَيرُ إيمَاءِ [2]

١ صلي النار : قاسى شدّتها وحرّها . ٢ ابين به : اعبّر به . الايماء : الاشارة .

يَا وَيحَ أَهلِيَ! أَبلَى بَينَ أَعيُنِهِم عَلَى الفِرَاشِ وَمَا يَدرُونَ مَا دَائِي
لَو كَانَ زُهدُكِ فِي الدُّنيَا كَزُهدِكِ فِي حُبِّي مَشَيتُ بِلَا شَكٍّ عَلَى المَاءِ

١٠١ فتّانة المتجرّد

وَذَاتِ خَدٍّ مُوَرَّدْ فَتَّانَةِ المُتَجَرَّدْ
تَأَمَّلُ العَينُ مِنهَا مَحَاسِنًا لَيسَ تَنفَدْ
أَلحُسنُ فِي كُلِّ جُزءٍ مِنهَا مُعَادٌ مُرَدَّدْ
فَبَعضُهُ يَتَنَاهَى وَبَعضُهُ يَتَوَلَّدْ
وَكُلَّمَا عُدتَ فِيهِ يَكُونُ بِالعَودِ أَحمَدْ

ابو نواس شاعر الخمرة :

١٠٢ الى بيت خمّار

وَلَيلَةِ دَجنٍ قَدْ سَرَيتُ بِفِتيَةٍ تُنَازِعُنَا نَحوَ المُدَامِ قُلُوبُ [1]
إِلَى بَيتِ خَمَّارٍ، وَدُونَ مَحَلِّهِ قُصُورٌ مُنِيفَاتٌ لَنَا وَدُرُوبُ [2]
فَلَمَّا قَرَعنَا بَابَهُ بَعدَ هَدأَةٍ وَلَيسَ سِوَى ذِي الكِبرِيَاءِ رَقِيبُ
تَنَاوَمَ خَوفًا أَن تَكُونَ سِعَايَةٌ وَعَاوَدَهُ بَعدَ الرُّقَادِ وَجِيبُ [3]
فَلَمَّا دَعَونَا بِٱسمِهِ طَارَ ذُعرُهُ وَأَيقَنَ أَنَّ الرَّحلَ مِنهُ خَصِيبُ
وَبَادَرَ نَحوَ البَابِ سَعيًا مُلَبِّيًا لَهُ طَرَبٌ بِالزَّائِرِينَ عَجِيبُ
فَأَطلَقَ عَن بَابَيهِ وَٱنكَبَّ سَاجِدًا لَنَا وَهوَ فِيمَا قَد يَظُنُّ مُصِيبُ
وَقَالَ: ٱدخُلُوا حُيِّيتُمُ مِن عِصَابَةٍ فَفِيَّ لَكُم سَهلٌ لَدَيَّ رَحِيبُ

---

١ الدَّجن : الظلمة . سرَيت : مشيت ليلاً . ٢ منيفات : عاليات . الدّروب ج درب وهو المسلك بين جبلين، والطريق الضيّق . ٣ الوجيب : اضطراب القلب وخفقانه .

وَقَامَ بِمِصْبَاحٍ لَهُ فَأَنَارَهُ ... وَكُلُّ ٱلَّذِي يَهْوَى لَدَيْهِ قَرِيبُ
وَقُلْنَا : أَرِحْنَا هَاتِ إِنْ كُنْتَ بَائِعًا ... فَإِنَّ ٱلدُّجَى عَنْ مُلْكِهِ سَيَغِيبُ
فَأَبْدَى لَنَا صَهْبَاءَ تَمَّ شَبَابُهَا ... لَهَا رَوْعَةٌ مَحْمُودَةٌ وَوُثُوبُ [1]
فَلَمَّا ٱجْتَلَاهَا لِلنَّدَامَى بَدَا لَهَا ... نَسِيمُ عَبِيرٍ سَاطِعٍ وَلَهِيبُ [2]
فَجَاوَبَهَا تَحْدُو بِهَا ذَاتُ مِزْهَرٍ ... يَتُوقُ إِلَيْهَا ٱلنَّاظِرُونَ رَبِيبُ [3]
كَثِيبٌ عَلَاهُ غُصْنُ بَانٍ إِذَا مَشَى ... تَكَادُ لَهُ صُمُّ ٱلْجِبَالِ تُنِيبُ [4]
وَأَقْبَلَ مَحْسُودُ ٱلْجَمَالِ مُقَرْطَقٌ ... إِلَى كَأْسِهَا لَا عَيْبَ فِيهِ أَرِيبُ [5]
يَشُمُّ ٱلنَّدَامَى ٱلْوَرْدَ مِنْ وَجَنَاتِهِ ... وَلَيْسَ بِهِ غَيْرُ ٱلْمَلَاحَةِ طِيبُ
فَمَا زَالَ يَسْقِينَا بِكَأْسٍ مُجِدَّةٍ ... تَوَلَّى وَأُخْرَى بَعْدَ ذَاكَ تَؤُوبُ [6]
وَغَنَّى لَنَا صَوْتًا بِحُسْنٍ تَرَجُّعٍ ... سَرَى ٱلْبَرْقُ غَرْبِيًّا فَحَنَّ غَرِيبُ

ميزة شعره : تلك جماعة المجّان، وذلك ابو نواس في وسطهم، وجميعهم طلّاب متعة، يخرجون الى الدساكر المنفردة، ويقضون الايام في اللهو والشرب والقصف. وقد وصف لنا الشاعر بائع الخمرة في خوفه وحذره، كما وصف الخمرة والقينة ومجلس الغناء، في حياة ولهفة ودقّة.

١٠٣ صفراء مثل شعاع الشمس

جَاءَتْكَ مِنْ بَيْتِ خَمَّارٍ بِطِينَتِهَا ... صَفْرَاءَ مِثْلَ شُعَاعِ ٱلشَّمْسِ تَرْتَعِدُ
فَقَامَ كَٱلْبَدْرِ قَدْ شُدَّتْ قَرَاطِقُهُ ... ظَبْيٌ يَكَادُ مِنَ ٱلتَّهْيِيفِ يَنْعَقِدُ
فَسَلَّهَا مِنْ فَمِ ٱلْإِبْرِيقِ فَٱنْبَعَثَتْ ... مِثْلَ ٱللِّسَانِ جَرَى وَٱسْتَمْسَكَ ٱلْجَسَدُ
فَلَمْ نَزَلْ فِي صَبَاحِ ٱلسَّبْتِ نَأْخُذُهَا ... وَٱللَّيْلُ يَجْمَعُنَا حَتَّى بَدَا ٱلْأَحَدُ

---

١ الصهباء : الخمرة . ٢ اجتلاها : عرّضها . العبير الساطع : الرائحة الطيّبة الفائحة .
٣ المزهر : العود يضرب به . ٤ كثيب علاه غصن بان . . . : وصف لحسن قوام المرأة . تنيب : ترجع اليه وتميل . ٥ المقرطق : لابس القرطق وهو القباء ذو الطاق الواحد . الأريب : البصير وذو الدهاء . ٦ تؤوب : تعود .

ثُمَّ ٱصْطَبَحْنَا فَنِلْنَا ٱلسُّؤْلَ مِنْ أَمَمٍ فِي مَجْلِسٍ غَابَ عَنْهُ ٱلضِّيقُ وَٱلنَّكَدُ [١]
حَتَّى بَدَتْ غُرَّةُ ٱلْإِثْنَيْنِ وَاضِحَةً وَٱلْجَدْيُ مُغْتَرِبٌ وَٱلطَّالِعُ ٱلْأَسَدُ [٢]
وَفِي ٱلثُّلَاثَاءِ أَعْمَلْنَا مَطِيَّتَهَا صِرْفًا وَمَا قَرَّعَتْهَا بِٱلْمِزَاجِ يَدُ [٣]
وَٱلْأَرْبِعَاءَ كَسَرْنَا حَدَّ سَوْرَتِهَا بِٱلْمَاءِ يَضْحَكُ فِي تِيجَانِهَا ٱلزَّبَدُ
ثُمَّ ٱلْخَمِيسَ وَصَلْنَاهُ بِلَيْلَتِهِ قَصْفًا وَتَمَّ لَنَا فِي ٱلْجُمْعَةِ ٱلْعَدَدُ [٤]
يَا حُسْنَنَا وَبِحَارُ ٱلْقَصْفِ تَغْمُرُنَا فِي لُجَّةِ ٱللَّيْلِ وَٱلْأَوْتَارُ تَغْتَرِدُ
فِي مَجْلِسٍ حَوْلَهُ ٱلْأَشْجَارُ مُحْدِقَةٌ وَفِي جَوَانِبِهَا ٱلْأَنْهَارُ تَطَّرِدُ
لَا نَسْتَخِفُّ بِسَاقِينَا لِعِزَّتِهِ وَلَا يُرَدُّ عَلَيْهِ حُكْمَهُ أَحَدُ

ميزة شعره : مجلس آخر من مجالس اللهو فيه تفصيل للشُّرب وللجوّ الذي اضطرب فيه الشاربون، وفيه ثمرة من النشوة والغناء، وفيه رفع لشأن الساقي إكراماً لابنة العنقود، وفيه قبل كل شيء وبعد كل شيء، خمرة قديمة تترجرج بين الايدي في تألق الشمس ولألائها .

١٠٤ قطربّل مربعي

قُطْرُبُّلٌ مَرْبَعِي وَلِي بِقُرَى ٱلْـكَرْخِ مَصِيفٌ وَأُمِّيَ ٱلْعِنَبُ [٥]
تُرْضِعُنِي دَرَّهَا وَتُلْحِفُنِي بِظِلِّهَا وَٱلْهَجِيرُ يَلْتَهِبُ
تَبِيتُ فِي مَأْتَمٍ حَمَائِمُهُ كَمَا تُرِنُّ ٱلْفَوَاقِدُ ٱلسُّلُبُ [٦]
فَقُمْتُ أَحْبُو إِلَى ٱلرِّضَاعِ كَمَا تَحَامَلَ ٱلطِّفْلُ مَسَّهُ ٱلسَّغَبُ [٧]
يَهُبُّ شَوْقِي وَشَوْقُهُنَّ مَعًا كَأَنَّمَا يَسْتَخِفُّنَا طَرَبُ
حَتَّى تَخَيَّرْتُ بِنْتَ دَسْكَرَةٍ قَدْ عَاجَمَتْهَا ٱلسِّنُونَ وَٱلْحِقَبُ [٨]

---

١ اصطبحنا : شربنا الصَّبوح وهي الخمرة تؤخذ صباحاً . من أمم : عن قرب ويسر . ٢ الجدي والأسد : برجان من ابراج السماء . ٣ قرّعتها : صبّت فيها الماء . ٤ القصف : الاجتماع للرقص واللهو مع الجلبة . ٥ قطربّل : موضع بالعراق ينسب اليه الخمر . الكرخ : اسم لجملة مواضع بالعراق . ٦ السُّلُب ج سلوب وهي من مات ولدها . ٧ أحبُو : امشي حبواً وهو الزّحف . السّغب : الجوع . ٨ الدسكرة : بيوت الاعاجم يكون فيها الشراب والملاهي . عاجتها : مرّت ولم تخبر بامرها .

أُشُقُّ عَنهَا، وَٱللَّيـلُ مُعتَكِرٌ،   مُهَلْهَلَ ٱلنَّسجِ مَا لَهُ هُدُبُ [١]
مِنْ نَسْجِ خَرقَاءَ لَا تُشَدُّ لَهَا   آخِيَّةٌ فِي ٱلثَّرَى وَلَا طُنُبُ [٢]
ثُمَّ تَوَجَّأْتُ خَصرَهَا بِشَبَا ٱلإِشْفَى   فَجَاءَتْ كَأَنَّهَا لَهَبُ [٣]
فَٱستَوثَقَ ٱلشَّربُ لِلنَّدَامَى وَأَجرَاهَا   عَلَينَـا ٱللُّجَينُ وَٱلغَرَبُ [٤]
أَقُـولُ لَمَّا تَحَاكَيَا شَبَهًا   أَيُّهُمَا لِلتَّشَابُهِ ٱلذَّهَبُ
هُمَـا سَوَاءٌ وَفَرقُ بَينِهِمَا   أَنَّهُمَـا جَامِدٌ وَمُنسَكِبُ

ميزة شعره : هذا تاريخ الخمرة من قبل ميلادها الى ساعة رفع الشاعر كأسها صافية ليتمتّع بمرآها ولونها الذهبيّ ونشوتها .

١٠٥ ادر الكاس

أَدِرِ ٱلكَأسَ حَانَ أَنْ تَسْتَقِينَا   وَٱنْقُرِ ٱلدُّفَّ إِنَّهُ يُلْهِينَا
وَدَعِ ٱلوَصفَ لِلطُّلُولِ إِذَا مَا   دَارَتِ ٱلكَأسُ يَسْرَةً وَيَمِينَا
أَعفِنَا مِنْ طُلُـولَ كَيفَ بُلِينَا   وَٱسقِنَا نُعطِكَ ٱلثَّنَـاءَ ٱلثَّمِينَا
مِنْ سُلَافٍ كَأَنَّهَا كُلُّ شَيْءٍ   يَتَمَنَّى مُخَيَّرٌ أَنْ يَكُونَا [٥]
دَرَسَ ٱلدَّهرُ مَا تَجَسَّمَ مِنهَا   وَتَبَقَّى لُبَابُهَـا مَكنُونَا
فَإِذَا مَا ٱجتَلَيتَهَا فَهَبَاءٌ   تَمنَعُ ٱلكَفَّ مَا تُبِيحُ ٱلعُيُونَا [٦]
ثُمَّ شُجَّتْ فَٱستَضحَكَتْ عَنْ لَآلٍ   لَوْ تَجَمَّعنَ فِي يَدٍ لَٱقتُنِينَا
فِي كُؤُوسٍ كَأَنَّهُنَّ نُجُومٌ   جَارِيَاتٌ، بُرُوجُهَا أَيدِينَا
طَالِعَاتٌ مِنَ ٱلسُّقَاةِ عَلَينَا   فَإِذَا مَا غَرَبْنَ تَغرُبُ فِينَا

---

١ ما له هدب : يعني ان نسج العنكبوت رقيق فلا هدب له .   ٢ الخرقاء : الحمقاء ، اراد بها العنكبوت . الآخيّة : عود في حائط او في حبل يُدفن طرفاه في الارض ويُبرز طرفه كالحلقة تشدّ فيها الدابّة . الطُّنُب : حبل طويل يُشدّ به سرادق البيت او الوتد .   ٣ توجّأت : ضربت ؛ والضمير في خصرها عائد الى بنت دسكرة وهي الدنّ . الشَّبا : الحدّ . الاشفى : المثقب وهو ما يُثقب به .   ٤ اللُّجَين : الفضّة . الغَرَب : الذهب .   ٥ السلاف : الخمرة .
٦ اجتليتها : نظرتَ اليها . هباء : اي مثل الهبـاء في الدقّة لا في اللون لانه لا يحسن في النظر .

لَوْ تَرَى ٱلشَّرْبَ حَوْلَهَا مِنْ بَعِيدٍ   قُلْتَ قَوْمٌ مِنْ قِرَّةٍ يَصْطَلُونَا [١]
وَغَزَالٌ يُدِيرُهَا بِبَنَانٍ   نَاعِمَاتٍ يَزِيدُهَا ٱلْغَمْزُ لِينَا
كُلَّمَا شِئْتُ عَلَّنِي بِرُضَابٍ   يَتْرُكُ ٱلْقَلْبَ لِلسُّرُورِ خَدِينَا
ذَاكَ عَيْشٌ لَوْ دَامَ لِي، غَيْرَ أَنِّي   عِفْتُهُ مُكْرَهاً وَخِفْتُ ٱلْأَمِينَا [٢]

ميزة شعره : هذه ثورة شعوبيَّة على أساليب العرب ، وهذا نشيد من اناشيد الخمرة التي كادت تبتعد عن المادَّة، وهذه سماء من الكواكب الملتهبة، وهذا شغف بالخمرة والمرأة ما بعده شغف . ولكنها الحياة لم تُخلق للخمر والزمر بل للعمل المجدي المشرِّف .

١٠٦ يا خاطب القهوة

يَا خَاطِبَ ٱلْقَهْوَةِ ٱلصَّهْبَاءِ يَمْهُرُهَا
بِٱلرَّطْلِ يَأْخُذُ مِنْهَا مِلْئَهُ ذَهَبَا [٣]
قَصَّرْتَ بِٱلرَّاحِ فَٱحْذَرْ أَنْ تُسَمِّعَهَا
فَيَحْلِفَ ٱلْكَرْمُ أَلَّا يَحْمِلَ ٱلْعِنَبَا
إِنِّي بَذَلْتُ لَهَا لَمَّا بَصُرْتُ بِهَا   صَاعاً مِنَ ٱلدُّرِّ وَٱلْيَاقُوتِ مَا ثُقِبَا [٤]
فَٱسْتَوْحَشَتْ وَبَكَتْ فِي ٱلدَّنِّ قَائِلَةً :   يَا أُمُّ وَيْحَكِ، أَخْشَى ٱلنَّارَ وَٱللَّهَبَا [٥]
فَقُلْتُ : لَا تَحْذَرِيهِ عِنْدَنَا أَبَدًا .
قَالَتْ : وَلَا ٱلشَّمْسَ؟ قُلْتُ : ٱلْحَرُّ قَدْ ذَهَبَا
قَالَتْ : فَمَنْ خَاطِبِي هٰذَا؟ فَقُلْتُ : أَنَا .
قَالَتْ : فَبَعْلِي؟ قُلْتُ : ٱلْمَاءُ إِنْ عَذُبَا [٦]

---

١ القِرَّة : ما يصيب من البرد .   ٢ الامين : ابن الرشيد وكان قد نهاه عن شرب الخمر ، وذلك ان المأمون لما حارب أخاه الامين امر الخطباء ان يعيبوا الامين بشعر ابي نواس في نعت الخمر وأنه جليسه .   ٣ يمهرها : يدفع مهرها اي مال الزفاف اي القيمة التي تدفع للعروس مقدَّماً قبل زفافها .   ٤ الصاع : من اسماء المكاييل كالمدّ .   ٥ الدنّ : وعاء الخمر .
٦ بعلي : زوجي .

قَالَتْ : لِقَاحِي؟ فَقُلْتُ : اَلثَّلجُ أَبرَدُهُ.
قَالَتْ : فَبَيْتِي، فَمَا أَستَحسِنُ الخَشَبَا ؟
قُلتُ : اَلقَنَانِيُّ وَالأَقْدَاحُ وَلَدُهَا
فِرْعَونُ . قَالَتْ : لَقَدْ هَيَّجتِ لِي طَرَبَا
لَا تُمكِنَنِّي مِنَ العِرْبِيدِ يَشرَبُنِي ... وَلا اللَّئِيمِ الَّذِي إِنْ شَمَّنِي قَطَبَا [1]
يَا قَهوَةً حُرِّمَتْ إِلَّا عَلَى رَجُلٍ ... أَثْرَى فَأَتْلَفَ فِيهَا المَالَ وَالنَّشَبَا [2]

ميزة شعره : هذا عُرس الخمرة : مَهْر غالٍ ، وزفاف غريب ، وحذَر ورهبة ، واستفحاص دقيق ، وتفصيل للميزات باسلوب الحياة والفنّ .

١٠٧ مَن بنو اسد

عَاجَ الشَّقِيُّ عَلَى رَسمٍ يُسَائِلُهُ ... وَعُجتُ أَسأَلُ عَنْ خَمَّارَةِ البَلَدِ [3]
يَبكِي عَلَى طَلَلِ المَاضِينَ مِنْ أَسَدٍ ... لَا دَرَّ دَرُّكَ قُلْ لِي : مَنْ بَنُو أَسَدِ [4]
وَمَنْ تَمِيمٌ وَمَنْ قَيسٌ وَلَفُّهُمَا ؟ ... لَيسَ الأَعَارِيبُ عِندَ اللهِ مِنْ أَحَدِ [5]
لَا جَفَّ دَمعُ الَّذِي يَبكِي عَلَى حَجَرٍ ... وَلَا صَفَا قَلبُ مَنْ يَصبُو إِلَى وَتَدِ
كَمْ بَيْنَ نَاعِتِ خَمرٍ فِي دَسَاكِرِهَا ... وَبَيْنَ بَاكٍ عَلَى نُؤْيٍ وَمُنتَضِدِ [6]
دَعْ ذَا، عَدِمْتُكَ وَاشرَبهَا مُعَتَّقَةً ... صَفرَاءَ تَفرُقُ بَيْنَ الرُّوحِ وَالجَسَدِ [7]

١ العربيد : الذي يشرب الخمر حتى يفقد عقله فينطق بما لا يستحبّ من الكلام . قَطَبَ : عبَسَ . ٢ أثرى : اغتنى اي صار ذا مالٍ . النشب : الغنى ويأتي بمعنى الذهب . ٣ عاج : مالَ الى، عطف على المكان . الرّسم : ما بقي من آثار الدار . ٤ بنو أسد : قبيلة عربية وكذلك تميم وقيس في البيت التالي . ٥ لفّهما : حزبهما ؛ وفي البيت تظهر شعوبية ابي نواس . ٦ النؤي : الحفير حول الخيمة يجتمع فيه ماء المطر . المنتضد : الاشياء المجتمعة المتراكمة . ٧ في البيت اشارة الى ما تقول به الفلاسفة من ان النفوس المفارقة اي الارواح السماوية منفصلة عن المادّة التي تفرق بين الروح والجسد، فخمرته كخمرة المتصوفة تبعد الروح مدّة السكر عن حبس الجسد وما يعتريه من آلام .

أَمَا رَأَيْتَ وُجُوهَ ٱلْأَرْضِ قَدْ نَضِرَتْ وَأَلْبَسَتْهَا ٱلزَّرَابِي نَثْرَةُ ٱلْأَسَدِ [١]
حَاكَ ٱلرَّبِيعُ بِهَا وَشْياً وَجَلَّلَهَا بِيَانِعِ ٱلزَّهْرِ مِنْ مَثْنَى وَمِنْ وَحَدِ [٢]
وَٱسْتَوْفَتِ ٱلْخَمْرُ أَحْوَالاً مُجَرَّمَةً وَٱفْتَرَّ عَيْشُكَ عَنْ لَذَّاتِكَ ٱلْجُدُدِ [٣]
فَٱشْرَبْ وَجُدْ بِٱلَّذِي تَحْوِي يَدَاكَ لَهَا لَا تَذْخَرِ ٱلْيَوْمَ شَيْئاً خَوْفَ فَقْرِ غَدِ
يَا عَاذِلِي قَدْ أَتَتْنِي مِنْكَ بَادِرَةٌ فَإِنْ تَعَمَّدْتَهَا عَفْوِي فَلَا تَعُدِ
لَوْ كَانَ لَوْمُكَ نُصْحاً كُنْتُ أَقْبَلُهُ لَكِنَّ لَوْمَكَ مَوْضُوعٌ عَلَى ٱلْحَسَدِ

١٠٨ تسقيك من طرفها خمرا

لَا تَبْكِ لَيْلَى وَلَا تَطْرَبْ إِلَى هِنْدِ وَٱشْرَبْ عَلَى ٱلْوَرْدِ مِنْ حَمْرَاءَ كَٱلْوَرْدِ [٤]
كَأْساً إِذَا ٱنْحَدَرَتْ فِي حَلْقِ شَارِبِهَا أَجْدَتْهُ حُمْرَتَهَا فِي ٱلْعَيْنِ وَٱلْخَدِّ [٥]
فَٱلْخَمْرُ يَاقُوتَةٌ وَٱلْكَأْسُ لُؤْلُؤَةٌ فِي كَفِّ جَارِيَةٍ مَمْشُوقَةِ ٱلْقَدِّ [٦]
تَسْقِيكَ مِنْ طَرْفِهَا خَمْرًا وَمِنْ يَدِهَا خَمْرًا فَمَا لَكَ مِنْ سُكْرَيْنِ مِنْ بُدِّ
لِي نَشْوَتَانِ وَلِلنَّدْمَانِ وَاحِدَةٌ شَيْءٌ خُصِصْتُ بِهِ مِنْ دُونِهِمْ وَحْدِي [٧]

ميزة شعره : ثورة شعوبية، ومذهب حياة، واستخفاف بكل شيء لا يسمّى خمرا، وفلسفة ابيقورية، ونشوتان في آن واحد .

---

١ الزرابي : نبات اصفر او احمر وفيه خضرة . نثرة الاسد : كوكبان بينهما قدر شبر فيها لطخ بياض كأنه قطعة سحاب وهي أنف الاسد ينزلها القمر؛ والمراد : ان الامطار التي ترافق سقوط نثرة الاسد قد كست الارض لباساً من الازهار الملوّنة . ٢ جلّلها : ألبسها . يانع الزهر : المستكمل النموّ . ٣ الاحوال مفرده الحول : السنة . مجرّمة : تامة، اي ان الخمرة قد صلح طعمها ولذّ لقدمها . ٤ لا تطرب : لا تأخذك خفّة لشدّة السرور او الحزن . ٥ أجدته : اعطته . ٦ ممشوقة القدّ : مستقيمة القامة . ٧ الندمان : مَن حدثك وشاركك في شرب الخمر .

١٠٩ دع عنك لومي

دَعْ عَنْكَ لَوْمي، فَإنَّ ٱللَّوْمَ إغْرَاءُ، وَدَاوِني بِٱلَّتِي كَانَتْ هِيَ ٱلدَّاءُ [١]
صَفْرَاءُ، لَا تَنْزِلُ ٱلْأَحْزَانُ سَاحَتَهَا، لَوْ مَسَّهَا حَجَرٌ، مَسَّتْهُ سَرَّاءُ [٢]

. . .

قَامَتْ بِإبْرِيقِهَا، وَٱللَّيْـلُ مُعْتَكِرٌ، فَلَاحَ مِنْ وَجْهِهَا، فِي ٱلْبَيْتِ، لَأْلَاءُ [٣]
فَأَرْسَلَتْ مِنْ فَمِ ٱلْإبْرِيقِ صَافِيَةً، كَأَنَّمَا أَخْذُهَا بِٱلْعَيْنِ إغْفَـاءُ
جَفَّتْ عَنِ ٱلْمَاءِ، حَتَّى مَا يُلَائِمُهَا لَطَافَةً، وَجَفَا عَنْ شَكْلِهَا ٱلْمَاءُ [٤]
فَلَوْ مَزَجْتَ بِهَا نُورًا، لَمَازَجَهَا، حَتَّى تَوَلَّدُ أَنْوَارٌ وَأَضْـوَاءُ
دَارَتْ عَلَى فِتْيَةٍ دَانَ ٱلزَّمَانُ لَهُمْ، فَمَـا يُصِيبُهُمُ إلَّا بِمَا شَاءُوا [٥]
لِتِلْكَ أَبْكِي، وَلَا أَبْكِي لِمَنْزِلَةٍ كَانَتْ تَحُلُّ بِهَـا هِنْدٌ وَأَسْمَاءُ [٦]
حَاشَا لِدُرَّةَ أَنْ تُبْنَى ٱلْخِيَامُ لَهَا، وَأَنْ تَرُوحَ عَلَيْهَا ٱلْإبِـلُ وَٱلشَّاءُ [٧]
فَقُلْ لِمَنْ يَدَّعِي فِي ٱلْعِلْمِ فَلْسَفَةً : حَفِظْتَ شَيْئًا، وَغَابَتْ عَنْكَ أَشْيَاءُ [٨]
فَبُحْ بِٱسْمِ مَنْ أَهْوَى، وَدَعْنِي مِنَ ٱلْكِنَى، فَلَا خَيْرَ فِي ٱللَّذَّاتِ مِنْ دُونِهَا سِتْرُ [٩]
وَلَا خَيْرَ فِي فَتْكٍ بِغَـيْرِ مَجَانَةٍ، وَلَا فِي مُجُونٍ لَيْسَ يَتْبَعُهُ كُفْرُ [١٠]
بِكُلِّ أَخِي قَصْفٍ كَأَنَّ جَبِينَـهُ هِلَالٌ، وَقَدْ حَفَّتْ بِهِ ٱلْأَنْجُمُ ٱلزُّهْرُ [١١]

---

١ الإغراء: الاستالة . وداوني بالتي . . . : قال حمزة بن الحسن الاصبهاني جامع شعر ابي نواس: اول من نطق بهذا المعنى الاعشى فقال :

وكأس شربتُ على لذّةٍ وأخرى تداويتُ منها بها

٢ السّراء : السرور . ٣ اللألاءُ : الضياء . ٤ جفَت : ارتفعت . ٥ دانَ : خضع . ٦ في البيت تعريض بالشعراء القدامى الذين كانوا يبكون الاطـلال والحبيبة . ٧ الدرّة : اللؤلؤة العظيمة وقد كنى بها عن الخمرة واجراها مجرى العلم المؤنث فمنعها من الصرف ٨ يخاطب بهذا البيت وما بعده ابراهيم بن النظّام وكان مرّ به يوماً وهو يناظر في الوعيد ويقول : انّ من مات مرتكباً لكبيرة غير تائب منها لم يعفُ الله عنه وخلّده في النار . ٩ فبُح : فأعلن . ١٠ الفتك : الجرأة والمضيّ في الامور . ١١ حفّت به الانجمُ الزّهر : اراد بها الجواري والقيان .

فنّ ابي نواس: عناية، وتنوّع في المعاني والصوَر والأسلوب. فالشاعر يجمع في شعره الحرّ الوصف والخطاب والغناء والقصص؛ كل ذلك في لغة طيّعة وفي جوّ من الموسيقى التي تعبّر عن الحياة في انطلاقها وشدّتها ومختلف حالاتها.

ابو العتاهية (٧٤٨ ـ ٨٢٥ م/ ١٣٠ ـ ٢١٠ هـ)

[إصطدم فجر العهد العباسي بموجة مجون ولهو قامت في وجهها موجة اخرى مكوّنة من زهد بزخارف الدنيا وإنابة الى الله. وكما كان ابو نواس زعيم الحركة الابيقوريّة كان ابو العتاهية زعيم الحركة الزهديّة، فقد مال في حياته الى دراسة مذاهب المتكلّمين والزُهّاد ثم زهد بالدنيا قولًا وفعلًا. وكان اكثر شعره في ذمّ الدنيا والحضّ على تطلّب الآخرة.]

١١٠ عتبة

أَحْمَدٌ قَالَ لِي، وَلَمْ يَدْرِ مَا بِي: أَتُحِبُّ، ٱلْغَدَاةَ، عُتْبَةَ حَقًّا؟
فَتَنَفَّسْتُ، ثُمَّ قُلْتُ: نَعَمْ حُبًّا جَرَى فِي ٱلْعُرُوقِ عِرْقًا فَعِرْقَا
لَوْ تَجُسِّينَ يَا عُتَيْبَةُ قَلْبِي لَوَجَدْتِ ٱلْفُؤَادَ قَرْحًا تَفَقَّا
قَدْ لَعَمْرِي مَلَّ ٱلطَّبِيبُ وَمَلَّ ٱلْأَهْلُ مِنِّي مِمَّا أُقَاسِي وَأَلْقَى
لَيْتَنِي مُتُّ فَٱسْتَرَحْتُ فَإِنِّي أَبَدًا مَا حَيِيتُ مِنْهَا مُلَقًّى [١]

١١١ يا ليتني

يَا عَتْبُ مَا لِي وَلَكِ يَا لَيْتَنِي لَمْ أَرَكِ
مَلَكْتِنِي فَٱنْتَهِكِي مَا شِئْتِ أَنْ تَنْتَهِكِي

---

١ المُلقّى: الممتحن الذي لا يزال يلقاه مكروه.

أَبِيتُ لَيْلِي سَاهِرًا ۞ أَرْعَى نُجُومَ ٱلْفَلَكِ
مُفْتَرِشًا جَمْرَ ٱلْغَضَا ۞ مُلْتَحِفًا بِٱلْحَسَكِ [١]

١١٢ عيني على عتبة منهلة

عَيْنِي عَلَى عُتْبَةَ مُنْهَلَّةٌ ۞ بِدَمْعِهَا ٱلْمُنْسَكِبِ ٱلسَّائِلِ [٢]
كَأَنَّهَا مِنْ حُسْنِهَا دُرَّةٌ ۞ أَخْرَجَهَا ٱلْيَمُّ إِلَى ٱلسَّاحِلِ [٣]
كَأَنَّ فِي فِيهَا وَفِي طَرْفِهَا ۞ سَوَاحِرًا أَقْبَلْنَ مِنْ بَابِلِ [٤]
بَسَطْتُ كَفِّي نَحْوَكُمْ سَائِلًا ۞ مَاذَا تَرُدُّونَ عَلَى ٱلسَّائِلِ ؟
إِنْ لَمْ تُنِيلُوهُ فَقُولُوا لَهُ ۞ قَوْلًا جَمِيلًا بَدَلَ ٱلنَّائِلِ
لَمْ يُبْقِ مِنِّي حُبُّهَا مَا خَلَا ۞ حُشَاشَةً فِي بَدَنٍ نَاحِلِ
يَا مَنْ رَأَى قَبْلِي قَتِيلًا بَكَى ۞ مِنْ شِدَّةِ ٱلْوَجْدِ عَلَى ٱلْقَاتِلِ

١١٣ تذكَّر

[قيل إنَّ الرشيد كان يعجبه غزل ابي العتاهية فامتنع عن قوله لأخذه بحياة الزهد، فسجنه لإضرابه عنه، فقال :]

تَذَكَّرْ أَمِينَ ٱللهِ حَقِّي وَحُرْمَتِي ۞ وَمَا كُنْتَ تُولِينِي لَعَلَّكَ تَذْكُرُ
لَيَالِيَ تُدْنِي مِنْكَ بِٱلْقُرْبِ مَجْلِسِي ۞ وَوَجْهُكَ مِنْ مَاءِ ٱلْبَشَاشَةِ يَقْطُرُ
فَمَنْ لِيَ بِٱلْعَيْنِ ٱلَّتِي كُنْتَ مَرَّةً ۞ إِلَيَّ بِهَا فِي سَالِفِ ٱلدَّهْرِ تَنْظُرُ

١١٤ اتته الخلافة منقادة

[قال أبو العتاهية يمدح الخليفة المهدي :]

أَلَا مَا لِسَيِّدَتِي مَا لَهَا ۞ أَدَلًّا فَأَحْمِلَ إِدْلَالَهَا

---

١ الغضا : حطبٌ له جمرٌ شديد يدوم طويلاً . ٢ منهلّة : منسكبة . ٣ اليمّ : البحر .
٤ بابل : مدينة قديمة بين النهرين اشتهرت بالسحر وكانت عاصمة البابليين .

وَإِلَّا فَفِيمَ تَجَنَّتْ، وَمَا جَنَيْتُ، سَقَى ٱللهُ أَطْلَالَهَا [١]
أَلَا إِنَّ جَارِيَةً لِلْإِمَامِ قَدْ أُسْكِنَ ٱلْحُبُّ سِرْبَالَهَا
مَشَتْ بَيْنَ حُورٍ قِصَارِ ٱلْخُطَى تُجَاذِبُ فِي ٱلْمَشْيِ أَكْفَالَهَا [٢]
وَقَدْ أَتْعَبَ ٱللهُ نَفْسِي بِهَا وَأَتْعَبَ بِٱللَّوْمِ عُذَّالَهَا

. . .

أَتَتْهُ ٱلْخِلَافَةُ مُنْقَادَةً إِلَيْهِ تُجَرِّرُ أَذْيَالَهَا
وَلَمْ تَكُ تَصْلُحُ إِلَّا لَهُ وَلَمْ يَكُ يَصْلُحُ إِلَّا لَهَا
وَلَوْ رَامَهَا أَحَدٌ غَيْرُهُ لَزُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا
وَلَوْ لَمْ تُطِعْهُ بَنَاتُ ٱلْقُلُوبِ لَمَا قَبِلَ ٱللهُ أَعْمَالَهَا [٣]
وَإِنَّ ٱلْخَلِيفَةَ، مِنْ بُغْضِ «لَا» إِلَيْهِ، لَيُبْغِضُ مَنْ قَالَهَا

١١٥ اجفوتني ؟

[وجد الرشيد، وهو بالرقّة، على ابي العتاهية، وهو بمدينة السلام، فكان ابو العتاهية يرجو أن يتكلّم الفضل بن الربيع في أمره، فأبطأ عليه بذلك، فكتب اليه ابو العتاهية :]

أَجَفَوْتَنِي فِيمَنْ جَفَانِي وَجَعَلْتَ شَأْنَكَ غَيْرَ شَانِي
وَلَطَالَمَا أَمَّنْتَنِي مِمَّا أَرَى كُلَّ ٱلْأَمَانِ
حَتَّى إِذَا ٱنْقَلَبَ ٱلزَّمَانُ عَلَيَّ، صِرْتَ مَعَ ٱلزَّمَانِ ؟

١١٦ اوالِب

[قال يهجو والبة بن الحُباب :]

أَوَالِبُ أَنْتَ فِي ٱلْعَرَبِ كَمِثْلِ ٱلشِّيصِ فِي ٱلرُّطَبِ [٤]

---

١ تجنّت عليه : ادّعت عليه ذنباً لم يفعله . ٢ الأكفال ج كَفَل وهو العَجُز .
٣ بنات القلوب : النيّات . ٤ الشّيص : تمر لا يشتدّ نواه او لا نوى له، وهو اردأ التمر .

هَلُمَّ إلى ٱلْمَوَالِي ٱلصِّيدِ فِي سِعَةٍ وَفِي رُحْبِ
فَأَنْتَ بِهِمْ لَعَمْرُ ٱللهِ أَشْبَهُ مِنكَ بِٱلْعَرَبِ
أَوَالِبُ مَا دَهَاكَ وَأَنْتَ فِي ٱلْأَعْرَابِ ذُو نَسَبِ
أَرَاكَ وُلِدْتَ بِٱلْمَرِّيخِ يَا ٱبْنَ سَبَائِكِ ٱلذَّهَبِ
فَجِئْتَ أُقَيْشِرَ ٱلْخَدَّيْنِ أَزْرَقَ عَارِمَ ٱلذَّنَبِ[1]
لَقَدْ أَخْطَأْتَ فِي شَتْمِي فَخَبِّرْنِي أَلَمْ أُصِبِ؟..

١١٧ لم يشغل الموت عنّا

طُولُ ٱلتَّعَاشُرِ بَيْنَ ٱلنَّاسِ مَمْلُولُ ... مَا لِٱبْنِ آدَمَ، إِنْ فَتَّشْتَ، مَعْقُولُ
يَا رَاعِيَ ٱلشَّاءِ لَا تُغْفِلْ رِعَايَتَهَا ... فَأَنْتَ عَنْ كُلِّ مَا ٱسْتُرْعِيتَ مَسْؤُولُ
إِنِّي لَفِي مَنْزِلٍ مَا زِلْتُ أَعْمُرُهُ ... عَلَى يَقِينٍ بِأَنِّي عَنْهُ مَنْقُولُ
وَلَيْسَ مِنْ مَوْضِعٍ يَأْتِيهِ ذُو نَفَسٍ ... إِلَّا وَلِلْمَوْتِ سَيْفٌ فِيهِ مَسْلُولُ
لَمْ يُشْغَلِ ٱلْمَوْتُ عَنَّا مُذْ أُعِدَّ لَنَا ... وَكُلُّنَا عَنْهُ بِٱللَّذَّاتِ مَشْغُولُ
وَمَنْ يَمُتْ فَهْوَ مَقْطُوعٌ وَمُجْتَنَبٌ ... وَٱلْحَيُّ، مَا عَاشَ، مَغْشِيٌّ وَمَوْصُولُ
كُلُّ مَا بَدَا لَكَ فَٱلْآكَالُ فَانِيَةٌ ... وَكُلُّ ذِي أُكُلٍ لَا بُدَّ مَأْكُولُ

١١٨ لمعة الآل

[ومن قوله المهديّ وقد توفيت ابنته :]

مَا لِلْجَدِيدَيْنِ لَا يَبْلَى ٱخْتِلَافُهُمَا ... وَكُلُّ غُصْنٍ جَدِيدٍ فِيهِمَا بَالِ؟
يَا مَنْ سَلَا عَنْ حَبِيبٍ بَعْدَ مِيتَتِهِ ... كَمْ بَعْدَ مَوْتِكَ أَيْضاً عَنْكَ مِنْ سَالِ
كَأَنَّ كُلَّ نَعِيمٍ أَنْتَ ذَائِقُهُ ... مِنْ لَذَّةِ ٱلْعَيْشِ يَحْكِي لَمْعَةَ ٱلْآلِ[2]

---

١ عارم الذنب : أجرد الذنب .   ٢ الآل : السراب .

لَا تَلْعَبَنَّ بِكَ ٱلدُّنْيَا وَأَنْتَ تَرَى   مَا شِئْتَ مِنْ عِبَرٍ فِيهَا وَأَمْثَالِ
مَا حِيلَةُ ٱلْمَوْتِ إِلَّا كُلُّ صَالِحَةٍ   أَوْ لَا ، فَمَا حِيلَةٌ فِيهِ لِمُحْتَالِ

١١٩ إلهي لا تعذّبني

[حدّث عبدالله بن عطيّة قال : حدّثني محمد بن ابي العتاهية قال : آخر شعر قاله ابي في مرضه الذي مات فيه :]

إِلٰهِي لَا تُعَذِّبْنِي فَإِنِّي   مُقِرٌّ بِٱلَّذِي قَدْ كَانَ مِنِّي
فَمَا لِي حِيلَةٌ إِلَّا رَجَائِي   لِعَفْوِكَ،إِنْ عَفَوْتَ،وَحُسْنُ ظَنِّي
وَكَمْ مِنْ زَلَّةٍ لِي فِي ٱلْخَطَايَا   وَأَنْتَ عَلَيَّ ذُو فَضْلٍ وَمَنِّ
إِذَا فَكَّرْتُ فِي نَدَمِي عَلَيْهَا   عَضَضْتُ أَنَامِلِي وَقَرَعْتُ سِنِّي
أُجَنُّ بِزَهْرَةِ ٱلدُّنْيَا جُنُونًا   وَأَقْطَعُ طُولَ عُمْرِي بِٱلتَّمَنِّي
وَلَوْ أَنِّي صَدَقْتُ ٱلزُّهْدَ عَنْهَا   قَلَبْتُ لِأَهْلِهَا ظَهْرَ ٱلْمِجَنِّ ١
يَظُنُّ ٱلنَّاسُ بِي خَيْرًا وَإِنِّي   لَشَرُّ ٱلْخَلْقِ،إِنْ لَمْ تَعْفُ عَنِّي

١٢٠ لا تأمن الموت

[قال يعظ الرشيد :]

لَا تَأْمَنِ ٱلْمَوْتَ فِي طَرْفٍ وَلَا نَفَسٍ   وَلَوْ تَسَتَّرْتَ بِٱلْأَبْوَابِ وَٱلْحَرَسِ ٢
وَٱعْلَمْ بِأَنَّ سِهَامَ ٱلْمَوْتِ قَاصِدَةٌ   لِكُلِّ مُدَّرِعٍ مِنَّا وَمُتَّرِسِ ٣
تَرْجُو ٱلنَّجَاةَ وَلَمْ تَسْلُكْ مَسَالِكَهَا   إِنَّ ٱلسَّفِينَةَ لَا تَجْرِي عَلَى ٱلْيَبَسِ ٤

١٢١ لِدوا للموت

لِدُوا لِلْمَوْتِ وَٱبْنُوا لِلْخَرَابِ   فَكُلُّكُمُ يَصِيرُ إِلَى تَبَابِ ٥

١ قلبتُ لاهلها ظهر المجنّ : تغيّرتُ عليهم . ٢ الطرف : العين . ٣ المدّرع : لابس الدّرع ؛ والمترّس : حامل التّرس . ٤ اليبس : الارض الصلبة . ٥ التباب : الهلاك .

أَلَا يَا مَوْتُ لَمْ أَرَ مِنْكَ بُدًّا ... أَتَيْتَ وَمَا تَحِيفُ وَلَا تُحَابِي[1]
كَأَنَّكَ قَدْ هَجَمْتَ عَلَى مَشِيبِي ... كَمَا هَجَمَ ٱلْمَشِيبُ عَلَى ٱلشَّبَابِ

١٢٢ كلّنا بائدٌ

[كتبها على البديهة في ظهر كتاب :]

أَلَا إِنَّنَا كُلَّنَا بَائِدُ ... وَأَيُّ بَنِي آدَمٍ خَالِدُ
وَبَدْؤُهُمُ كَانَ مِنْ رَبِّهِمْ ... وَكُلٌّ إِلَى رَبِّهِ عَائِدُ
فَيَا عَجَبًا كَيْفَ يَعْصِي ٱلْإِلٰهَ ... أَمْ كَيْفَ يَجْحَدُهُ ٱلْجَاحِدُ
وَلِلّٰهِ فِي كُلِّ تَحْرِيكَةٍ ... وَفِي كُلِّ تَسْكِينَةٍ شَاهِدُ
وَفِي كُلِّ شَيْءٍ لَهُ آيَةٌ ... تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ ٱلْوَاحِدُ

١٢٣ مناهج السادات

أُسْلُكْ بُنَيَّ مَنَاهِجَ ٱلسَّادَاتِ ... وَتَخَلَّقَنَّ بِأَشْرَفِ ٱلْعَادَاتِ
لَا تُلْهِيَنَّكَ عَنْ مَعَادِكَ لَذَّةٌ ... تَفْنَى وَتُورِثُ دَائِمَ ٱلْحَسَرَاتِ[2]
إِنَّ ٱلسَّعِيدَ غَدًا زَهِيدٌ قَانِعٌ ... عَبَدَ ٱلْإِلٰهَ بِأَخْلَصِ ٱلنِّيَّاتِ
أَقِمِ ٱلصَّلَاةَ لِوَقْتِهَا بِشُرُوطِهَا ... فَمِنَ ٱلضَّلَالِ تَفَاوُتُ ٱلْمِيقَاتِ
وَإِذَا ٱتَّسَعْتَ بِرِزْقِ رَبِّكَ فَٱجْعَلَنْ ... مِنْهُ ٱلْأَجَلَّ لِأَوْجُهِ ٱلصَّدَقَاتِ
فِي ٱلْأَقْرَبِينَ وَفِي ٱلْأَبَاعِدِ تَارَةً ... إِنَّ ٱلزَّكَاةَ قَرِينَةُ ٱلصَّلَوَاتِ
وَٱرْعَ ٱلْجِوَارَ لِأَهْلِهِ مُتَوَرِّعًا ... بِقَضَاءِ مَا طَلَبُوا مِنَ ٱلْحَاجَاتِ
وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ إِنْ مُنِحْتَ إِمَارَةً ... وَٱرْغَبْ بِنَفْسِكَ عَنْ رَدَى ٱللَّذَّاتِ[3]

---

١ تحيف : تظلم . ٢ المعاد : الآخرة . ٣ اخفض جناحك : تواضع ولا تتكبّر .

١٢٤ الموت لا يلعب

أَنَلهو ، وأَيَّامُنا تَذهَبُ وَنَلعَبُ وَٱلمَوتُ لا يَلعَبُ
عَجِبتُ لِذِي لَعِبٍ قَد لَهَا عَجِبتُ وَمَا لِيَ لَا أَعجَبُ
أَيَلهو وَيَلعَبُ مَن نَفسُهُ تَمُوتُ وَمَنزِلُهُ يَخرَبُ
نَرَى كُلَّ مَا سَاءَنَا دَائِماً عَلَى كُلِّ مَا سَرَّنَا يَغلِبُ
نَرَى ٱللَّيلَ يَطلُبُنَا وَٱلنَّهارُ وَلَم نَدرِ أَيُّهُمَا نَطلُبُ
أَحاطَ ٱلجَدِيدَانِ جَمعاً بِنَا فَلَيسَ لَنَا عَنهُمَا مَهرَبُ[1]
وَكُلٌّ لَهُ مُدَّةٌ تَنقَضِي وَكُلٌّ لَهُ أَثَرٌ يُكتَبُ

ميزته : يمتاز شعره بلطف المعاني وسهولة الالفاظ وقلة التكلف، غير أنّ فيه شيئاً من الساقط المرذول، وقد قال عنه الاصمعيّ : «إنّ شعر ابي العتاهية كساحة الملوك يقع فيها الجوهر والذهب والتراب والنوى» وهو الذي نهج للشعراء مناهج الزهد والعظات فاقتفوا أثره فيها وشهرته تقوم بالزهد والحكم وضرب الامثال .

في النثر

ابن المقفَّع (٧٢٤ ــ ٧٥٩ م/١٠٦ ــ ١٤٢ ﻫ)

[ابن المقفَّع فارسيّ شديد التمسُّك بفارسيته يريد ان يقلب الوضع العربيّ في السياسة والحكم والعادات، ويقيم مكانه وضعاً فارسياً ، وقد أنشأ عدّة كتب ورسائل في هذا الصدد، وكانت رسالة الصحابة وكتاب كليلة ودمنة من أقوى ما وجّهه الى العقلية العربية ، ومن أقوى ما رمى به اساليب السلطان العربيّ ومقوّمات المجتمع العباسيّ .]

---

١ الجديدان : الليل والنهار .

ا – رسالة الصحابة :

١٢٥ إصلاح الجند وفوضى الاحكام

إصلاح جند الدولة :

... فمن الامور التي يُذكرُ بها اميرُ المؤمنين، أمتع الله به أمرَ هذا الجند من اهل خراسان، فإنهم جند لم يُدرك مثلهم في الاسلام، وفيهم منَعة بها يتمّ فضلهم ان شاء الله . أما هم فأهلُ بصر بالطاعة، وفضلٍ عند الناس، وعفافِ نفوس وفُروج، وكفٍّ عن الفساد، وذلٍّ للولاة؛ فهذه حالٌ لا نعلمُها توجد عند أحدٍ غيرهم . واما ما يحتاجون فيه الى المنعَة من ذلك تقويمُ ايديهم ورأيهم وكلامهم، فان في ذلك اليوم اختلاطاً من رأس مفرط غالٍ، وتابع متحيّر شاك، ومن كان انما يصول على الناس بقومٍ لا يعرفُ منهم المُوافقة في الرأي والقول والسيرة، فهو كراكب الاسد الذي يُوجل من رآه، والراكبُ أشدّ وجلاً . فلو أنّ امير المؤمنين كتبَ لهم أماناً معروفاً بليغاً وجيزاً محيطاً بكل شيء، يجب ان يقول فيه، ويكفّوا عنه، بالغاً في الحجة، قاصراً عن الغلو، يحفظه رؤساؤهم، حتى يقود به دهماءهم[1]، ويتعهّد به منهم من لا يؤبه له من عُرض[2] الناس، لكان ذلك إن شاء الله لرأيهم صلاحاً، وعلى من سواهم حجةً، وعند الله عذراً ...

فوضى الاحكام :

... ومما ينظر امير المؤمنين فيه من أمر هذين المصرين وغيرهما من الامصار والنواحي اختلاف هذه الاحكام المتناقضة التي قد بلغ اختلافها امراً عظيماً في الدماء والفروج والاموال، فيستحل الدم والفرج بالحيرة، وهما يحرّمان بالكوفة، ويكون مثل ذلك الاختلاف في جوف الكوفة، فيُستحل في ناحية منها ما يحرم في ناحية اخرى، غير أنه على كثرة ألوانه نافذ على المسلمين في دمائهم وحرمهم،

١ الدّهماء : العامّة البسيطة . ٢ عُرض الناس : العامّة .

يقضي به قُضاةٌ جائز امرهم وحكمهم، مع أنه ليس مما ينظر في ذلك من اهل العراق وأهل الحجاز فريق إلا قد لجَّ بهم العجب بما في ايديهم، والاستخفاف بمن سواهم، فاقحمهم ذلك في الامور التي يشنع بها من سمعها من ذوي الالباب. أما من يدّعي لزوم السنّة منهم، فيجعل ما ليس له سنّةٌ سنّةً، حتى يبلغ ذلك به الى أن يسفك الدم بغير بيّنة ولا حجّة، على الامر الذي يزعم انه سنّة. وإذا سئل عن ذلك لم يستطع أن يقول هُريق فيه دم على عهد رسول الله صلّى الله عليه وسلم أو أئمة الهدى من بعده، واذا قيل له اي دم سفك على هذه السنّة التي تزعمون قالوا: فعل ذلك عبد الملك بن مروان، او امير من بعض أولئك الامراء؛ واما من يأخذ بالرأي فيبلغ به الاعتزام على رأيه أن يقول في الامر الجسيم من امر المسلمين قولًا لا يوافقه عليه أحد من المسلمين، ثم لا يستوحش لانفراده بذلك وإمضائه الحكم عليه، وهو مُقِرٌّ أنه رأي منه لا يحتج بكتاب ولا سنّة. فلو رأى امير المؤمنين أن يأمر بهذه الاقضية والسير المختلفة فترفع اليه في كتاب، ويرفع معها ما يحتج به كل قوم من سنّة او قياس، ثم نظر امير المؤمنين في ذلك وامضى في كل قضية رأيه الذي يلهمه الله ويعزمُ له عليه[1]، وينهى عن القضاء بخلافه، وكتب بذلك كتاباً جامعاً، لرجونا أن يجعل الله هذه الاحكام المختلطة الصواب بالخطإ حكماً واحداً صواباً؛ ورجونا أن يكون اجتماع السير قربة لإجماع الامر برأي امير المؤمنين وعلى لسانه، ثم يكون ذلك من إمام آخر، آخر الدهر إن شاء الله . . .

ميزة الرسالة : جعل ابن المقفع هذه الرسالة دستورًا تسير عليه مملكة آل العباس، دستورًا مبنيًا في مضمونه الإصلاحي على تاريخ الفرس ونظمهم السياسية والإدارية . وابن المقفع يُقيم دستوره الإصلاحيّ هذا على أساسٍ مكين من البراهين والحجج .

---

١ يعزم له عليه : اي يأمره به .

ب — رسائله الاخرى :

١٢٦ رسالة تعزية

[ومن رسائله ما كتبه الى صديق يعزيه قال :]

أما بعد فإنَّ أمر الآخرة والدنيا بيد الله وهو يدبّرُهما ويقضي فيهما ما يشاء، لا رادَّ لقضائه ولا مُعقِّبَ[1] لحكمه فانَّ الله خلق الخلق بقدرته، ثم كتب عليهم الموت بعد الحياة لئلا يطمعَ أحدٌ من خلقه في خُلد الدنيا، ووقّت لكلِّ شيءٍ ميقات أجلٍ لا يستأخرون عنه ساعةً ولا يستقدمون، فليس احدٌ من خلقه إلا هو مستيقن بالموت لا يرجو أن يخلّصه من ذلك احدٌ . نسألُ الله تعالى خيرَ المنقلب. وبلغني وفاة فلان فكانت وفاته من المصائب العظام التي يُحتسب ثوابُها من ربّنا الذي اليه مُنقلبُنا ومعادُنا وعليه ثوابُنا .

فعليك بتقوى الله والصبر وحُسن الظن بالله فإنه جعل لاهل الصبر صلوات منه ورحمةً وجعلهم من المهتدين .

ج — الأدب الصغير :

١٢٧ تصرّف العاقل

على العاقل أن لا يستصغر شيئاً من الخطإ في الرأي، والزَّلل في العلم، والإغفال في الامور . فإنَّ من استصغر الصغير أوشك أن يجمع اليـه صغيراً وصغيراً، فإذا الصغير كبير . وإنما هي ثُلَمٌ[2] يثلمها العَجزُ والتضييع . فإذا لم تُسدَّ أوشكت أن تنفجر بما لا يُطاق . ولم نَرَ شيئاً قطُّ قد أُتِيَ إلّا من قِبل الصغير المتهاون به .

---

١ عقّب الحاكم الحكم : ردّه وحكم بغيره . ٢ الثلم : جمع ثلمة، وهي الفرجة التي تتسبّب عن كسر او تهدّم .

قد رأينا المُلك يُؤتى من قبل العدوّ المحتقر . ورأينا الصحّة تؤتى من الداء الذي لا يُحفل به . ورأينا الانهار تنبثق[1] من الجدول الذي يُستخفّ به . وأقلّ الامور احتمالًا للضياع المُلك، لانه ليس منه شيء يضيعُ ، وإن كان صغيراً ، إلا اتصل بآخر يكون عظيماً .

وعلى العاقل أن يعرف أنّ الرأي والهوى متعاديان ، وأنّ من شأن الناس تسويف[2] الرأي وإسعاف الهوى ؛ فيخالف ذلك ويلتمس أن لا يزال هواه مُسوَّفاً ورأيه مُسعفاً .

لا يُستطاع السلطان إلا بالوزراء والاعوان، ولا تنفع الوزراء إلّا بالمودّة والنصيحة، ولا المودّة إلا مع الرأي والعفاف . وأعمال السلطان كثيرة، وقلّما تُستجمع الخصال المحمودة عند أحد ، وإنما الوجه في ذلك والسبيل اليه الذي يستقيم به العمل أن يكون صاحب السلطان عالمًا بأمور من يُريد الاستعانة به، وما عند كل رجل من الرأي والغناء[3]، وما فيه من العيوب . فإذا استقرّ ذلك عنده عن علمه وعلم من يأتمن، وجّه لكلّ عمل مَن قد عرفَ أنّ عنده من الرأي والنجدة والامانة ما يحتاج اليه فيه ؛ وأنّ ما فيه من العيوب لا يُضرّ بذلك . ويتحفّظ من أن يُوجّه أحداً وجهاً لا يُحتاج فيه الى مُروءة، إن كانت عنده، ولا يأمنُ عيوبه وما يكرَه منه .

ثم على الملوك، بعد ذلك، تعهّد عمّالهم وتفقّد أمورهم، حتى لا يخفى عليهم إحسان محسن ولا إساءة مُسيء .

ثم عليهم، بعد ذلك، أن لا يتركوا محسناً بغير جزاء، ولا يُقرّوا مُسيئاً ولا عاجزاً على الإساءة والعجز ؛ فإنهم إن تركوا ذلك تهاون المحسِن، واجترأ المُسيء، وفسد الامر، وضاع العمل .

رأس الذنوب الكذب، هو يؤسسها، وهو يتفقّدها ، ويثبّتها . ويتلوّن

[1] تنبثق : تصدر . [2] التسويف : التأخير . [3] الغناء : الكفاية .

ثلاثة ألوان : بالأمنيّة والجحود[1] والجدَل . يبدأ صاحبه بالأمنيّة الكاذبة فيما يُزيِّن له من السَّوءات، فيشجّعه عليها بأنَّ ذلك سيخفى . فإذا ظهر عليه قابلَه بالجحود والمكابرة . فإن أعياه ذلك ختم بالجدل فخاصم عن الباطل[2]، ووضع له الحُجج، والتمس به التثبُّت، وكابر الحقّ حتى يكون مُسارعاً للضلالة ومكابراً بالفواحش .

لا يثبت دين المرء على حالةٍ واحدةٍ أبداً ، ولكنّه لا يزال إمّا زائداً وإمّا ناقصاً .

وكان يُقال : الرجال أربعة : إثنان تختبر ما عندهما بالتجربة ، واثنان قد كُفيت تجربتهما . فأمّا اللذان تحتاج إلى تجربتهما، فإن أحدهما برٌّ كان مع أبرار، والآخر فاجرٌ كان مع فُجّار، فإنك لا تدري، لعلّ البرَّ منهما، إذا خالطَ الفُجّار، أن يتبدّل فيصير فاجراً ؛ ولعلّ الفاجر منهما، إذا خالطَ الابرار، أن يتبدّل فيصير برّاً ؛ فيتبدّل البرُّ فاجراً والفاجر برّاً .

وأما اللذان قد كفيت تجربتهما، وتبيَّن لك ضوء أمرهما، فإنَّ أحدهما فاجرٌ كان في أبرار، والآخر برٌّ كان في فُجّار .

لا يؤمننّك شرَّ الجاهل قرابةٌ ولا جِوارٌ ولا إلفٌ . فإنَّ أخوف ما يكون لحريق النار أقرب ما يكون منها . وكذلك الجاهل، إن جاورك أنصبك[3]، وإن ناسبك[4] جنى عليك، وإن ألِفك حمل عليك ما لا تُطيق، وإن عاشرك آذاك وأخافك . مع أنّه عند الجوع سبُعٌ ضارٍ، وعند الشِّبَع ملكٌ فظٌّ، وعند الموافقة في الدين قائدٌ الى جهنم . فأنت بالهرب منه أحقُّ منك بالهرب من سُمّ الاساود[5]، والحريق المخوف، والدَّين الفادح، والداء العياء[6] .

ما التبعُ والاعوان والصديق والحشم[7] إلّا للمال . ولا يظهر المروءة إلّا

---

١ الجحود : الانكار . ٢ الباطل : قول الكذب . ٣ انصبك : اتعبك .
٤ ناسبك : كنت بنسب معه . ٥ الاساود ج أسود وهو الحية العظيمة . ٦ الداء العياء : الذي لا يبرأ منه . ٧ الحشم : خاصّة الرجل من أهل وعبيد .

المال . ولا الرأي والقوة إلا بالمال . ومن لا إخوان له فلا أهل له . ومن لا أولاد له فلا ذكر له . ومن لا عقل له فلا دنيا له ولا آخرة . ومن لا مال له فلا شيء له . والفقر داعيةٌ الى صاحبه مقت الناس، وهو مسلبة للعقل، ومذهبة للعلم والادب، ومعدن للتهمة، ومجمعة للبلايا . ومن نزل به الفقر والفاقة[1] لم يجد بُدّاً من ترك الحياء . ومَن ذهب حياؤه ذهب سروره، ومن ذهب سروره مُقِت، ومن مُقِت أُوذي، ومن أُوذي حزن، ومن حزن ذهبَ عقلُه واستنكر حفظه وفهمه، ومن أُصيب في عقله وفهمه وحفظه كان أكثر قوله وعمله فيما يكون عليه لا له . فإذا افتقر الرجل اتَّهمه من كان له مؤتمناً، وأساء به الظنَّ من كان يظنُّ به حسناً . فإن أذنب غيره أظنُّوه[2]، وكان للتُّهمة وسوء الظنّ موضعاً . وليس خلّة[3] هي للغنيّ مدحٌ إلّا هي للفقير عيب : فإن كان شجاعاً سمّي أهوج، وإن كان جواداً سمّي مفسداً، وإن كان حليماً سمّي ضعيفاً، وإن كان وقوراً سمّي بليداً، وإن كان لَسِناً سمّي مهذاراً[4]، وإن كان صموتاً سمّي عَيِيّاً .

د ـــ الادب الكبير :

١٢٨ السلطان وما يتعلق به

إعلم أنّ المُلك ثلاثة : مُلك دِين ومُلك حَزم وملك هوًى . فأمّا مُلكُ الدين فإنه اذا أُقيم لاهله دِينهم، وكان دينهم هو الذي يُعطيهم مالهم، ويُلحق بهم الذي عليهم[5]، أرضاهم ذلك، ونزّل الساخط منهم منزلة الراضي في الاقرار والتسليم . وأمّا مُلكُ الحزم فإنه يقوم به الامر، ولا يَسلم من الطّعن والتسخّط . ولن يضرَّ طعنُ الذليل مع حزم القويّ . وأما مُلكُ الهوى فلعب ساعةٍ ودمارُ دهرٍ .

اذا كان سلطانك[6] عند جِدّة[7] دولةٍ، فرأيت أمراً استقام بغير رأي، وأعواناً

---

١ الفاقة : الفقر والحاجة . ٢ أظنّوه : اتهموه . ٣ الخلة : الخصلة . ٤ المهذار : الكثير الكلام الساقط . ٥ الذي عليهم : اي ما عليهم ان يؤدّوه من المال للملك .
٦ السلطان : السلطة والولاية . ٧ الجدة : الجديد من كلّ شيء .

جَزَوْا[1] بغير نيل[2] وعملا أنجح[3] بغير حزم، فلا يغرّنّك ذلك، فلا تستنم[4] اليه. فانّ الامر الجديد مما تكون له مهابة في أنفس أقوام، وحلاوة في أنفس آخرين، فيُعين قومٌ بأنفسهم، ويعين قوم بما قِبَلهم. ويستتب بذلك الامر غير طويل. ثمّ تصير الشؤون إلى حقائقها وأصولها. فما كان من الامر بُني على غير أركان وثيقة، ولا عِمادٍ[5] مُحكم أوشك أن يتداعى ويتصدّع.

وليتّقِ أن يكون حلّافاً، فأحقّ الناس باتقاء الأيمان الملوك، فإنما يحمل الرّجل على الحلف إحدى هذه الخلال: إمّا مَهانة يجدها في نفسه، وضَرَعٌ[6]، وحاجة إلى تصديق الناس إيّاه. وإمّا عِيٌّ[7] بالكلام حتى يجعل الايمان له حشواً ووَصلاً. وإمّا تُهمةٌ قد عرفها من الناس لحديثه فهو يُنزل نفسه منزلة مَن لا يُقبل منه قوله إلا بعد جَهد اليمين. وإمّا عبثٌ في القول، أو إرسال اللسان على غير روّية ولا تقدير.

إنّ الوالي لا عِلم له إلا ما قد علم قبل ولايته. فأمّا إذا وليَ فكلّ الناس يَلقاه بالتزيين والتصنّع[8]، وكلُّهم يحتال لِأن يُثنى عليه عنده بما ليس فيه. غير أنّ الارذال والأنذال هُم أشدّ لذلك تصنُّعاً، وعليه مكابرَةً، وفيه تمحّلاً[9]. فلا يمتنع الوالي، وإن كان بليغ الرأي والنظر، من أن ينزل عنده كثيرٌ من الاشرار بمنزلة الاخيار، وكثيرٌ من الخانة[10] بمنزلة الأمناء، وكثيرٌ من الغدَرة بمنزلة الاوفياء. ويُغطّى عليه أمر كثير من أهل الفضل الذين يصونون أنفسهم عن التمحّل والتصنّع.

إن ابتليت بصحبة والٍ لا يريد صلاح رعيّة، فاعلم أنك قد خُيّرت بين خلّتين ليس بينهما خِيار: إما ميلك مع الوالي على الرعية، وهذا هلاك الدين؛ وإما الميل

---

١ جزَوا: كافأوا. ٢ النيل: العطاء. ٣ أنجح: نجح. ٤ استنام: اطمأن.
٥ العماد: الابنية الرفيعة. ٦ الضرع: الخضوع والاستكانة. ٧ العيّ: العجز.
٨ التزيين والتصنع: تكلف المظاهر الجميلة. ٩ التمحّل: الاحتيال. ١٠ الخانة: الخوَنة.

مع الرعية على الوالي، وهذا هلاك الدنيا، ولا حيلة لـك إلا بالموت أو الهرب. واعلم أنه لا ينبغي لك، وإن كان الوالي غير مرضيِّ السيرة اذا علقت حبالـك بحبله، إلا المحافظة عليه، إلا أن تجد الى الفراق الجميل سبيلاً.

لا تكوننَّ صحبتك للملوك إلا بعد رياضة منك لنفسك عـلى طاعتهم في المكروه عندك، وموافقتهم فيما خالفك، وتقدير الامور على ميلهم دون ميلـك؛ وعلى ان لا تكتمهم سرَّك، ولا تستطلع ما كتموه، وتُخفي ما أطلعوك عليه من الناس كلهم، حتى تحمي نفسك الحديث به؛ وعلى الاجتهاد في رضاهم، والتلطُّف[1] لحاجتهم، والتثبيت لحجّتهم، والتصديق لمقالاتهم، والتزيين لرأيهم؛ وعلى قلّة الاستقباح لما فعلوا، إذا أساؤوا، وترك الاستحسان لما فعلوا، اذا أحسنوا، وكثرة النشر لمحاسنهم وحسن الستر لمساوئهم؛ والمقاربة لمن قاربوا، وإن كان بعيداً، والمباعدة لمن باعدوا، وان كانوا أقرباء؛ والاهتمام بأمرهم، وان لم يهتمّوا به، والحفظ له، وان ضيّعوه، والذكر له، وان نسوه؛ والتخفيف عنهم لمؤونتك، والاحتمال لهم كل مؤونـة؛ والرِّضى عنهم بالعفو[2]، وقلّة الرِّضى من نفسك لهم بالمجهود[3]. فإن وجدت عنهم وعن صحبتهم غنًى، فأغنِ عن ذلك نفسك، واعتزله جُهدك. فانَّ من يأخذ عملهم يحول بينه وبين لذّة الدنيا، وعمل الآخرة. ومن لا يأخذ بحقه[4] يحتمل الفضيحة في الدنيا، والوزر[5] في الآخرة. إنك لا تأمن أنفهم[6] إن أعلمتهم[7]، ولا عقوبتهم، إن كتمتهم. ولا تأمن غضبهم، ان صدقتهم. ولا تأمن سلوتهم[8]، ان حدّثتهم. ان لزمتهم، لم تأمن تبرُّمهم[9] بك. وان زايلتهم[10] لم تأمن عقابهم. إنـك ان تستأمرهم[11] حملت المؤونة عليهم؛ وان قطعت الامر دونهم لم تأمن فيه مخالفتهم. انهم ان سخطوا عليك أهلكوك. وان رُضوا عنك تكلّفت من رضاهم مـا لا

---

١ التلطف: الترفق. ٢ اي ان تظهر رضاك لانك تنال منهم عفواً. ٣ اي بما تبذله من جهد. ٤ بحقه: اي بحق عملهم. ٥ الوزر: الاثم. ٦ انفهم: استكبارهم واستنكافهم. ٧ ان اعلمتهم: اي اعلمتهم الحق في عملهم الذي تتولى امره. ٨ سلوتهم: نسيانهم اياك وتسليهم بسواك. ٩ تبرمهم: تضجرهم. ١٠ زايلتهم: ابتعدت عنهم. ١١ تستأمرهم: تشاورهم بالامر.

تطيق . فان كنت حافظاً ان بَلوك[١]، جَلداً[٢] ان قرّبوك ، أميناً ان ائتمنوك، تشكرُهم ولا تكلفهم الشكر، بصيراً بأهوائهم مؤثراً لمنافعهم ، ذليلاً ان ظلموك راضياً ان أسخطوك، و إلا فالبعد منهم كلّ البعد، والحذر كلّ الحذر .

١٢٩ الصديق وما يتعلق به

أبذل لصديقك دمك ومالك ، ولمعرفتك[٣] رِفدك[٤] ومحضرك[٥] . وللعامّة بِشرك وتحنُّنك . ولعدوّك عدلك . وأضنن[٦] بدينك وعِرضك عن كل احد .

ان سمعت من صاحبك كلاماً أو رأياً يُعجبك، فلا تنتحله تزيُّناً به عند الناس ؛ واكتفِ من التزيين بأن تجتني الصواب، اذا سمعته، وتنسبه الى صاحبه . واعلم أنّ انتحالك ذاك سخطةٌ لصاحبك، وأنّ فيه، مع ذلك، عاراً؛ فان بلغ ذلك بك ان تشير برأي الرجل وتتكلّم بكلامه، وهو يسمع، جمعت، مع الظلم، قلّة الحياء؛ وهذا من سوء الادب الفاشي بين الناس . ومن تمام حسن الخلق والادب أن تسخو نفسك لاخيك بما انتحل من كلامك ورأيك، وتنسب اليه رأيه وكلامه ، وتزيّنه، مع ذلك، ما استطعت .

لا تُكثرنّ ادّعاء العلم في كل ما يعرض، فإنك من ذلك بين فضيحتين : إمّا ان يُنازعوك فيما ادّعيت، فيُهجم منك على الجهالة والصلف[٧]؛ و إما ألا يُنازعوك، ويُخلُّوا الامور في يديك، فينكشف منك التصنُّع والمعجزة[٨] .

إستحي الحياء كلّه من أن تُخبر صاحبك أنك عالمٌ وأنه جاهل، مُصرِّحاً أو معرِّضاً؛ وان استطلت على الاكفاء، فلا تثقنّ منهم بالصفاء .

ذلِّل نفسك[٩] بالصبر على جار السوء، وعشير السوء، وجليس السوء، فان ذلك

---

١ بلوك : جربوك واختبروك . ٢ جلداً : قوياً صبوراً . ٣ معرفتك : اي الذي تعرفه من الناس . ٤ الرفد : العطاء . ٥ المحضر : الحضور . ٦ اضنن : لا تجد . ٧ الصلف : التكبر . ٨ المعجزة : العجز . ٩ ذلّل نفسك : لينها وعودها .

ما لا يكاد يُخطئك[١] فان الصبر صبران : صبر الرجل على ما يكره، وصبره على ما يحب . فالصبر على المكروه اكثرهما وأشبههما ان يكون صاحبه مضطراً . واعلم ان اللئام أصبر أجساداً، والكرام اصبر نفوساً . وليس الصبر الممدوح بأن يكون جِلد الرجل وقاحاً[٢]، أو رِجله قويّة على المشي، او يده قويّة على العمل ؛ فانما هذا من صفات الحمير . ولكن ان يكون للنفس غلوباً، وللامور محتملاً، وفي الضُرِّ[٣] متجمِّلاً[٤]، ولنفسه عند الرأي والحفاظ[٥] مُرتبطاً، وللحزم مُؤثراً، وللهوى[٦] تاركاً، وللمشقّة التي يرجو[٧] عاقبتها مستخفاً، وعلى مجاهدة الاهواء والشهوات مواظباً، ولبصره بعزمه مُنفذاً .

ليكن مما تصرف به الاذى والعذاب عن نفسك ألّا تكون حسوداً . فانّ الحسد خُلقٌ لئيم . ومن لؤمه أنه يوكّلُ بالادنى فالادنى[٨] من الاقارب والاكفاء والخُلطاء . فليكن ما تُقابل به الحسد أن تعلم أنّ خير ما تكون حين تكون مع من هو خير منك . وانّ غُنماً لك ان يكون عشيرك وخليطك افضل منك في العلم، فتقتبس من علمه؛ وأفضل منك في القوّة، فيدفع عنك بقوّته ؛ وافضل منك في المال، فتفيد من ماله؛ وافضل منك في الجاه، فتصيب حاجتك بجاهه ؛ وأفضل منك في الدين، فتزداد صلاحاً بصلاحه .

اعلم أنّ من أوقع الامور[٩] في الدّين، وأنهكها للجسد، وأتلفها للمال، واضرّها بالعقل، واسرعها في ذهاب الجلالة والوقار الغرامَ بالنساء . ومن البلاء على المغرم بهنّ أنه لا ينفكّ يأجم[١٠] ما عنده، وتطمح عيناه الى ما ليس عنده منهنّ . وانما النساء اشباه . وما يُرى في العيون والقلوب من فضل مجهولاتهنّ باطل وخدعة . بل كثيرٌ مما يرغب عنه الراغب مما عنده أفضل مما تتوقُ اليه نفسه . وإنما المترغّب

١ يُخطئك : لا يصيبك . ٢ الوقاح : الصلب . ٣ الضر : الشدّة . ٤ متجملاً : متصبراً . ٥ الحفاظ : الغضب . ٦ الهوى : ميل النفس الى ما تحب . ٧ يرجو : ينتظر . ٨ يُوكّل بالادنى فالادنى : يلزم الأدنَين والاقارب . ٩ اوقع الامور : اي اشدها وقعاً . ١٠ يأجم : يكره ويَمل .

عمّا في رَحله[1] منهنّ الى ما في رحال الناس كالمترّغب عن طعام بيته الى ما في بيوت الناس . بل النساء بالنساء أشبه من الطعام بالطعام . وما في رِحال الناس من الاطعمة اشدُّ تفاضُلًا وتفاوتاً ممّا في رِحالهم من النساء . . ومن العجب ان الرجل الذي لا بأسَ في لُبّه[2] يرى المرأة من بعيد متلفّفة في ثيابها، فيصوّر لها في قلبه الحسن والجمال، حتى تعلقَ بها نفسه من غيرِ رؤية ولا خبرِ مخبرٍ . ثم لعلّه يهجمُ منها على أقبح القُبح وأدمِ الدمامة[3]، فلا يعظه ذلك عن أمثالها، ولا يزال مشغوفاً بما لم يذُق، حتى لو لم يبقَ في الارض غيرِ امرأةٍ واحدةٍ لَظنَّ أنَّ لها شأناً غير شأنِ ما ذاق، وهذا هو الحمقُ والشقاء . ومن لم يحم نفسه ويظلفها[4] ويَجلُها[5] عن الطعام والشراب والنساء في بعض ساعات شهوته وقدرته، كان أيسر ما يصيبه من وبال[6] أمره انقطاع تلك اللذّات عنه بخمود نار شهوته، وضعفِ عوامل جسده . وقلَّ مَن تجد إلّا مخادعاً لنفسه في أمر جسده، عند الطعام والشراب والحمية والدواء؛ وفي أمر مروءته، عند الاهواء والشهوات؛ وفي أمر دينه، عند الرّيبة[7] والشُّبهة[8] والطمع .

تعلّم حُسن الاستماع كما تتعلّم حسن الكلام . ومن حُسن الاستماع إمهال المتكلِم حتى يقضي حديثه، وقلّة التلفُّت الى الجواب، والإقبال بالوجه والنظر الى المتكلّم، والوعي[9] لِما يقول .

ميزة الادبين الصغير والكبير : في الكتابين أثر هندي وفارسي، وفيهما اعتماد على العقل في كل شيء، وسموّ في الاخلاق والتفكير؛ ولا يخلو الاسلوب فيهما من تقطّع وتعقيد .

هـ — كليلة ودمنة :

١٣٠ الأسد والثور

[يمثل هذا الباب السلطة العليا في الملك والحياة في البلاط وما يكون فيها من

---

١ الرحل : مسكن الرجل . ٢ اللبّ : العقل . ٣ الدمامة : قبح المنظر وصغر الجسم . ٤ يظلفها : يمنعها ان تفعله . ٥ يجلُها : يبعدها . ٦ الوبال : سوء العاقبة . ٧ الريبة : الشك والتهمة . ٨ الشبهة : الالتباس . ٩ الوعي : الحفظ .

مكايد وسعايات ؛ ويمثل قلة الفطنة عند بعض الملوك في تقريب الناس اليهم وعدم تبصّرهم في الاصغاء لوشاية المحتالين .]

قال دبشليم الملك لبيدبا الفيلسوف، وهو رأس البراهمة : إضرب لي مثلاً لمتحابين يقطع بينهما الكذوب المحتال، حتى يحملها على العداوة والبغضاء .

قال بيدبا : اذا ابتُلِيَ المتحابان بأن يدخل بينهما الكذوب المحتال، لم يلبثا ان يتقاطعا ويتدابرا[١] . ومن أمثال ذلك أنه كان بأرض دستاوَند رجلٌ شيخٌ له ثلاثة بنين . فلمّا بلغوا أشدّهم، أسرفوا في مال أبيهم، ولم يكونوا احترفوا حِرفةً يكسبون بها لانفسهم خيراً . فلامهم أبوهم ووعظهم على سوء فِعلهم . وكان من قولِه لهم : يا بَنيَّ، إنَّ صاحب الدنيا يطلب ثلاثة أُمور، لن يدركها إلا بأربعة اشياء . أمّا الثلاثة التي يطلبُ : فالسَّعة في الرِّزق، والمنزلة في الناس، والزاد[٢] للآخرة . وأما الاربعة التي يحتاج اليها في دركِ هذه الثلاثة : فاكتساب المال من أحسن وجهٍ يكون، ثم حُسن القيام على ما اكتسب منه، ثم استثماره، ثم إنفاقه فيما يُصلح المعيشة، ويُرضي الاهل والإخوان، فيعود عليه نفعه في الآخرة . فمن ضيَّع شيئاً من هذه الاحوال، لم يُدرك ما اراد من حاجته . لانه، إن لم يكتسب، لم يكن له مال يعيش به . وإن هو كان ذا مال واكتساب ثمَّ لم يُحسن القيام عليه، أوشك المال ان يَفنى ويبقى مُعدِماً[٣] . وإن هو وضعه ولم يستثمره، لم تمنعه قلّة الإنفاق من سُرعة الذَّهاب، كالكحل الذي لا يؤخذ منه إلا غُبار الميل، ثم هو مع ذلك سريع فَناؤه . وإن هو اكتسب وأصلح وأثمر، ثم أمسك عن إنفاقه[٤] في وُجوهه ومنافعه، صار بمنزلة الفقير الذي لا مال له . ثم لم يَمنع ذلك أيضاً ماله من التّلف بالحوادث والعِلَل التي تجري عليه، كمَحبَس الماء الذي لا تزال المياه تنصبُّ فيه، فإن لم يكن له مخرج ومفاضٌ ومُتنفَّسٌ يخرج منه الماء بقدر ما ينبغي،

١ يتدابرا : اي يبتعد الواحد عن الآخر . ٢ الزاد : اي التزود من الاعمال الصالحة .
٣ المعدم : الفقير . ٤ انفاقه : الضمير يعود على المال المكتسب .

خرب وسال ونزّ من نواحٍ كثيرة . وربّما انبثق[١] البثق العظيم، فذهب الماء ضياعاً.

ثم إنّ بني الشيخ اتّعظوا بقول أبيهم، واخذوا به، وعلموا أنّ فيه الخير، وعوّلوا عليه . فانطلق أكبرهم في تجارة نحو أرضٍ يقال لها مَيّون . فأتى في طريقه على مكان فيه وحل كثير . وكان معه عجلة يجرّها ثوران يقال لاحدهما شتربة، وللآخر بندبة . فوحل شتربة في ذلك المكان، فعالجه الرجل وأصحابه حتى بلغ منهم الجهد فلم يقدروا على إخراجه . فذهب الرجل، وخلّف عنده رجلاً يشارفه[٢]، لعلّ الوحل ينشف، فيتبعه به . فلمّا بات الرجل بذلك المكان تبرّم[٣] به واستوحش، فترك الثور والتحق بصاحبه، فأخبره بأنّ الثور قد مات .

واما الثور فإنه خلص من مكانه وانبعث، فلم يزل حتى انتهى الى مرجٍ مخصب كثير الماء والكلإ، فأقام فيه . فلمّا سمن وأمن جعل يخور ويرفع صوته بالخوار . وكان قريباً منه أجمة[٤] فيها أسدٌ عظيم، وهو ملك تلك الناحية، ومعه سباع كثيرة من الذئاب والدببة وبنات آوى والثعالب وسائر السباع . وكان الاسد مزهوّاً[٥] منفرداً برأيه، ورأيه غير كامل . فلمّا سمع خوار الثور، ولم يكن رأى ثوراً قطّ، ولا سمع خواره، خامره[٦] منه هيبة وخشية . وكره ان يفطن لذلك جنده . فأقام بمكانه لا يبرح ولا ينشط، بل يؤتى برزقه كلّ يوم على يد جنده . وكان، فيمن معه من السباع، ابنا آوى يقال لاحدهما كليلة، وللآخر دمنة، وكلاهما ذو أدب ودهاء . وكان دمنة شرّهما نفساً، وأشدّهما تطلّعاً الى الاشياء . ولم يكن الاسد عرفهما .

فقال دمنة يوماً لاخيه كليلة : يا أخي، ما شأن الاسد مقيماً مكانه لا يبرح ولا ينشط خلافاً لعادته ؟ قال له كليلة : ما شأنك انت والمسألة عن هذا ؟ نحن على باب ملكنا، آخذين بما أحبّ، وتاركين ما يكره . ولسنا من أهل المرتبة التي يتناول أهلها كلام الملوك، والنظر في أمورهم . فأمسك عن هذا واعلم أنه من

---

١ انبثق : انفجر . ٢ يشارفه : يقوم عليه . ٣ تبرم : مل وضجر . ٤ الاجمة : الشجر الكثير الملتف . ٥ مزهوّاً : معجباً بنفسه . ٦ خامره : داخله .

تكلّف من القول والفعل ما ليس من شأنه، أصابه ما أصاب القرد من النجّار . قال دمنة : وكيف كان ذلك ؟

قال كليلة : زعموا أنّ قرداً رأى نجاراً يشقّ خشبة، وهو راكبٌ عليها . وكلّما شقّ منها ذراعاً، أدخل فيها وتداً . فوقف ينظر اليه، وقد أعجبه ذلك . ثم إنّ النجار ذهب لقضاء حاجته، فقام القرد فتكلّف ما ليس من شأنه، فركبَ الخشبة، وجعل وجهه قِبَلَ الوتد، وظهره قِبَلَ طرف الخشبة . فتدلى ذنبه في الشِقّ . ونزع الوتد، فلزم الشقّ عليه، فكاد يغشى عليه من الالم . ثم إنّ النجار وافاه، فأصابه على تلك الحالة، فأقبل عليه يضربه . فكان ما لقي من النجار من الضرب أشدّ مما أصابه من الخشبة .

قال دمنة : قد سمعت مثلك وفهمته . ولكن اعلم أنه ليس كلُّ مَن دنا من الملوك إنما يدنو منهم لبطنه، إنما البطن قد يُحشى بكل مكان . ولكنه يلتمس الرفعة والمنزل الذي يسرّ الصديق ويسوء العدوّ . وإنّ أدنى الناس وضعفاءهم القليلة مروءتهم هُمُ الذين يرضون بالدُّون[1]، ويفرحون به، كالكلب الذي يُصيب عظماً يابساً، فيفرح به . فأما أهل الفضل والمروءة فلا يُغنيهم القليل، ولا يرضون بالدُّون حتى يسموا الى ما هُم له أهل كالاسد الذي يفترس الارنب، فاذا رأى الاتان[2]، ترك الارنب وطلب الاتان . [ويتدخل دمنة في شأن الملك فيعرف سرّه، ثم يأتيه بالثور فيتحابان من دونه، فيحرّش الاسد على الثور ثم الثور على الأسد]

قال دمنة : دع عنك هذا الكلام واحتل لنفسك . قال شتربة : بأيِّ شيء أحتال لنفسي إذا اراد الاسد أكلي، مع ما عرّفتني من رأي الاسد وسوء أخلاقه . واعلم أنه لو لم يُرد بي إلّا خيراً، ثم اراد أصحابه بمكرهم وفجورهم هلاكي، لقدروا على ذلك، فإنه اذا اجتمع المكرة الظَّلَمة على البريء الصالح كانوا خُلقاء[3] أن يُهلكوه، وإن كانوا ضعفاء، وهو قويّ، كما أهلك الذئب والغراب وابن آوى الجمل، حين اجتمعوا عليه بالمكر والخلابة[4] . قال دمنة :

١ الدون : الخسيس . ٢ الاتان : انثى الحمار، والمراد هنا انثى الحمار الوحشي .
٣ خلقاء، جمع خليق : جدير . ٤ الخلابة : الخداع .

وكيف كان ذلك ؟ قال شتربة : زعموا أنَّ اسداً كان في أجمةٍ[١] مجاورةٍ لطريق من طرق الناس . وكان له أصحاب ثلاثة : ذئب وغراب وابن آوى ؛ وأنَّ رعاةً مرُّوا بذلك الطريق ، ومعهم جمالٌ ، فتخلّف عنهم جمَل ، فدخل تلك الاجمة ، حتى انتهى الى الاسد . فقال له الاسد : من اين اقبلت ؟ قال : من موضع كذا . قال : فما حاجتك ؟ قال : ما يأمرني به الملك . قال : تقيم عندنا في السعة والأمن . فاقام الجمل مع الاسد زماناً طويلاً . ثم إنَّ الاسد مضى في بعض الايام لطلب الصيد ، فلقي فيلاً عظيماً ، فقاتله قتالاً شديداً ، وأفلت منه مُثقلاً[٢] مُثخناً بالجراح يسيل منه الدمُ ، وقد خدشهُ[٣] الفيل بأنيابه . فلماَّ وصل الى مكانه وقع لا يستطيع حراكاً ، ولا يقدرُ على طلب الصيد . فلبث الذئب والغُراب وابن آوى أياماً لا يجدون طعاماً ، لانهم كانوا يأكلون من فضَلات الاسد وطعامه . فأصابهم واصابه جوع شديد وهُزالٌ . وعرف الاسد منهم ذلك ، فقال : لقد جهدتم[٤] واحتجتم الى ما تأكلون . فقالوا : لا تهمُّنا أنفسنا ، لكنَّا نرى الملك على ما نراه ، فليتنا نجد ما يأكله ويُصلحهُ . قال الاسد : ما أشكُّ في مودَّتكم وصحبتكم ، ولكن إنِ استطعتم فانتشروا لعلَّكم تصيبون صيداً تأتوني به ، فيُصيبني ويصيبكم منه رزقٌ . فخرج الذئب والغراب وابن آوى من عند الاسد ، فتنحَّوا ناحيةً وائتمروا فيما بينهم وقالوا : ما لنا ولهذا الجمل الآكل العشب الذي ليس شأنه من شأننا ، ولا رأيه من رأينا . ألا نُزيِّن للاسد فيأكله ، ويُطعمنا من لحمه ؟ قال ابن آوى : هذا ما لا نستطيع ذكره للاسد ، لانه قد أمَّن الجمل ، وجعل له ذِمَّةً[٥] . قال الغراب : أنا أكفيكم أمر الاسد . ثمَّ انطلق فدخل عليه . فقال له الاسد : هل حصَّلتم شيئاً ؟ قال الغراب : إنما يجد من يسعى ويُبصر ، أما نحن فلا سعي لنا ولا بصر لما بنا من الجوع . ولكن قد وُفقنا الى أمرٍ واجتمعنا عليه ، إن وافقنا الملك ، فنحن له مُجيبون . قال الاسد : وما ذاك ؟ قال الغراب : هذا الجمل الآكلُ

---

١ الاجمة : الشجر الكثير الملتف . ٢ المثقل : من اشتد عليه المرض والالم . ٣ خدشه : مزق جلده . ٤ جهدتم : اصابتكم الشدة . ٥ ذمة : حرمة وعهداً .

العشبَ المتمرِّغ بيننا من غير منفعةٍ لنا منه، ولا ردِّ عائدةٍ[١]، ولا عمـلٍ يُعقب مصلحةً . فلما سمع الاسد ذلك غضِب، وقال : ما أخطأ رأيك ! وما اعجز مقالك، وأبعدك عن الوفاء والرّحمة ! وما كنتَ حقيقاً[٢] أن تجترئ عليّ بهذه المقالة، وتستقبلني بهذا الخطاب، مع ما علِمت من أنّي قد أمّنت الجمل، وجعلت له من ذمّتي . أوَلم يَبلُغك أنه لم يتصدّق متصدِّق بصدَقةٍ هي أعظم أجراً ممن أمّن نفساً خائفة وحقن دماً مهدوراً ؟ وقد أمّنته ولست بغادرٍ به، ولا خافرٍ[٣] له ذمّـة . قال الغراب : إني لأعرفُ ما يقول الملك . ولكنَّ النفس الواحدة يُفتدى بها أهـل البيت، وأهل البيت تُفتدى بهم القبيلة، والقبيلة يُفتدى بها أهل المِصر[٤]، وأهـل المِصر فِدى الملِك . وقد نزلَت بالملك الحاجة، وانا اجعل له من ذمّته مَخرجاً، على أن لا يتكلّفَ الملك ذاك، ولا يليه[٥] بنفسه، ولا يأمر به أحداً . ولكنّا نحتال بحيلة لنا وله فيها صلاح وظفر . فسكت الاسد عن جواب الغراب عن هـذا الخطاب . فلمّا عرف الغراب إقرار[٦] الاسد، اتى صاحبيه فقال لهما : قـد كلّمت الاسد في أكله الجمل، على أن نجتمع نحن والجمل عند الاسد، فنذكر ما أصابه ونتوجّع له اهتماماً منّا بأمره، وحرصاً على صلاحه ؛ ويعرض كلُّ واحدٍ منّا نفسه عليه تجمُّلاً[٧] ليأكله، فيرُدُّ الآخران عليه، ويُسفِّها[٨] رأيه، ويبيّنا الضرر في أكله . فاذا جاءت نوبة الجمل صوّبنا رأيه، فهلك وسلِمنا كلُّنا، ورضي الاسد عنّا . ففعلوا ذلك وتقدّموا الى الاسد . فقال الغراب : قد احتجتَ، ايها الملك، الى ما يقوّتك . ونحن احقُّ ان نهب أنفسنا لك، فإنّا بك نعيش . فإذا هلكت، فليس لاحد منّا بقاء بعدك، ولا لنا في الحياة خيرٌ . فليأكلني الملك فقد طبت بذلـك نفساً . فأجابه الذئب وابن آوى : أنِ اسكت، فلا خير للملك في أكلك، وليس فيـك شِبع[٩] . قال ابن آوى : لكن أنا أُشبع الملك، فليأكلني، فقد رضيت بذلـك

---

١ العائدة : المنفعـة . ٢ حقيقاً : جديراً . ٣ خافر : ناقض . ٤ المصر : الكورة والمدينة المحددة . ٥ يليه : يتولاه . ٦ الاقرار : الاذعـان والموافقة .
٧ تجمّلاً : مجاملة واحياناً للعشرة . ٨ سفّهه : نسبه الى السفه، وهو خفّة الحلم، والجهل .
٩ الشبع، بتحريك الباء وتسكينها : اسم لما يُشبع .

وطبتُ نفساً . فردّ عليه الذئب والغراب بقولهما : إنك لمُنتِنٌ قذرٌ . قال الذئب : إني لستُ كذلك، فليأكلني الملك، فقد سمحتُ بذلك وطابت به نفسي . فاعترضه الغراب وابن آوى، وقالا : قد قالت الاطباء : من اراد قتل نفسه، فليأكل لحم ذئب، فإنه يأخذه منه الخُناق[1] . وظنّ الجمل أنه، اذا عرض نفسه على الاكل، التمسوا له عُذراً كما التمس بعضهم لبعض الاعذار، فيسلم ويرضى الاسد عنه بذلك، وينجو من المهالك . فقال : لكن، أنا فيَّ للملك شِبعٌ وريٌّ[2]، ولحمي طيّبٌ ومريءٌ، وبطني نظيف، فليأكلني الملكُ ويُطعم أصحابه وخدمه، فقد رضيت بذلك وطابت نفسي به . فقال الذئب وابن آوى والغراب : لقد صدق الجمل، وكرُمَ، وقال ما عرف . ثمّ إنهم وثبوا عليه فمزّقوه .

وإنما ضربتُ هذا المثل لتعلم أنه إن كان اصحاب الاسد قد اجتمعوا على هلاكي فإني لست أقدر ان أمتنع منهم ولا أحترس ، وإن كان رأيُ الاسد فيَّ على غيرِ ما هم عليه من الرأي فإنّ ذلك لا ينفعني ولا يُغني عني شيئاً . فإنه قد قيل إنّ خيرَ السلطان مَن أشبه النسر وحوله الجيف ، لا مَن أشبه الجيفة وحولها النسور . ولو أنّ الاسد لم يكن في نفسه لي إلّا الخير والرحمة، لغيّرته كثرة الاقاويل، فإنها اذا كثرت، لم تلبث أن تُذهب الرِّقّة والرأفة . ألا ترى أنّ الماء ليس كالقول ؟ وأنّ الحجر أشدّ من الانسان ؟ والماء، اذا طال تحدّره على الحجر الصَّلدِ[3]، لم يزل به حتى يثقبه ويُؤثّر فيه ؟ وكذلك القول في الانسان يؤثّر فيه . قال دمنة : فماذا تريد أن تصنع ؟ قال شتربة : ما أرى إلا الاجتهاد والمجاهدة بالقتال، فإنه، ليس للمصلّي في صلاته، ولا للمتصدّق في صدقته، ولا للورع في وَرَعه من الاجر ما للمجاهد عن نفسه، اذا كانت مجاهدته على الحق . فإنه من جاهد عن نفسه ودافع عنها كان أجره في ذلك عظيماً، وذكره رفيعاً، إن ظَفِر أو ظُفِر به .

---

١ الخناق : داء يمنع معه نفوذ النّفَس الى الرئة والقلب . ٢ الري : اسم لما يُروي العطش . ٣ الصلد : الصلب الأملس .

قال دمنة : لا ينبغي لاحد ان يخاطر بنفسه، وهو يستطيع غير ذلــك . ولكنّ ذا الرأي جاعل القتال آخر الحيَل . وبادئ قبل ذلك بما استطاع من رِفق وتمحُّل[١] . وقد قيل : لا تحقرنّ العدوَّ الضعيفَ المهينَ[٢] ، ولاسيما اذا كان ذا حيلة، ويقدر على الاعوان، فكيف بالاسد على جراءته وشدّته . فإنّ مَن حقَّر عدوّه لضعفه، أصابه مـا اصاب وكيل البحر[٣] من الطِيطوى[٤] . قال شتربة : وكيف كان ذلك ؟

قال دمنة : زعموا أنّ طائراً من طيور البحر يقال له الطِيطوى، كان وطنـه على ساحل البحر، ومعه زوجة له . فلمّا جاء اوان إفراخها، قالت الانثى للذكر : لو التمسنا مكاناً حريزاً غير هذا نُفرخ فيه ؛ فإني اخاف من البحر، إذا مدّ الماء، أن يذهب بفراخنا . فقال لها : ما أُراه يحمل علينا ؛ فان وكيل البحر يخافني ان أنتقم منه . فأفرخي في مكانك، فإنه موافقٌ لنا، والمــاء والزهر منّا قريب . قالت له : يا غافل، ما أشدّ عنادك وتصلُّبك، أما تذكر وعيده وتهدُّده إيّاك، ألا تعرف نفسك وقدرك في وعيد من لا طاقة لك به ؟ فأبى أن يُطيعها . فلما اكثرت عليه، ولم يسمع قولها، قالت له : إنّ من لم يسمع قول الناصح يُصيبه ما اصاب السُلَحفاة حين لم تسمع قول البطتين . قال الذَّكر : وكيف كان ذلك ؟

قالت الأُنثى : زعموا أنّ غديراً كان عنده عشب . وكان فيه بطّتـان . وكان في الغدير سُلَحفاةٌ، بينها وبين البطّتين مودّة وصداقة . فاتفق ان غيضَ[٥] ذلك الماء، فجاءت البطتان لوداع السلَحفاة، وقالتا : السلام عليك، فإننا ذاهبتان عن هذا المكان لاجل نقصان الماء عنه . فقالت : إنما يبين نُقصان الماء على مثلي التي كأنّي السفينة ، لا اقدر على العيش إلا بالماء، فأما انتما فتقدُران عــلى العيش حيث كنتما، فاذهبا بي معكما . قالتا : نعم . قالت : كيف السبيل الى حملي ؟

١ التمحل : الاحتيال . ٢ المَهين : الحقير الذليل . ٣ وكيل البحر : المراد به إله البحر عند الهنود . ٤ الطيطوى : ضرب من القطا او غيره من طير البحر . ٥ غيض : نقص، بالبناء على المجهول، كما يقال غاض الماء .

قالتا : نأخذ بطرَفي عودٍ، وتقبضين بفيك على وسطه، ونطير بك في الجوّ. وإيّاكِ، إذا سمعت الناس يتكلّمون، ان تنطقي! ثم اخذتاها فطارتا في الجوّ. فقال الناس : عجبٌ! سُلَحفاة بين بطتين حملتاها! فلما سمعت ذلك، قالت : فقأ الله اعينكم ايها الناس! فلما فتحت فاها بالنطق، وقعت على الارض فماتت.

قال الذكر : قد سمعت مقالتك، فلا تخافي وكيل البحر. فلما مدّ الماء دنا وكيل البحر، فذهب بفراخها. فقالت الانثى : قد عرفت في بدء الامر انّ هذا كائنٌ، وما اصابنا إنما هو بتفريطك. قال الذكر : قد قلتُ ما قلت، وانا على قولي، وسوف ترَين صنعي به وانتقامي منه. ثم مضى الى جماعة الطير، فقال لهنّ : إنكنَّ اخواتي وثقاتي، فأعِنّني. قلن : ماذا تريد ان نفعل؟ قال : تجتمعن وتذهبن معي الى سائر الطير، فنشكو اليهنّ ما لقيت من وكيل البحر. ونقول لهنّ : إنكنّ طير مثلُنا، فأعنّنا. فقالت له جماعة الطير : إن العنقاء[1] بنت الريح[2] هي سيّدتنا وملكتُنا، فاذهب بنا اليها، حتى نصيح بها، فتظهر لنا، فنشكو اليها ما نالك من وكيل البحر، ونسألها ان تنتقم لنا منه بقوّة مُلكها. ثم إنهنّ ذهبن اليها مع الطيطوى فاستغثنها، وصِحن بها، فتراءت لهنّ؛ فأخبرنها بقصتهنّ، وسألنها ان تطير معهنّ الى محاربة وكيل البحر. فأجابتهنّ الى ذلك. فلمّا علِم وكيلُ البحر ان العنقاء قد قصدته في جماعة الطير، خاف من محاربة ملِكٍ لا طاقة له به، فردَّ فِراخ الطِيطوى وصالحه. فرجعت العنقاء عنه.

وإنما حدّثتك بذلك لتعلم ان القتال لا اراه لك رأياً. قال شتربة : فما انا بمقاتِل الاسد، ولا ناصب له العداوة سرًّا ولا علانية، ولا مُتغيِّر له عمّا كنت عليه؛ حتى يبدو لي منه ما اتخوّف فأغالبُه.

١ العنقاء : طائر خرافي. ويقال لها العنقاءُ المُغرِبُ، وعنقاءُ مُغرِبٌ ومُغرِبةٌ، وعنقاءُ مُغربٍ مضافة. ٢ قوله : بنت الريح، يدل على انها في الاصل الهندي من الارباب. ولا يخفى ما بين الريح والبحر من العداء المستمر، فهي تحاربه ابداً، وتقلق راحته. ولذلك نرى اله البحر يخاف عندما يعلم ان العنقاء بنت عدوه الابدي تريد محاربته، فيرد الى الطيطوى فراخه ويصالحه. وكان الهنود يعتقدون ان اله الريح طائر عظيم ويزعمون ان الريح مجتلبة من اصطفاق جناحيه.

١٣١ الحمامة المطوّقة

[يدور الباب حول إمكان الصداقة بين المتنافرين في الطبيعة كالجرَذ والحمامة] .

قال دَبشليم الملك لبَيدبا الفيلسوف : قد سمعت مثل المتحابَّين كيف قطع بينهما الكذوب، والى ماذا صارت عاقبة امره من بعد ذلك، فحدِّثني، إن رأيت، عن اخوان الصفاء كيف يبتدئ تواصلهم ويستمتع بعضهم ببعض . قال الفيلسوف : « ان العاقل لا يعدل بالاخوان شيئاً، فالإخوان هم الاعوان على الخير كله، والمؤاسون عند ما ينوب من المكروه . ومن امثال ذلك مثل الحمامة المطوّقة والجُرَذ والظبي والغراب » . قال الملك : « وكيف كان ذلك ؟ » .

قال بيدبا : « زعموا أنه كان بأرض سَكاوَندَجين، عند مدينة داهَر، مكان كثير الصيد ينتابه[1] الصيادون . وكان في ذلك المكان شجرة كثيرة الاغصان، ملتفّة الورق، فيها وَكر غراب . فبينما هو ذات يوم ساقطٌ في وكره إذ بصر بصياد قبيح المنظر، سيّئ الخلق، وقُبح منظره يدلُّ على سوء مخبره، على عاتقه شبكة، وفي يده عصاً، مقبلاً نحو الشجرة . فذُعر منه الغراب، وقال : لقد ساق هذا الرجلَ الى هذا المكان إما حَيني[2] وإما حَين غيري، فلأثبتَنَّ مكاني حتى انظر ماذا يصنع . ثم إن الصياد نصب شبكته، ونثر عليها الحَبَّ وكمن قريباً منها، فلم يلبث إلا قليلاً حتى مرّت به حمامةٌ يقال لها المطوّقة، وكانت سيدةَ الحمام، ومعها حمام كثير .

فعميت هي وصاحباتها عن الشرَك، فوقعن على الحبّ يلتقطنه، فعلقن في الشبكة كلُّهنّ، واقبل الصياد فرحاً مسروراً . فجعلت كلُّ حمامة تتلجلج[3] في حبائلها وتلتمس الخلاص لنفسها . فقالت المطوّقة : لا تَخاذلنَ[4] في المعالجة ولا تكن نفس إحداكنّ أهمَّ اليها من نفس صاحبتها، ولكن نتعاون جميعنا،

---

١ ينتابه : يتردّد عليه . ٢ الحَين : الهلاك . ٣ تلجلج : ارتبك . ٤ خاذل : ترك التعاون .

ونطير كطائر واحد، فينجو بعضنا ببعض . فجمعن أنفسهنّ ووثبنَ وثبةً واحدةً، فقلعن الشبكة جميعهنّ بتعاونهنّ وعلون بها في الجوّ .

ولم يقطع الصياد رجاءه منهنّ وظنّ أنهنّ لا يجاوزن إلا قريباً حتى يقعن . فقال الغراب : لأَتبعهنّ وأنظر ما يكون منهن . فالتفتت المطوّقة فرأت الصياد يتبعهن، فقالت للحمام : هذا الصياد جادٌّ في طلبكنّ، فإن نحن أخذنا في الفضاء، لم يخفَ عليه أمرنا، ولم يزل يتبعنا . وإن نحن توجّهنا الى العمران خفي عليه أمرنا وانصرف . وبمكان كذا جُرَذ هو لي أخ، فلو انتهينا اليه قطع عنا هذا الشرك . ففعلن ذلك وأيس الصياد منهنّ وانصرف . وتبعهنّ الغراب لينظر اليهنّ لعله يتعلم منهنّ حيلةً تكون له عُدّةً عند الحاجة . فلما انتهت الحمامة المطوّقة الى الجرذ أمرت الحمام ان يقعن فوقعن .

وكان للجرذ مئة جُحر أعدّها للمخاوف . فنادته المطوّقة باسمه وكان اسمه زيرك . فأجابها الجرذ من جُحره : من أنتِ ؟ فقالت : انا خليلتك المطوّقة . فأقبل اليها الجرذ يسعى . ثم اخذ في قرض العِقْد[١] الذي فيه المطوّقة . فقالت له المطوّقة : ابدأ بقطع عقد سائر الحمام وبعد ذلك اقبل على عِقدي . فأعادت عليه ذلك مراراً، وهو لا يلتفت الى قولها . فلما أكثرت عليه القول، وكرّرت قال لها : لقد كرّرت القول عليّ كأنك ليس لك في نفسك حاجة، ولا لك عليها شفقة ولا ترعين لها حقاً . قالت : اني اخاف إن انت بدأت بقطع عقدي ان تملّ وتكسل عن قطع ما بقي ؛ وعرفت أنك ان بدأت بهنّ قبلي، وكنتُ انا الاخيرة، لم ترضَ وان أدركك الفتور، ان ابقى في الشرك . قال الجرذ : هذا مما يزيد الرغبة فيك والمودّة لكِ . ثم ان الجرذ اخذ في قرض الشبكة حتى فرغ منها . فانطلقت المطوّقة وحمامها معها .

فلما رأى الغراب صُنع الجرذ رغب في مصادقته، فجاء وناداه باسمه، فأخرج

١ العِقد : حبل الشرك .

الجرذ رأسه، فقال له : ما حاجتك ؟ قال : اني أريد مصادقتك . قال الجرذ : ليس بيني وبينك تواصل، وانما العاقل ينبغي له ان يلتمس ما يجد اليه سبيلاً، ويترك التماس ما ليس له اليه سبيل . كمن اراد ان يُجري السفن في البرّ والعَجَل في البحر؛ فإن انت إلا آكلٌ وانا طعام لك ! قال الغراب : انّ أكلي إياك، وان كنت لي طعاماً، مما لا يُغني عني شيئاً . وان مودّتك آنس لي مما ذكرت، ولستَ بحقيق، اذا جئتُ اطلب مودّتك، ان تردّني خائباً، فانه قد ظهر لي منك من حسن الخُلُق ما رغّبني فيك، وإن لم تكن تلتمس اظهار ذلك . فإن العاقل لا يخفى فضله وان هو أخفاه، كالمسك الذي يُكتم ثم لا يمنعه ذلك من النشر الطيّب والأرَج الفائح . قال الجرذ : قد قبلت اخاءك فإني لم أرْدُدْ احداً عن حاجة قط، وانما بلوتك بما بلوتك به ارادةَ التوثّق بنفسي ؛ فإن أنت غدرتَ بي لم تقل إني وجدت الجرذ ضعيف الرأي سريع الانخداع . ثم خرج من جحره فوقف عند الباب فقال له الغراب : ما يمنعك من الخروج اليّ والاستئناس بي، أوَفي نفسك بعد مني ريبة ؟ قال الجرذ : اني واثق منك بذات نفسك، ومَنَحتك من نفسي مثل ذلك . وليس يمنعني من الخروج اليك سوء ظنّ بك . ولكن قد عرفت ان لك اصحاباً جوهرهم كجوهرك، وليس رأيهم فيّ كرأيك . قال الغراب : ان من علامة الصديق ان يكون لصديق صديقه صديقاً ولعدوّ صديقه عدواً . وليس لي بصاحب ولا صديق من لا يكون لك محبّاً . ثم ان الجرذ خرج الى الغراب فتصافحا وتصافيا، وأنس كل واحد منهما بصاحبه . »

فإذا كان هذا الخلق مع صغره وضعفهِ قد قدر على التخلّص من مرابط الهلكة مرّة بعد أخرى، بمودته وخلوصها، وثبات قلبه عليها، واستمتاع بعضه ببعض، فالانسان الذي قد أُعطي العقل والفهم، وأُلهم الخير والشرّ، ومُنح التمييز والمعرفة أولى وأحرى بالتواصل والتعاضد .

فهذا مثل اخوان الصفاء وائتلافهم في الصحبة .

١٣٢ السائح والصائغ

[يظهر هذا الباب من ينبغي ان يصنع اليه الملك المعروف ومن ينبغي له ان يثق به . وهو يمثل صنع المعروف الى غير اهله .]

قال دبشليم الملك لبيدبا الفيلسوف : « اضرب لي مثل الذي يضع المعروف في غير موضعهِ ويرجو الشكر عليه » .

قال الفيلسوف : « ايها الملك، ليس أضيَع من جميل يُصنع مع غير شاكر، ولا أخسرُ من صانعه . كما أنه لا بَذْر أنمى من بذْر الجميل في قلوب الشاكرين ولا تجارة أربح من تجارته . ومع ذلك فإن المرء جدير ان يصنع المعروف الى كل احد، فإنه، ان ضاع المعروف عند الناس، لا يضيع عند الله . ولاسيما الى ذوي الشكر والوفاء كيف كانت منزلتهم، فلعله احتاج اليهم يوماً من الدهر فيكافئوه عليه . غير أن الملوك وغيرهم من ذوي العقول إذا تعمّدوا بمعروفهم احداً يختصّونه به، ينبغي لهم ان يضعوه موضعهُ، ولا يضيّعوه عند من لا يحتمله[1] ولا يقوم بشكره . فينبغي للملوك ان لا يصطفوا[2] احداً إلا بعد الخبرة بطرائقه، والمعرفة بوفائه ومودته وشكره . فإن مَن اقدم[3] على المشهور بالاستقامة والعفة، واسترسل اليه[4] من غير اختبار ولا تجربة، كان مخاطراً في ذلك ، مُشرفاً منه على هلاكٍ وفساد . ألا ترى انّ الطبيب الرفيق العاقل لا يكتفي في مداواة المريض بالمعاينة فقط . لكنه لا يُقدم على علاجه الا بعد تعرُّف احواله، والجسّ لعروقه، ومعرفة طبيعته وسبب علّته ؛ فاذا عرف ذلك كلّه أقدم على معالجته .

وانّ طبائع الخلق ايها الملك مختلفة ؛ وليس مما خلقه الله مما يمشي على اربع او على رجلين، او يطير بجناحين او يسبح في الماء، شيء هو افضل من الانسان .

---

١ يحتمله : يتقلّده ويشكره . ٢ اصطفى : اختار . ٣ أقدم على : جرؤ وجسر .
٤ استرسل اليه : ألِفه .

ومع ذلك فربما تحذّر العاقل من الناس فلم يأمن احداً منهم ؛ فمن الناس البَرّ[١] والفاجر[٢]، ومن هؤلاء كلّ كفور كنود[٣] حتى لقد يكون في بعض البهائم والسباع والطير ما هو أوفى منه ذمّةً، واشدّ محاماةً عن حرمةٍ[٤]، وأشكَر للمعروف وأقوم به . وقد مضى في ذلك مثَل ضربهُ بعض الحكماء . » قال الملك : « وكيف كان ذلك ؟ » .

قال الفيلسوف : « زعموا ان جماعةً احتفروا ركيّةً[٥]، فوقع فيها رجل صائغ وحية وقرد وبَبر[٦] . ومرّ بهم رجل سائح فأشرف على الركيّة، فبصر بالرجل والحية والقرد والببر . ففكر في نفسه وقال : لست اعمل لآخرتي عملاً افضل من ان أُخلّص هذا الرجل من بين هؤلاء الاعداء . فأخذ حبلاً وأدلاه الى البئر ، فتعلّق به القرد لخفّته، فخرج ؛ ثم ادلاه ثانيةً فالتفّت عليه الحية ، فخرجت؛ ثم أدلاه ثالثةً، فتعلق به الببر فأخرجه . فشكرن له صنيعه ، وقلن له : لا تُخرج هذا الرجل من الركيّة فإنه ليس شيء اقلّ من شكر الانسان . ثم قال له القرد : إن منزلي في جبل قريب من مدينة يقال لها نُوادرَخت . فقال له الببر : انا ايضاً في أجمة الى جانب تلك المدينة . قالت الحية : وأنا في سور تلك المدينة ، فإن انت مررت بنا يوماً من الدهر، واحتجت الينا فصوّت علينا حتى نأتيك فنجزيك بما أسديت[٧] الينا من المعروف . فلم يلتفت السائح الى ما ذكروا له، وأدلى الحبل فأخرج الصائغ، فسجد له وقال : لقد أوليتني معروفاً ؛ فإن مررت يوماً من الدهر بمدينة نُوادرَخت، فاسأل عن منزلي ، فأنا رجل صائغ، واسمي فلان، لعلّي أكافئك بما صنعتَ اليّ من المعروف . فانطلق الصائغ الى مدينته ، وانطلق السائح الى وجهته . فعرض بعد ذلك ان السائح اتّفقت له حاجة الى تلك المدينة، فانطلق فاستقبله القرد

---

١ البَرّ : المحسن الطيّب . ٢ الفاجر : العاصي الشرّير . ٣ الكنود : الكفور . ٤ الحرمة : العهد . ٥ الركيّة : البئر . ٦ البَبر : الاسد الهنديّ . ٧ أسدى : أدّى، أحسن .

فسجد له وقبّل رجليه، واعتذر اليه، وقال : انّ القرود لا يملكون شيئاً، ولكن اقعد حتى آتيك . وانطلق القرد واتاه بفاكهة طيّبة، فوضعها بين يديه، فأكل منها حاجته .

ثم انّ السائح انطلق حتى دنا من باب المدينة، فاستقبله الببر، فخرّ له ساجداً، وقال له : انك قد أوليتني معروفاً، فاطمئنّ ساعةً حتى آتيك . فانطلق الببر فدخل في بعض الحيطان الى بنت الملك فقتلها واخذ حَليها، فأتاه به من غير ان يعلم السائح من اين هو . فقال في نفسه : هذه البهائم قد أولتني هذا الجزاء فكيف لو أتيت الى الصائغ، فإنه ان كان معسراً لا يملك شيئاً فسيبيع هذا الحلي فيستوفي ثمنه فيعطيني بعضه ويأخذ بعضه وهو أعرَف بثمنه . فانطلق السائح، فأتى الى الصائغ، فلمّا رآه رحّب به وادخله الى بيته . فلما بصر بالحَلي معه عرفه، وكان هو الذي صاغه لابنة الملك . فقال الصائغ : اطمئنّ حتى آتيك بطعام، فلست أرضى لك ما في البيت . ثم خرج وهو يقول : قد أصبت فرصتي . أريد ان انطلق الى الملك، وأدلّه على ذلك، فتحسن منزلتي عنده . فانطلق الى باب الملك فأرسل اليه أن الذي قتل ابنتك واخذ حَليها عندي . فأرسل الملك وأتى بالسائح . فلما نظر الحلي معه لم يُمهله، وأمر به ان يُعذّب ويُطاف به في المدينة ويُصلب . فلما فعلوا به ذلك جعل السائح يبكي ويقول بأعلى صوته : لو اني اطعت القرد والحية والببر فيما أمرتني به واخبرتني من قلّة شكر الانسان لم يَصر امري الى هذا البلاء . وجعل يكرّر هذا القول . فسمعت مقالته تلك الحية، فخرجت من جُحرها، فعرفته، فاشتدّ عليها امره، فجعلت تحتال في خلاصه . فانطلقت حتى لدغت ابن الملك، فدعا الملك اهل العلم فرقوه[1] ليشفوه، فلم يُغنوا عنه شيئاً .

ثم مضت الحية الى أختٍ[2] لها من الجنّ فأخبرتها بما صنع السائح اليها من المعروف، وما وقع فيه، فرقت له وانطلقت الى ابن الملك، وتراءت له وقالت :

١ رقَوه : عالجوه بعلاج الملسوع . ٢ أخت : اي صديقة .

إنك لا تبرأ حتى يرقيك هذا الرجل الذي قد عاقبتموه ظلماً . وانطلقت الحية الى السائح فدخلت اليه السجن وقالت له : هذا الذي كنتُ نهيتك عنهُ من اصطناع المعروف الى هذا الانسان ولم تُطعني . وأتته بورق ينفع من سُمّها ، وقالت له : اذا جاءوا بك لترقي ابن الملك فاسقهِ من ماء هذا الورق ، فإنه يبرأ ؛ واذا سألك الملك عن حالك فاصدُقـهُ ، فإنك تنجو ان شاء الله تعالى . وانّ ابن الملك أخبر أباه انه سمع قائلاً يقول : انك لن تبرأ حتى يرقيـك السائح الذي حُبس ظلماً . فدعا الملك بالسائح ، وأمره ان يرقي ولده ، فقـال : « لا أحسن الرُّقي ولكن أسقيه من ماء هذه الشجرة فيبرأ بإذن الله تعالى . فسقاه فبرئ الغلام . ففرح الملك بذلك ، وسأله عن قصته فأخبره . فشكره الملك واعطاه عطيةً حسنة ، وأمر بالصائغ ان يُصلب ، فصلبوه لكذبه وانحرافه عن الشكر ومجازاته الفعل الجميل بالقبيح . »

ثم قال الفيلسوف للملك : « ففي صنيع الصائغ بالسائح وكفره[1] له بعـد استنقاذه اياه وشكر البهائم له وتخليص بعضها ايّاه عبرةٌ لمن اعتبر ، وفكرة لمن افتكر . »

ميزة كتاب كليلة ودمنة : قال الشيخ ابراهيم اليازجي : « لم يخطّ فيه حرف إلّا قُصد به شيء من الحكمة العائدة الى توفير مادّة العقل وتهذيب السيرة والسريرة والدُّربة في الاحوال المعاشيّة والمعاديّة . . . حتى انه معدود من كنوز الحكمة المشرقيّة بل الحكمة الآدميّة . . . » وقد استبطن الكتاب فنون العلم والحكمة تحت ثوب الفكاهة واللهو . والمثل فيه رواية تمثيلية ذات فصول ومشاهد . وكل ذلك في اسلوب يجمع السهولة الى الايجاز والدقّة والروعة .

---

١ الكُفر : أي الإنكار .

الباب الثاني

أدب الحركة المعاكسة

في الشعر

ابو تمّام (٧٩٦ ـ ٨٤٣ م/ ١٨٠ ـ ٢٢٨ ﻫ)

[ابو تمّام شخصيّة ارسطقراطيّة سعت جهدها في إرجاع الشعر العربيّ الى منزلته الملكيّة ورفعه عن مستوى الشعب . وقد عاصر مواقع شتى دارت رحاها بين العرب والروم فكان شاعراً مؤرّخاً يمزج الشعر بالتاريخ ويتغنى بالامجاد ويصدي لكل حادثة تجري في المملكة . وعاصر النهضة الفكرية ونضوج الثقافة العباسية فكان شعره مجلى من مجالي تلك الثقافة .]

ابو تمّام شاعر العظماء :

١٣٣ السيف اصدق أنباءً من الكتب

[في أثناء انشغال العرب ببابك الخرّميّ أغار الروم على الفرات فسقطت في يدي تيوفيل مدينة زبطرة ومدن أخرى ، وكانت زبطرة مولد ام المعتصم وقبل مولده ، فخرّبت . ولما انتهى المعتصم من حروب بابك سعى في الأخذ بالثأر من تيوفيل ابن ميخائيل ، فأغار على آسية الصغرى وفي ٢ آب سنة ٨٣٨ م حمل على عمورّية ففتحها وقتل عشرة آلاف أسير وأخذ كبار القوّاد الى سامرا . وكان لفتح عمورّية

أثر عظيم عند العرب ولا غرو إن أذكى نفس ابي تمّام زمناً طويلاً فقال فيه بائيّته الشهيرة التي نورد طائفة من ابياتها :]

أَلسَّيْفُ أَصْدَقُ أَنْبَاءً مِنَ ٱلْكُتُبِ ... فِي حَدِّهِ ٱلْحَدُّ بَيْنَ ٱلْجِدِّ وَٱللَّعِبِ [١]
بِيضُ ٱلصَّفَائِحِ لَا سُودُ ٱلصَّحَائِفِ فِي ... مُتُونِهِنَّ جَلَاءُ ٱلشَّكِّ وَٱلرِّيَبِ [٢]
وَٱلْعِلْمُ فِي شُهُبِ ٱلْأَرْمَاحِ لَامِعَةً ... بَيْنَ ٱلْخَمِيسَيْنِ لَا فِي ٱلسَّبْعَةِ ٱلشُّهُبِ [٣]
أَيْنَ ٱلرِّوَايَةُ بَلْ أَيْنَ ٱلنُّجُومُ وَمَا ... صَاغُوهُ مِنْ زُخْرُفٍ فِيهَا وَمِنْ كَذِبِ
تَخَرُّصاً وَأَحَادِيثاً مُلَفَّقَةً ... لَيْسَتْ بِنَبْعٍ، إِذَا عُدَّتْ، وَلَا غَرَبِ [٤]
عَجَائِباً زَعَمُوا ٱلْأَيَّامَ مُجْفِلَةً ... عَنْهُنَّ، فِي صَفَرِ ٱلْأَصْفَارِ أَوْ رَجَبِ [٥]
وَخَوَّفُوا ٱلنَّاسَ مِنْ دَهْيَاءَ مُظْلِمَةٍ ... إِذَا بَدَا ٱلْكَوْكَبُ ٱلْغَرْبِيُّ ذُو ٱلذَّنَبِ
وَصَيَّرُوا ٱلْأَبْرُجَ ٱلْعُلْيَا مُرَتَّبَةً ... مَا كَانَ مُنْقَلِباً أَوْ غَيْرَ مُنْقَلِبِ [٦]
يَقْضُونَ بِٱلْأَمْرِ عَنْهَا وَهْيَ غَافِلَةٌ ... مَا دَارَ فِي فَلَكٍ مِنْهَا وَفِي قُطُبِ [٧]

١ الأنباء : الاخبار . الكتب : اي كتب المنجّمين، وكانوا قالوا للمعتصم انّا نجد في كتبنا ان مدينتنا لا تفتح إلا في وقت ادراك التين والعنب، وبيننا وبين ذلك الوقت أشهر، ويمنعك من المقام البرد والثلج ؛ فأبى ان ينصرف وأكبّ عليها حتى فتحها فأبطل ما قالوا . ٢ الصفائح ج صفيحة وهي السيف العريض . الصحائف ج صحيفة وهي القرطاس المكتوب . جلاء : كشف . – يقول : ان السيوف البيضاء هي التي تجلو الشك وتبعد الريب لا الكتب . ٣ شهب الارماح : اي الرماح التي هي كالشهب . الخميس : الجيش . السبعة الشهب : السيّارات السبعة وهي زُحَل والمشتري والمرّيخ والشمس والزّهرة وعطارد والقمر . يقول : العلم في السيوف والرماح لا في الكتب والنجوم . ٤ التخرّص : الكذب . النبع : شجر صلب من اشجار الجبال تتخذ منه القسيّ . الغرب : نوع من الشجر ليست له قوّة . – يقول : ان هذه الاحاديث ليست قوية ولا ضعيفة ، اي ليست شيئاً . ٥ صفر ورجب : من الاشهر العربية . – يقول : ان المنجّمين جعلوا شهر صفر ميداناً لتدمير العالم وخلوّه من السكان، وكذلك في رأيهم شأن شهر رجب لان مادّته تدل على الخوف (رَجَبَ: فزع) ؛ فزعموا ان الشهرين شهرا شؤم لا يأتيان بخير . ٦ قال الإمام التبريزي : الوجه ان يروى « مرتِّبة » بالكسر، اي صيّر المنجّمون التدبير للنجوم ؛ ويعني بالابرج أبرج السماء التي أوّلها الحمَل وآخرها السّرطان، والمنجّمون يزعمون أنها على ثلاثة اقسام : اربعة منقلبة وهي الحمَل والسّرطان والميزان والجدي، واربعة ثابتة وهي الثور والاسد والعقرب والدلو، واربعة ذوات جسدَين وهي الجوزاء والسنبلة والقوس والحوت . ٧ الفلك : مدار النجوم . القطب : كوكب لا يبرح مكانه يدور عليه الفلك وهو بين الجدي والفرقدين . – يقول: ان النجوم غافلة عمّا يتحدّثون ويقضون به .

. . .

يَا يَوْمَ وَقْعَةِ عَمُّورِيَّةَ ٱنْصَرَفَتْ عَنْكِ ٱلْمُنَى حُفَّلًا مَعْسُولَةَ ٱلْحَلَبِ [1] . . .
لَقَدْ تَرَكْتَ، أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ، بِهَا لِلنَّارِ يَوْماً ذَلِيلَ ٱلصَّخْرِ وَٱلْخَشَبِ [2]
غَادَرْتَ فِيهَا بَهِيمَ ٱللَّيْلِ، وَهْوَ ضُحًى يَشُلُّهُ وَسْطَهَا صُبْحٌ مِنَ ٱللَّهَبِ [3]
حَتَّى كَأَنَّ جَلَابِيبَ ٱلدُّجَى رَغِبَتْ عَنْ لَوْنِهَا، أَوْ كَأَنَّ ٱلشَّمْسَ لَمْ تَغِبِ [4]
ضَوْءٌ مِنَ ٱلنَّارِ، وَٱلظَّلْمَاءُ عَاكِفَةٌ، وَظُلْمَةٌ مِنْ دُخَانٍ، فِي ضُحًى شَحِبِ [5]
فَٱلشَّمْسُ طَالِعَةٌ مِنْ ذَا، وَقَدْ أَفَلَتْ، وَٱلشَّمْسُ وَاجِبَةٌ مِنْ ذَا، وَلَمْ تَجِبِ [6] . . .
تَدْبِيرُ مُعْتَصِمٍ بِٱللهِ مُنْتَقِمٍ لِلهِ مُرْتَقِبٍ فِي ٱللهِ مُرْتَهِبِ [7]
لَمْ يَغْزُ قَوْماً، وَلَمْ يَنْهَدْ إِلَى بَلَدٍ، إِلَّا تَقَدَّمَهُ جَيْشٌ مِنَ ٱلرُّعُبِ [8]
لَوْ لَمْ يَقُدْ جَحْفَلًا يَوْمَ ٱلْوَغَى لَغَدَا مِنْ نَفْسِهِ وَحْدَهَا فِي جَحْفَلٍ لَجِبِ [9]
رَمَى بِكَ ٱللهُ بُرْجَيْهَا، فَهَدَّمَهَا، وَلَوْ رَمَى بِكَ غَيْرُ ٱللهِ، لَمْ تُصِبِ [10]
تِسْعُونَ أَلْفاً، كَآسَادِ ٱلشَّرَى، نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ، قَبْلَ نُضْجِ ٱلتِّينِ وَٱلْعِنَبِ [11]

---

١ المنى ج مُنية وهي ما يتمنّاه ويرغب فيه الانسان . الحُفَّل ج حافل مأخوذ من قولهم ناقة حافل أي مجتمعة اللّبَن . المعسولة : الحلوة . الحلَب : ما يُحلب . يقول : لقد ذهبنا الى هذه الحرب وعدنا عن انتصار حقّق رغائبنا وأتمّ سرورنا .   ٢ يقول : ان تلك المدينة احترقت فذلّ صخرها وخشبها للنار .   ٣ يشلّه : يطرده .   ٤ جلابيب الدّجى : كثافة الظلمات .   ٥ الشّحب : المتغيّر، قال التبريزي وهي كلمة قليلة والكثير شاحب .   ٦ واجبة : غائبة . يقول : شملت النار القلعة حتى يخيّل اليك ان الشمس طالعة وهي لم تطلع، وانتشر الدخان حتى ليخيّل اليك ان الشمس قد غربت وهي لم تغرب بدليل ما هنالك من ضياء .   ٧ مرتقب في الله مرتهب : يريد انه يراقب في الله العقاب فيخشاه . وفي البيت تشطير وهو ان تجعل كل شطر سجعة مخالفة لصاحبتها في الشطر الثاني .   ٨ ينهد : ينهض .   ٩ الجحفل : الجيش العظيم .   ١٠ اي لو لم يكن الله ناصراً لك لما قويت على هذه القلعة الحصينة .   ١١ قال التبريزي : كان اهل عمورية يقولون انما يفتح مدينتنا اولاد الزنى، فإن اقام هؤلاء الى يوم التين لم يفلت منهم أحد ؛ فبلغ ذلك المعتصم فقال : ارجو ان يكفيني الله امرهم قبل نضج التين والعنب . وقيل ايضاً في شرح هذا البيت ان ابا تمام اشار الى كذب المنجمين الذين زعموا ان المدينة لا تؤخذ الا في الصيف بعد نضج التين والعنب .

يَا رُبَّ حَوْبَاءَ، لَمَّا ٱجْتُثَّ دَابِرُهُمْ، طَابَتْ، وَلَوْ ضُمِّخَتْ بِٱلْمِسْكِ لَمْ تَطِبِ [١]
خَلِيفَةَ ٱللّٰهِ، جَازَى ٱللّٰهُ سَعْيَكَ عَنْ جُرْثُومَةِ ٱلدِّينِ وَٱلْإِسْلَامِ، وَٱلْحَسَبِ
بَصُرْتَ بِٱلرَّاحَةِ ٱلْكُبْرَى، فَلَمْ تَرَهَا تُنَالُ إِلَّا عَلَى جِسْرٍ مِنَ ٱلتَّعَبِ
إِنْ كَانَ بَيْنَ صُرُوفِ ٱلدَّهْرِ مِنْ رَحِمٍ مَوْصُولَةٍ، أَوْ ذِمَامٍ غَيْرِ مُنْقَضِبِ [٢]
فَبَيْنَ أَيَّامِكَ ٱللَّاتِي نُصِرْتَ بِهَا وَبَيْنَ أَيَّامِ بَدْرٍ أَقْرَبُ ٱلنَّسَبِ [٣]
أَبْقَتْ بَنِي ٱلْأَصْفَرِ ٱلْمِمْرَاضِ كَٱسْمِهِمِ صُفْرَ ٱلْوُجُوهِ، وَجَلَّتْ أَوْجُهَ ٱلْعَرَبِ [٤]

ميزة شعره: اسلوب ابي تمّام في هذه القصيدة هو الاسلوب الملحميّ الذي تنفخ فيه العزّة القوميّة والعاطفة الدينية الشديدة ونشوة النصر العظيم. فقد نظمت على بحر شديد الجَرْس الموسيقيّ، وجرت الالفاظ كأنها خيول تتسابق وتتزاحم في جوّ يتألف من قعقعة السلاح وتنادي الفرسان؛ ونثرت طرق البديع ولاسيما الطباق والجناس في شدّة غريبة وعنفوان فريد.

١٣٤ هو البحر

[قال يمدح المعتصم من قصيدة:]

أَتَتْكَ أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَقَدْ أَتَى عَلَيْهَا ٱلْمَلَا أَدْمَاثُهُ وَجَرَاوِلُهْ [٥]
وَصَلْنَ ٱلسُّرَى بِٱلْوَخْدِ فِي كُلِّ صَحْصَحٍ وَبِٱلسَّهَدِ ٱلْمَوْصُولِ وَٱلنَّوْمُ خَاذِلُهْ [٦]
إِلَى قُطْبِ ٱلدُّنْيَا ٱلَّذِي لَوْ بِفَضْلِهِ مَدَحْتُ بَنِي ٱلدُّنْيَا كَفَتْهُمْ فَضَائِلُهْ

١ الحوباء: النفس. اجتُثّ دابرُهم: استؤصلوا. طابت: من الطيب الذي هو سرور النفس لا من الطيب الذي هو ارج الرائحة، لان النفس المهمومة لا تطيب وان تضمّخت بالطيب.
٢ الذِّمام: الحُرمة. المُنقضِب: المنقطع. ٣ يخاطب المعتصم ويقول له: إنّ بين انتصارك هذا وانتصار النبي في موقعة بدر على قريش صلة وثيقة وقربى اذ هو انتصار الاسلام على غيره.
٤ بنو الاصفر: الرّوم. الممراض: كثير المرض إشارة الى ان صفرته كانت من مرض لا من خلقة. كاسمهم: اي كاسم أبيهم. ٥ أتتك: اي الإبل. أتى عليها: مرّ بها. الملا: المتّسع من الارض. الأدماث ج دمِث وهو المكان السهل من الارض ذو الرّمْل. الجراول ج جَرْوَل وهو الارض ذات الحجارة. ٦ السّرى: السير ليلاً. الوخد: السير السريع. الصحصح: المستوي من الارض. السّهد: السّهر.

جَلَا ظُلُمَاتِ ٱلظُّلْمِ عَنْ وَجْهِ أُمَّةٍ أَضَاءَ لَهَا مِنْ كَوْكَبِ ٱلْحَقِّ آفِلُهْ
وَلَاذَتْ بِحَقْوَيْهِ ٱلْخِلَافَةُ فَٱلْتَقَتْ عَلَى خِدْرِهَا أَرْمَاحُهُ وَمَنَاصِلُهْ [1]
بِمُعْتَصِمٍ بِٱللّٰهِ قَدْ عُصِمَتْ بِهِ عُرَى ٱلدِّينِ وَٱلْتَفَّتْ عَلَيْهِ وَسَائِلُهْ [2]
هُوَ ٱلْبَحْرُ مِنْ أَيِّ ٱلنَّوَاحِي أَتَيْتَهُ فَلُجَّتُهُ ٱلْمَعْرُوفُ وَٱلْجُودُ سَاحِلُهْ
تَعَوَّدَ بَسْطَ ٱلْكَفِّ حَتَّى لَوَ ٱنَّهُ ثَنَاهَا لِقَبْضٍ لَمْ تُطِعْهُ أَنَامِلُهْ
وَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِي كَفِّهِ غَيْرُ رُوحِهِ لَجَادَ بِهَا، فَلْيَتَّقِ ٱللّٰهَ سَائِلُهْ [3]

ميزة شعره : في هذه القصيدة اجتمعت الفخامة الى حسن الابتكار وجمال التصوير، واذا هنالك قطعة من الفن الذي يأخذ بمجامع الفؤاد .

١٣٥ الحقّ ابلج والسيوف عوارِ

[ظهر بابك الخرّمي في عهد المأمون نحو سنة ٨١٧ وأقام بمدينة البذّ وجعل يحارب جيوش الخلافة ويهزمها، وقتل عدّة قوّاد وخرّب كثيراً من الحصون، فأخذ المأمون في وصيّته على أخيه المعتصم عهداً لزاماً بان يتغلّب على بابك ولو انفق كل ثمين . ولقد صُدع المعتصم بذلك فلم يغزُ الروم ولم يوجّه جيشاً إلا الى حرب بابك حتى انتصر عليه بواسطة الافشين سنة ٨٣٨، وهو قائد تركيّ اسمه حيدر بن كاروس . فسار به الافشين الى سامرّا، فذُبح هناك وأُنفذ رأسه الى خراسان . ووصل المعتصم الافشين بعشرين الف الف درهم وبعشرة آلاف ألف يفرّقها في عسكره، وعقد له على السّند وادخل عليه الشعراء يمدحونه . وبعد ان تغلّب المعتصم على بابك وعلى الروم في عموريّة قتل الافشين وصلبه ثم احرقه لما قام عليه من الشّبهات ولانه طمع بامارة خراسان مكان ابن طاهر . فقال ابو تمّام في ذلك قصيدة نورد منها ما يلي :]

---

١ بحقويه اي بإزاره او معقده؛ يقال لاذ بحقوه اذا فزع اليه والتجأ . المناصل ج مُنصُل وهو السيف . ٢ عُصِمَت به عرى الدين : رُبِطت وشُدَّت . ٣ هذا البيت لمسلم بن الوليد في جعفر البرمكي فهو تضمين .

أَلْحَقُّ أَبْلَجُ وَٱلسُّيُوفُ عَوَارٍ   فَحَذَارِ مِنْ أَسَدِ ٱلْعَرِينِ حَذَارِ [١]
مَلِكٌ غَدَا جَارَ ٱلْخِلَافَةِ مِنْكُمُ   وَٱللّٰهُ قَدْ أَوْصَى بِحِفْظِ ٱلْجَارِ [٢]
يَا رُبَّ فِتْنَةِ أُمَّةٍ قَدْ بَزَّهَا   جَبَّارُهَا فِي طَاعَةِ ٱلْجَبَّارِ [٣]

...

مَا زَالَ سِرُّ ٱلْكُفْرِ بَيْنَ ضُلُوعِهِ   حَتَّى ٱصْطَلَى سِرَّ ٱلزِّنَادِ ٱلْوَارِي [٤]
نَارًا يُسَاوِرُ جِسْمَهُ مِنْ حَرِّهَا   لَهَبٌ كَمَا عَصْفَرْتَ شِقَّ إِزَارِ [٥]
طَارَتْ لَهَا شُعَلٌ يُهَدِّمُ لَفْحُهَا   أَرْكَانَهُ هَدْمًا بِغَيْرِ غُبَارِ [٦]
فَصَّلْنَ مِنْهُ كُلَّ مَجْمَعِ مَفْصِلٍ   وَفَعَلْنَ فَاقِرَةً بِكُلِّ فَقَارِ [٧]
لِلّٰهِ مِنْ نَارٍ رَأَيْتُ ضِيَاءَهَا   ضَاقَ ٱلْفَضَاءُ بِهَا عَلَى ٱلنُّظَّارِ
مَشْبُوبَةٍ رُفِعَتْ لِأَعْظَمِ مُشْرِكٍ   مَا كَانَ يَرْفَعُ ضَوْءَهَا لِلسَّارِي [٨]
صَلَّى لَهَا حَيًّا وَكَانَ وَقُودَهَا   مَيْتًا وَيَدْخُلُهَا مَعَ ٱلْكُفَّارِ [٩]
وَلَقَدْ شَفَى ٱلْأَحْشَاءَ مِنْ بُرَحَائِهَا   أَنْ صَارَ بَابَكُ جَارَ مَازِيَارِ [١٠]

---

١ أبلج : ظاهر، واضح . عوار : عارية من اغمادها . فحَذارِ : اسم فعل امر بمعنى إحذر وهو خطاب للخائنين الثائرين على الخلافة . اسدُ العرين : كنى به الخليفة المعتصم والعرين : بيت الاسد الذي يأوي اليه . ٢ الجار، الاولى : المجير . منكم : يعني رهط الافشين . ٣ بزّها : قهرها . جبّارها : اي المعتصم وهو جابر صدعها و كسرها . الجبّار : من اسماء الله الحسنى . ٤ اصطلى : استدفأ . الزناد مفرده الزند : وهو العود الاعلى الذي يقتدح به الواري واراد بسر الزناد النار لانها كامنة فيها . ٥ يساور : يواثب . عصّفر : طلى بالعصفر وهو نبات يؤخذ منه صبغ اصفر . الشقّ : الجانب . الإزار : الملاءة وهو ثوب يلبس في ظاهر الجسد . ٦ الشُعَل ج شُعْلة وهو لهبة النار . لفحها : إحراقها . ٧ فصّل : قطع وجزّأ . الفاقرة : الداهية التي تكسر الفقار . الفقار مفرده فقارة وهي الخرزة من خرزات الظهر . ٨ مشبوبة : موقدة . المشرك من يتخذ شريكاً لله ويريد به الافشين . الساري : السائر ليلاً . ٩ المراد، ان الافشين عبد النار وهو حيّ وغدا وقودها وهو ميت ودخل النار بعد موته مع الكفرة الملحدين .
١٠ البرحاء : الشدّة والأذى . جار مازيار : اي في الصلب . وبابك هو بابك الخرّمي ومازيار هو ابن قارون بن ونداد هرمز اظهر الخلاف على عبدالله بن طاهر امير خراسان؛ وقد قتلهما المعتصم وصلبهما .

وَكَأَنَّمَا ٱنْتَبَذَا لِكَيْمَا يَطْوِيَا عَنْ نَاطِسٍ خَبَرًا مِنَ ٱلْأَخْبَارِ [١]
سُودُ ٱللِّبَاسِ كَأَنَّمَا نَسَجَتْ لَهُمْ أَيْدِي ٱلسَّمُومِ مَدَارِعاً مِنْ قَارِ [٢]
بَكَرُوا وَأَسْرَوْا فِي مُتُونِ ضَوَامِرٍ قِيدَتْ لَهُمْ مِنْ مَرْبَطِ ٱلنَّجَّارِ [٣]
لَا يَبْرَحُونَ وَمَنْ رَآهُمْ خَالَهُمْ أَبَدًا عَلَى سَفَرٍ مِنَ ٱلْأَسْفَارِ [٤]

. . .

فَالْأَرْضُ دَارٌ أَقْفَرَتْ، مَا لَمْ يَكُنْ مِنْ هَاشِمٍ، رَبٌّ لِتِلْكَ ٱلدَّارِ [٥]
سُوَرُ ٱلْقُرَانِ ٱلْغُرُّ فِيكُمْ أُنْزِلَتْ وَلَكُمْ تُصَاغُ مَحَاسِنُ ٱلْأَشْعَارِ [٦]

ميزة شعره : هو السُّخط يتطاير شررًا، وهو الثأر في اشد فورانه، وهو الاسلوب الشديد الأسر، وهي المعاني المتلاحقة في نفس عالٍ . إلّا ان في جوّ القصيدة ما يُحزن لان العدوّ يستحق الرحمة والاحترام اذا كان من امثال الافشين قاهر الخرميّة .

١٣٦ كذا فليجلّ الخطب

[قالها الشاعر في مرثية نسيبه محمد بن حُميد الطوسي الطائيّ وقد قُتل في خلافة المأمون بينما كان يحارب الخرميّة، اي جماعة بابك الخرميّ، في سنة ٨٢٩ م .]

كَذَا فَلْيَجِلَّ ٱلْخَطْبُ، وَلْيَفْدَحِ ٱلْأَمْرُ فَلَيْسَ لِعَيْنٍ، لَمْ يَفِضْ مَاؤُهَا، عُذْرُ [٧]

---

١ انتبذا : اعتزلا وتنحّيا عن الناس . ناطس : اسم البطريق اي القائد الرومي الذي كان اميرًا على ملطية وقد صُلِب ايضاً . ٢ سود اللباس : اي سود الجلود ويعني بهم الافشين وبابك ومازيار . السَّموم : الريح الحارّة . المدارع ج مدرعة وهي جبّة مشقوقة المقدم . القار : الزفت . ٣ بكروا : ساروا باكرًا . أسروا : مشوا ليلًا . متون ضوامر : ظهور افراس ضامرة، واراد بها الجذوع ولذلك قال قيدت اي حُملت من مربط النجّار اي من حانوته . ٤ اي لا يبرحون مستلين ظهور هذه الخيول ليلَ نهار . ٥ من هاشم : من آل بيت النبيّ وهم العبّاسيون والعلويّون . ربّ : صاحب او سيّد تلك الدار . ٦ الغُرّ : البيض الشريفة مفردها أغرّ وغرّاء . تُصاغ : تُنظم . ٧ فليجلّ : فليَعظم . وليفدح : وليثقل . وقد أُخذ على ابي تمام هذا المطلع لانّ في هذا الطلب تمنّياً، فكأنه يتمنى حلول الخطوب ليصحّ البكاء على الميت .

تُوُفِّيَتِ ٱلْآمَـالُ بَعْدَ مُحَمَّدٍ وَأَصْبَحَ فِي شُغْلٍ عَنِ ٱلسَّفْرِ ٱلسَّفْرُ [١]

. . .

فَتًى كُلَّمَا فَاضَتْ عُيُونُ قَبِيلَـةٍ دَمًا، ضَحِكَتْ عَنْهُ ٱلْأَحَادِيثُ وَٱلذِّكْرُ [٢]
فَتًى دَهْرُهُ شَطْرَانِ فِيمَا يَنُوبُهُ: فَفِي بَأْسِهِ شَطْرٌ وَفِي جُودِهِ شَطْرُ [٣]
فَتًى مَاتَ بَيْنَ ٱلضَّرْبِ وَٱلطَّعْنِ مِيتَةً تَقُومُ مَقَامَ ٱلنَّصْرِ إِنْ فَاتَهُ ٱلنَّصْرُ [٤]
وَمَا مَاتَ حَتَّى مَاتَ مَضْرِبُ سَيْفِهِ مِنَ ٱلضَّرْبِ وَٱعْتَلَّتْ عَلَيْهِ ٱلْقَنَا ٱلسُّمْرُ [٥]
وَقَدْ كَانَ فَوْتُ ٱلْمَوْتِ سَهْلًا فَرَدَّهُ إِلَيْهِ ٱلْحِفَاظُ ٱلْمُرُّ وَٱلْخُلُقُ ٱلْوَعْرُ [٦]

. . .

فَأَثْبَتَ فِي مُسْتَنْقَعِ ٱلْمَوْتِ رِجْلَهُ وَقَالَ لَهَا: مِنْ تَحْتِ أَخْمَصِكِ ٱلْحَشْرُ [٧]
غَدَا غُدْوَةً وَٱلْحَمْدُ نَسْجُ رِدَائِـهِ فَلَمْ يَنْصَرِفْ إِلَّا وَأَكْفَانُهُ ٱلْأَجْرُ [٨]
كَأَنَّ بَنِي نَبْهَانَ يَوْمَ وَفَاتِـهِ نُجُومُ سَمَاءٍ خَرَّ مِنْ بَيْنِهَا ٱلْبَدْرُ [٩]
يُعَزَّوْنَ عَنْ ثَاوٍ تُعَزَّى بِهِ ٱلْعُلَى وَيَبْكِي عَلَيْهِ ٱلْبَأْسُ وَٱلْجُودُ وَٱلشِّعْرُ [١٠]
وَأَنَّى لَهُمْ صَبْرٌ عَلَيْهِ وَقَدْ مَضَى إِلَى ٱلْمَوْتِ حَتَّى ٱسْتُشْهِدَا هُوَ وَٱلصَّبْرُ [١١]

١ السَّفْر : المسافرون . ٢ يقول : لَئِن بكت عليه القبائل دماً، فمآثره المحمودة يتهلل لها التاريخ والاحاديث . ٣ ينوبه : يصيبه من الاحداث . بأسه : شجاعته . يقول : ان حياته شطران من الاحداث، لقاء الاعداء ولقاء طالبي كرمه فهو ابداً على اهبة الحرب او بذل المال . ٤ الضرب : اي الضرب بالسيف . الطعن : اي الطعن بالرمح . فاته : خذله . ٥ استعار ابو تمام موت حدّ السيف لاتثلامه؛ واراد باعتلال القنا : تثلّمها حتى اصبحت لا تستطيع العمل معه . ٦ الحفاظ : المحافظة على الشرف وكل محرّم . المرّ : الشديد . الخلق : الطبع . الوعر : الصعب . ٧ الاخمص : ما لا يصيب الارض من باطن القدم . الحشر : يوم القيامة . ٨ الحمد نسج ردائه : اي إنّ الناس يحمدونه لمسيره الى قتال الكفّار . واكفانه الأجر : كناية عن انه مات شهيداً في الجهاد . ٩ بنو نبهان : بطن من طيّ وهم قوم الميت . خرّ : سقط . ١٠ ثاوٍ : ميت . البأس : الشدّة . الجود : الكرم . ١١ استشهد : قُتِل في سبيل الله، والضمير الألف في « استشهدا » قد فسّر بالظاهر فكان الظاهر « هو والصبر » بدلاً من الضمير او عطف بيان عليه، وهذا جائز عند الأئمّة .

فَتًى كَانَ عَذْبَ ٱلرُّوحِ لَا مِنْ غَضَاضَةٍ ... وَلٰكِنَّ كِبْرًا أَنْ يُقَالَ بِهِ كِبْرُ [١]
فَتًى سَلَبَتْهُ ٱلْخَيْلُ وَهْوَ حِمًى لَهَا ... وَبَزَّتْهُ نَارُ ٱلْحَرْبِ وَهْوَ لَهَا جَمْرُ [٢]
وَقَدْ كَانَتِ ٱلْبِيضُ ٱلْمَآثِيرُ فِي ٱلْوَغَى ... بَوَاتِرَ فَهِيَ ٱلْآنَ مِنْ بَعْدِهِ بُتْرُ [٣]
أَمِنْ بَعْدِ طَيِّ ٱلْحَادِثَاتِ مُحَمَّدًا ... يَكُونُ لِأَثْوَابِ ٱلنَّدَى أَبَدًا نَشْرُ [٤]
إِذَا شَجَرَاتُ ٱلْعُرْفِ جُذَّتْ أُصُولُهَا ... فَفِي أَيِّ فَرْعٍ يُوجَدُ ٱلْوَرَقُ ٱلنَّضْرُ [٥]
مَضَى طَاهِرَ ٱلْأَثْوَابِ لَمْ تَبْقَ رَوْضَةٌ ... غَدَاةَ غَدَا إِلَّا ٱشْتَهَتْ أَنَّهَا قَبْرُ

• • •

ثَوَى فِي ٱلثَّرَى مَنْ كَانَ يَحْيَا بِهِ ٱلثَّرَى ... وَيَغْمُرُ صَرْفَ ٱلدَّهْرِ نَائِلُهُ ٱلْغَمْرُ [٦]
عَلَيْكَ سَلَامُ ٱللهِ وَقْفًا فَإِنَّنِي ... رَأَيْتُ ٱلْكَرِيمَ ٱلْحُرَّ لَيْسَ لَهُ عُمْرُ

١٣٧ كان الذي خفت ان يكونا !

[قال ابو تمّام يرثي ابنه ابا عليّ :]

كَانَ ٱلَّذِي خِفْتُ أَنْ يَكُونَا، ... إِنَّا إِلَى ٱللهِ رَاجِعُونَا !
أَمْسَى ٱلْمُرَجَّى أَبُو عَلِيٍّ ... مُوَسَّدًا، فِي ٱلثَّرَى، يَمِينَا . [٧]
حِينَ ٱنْتَهَى وَٱسْتَوَى شَبَابًا ، ... وَحَقَّقَ ٱلرَّأْيَ وَٱلظُّنُونَا ،

---

١ الغضاضة : الذلّ والصغار . كبراً : تجبّراً وقد اختلف في اعراب هذه الكلمة فنهم من قال : ان كبراً اسم لكنّ وخبرها محذوف والتقدير ولكنّ كبراً عن ان يقــال إنه متكبر، ومنهم مَن قال : إنّ اسم لكنّ محذوف والخبر جملة فعلية ناب عنها المصدر والتقدير ولكنه يتكبر كبراً عن ان يقال إنّ به كبراً . ٢ سلبته : أخذت منه . بزّته : غلبته بقهر . ٣ البيض : السيوف . المآثير ج المأثور وهو السيف في متنه أثر اي جوهر السيف . بواتر مفرده باتر : قاطع . بُتر مفرده أبتر : مقطوع . ٤ طيّ : من طواه اي ذهب به . الندى : الكرم والجود . النّشر : الظهور ؛ وقد اراد ان يمثل في هذا البيت نوعاً من انواع البديع هو الطيّ والنشر . ٥ العُرف : الرائحة الطيبة . جُذّت : قُطعت . النّضر : الدائم الاخضرار . ٦ ثوى : وُسّدَ في حفرتــه . يغمر : يغطي . صرف الدهر : حوادثه . نائله : عطاؤه . الغمر : الكثير . ٧ وسّد الميتَ يمينه : جعله في قبره على جنبه الأيمن، يمّنه .

أُصِبْتُ فِيهِ، وَكَانَ عِنْدِي عَلَى ٱلْمُصِيبَاتِ أَنْ يُعِينَا .
كُنْتُ عَزِيزًا بِهِ كَثِيرًا وَكُنْتُ صَبًّا بِهِ ضَنِينَا ؛
دَافَعْتُ، إِلَّا ٱلْمَنُونَ، عَنْهُ، وَٱلْمَرْءُ لَا يَدْفَعُ ٱلْمَنُونَا .
آخِرُ عَهْدِي بِهِ صَرِيعًا لِلْمَوْتِ بِٱلدَّاءِ مُسْتَكِينَا ، [1]
إِذَا شَكَا غُصَّةً وَكَرْبًا لَاحَظَ، أَوْ رَاجَعَ ٱلْأَنِينَا ، [2]
يُدِيرُ، فِي رَجْعِهِ، لِسَانًا يَمْنَعُهُ ٱلْمَوْتُ أَنْ يُبِينَا ؛ [3]
يَشْخَصُ، طَوْرًا، بِنَاظِرَيْهِ، وَتَارَةً، يُطْبِقُ ٱلْجُفُونَا ؛ [4]
ثُمَّ قَضَى نَحْبَهُ فَأَمْسَى فِي جَدَثٍ، لِلثَّرَى، دَفِينَا [5]
بَعِيدَ دَارٍ، قَرِيبَ جَارٍ، قَدْ فَارَقَ ٱلْإِلْفَ وَٱلْقَرِينَا ، [6]
بَاشَرَ بَرْدَ ٱلثَّرَى بِوَجْهٍ، قَدْ كَانَ، مِنْ قَبْلِهِ، مَصُونَا .
بُنَيَّ، يَا وَاحِدَ ٱلْبَنِينَا ، غَادَرْتَنِي مُفْرَدًا حَزِينَا
هَوَّنَ رُزْئِي بِكَ ٱلرَّزَايَا عَلَيَّ، فِي ٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَا [7]
آلَيْتُ أَنْسَاكَ، مَا تَجَلَّى صُبْحُ نَهَارٍ لِمُصْبِحِينَا [8]
وَمَا دَعَا طَائِرٌ هَدِيلًا وَرَجَّعَتْ وَالِهٌ حَنِينَا . [9]
تَصَرَّفَ ٱلدَّهْرُ بِي صُرُوفًا وَعَادَ لِي شَأْنُهُ شُؤُونَا
وَحَزَّ فِي ٱللَّحْمِ، بَلْ بَرَاهُ، وَٱجْتَثَّ مِنْ طَلْحَتِي فُنُونَا [10]

---

١ استكان له: خضع. — يقول: آخر زمان عرفته فيه هو عندما كان صريعاً، في قبضة الداء خاضعاً للموت. ٢ لاحظ: نظر بمؤخر عينه، يشكو ويستغيث. ٣ الرَّجْع: الردّ، اي رجع الانين. أبان: أفصح. ٤ شخص الميتُ ببصره: رفعه. ٥ الجدَث: القبر. وقد جعل الشاعر الجدَثَ ملكاً للثرى، إشارة الى انحلال جثّة الميت الى تراب. ٦ يقول: اصبح الميّتُ في قبره بعيداً بسبب ما صار اليه من بلى، وإن كان قريب المكان. ٧ يقول: ان مصيبتي بك قد هوّنت عليّ جميع المصائب الأخرى. ٨ آلى: أقسم. — يقول: أقسمت انني لن انساك ما ظهر صبحٌ للمصبحين. ٩ الهديل: صوت الحمام، وفرخه. وفي اساطير العرب انه فرخ على عهد نوح مات عطشاً وضياعاً، او صاده جارح من الطير، فما من حمامة الا وهي تبكي عليه. الواله: التي ذهب عقلها من الحزن؛ والمراد بها الناقة التي فقدت ولدها، واخذت ترجّع الحنين. ١٠ اجتثّ: قطع. الطّلح: شجر كثير الورق جيّد الصمغ له شوك احجن وبرَمَة (ثمرة) طيّبة الرائحة. الفنون ج فَنَن وهو الغصن او ما تشعّب منه.

أَصَابَ مِنِّي صَمِيمَ قَلْبِي وَخِفْتُ أَنْ يَقْطَعَ ٱلْوَتِينَا ؛[١]
فَـٱلْمَرْءُ رَهْنٌ بِحَالَتَيْهِ : فَشِدَّةٌ مَرَّةً ، وَلِينَـا .

١٣٨ دمعة على اخ

[قال أبو تمّام يرثي أخاه :]

إِنِّي أَظُنُّ ٱلْبِلَى ، لَوْ كَانَ يَفْهَمُـهُ ، صَدَّ ٱلْبِلَى عَنْ بَقَايَا وَجْهِهِ ٱلْحَسَنِ !
يَا يَوْمَهُ ، لَمْ تَدَعْ حُسْناً وَلَا أَدَباً إِلَّا حَكَمْتَ بِهِ لِلَّحْدِ وَٱلْكَفَنِ .
لِلّٰهِ مُقْلَتُهُ ، وَٱلْمَوْتُ يَكْسِرُهَا ، كَأَنَّ أَجْفَانَهُ سَكْرَى مِنَ ٱلْوَسَنِ ؛[٢]
يَرُدُّ أَنْفَاسَهُ كَرْهاً ، وَتَعْطِفُهَا يَدُ ٱلْمَنِيَّةِ ، عَطْفَ ٱلرِّيحِ لِلْغُصُنِ .[٣]
يَا هَوْلَ مَا أَبْصَرَتْ عَيْنِي ، وَمَا سَمِعَتْ أُذْنِي ! فَلَا أَبْصَرَتْ عَيْنِي ، وَلَا أُذْنِي ![٤]
لَمْ يَبْقَ مِنْ بَدَنِي جُزْءٌ ، عَلِمْتُ بِهِ ، إِلَّا وَقَدْ حَلَّهُ جُزْءٌ مِنَ ٱلْحَزَنِ ؛
كَانَ ٱللَّحَاقُ بِهِ أَهْنَا ، وَأَحْسَنَ بِي مِنْ أَنْ أَعِيشَ سَقِيمَ ٱلرُّوحِ وَٱلْبَدَنِ !

ميزة شعره : «أبو تمام في الرثاء متلهّف كثير التفجّع ، جيّاش العاطفة ، صادق اللهجة ولاسيا رثائه لانسبائه : فإن فيه الشعور القوي بالخسارة ، والمباهاة بالميت ، والمغالاة في ذكر صفاته . هو رثاء مدح وفخر وتعظيم وإكبار للخطب الشامل ، لا رثاء ضعف عاطفي ، وبكاء أليم . وليس له رثاء تظهر فيه نفسه متألمة حزينة ضعيفة إلّا ما قاله في اخيه وابنه » .

١٣٩ مولى يعذّب عبده

أَعْطَاكَ دَمْعُكَ جُهْدَهُ فَشَكَا فُؤَادُكَ وَجْدَهُ[٥]

---

١ الوتين : عرق في القلب يجري منه الدم الى سائر العروق ؛ قطع الوتين : أمات .
٢ الوسَن : النّعاس ، والنوم الخفيف .   ٣ يقول : انه يتنفّس مُتعباً كأنه يُكره نفسه على ذلك هرَباً من الموت ، ويدُ الموت تميل هذه الانفاس اليهـا فتخنقها في حلقه .   ٤ ولا أذني : اي ولا سمعت أذني ، على الاكتفاء .   ٥ وجده : شوقه .

حمّلتَ نفسكَ في الهوى ما لا تطيقُ فهدَّهُ [1]
يا شامتاً بي إذ رأى هجرَ الحبيبِ وصدَّهُ [2]
لا تشمتنَّ فإنَّهُ مولًى يعذّبُ عبدَهُ

١٤٠ وصف الروض

إنَّ الربيعَ أثرُ الزمانِ لو كانَ ذا روحٍ وذا جثمانِ
مصوَّراً في صورةِ الإنسانِ لكانَ بسّاماً من الفتيانِ
بوركتَ من وقتٍ ومن أوانِ فالأرضُ نشوى من ثرًى نشوانِ [3]
تختالُ في مفوَّفِ الألوانِ في زهرٍ كالحدقِ الرواني [4]
من فاقعٍ وناصعٍ وقانِ عجبتُ من ذي فكرةٍ يقظانِ [5]
رأى جفونَ زهرِ الألوانِ فشكَّ أنَّ كلَّ شيءٍ فانِ

البحتري (٨٢١ ـ ٨٩٧ م/٢٠٦ ـ ٢٨٤ هـ)

[البحتري شاعر وُلد وفيه نزعة الى البداوة، وعاش يتقلّب بين القصور والملوك، فكانت شاعريّته مزيجاً عجيباً من البداوة والحضارة، وكان شعره جامعاً صفاء البادية الى لين الحاضرة ونعومتها .]

---

١ الهوى: الحبّ اي هدّ الهوى فؤادك . ٢ صدّه : إعراضه . ٣ نشوى : سكرى . ٤ تختال : تتمايل . مفوّف : ثوب رقيق فيه خطوط بيض . الحدق ج حدقة اراد بها العين . الرواني : الناظرة . ٥ فاقع : اصفر . ناصع : ابيض . قانٍ : احمر .

البحتري شاعر المدح والرثاء :

١٤١ فاسلم امير المؤمنين

[من قصيدة يمدح بها المتوكل ويصف موكبه في عيد الفطر :]

أَخْفِي هَوًى لَكِ فِي ٱلضُّلُوعِ وَأُظْهِرُ ... وَأُلَامُ فِي كَمَدٍ عَلَيْكِ وَأُعْذَرُ [١]
وَأَرَاكِ خُنْتِ عَلَى ٱلنَّوَى مَنْ لَمْ يَخُنْ ... عَهْدَ ٱلْهَوَى وَهَجَرْتِ مَنْ لَا يَهْجُرُ [٢]
وَطَلَبْتُ مِنْكِ مَوَدَّةً لَمْ أُعْطَهَا ... إِنَّ ٱلْمُعَنَّى طَالِبٌ لَا يَظْفَرُ [٣]
هَلْ دَيْنُ عَلْوَةَ يُسْتَطَاعُ فَيُقْتَضَى ... أَوْ ظُلْمُ عَلْوَةَ يَسْتَفِيقُ فَيُقْصِرُ [٤]
بَيْضَاءُ يُعْطِيكَ ٱلْقَضِيبُ قَوَامَهَا ... وَيُرِيكَ عَيْنَيْهَا ٱلْغَزَالُ ٱلْأَحْوَرُ [٥]
تَمْشِي فَتَحْكُمُ فِي ٱلْقُلُوبِ بِدَلِّهَا ... وَتَمِيسُ فِي ظِلِّ ٱلشَّبَابِ وَتَخْطُرُ [٦]

. . .

أَللهُ مَكَّنَ لِلْخَلِيفَةِ جَعْفَرٍ ... مُلْكاً يُحَسِّنُهُ ٱلْخَلِيفَةُ جَعْفَرُ [٧]
نُعْمَى مِنَ ٱللهِ ٱصْطَفَاهُ بِفَضْلِهَا ... وَٱللهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ [٨]
فَٱسْلَمْ أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَلَا تَزَلْ ... تُعْطَى ٱلزِّيَادَةَ فِي ٱلْبَقَاءِ وَتُشْكَرُ [٩]
عَمَّتْ فَوَاضِلُكَ ٱلْبَرِيَّةَ فَٱلْتَقَى ... فِيهَا ٱلْمُقِلُّ عَلَى ٱلْغِنَى وَٱلْمُكْثِرُ [١٠]
بِٱلْبِرِّ صُمْتَ وَأَنْتَ أَفْضَلُ صَائِمٍ ... وَبِسُنَّةِ ٱللهِ ٱلرَّضِيَّةِ تُفْطِرُ [١١]
فَٱنْعَمْ بِيَوْمِ ٱلْفِطْرِ عَيْناً إِنَّهُ ... يَوْمٌ أَغَرُّ مِنَ ٱلزَّمَانِ مُشَهَّرُ

---

١ الكَمَد : الحزن . ٢ النوى : البعد . ٣ المعنّى : المتعب الذي اسقمه الهمّ . لا يظفر : لا ينال . ٤ علوة الحلبية : صاحبة الشاعر . يقصِرُ : ينتهي . ٥ الأحور : شديد سواد العينين باستدارة الحدقة ورقّة الجفون . ٦ بدلّها : بغنجها . تميس : تتمايل . تخطر : تراوح بين يديها في مشيتها . ٧ جعفر : اسم الخليفة المتوكّل عـلى الله . ٨ اصطفاه : اختاره . يقدر : يقسم الرزق . ٩ في هذا البيت تلميح الى ما ورد في القرآن : « ولئن شكرتم لأزيدنّكم » . ١٠ البريّة : العالم بأسره . المقِلّ : الفقير . المكثر : الغني . ١١ البرّ : التقوى وعمل الاحسان . السُّنّة : الشريعة .

. . .

فَأَسْلَمْ بِمَغْفِرَةِ ٱلْإِلٰهِ فَلَمْ يَزَلْ يَهَبُ ٱلذُّنُوبَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَغْفِرُ [١]
أَللّٰهُ أَعْطَاكَ ٱلْمَحَبَّةَ فِي ٱلْوَرَى وَحَبَاكَ بِٱلْفَضْلِ ٱلَّذِي لَا يُنْكَرُ
وَلَأَنْتَ أَمْلَأُ لِلْعُيُونِ لَدَيْهِمِ وَأَجَلُّ قَدْرًا فِي ٱلصُّدُورِ وَأَكْبَرُ

١٤٢ نهنه دمعك

[هذه زفرة من زفراته يصعّدها حزناً وأسى على وهب بن سليان وزير المهتدي بالله ثمّ وزير المعتمد على الله .]

أَأُخَيَّ نَهْنِهْ دَمْعَكَ ٱلْمَسْفُوكَا إِنَّ ٱلْحَوَادِثَ يَنْصَرِمْنَ وَشِيكَا [٢]
مَا أَذْكَرَتْكَ بِمُتْرَحٍ صَرْفُ ٱلْجَوَى إِلَّا ثَنَتْهُ بِمُفْرِحٍ يُنْسِيكَا [٣]
أَلدَّهْرُ أَنْصَفُ مِنْكَ فِي أَحْكَامِهِ إِذْ كَانَ يَأْخُذُ بَعْضَ مَا يُعْطِيكَا
وَقَلِيلُ هٰذَا ٱلسَّعْيِ يُكْسِبُكَ ٱلْغِنَى إِنْ كَانَ يُغْنِيكَ ٱلَّذِي يَكْفِيكَا
نَلْقَى ٱلْمَنُونَ حَقَائِقًا وَكَأَنَّنَا مِنْ غِرَّةٍ نَلْقَى بِهِنَّ شُكُوكَا [٤]
لَا تَرْكُنَنَّ إِلَى ٱلْخُطُوبِ فَإِنَّهَا لَمْعٌ يَسُرُّكَ تَارَةً وَيَسُوكَا [٥]
هٰذَا سُلَيْمَانُ بْنُ وَهْبٍ بَعْدَمَا طَالَتْ مَسَاعِيهِ ٱلنُّجُومَ سُمُوكَا [٦]
وَتَنَصَّفَ ٱلدُّنْيَا يُدَبِّرُ أَهْلَهَا سَبْعِينَ حَوْلًا قَدْ تَمَمْنَ دَكِيكَا [٧]
أَغْرَتْ بِهِ ٱلْأَقْدَارُ بَغْتَ مُلِمَّةٍ مَا كَانَ رَسْمُ حَدِيثِهَا مَأْفُوكَا [٨]

---

١ يهب الذنوب: يُسامح . ٢ نهنه : كفّ . المسفوك : المنسكب . ينصرمنَ : ينقطعن . وشيكا : سريعاً . ٣ المُترح : الحزن . صَرف الجوى : نوائب الحزن . ثنته : عطفَتْه . ٤ المنون : المـوت . الغِرّة : الغفلة . ٥ الخطوب ج خطب وهو البلاء ، المصيبة . يسوك اي يسوءك ، يحزنك . ٦ سليان بن وهب : وزّر اولاً للمهتدي بالله ثمّ المعتمد على الله . السموك : الارتفاع . ٧ تنصّف فعل ماضٍ من النصف اي انه كان يدبّر امور نصف الدنيا في مدى سبعين عاماً ، والحول : العام . الدكيك : المستوي من الارض وقد استعاره للسنين اي ان السبعين سنة قد تمت باستواء كلّها . ٨ البغت : الفجأة . الملمّة : المصيبة . المأفوك : المكذوب .

فَكَأَنَّمَا خَضَدَ ٱلْحِمَامُ بِيَوْمِهِ غُصْناً بِمُنْخَرَقِ ٱلرِّيَاحِ نَهِيكَا [١]
بَلِّغْ عُبَيْدَ ٱللهِ فَارِعَ مِذْحَجٍ شَرَفاً وَمُعْطَى فَضْلِهَا تَمْلِيكَا [٢]
مَا حَقُّ قَدْرِكَ أَنْ أُحَمِّلَ مُرْسَلاً غَيْرِي إِلَيْكَ وَلَوْ بَعَثْتُ أُلُوكَا [٣]
كُلُّ ٱلْمَصَائِبِ مَا بَقِيتَ نَعُدُّهُ حَرَضاً يَذُكُّ عَنِ ٱلنُّفُوسِ ذَكِيكَا [٤]
أَنْتَ ٱلَّذِي لَوْ قِيلَ لِلْجُودِ ٱتَّخِذْ خِلًّا أَشَارَ إِلَيْكَ لَا يَعْدُوكَا [٥]
وَكَأَنَّمَا آلَيْتَ وَٱلْمَعْرُوفَ لَا تَأْلُوهُ مُصْطَفِياً وَلَا يَأْلُوكَا [٦]
إِنَّ ٱلرَّزِيئَةَ فِي ٱلْفَقِيدِ فَإِنْ هَفَا جَزَعٌ بِصَبْرِكَ فَٱلرَّزِيئَةُ فِيكَا [٧]
وَمَتَى وَجَدْتَ ٱلنَّاسَ إِلَّا تَارِكاً لِحَمِيمِهِ فِي ٱلتُّرْبِ أَوْ مَتْرُوكَا
بَلَغَ ٱلْإِرَادَةَ أَنْ فَدَاكَ بِنَفْسِهِ وَوَدِدْتَ لَوْ تَفْدِيهِ لَا يَفْدِيكَا
لَوْ يَنْجَلِي لَكَ ذُخْرُهَا مِنْ نَكْبَةٍ جَلَلٍ لَأَضْحَكَكَ ٱلَّذِي يُبْكِيكَا [٨]
وَلَحَالَ كُلُّ ٱلْحَوْلِ مِنْ دُونِ ٱلَّذِي قَدْ بَاتَ يُسْخِطُكَ ٱلَّذِي يُرْضِيكَا
مَا يَوْمُ أُمِّكَ وَهْوَ أَرْوَعُ نَازِلٍ فَاجَاكَ إِلَّا دُونَ يَوْمِ أَبِيكَا
كَلْمٌ أُعِيدَ عَلَى حَشَاكَ وَلَمْحَةٌ مِمَّا عَهِدْتَ ٱلْحَادِثَاتِ تُرِيكَا [٩]
وَفَجِيعَةُ ٱلْأَيَّامِ قِسْمٌ سُوِّيَتْ فِيهِ ٱلْبَرِيَّةُ سُوقَةً وَمُلُوكَا [١٠]

١٤٣ لا عزاء لمغرم

[وهذه زفرة اخرى من زفرات البحتري ينفثها في رثاء بني حميد ويخصّ بها أبا مسلم :]

أَقَصْرَ حُمَيْدٍ لَا عَزَاءَ لِمُغْرَمٍ وَلَا قَصْرَ عَنْ دَمْعٍ وَإِنْ كَانَ مِنْ دَمِ [١١]

---

١ خَضَدَ : كسر . الحِمام : الموت . النهيك : التعب . ٢ الفارع : الذي يعلو الناس طولاً ويفوقهم . مذحج : اسم قبيلة . ٣ الألوك : الرسالة . ٤ الحرض : الساقط الذي لا خير فيه . ٥ لا يعدوك : لا يتجاوزك . ٦ آليتَ : قطعت عهداً على نفسك . والمعروف : الواو للمعية والمعروف مفعول معه . تألوه : تتركه . ٧ الرزيئة : المصيبة، البليّة . الجزع : الخوف . ٨ ينجلي : يتضح ويظهر . ٩ الكَلْم : الجرح . ١٠ البريّة : العالم كلّه . السوقة : عامّة الناس . والمراد بالسوقة والملوك، اهل الضعة واهل الرفعة . ١١ القَصر : التوقّف .

أَفِي كُلِّ عَامٍ لَا تَزَالُ مُرَوَّعاً ... بِفَذٍّ نَعِيٍّ تَارَةً أَوْ بِتَوْأَمِ ١

مَضَى أَهْلُكَ ٱلْأَخْيَارُ إِلَّا أَقَلَّهُمْ ... وَبَادُوا كَمَا بَادَتْ أَوَائِلُ جُرْهُمِ ٢

فَصِرْتَ كَعُشٍّ خَلَّفَتْهُ فِرَاخُهُ ... بِعَلْيَاءِ فَرْعٍ مِنَ ٱلْأَثْلَةِ ٱلْمُتَهَشِّمِ ٣

أَحِبَّ بَنُوكَ ٱلْمَكْرُمَاتِ فَفُرِّقَتْ ... جَمَاعَتُهُمْ فِي كُلِّ دَهْيَاءَ صَيْلَمِ ٤

تَدَانَتْ مَنَايَاهُمْ بِهِمْ وَتَبَاعَدَتْ ... مَضَاجِعُهُمْ عَنْ تُرْبِكَ ٱلْمُتَنَسِّمِ ٥

فَكُلٌّ لَهُ قَبْرٌ غَرِيبٌ بِبَلْدَةٍ ... فَمِنْ مُنْجِدٍ نَائِي ٱلضَّرِيحِ وَمُتْهِمِ ٦

قُبُورٌ بِأَطْرَافِ ٱلثُّغُورِ كَأَنَّمَا ... مَوَاقِعُهَا مِنْهَا مَوَاقِعُ أَنْجُمِ ٧

بِشَاهِقَةِ ٱلْبَذَّيْنِ قَبْرُ مُحَمَّدٍ ... بَعِيدٌ عَنِ ٱلْبَاكِينَ فِي كُلِّ مَأْتَمِ ٨

تَشُقُّ عَلَيْهِ ٱلرِّيحُ كُلَّ عَشِيَّةٍ ... جُيُوبَ ٱلْغَمَامِ بَيْنَ بِكْرٍ وَأَيِّمِ ٩

وَقَبْرَانِ فِي أَعْلَى ٱلنِّبَاجِ سَقَتْهُمَا ... بُرُوقُ سُيُوفِ ٱلْغَوْثِ غَيْثاً مِنَ ٱلدَّمِ ١٠

أَقَبْرَا أَبِي نَصْرٍ وَقَحْطَبَةٍ هُمَا ... بِحَيْثُ هُمَا أَمْ يَذْبُلٍ وَيَرَمْرَمِ ١١

وَبِٱلْمَوْصِلِ ٱلزَّوْرَاءِ مَلْحَدُ أَحْمَدٍ ... وَبَيْنَ رُبَى ٱلْقَاطُولِ مَضْجَعُ أَحْرَمِ ١٢

وَكَمْ طَلَبَتْهُمْ مِنْ سَوَابِقِ عَبْرَةٍ ... مَتَى مَا تُتَهْنِهْهُ بِٱلْمَلَامَةِ تَسْجُمِ ١٣

نَوَادِبُ فِي أَقْصَى خُرَاسَانَ جَاوَبَتْ ... نَوَائِحَ فِي بَغْدَادَ بُحَّ ٱلتَّرَنُّمِ ١٤

---

١ المروَّع : المفزع . الفذّ : الفرد الواحد الذي لا ثانيَ له . ٢ جرهم : قبيلة عربية قديمة . ٣ الأثلة : ضَرْبٌ من الشجر يدعى الطرفاء . المتهشّم : المتكسّر . ٤ الدهياء : المصيبة الكبيرة . الصَّيلم : الشديدة . ٥ تدانت : تقاربت . تُربك : ترابك . المتنسّم : المتأرّج بالطيب . ٦ المنجِد : الواقع في نجد . النائي : البعيد . الضريح : القبر . المتهِم : الواقع في تهامة . ٧ الثغور : مدن كانت على حدود بلاد فارس . ٨ شاهقة : عالية . البذّ والبذّان : بلدة قرب اذربيجان . المأتم : المناحة . ٩ اي ان الريح تحزن عليه وتبكيه مطراً كلّ عشيّة لما كان عليه من جودٍ و كرم . الأيِّم : مَن لا زوج لها . ١٠ اراد بالقبرين قبر بني حميد وقبر ابي مسلم . النِّباج : موضع قريب من البصرة . الغوث : النصر والاعانة . ١١ يذبل : اسم جبل في بلاد العرب ومثله يرمرم ، اي قبر الفقيدين يشبهان جَبَلَي يذبل ويرمرم . ١٢ الزوراء من القاب الموصل . الملحد : القبر . القاطول : اسم موضع على الفرات . ١٣ تنهنهُ : تكفّ ؛ تسجم : تسيل . ١٤ بُحّ الترنّم : نعت لنوادب .

لَهُنَّ عَلَيْهِمْ حَنَّةٌ بَعْدَ أَنَّةٍ … وَوَجْدٌ كَدُفَّاعِ ٱلْحَرِيقِ ٱلْمُضَرَّمِ [1]
أَبَا غَانِمٍ أَرْدَى بَنِيكَ ٱعْتِقَادُهُمْ … بِأَنَّ ٱلرَّدَى فِي ٱلْحَرْبِ أَكْبَرُ مَغْنَمِ [2]
مَضَوْا يَسْتَلِذُّونَ ٱلْمَنَايَا حَفِيظَةً … وَحِفْظًا لِذَاكَ ٱلسُّؤْدُدِ ٱلْمُتَقَدِّمِ [3]
وَمَا طَعَنُوا إِلَّا بِعَمْرٍ مُوَصَّلٍ … وَلَا ضَرَبُوا إِلَّا بِسَيْفٍ مُثَلَّمِ [4]
وَلَمَّا رَأَوْا بَعْضَ ٱلْحَيَاةِ مَذَلَّةً … عَلَيْهِمْ وَعِزَّ ٱلْمَوْتِ غَيْرَ مُحَرَّمِ [5]
أَبَوْا أَنْ يَذُوقُوا ٱلْعَيْشَ وَٱلذَّمُّ وَاقِعٌ … عَلَيْهِ وَمَاتُوا مِيتَةً لَمْ تُذَمَّمِ [6]
وَكُلُّهُمُ أَفْضَى إِلَيْهِ حِمَامُهُ … أَمِيرًا عَلَى تَدْبِيرِ جَيْشٍ عَرَمْرَمِ [7]
تَوَلَّى ٱلرَّدَى مِنْهُ بِهَبَّةِ صَارِمٍ … وَمُهْجَةِ ثُعْبَانٍ وَعَدْوَةِ ضَيْغَمِ
حُتُوفٌ أَصَابَتْهَا ٱلْحُتُوفُ وَأَسْهُمٌ … مِنَ ٱلْمَوْتِ كَرَّ ٱلْمَوْتُ فِيهَا بِأَسْهُمِ
تَرَى ٱلْبِيضَ لَمْ تَعْرِفْهُمُ حِينَ وَاجَهَتْ … وُجُوهَهُمُ فِي ٱلْمَأْزِقِ ٱلْمُتَجَهِّمِ [8]
وَلَمْ تَتَذَكَّرْ رِيَّهَا بِأَكُفِّهِمْ … إِذَا أَوْرَدُوهَا تَحْتَ أَغْبَرَ أَقْتَمِ [9]
بَلَى، غَيْرَ أَنَّ ٱلسَّيْفَ أَغْدَرُ صَاحِبٍ … وَأَكْفَرُ مَنْ نَالَتْهُ نِعْمَةُ مُنْعِمِ [10]
بِنَفْسِي نُفُوسٌ لَمْ تَكُنْ حَمْلَةُ ٱلْعِدَى … أَشَدَّ عَلَيْهَا مِنْ وُقُوفِ ٱلتَّكَرُّمِ [11]
وَلَوْ أَنْصَفَتْ نَبْهَانُ مَا طَلَبَتْ بِهَا … سِوَى ٱلْمَجْدِ، إِنَّ ٱلْمَجْدَ خُطَّةُ مُغْرَمِ
دَعَاهَا ٱلرَّدَى بَعْدَ ٱلرَّدَى فَتَتَابَعَتْ … تَتَابُعَ مُنْبَتِّ ٱلْفَرِيدِ ٱلْمُنَظَّمِ [12]

---

١ دُفّاع الموج والسيل : دفعته الاولى . المضرَّم : المشتعل . ٢ يخاطب ابا غانم والد الفقيد فيقول له : إنّ بنيك طلبوا الموت في ساحة الحرب لاعتقادهم انّ الموت في الحرب من أشرف ما يغنمه الانسان، وفي البيت اشارة الى الشجاعة والاستبسال . ٣ حفيظة : حمايةً لشرفهم . السؤدد . المجد . ٤ العَمْر : كل مستطيل بين سِنَّين كنى به عن الرماح . السيف المثلَّم : السيف الذي تشقّق حدّه من كثرة الاستعمال . ٥ اي انهم رأوا من المذلّة ان يعيشوا بدون ان يخوضوا غمار الحروب ، لان الموت فيها عزّ ومجدٌ . ٦ أبوا : ترفّعوا ، رفضوا .
٧ حِمامُه : موته . الجيش العرمرم : الجيش الكثير الحافل بالجنود . ٨ المأزق : المضيق . المتجهّم : العبوس . ٩ الريّ : السقيا . الاقتم : المظلم من كثرة الغبار . ١٠ اي ان السيف في الحرب لا يعرف صديقاً ولا يذكر نعمة منعم . ١١ بنفسي : حرف الجرّ متعلق بخبر محذوف تقديره فداه بنفسي، ونفوس مبتدأ مؤخر . ١٢ المنبت : المنقطع . الفريد : العقد .

سَلَامٌ عَلَى تِلْكَ ٱلْخَلَائِقِ، إِنَّهَا مُسَلَّمَةٌ مِنْ كُلِّ عَارٍ وَمَأْثَمِ ١
مَسَاعٍ عِظَامٌ لَيْسَ يَبْلَى جَدِيدُهَا وَإِنْ بَلِيَتْ مِنْهُمْ رَمَائِمُ أَعْظُمِ ٢
وَلَا عَجَبٌ لِلْأُسْدِ إِنْ ظَفِرَتْ بِهَا كِلَابُ ٱلْأَعَادِي مِنْ فَصِيحٍ وَأَعْجَمِ ٣
فَحَرْبَةُ وَحْشِيٍّ سَقَتْ حَمْزَةَ ٱلرَّدَى وَمَوْتُ عَلِيٍّ عَنْ حُسَامِ ٱبْنِ مُلْجَمِ ٤
أَبَا مُسْلِمٍ لَا زِلْتَ بَيْنَ مُوَدِّعٍ مِنَ ٱلْمُزْنِ مَسْكُوبِ ٱلْحَيَا وَمُسَلِّمِ ٥
وَمَا جَدَثٌ فِيهِ ٱبْتِسَامُكَ لِلنَّدَى إِذَا أَظْلَمَتْ أَجْدَاثُ قَوْمٍ بِمُظْلِمِ ٦

ميزة شعره : لئن قلّد البحتري الاقدمين في الأسلوب ولم يأت بكثير من المعاني الجديدة، وإن لم يتمكّن من مجاراة ابي تمام في شدّة أسره وسعة خياله فقد عرف ان يتلافى ما تورّط فيه عامّة المدّاح من الإسراف في المغالاة وتخطّي المعقول، ولم تبدُ على شعره آثار الصنعة الباردة إلّا في النادر، لما ألبسه من جمال اسلوبه المنسجم الرقيق، ومن براعة سياسته في إظهار الرقّة واللطف في الوان عذبة أخّاذة .

البحتري شاعر العتاب :

١٤٤ ولو لم تكن ساخطاً

[كتب البحتري يعاتب الفتح بن خاقان ويقول :]

بَلَوْنَا ضَرَائِبَ مَنْ قَدْ نَرَى فَمَا إِنْ رَأَيْنَا لِفَتْحٍ ضَرِيبَا ٧
هُوَ ٱلْمَرْءُ أَبْدَتْ لَهُ ٱلْحَادِثَاتُ عَزْماً وَشِيكاً وَرَأْياً صَلِيبَا ٨

---

١ مسلّمة : اي سالمة . مأثم : ذنب . ٢ يبلى : يفنى . الرمائم ج رمّة وهي بقايا الميت من العظام . ٣ اراد بالفصيح العربيّ وبالأعجم من ليس عربياً . ٤ حمزة من رجال الصحابة . ابن ملجم : قاتل الامام عليّ في ١٧ رمضان وهو يصلي بجامع الكوفة . ٥ المزن : ماء المطر الصافي . الحيا : المطر . ٦ الجدث : القبر . الندى : الكرم . ٧ الضريب : المثيل . ٨ الوشيك : السريع .

تَنَقَّلَ فِي خُلُقَيْ سُؤْدُدٍ سَمَاحاً مُرَجًّى وَبَأْساً مَهِيبَا
فَكَالسَّيْفِ إِنْ جِئْتَهُ صَارِخاً وَكَالْبَحْرِ إِنْ جِئْتَهُ مُسْتَثِيبَا [1]
فَتًى كَرَّمَ اللهُ أَخْلَاقَهُ وَأَلْبَسَهُ الْحَمْدَ غَضّاً قَشِيبَا
وَأَعْطَاهُ مِنْ كُلِّ فَضْلٍ يُعَدُّ حَظّاً وَمِنْ كُلِّ مَجْدٍ نَصِيبَا
فَدَيْنَاكَ مِنْ كُلِّ خَطْبٍ عَرَا وَنَائِبَةٍ أَوْشَكَتْ أَنْ تَنُوبَا
وَإِنْ كَانَ رَأْيُكَ قَدْ حَالَ فِيَّ فَلَقَّيْتَنِي بَعْدَ بِشْرٍ قُطُوبَا
وَخَيَّبْتَ أَسْبَابِيَ النَّازِعَاتِ إِلَيْكَ وَمَا حَقُّهَا أَنْ تَخِيبَا
يُرِيبُنِيَ الشَّيْءُ تَأْتِي بِهِ فَأُكْبِرُ قَدْرَكَ أَنْ أَسْتَرِيبَا [2]
وَأُكْرَهُ أَنْ أَتَمَادَى عَلَى سَبِيلِ اغْتِرَارٍ فَأَلْقَى شَعُوبَا [3]
أُكَذِّبُ ظَنِّي بِأَنْ قَدْ سَخِطْتَ وَمَا كُنْتُ أَعْهَدُ ظَنِّي كَذُوبَا
وَلَوْ لَمْ تَكُنْ سَاخِطاً لَمْ أَكُنْ أَذُمُّ الزَّمَانَ وَأَشْكُو الْخُطُوبَا
وَلَا بُدَّ مِنْ لَوْمَةٍ أَنْتَحِي عَلَيْكَ بِهَا مُخْطِئاً أَوْ مُصِيبَا [4]
أَيُصْبِحُ وِرْدِيَ فِي سَاحَتَيْكَ طَرْقاً وَمَرْعَايَ مَحْلاً جَدِيبَا
أَبِيعُ الْأَحِبَّةَ بَيْعَ السَّوَامِ وَآسَى عَلَيْهِمْ حَبِيباً حَبِيبَا [5]
فَفِي كُلِّ يَوْمٍ لَنَا مَوْقِفٌ يُشَقِّقُ فِيهِ الْوَدَاعُ الْجُيُوبَا
وَمَا كَانَ سُخْطُكَ إِلَّا الْفِرَاقَ أَفَاضَ الدُّمُوعَ وَأَشْجَى الْقُلُوبَا
وَلَوْ كُنْتُ أَعْرِفُ ذَنْباً لَمَا كَانَ خَالَجَنِي الشَّكُّ فِي أَنْ أَتُوبَا
سَأَصْبِرُ حَتَّى أُلَاقِيَ رِضَاكَ إِمَّا بَعِيداً وَإِمَّا قَرِيبَا
أُرَاقِبُ رَأْيَكَ حَتَّى يَصِحَّ وَأَنْظُرُ عَطْفَكَ حَتَّى يَثُوبَا [6]

١ المستثيب : طالب الثواب والعطاء . ٢ أسترِيب : أقع في الريبة . ٣ الشعوب : المنيّة . ٤ أنتحي عليك بها : اوجّهها اليك . ٥ السّوام : الإبل . ٦ يثوب : يرجع .

ميزة شعره : يبدي البحتري في عتابه من الحذق والمهارة الشيء الكثير، ويخرجه مخرج السياسة فيقرن فيه الرقّة واللطف الى المؤاخذة، والنعومة وخفّة الروح الى التأنيب والتهديد؛ ويسكب عليه من الحلاوة وسهولة المأخذ ما يعجب ويروع .

البحتري شاعر الوصف :

وصف الطبيعة :

١٤٥ اتاك الربيع

[للبحتري لوحات عديدة يجمع فيها ألواناً مختلفة من مباهج الطبيعة الفاتنة التي استأثرت بفؤاده كما نرى ذلك في قصيدة مدح بها الهيثم الغنويّ وتخطّى المدح الى وصف الربيع قال :]

أَتَاكَ ٱلرَّبِيعُ ٱلطَّلْقُ يَخْتَالُ ضَاحِكاً مِنَ ٱلْحُسْنِ حَتَّى كَادَ أَنْ يَتَكَلَّمَا ١
وَقَدْ نَبَّهَ ٱلنَّوْرُوزُ فِي غَلَسِ ٱلدُّجَى أَوَائِلَ وَرْدٍ كُنَّ بِٱلْأَمْسِ نُوَّمَا ٢
يُفَتِّقُهَا بَرْدُ ٱلنَّدَى فَكَأَنَّهُ يَبُثُّ حَدِيثاً كَانَ قَبْلُ مُكَتَّمَا ٣
وَمِنْ شَجَرٍ رَدَّ ٱلرَّبِيعُ لِبَاسَهُ عَلَيْهِ كَمَا نَشَّرْتَ وَشْياً مُنَمْنَمَا ٤
أَحَلَّ فَأَبْدَى لِلْعُيُونِ بَشَاشَةً وَكَانَ قَذًى لِلْعَيْنِ إِذْ كَانَ مُحْرِمَا ٥
وَرَقَّ نَسِيمُ ٱلرِّيحِ حَتَّى حَسِبْتَهُ يَجِيءُ بِأَنْفَاسِ ٱلْأَحِبَّةِ نُعَّمَا ٦

[وهنا يلتفت الى ممدوحه فيخاطبه :]

فَمَا يَحْبِسُ ٱلرَّاحَ ٱلَّتِي أَنْتَ خِلُّهَا وَمَا يَمْنَعُ ٱلْأَوْتَارَ أَنْ تَتَرَنَّمَا ٧

---

١ يختالُ : يتخطّر . ٢ النوروز : عيد من اعياد الفرس يقع في اوّل آذار . الغلس : ظلمة آخر الليل . الدّجى : آخر الليل قبل السحر . ٣ بثّ حديثاً : يبوح بالحديث ويفشيه . ٤ منمنماً : مزخرفاً منقوشاً . ٥ أحلّ : الفاعل المستتر فيه يعود الى الربيع اي ان الربيع قد خرج من حرمه وهو الشتاء فلبست اشجاره الاوراق والازهار الملوّنة واظهر بشاشة وفرحاً للعين . المحرم : الداخل في الحرَم ولبس لباسَ الاحرام وهو ما يلبسه المسلمون في الحج . ٦ اي ان نسيم الروض نسَم بانفاس الاحبّة فكان بَرداً ونعيماً . ٧ الراح : الخمرة . الاوتار كناية عن آلات الطرب كالعود وما مائله .

وَمَا زِلْتَ خِلًّا لِلنَّدَامَى إِذَا ٱنْتَشَوْا وَرَاحُوا بُدُورًا يَسْتَحِثُّونَ أَنْجُمَا [١]
تَكَرَّمْتَ مِنْ قَبْلِ ٱلْكُؤُوسِ عَلَيْهِمِ فَمَا ٱسْطَعْنَ أَنْ يُحْدِثْنَ فِيكَ تَكَرُّمَا [٢]

١٤٦ بين الشاعر والذئب

[من قصيدة يفتخر بها ويصف ما دار بينه وبين ذئب :]

وَلَيْلٍ، كَأَنَّ ٱلصُّبْحَ، فِي أُخْرَيَاتِهِ، حُشَاشَةُ نَصْلٍ، ضَمَّ إِفْرِنْدَهُ غِمْدُ [٣]
تَسَرْبَلْتُهُ، وَٱلذِّئْبُ وَسْنَانُ هَاجِعٌ، بِعَيْنِ ٱبْنِ لَيْلٍ مَا لَهُ بِٱلْكَرَى عَهْدُ، [٤]
أُثِيرُ ٱلْقَطَا ٱلْكُدْرِيَّ عَنْ جَثَمَاتِهِ وَتَأْلَفُنِي فِيهِ ٱلثَّعَالِبُ وَٱلرُّبْدُ [٥]
وَأَطْلَسَ مِلْءِ ٱلْعَيْنِ، يَحْمِلُ زَوْرَهُ، وَأَضْلَاعُهُ، مِنْ جَانِبَيْهِ، شَوًى نَهْدُ [٦]
لَهُ ذَنَبٌ مِثْلُ ٱلرِّشَاءِ يَجُرُّهُ وَمَتْنٌ كَمَتْنِ ٱلْقَوْسِ أَعْوَجُ مُنْأَدُّ [٧]
طَوَاهُ ٱلطَّوَى حَتَّى ٱسْتَمَرَّ مَرِيرُهُ فَمَا فِيهِ إِلَّا ٱلْعَظْمُ وَٱلرُّوحُ وَٱلْجِلْدُ [٨]

---

١ انتشوا : سكروا من الخمر . ٢ اسطعن : اي استطعن وقد حُذفت التاء للتخفيف .
٢ حُشاشة النصل : بقيّته . إفرنْد السيف : جوهره ووشيُه . — يقول : ربّ ليلٍ يبدو الصبح في أواخره خطّاً رقيقاً عند الافق المظلم كأنه بقيّة سيف أُغمِد إلا جزءاً منه . ٤ تسَربل الليلَ : صاحبه وسرى فيه . ابن الليل : دائم السّهر (اللصّ) . الكرى : النوم الخفيف . يقول : سريت بعين لصّ لا يعرف النوم في حين يكون الذئب نائماً . ٥ القطا : طائر في حجم الحمام يسير جماعات، صوته « قطا قطا ! » . الكُدريّ : المائل الى السواد والغبرة . الجَثَمات ج جثَمة وهي الأكمة . الرّبْد ج أرْبد وهو الاسد . — يقول : أثير القطا عن مجاثمه ومراقده بسيري في ذلك الليل في صحبة الثعالب والاسود . ٦ الاطلس : الذئب الامعط في لونه غبرة الى السواد . ملء العين : طويل مهيب . الزَّوْر : وسط الصدر او ما ارتفع منه الى الكتِفين ؛ والمُراد : الصدر . الشوى : ما كان غير مَقتَل من الاعضاء، وهذا الاسم مفرد في لفظه جمع في معناه . النهْد : البارز . — يقول : وذئبٍ أمعط اغبر، طويلٍ مهيب، رفيع الصدر، واضلاعه بارزة من جانبيه لما به من الهزال . . . ٧ الرّشاء : الحبل أو حبل الدّلو خاصة . المَتن : الظّهر . المُنأدّ : المُعوجّ . ٨ الطوى : الجوع ؛ طواه الطوى : جعله الجوع هزيلاً ضامراً . استمرّ مريره : استحكم عليه . — يقول : اهزله الجوع واشتدّت وطأته عليه . فلم يبق فيه إلا العظم والروح والجلْد .

يُقَضْقِضُ عُصْلاً، في أَسِرَّتِهَا ٱلرَّدى ، كَقَضْقَضَةِ ٱلْمَقْرُورِ أَرْعَدَهُ ٱلْبَرْدُ . ١
سَمَا لِي، وَبِي مِنْ شِدَّةِ ٱلْجُوعِ مَا بِهِ ، بِبَيْدَاءَ لَمْ تُعْرَفْ بِهَا عِيشَةٌ رَغْدُ ؛ ٢
كِلَانَا بِهَا ذِئْبٌ ، يُحَدِّثُ نَفْسَهُ بِصَاحِبِهِ ، وَٱلْجَدُّ يُتْعِسُهُ ٱلْجَدُّ . ٣
عَوَى ثُمَّ أَقْعَى ، فَٱرْتَجَزْتُ فَهِجْتُهُ فَأَقْبَلَ مِثْلَ ٱلْبَرْقِ يَتْبَعُهُ ٱلرَّعْدُ ؛ ٤
فَأَوْجَرْتُهُ خَرْقَاءَ ، تَحْسَبُ رِيشَهَا عَلَى كَوْكَبٍ يَنْقَضُّ، وَٱللَّيْلُ مُسْوَدُّ، ٥
فَمَا ٱزْدَادَ إِلَّا جُرْأَةً وَصَرَامَةً ، وَأَيْقَنْتُ أَنَّ ٱلْأَمْرَ مِنْهُ هُوَ ٱلْجِدُّ ؛
فَأَتْبَعْتُهَا أُخْرَى ، فَأَضْلَلْتُ نَصْلَهَا بِحَيْثُ يَكُونُ ٱللُّبُّ وَٱلرُّعْبُ وَٱلْحِقْدُ ٦
فَخَرَّ ، وَقَدْ أَوْرَدْتُهُ مَنْهَلَ ٱلرَّدى ، عَلَى ظَمَإٍ ، لَوْ أَنَّهُ عَذُبَ ٱلْوِرْدُ !
وَقُمْتُ فَجَمَّعْتُ ٱلْحَصَى ، فَٱشْتَوَيْتُهُ عَلَيْهِ ؛ وَلِلرَّمْضَاءِ مِنْ تَحْتِهِ وَقْدُ ٧
وَنِلْتُ خَسِيساً مِنْهُ ، ثُمَّ تَرَكْتُهُ وَأَقْلَعْتُ عَنْهُ، وَهْوَ مُنْعَفِرٌ فَرْدُ . ٨

وصف العمران :

١٤٧ يا من رأى البركة الحسناء

[من شعره يصف البركة التي اصطنعها الخليفة في حديقته :]

مِيلُوا إِلَى ٱلدَّارِ مِنْ لَيْلَى نُحَيِّيهَا نَعَمْ ، وَنَسْأَلُهَا عَنْ بَعْضِ أَهْلِيهَا ٩
يَا دِمْنَةً جَاذَبَتْهَا ٱلرِّيحُ بَهْجَتَهَا تَبِيتُ تَنْشُرُهَا طَوْرًا وَتَطْوِيهَا ١٠

. . .

١ يُقضقِض عُصلاً : يُصوّت بأسنان صُلبة معوجّة . الأسرة ج سِرار : الخطوط . المقرور : من أصابه القرّ اي البرد . ٢ سما لي : خرج لي وقصدني . ٣ الجدّ : الحظّ . ٤ أقعى : جلس على مؤخّره . ارتجزْت : رفعت صوتي أو قلت رجزاً (ومن عادة البدو عند مباشرة الحرب إنشاد الرجز للتحمّس) . ٥ أوجرته : طعنته . الخرقاء : صفة للمرأة الحمقاء ، استعارها الشاعر للنّبلة لانها عمياء؛ وقد شبّه الشاعر ذلك السهم بالكوكب المنقضّ . ٦ بحيث . . . : اي القلب .
٧ الرّمضاء : الارض الحامية . ٨ الخسيس : القليل . المنعفر : الممرّغ في التراب .
٩ ميلوا الى الدار : اعدلوا اليها . من ليلى : حال من الدار اي ميلوا الى الدار على حال كونها منسوبة الى ليلى . نعم : حرف جواب يؤتى به للدلالة على جملة الجواب المحذوفة سادًّا مسدّها .
١٠ الدمنة : ما اسودّ من آثار الدار . تنشرها : تبسطها، ونقيضه تطويها .

يَا مَنْ رَأَى ٱلْبِرْكَةَ ٱلْحَسْنَاءَ رُؤْيَتَهَا   وَٱلْآنِسَاتِ إِذَا لَاحَتْ مَغَانِيهَا [1]
بِحَسْبِهَا أَنَّهَا فِي فَضْلِ رُتْبَتِهَا   تُعَدُّ وَاحِدَةً وَٱلْبَحْرُ ثَانِيهَا [2]
مَا بَالُ دِجْلَةَ كَٱلْغَيْرَى تُنَافِسُهَا   فِي ٱلْحُسْنِ طَوْرًا وَأَطْوَارًا تُبَاهِيهَا [3] . . .
تَنْصَبُّ فِيهَا وُفُودُ ٱلْمَاءِ مُعْجَلَةً   كَٱلْخَيْلِ جَارِيَةً مِنْ حَبْلِ مُجْرِيهَا [4]
كَأَنَّمَا ٱلْفِضَّةُ ٱلْبَيْضَاءُ سَائِلَةً   مِنَ ٱلسَّبَائِكِ تَجْرِي فِي مَجَارِيهَا [5]
إِذَا عَلَتْهَا ٱلصَّبَا أَبْدَتْ لَهَا حُبُكًا   مِثْلَ ٱلْجَوَاشِنِ مَصْقُولًا حَوَاشِيهَا [6]
فَحَاجِبُ ٱلشَّمْسِ أَحْيَانًا يُغَازِلُهَا   وَرَيِّقُ ٱلْغَيْثِ أَحْيَانًا يُبَاكِيهَا [7]
إِذَا ٱلنُّجُومُ تَرَاءَتْ فِي جَوَانِبِهَا   لَيْلًا، حَسِبْتَ سَمَاءً رُكِّبَتْ فِيهَا !
لَا يَبْلُغُ ٱلسَّمَكُ ٱلْمَحْصُورُ غَايَتَهَا   لِبُعْدِ مَا بَيْنَ قَاصِيهَا وَدَانِيهَا [8]
يَعُمْنَ فِيهَا بِأَوْسَاطٍ مُجَنَّحَةٍ   كَٱلطَّيْرِ تَنْقَضُّ فِي جَوٍّ خَوَافِيهَا [9]
لَهُنَّ صَحْنٌ رَحِيبٌ فِي أَسَافِلِهَا   إِذَا ٱنْحَطَطْنَ، وَبَهْوٌ فِي أَعَالِيهَا [10] . . .
صُورٌ إِلَى صُورَةِ ٱلدُّلْفِينِ يُؤْنِسُهَا   مِنْهُ ٱنْزِوَاءٌ بِعَيْنَيْهِ يُوَازِيهَا [11]

---

١ رؤيتها : فاعـــل الحسناء . الآنسات : مفعول به من فعل رأى معطوفة على البركة . مغانيها مفردها مغنى وهو المنزل، ولعلّه أراد المقاصير المبنيّة حول البركة لاغتسال الجواري. ٢ رتبتها : منزلتها . تعدّ : تحسب. ٣ تنافسها : تسابقها غيرةً . ٤ وفود مفرده وافد : يقال وَفَدَ على الامير : قدم عليه رسولاً فهو وافد وهم وفود، استعاره لمجاري المياه التي تنصبّ في البركة وشبّهها بخيل اطلقها السائس فاندفعت تجري في الميـــدان . ٥ السبائك مفردها سبيكة : البوتقة التي تذوّب فيها الفضّة . ٦ الصبا : ريح خفيفة . أبدت : أظهرت . حُبُكاً : مفرده حبيكة : يريد بها تجعّد المـــاء وتكسّره . الجواشن مفرده جوشن : الدرع . ٧ حاجب الشمس : شعاعها . وريّق الغيث : اوّل المطر وافضله . ٨ غايتها : منتهاها . القاصي : البعيد . الداني : القريب . ٩ مجنّحة : ذات جناح . الخوافي : ريشات من الجناح اذا ضمّ الطائر جناحيه خفيت، وقد شبّه اجنحة السمك بخوافي الطير حين تنقضّ كاسرة اجنحتها للسقوط . ١٠ صحن الدار : ساحتها . الرّحيب : الواسع . البهو : بيت واسع وهو الغرفة الكبرى التي يُستقبل فيهـــا الوفود . ١١ الصور مفرده أصْوَر : المائل . الدلفين : حيوان بحريّ كبير . يؤنسها : يعجبهـــا . انزواء : انقباض وانحراف . يوازيها : يحاذيها، يقابلها .

تُغْنِي بَسَاتِينَهَا، ٱلْقُصْوَى بِرُؤْيَتِهَا، عَنِ ٱلسَّحَائِبِ مُنْحَلًّا عَزَالِيهَا [١]

١٤٨ وتنفّست فيه الصبا

[ومن شعره قوله يصف قصراً بناه المعتزّ بالله :]

ذُعِرَ ٱلْحَمَامُ، وَقَدْ تَرَنَّمَ فَوْقَهُ، مِنْ مَنْظَرٍ خَطِرِ ٱلْمَزَلَّةِ هَائِلِ [٢]
رُفِعَتْ لِمُخْتَرَقِ ٱلرِّيَاحِ سُمُوكُهُ وَزَهَتْ عَجَائِبُ حُسْنِهِ ٱلْمُتَخَايِلِ [٣]
وَكَأَنَّ حِيطَانَ ٱلزُّجَاجِ بِجَوِّهِ لُجَجٌ يَمُجْنَ عَلَى جُنُوبِ سَوَاحِلِ
لَبِسَتْ مِنَ ٱلذَّهَبِ ٱلصَّقِيلِ سُقُوفُهُ نُورًا يُضِيءُ عَلَى ٱلظَّلَامِ ٱلْحَافِلِ
فَتَرَى ٱلْعُيُونَ يَجُلْنَ فِي ذِي رَوْنَقٍ مُتَلَهِّبِ ٱلْعَالِي أَنِيقِ ٱلسَّافِلِ
أَغْنَتْهُ دِجْلَةُ إِذْ تَلَاحَقَ فَيْضُهَا عَنْ فَيْضِ مُنْهَمِرِ ٱلرَّبَابِ ٱلْهَاطِلِ [٤]
وَتَنَفَّسَتْ فِيهِ ٱلصَّبَا فَتَعَطَّفَتْ أَشْجَارُهُ مِنْ حُوَّلٍ وَحَوَامِلِ [٥]

١٤٩ إيوان كسرى

[تواطأت الهموم على البحتريّ فترك بغداد قاصداً المدائن عاصمة الاكاسرة، وهي سبع مدن قائمة على ضفّتي دجلة بالقرب من بغداد، وفيها القصر الابيض لكسرى. فوقف فيها متأمّلاً يصف ما فيها من جلال وعظمة.]

صُنْتُ نَفْسِي عَمَّا يُدَنِّسُ نَفْسِي، وَتَرَفَّعْتُ عَنْ جَدَا كُلِّ جِبْسِ [٦]

---

١ القصوى : البعيدة . السحائب مفرده سحابة : وهي التي تحمل المطر . عزاليها مفردهـا عزلاء : مصب الماء من القربة؛ ومنحلّاً عزاليها : متدفقاً ماؤها . ٢ ذُعر : خاف . خطر المزلّة : موضع السقوط فيه ذو خطر . ٣ مخترق الرياح : مهبّها . سموكه : سقوفه . زهت : أشرقت . المتخايل : المتكبر . ٤ المنهمر : المنسكب . الرباب : السحاب الابيض . الهاطل : السائل بشدّة . ٥ تعطّفت : مالت . الحُوَّل مفرده حائل ، يقال امرأة وفرس وشجرة حائل اي لا تحمل . ٦ الجدا : العطاء . الجِبْس : الجبان اللئيم .

وَتَمَاسَكْتُ حَيْثُ زَعْزَعَنِي ٱلدَّهْرُ ٱلْتِمَاساً مِنْهُ لِتَعْسِي وَنُكْسِي[1]...

. . .

حَضَرَتْ رَحْلِيَ ٱلْهُمُومُ، فَوَجَّهْتُ إِلَى أَبْيَضِ ٱلْمَدَائِنِ عَنْسِي[2]
أَتَسَلَّى عَنِ ٱلْحُظُوظِ، وَآسَى   لِمَحَلٍّ، مِنْ آلِ سَاسَانَ دَرْسِ[3]
ذَكَّرَتْنِيهِمِ ٱلْخُطُوبُ ٱلتَّوَالِي،   وَلَقَدْ تُذْكِرُ ٱلْخُطُوبُ وَتُنْسِي[4]
وَهُمُ خَافِضُونَ فِي ظِلِّ عَالٍ   مُشْرِفٍ، يُحْسِرُ ٱلْعُيُونَ وَيُخْسِي[5]
مُغْلَقٍ بَابُهُ، عَلَى جَبَلِ ٱلْقَبْقِ، إِلَى دَارَتَيْ خِلَاطٍ وَمُكْسِ[6]
حِلَلٌ، لَمْ تَكُنْ كَأَطْلَالِ سُعْدَى،   فِي قِفَارٍ مِنَ ٱلْبَسَابِسِ مُلْسِ[7]
وَمَسَاعٍ، لَوْلَا ٱلْمُحَابَاةُ مِنِّي،   لَمْ تُطِقْهَا مَسْعَاةُ عَنْسٍ وَعَبْسِ[8]...
لَوْ تَرَاهُ، عَلِمْتَ أَنَّ ٱللَّيَالِي   جَعَلَتْ فِيهِ مَأْتَماً، بَعْدَ عُرْسِ[9]
وَهْوَ يُنْبِيكَ عَنْ عَجَائِبِ قَوْمٍ،   لَا يُشَابُ ٱلْبَيَانُ فِيهِمْ بِلَبْسِ[10]
فَإِذَا مَا رَأَيْتَ صُورَةَ أَنْطَا   كِيَّةَ ٱرْتَعْتَ بَيْنَ رُومٍ وَفُرْسِ[11]

---

١ تماسكتُ: ثبتّ . زعزعني : حرّكني بعنف، أي نالني بمصائبه . نكسي : إذلالي وحطمي .
٢ حضرت رحليَ الهموم : طرأت عليّ الهموم والأحزان . العنس : الناقة الصلبة القويّة .
٣ آسى : أحزن . آل ساسان : أكاسرة الفرس الذين أزال الفتح الاسلامي دولتهم زمن عمر بن الخطاب . درْس : دارس وبالٍ . ٤ الخطوب : مصائب الدهر . التوالي : المتالية .
٥ وهم : اي آل ساسان . خافضون : في عيش رغيد . في ظلّ عال : اي في ظل قصر عالٍ هو القصر الابيض لكسرى . يحسر العيون : يضعفها ويجعلها تكلّ اذا نظرت اليه لتتبين ارتفاعه . يُخسي : يحسر ويؤلم . ٦ جبل القبق : هو ما يسمونه الآن جبال القوقاز . خلاط ومكس : قريتان من جبل القبق ؛ والدارة كل أرض واسعة بين جبال . ٧ الحلل ج حِلّة وهي المحلّة . البسابس : القفار . مُلس : خالية . وفي البيت تفضيل للفرس على العرب . ٨ المساعي ج مَسعاة وهي المكرمة . لم تطقها : لم تسمُ اليها . عنس قبيلة يمنيّة قحطانيّة وعبس قبيلة مضريّة عدنانيّة. يقول : اذا اردتُ الانصاف في القول وعدم محاباة العرب – على أني عربيّ – قلت ان ما اتى به الفرس من جليل الاعمال يفوق ما أتاه العرب سواء اكانوا قحطانيين ام عدنانيين . ٩ المأتم : المناحة . ١٠ لا يُشاب : لا يُخلط . البيان : المنطق الفصيح . اللّبس : الالتباس وعدم الوضوح.
١١ يظهر ان جدران القصر كانت تحمل صورة لانطاكية وقد اصبحت ميداناً للحرب بين الروم والفرس .

١ وَٱلْمَنَايَا مَوَاثِلٌ، وَأَنُوشَرْ وَانَ يُزْجِي ٱلصُّفُوفَ تَحْتَ ٱلدِّرَفْسِ

٢ فِي ٱخْضِرَارٍ مِنَ ٱللِّبَاسِ، عَلَى أَصْفَرَ يَخْتَالُ فِي صَبِيغَةِ وَرْسِ

٣ وَعِرَاكُ ٱلرِّجَالِ، بَيْنَ يَدَيْهِ، فِي خُفُوتٍ مِنْهُمْ وَإِغْمَاضِ جَرْسِ

٤ مِنْ مُشِيحٍ، يُهْوِي بِعَامِلِ رُمْحٍ، وَمُلِيحٍ، مِنَ ٱلسِّنَانِ، بِتُرْسِ

٥ تَصِفُ ٱلْعَيْنُ أَنَّهُمْ جِدُّ أَحْيَاءٍ، لَهُمْ بَيْنَهُمْ إِشَارَةُ خُرْسِ

٦ يَغْتَلِي فِيهِمِ ٱرْتِيَابِي، حَتَّى تَتَقَرَّاهُمُ يَدَايَ بِلَمْسِ...

٧ حُلُمٌ مُطْبِقٌ عَلَى ٱلشَّكِّ عَيْنِي، أَمْ أَمَانٍ غَيَّرْنَ ظَنِّي وَحَدْسِي؟

٨ وَكَأَنَّ ٱلْإِيوَانَ مِنْ عَجَبِ ٱلصَّنْعَةِ جَوْبٌ، فِي جَنْبِ أَرْعَنَ جِلْسِ...

٩ عَكَسَتْ حَظَّهُ ٱللَّيَالِي، وَبَاتَ ٱلْمُشْتَرِي فِيهِ، وَهْوَ كَوْكَبُ نَحْسِ

١٠ فَهْوَ يُبْدِي تَجَلُّدًا، وَعَلَيْهِ كَلْكَلٌ مِنْ كَلَاكِلِ ٱلدَّهْرِ مُرْسِ

١١ لَمْ يَعِبْهُ أَنْ بُزَّ مِنْ بُسُطِ ٱلدِّيبَاجِ، وَٱسْتُلَّ مِنْ سُتُورِ ٱلدِّمَقْسِ

١٢ مُشْمَخِرٌّ، تَعْلُو لَهُ شُرُفَاتٌ، رُفِعَتْ فِي رُؤُوسِ رَضْوَى وَقُدْسِ

١٣ لَابِسَاتٌ مِنَ ٱلْبَيَاضِ، فَمَا تُبْصِرُ مِنْهَا إِلَّا لَفَائِفَ بُرْسِ

١٤ لَيْسَ يُدْرَى: أَصُنْعُ إِنْسٍ لِجِنٍّ سَكَنُوهُ، أَمْ صُنْعُ جِنٍّ لِإِنْسِ؟

---

١ موائل: قائمة. انوشروان: أحد الاكاسرة. يُزجي: يسوق. الدِّرَفس: العَلَم الكبير. ٢ الوَرْس: نبات ذو صبغة حمراء. ٣ الخفوت: السكوت. الجَرْس: الصوت الخفيّ. ٤ المُشيح: الذي يقبل عليك ويحمي ظهره. عامل الرمح: صدره. المُليح: المُحاذِر. السّنان: حديدة الرمح. ٥ تصف العين: يخيَّل اليها. ٦ يغتلي: يُسرع، ويعظم. ارتيابي: شكّي في هل هم احياء ام لا. تتقرّاهم: تتبعهم. يقول: يزداد في شأنهم ارتيابي حتى المسهم في الصورة لأتبين هل هم أحياء كما يخيَّل اليّ. ٧ الحَدْس: الظنّ. ٨ الجَوْب: الترس. الأرعن: الجبل ذو الرَّعَن وهو أنفٌ يتقدّم الجبل. الجِلْس: الطويل؛ وكأنّ الايوان بالنسبة الى القصر الابيض العظيم الذي يشمل الايوان وغيره من الغرف والمقاصير ترس في جانب جبل أرعن، وجعل الجبَل أرعن لما فيه من الاجنحة... ٩ المشتري: احد الكواكب السيّارة، وطالع برجه سعدٌ عند الاقدمين. ١٠ الكلكل: الصدر، وكلاكل الدهر: دواهيه. مُرسٍ: ثابت. ١١ بُزّ: سُلب. استلّ: أخرج وانتزع. الدمقس: الحرير الابيض. ١٢ مشمخرّ: عالٍ. الشُرفات ج شرفة وهي ما اشرف من البناء. رضوى: جبل في المدينة. قدس: جبل عظيم في نجد؛ يشبّه القصر في ضخامته وارتفاعه بهذين الجبلين. ١٣ البِرس: القطن. ١٤ الإنس: الناس.

غَيْرَ أَنِّي أَرَاهُ يَشْهَدُ أَنْ لَمْ ... يَكُ بَانِيهِ، فِي ٱلْمُلُوكِ، بِنِكْسِ [1]
فَكَأَنِّي أَرَى ٱلْمَرَاتِبَ وَٱلْقَوْ ... مَ، إِذَا مَا بَلَغْتُ آخِرَ حِسِّي
وَكَأَنَّ ٱلْوُفُودَ ضَاحِينَ حَسْرَى، ... مِنْ وُقُوفٍ خَلْفَ ٱلزِّحَامِ، وَخُنْسِ [2]
وَكَأَنَّ ٱلْقِيَانَ، وَسْطَ ٱلْمَقَاصِيرِ ... يُرَجِّعْنَ بَيْنَ حُوٍّ وَلُعْسِ [3] ...
عُمِرَتْ لِلسُّرُورِ دَهْرًا، فَصَارَتْ ... لِلتَّعَزِّي، رِبَاعُهُمْ، وَٱلتَّأَسِّي [4]
فَلَهَا أَنْ أُعِينَهَا بِدُمُوعٍ ... مُوقَفَاتٍ عَلَى ٱلصَّبَابَةِ حُبْسِ
ذَاكَ عِنْدِي، وَلَيْسَتِ ٱلدَّارُ دَارِي، ... بِٱقْتِرَابٍ مِنْهَا، وَلَا ٱلْجِنْسُ جِنْسِي
غَيْرَ نُعْمَى لِأَهْلِهَا عِنْدَ أَهْلِي، ... غَرَسُوا مِنْ ذَكَائِهَا خَيْرَ غَرْسِ
أَيَّدُوا مُلْكَنَا وَشَدُّوا قُوَاهُ ... بِكُمَاةٍ، تَحْتَ ٱلسَّنَوَّرِ، حُمْسِ [5]
وَأَعَانُوا عَلَى كَتَائِبِ أَرْيَا ... طَ بِطَعْنٍ عَلَى ٱلنُّحُورِ، وَدَعْسِ [6]
وَأَرَانِي، مِنْ بَعْدُ، أَكْلَفُ بِٱلْأَشْرَافِ طُرًّا، مِنْ كُلِّ سِنْخٍ وَإِسِّ [7]

ميزة شعره : البحتري مصوّر موسيقيّ يرسم بدقّة ويعبّر في موسيقى أخّاذة . فهو بدويّ يغرم بالزخرف، ولكنه يأخذ به في اقتصاد، وقد عهد الى فطرته الشعريّة وسلامة ذوقه السليقيّة بمهمّة القيام على استعمال ضروب الصناعة المختلفة . ثم انه غمر شعره بموسيقى لا يعكّر أنغامها ايّ نشوز، فألفاظه منتخبة بعناية ومهارة، وتراكيبه بريئة من كل تنافر بين الالفاظ والحروف، بريئة من الاضطراب والتعقيد، تسير مع المعاني فتشتدّ بشدّتها وتلين بلينها ؛ واذا هنالك جوّ من السّحر، واذا هنالك شعر من اروع ما انتجته القرائح العربية .

---

١ النّكس : الضعيف الدنيء . ٢ ضاحين : بارزين للشمس . حسرى : شديدي التعب . خُنس : متأخّرين . ٣ الحُوّ : سُمر الشفاه . اللُّعس : الجواري اللواتي في شفاههنّ لَعَس اي سواد مستحسَن . ٤ عمِرت للسرور : جعلت آهلة بالسرور . ٥ الكماة ج كميّ وهو الشجاع اللابس السلاح . السّنوّر : كل سلاح من حديد . الحُمْس : الشجعان . يشير الى ما صنعه الفرس ولاسيا ابو مسلم الخراساني في بناء الدولة العباسية . ٦ أرياط : قائد حبشي فتح اليمن قديماً، ثم أخرج الاحباش بمعونة الفُرس . الدّعس : الوطء الشديد والطعن بالرّمح . ٧ أكلف بالأشراف : أشغف بهم . السنخ : الاصل . الإسّ : الاصل من كل شيء؛ اي انه يشغف بالاشراف ايّاً كان اصلهم وجنسهم .

ابن الرومي (٨٣٥ ـ ٨٩٦ م/٢٢١ ـ ٢٨٣ هـ)

[كانت حياة ابن الرومي سلسلة متواصلة من الخيبة والارزاء، فتزعزع كيانه واعتلّت اعصابه، فتشاءَم وتطيّرَ . ونُـكب في أُسرته، فزاده ذلك جزعاً وتشاؤماً . ولم ينل حظوة عند الخلفاء والعظماء فكان ديدنه التشكّي والالم . وسخر به الناس فأبغضهم وجرّد لسانه اللاذع لهجوهم . واندفع وراء اهوائه فهدّت جسمه . ونظم الشعر في كل حال من احواله، واذا شعره مرآة صادقة لتلك الاحوال .]

ابن الرومي الشاعر الشخصي :

١٥٠ يا اخي

[هذا نوع جديد يظهر لنا عند ابن الرومي في عتابه صديقه ابا القاسم الشطرنجيّ وكان يجيد اللعب بالشطرنج ويغلب ولو أدار للرقعة ظهره وأشار من غير نظر الى تحريك القطع . وقد كوّن الشاعر من الخصال السيئة التي استكشفها عند صاحبه جماعة من الاشخاص يتحدّث اليهم ويتحدّثون اليه فهو فيها مادح ومحاور وواصف وبالغ بعتابه حدّاً كأنه الهجاء، قال :]

يَا أَخِي أَيْنَ عَهْدُ ذَاكَ ٱلْإِخَاءِ ؟ أَيْنَ مَا كَانَ بَيْنَنَا مِنْ صَفَاءِ [١]
أَيْنَ مِصْدَاقُ شَاهِدٍ كَانَ يَحْكِي أَنَّكَ ٱلْمُخْلِصُ ٱلصَّحِيحُ ٱلْإِخَاءِ [٢]
كَشَفَتْ مِنكَ حَاجَتِي هَنَوَاتٍ غُطِّيَتْ بُرْهَةً بِحُسْنِ ٱللِّقَاءِ [٣]

---

١ الصفاء : الحبّ والمودّة . ٢ يحكي : يقول . المخلص : الصادق في حبّه . ٣ الهنوات ج هنة وهي الشيء الزهيد .

تَرَكْتَنِي، وَلَمْ أَكُنْ سَيِّئَ ٱلظَّنِّ، أُسِيءُ ٱلظُّنُونَ بِٱلْأَصْدِقَاءِ [١]

. . .

يَا أَخِي هَبْكَ لَمْ تَهَبْ لِيَ مِنْ سَعْيِكَ حَظًّا كَسَائِرِ ٱلْبُخَلَاءِ [٢]
أَفَلَا كَانَ مِنْكَ رَدٌّ جَمِيلٌ فِيهِ لِلنَّفْسِ رَاحَةٌ مِنْ عَنَاءِ [٣]
يَا أَبَا ٱلْقَاسِمِ ٱلَّذِي كُنْتُ أَرْجُوهُ لِدَهْرِي، قَطَعْتَ مَتْنَ ٱلرَّجَاءِ [٤]
لَا أُجَازِيكَ مِنْ غُرُورِكَ إِيَّايَ غُرُورًا، وُقِيتَ سُوءَ ٱلْجَزَاءِ
أَنْتَ عَيْنِي وَلَيْسَ مِنْ حَقِّ عَيْنِي غَضُّ أَجْفَانِهَا عَلَى ٱلْأَقْذَاءِ [٥]
مَا بِأَمْثَالِ مَا أَتَيْتَ مِنَ ٱلْأَمْرِ يَحُلُّ ٱلْفَتَى ذُرَى ٱلْعَلْيَاءِ [٦]
لَا، وَلَا يَكْسِبُ ٱلْمَحَامِدَ فِي ٱلنَّاسِ وَلَا يَشْتَرِي جَمِيلَ ٱلثَّنَاءِ
لَيْسَ مَنْ حَلَّ بِٱلْمَحَلِّ ٱلَّذِي أَنْتَ بِهِ مِنْ سَمَاحَةٍ وَوَفَاءِ [٧]
بَذَلَ ٱلْوَعْدَ لِلْأَخِلَّاءِ سَمْحًا وَأَبَى بَعْدَ ذَاكَ بَذْلَ ٱلْعَطَاءِ [٨]
فَغَدَا كَٱلْخِلَافِ يُورِقُ لِلْعَيْنِ وَيَأْبَى ٱلْإِثْمَارَ كُلَّ ٱلْإِبَاءِ [٩]
لَيْسَ يَرْضَى ٱلصَّدِيقُ مِنْكَ بِبِشْرٍ تَحْتَ مَخْبُونِهِ دَفِينُ جَفَاءِ [١٠]
يَا أَخِي، يَا أَخَا ٱلدَّمَاثَةِ وَٱلرِّقَّةِ وَٱلظَّرْفِ وَٱلْحِجَى وَٱلدَّهَاءِ [١١]
رُبَّمَا هَالَنِي وَحَيَّرَ عَقْلِي أَخْذُكَ ٱللَّاعِبِينَ بِٱلْبَأْسَاءِ [١٢]
وَٱحْتِرَاسُ ٱلدُّهَاةِ مِنْكَ، وَإِعْصَافُكَ بِٱلْأَقْوِيَاءِ وَٱلضُّعَفَاءِ [١٣]

---

١ اي إنّ هذه الاشياء تركته يسيء الظنّ بالاصدقاء، وما كان كذلك من قبل. ٢ هَبْكَ: من افعال القلوب، إفرض؛ ولا تستعمل إلا أمراً. لم تهب: لم تُعطِ، من وهَبَ. ٣ العناء: التعب. ٤ قطعت متنَ الرجاء: اي قطعتَ الرجاء، والمتن هو الظهر والطريق. ٥ الاقذاء ج قذى وهو ما يدخل العين من غبار او قش. ٦ الذرى ج ذروة وهي أعلى الشيء من جبلٍ وغيره. ٧ السماحة: المسامحة وانشراح الصدر. ٨ أبى: رفض. ٩ الخلاف: نوع من شجر الصفصاف يحسن مرأى ولا يُثمر. ١٠ الجفاء: البغض او الابتعاد بغضاً. ١١ الحجى: العقل. الدهاء: شدّة الذكاء وتوقد الذهن. ١٢ هالني: افزعني. البأساء: الشدّة. ١٣ أعصف به: اهلكه وتغلب عليه.

عَنْ تَدَابِيرِكَ ٱللِّطَافِ ٱللَّوَاتِي   هُنَّ أَخْفَى مِنْ مُسْتَسِرِّ ٱلْهَبَاءِ[١]
بَلْ مِنَ ٱلسِّرِّ فِي ضَمِيرِ مُحِبٍّ   أَدَّبَتْهُ عُقُوبَةُ ٱلْإِفْشَاءِ
فَأَخَالُ ٱلَّذِي تُدِيرُ عَلَى ٱلْقَوْمِ   حُرُوبًا دَوَائِرَ ٱلْأَرْحَاءِ[٢]
وَأَظُنُّ ٱفْتِرَاسَكَ ٱلْقِرْنَ فَٱلْقِرْنَ   مَنَايَا وَشِيكَةَ ٱلْإِرْدَاءِ[٣]
وَأَرَى أَنَّ رُقْعَةَ ٱلْأَدَمِ ٱلْأَحْمَرِ   أَرْضًا عَلَّلْتَهَا بِدِمَاءِ[٤]
غَلِطَ ٱلنَّاسُ لَسْتَ تَلْعَبُ بِٱلشِّطْرَنْجِ   لٰكِنْ بِأَنْفُسِ ٱللُّعَبَاءِ
لَكَ مَكْرٌ يَدِبُّ فِي ٱلْقَوْمِ أَخْفَى   مِنْ دَبِيبِ ٱلْغِذَاءِ فِي ٱلْأَعْضَاءِ
أَوْ مَسِيرِ ٱلْقَضَاءِ فِي ظُلَمِ ٱلْغَيْبِ   إِلَى مَنْ يُرِيدُهُ بِٱلتَّوَاءِ[٥]
تَقْتُلُ ٱلشَّاهَ حَيْثُ شِئْتَ مِنَ ٱلرُّقْعَةِ   طَبًّا بِٱلْقِتْلَةِ ٱلنَّكْرَاءِ[٦]
غَيْرَ مَا نَاظِرٍ بِعَيْنَيْكَ فِي ٱلدَّسْتِ   وَلَا مُقْبِلٍ عَلَى ٱلرُّسَلَاءِ[٧]
بَلْ تَرَاهَا وَأَنْتَ مُسْتَدْبِرُ ٱلظَّهْرِ   بِقَلْبٍ مُصَوِّرٍ مِنْ ذَكَاءِ[٨]
مَا رَأَيْنَا سِوَاكَ قِرْنًا يُوَلِّي   وَهُوَ يُرْدِي فَوَارِسَ ٱلْهَيْجَاءِ
وَٱلْفُؤَادُ ٱلذَّكِيُّ لِلْمُطْرِقِ ٱلْمُعْرِضِ   عَيْنٌ يَرَى بِهَا مِنْ وَرَاءِ[٩] ...
تَقْرَأُ ٱلدَّسْتَ ظَاهِرًا فَتُؤَدِّيهِ   جَمِيعًا كَأَحْفَظِ ٱلْقُرَّاءِ
وَتَلَقَّى ٱلصَّوَابَ فِيمَا سِوَى ذَاكَ   إِذَا جَارَ جَائِرُ ٱلْآرَاءِ[١٠]
فَتَرَى أَنَّ بُلْغَةً مَعَهَا ٱلرَّاحَةُ   خَيْرٌ مِنْ ثَرْوَةٍ فِي شَقَاءِ[١١]
حَسْبُ ذِي إِرْبَةٍ وَرَأْيٍ جَلِيٍّ   نَظَرَتْ عَيْنُهُ بِلَا غُلَوَاءِ[١٢]
صِحَّةُ ٱلدِّينِ وَٱلْجَوَارِحِ وَٱلْعِرْضِ   وَإِحْرَازُ مُسْكَةِ ٱلْحَوْبَاءِ[١٣]

١ المستسرّ : ما يكون خفياً .   ٢ الارحاء ج رحى .   ٣ وشيكة الارداء : سريعة القتل .   ٤ علّلتها : سقيتها .   ٥ التواء : الهلاك .   ٦ طبّاً : علماً . النكراء : الشنيعة .   ٧ الدّست : رقعة الشطرنج . الرسلاء ج رسيل وهو الموافق لك في النضال ونحوه .   ٨ مستدبر الظهر : اي ظهره الى الرقعة .   ٩ أطرق : نظر الى الارض . اعرض عن الشيء مال عنه .   ١٠ فيما سوى ذاك : اي في ما هو من غير اللعب ؛ وهذا انتقال الى صفات الرجل العامّة . جارّ : ابتعد عن الصواب .   ١١ البُلغة : ما يكتفى به .   ١٢ الإربة : العقل . الغُلواء : الغلوّ والتجاوز .   ١٣ الحوباء : النفس ؛ ومسكة الحوباء : ما يحفظ حياتها .

. . .

يَا أَبَا ٱلقَاسِمِ ٱلَّذِي لَيسَ يَخفَى   عَنهُ مَكنُونُ خُطَّةٍ عَوصَاءِ
أَتَرَى كُلَّ مَا ذَكَرتُ جَلِيًّا   وَسِوَاهُ مِن غَامِضِ ٱلأَنحَاءِ
ثُمَّ يَخفَى عَلَيكَ أَنِّي صَدِيقٌ   رُبَّمَا عَزَّ مِثلُهُ بِٱلغَلَاءِ [1]
لَا لَعَمرُ ٱلإِلٰهِ لٰكِن تَعَاشَيتَ   بَصِيرًا فِي لَيلَةٍ قَمرَاءِ [2]
بَل تَعَامَيتَ غَيرَ أَعمَى عَنِ ٱلحَقِّ   نَهَارًا فِي ضَحوَةٍ غَرَّاءِ [3]
ظَالِمًا لِي مَعَ ٱلزَّمَانِ ٱلَّذِي ٱبتَزَّ   حُقُوقَ ٱلكِرَامِ لِلُّؤَمَاءِ
ثَقُلَت حَاجَتِي عَلَيكَ فَأَضحَت   وَهيَ عِبءٌ مِن فَادِحِ ٱلأَعبَاءِ [4] . . .
ظُلِمَت حَاجَتِي فَلَاذَت بِحَقوَيكَ   فَأَسلَمتَهَا لِكَفِّ ٱلقَضَاءِ [5]
وَقَضَاءُ ٱلإِلٰهِ أَحوَطُ لِلنَّاسِ   مِنَ ٱلأُمَّهَاتِ وَٱلآبَاءِ
غَيرَ أَنَّ ٱليَقِينَ أَضحَى مَرِيضًا   مَرَضًا بَاطِنًا شَدِيدَ ٱلخَفَاءِ
كُنتُ مُستَوحِشًا فَأَظهَرتَ بَخسًا   زَادَنِي وَحشَةً مِنَ ٱلخُلَطَاءِ [6]
وَعَزِيزٌ عَلَيَّ عَضِّيكَ بِٱللَّومِ   وَلٰكِن أَصَبتَ صَدرِي بِدَاءِ

. . .

أَنتَ أَدوَيتَ صَدرَ خِلِّكَ فَٱعذُرهُ   عَلَى ٱلنَّفثِ إِنَّهُ كَٱلدَّوَاءِ [7]
إِن تَكُن لَفحَةٌ أَصَابَتكَ مِن عَذلِي   فَعَمَّا قَدَحتَ فِي ٱلأَحشَاءِ
وَٱلَّذِي أَطلَقَ ٱللِّسَانَ فَعَاتَبتُكَ   عَدِّيكَ أَوَّلَ ٱلفُهَمَاءِ [8]
لَم أَخَف مِنكَ غَلطَةً حِينَ عَاتَبتُكَ   تَدعُو ٱلعِتَابَ بِٱسمِ ٱلهِجَاءِ

١ اي انني صديق مخلص ربما لا تجد مثله في وقت الضيق . ٢ تعاشَيْتَ : تظاهرت بضعف البصر . ٣ الضحوة : اول النهار . ٤ الفادح : الثقيل المتعب . ٥ أصابت حاجتي ظلامة فالتجأت اليك ولكنك نبذتها وتركتها للقضاء . ٦ اي كنت مستوحشاً من الناس بعيداً عنهم فاظهرتَ لي من تنقيص حقي ما حملني على أن ازيد نفوراً منهم وان يزيدوا نفوراً مني . ٧ أدويت : أمرضت . النفث : اظهار ما في الصدر من الم وهمّ . ٨ اي ان الذي اطلق لساني بعتابك أني اعدّك أفهم الفهماء .

وَأَنَا ٱلْمَرْءُ لَا أَسُومُ عِتَابِي صَاحِباً غَيْرَ صُفْوَةِ ٱلْأَصْفِيَاءِ [1]
ذَا ٱلْحِجَى مِنْهُمُ وَذَا ٱلْحِلْمِ وَٱلْعِلْمِ، وَجَهْلٌ مَلَامَةُ ٱلْجُهَلَاءِ
إِنَّ مَنْ لَامَ جَاهِلًا لَطَبِيبٌ يَتَعَاطَى عِلَاجَ دَاءٍ عَيَاءِ [2]

ميزة شعره: يحاول ابن الرومي ان يبلغ مآربه عن سبيل البراعة، فيودع مدحه نفثة من العتاب مستوفية الحذق الى حدّ بعيد، ويُلبس كلامه عذوبة ورفقاً، ويتودّد في لهجة المستخذي، مبرّئاً نفسه من كل ما قد يحوّل عنه العطاء والإحسان، مظهرًا نفسه في صورة المحبّ المخلص . الّا انه في عتابه غير متزن فهو كثيرًا ما ينقاد لنزوات احساسه ولانفعاله فيضمّن العتاب تهديدًا وتأنيباً .

١٥١ تظلّم شعري الى القاسم

[وقال يمدح القاسم بن عبيد الله :]

تَظَلَّمَ شِعْرِي إِلَى ٱلْقَاسِمِ فَأَعْدَى عَلَى ٱلزَّمَنِ ٱلْغَاشِمِ [3]
تَطَوَّلَ حَتَّى تَوَهَّمْتُهُ يُطَاوِلُ بَدْرَ بَنِي هَاشِمِ [4]
وَنَوَّلَ حَتَّى لَقَدْ خِلْتُهُ يُسَاجِلُ فِيَّ أَبَا ٱلْقَاسِمِ [5]
نُطِيفُ بِبَحْرٍ لَهُ زَاخِرٍ وَنَأْوِي إِلَى جَبَلٍ عَاصِمِ [6]
تَظَلُّ يَدَاهُ يَدَيْ غَارِمٍ وَبَهْجَتُهُ بَهْجَةَ ٱلْغَانِمِ [7]
وَمَا غَارِمٌ حَصَّلَتْ كَفُّهُ لَهُ ٱلْحَمْدَ وَٱلْأَجْرَ بِٱلْغَارِمِ
فَلَا عَيْبَ فِيهِ سِوَى نَائِلٍ يَرَاهُ ٱلْمُنَوَّلُ كَٱلْحَالِمِ
فَلَا زَالَ غَيْثاً عَلَى سَائِلٍ مُحِقٍّ وَغَيْظاً عَلَى نَاقِمِ

١ اسوم : اكلّف . الصفوة : الخالص من كل شيء . ٢ الداء العياء : المرض المستعصي الذي لا يرجى له الشفاء . ٣ أعدى على : نصر وأعان . ٤ تطوّل على : أفضل وامتنّ . طاوله : غالبه في الطول او الفضل . ٥ نوّل له الشيء : أعطاه إياه . ساجله : باراه وفاخره بأن صنع مثل صنعه . ٦ نُطيفُ : نُلمّ . ٧ الغارم : الذي يؤدي الديون .

فَمَا تَاجِرٌ بَاعَهُ حَمْدَهُ بِمُحْتَقِبٍ حَسْرَةَ ٱلنَّائِمِ
عَجِبْتُ لِمَنْ حَزْمُهُ حَزْمُهُ تَكُونُ يَدَاهُ يَدَيْ حَاتِمِ
عَجِبْتُ لِمَنْ جُودُهُ جُودُهُ تَكُونُ لَهُ عُقْدَةُ ٱلْحَازِمِ
عَجِبْتُ لِمَنْ حِلْمُهُ حِلْمُهُ تَكُونُ لَهُ صَوْلَةُ ٱلصَّارِمِ
عَجِبْتُ لِمَنْ حَدُّهُ حَدُّهُ تَكُونُ لَهُ رَأْفَةُ ٱلرَّاحِمِ
إِلَيْكُمْ جُفَاةَ ٱلْعُلَى أَنَّنِي دُفِعْتُ إِلَى مُفْضِلٍ عَالِمِ
يُضِيءُ بِيَوْمٍ لَهُ شَامِسٍ وَيَسْقِي بِيَوْمٍ لَهُ غَائِمِ
يَقُولُ فَيُرْوِي صَدَى جَاهِلٍ وَيُعْطِي فَيُرْوِي صَدَى حَائِمِ
قِرَانِي قِرَى غَيْرِ مَا عَاتِمٍ وَلَيْسَ قِرَى ٱلسَّمْحِ بِٱلْعَاتِمِ
فَمَا لِمَدِيحِيَ مِنْ خَاتِمٍ وَمَا لِعَطَايَاهُ مِنْ خَاتِمِ
كَرِيمٌ أَسَرَّ إِلَيَّ ٱلْغِنَى وَمَا أَنَا لِلْعُرْفِ بِٱلْكَاتِمِ
أَقَاسِمُ يَا قَاسِمَ ٱلْمُنْفِسَاتِ لَا زِلْتَ فِي جَذَلٍ دَائِمِ [1]
مَدَحْتُكَ مِدْحَةَ لَا بَاخِسٍ ثَنَاءَكَ حَقًّا وَلَا زَاعِمِ
وَحَسْبِي مَعَانِيكَ مِنْ جَوْهَرٍ وَحَسْبُكَ عَبْدُكَ مِنْ نَاظِمِ
وَلَمْ أَرَ مِثْلَكَ مِنْ سَيِّدٍ وَكَمْ لَكَ مِثْلِيَ مِنْ خَادِمِ
فَلَا زِلْتَ غَيْثًا عَلَى سَائِلٍ وَلَا زِلْتَ غَيْظًا عَلَى رَاغِمِ

١٥٢ سيبه عفو ماله

[وقال يمدح سليمان بن عبد الله :]

مَلِكٌ لَا يَرَى ٱللُّهَى تَسْتَحِقُّ ٱلْوَسَائِلَا [2]
حَسْبُ رَاجِيهِ عِنْدَهُ أَنَّهُ جَاءَ سَائِلَا
لَا يَرَى ٱلْمَنَّ قَائِلًا وَيَرَى ٱلْمَنَّ فَاعِلَا

١ المنفسات : الاشياء النفيسة، والخلال الحميدة . ٢ اللهى ج لهوة وهي العطية الجزيلة .

سَيْبُهُ عَفْوُ مَالِـهِ وَهُوَ يُدْعَى فَوَاضِلَا
فَتَيَمَّمْـهُ وَاثِقًا لَا تَيَمَّمْهُ آمِلَا
وَإِذَا كَـادَتِ ٱلْأَعَـالِي تُلَاقِي ٱلْأَسَافِلَا
وَطِئَ ٱلْأَرْضَ وَطْأَةً فَأَقَـرَّ ٱلزَّلَازِلَا

ميزة شعره: جرى ابن الرومي في مدحه على مألوف شعراء المديح من تملّق وسؤال ينقلب الى الإلحاف احياناً، وتذلل بين ايدي الوجهاء والعظماء. وكل ذلك يشفّ عن تكالب الرجل على اطايب الحياة، وعن تألمه من الحرمان، وعن امله في نوال ما يبتغيه من شهواتـه. وهو في شعره المدحيّ يتقلّب بين المدح والعتاب والتظلّم والنقمة والتهديد؛ ويُطيل إطالة شديدة ويغرق في التفصيل، محاولاً الاقناع بجميع الوسائل حتى تصبح قصيدته احياناً حجّة منطقية، تربط بين اجزائها الروابط العقليّة، وتتعاقب فيها الاقيسة والبراهين على اسلوب اقرب الى النثر منه الى الشعر.

١٥٣ طال المطال

[قال ابن الرومي يستنجز وعداً :]

جُعِلْتُ فِدَاكَ لَمْ أَسْأَلْكَ ذَاكَ ٱلثَّوْبَ لِلْكَفَنِ
سَأَلْتُكَهُ لِأَلْبَسَهُ وَرُوحِي بَعْدُ فِي ٱلْبَدَنِ
وَقَدْ طَالَ ٱلْمِطَالُ بِهِ وَخِفْتُ حَوَادِثَ ٱلزَّمَنِ
فَرَأْيَكَ فِي ٱلْحِبَاءِ بِهِ وَلَيْكَ يَا أَخَا ٱلْمِنَنِ [١]
وَلَا تَجْعَلْهُ غَزْلًا فِي حَاكَهُ إِلَى عَدَنِ [٢]
أَلَا وَٱجْعَلْهُ مُمْتَثِلًا مَحَاسِنَ وَجْهِكَ ٱلْحَسَنِ [٣]
دَقِيقًا مِثْلَ فِطْنَتِكَ ٱلَّتِي دَقَّتْ عَنِ ٱلْفِطَنِ

---

١ الحِباء: العطاء بلا مَنّ ولا جزاء. ٢ عدَن: مدينة مشهورة على ساحل بحر الهند من ناحية اليمن. ٣ ممتثلاً محاسن وجهك: من امتثل الطريقة اي اتّبعها ولم يعْدُها، يعني: جامعاً محاسنَ وجهك.

صَفِيقاً مِثْلَ رَأْيِكَ إِنَّهُ وَٱلْخِزْمَ فِي قَرَنِ
نَقِيّاً مِثْلَ عِرْضِكَ إِنَّ عِرْضَكَ غَيْرُ ذِي دَرَنِ
وَلَا نَحْسَبْكَ تَغْبَنُهُ كَفَى بِٱلْحَمْدِ مِنْ ثَمَنِ
وَحَسْبُكَ إِنْ بَخِلْتَ بِهِ بِفَوْتِ ٱلْحَمْدِ مِنْ غَبَنِ

ابن الرومي شاعر الهجاء والسُّخر :

١٥٤ اخالد !

[قال يهجو خالداً القحطبي :]

أَخَالِدُ مَا أَغْرَاكَ بِي مِنْ عَدَاوَةٍ   وَلَا تِرَةٍ لَوْلَا ٱلشَّقَاءُ ٱلْمُقَدَّرُ [1]
حَدَاكَ إِلَيَّ ٱلْحَيْنُ حَتَّى ٱسْتَثَرْتَنِي   عَلَيْكَ، وَإِنِّي فِي عَرِينِي لَمُخْدِرُ [2]
فَدُونَكَ مَا حَاوَلْتَهُ فَبَلَغْتَهُ   وَرَدْتَ، وَلٰكِنْ لَا إِخَالُكَ تَصْدُرُ [3]
فَقَدْ كُنْتَ نِسْياً لَا تُمَسُّ وَلَا تُرَى   زَمَاناً طَوِيلاً، فَٱصْبِرِ ٱلْآنَ تُذْكَرُ [4]
سَتَرْوِي رُوَاةُ ٱلشِّعْرِ فِيكَ قَصَائِداً   يُغَنَّى بِهَا مَا نُودِيَ : ٱللهُ أَكْبَرُ
سَدَاهَا مَخَازِيكَ ٱلَّتِي قَدْ عَلِمْتَهَا   وَلُحْمَتُهَا مِنِّي ٱلْكَلَامُ ٱلْمُحَبَّرُ [5]
وَإِنْ كُنْتُ لَا أَهْجُوكَ إِلَّا كَحَالِمٍ   يَرَى مَا يَرَاهُ ٱلنَّائِمُونَ فَيَهْجُرُ [6]

١٥٥ شنطف

شَنْطَفُ يَا عَوْذَةَ ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْ   ضِ وَشَمْسِ ٱلنَّهَارِ وَٱلْقَمَرِ

---

١ الترة : الثأر . ٢ حداك : ساقك . الحين : الهلاك . العرين : بيت الاسد . مخدر : مقيم .
٣ تصدر : اي تخرج من المأزق الذي وقعت فيه . ٤ أي اصبر على لاذع الهجاء، فسوف تذكر بهذا الشعر . ٥ السدى من الثوب : الخيوط الممدودة . واللحمة : ما نسج عرضاً . الكلام المحبر : الكلام المزخرف، الجميل . ٦ يقول : لا أكاد أشعر بك في الصحو إلا كحالم إذ ان وجودك عدم . يهجر : يهذي .

إنْ كَانَ إبْلِيسُ خَالِقاً بَشَراً فَأَنْتَ عِنْدِي مِنْ ذٰلِكَ ٱلْبَشَرِ
صَوَّرَكَ ٱلْمَارِدُ ٱللَّعِينُ فَأَعْطَتْكَ يَدَاهُ مَقَابِحَ ٱلصُّوَرِ

١٥٦ كنيزة

شَاهَدْتُ فِي بَعْضِ مَا شَاهَدْتُ مُسْمِعَةً كَأَنَّمَا يَوْمُهَا يَوْمَانِ فِي يَوْمِ
تَظَلُّ تُلْقِي عَلَى مَنْ ضَمَّ مَجْلِسُهَا قَوْلاً ثَقِيلاً عَلَى ٱلْأَسْمَاعِ كَٱللَّوْمِ
لَهَا غِنَاءٌ يُثِيبُ ٱللّٰهُ سَامِعَهُ ضِعْفَيْ ثَوَابِ صَلَاةِ ٱللَّيْلِ وَٱلصَّوْمِ
ظَلِلْتُ أَشْرَبُ بِٱلْأَرْطَالِ لَا طَرَباً عَلَيْهِ بَلْ طَلَباً لِلسُّكْرِ وَٱلنَّوْمِ

١٥٧ عيسى

يُقَتِّرُ عِيسَى عَلَى نَفْسِهِ وَلَيْسَ بِبَاقٍ وَلَا خَالِدِ
فَلَوْ يَسْتَطِيعُ لِتَقْتِيرِهِ تَنَفَّسَ مِنْ مَنْخِرٍ وَاحِدِ

١٥٨ ابو حفص الورّاق

يَا صَلْعَةً لِأَبِي حَفْصٍ مُمَرَّدَةً كَأَنَّ سَاحَتَهَا مِرْآةُ فُولَاذِ[١]
تَرِنُّ تَحْتَ ٱلْأَكُفِّ ٱلْوَاقِعَاتِ بِهَا حَتَّى تَرِنَّ بِهَا أَكْنَافُ بَغْدَاذِ[٢]

١٥٩ ابن فراس

فَتًى مَا زَالَ يَنْهَضُ لِلْمَخَازِي وَلَيْسَ بِهِ إِلَى ٱلْعَلْيَاءِ نَهْضُ
سَجِيَّتُهُ طِوَالَ ٱلدَّهْرِ قَبْضٌ وَكُلُّ سَجِيَّةٍ بَسْطٌ وَقَبْضُ
وَلُؤْمُ ٱلنَّاسِ طُولٌ دُونَ عَرْضٍ وَلٰكِنْ لُؤْمُهُ طُولٌ وَعَرْضُ

---

١ مُمَرَّدة : مصقولة . ٢ الاكناف : النواحي .

تَعَادَى كُلُّ شَيْءٍ مِنْهُ لُؤْماً فَبَعْضٌ مِنْهُ يَهْرُبُ مِنْهُ بَعْضُ

ميزة شعره : كان هجاء ابن الرومي نقمة محروم، وأنّة جريح، ولسعة مهتاج، وترقة متطيّر . وله في ذلك صور كاريكاتوريّة مبطنة بالمرارة والعنف، وهي نماذج رفيعة للفنّ فيها من دقة المراقبة واثبات الحركة وبعث الصور البعيدة الايحاء ما يثير الاعجاب .

ابن الرومي شاعر العاطفة المتألمة :

[قال يرثي ولده الاول :]

١٦٠ حماه الكرى

حَمَاهُ ٱلْكَرَى هَمٌّ سَرَى فَتَأَوَّبَا فَبَاتَ يُرَاعِي ٱلنَّجْمَ حَتَّى تَصَوَّبَا ١
أَعَيْنَيَّ جُودَا لِي فَقَدْ جُدْتُ لِلثَّرَى بِأَكْثَرَ مِمَّا تَمْنَعَانِ وَأَطْيَبَا ٢
بُنَيَّ ٱلَّذِي أَهْدَيْتُهُ أَمْسِ لِلثَّرَى فَلِلّٰهِ مَا أَقْوَى قَنَاتِي وَأَصْلَبَا ٣
فَإِنْ تَمْنَعَانِي ٱلدَّمْعَ أَرْجِعْ إِلَى أَسًى إِذَا فَتَرَتْ عَنْهُ ٱلدُّمُوعُ تَلَهَّبَا

١٦١ ابنيّ !

[وقال يرثي ولده الثالث :]

أَبُنَيَّ إِنَّكَ وَٱلْعَزَاءَ مَعاً بِٱلْأَمْسِ لُفَّ عَلَيْكُمَا كَفَنُ ٤
تَاللهِ لَا تَنْفَكُّ لِي شَجَناً يَمْضِي ٱلزَّمَانُ وَأَنْتَ لِي شَجَنُ ٥
مَا أَصْبَحَتْ دُنْيَايَ لِي وَطَناً بَلْ حَيْثُ دَارُكَ عِنْدِيَ ٱلْوَطَنُ

١ حماه : منعه . الكرى : النوم . تأوّب : أتى ليلا . تصوّب : انحدر الى الغروب .
٢ أعينيّ جودا : ينادي عينيه ويطلب منهما ان تجودا اي تكثرا من الدموع لانه اعطى التراب اكثر من ذلك بكثير . ٣ الثرى : التراب . القناة : العود . ٤ والعزاء : الواو للمعية، العزاء مفعول معه ومعاً منصوبة على الحال اي مجتمعين . ٥ الشجن : الحزن .

مَا فِي ٱلنَّهَارِ وَإِنْ فَقَدْتُكَ مِنْ أُنْسٍ وَلَا فِي ٱللَّيْلِ لِي سَكَنُ [١]
وَلَقَدْ تُسَلِّي ٱلْقَلْبَ ذُكْرَتُهُ أَنِّي بِأَنْ أَلْقَاكَ مُرْتَهَنُ [٢]
أَوْلَادُنَا أَنْتُمْ لَنَا فِـتَنٌ وَتُفَارِقُونَ فَأَنْتُمُ مِحَنُ [٣]

١٦٢ بكاؤكما يشفي

[وقال يرثي ولده الاوسط :]

بُكَاؤُكُمَا يَشْفِي وَإِنْ كَانَ لَا يُجْدِي فَجُودَا فَقَدْ أَوْدَى نَظِيرُكُمَا عِنْدِي [٤]
أَلَا قَاتَـلَ ٱللهُ ٱلْمَنَايَا وَرَمْيَهَـا مِنَ ٱلْقَوْمِ حَبَّاتِ ٱلْقُلُوبِ عَلَى عَمْدِ [٥]
تَوَخَّى حِمَامُ ٱلْمَـوْتِ أَوْسَطَ صِبْيَتِي فَلِلَّـهِ كَيْفَ ٱخْتَارَ وَاسِطَةَ ٱلْعِقْدِ [٦]
عَلَى حِينَ شِمْتُ ٱلْخَيْرَ مِنْ لَمَحَاتِـهِ وَآنَسْتُ مِنْ أَفْعَالِهِ آيَةَ ٱلرُّشْدِ [٧]
طَوَاهُ ٱلرَّدَى عَنِّي فَأَضْحَى مَزَارُهُ بَعِيدًا عَلَى قُرْبٍ قَرِيبًا عَلَى بُعْدِ
لَقَدْ أَنْجَزَتْ فِيهِ ٱلْمَنَايَا وَعِيدَهَا وَأَخْلَفَتِ ٱلْآمَالُ مَا كَانَ مِنْ وَعْدِ [٨]
لَقَدْ قَلَّ بَيْنَ ٱلْمَهْـدِ وَٱللَّحْدِ لَبْثُهُ فَلَمْ يَنْسَ عَهْدَ ٱلْمَهْدِ إِذْ ضُمَّ فِي ٱللَّحْدِ [٩]
أَلَحَّ عَلَيْـهِ ٱلنَّزْفُ حَتَّى أَحَالَهُ إِلَى صُفْرَةِ ٱلْجَادِيِّ مِنْ حُمْرَةِ ٱلْوَرْدِ [١٠]
وَظَلَّ عَـلَى ٱلْأَيْدِي تَسَاقَطُ نَفْسُهُ وَيَذْوِي كَمَا يَذْوِي ٱلْقَضِيبُ مِنَ ٱلرَّنْدِ [١١]

---

١ وإن فقدتك : الواو حالية وإن وصلية وجملة فقدتك في محل نصب حال . السكن : الاستئناس . ٢ ذُكرته : تذكّر القلب . مُرتهن : مقيّد اي انه سيلقاه بعد الموت . ٣ الفتن مفرده فتنة وهي ما يثير الاعجاب . المحن مفرده محنة : ما يمتحن به الانسان من بليّة . ٤ إنّ في قوله « بكاؤكما » خطاباً لعينيه . لا يجدي : لا ينفع . اودى : مات . ٥ حبّات ج حبّة : وحبّة القلب هنة سوداء تتوسّطه . عمد : قصد . ٦ توخّى : طلب . واسطة العقد : الجوهرة الكبيرة التي تتوسّطه . ٧ على حين : ظرف مبني على الفتح في محل جرّ بعلى ، وحين تبنى اذا اضيفت الى فعل مبنيّ وتعرب اذا اضيفت الى معرب . شمتُ : توقّمتُ . آنست : علمتُ وعرفت . الآية : العلامة . ٨ انجزت : أتمّت . ٩ في هذا البيت اشارة الى انه مات صغيراً . ١٠ الجادي : الزعفران وتلخيص المعنى ، ان نزف الدم كثر عليه حتى أحال لونه الوردي الى اصفرار الزعفران . ١١ الرّند : الغار .

فَيَا لَكِ مِنْ نَفْسٍ تَسَاقَطُ أَنْفُسًا ... تَسَاقُطَ دُرٍّ مِنْ نِظَامٍ بِلَا عَقْدِ [1]

عَجِبْتُ لِقَلْبِي كَيْفَ لَمْ يَنْفَطِرْ لَهُ ... وَلَوْ أَنَّهُ أَقْسَى مِنَ ٱلْحَجَرِ ٱلصَّلْدِ [2]

وَمَا سَرَّنِي أَنْ بِعْتُهُ بِثَوَابِهِ ... وَلَوْ أَنَّهُ ٱلتَّخْلِيدُ فِي جَنَّةِ ٱلْخُلْدِ [3]

وَلَا بِعْتُهُ طَوْعًا وَلٰكِنْ غُصِبْتُهُ ... وَلَيْسَ عَلَى ظُلْمِ ٱلْحَوَادِثِ مِنْ مُعْدِ [4]

وَإِنِّي وَإِنْ مُتِّعْتُ بِٱبْنَيَّ بَعْدَهُ ... لَذَاكِرُهُ مَا حَنَّتِ ٱلنِّيبُ فِي نَجْدِ [5]

وَأَوْلَادُنَا مِثْلُ ٱلْجَوَارِحِ أَيُّهَا ... فَقَدْنَاهُ كَانَ ٱلْفَاجِعَ ٱلْبَيِّنَ ٱلْفَقْدِ [6]

لِكُلٍّ مَكَانٌ لَا يَسُدُّ ٱخْتِلَالَهُ ... مَكَانُ أَخِيهِ مِنْ جَزُوعٍ وَلَا جَلْدِ [7]

هَلِ ٱلْعَيْنُ بَعْدَ ٱلسَّمْعِ تَكْفِي مَكَانَهُ ... أَمِ ٱلسَّمْعُ بَعْدَ ٱلْعَيْنِ يَهْدِي كَمَا تَهْدِي [8]

لَعَمْرِي لَقَدْ حَالَتْ بِيَ ٱلْحَالُ بَعْدَهُ ... فَيَا لَيْتَ شِعْرِي كَيْفَ حَالَتْ بِهِ بَعْدِي [9]

ثُكِلْتُ سُرُورِي كُلَّهُ إِذْ ثُكِلْتُهُ ... وَأَصْبَحْتُ فِي لَذَّاتِ عَيْشِي أَخَا زُهْدِ [10]

أَرَيْحَانَةَ ٱلْعَيْنَيْنِ وَٱلْأَنْفِ وَٱلْحَشَا ... أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ تَغَيَّرْتَ عَنْ عَهْدِي

سَأَسْقِيكَ مَاءَ ٱلْعَيْنِ مَا أَسْعَدَتْ بِهِ ... وَإِنْ كَانَتِ ٱلسُّقْيَا مِنَ ٱلْعَيْنِ لَا تُجْدِي [11]

أَعَيْنَيَّ جُودَا لِي فَقَدْ جُدْتُ لِلثَّرَى ... بِأَنْفَسَ مِمَّا تَسْأَلَانِ مِنَ ٱلرِّفْدِ [12]

كَأَنِّيَ مَا ٱسْتَمْتَعْتُ مِنْكَ بِضَمَّةٍ ... وَلَا شَمَّةٍ فِي مَلْعَبٍ لَكَ أَوْ مَهْدِ

أُلَامُ لِمَا أُبْدِي عَلَيْكَ مِنَ ٱلْأَسَى ... وَإِنِّي لَأُخْفِي مِنْكَ أَضْعَافَ مَا أُبْدِي

مُحَمَّدُ مَا شَيْءٌ تُوُهِّمَ سَلْوَةً ... لِقَلْبِيَ إِلَّا زَادَ قَلْبِي مِنَ ٱلْوَجْدِ

أَرَى أَخَوَيْكَ ٱلْبَاقِيَيْنِ كِلَيْهِمَا ... يَكُونَانِ لِلْأَحْزَانِ أَوْرَى مِنَ ٱلزَّنْدِ [13]

إِذَا لَعِبَا فِي مَلْعَبٍ لَكَ لَذَّعَا ... فُؤَادِي بِمِثْلِ ٱلنَّارِ عَنْ غَيْرِ مَا قَصْدِ

---

١ يقول: ان ولده تلاشى فكانت نفسه مجزّأة تتساقط تساقط الدرّ من سلكٍ غير معقود .
٢ ينفطر : ينشق . الصلد : الصُلب . ٣ التخليد : البقاء أبداً . ٤ غُصِبته : أُخذ مني غصباً . المُعدي اسم فاعل من أعدى . ٥ النيب ج ناب وهي الناقة المسنّة . ٦ الجوارح : اعضاء الانسان كالعين والاذن . ٧ الجزوع : الفاقد الصبر . ٨ الضمير في مكانه يعود على السمع .
٩ حالت بي الحال : تغيّرت . ١٠ ثكلت : فقدت . ١١ أسعدت بالدمع : ساعدت وأعانت به . ١٢ الرفد : الجود والعطاء . ١٣ أورى : اكثر ايقاداً واشعالاً . الزند : حديدة من فولاذ تضرب بحجر صوّانٍ فينقدح النار .

فَمَا فِيهِمَا لِي سَلْوَةٌ بَلْ حَرَارَةٌ يُهَيِّجَانِهَا دُونِي وَأَشْقَى بِهَا وَحْدِي
وَأَنْتَ وَإِنْ أُفْرِدْتَ فِي دَارِ وَحْشَةٍ فَإِنِّي بِدَارِ ٱلْأُنْسِ فِي وَحْشَةِ ٱلْفَرْدِ
عَلَيْكَ سَلَامُ ٱللهِ مِنِّي تَحِيَّةً وَمِنْ كُلِّ غَيْثٍ صَادِقِ ٱلْبَرْقِ وَٱلرَّعْدِ

١٦٣ يا حرّ صدري

[قال ابن الرومي يرثي الفن في «بستان» المغنية]

إِنَّا إِلَى ٱللهِ رَاجِعُونَ لَقَدْ غَالَ ٱلرَّدَى سَيِّدَةً مِنَ ٱلسَّيَرِ
مَا أَوْلَعَ ٱلدَّهْرُ فِي تَصَرُّفِهِ بِكُلِّ زَيْنٍ لَهُ وَمُفْتَخَرِ
أَوْدَى بِبُسْتَانَ وَهْيَ حُلَّتُهُ فَقَدْ غَدَا عَارِياً مِنَ ٱلْحِبَرِ [1]
أَطَارَ قُمْرِيَّةَ ٱلْغِنَاءِ عَنِ ٱلْأَرْضِ فَأَيُّ ٱلْقُلُوبِ لَمْ يَطِرِ
لِلّٰهِ مَا ضُمِّنَتْ حَفِيرَتُهَا مِنْ حُسْنِ مَرْأًى وَطُهْرِ مُخْتَبَرِ
يَا حَرَّ صَدْرِي عَلَى ثَلَاثَةِ أَمْوَاهٍ هُرِيقَتْ فِي ٱلتُّرْبِ وَٱلْمَدَرِ : [2]
مَاءِ شَبَابٍ وَنِعْمَةٍ مُزِجَا بِمَاءِ ذَاكَ ٱلْحَيَاءِ وَٱلْخَفَرِ [3]

. . .

بُسْتَانُ يَا حَسْرَتَا عَلَى زَهَرٍ فِيكِ مِنَ ٱللَّهْوِ، بَلْ عَلَى ثَمَرِ
بُسْتَانُ لَهْفِي لِحُسْنِ وَجْهِكِ وَٱلْإِحْسَانِ، صَارَا مَعاً إِلَى ٱلْعَفَرِ [4]
بُسْتَانُ أَضْحَى ٱلْفُؤَادُ فِي وَلَهٍ يَا نُزْهَةَ ٱلسَّمْعِ مِنْهُ وَٱلْبَصَرِ
بُسْتَانُ مَا مِنْكِ لِٱمْرِئٍ عِوَضٌ مِنَ ٱلْبَسَاتِينِ، لَا وَلَا ٱلْبَشَرِ
بُسْتَانُ أُسْقِيتِ مِنْ مَدَامِعِنَا ٱلدَّمْعَ، وَأُعْقِبْتِ عُقْبَةَ ٱلْمَطَرِ [5]
يَا نِعْمَةَ ٱللهِ فِي بَرِيَّتِهِ أَصْبَحْتِ إِحْدَى فَوَاقِرِ ٱلْفِقَرِ [6]

---

١ الحِبَر ج حِبَرَة وهي صنف من برود اليمن المنمّرة . ٢ المدَر : الطين اليابس .
٣ الخفَر : الحياء . ٤ العفَر : التراب . ٥ العُقبة : النوبة . ٦ الفواقر ج فاقرة وهي الداهية التي تكسر الفقار .

يا غضَّةَ ٱلسِّنِّ يا صغيرتَها أمسيتِ إحدى المصائبِ ٱلكُبَرِ
أنَّى ٱختصرتِ ٱلطريقَ يا سَكَني إلى لقاءِ ٱلأكفانِ وٱلحُفَرِ [1]
يا شمسَ زُهرِ ٱلشُّموسِ، يا قمرَ ٱلأقمارِ حُسناً، يا زهرةَ ٱلزَّهَرِ
أبعدَ ما كنتِ بابَ مُبتهجٍ للنفسِ أصبحتِ بابَ مُعتبَرِ
تبتَّلَ ٱلعودُ عندَ فقدِكُمُ وٱزدجرَ ٱللهوَ كلُّ مُزدجِرِ [2]
فإنْ سمِعنا لِمِزْهرٍ وتَراً حَنَّ، فهاتيكَ عَولةُ ٱلوَتَرِ [3]
لا تحسَبوني غنيتُ بعدَكُمُ عنكم بشمسِ ٱلضُّحى ولا ٱلقمرِ
لا تحسَبوني أنِستُ بعدَكُمُ إلى هديلِ ٱلحَمامِ في ٱلشَّجَرِ
لا تحسَبوني ٱسترحتُ بعدَكُمُ إلى نسيمِ ٱلشَّمالِ بٱلسَّحَرِ
لا تحسَبوا ٱلعينَ بعدَكم سَرَحتْ في مَسْرحٍ من مسارحِ ٱلنَّظَرِ
يأبى لها ذاكَ أنَّ ناظرَها في شُغُلٍ بٱلسُّهادِ وٱلعِبَرِ

. . .

كأنَّني ما طلَعتِ مُقبلةً عليَّ يوماً بأملحِ ٱلطُّرَرِ [4]
في كفِّكِ ٱلعودُ وهوَ يؤذِنُ بٱلإحسانِ إيذانَ صادقِ ٱلخَبَرِ
كأنَّ عيني ما أبصرَتكِ ضحىً في مجلسي — وٱلوُشاةُ في سَقَرِ — [5]
كأنَّها ما رأتكِ صادحةً وٱلصُّدْحُ ٱلوُرْقُ عُكَّفُ ٱلزُّمَرِ [6]
يَسْمَعْنَ، أو يَستفدْنَ منكِ شجاً وٱلتَّمرُ يُمتارُ من قُرى هَجَرِ [7]
كأنَّني ما ٱقترحتُ ما ٱقترحتْ نفسي، فساعفتِني بلا زَوَرِ [8]
كأنَّني ما ٱستعدتُ مُقترَحي يوماً فكرَّرتِهِ بلا ضَجَرِ

---

١ السَّكَن : من يُسكَن اليه ويستأنس به . ٢ ازدجره : نهاه وانتهره . ٣ المِزهر : العود يُضرب به . ٤ الطُّرَر ج طُرَّة وهي اسم الشيء المقطوع ومنه طُرَّة الشَّعر لانها مقطوعة من جملته . ٥ سقَر : جهنّم . ٦ الوُرْق ج ورقاء وهي الحمامة التي لونها كلون الرَّماد . عُكَّف الزُّمَر : اي مجتمعة عاكفة على الهديل . ٧ الشجا : الحزن او ما يثيره . يُمتار : يُجلب . ٨ الزَّوَر : الميل .

وَصُنْتِ خَدًّا كَسَاهُ خَالِقُهُ ٱلْحُسْنَ، فَصَعَّرْتِهِ عَنِ ٱلصَّعَرِ [١]
كَأَنَّنِي مَا نَعِمْتُ مِنْكِ بِمُرْتَاحِ نَعِيمٍ وَلَا بِمُبْتَكِرِ
رَضِيتُ مِنْ مَنْظَرٍ بِطَيْفِ كَرًى يَعْرُو، وَمِنْ مَسْمَعٍ بِمُدَّكَرِ
لَوْلَا ٱلتَّعَزِّي بِذَاكَ آوِنَةً لَٱنْفَطَرَ ٱلْقَلْبُ كُلَّ مُنْفَطَرِ [٢]

...

أَبْكِيكِ بِٱلدَّمْعِ وَٱلدِّمَاءِ، بَلِ ٱلسْـ ـتَسْهَادِ، بَلْ بِٱلْمَشِيبِ فِي ٱلشَّعَرِ
بَلْ بِنُحُولِ ٱلْعِظَامِ مُحْتَقَرًا ذَاكَ، وَإِنْ كَانَ غَيْرَ مُحْتَقَرِ
بَلْ بِٱجْتِنَابِ ٱلشِّفَاءِ بَلْ بِتَوَخِّي ٱلْـ ـنَّفْسِ مَا يُتَّقَى مِنَ ٱلضَّرَرِ

...

لَا أَسْأَلُ ٱللهَ حُسْنَ مُصْطَبَرٍ فَإِنَّهُ عَنْكِ لُؤْمُ مُصْطَبِرِ
وَحُزْنُ نَفْسِي عَلَيْكِ مِنْ كَرَمٍ وَهْوَ عَلَى مَنْ سِوَاكِ مِنْ خَوَرِ [٣]
وَقَدْ يُعَزِّي ٱلْفُؤَادَ أَنَّكِ فِي جَنَّةِ عَدْنٍ غَدًا وَفِي نَهَرِ
سَيَشْفَعُ ٱلْحُورُ فِيكِ أَنَّكِ مِنْهُنَّ بِذَاكَ ٱلدَّلَالِ وَٱلْحَوَرِ

ميزة شعره : رثاء ابن الرومي الذي يقوله في اهله واخصّائه حافل بالتاوّه وعميق الزفرات ؛ تتصاعد منه الانّات في لهجة مؤثّرة، ولهفة متحرّقة .

١٦٤ لهف نفسي

[قام في ايام الخليفة المعتمد رجل اسمه علي بن محمد يدّعي النسب العلويّ . فاستمال اليه قلوب العبيد من الزنج بالبصرة ونواحيها، وأفسدهم على مواليهم حتى اجتمع اليه منهم ومن سواهم خلق كثيرون، وما لبث حتى عظم شأنه واشتدّت

١ الصَّعَر : الكبرياء ؛ صعّرته عن الصَّعَر : اي نزّهته عن الكبرياء . ٢ أي لولا التعزي بوصلها في الخلد . ٣ الخَوَر : الضعف .

شوكته، وانبثَّ عسكره السُّودان في البلاد العراقية وغيرها . وفي سنة ٨٧٠ أغاروا على مدينة البصرة فنهبوها وأحرقوها، فوقف ابن الرومي يرثيها ويصف ما حلَّ بها من الفظائع :]

ذَادَ عَنْ مُقْلَتِي لَذِيذَ ٱلْمَنَامِ   شُغْلُهَا عَنْهُ بِٱلدُّمُوعِ ٱلسِّجَامِ ١
أَيُّ نَوْمٍ مِنْ بَعْدِ مَا حَلَّ بِٱلْبَصْرَةِ، مَا حَلَّ مِنْ هَنَاتٍ عِظَامِ ٢
أَيُّ نَوْمٍ مِنْ بَعْدِ مَا ٱنْتَهَكَ ٱلزَّنْجُ جِهَارًا مَحَارِمَ ٱلْإِسْلَامِ
إِنَّ هٰذَا مِنَ ٱلْأُمُورِ لَأَمْرٌ   كَادَ أَلَّا يَقُومَ فِي ٱلْأَوْهَامِ

. . .

لَهْفَ نَفْسِي عَلَيْكِ أَيَّتُهَا ٱلْبَصْرَةُ لَهْفًا كَمِثْلِ لَهْبِ ٱلضِّرَامِ
لَهْفَ نَفْسِي عَلَيْكِ يَا قُبَّةَ ٱلْإِسْلَامِ لَهْفًا يَطُولُ مِنْهُ غَرَامِي

. . .

بَيْنَمَا أَهْلُهَا بِأَحْسَنِ حَالٍ   إِذْ رَمَاهُمْ عَبِيدُهُمْ بِٱصْطِلَامِ ٣
دَخَلُوهَا كَأَنَّهُمْ قِطَعُ ٱللَّيْلِ   إِذَا رَاحَ مُدْلَهِمَّ ٱلظَّلَامِ ٤
أَيَّ هَوْلٍ رَأَوْا بِهِمْ، أَيَّ هَوْلٍ !   حُقَّ مِنْهُ يَشِيبُ رَأْسُ ٱلْغُلَامِ
إِذْ رَمَوْهُمْ بِنَارِهِمْ مِنْ يَمِينٍ   وَشِمَالٍ وَخَلْفِهِمْ وَأَمَامِ
كَمْ أَغَصُّوا مِنْ شَارِبٍ بِشَرَابٍ   كَمْ أَغَصُّوا مِنْ طَاعِمٍ بِطَعَامِ
كَمْ ضَنِينٍ بِنَفْسِهِ رَامَ مَنْجًى   فَتَلَقَّوْا جَبِينَهُ بِٱلْحُسَامِ
كَمْ أَخٍ قَدْ رَأَى أَخَاهُ صَرِيعًا   تَرِبَ ٱلْخَدِّ بَيْنَ صَرْعَى كِرَامِ ٥
كَمْ أَبٍ قَدْ رَأَى عَزِيزَ بَنِيهِ   وَهْوَ يُعْلَى بِصَارِمٍ صَمْصَامِ ٦

١ ذاد : منع . السِّجام : السائلة . ٢ الهنات ج هنة : وهي كناية عن كل اسم جنس، ومعناها الشيء . ٣ الاصطلام : الاستئصال . ٤ مدلهمّ : شديد الظلمة . ٥ تربَ الخدّ : ملتصق بالتراب . ٦ يعلى بصارم : اي يرتفع فوقه السيف ليقتل . الصمصام : السيف. والصارم : القاطع .

كَمْ مُفَدًّى فِي أَهْلِهِ أَسْلَمُوهُ   حِينَ لَمْ يَحْمِهِ هُنَالِكَ حَامِي
كَمْ رَضِيعٍ هُنَاكَ قَدْ فَطَمُوهُ   بِشَبَا ٱلسَّيْفِ قَبْلَ حِينِ ٱلْفِطَامِ ١
كَمْ فَتَاةٍ مَصُونَةٍ قَدْ سَبَوْهَا   بَارِزًا وَجْهُهَا بِغَيْرِ لِثَامِ
صَبَحُوهُمْ فَكَابَدَ ٱلْقَوْمُ مِنْهُمْ   طُولَ يَوْمٍ كَأَنَّهُ أَلْفُ عَامِ
مَنْ رَآهُنَّ فِي ٱلْمَسَاقِ سَبَايَا   دَامِيَاتِ ٱلْوُجُوهِ لِلْأَقْدَامِ ٢
مَنْ رَآهُنَّ فِي ٱلْمَقَاسِمِ وَسْطَ ٱلزَّنْجِ يُقْسَمْنَ بَيْنَهُمْ بِٱلسِّهَامِ ٣
مَنْ رَآهُنَّ يُتَّخَذْنَ إِمَاءً   بَعْدَ مِلْكِ ٱلْإِمَاءِ وَٱلْخُدَّامِ ؟

. . .

عَرِّجَا صَاحِبَيَّ بِٱلْبَصْرَةِ ٱلزَّهْرَاءِ تَعْرِيجَ مُدْنَفٍ ذِي سَقَامِ ٤
فَٱسْأَلَاهَا، وَلَا جَوَابَ لَدَيْهَا   لِسُؤَالٍ، وَمَنْ لَهَا بِٱلْكَلَامِ :
أَيْنَ ضَوْضَاءُ ذَلِكَ ٱلْخَلْقِ فِيهَا   أَيْنَ أَسْوَاقُهَا ذَوَاتُ ٱلزِّحَامِ ؟
أَيْنَ فُلْكٌ فِيهَا وَفُلْكٌ إِلَيْهَا   مُنْشَآتٌ فِي ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَامِ ؟ ٥
أَيْنَ تِلْكَ ٱلْقُصُورُ وَٱلدُّورُ فِيهَا   أَيْنَ ذَاكَ ٱلْبُنْيَانُ ذُو ٱلْإِحْكَامِ
بُدِّلَتْ تِلْكُمُ ٱلْقُصُورُ تِلَالًا   مِنْ رَمَادٍ وَمِنْ تُرَابٍ رُكَامِ ٦
سُلِّطَ ٱلْبَثْقُ وَٱلْحَرِيقُ عَلَيْهَا   فَتَدَاعَتْ أَرْكَانُهَا بِٱنْهِدَامِ ٧
وَخَلَتْ مِنْ حُلُولِهَا فَهِيَ قَفْرٌ   لَا تَرَى ٱلْعَيْنُ بَيْنَ تِلْكَ ٱلْإِكَامِ ٨
غَيْرَ أَيْدٍ وَأَرْجُلٍ بَائِنَاتٍ   نُبِذَتْ بَيْنَهُنَّ أَفْلَاقُ هَامِ ٩

---

١ شبا السيف : حدّه . ٢ المساق : اي سَوق الزنوج لهنّ سبايا . ٣ المقاسم ج مقسم وهو موضع القسمة . السهام ج سهم وهو النصيب . ٤ المدنف : الشديد المرض .
٥ الفُلك : السفن وواحدها فُلك ايضاً ؛ وفُلك اليها اي آتية اليها . المنشآت : السفن المشرعة القلوع . الاعلام ج علم وهو الجبل . ٦ الرّكام : بقايا المنزل المتهدم، وفي البيت اشارة الى إحراق المدينة وهدمها . ٧ البثق : كسر ضفّة النهر لينفجر ماؤه . تداعت : تساقطت .
٨ الحلول : الذين حلّوا في المكان اي نزلوا فيه والمفرد منها الحالّ . الإكام ج الأكمة وهي التلّة اي ان المدينة قد اصبحت بعد ان احرقها الزنج تلالاً وآكاماً . ٩ بائنات : منفصلات عن اجسادها . نبذت : طرحت . الأفلاق ج فلقة وهي شطر . الهام ج الهامة : الرأس .

بِأَبِي تِلْكُمُ ٱلْوُجُوهُ ٱلدَّوَامِي ... وَوُجُوهٍ قَدْ رَمَّلَتْهَا دِمَاءُ[1]
بَعْدَ طُولِ ٱلتَّبْجِيلِ وَٱلْإِعْظَامِ ... وُطِئَتْ بِٱلْهَوَانِ وَٱلذُّلِّ قَسْرًا
جَارِيَاتٍ بِهَبْوَةٍ وَقَتَامِ[2] ... فَتَرَاهَا، تَسْفِي ٱلرِّيَاحُ عَلَيْهَا،
بَادِيَاتِ ٱلثُّغُورِ لَا لِٱبْتِسَامِ ... خَاشِعَاتٍ كَأَنَّهَا بَاكِيَاتٌ

ميزة شعره : اسلوب خطابي رائع ومؤثر؛ ولا يقتصر تأثير القصيدة على كثرة وسائل إثارة النفس ولكن الشاعر فيها يستخدم تكرار بعض الاساليب والعبارات تكرارًا يراد به زيادة التأثير الخطابي . والقصيدة خطبة اكثر منها قصيدة، تصطبغ بصبغة الارتجال والتدفق والاندفاع .

ابن الرومي شاعر الوصف :

١٦٥ تيّمتني وحيد

[هذه نفثة من نفثات ابن الرومي حمله عليها غناء « وحيد » المغنية التي اشجته بصوتها وتيمته بحبها فقال يصفها :]

يَا خَلِيلَيَّ تَيَّمَتْنِي وَحِيدُ ... فَفُؤَادِي بِهَا مُعَنًّى عَمِيدُ[3]
غَادَةٌ زَانَهَا مِنَ ٱلْغُصْنِ قَدٌّ ... وَمِنَ ٱلظَّبْيِ مُقْلَتَانِ وَجِيدُ[4]
وَزَهَاهَا مِنْ فَرْعِهَا وَمِنَ ٱلْخَدَّيْنِ ذَاكَ ٱلسَّوَادُ وَٱلتَّوْرِيدُ[5]
فَهِيَ بَرْدٌ بِخَدِّهَا وَسَلَامٌ ... وَهِيَ لِلْعَاشِقِينَ جَهْدٌ جَهِيدُ[6]

. . .

١ رملتها : اصابتها بالدم . بأبي : جار ومجرور الباء حرف جرّ للتفدية متعلّق بفعل محذوف تقديره أفـدي بأبي . . . ٢ تسفي : تحمل التراب وتذرّه . الهبوة : الغبار . القتام : ما تصاعد من الحريق وهو الدخان الشديد السواد . ٣ تيّمتني : استولى عـلىّ حبّها . المعنى : المتعب . العميد : الذي اضناه العشق . ٤ الغادة : الشابّة الناعمة . الجيد : العنق . ٥ الفرع : الشعر المتفرّع جدائل اي إنّ شعرها أسود وخدّيها احمران يشبهان الورد . ٦ الجهد : التعب .

وَغَرِيرٍ بِحُسْنِهَا قَالَ صِفْهَا ... قُلْتُ : أَمْرَانِ بَيِّنٌ وَشَدِيدُ [1]
يَسْهُلُ ٱلْقَوْلُ : إِنَّهَا أَحْسَنُ ٱلْأَشْيَاءِ طُرًّا وَيَصْعُبُ ٱلتَّحْدِيدُ
تَتَجَلَّى لِلنَّاظِرِينَ إِلَيْهَا ... فَشَقِيٌّ بِحُسْنِهَا وَسَعِيدُ
ظَبْيَةٌ تَسْكُنُ ٱلْقُلُوبُ وَتَرْعَاهَا ... وَقُمْرِيَّةٌ لَهَا تَغْرِيدُ
تَتَغَنَّى كَأَنَّهَا لَا تُغَنِّي ... مِنْ سُكُونِ ٱلْأَوْصَالِ وَهْيَ تُجِيدُ
لَا تَرَاهَا هُنَاكَ تَجْحَظُ عَيْنٌ ... لَكَ مِنْهَا وَلَا يَدِرُّ وَرِيدُ [2]
مِنْ هُدُوٍّ وَلَيْسَ فِيهِ ٱنْقِطَاعٌ ... وَسُجُوٍّ وَمَا بِهِ تَبْلِيدُ [3]
مَدَّ فِي شَأْوِ صَوْتِهَا نَفَسٌ كَافٍ ... كَأَنْفَاسِ عَاشِقِيهَا مَدِيدُ [4]
وَأَرَقَّ ٱلدَّلَالُ وَٱلْغُنْجُ مِنْهُ ... وَبَرَاهُ ٱلشَّجَا فَكَادَ يَبِيدُ [5]
فَتَرَاهُ يَمُوتُ طَوْرًا وَيَحْيَا ... مُسْتَلَذٌّ بَسِيطُهُ وَٱلنَّشِيدُ [6]
فِيهِ وَشْيٌ وَفِيهِ حَلْيٌ مِنَ ٱلنَّغَمِ ... مَصُوغٌ يَخْتَالُ فِيهِ ٱلْقَصِيدُ [7]
طَابَ فُوهَا وَمَا تَرَجَّعَ فِيهِ ... كُلُّ شَيْءٍ لَهَا بِذَاكَ شَهِيدُ [8]
فِي هَوَى مِثْلِهَا يَخِفُّ حَلِيمٌ ... رَاجِحٌ حِلْمُهُ وَيَغْوِي رَشِيدُ [9]
مَا تَعَاطَى ٱلْقُلُوبَ إِلَّا أَصَابَتْ ... بِهَوَاهَا مِنْهُنَّ حَيْثُ تُرِيدُ [10]
وَتَرُ ٱلْعَزْفِ فِي يَدَيْهَا مُضَاهٍ ... وَتَرَ ٱلرَّجْفِ فِيهِ سَهْمٌ شَدِيدُ [11]
عَيْبُهَا أَنَّهَا إِذَا غَنَّتِ ٱلْأَحْرَارَ ... ظَلُّوا وَهُمْ لَدَيْهَا عَبِيدُ
وَٱسْتَرَادَتْ قُلُوبُهُمْ مِنْ هَوَاهَا ... بِرُقَاهَا وَمَا لَدَيْهِمْ مَزِيدُ [12]

١ الغرير : المغرور . ٢ تجحظ عين : تتسع عين . يدرّ : يتوتر . الوريد : عرق في العنق . ٣ السجو : امتداد الصوت حيناً . التبليد : التردّد . ٤ الشأو : الغاية والمدى . ٥ براه : أضعفه . الشجا : الغصّة المستحبة في الغناء . ٦ البسيط : ضرب من الغناء يمتدّ به الصوت . النشيد : الترنم . ٧ الوشي : النقش، استعاره هنا لمزج الاصوات المتعاقبة في الغناء . الحلي : الزينة . ٨ فوها : فمها . ما ترجّع : ما تردّد من اصوات . ٩ يخفّ : يفقد ما عنده من رصانة لان الغناء يستهويه . الحليم : العاقل . يغوي : يضل . ١٠ تعاطى : فعل مضارع وهو لغة في تتعاطى : تتناول . ١١ المراد : أنّ وتر العزف يضاهي وتر القلوب المرتجفة لسماع عزفها . ١٢ الرقى ج رقية وهي التعويذة التي يتلوها المعوّذ .

. . .

لَيتَ شِعْرِي إذَا أَدامَ إِلَيْهَا كَرَّةَ الطَّرْفِ مُبْدِئٌ وَمُعِيدُ[١]
أَهِيَ شَيْءٌ لَا تَسْأَمُ العَيْنُ مِنْهُ أَمْ لَهَا كُلَّ سَاعَةٍ تَجْدِيدُ[٢]
بَلْ هِيَ العَيْشُ لَا يَزَالُ مَتَى اسْتَعْرَضَ يُمْلِي غَرَائِبًا وَيُفِيدُ[٣]
مَنْظَرٌ، مَسْمَعٌ، مَعَانٍ مِنَ اللَّهْوِ عَتَادٌ لِمَا يُحَبُّ عَتِيدُ[٤]
لَا يَدِبُّ المَلَالُ فِيهَا وَلَا يَنْقُضُ مِنْ عَقْدِ سِحْرِهَا تَوْكِيدُ[٥]
أَخَذَ الدَّهْرُ يَا وَحِيدُ لِقَلْبِي مِنْكِ، مَا يَأْخُذُ المُدِيلُ المُعِيدُ[٦]
حَظُّ غَيْرِي مِنْ وَصْلِكُمْ قُرَّةُ العَيْنِ وَحَظِّي البُكَاءُ وَالتَّسْهِيدُ
غَيْرَ أَنِّي مُعَلَّلٌ مِنْكِ نَفْسِي بِعِدَاتٍ خِلَالَهُنَّ وَعِيدُ[٧]
مَا تَزَالِينَ نَظْرَةٌ مِنْكِ وَعْدٌ لِي تُمِيتُ وَنَظْرَةٌ تَخْلِيدُ[٨]
قَدْ تَرَكْتِ الصِّحَاحَ مَرْضَى يَمِيدُونَ نُحُولًا وَأَنْتِ خُوطٌ يَمِيدُ[٩]
وَالهَوَى لَا يَزَالُ فِيهِ ضَعِيفٌ بَيْنَ أَلْحَاظِهِ صَرِيعٌ جَلِيدُ[١٠]

ميزة شعره : في هذه القصيدة وصف للصوت الحسن عند شخص محبوب، فترى الشاعر يصف وهو ولهان متلهب العاطفة فيضطرب بين الصوت وصاحبه، وينتقل من نفسه الى الصوت والى صاحب الصوت في ثورة عاطفية دافقة، وفي تحليل عميق ودقة رائعة .

---

١ الكرّة : التكرار . المبدىء : الذي يبدأ العمل . المعيد : المكرر . ٢ تسأم : تملّ ٣ استعرض : طلب عرض ما عنده . الغرائب : الامور الغريبة المدهشة . ٤ العتاد : العُدّة . العتيد : الحاضر . ٥ عقد سحرها : اي ان جمالها يسحرهم كأنهم قد أخذوا به والعقد ما يعقده السحرة في الخيط وينفثون في كل عقدة وهم يتلون رُقى يزعمون أنهم يؤثرون بذلك على الشخص المطلوب عندهم . ٦ المديل : الذي يقلّب الايام على الناس من حالٍ الى حال . المعيد : الذي يردّ الشيء أو يعيده الى مكانه . يقول : ان حظي منك متقلّب متحوّل فهو تارة أمل وطوراً ألم . ٧ العدات ج عدة وهي الوعد . خلالهنّ : في اثنائهنّ . ٨ التخليد : البقاء . ٩ يميدون : يميلون . الخوط : الغصن الناعم . ١٠ الجليد : القويّ الصابر .

١٦٦ بلوتُ طعوم الناس

[آنس ابن الرومي من نفسه كرهاً للناس، لانهم لم يقدروه حقَّ قدره فقال :]

بَلَوْتُ طُعُومَ ٱلنَّاسِ حَتَّى لَوَ ٱنَّنِي وَجَدْتُهُمُ أَحْلَى مَذَاقاً مِنَ ٱلشَّهْدِ
لَقَدْ آنَ أَنْ أَسْلَاهُمُ وَأَمَلَّهُمْ فَكَيْفَ، وَمَا لَاقَيْتُ مِنْهُمْ أَخَا رُشْدِ
وَكَيْفَ وَقَدْ جَرَّبْتُ مِنْ طَبَقَاتِهِمْ تَجَارِيبَ تَدْعُو ٱلنَّفْسَ فِيهِمْ إِلَى ٱلزُّهْدِ

١٦٧ القيان

[من قصيدة هنأ فيها ابن الرومي عُبَيد الله بن عبدالله بن طاهر بالمهرجان . وهي قصيدة طويلة كثيرة المشاهد الوصفية ، نجتزئ منها بوصف القيان لما فيه من طرافة ودقّة .]

وَقِيَانٍ كَأَنَّهَا أُمَّهَاتٌ عَاطِفَاتٌ عَلَى بَنِيهَا، حَوَانِ، [١]
مُطْفِلَاتٍ، وَمَا حَمَلْنَ جَنِيناً، مُرْضِعَاتٍ، وَلَسْنَ ذَاتَ لِبَانِ؛ [٢]
كُلُّ طِفْلٍ يُدْعَى بِأَسْمَاءَ شَتَّى، بَيْنَ عُودٍ وَمِزْهَرٍ وَكِرَانِ؛ [٣]
أُمُّهُ، دَهْرَهَا، تُتَرْجِمُ عَنْهُ، وَهْوَ بَادِي ٱلْغِنَى عَنِ ٱلتُّرْجُمَانِ،
غَيْرَ أَنْ لَيْسَ يَنْطِقُ ٱلدَّهْرَ إِلَّا بِٱلْتِزَامٍ مِنْ أُمِّهِ وَٱحْتِضَانِ.
أُوتِيَ ٱلْحُكْمَ وَٱلْبَيَانَ صَبِيّاً، مِثْلَ عِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمٍ ذِي ٱلْحَنَانِ؛
فَتَرَاهُ يَفْرِي ٱلْفَرِيَّ، بِلَفْظٍ قَائِمِ ٱلْوَزْنِ عَادِلِ ٱلْمِيزَانِ، [٤]
لَوْ تَسَلَّى بِهِ حَدِيثَةُ رُزْءٍ، لَشَفَى دَاءَ صَدْرِهَا ٱلْحَرَّانِ. [٥]
عَجَباً مِنْهُ، كَيْفَ يُسْلِي وَيُلْهِي، مَعَ تَهْيِيجِهِ عَلَى ٱلْأَشْجَانِ!

---

١ القيان ج قَيْنة وهي المغنّية ؛ وانما قيل للمغنية قَيْنة اذا كان الغناء صناعة لها، وذلك من عمل الإماء دون الحرائر . كان القيان اللواتي رآهنّ الشاعر يحملن آلات الطرب ويعطفن عليها كما تعطف الأمهات على بنيهنّ . ٢ المُطفل : ذات الطفل . اللِّبان : الرّضاع . ٣ المِزهر : العود يضرب به . الكران : الصَّنج . ٤ يفري الفريّ : اي يأتي بالعجيب في عمله . ٥ لو تسلّى : اي لو تتسلى . حديثة الرّزء : التي حلّت بها المصيبة من زمن غير بعيد .

فترى ، في الذي يُصيخ إليهِ ، أمَراتِ المحزونِ والجذلانِ . [١]
وتغنّتهُ بالمدائح فيه كلُّ غيداءَ غادةٍ مِفتانِ ؛
ذاتِ صوتٍ تهزّهُ كيفَ شاءت ، مثلَ ما هزّتِ الصَّبا غُصنَ بانِ ؛
يتثنّى ، فينفضُ الطلَّ عنهُ ، في تثنّيهِ ، مثلَ حبِّ الجُمانِ ،
جهوريٍّ ، بلا جفاءٍ على السمعِ ، مشوبٍ بغُنّةِ الغزلانِ ، [٢]
فيهِ بمٌّ ، وفيهِ زيرٌ منَ النغمِ ، وفيهِ مثالثٌ ومثانٍ ؛ [٣]
فتراهُ يَجِلُّ في السمعِ حيناً ، وتراهُ يدِقُّ في الأحيانِ
يلِجُ السمعَ ، مستمِرّاً إلى القلبِ بلا إذنٍ ، لا ، ولا استئذانِ .

١٦٨ الزاهد

باتَ يدعو الواحدَ الصمدا ، في ظلامِ الليلِ منفرِدا ، [٤]
خادمٌ ، لم تُبقِ خدمتُهُ منهُ لا روحاً ولا جسدا ،
قد جفت عيناهُ غُمضهما ، والخليُّ القلبِ قد رقدا . [٥]
في حشاهُ ، من مخافتِهِ ، حُرُقاتٌ تلذعُ الكبدا .
لو تراهُ ، وهوَ منتصِبٌ ، مُشعِرٌ أجفانَهُ السُّهُدا ، [٦]
كلّما مرَّ الوعيدُ بهِ ، سحَّ دمعُ العينِ فاطّردا ،
ووهت أركانُهُ جزعاً ، وارتقت أنفاسُهُ صُعُدا ،
قائلٌ : «يا منتهى أملي ، نجّني ممّا أخافُ غدا ؛

١ الأمرات كالأمارات : العلامات . ٢ الجهوريّ : الصوت العالي . الغنّة : هي أن يشرب الحرف صوت الخيشوم . ٣ البمّ : الوتر الغليظ من أوتار المزاهر . الزّير : الدقيق من الاوتار . المثالث ج مِثلث وهو ما كان على ثلاث قوى من الاوتار ، وقيل الثالث منها . والمثاني من الاوتار ج مثنى وهو الذي بعد الاول . ٤ الصّمد : السيّد المطاع الذي لا يُقضى دونه أمر ، وهي احدى صفات الله تعالى . ٥ الخليّ القلب : الخالي من الهمّ . ٦ أشعره الشيء : ألبسه إياه ، وأشعر اجفانه السهد : لم ينم .

أَنَا عَبْدُ غَرَّنِي أَمَــلِي ، وَكَأَنَّ ٱلْمَوْتَ قَدْ وَرَدَا ؛
وَخَطِيئَاتِي ٱلَّتِي سَلَفَتْ ، لَسْتُ أُحْصِي بَعْضَهَا عَدَدَا ؛
فَلِيَ ٱلْوَيْلُ ٱلطَّوِيلُ غَدًا ، لَيْتَ عُمْرِي قَبْلَهَا نَفِدَا .
وَيْحَ عَيْنِي ، سَاءَ مَا نَظَرَتْ ، وَيْحَ قَلْبِي ، سَاءَ مَا ٱعْتَقَدَا ؛
لَيْتَ عَيْنِي ، قَبْلَ نَظْرَتِهَا ، كُحِلَتْ أَجْفَانُهَا رَمَدَا . [١]

ميزة شعره : إن في جلال الابيات ، وثقل وقعها ما يعبّر تمام التعبير عن تقشّف الزّاهد ، ووحشته ، ومخافته . وإنّ في لفظة « خادم » ، التي جعلها الشاعر في صدر البيت الثاني ، خلاصةً لجميع معانيه ، وسبباً لما يأتيه الزاهد من اعمال ومبرّات ، ومعنى لزهده . وهذا الخادم أمين قام بخدمته تام القيام ، فأفنى المادّة في جسده بقهره اهواءه ، فانطلقت الروح في اجواء الحرّيّة الروحانية ، واصبح العابد كمن لا جسد له ولا روح . وهذا تصوير رائع . والتشخيص قويٌّ في القصيدة ، يكسبها شدّة وصرامة وعمق أثر . والتحليل النفسي دقيق جدّاً ، فقد عرف الشاعر ان يستجلي نفس الزاهد في عواطفها المختلفة من امانة وتقوى ومخافة وأسف وندم . . .

١٦٩ العنب الرازقي

[وقال يصف العنب الرازقي :]

وَرَازِقِيٍّ مُخْطَفِ ٱلْخُصُورِ كَأَنَّهُ مَخَازِنُ ٱلْبَلُّورِ [٢]
قَدْ ضُمِّنَتْ مِسْكاً إِلَى ٱلشُّطُورِ وَفِي ٱلْأَعَالِي مَاءُ وَرْدٍ جُورِي [٣]
لَمْ يُبْقِ مِنْهُ وَهَجُ ٱلْحَرُورِ إِلَّا ضِيَاءً فِي ظُرُوفِ نُورِ [٤]
لَوْ أَنَّهُ يَبْقَى عَلَى ٱلدُّهُورِ قَرَّطَ آذَانَ ٱلْحِسَانِ ٱلْحُورِ [٥]
لَهُ مَذَاقُ ٱلْعَسَلِ ٱلْمَشُورِ وَنَكْهَةُ ٱلْمِسْكِ مَعَ ٱلْكَافُورِ [٦]

---

١ يقول : ليت الرّمد أصاب عيني قبل نظرها الى السوء . ٢ العنب الرازقي : نوع من العنب أبيض طويل الحب ، مخطف الخصور : هزيلها . ٣ الجوري : منسوب الى جور مدينة بفارس ينسب اليها الورد ويعمل فيها ماؤه . ٤ الحرور : حر الشمس . ٥ قرّط : اي زانها بالقُرط وهو ما يُعلّق في شحمة الاذن من زينة . ٦ شار العسل : جناه من خلاياه .

بَاكَرْتُهُ وَٱلطَّيْرُ فِي ٱلوُكُورِ ... وَعُذَرُ ٱللَّذَاتِ فِي ٱلبُكُورِ [١]
بِفِتْيَةٍ مِنْ وَلَدِ ٱلْمَنْصُورِ ... أَمْلاَ لِلْعَيْنِ مِنَ ٱلبُدُورِ
حَتَّى أَتَيْنَا خَيْمَةَ ٱلنَّاطُورِ ... قَبْلَ ٱرْتِفَاعِ ٱلشَّمْسِ لِلذُّرُورِ [٢]
ثُمَّ جَلَسْنَا مَجْلِسَ ٱلْمَحْبُورِ ... عَلَى حِفَافَيْ جَدْوَلٍ مَسْجُورِ [٣]
أَبْيَضَ مِثْلَ ٱلْمُهْرَقِ ٱلْمَنْشُورِ ... أَوْ مِثْلَ مَتْنِ ٱلْمُنْصُلِ ٱلْمَشْهُورِ [٤]
يَنْسَابُ مِثْلَ ٱلحَيَّةِ ٱلْمَذْعُورِ ... بَيْنَ سِمَاطَيْ شَجَرٍ مَسْطُورِ [٥]
فَنِيلَتِ ٱلأَوْطَارُ مِنْ سُرُورِ ... تَعِلَّةً عَنْ يَوْمِنَا ٱلْمَنْظُورِ [٦]
وَمُتْعَةً مِنْ مُتَعِ ٱلغُرُورِ

١٧٠ الزلابية

[مرَّ يوماً برجلٍ يقلي زلابية فقال :]

وَمُسْتَقِرٍّ عَلَى كُرْسِيِّهِ تَعِبٍ ... رُوحِي ٱلفِدَاءُ لَهُ مِنْ مُنْصَبٍ تَعِبِ [٧]
رَأَيْتُهُ سَحَرًا يَقْلِي زَلَابِيَةً ... فِي رِقَّةِ ٱلقِشْرِ وَٱلتَّجْوِيفِ كَٱلقَصَبِ
كَأَنَّمَا زَيْتُهُ ٱلمَقْلِيُّ حِينَ بَدَا ... كَٱلكِيمِيَاءِ ٱلَّتِي قَالُوا وَلَمْ تُصِبِ [٨]
يُلْقِي ٱلعَجِينَ لُجَيْنًا مِنْ أَنَامِلِهِ ... فَيَسْتَحِيلُ شَبَابِيكًا مِنَ ٱلذَّهَبِ [٩]

ميزة شعره: يصف ابن الرومي الآكل عن نهم فيه مُلحٌ ، وهو في وصفه دقيق الملاحظة والتصوير الفنّي الرفيع ؛ وهو يمثّل فيه الحركة اروع تمثيل ويمد الى الصور المركبة حيث تجتمع في ابيات قليلة مشاهد مختلفة تتعاقب متتالية مترابطة خفّاقة .

---

١ عذرة الفرس : ناصيته، وأراد بعذر اللذات بوادرها واول ما يظهر منها . ٢ الناطور : حارس العنب . والذرور : طلوع الشمس . ٣ حفافا الجدول : جانباه . والمسجور : المملوء . ٤ المهرق : الصحيفة . والمنصل : السيف . ٥ السماطان : مثنى سماط وهو الشيء المصطف . ٦ يقال : علل نفسه بتعلة أي شغل نفسه بشيء . ٧ المُنصَب : التعب . ٨ الكيمياء : هو علم كان يريد به القدماء تحويل بعض المعادن الى ذهب . لم تصب : لم تنجح . ٩ اللجين : الفضة . الانامل مفرد انملة : رأس الاصبع ويراد بها هنا الاصبع كلّه من باب تسمية الجزء باسم الكلّ . الشبابيك : اعواد متعارضة من حديد تنصب في النافذة ويُطلق عليها شبّاك لانها متشابكة بالحديد .

١٧١ الاحدب

[وقال يصف أحدبَ :]

قَصُرَتْ أَخَادِعُهُ وَغَارَ قَذَالُهُ   فَكَأَنَّهُ مُتَرَبِّصٌ أَنْ يُصْفَعَا [١]
وَكَأَنَّمَا صُفِعَتْ قَفَاهُ مَرَّةً   وَأَحَسَّ ثَانِيَةً لَهَا فَتَجَمَّعَا [٢]

١٧٢ وساقٍ صبيحٍ

وَسَاقٍ صَبِيحٍ لِلصَّبُوحِ دَعَوْتُهُ   فَقَامَ وَفِي أَجْفَانِهِ سِنَةُ الْغُمْضِ [٣]
يَطُوفُ بِكَاسَاتِ الْعُقَارِ كَأَنْجُمٍ   فَمِنْ بَيْنِ مُنْقَضٍّ عَلَيْنَا وَمُنْفَضِّ [٤]
وَقَدْ نَشَرَتْ أَيْدِي الْجَنُوبِ مَطَارِفًا   عَلَى الْجَوِّ دُكْنًا وَالْحَوَاشِي عَلَى الْأَرْضِ [٥]
يُطَرِّزُهَا قَوْسُ السَّحَابِ بِأَخْضَرٍ   عَلَى أَحْمَرٍ فِي أَصْفَرٍ إِثْرَ مُبْيَضِّ [٦]
كَأَذْيَالِ خَوْدٍ أَقْبَلَتْ فِي غَلَائِلٍ   مُصَبَّغَةٍ وَالْبَعْضُ أَقْصَرُ مِنْ بَعْضِ [٧]

١٧٣ الشباب الراحل

أَبَيْنَ ضُلُوعِي جَمْرَةٌ تَتَوَقَّدُ   عَلَى مَا مَضَى ؟ أَمْ حَسْرَةٌ تَتَجَدَّدُ ؟
خَلِيلَيَّ مَا بَعْدَ الشَّبَابِ رَزِيَّةٌ   يَجُمُّ لَهَا مَاءُ الشُّؤُونِ وَيَعْتُدُ [٨]
فَلَا تَلْحَيَا إِنْ فَاضَ دَمْعٌ لِفَقْدِهِ   فَقَلَّ لَهُ بَحْرٌ مِنَ الدَّمْعِ يُثْمَدُ [٩]

---

١ الاخادع مفرده اخدع : عرق في صفحة العنق وهما اخدعان . القذال : جماع مؤخّر الرأس . متربّص : منتظر . ٢ القفا : مؤخّر العنق . ٣ الصبيح : الجميل . السنة : أوّل النعاس . الغمض : النوم . ٤ العقار : الخمر . المنقضّ : الساقط . المنفض : المتفرّق .
٥ المطارف : مفرده مطرف وهو رداء من خزّ ذو أعلام . الدكن مفرده ادكن وهو ذو اللون المائل الى السواد . الحواشي مفرده الحاشية : طرف الثوب . ٦ قوس السحاب : قوس قُزَح . ٧ الخود : الصبيّة الحسناء . الغلائل : بطائن تلبس تحت الفروع مفردها غليلة .
٨ يجمّ : يكثر ويجتمع . الشؤون : مجاري الدموع الى العيون . يَعْتَد : يحضر ويتهيأ .
٩ لحاه : لامه وسبّه وعابه . يُثْمَد : يُجمع .

وَلَا تَعْجَبَا لِلْجِلْدِ يَبْكِي فَرُبَّمَا   تَفَطَّرَ عَنْ عَيْنٍ مِنَ ٱلْمَاءِ جَلْمَدُ
شَبَابُ ٱلْفَتَى مَجْلُودُهُ وَعَزَاؤُهُ   فَكَيْفَ وَأَنَّى بَعْدَهُ يَتَجَلَّدُ [1]
وَفَقْدُ ٱلشَّبَابِ ٱلْمَوْتُ، يُوجَدُ طَعْمُهُ   صُرَاحًا، وَطَعْمُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْمَوْتِ يُفْقَدُ
رُزِئْتُ شَبَابِي عَوْدَةً بَعْدَ بَدْأَةٍ   وَهُنَّ ٱلرَّزَايَا بَادِئَاتٌ وَعُوَّدُ
سُلِبْتُ سَوَادَ ٱلْعَارِضَيْنِ وَقَبْلَهُ   بَيَاضَهُمَا ٱلْمَحْمُودَ إِذْ أَنَا أَمْرَدُ
وَبُدِّلْتُ مِنْ ذَاكَ ٱلْبَيَاضِ وَحُسْنِهِ   بَيَاضًا ذَمِيمًا لَا يَزَالُ يُسَوَّدُ
لَشَتَّانَ مَا بَيْنَ ٱلْبَيَاضَيْنِ : مُعْجِبٌ   أَنِيقٌ، وَمَشْنُوءٌ إِلَى ٱلْعَيْنِ أَنْكَدُ [2]
وَكُنْتُ جَلَاءً لِلْعُيُونِ مِنَ ٱلْقَذَى   فَقَدْ جَعَلَتْ تَقْذَى بِشَيْبِي وَتَرْمَدُ
هِيَ ٱلْأَعْيُنُ ٱلنُّجْلُ ٱلَّتِي كُنْتَ تَشْتَكِي   مَوَاقِعَهَا فِي ٱلْقَلْبِ، وَٱلرَّأْسُ أَسْوَدُ [3]
فَمَا لَكَ تَأْسَى ٱلْآنَ لَمَّا رَأَيْتَهَا   وَقَدْ جَعَلَتْ مَرْمَى سِوَاكَ تَعَمَّدُ
أَأَيَّامَ لَهْوِي هَلْ مَوَاضِيكِ عُوَّدٌ ؟   وَهَلْ لِشَبَابٍ ضَلَّ بِٱلْأَمْسِ مُنْشَدُ
أَقُولُ وَقَدْ شَابَتْ شَوَاتِي، وَقَوَّسَتْ   قَنَاتِي، وَأَضْحَتْ كِدْنَتِي تَتَخَدَّدُ [4]
وَدَبَّ كَلَالٌ فِي عِظَامِي أَدَبَّنِي   جَنِيبَ ٱلْعَصَا أَنْآدُ أَوْ أَتَأَيَّدُ [5]
وَبُدِّلَ إِعْجَابُ ٱلْغَوَانِي تَعَجُّبًا   فَهُنَّ رَوَانٍ يَعْتَبِرْنَ وَصُدَّدُ
لِمَا تُؤْذِنُ ٱلدُّنْيَا بِهِ مِنْ صُرُوفِهَا   يَكُونُ بُكَاءُ ٱلطِّفْلِ سَاعَةَ يُولَدُ [6]
وَإِلَّا فَمَا يُبْكِيهِ مِنْهَا وَإِنَّهَا   لَأَفْسَحُ مِمَّا كَانَ فِيهِ وَأَرْغَدُ
إِذَا أَبْصَرَ ٱلدُّنْيَا ٱسْتَهَلَّ كَأَنَّهُ   بِمَا سَوْفَ يَلْقَى مِنْ أَذَاهَا مُهَدَّدُ [7]
وَلِلنَّفْسِ أَحْوَالٌ تَظَلُّ كَأَنَّهَا   تُشَاهِدُ فِيهَا كُلَّ غَيْبٍ سَيَشْهَدُ

---

١ مجلوده : ما يقوى به على الصمود . ٢ المشنوء : المُبْغَض . ٣ النجْل ج نجلاء وهي العين الواسعة مع حسن . ٤ الشواة : جلدة الرأس . الكِدْنة : اللحم المكتنز . تتخدّد : تهزل وتقلّ . ٥ أدبّني : جعلني ادب . جنيب العصا : اي تقودني العصا . أنآد : انحني واميل . اتأيد : اتشدّد، اي اسير بجهد . ٦ تؤذن : تعلم وتخبر . ٧ استهلّ : بكى .

١٧٤ انا ذو القصد

[قال ابن الرومي يصف نفسه ويفتخر :]

أَنَا ذُو ٱلْقَصْدِ غَيْرَ أَنِّي مَتَى آنَسْـــتُ جَوْرًا رَأَيْتَ لِي غُلَوَاءَ [١]
وَٱلْحَلِيمُ ٱلْعَلِيمُ مَنْ يُحْسِنُ ٱلْإِيقَـــادَ بَدْأً وَيُحْسِنُ ٱلْإِطْفَاءَ
وَٱلطَّبِيبُ ٱللَّبِيبُ مَنْ يُتْبِعُ ٱلـــدَّاءَ دَوَاءً يَشْفِيهِ لَا ٱلدَّاءَ دَاءَ
أَنَا لَيْثُ ٱللُّيُوثِ نَفْسًا وَإِنْ كُنْـــتُ بِجِسْمِي ضُئَيْلَةً رَقْشَاءَ [٢]
إِنَّنِي إِنْ نَفَرْتُ أَمْعَنْتُ فِي ٱلنَّفْـــرِ وَمِثْلِي عَمَّنْ تَنَاءَى تَنَاءَى
لَسْتُ بِٱلْخُطَّةِ ٱلْخَسِيسَةِ فَٱعْرِفْ لِي قَدْرِي وَٱسْأَلْ بِهِ ٱلْفُهَمَاءَ
أَنَا عَبْدُ ٱلْإِنْصَافِ قِرْنُ ٱلتَّعَدِّي فَٱسْلُكِ ٱلْقَصْدَ بِي وَعَدِّ ٱلْعَدَاءَ
خَاشِعٌ تَارَةً وَجَبَّـــارٌ أُخْرَى فَتَرَانِي أَرْضًا وَطَوْرًا سَمَاءَ
لَا بِحَوْلٍ وَلَا بِقُوَّةِ رُكْنٍ غَيْرَ لُبْسِي تَجَلُّدًا وَحَيَاءَ [٣]
أَنَا جَلْدٌ عَلَى عِنَادِ ٱلْأَحَاظِي وَأَبِيٌّ أَنْ أَرْأَمَ ٱلنَّكْـــرَاءَ [٤]
إِنَّ وَزْنِي فِي ٱلرَّأْيِ وَزْنٌ ثَقِيلٌ فَٱسْأَلِ ٱلرَّأْيَ عَنْهُ لَا ٱلْأَهْوَاءَ

---

١ القصد : عدم الافراط . الغلواء : الغلوّ والتجاوز .   ٢ الضئيلة : الصغيرة الدقيقة الحقيرة . الرقشاء : دويبة تكون في العشب .   ٣ الحول : القدرة .   ٤ الاحاظي ج حظ . ان ارأم : أن آلف واحب . النكراء : الشدة . يقول : اني اقاوم الخطوط بجلد ولا استرخي للشدة .

في النثر

الجاحظ (٧٧٥ ــ ٨٦٨ م/ ١٥٩ ــ ٢٥٥ ﻫ)

[الجاحظ رجل أدب وعلم، وقد قضى حياته بين الكتب يطالع ويؤلف، وقد استوعب حضارة عصر بكامله، بل حوى في صدره ثقافة الشعوب القديمة من أعاجم وعرب، وكانت مؤلفاته موسوعة علمية ادبية ، وكانت كتابته مدرسة من مدارس الإنشاء العربيّ، وأساوبه العلمي منهاجاً للدراسات والتحرّي . وقد اراد ان يكون علمه وكتابته للحياة وللشعب في مطلق حياتـه ، فوسمها بسمة الظرف والفكاهة والتنقل من موضوع الى موضوع في خفَّة ولين . وهكذا كان الجاحظ معلّم شعبه ومصوِّر عصره .]

رسالة التربيع والتدوير :

١٧٥ احمد بن عبد الوهاب

[كان أحمد بن عبد الوهاب مفرط القصر يدعي أنه مفرط الطـول ، وكان مربعاً، جعد الاطراف، قصير الاصابع، وهو في ذلك يدعي السباطة والرشاقة، وأنه عتيق الوجه، أخمص البطن، معتدل القامة . وكان ادعاؤه لاصناف العلم على قدر جهله بها . فبرم منه الجاحظ وكتب اليه هذه الرسالة يسأله فيهـا مئة مسألة ، وأسلوبه في ذلك أسلوب التهكم والاستهزاء .]

أطال الله بقاءك وأتمَّ نعمته عليك وكرامته لك . قد علمتُ، حفظكَ الله، أنك

لا تُحسد على شيء حسدَك على حسن القامة، وضخم الهامة، وعلى حوَر العين[١] وجودة القدّ، وعلى طيب الأحدوثة والصنيعة المشكورة . وأن هذه الامور هي خصائصك التي بها تَكلَف[٢]، ومعانيك التي بها تلهج . . . وبعد، أبقاك الله فأنتَ في يدك قياس لا ينكسر، وجواب لا ينقطع، والك حدٌّ لا يُفلّ، وغربٌ[٣] لا ينثني، وهو قياسُك الذي اليه تُنسب، ومذهبك الذي اليه تذهب، أن تقول : وما عليّ إن رآني الناسُ عريضاً وأكون في حكمهم غليظاً ، وأنا عند الله طويل جميل، وفي الحقيقة مقدود رشيق . وقد علموا، أبقاك الله، أن الك مع طول البادِ[٤] راكباً طول الظهر جالساً . ولكن بينهم فيك إذا قمتَ اختلاف، وعليك لهم اذا اضطجعتَ مسائل، ومن غريب ما أُعطيتَ وبديع ما أُوتيت أنَّا لم نرَ مقدوداً واسع الجُفرة[٥] غيرك، ولا رشيقاً مستفيضَ الخاصرة سواك ، فأنت المديد ، وأنت البسيط، وأنت الطويل، وأنت المتقارب . فيا شعراً جمع الاعاريض، ويا شخصاً جمع الاستدارةَ والطول ! بل ما يهمّك من أقاويلهم ويتعاظمك من اختلافهم ، والراسخون في العلم والناطقون بالفهم يعلمون أنّ استفاضة عرضك قد أدخلتِ الضيمَ على ارتفاع سَمكك[٦]، وان ما ذهب منك عرضاً قد استغرق ما ذهب منك طولاً . والئن اختلفوا في طولك لقد اتفقوا في عَرضك، وإذ قد سلّموا الك بالرّغم شطراً ومنعوك بالظلم شطراً، فقد حصلت ما سلّموا وأنت على دعواك فيا لم يُسلموا . ولعمري إن العيون لتخطئ وإن الحواسّ لتكذب ، وما الحكم القاطع إلا للذهن، وما الاستبانة الصحيحة إلا للعقل، إذ كان زِماماً على الاعضاء وعياراً على الحواس . . .

[وبعد حديث طويل على هذا المنوال يوجه الجاحظ الى خصمه أسئلته واليك بعضاً منها :]

خبرني عن معنى الفرات على حقّه وصدقه ، وعن نضوب البحر وعن تنقص

---

١ حور العين : اشتداد سواد سوادها في اشتداد بياض بياضها واستدارة حدقتها ورقة جفونها .
٢ كلف بالشيء : أولع به ولعاً شديداً . ٣ الغرب : الحد . ٤ الباد : باطن الفخذ .
٥ الجفرة : جوف الصدر، او ما يجمع الصدر والجنبين . ٦ السمك . الارتفاع .

الارض، ولِمَ عمل الفلك في هذا العالم وليس بينهما شبه ، وهلّا عمل فيـه بقدرة منه، وهل يجوز أن يعمل شيء في شيء إلا والآخر يعمل فيه ؟ وخبرني مذ كم كان الناس أمّةً واحدةً، ولغاتُهم متساوية ؟ وبعد كم بطن اسودّ الزنجيّ وابيضّ الصقليّ ؟ ولمَ صار اللون أسرع تنقُّصاً من الجمود ؟ ولمَ كان الولد يجيء على شبه ما في أبيه من الأمور الحادثة في بدنه عن غير القديمة في أصل تركيبه، ومع ذلك لم يولد صبيّ قطّ في العرب مجنوناً . . .

جُعلت فداك أيّما أطول عمراً الناس، أم عَيْر العانة[1]، أم الحيّـة ، أم الضَّبّ، ومتى تستغني الحية عن الغذاء، ومتى ينتفع الضبّ بالنسيم ؟ . . . وخبرني عن جواهر الارض، وعن جَمع القار أشيء مفروغ من خلقه أم أرض يستحيل اليه ؟ ولمَ عمل بعضُ السمّ في العصب، وبعضه في الدم، وبعضه فيهما جميعاً ؟ ولم كان بعضه سمّ مَجاز وبعضه سمّ جِهاز ؟ ولم صار لا يقتلُ مع العادة وقتـل قبل العادة، ألِأنّ الطبائع تُنكر الشيء الغريب أم لانه ضدٌّ في نفسه ؟ وكيف صار مع ريق الافعى ريق بعض الناس في القتل، وفي أيّهما سمّ ؟ . . .

ميزة رسالة التربيع والتدوير : للرسالة قيمة علمية قائمة على ما ذكر الجاحظ من القضايا الفلسفية والعلمية والتاريخية ؛ ولها قيمة فنية ادبية قائمة على التهكم والسخرية اللاذعة وذلك عن طريق المفارقات والمتناقضات، والجدل والاحتجاج والحوار، والتصوير الكاريكاتوري الناطق، واللباقة في الحديث .

كتاب البيان والتبيين :

١٧٦ البيان

قال بعض جهابذة الالفاظ ونقّاد المعاني : المعاني القائمة في صدور العبـاد،

١ العير : الحمار الوحشي . العانة : الاتان ، والقطيع من حمر الوحش .

المتصوَّرة في أذهانهم، والمتحلّجة[١] في نفوسهم، والمتَّصلة بخواطرهم، والحادثة عن فكرهم، مستورةٌ خفية، وبعيدة وحشية، ومحجوبة مكنونة، وموجودة في معنى معدومة . لا يعرف الانسان ضميرَ صاحبه، ولا حاجة أخيه وخليطه[٢]، ولا معنى شريكه والمعاون له على أموره، وعلى ما لا يبلغه من حاجات نفسه إلا بغيره، وإنما تحيا تلك المعاني في ذكرهم لها، وإخبارهم عنها، واستعمالهم إيّاها . وهذه الخصال هي التي تقرّبها من الفهم، وتجليها[٣] للعقل، وتجعل الخفيَّ منها ظاهراً، والغائبَ شاهداً، والبعيد قريباً؛ وهي التي تُلخِّص الملتبس[٤] وتحلّ المنعقد، وتجعل المُهمَل مقيَّداً، والمقيَّدَ مُطلقاً، والمجهولَ معروفاً، والوحشيّ مألوفاً، والغُفلَ[٥] موسوماً، والموسوم معلوماً . وعلى قدر وضوح الدلالة وصواب الاشارة، وحسن الاختصار، ودقّة المدخل، يكون إظهار المعنى . وكلما كانت الدلالة أوضح وأفصح، وكانت الاشارة أبيَن وأنوَر، كان أنفع وأنجع[٦] . والدلالة الظاهرة على المعنى الخفيّ هو البيان الذي سمعت الله تبارك وتعالى يمدحه ويدعو اليه ويحثّ عليه . وبذلك نطق القرآن، وبذلك تفاخرت العرب، وتفاضلت أصناف الاعجام . والبيان اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى، وهتك الحجب دون الضمير، حتى يفضي السامع الى حقيقته، ويهجم على محصوله كائناً ما كان بذلك البيان، ومن أي جنس كان ذلك الدليل؛ لان مدار الامر والغاية التي اليها يجري القائل والسامع إنما هو الفهم والإفهام، فبأيّ شيء بلغت الإفهام وأوضحت عن المعنى فذلك هو البيان في ذلك الموضع ...

وأحسن الكلام ما كان قليله يُغنيك عن كثيره ومعناه في ظاهر لفظه، وكان الله عزّ وجلّ قد ألبسه من الجلالة، وغشّاه[٧] من نور الحكمة على حسب نيّة صاحبه وتقوى قائله، فإذا كان المعنى شريفاً واللفظ بليغاً، وكان صحيح الطبع بعيداً من

---

١ المتحلجة : المضطربة . ٢ الخليط : المخالط ، اي المشارك والصاحب . ٣ تجليها : تظهرها . ٤ الملتبس : المختلط . ٥ الغفل : ما لا علامة فيه . ٦ نجع الطعام او الدواء او الكلام : نفع . ٧ غشى الشيء وعلى الشيء : غطاه .

الاستكراه، ومنزّهاً عن الاختلال، مصوناً عن التكلّف، صنع في القلب صنيعَ الغيث في التربة الكريمة . ومتى فصلت الكلمة على هذه الشريطة، ونفذت من قائلها على هذه الصفة، أصحبها الله من التوفيق، ومنحها من التأييد، ما لا يمتنع من تعظيمها به صدور الجبابرة، ولا يذهل عن فهمها عقول الجهلَة .

كتاب البخلاء :

١٧٧ كذبٌ بكذب

حدثني محمد بن يسير[١] عن والٍ كان بفارس، إما أن يكون خالداً أخا مهرويه، أو غيره، قال : بينا هو يوماً في مجلس، وهو مشغول بحسابه وأمره، وقد احتجب[٢] جهدَه، إذ نَجم[٣] شاعر من بين يديه، فأنشده شعراً مدحه فيه وقرّظه[٤] ومجّده، فلما فرغ قال : قد أحسنت . ثم أقبل على كاتبه فقال : أعطه عشرة آلاف درهم ! ففرح الشاعر فرحاً قد يُستطار[٥] له، فلما رأى حاله قال : وإني لأرى هذا القول قد وقع منك هذا الموقع، اجعلها عشرين ألف درهم . وكاد الشاعر يخرج من جلده، فلما رأى فرحه قد تضاعف قال : وإن فرحك ليتضاعف على قدر تضاعفَ القول، أعطه يا فلان أربعين ألفاً ! فكاد الفرحُ يقتله ! فلما رجعت اليه نفسه قال له : أنت — جُعلتُ فداك — رجلٌ كريم، وأنا أعلم أنك كلّما رأيتني قد ازددتُ فرحاً، زدتني في الجائزة، وقبولُ هذا منك لا يكون إلا من قلة الشكر له[٦]، ثم دعا له وخرج . قال : فأقبل عليه كاتبه فقال : سبحانَ الله ! هـذا كان يرضى منك بأربعين درهماً تأمر له بأربعين الف درهم ! قال : ويلك ! وتريد أن تعطيه

١ محمد بن يسير : شاعر بصري . ٢ احتجب جهده : تخفى ما استطاع . ٣ نجم : ظهر . ٤ قرظه : مدحه . ٥ قد يستطار له : أي قد يستخف الانسان ويذهله .
٦ يقول : قبول هذه الزيادة المتواصلة والثبات في مكاني من غير ان اخرج دليل على اني اجد العطاء قليلاً، فاقل من الشكر له لانال الزيادة فيه، ولهذا اريد الخروج .

شيئاً ؟ قال : ومن إنفاذ أمرك بدّ ؟ قال : يا أحمق إنما هذا رجل سرّنا بكلام، وسررناه بكلام ! هو حين زعم أني أحسن من القمر، وأشدّ من الاسد، وأنّ لساني أقطع من السيف، وأنّ أمري أنفذُ من السِنان، جعل في يدي من هذا شيئاً أرجع به الى شيء ؟ ألسنا نعلم أنه قد كذب ؟ ولكنه قد سرّنا حين كذب لنا، فنحن أيضاً نسرّه بالقول، ونأمر له بالجوائز ، وإن كان كذِباً ، فيكون كذب بكذب، وقول بقول ؛ فأمّا أن يكون كذب بصدق، وقول بفعل، فهذا هو الخسران الذي ما سمعت به !

١٧٨ كلام بكلام

حدثني إبراهيم بن السِندي قال : كان على رَبع الشاذروان[1] شيخ لنا من أهل خُراسان، وكان مصححاً، بعيداً من الفساد، ومن الرشاء[2]، ومن الحكم بالهوى وكان حفيّاً جدّاً، وكذلك كان في إمساكه، وفي بخله، وتدنيقه[3] في نفقاته، وكان لا يأكل إلا ما لا بدّ منه، ولا يشرب إلا ما لا بدّ له منه ، غير أنه اذا كان في غداة كل جمعة، حمل معه منديلاً فيه جَردقتان[4]، وقطع لحم سكباج[5] مبرّد، وقطع جبن، وزيتونات، وصرّة فيها ملح، وأخرى فيها أُشنان[6]، وأربع بيضات، ليس منها بدّ، ومعه خِلال[7]، ومضى وحده حتى يدخل بعض بساتين الكرخ، وطلب موضعاً

---

١ ربع الشاذروان : لعله حي من احياء بغداد، فتكون بغداد مقسمة الى ارباع ، ويكون هذا الشيخ مولى على هذا الربع يقوم بعمل القاضي او ما يشبه ذلك ، او لعله بنـاء من الابنية المكينة تشبيهاً له بشاذروان مدينة تستر الذي يقول ابن خرداذبه انه مبني بالصخر واعمدة الحديد وملاط الرصاص . او لعله بحسب وصف البشاري عمل من الاعمال الهندسية التي كان يقصد بها الى تنظيم الري فهو نوع من القناطر او الخزانات نسب الربع اليه . (البخلاء تحقيق طه الحاجري) .

٢ الرشاء : لعل صوابه «الرشى» من الرشوة . ٣ التدنيق : التقتير . ٤ الجردقة : الرغيف معرب « كرو » بالفارسية . وقد ذكره ابو النجم في شعره حيث قال : كان بصيراً بالرغيف الجردق . ٥ السكباج : مرق يعمل من اللحم والخل ، وربما جعل فيه زعفران . وهو معرب «سكبا» بالفارسية ومعناه طعام بخل . ٦ الاشنان : (يوناني) نوع من النبات .

٧ الخلال : ما تخلل به الاسنان .

تحت شجرة، وسط خضرة، وعلى ماء جارٍ؛ فإذا وجد ذلك جلس، وبسط بين يديه المنديل، وأكل من هذا مرّةً، ومن هذا مرّةً، فإن وجد قيّم ذلك البستان رمى اليه بدرهم، ثم قال : اشترِ لي بهذا، أو أعطني بهذا رُطَباً[1] — إن كان في زمان الرُّطَب — أو عنباً — إن كان في زمان العنب — ويقول له : إيّاك إيّاك أن تُحابيني[2] ولكن تجوّد[3] لي، فإنك إن فعلتَ لم آكُلْهُ، ولم أُعد اليك، واحذرِ الغَبْن فإن المغبون لا محمود ولا مأجور . فإن أتاه به أكل كلّ شيء معه، وكلّ شيء أتى به . ثم تخلّل[4]، وغسل يديه . ثم يمشي مقدار مئة خطوة، ثم يضع جنبه فينام الى وقت الجمعة، ثم ينتبهُ فيغتسلُ ويمضي الى المسجد .

هذا كان دأبه كلَّ جمعة . قال إبراهيم : فبينا هو يوماً من أيامه يأكل في بعض المواضع، إذ مرَّ به رجلٌ فسلّم عليه، فردَّ السلام ثم قال : هلمَّ عافاك الله . فلمّا نظر الى الرجل قد انثنى راجعاً يريد أن يَطفِرَ[5] الجدول او يتعدّى النهر قال له : مكانَك! فإن العجلةَ من عمل الشيطان . فوقف الرجل، فأقبل عليه الخراسانيّ وقال : تريد ماذا؟ قال : أريد أن أتغدّى! قال : ولمَ ذلك، وكيف طمعت في هذا؟ ومَن أباح لك مالي؟ قال الرجل : أو ليس قد دعوتني؟ قال : ويلك! لو ظننتُ أنك هكذا أحمق ما رددتُ عليك السلام! الامر فيما نحن فيه أن تكون إذا كنتُ أنا الجالس، وأنت المارّ، تبدأ أنت فتسلّم، فأقول أنا حينئذٍ مجيباً لك : وعليكم السلام، فإن كنتُ لا آكل شيئاً سكتُّ أنا، ومضيتَ أنت، وقعدتُ أنا على حالي . وإن كنت آكل، فها هنا بيانٌ آخر : وهو أن أبدأ أنا فأقول : « هلمَّ » وتجيبُ أنت فتقول : « هنيئاً »، فيكون كلام بكلام! فأما كلام بفعال، وقولٌ بأكل، فهذا ليس من الإنصاف! وهذا يخرج علينا فضلاً كثيراً! قال : فورد على الرجل شيء لم يكن في حسابه،

---

١ الرطب : التمر قبل تمام نضجه . ٢ حاباه في البيع : ساهله، وقد تكون العبارة هنا : « إياك ان تحابيني » اي تكلفني الحياء . ٣ تجود : تخير الجيد . ٤ تخلل : ازال الخلالة، اي بقية الطعام، من بين اسنانه . ٥ طفر : وثب في ارتفاع

فشُهِر[١] بذلك في تلك الناحية، وقيل له[٢] : قد أعفيناك من السلام ومن تكلُّف الردّ . قال : ما بي الى ذلك حاجة، إنما هو أن أعفي أنا نفسي من « هلمّ[٣] » وقد استقام الامر .

١٧٩ مريم الصناع

قال أصحابُنا من المسجديّين : اجتمع ناسٌ في المسجد ممن ينتحلُ الاقتصادَ في النفقة، والتنمية المال، (من اصحاب الجمع والمنع[٣]) وقد كان هذا المذهب صار عندهم كالنسب الذي يجمع على التحاب[٤] ... فأقبل عليهم شيخٌ فقال : هل شعرتم بموت مريم الصَّناع[٥] فإنها كانت من ذوات الاقتصاد، وصاحبة إصلاح، قالوا: فحدِّثنا عنها . قال : نوادرُها كثيرةٌ، وحديثها طويل، ولكني أخبركم عن واحدةٍ فيها كفايةٌ، قالوا : وما هي ؟ قال : زوَّجت ابنتها وهي بنتُ اثنتي عشرةَ، فحلّتها الذهب والفضة، وكستها المَرْوي[٦] والوَشْي، والقز والخز، وعلّقت المعصفر[٧]، ودقت الطيب وعظّمت أمرها في عين الخَتَن[٨] ورفعت من قدرها عند الاحماء[٩]، فقال لها زوجها : أنّى هذا يا مريم ؟ قالت : هو من عند الله ! قال : دعي عنك الجملة، وهاتي التفسير، والله ما كنت ذا مال قديماً، ولا ورثته حديثاً، وما أنت بخائنة في نفسك، ولا في مال بعلك[١٠]، إلا أن تكوني قد وقعت على كنز؛ وكيف دار الامر فقد أسقطتِ عني مؤونة، وكفيتني هذه النائبة ! قالت : اعلم اني منذ يوم ولدتُها الى أن زوَّجتها، كنت أرفع من دقيق كل عجنة حَفنة[١١]، وكنا كما قد علمت نخبز في كل يوم مرة، فاذا اجتمع في ذلك مكوك[١٢] بعته . قال زوجها : ثبت الله

---

١ اي الخراساني . ٢ اي جعل اهل الناحية يقولون للخراساني . ٣ كناية عن البخلاء . ٤ التحاب، مصدر تحابّ : احب كل واحد صاحبه . ٥ الصناع : الحاذقة في الصنعة . ٦ المروي : نسبة الى بلدة في العراق على شط الفرات كانت مشهورة بصناعة الثياب . ٧ المعصفر : المصبوغ بالعصفر (وهو صبغ اصفر اللون) من الثياب . ٨ الختن : الصهر . ٩ الاحماء جمع حمو : ابو زوج المرأة وابو امرأة الرجل . ١٠ البعل : الزوج . ١١ الحفنة : ملء الكفين . ١٢ المكوك : معيار يكال به والاصل انه طاس يشرب به .

رأيك ، وأرشدك ، ولقد أسعد الله من كنت له سكناً ، وبارك لمن جعلت له إلفاً .

١٨٠ المسرجة والقنديل

قال مثنى بن بشير : دخل ابو عبد الله المروزيّ على شيخ من أهل خراسان وإذ هو قد استصبح في مِسرَجة[١] خزف من هذه الخزفية الخضر، فقال له الشيخ: لا يجيء والله منك أمرٌ صالحٌ ابداً، عاتبتك في مسارج[٢] الحجارة، فأعتبتني[٣] بالخزف! أوَ ما علمتَ أنّ الخزَف والحجارة يَحسوان[٤] الدُّهن حسواً؟ قال: جُعلت فداك! دفعتها الى صديقٍ لي دهّان فألقاها في المصفاة شهراً حتى رَويت من الدُّهن ريّاً لا تحتاج معه أبداً الى شيء! قال: ليس هذا أريد، هذا دواؤه يسير، وقد وقعتُ عليه، ولكن ما علمت أن موضعَ النارِ من المسرجة في طرف الفتيلة لا ينفكُّ من إحراقه النارُ وتجفيفه وتنشيف ما فيه، ومتى ابتلّ بالدُّهن وتسقاه، عادت النارُ عليه، فأكلته، هذا دأبهما، فلو قِست ما يشرب ذلك المكان من الدُّهن، بما يستمدُّه طرَف الفتيلة منه، لعلمتَ أنّ ذلك اكثرُه . وبعد هذا فإنّ ذلك الموضع من الفتيلة والمِسرَجة لا يزال سائلاً جارياً . ويُقال إنك متى وضعتَ مسرجةً فيها مصباحٌ، وأخرى لا مصباح فيها ، لم تلبث الا ليلة او ليلتين، حتى ترى السُّفلى ملآنةَ دهناً . واعتبر ايضاً ذلك بالملح الذي يوضع تحت المسرجة، والنخالة[٥] التي توضع هناك لتسويتها وتصويبها، كيف تجدهما ينمصران دهناً . وهذا كلّه خسران وغبن، لا يتهاون به إلا اصحاب الفساد . على أن المفسدين إنما يُطعمون الناسَ ، ويَسقون الناس، وهم على حالٍ يستخلفون شيئاً، وإن كان رَوثاً[٦] . وأنت إنما تُطعم النار وتَسقي النار . ومن أطعم النار، جعله الله يوم القيامة طعاماً للنار! قال الشيخ : فكيف أصنع، جُعلت فداك؟ قال : تتخذ قنديلاً، فإن الزُّجاج أحفظُ

---

١ المسرجة : السراج . ٢ المسارج : جمع مسرجة . ٣ اعتبه : ارضاه . ٤ حسا : شرب . ٥ النخالة : ما بقي في المنخل من القشر ونحوه . ٦ الروث : الزبل .

من غيره، والزُّجاج لا يعرف الرَّشح ولا النشف ولا يقبل الاوساخ التي لا تزول إلا بالدَّلك الشديد . او بإحراق النار . وأيُّها كان، فإنه يُعيد المسرجة الى العطش الاول، والزجاج أبقى على الماء والتراب من الذهب الإبريز، وهو مع ذلك مصنوع، والذهب مخلوق، فإن فضَّلت الذهب بالصلابة، فضَّلت الزُّجاج بالصفاء. والزجاج مُجلٍّ، والذهب ستَّار، ولان الفتيلة إنما تكون في وسطه، فلا تحمى جوانبه بوهج المصباح، كما تحمى بموضع النار من المسرجة . واذا وقع شعاع النار على جوهر الزجاج، صار المصباح والقنديل مصباحاً واحداً، وردَّ الضياء كلُّ واحد منهما على صاحبه . واعتبر ذلك بالشُّعاع الذي يسقط على وجه المرآة، او على وجه الماء، أو على الزُّجاجة، ثمَّ أنظر كيف يتضاعف نورهُ، وإن كان سقوطه على عين إنسانٍ أعشاه[1] وربما أعماه، وقال جلَّ ذكره : « اللهُ نورُ السَّمٰوَاتِ وَالأَرضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ المِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي ٱللهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ » والزيت في الزُّجاجة نورٌ على نورٍ، وضوءٌ على ضوءٍ مضاعفٍ، هذا مع فضل حُسن القنديل على حسن مسارج الحجارة والخزف .

١٨١ معاذة العنبرية

حدَّث شيخ قال : لم أرَ في وضع الامور مواضعها، وفي توفيتها غاية حقوقها كمعاذة العنبريَّة . . أهدى اليها، العام، ابن عم لها أُضحيَّة فرأيتها كئيبة حزينة، مفكرة مطرقة . فقلت لها : « ما لك يا معاذة؟ » قالت : « أنا امرأة أرملة، وليس لي قيِّم[2]، ولا عهد لي بتدبير لحم الاضاحيّ . وقد ذهب الذين كانوا يدبِّرونه ويقومون بحقه وقد خفت أن يضيع بعض هذه الشاة، ولست أعرف وضع جميع أجزائها في اماكنها . وقد علمت أن الله لم يخلق فيها ولا في غيرها شيئاً لا منفعة

---

١ اعشاه : جعله اعشى اي سيء البصر . ٢ قيم المرأة : زوجها ومن يقوم بأمرها .

فيه، ولكن المرء يعجز، لا محالة[1] . ولست أخاف من تضييع القليل، إلا أنه يجر تضييع الكثير . أما القرن فالوجه فيه معروف، وهو أن يجعل كالخُطّاف[2]، ويسمّر في جذع[3] من جذوع السقف، فيعلّق عليه الزُّبل[4] والكيران[5] وكل ما خيف عليه من الفأر والنمل والسنانير وبنات وَردان[6] والحيات، وغير ذلك . وامـا المصران فإنه لأوتار المِندفة[7]، وبنا الى ذلك أعظم الحاجة . وأما قحف الرأس[8] واللَّحيان[9] وسائر العظام فسبيله أن يُكسّر بعد ان يُعرق[10]، ثم يُطبخ؛ فما ارتفـع من الدسم كان للمصباح وللإدام[11] وللعصيدة[12]، ولغير ذلك . ثم تؤخذ تلك العظام فيوقد بها ؛ فلم ير الناس وَقوداً قط أصفى ولا أحسن لهباً منها . واذا كانت كذلك، فهي أسرع في القدر، لقلة ما يخالطها من الدخان . وأما الإهاب[13] فالجلد نفسه جراب وللصوف وجوه لا تُدفع . واما الفرْث[14] والبعر فحطب، إذا جُفِف، عجيب . »

ثم قالت : « بقي علينا الانتفاع بالدم؛ وقد علمت أن الله، عزّ وجـلّ، لم يحرّم من الدم المسفوح[15] إلا أكله وشربه؛ وأن له مواضع يجوز فيها ولا يُمنع منها . وإن أنا لم أقع على علم ذلك حتى يوضع موضع الانتفاع به، صار كيَّة في قلبي، وقذى في عيني، وهمّاً لا يزال يعاودني . »

فلم ألبث أن رأيتها قد تطلّقت[16] وتبسمت، فقلت : « ينبغي أن يكون قـد انفتح لك باب الرأي في الدم . » قالت : « أجل، ذكرت أن عندي قدوراً شامية

---

١ هذا مثل ، ومعناه : لا تضيق الحيل ومخارج الامور الا على العاجز . ٢ الخطاف : الحديدة الموجاء . ٣ الجذع : ساق النخلة والشجرة ؛ وعـلى الجذوع يبنى سقف البيت . ٤ الزبل جمع زبيل ، وهو القفة او الجراب او الوعاء . ٥ الكيران جمع كور : الرحل ، وهو ما يجعل على ظهر البعير كالسرج . ٦ بنات وردان : دويبات كريهة الريح تألف الاماكن القذرة في البيوت . ٧ المندف والمندفة : خشبة النداف التي يندف بها القطن . ٨ قحف الراس : العظم الذي فوق الدماغ . ٩ اللحى : عظم الحنك الذي عليه الاسنان ، (وهمـا لحيان) . ١٠ عرق العظم : جرده من اللحم . ١١ الادام : ما يؤكل مع الخبز فيطيبه . ١٢ العصيدة : دقيق يلت بالسمن ويطبخ . ١٣ الاهاب : الجلد . ١٤ الفرث : الزبل الذي في الكرش . ١٥ الدم المسفوح اي السائل ، محرم في القرآن . ١٦ تطلق الوجه : ضد انقبض ؛ يريد : أشرق وجهها وانبسط .

جدُداً . وقد زعموا انه ليس شيء أدبغ، ولا أزيد في قوتها من التلطيخ بالدم الحار الدسم . وقد استرحت الآن، إذ وقع كل شيء موقعه . »

قال : ثم لقيتها بعد ستة أشهر، فقلت لها : « كيف كان قديد[1] تلك الشاة ؟ » قالت : « بأبي أنت ! لم يجئ وقت القديد بعد . لنا في الشحم والألية والجنوب[2] والعظم المعروق وغير ذلك معاش ؛ ولكل شيء إبّان[3] . »

١٨٢ الريح والشمس تأخذان من سائر الاشياء

قال خاقان بن صبيح : دخلت على رجل من اهل خراسان، واذا هو قد أتانا بمسرجة فيها فتيلةٌ في غاية الدقّة، واذا هو قد القى في دُهن المسرجة شيئاً من ملح، وقد علّق على عمود المنارة عوداً بخيط، وقد حزّ فيه حتى صار فيه مكانٌ للرّباط . فكان المصباح اذا كاد ينطفئ أشخص رأس الفتيلة بذلك . قال فقلت له : ما بالُ العود مربوطاً ؟ قال هذا عودٌ قد تشرّب الدُّهن، فإن ضاع ولم يُحفظ، احتجنا الى واحد عطشان، فإذا كان هذا دأبنا ودأبه ضاع من دُهننا في الشهر بقدْر كفاية ليلة ! قال : فبينا انا اتعجّب في نفسي وأسألُ الله جلّ ذكره العافية والستر، إذ دخل شيخ من أهل مَرْو، فنظر الى العود فقال : يا أبا فلان ! فررَتَ من شيء ووقعت في شبيهٍ به ! أما تعلم أنّ الرّيح والشمس تأخذان من سائر الاشياء ؟ أوَ ليس قد كان البارحة عند إطفاء السراج أروى[4] وهو عند إسراجك الليلة أعطشَ ؟ قد كنتُ انا جاهلاً مثلك حتى وفّقني الله الى ما هو أرشد : اربط – عافاك الله – بدل العود إبرة او مِسلّةً[5] صغيرة، وعلى ان العود والخلال[6] والقصبة ربما تعلّقت بها الشعرةُ من قطن الفتيلة اذا سويناها بها، فتشخص بها، وربّما كان ذلك سبباً لانطفاء السراج، والحديد أملس، وهو مع ذلك غير

١ القديد : اللحم الذي جعل قطعاً وجفف في الشمس مملوحاً . ٢ الجنوب جمع جنب .
٣ ابان الشيء : اوانه وحينه . ٤ اروى : اكثر ريا . ٥ المسلة : الابرة الكبيرة .
٦ الخلال : الاعواد الدقيقة .

نشّاف . قال خاقان : ففي تلك الليلة عرفت فضل اهل خراسان على سائر الناس، وفضل أهل مرو على سائر اهل خراسان .

ميزة البخلاء : يعرض الجاحظ علينا قصصاً وروايات متتابعة من غير ترتيب فني يكون وحدة تأليفية . وليست غاية الجاحظ في كتابه الهجاء لمجرد الهجاء، ولكنه يرمي الى الاصلاح والاقتصاد . وبخلاؤه احياء يضطربون في جوّ واسع من الحركة والخفة والظرف .

١٨٣ الكتاب

[كان الجاحظ يحب الكتاب حباً جمّاً ، وقد قضى حياته يطالع الكتب ويؤلفها حتى اصبحت جزءاً من ذاته وأطيب لذاته . وها هوذا يخاطب من انتقد كتبه ويفصل منافع الكتب عموماً ويقول :]

ثم لم أرَكَ رضيت بالطعن على كل كتاب لي بعينه، حتى تجاوزت ذلك الى أن عِبت وضع الكتب كيفما دارت بها الحال، وكيف تُصرف بها الوجوه . وقد كنتُ أعجب من عيبك البعضَ بلا علم، حتى عِبت الكلَّ بلا علم . ثم تجاوزت ذلك الى التشنيع . ثم تجاوزت ذلك الى نصب[1] الحرب ؛ فعبت الكتاب ، ونعمَ الذخر والعُقدة[2] هو ! ونعم الجليس والعدّة ونعمَ النشرة والنزهـة، ونعم المشتغل والحرفة، ونعم الانيس لساعة الوحدة، ونعمَ المعرفـة ببلاد الغربة، ونعمَ القرين والدّخيل، ونعمَ الوزير والنزيل !

والكتاب وعاء مُلِئَ عِلماً، وظرفٌ[3] حُشِيَ ظرفاً، وإناء شُحن مُزاحاً وجِدّاً؛ إن شئت كان أبين من سحبان وائل[4] ؛ وإن شئتَ كان أعيا من باقل[5] ؛ وإن شئتَ ضحكت من نوادره ؛ وإن شئتَ عجبتَ من غرائب فرائده . وإن شئت ألهتك طرائفه، وإن شئت أشجتك مواعظه . ومن لك بواعظٍ مُلهٍ، وبزاجرٍ مُغرٍ،

١ نصب له الحرب : اقامها عليه . ٢ العقدة : ما فيه بلاغ الرجل وكفايتـه من الرزق . ٣ الظرف : الوعاء . والظرف : الكياسة والذكاء البارع . ٤ سحبان : رجل من بني باهلة يضرب به المثل في الخطابة . ٥ باقل : رجل يضرب به المثل في العي .

وبناسك فاتك، وبناطق أخرس، وببارد حارّ! وفي البارد الحار يقول الحسن ابن هاني:

قل لزهير إذا أنتحى رشدا أقلل أو أكثر فأنت مهذارُ
سخنتَ من شدّة البرودة حـــتى صرتَ عندي كأنك النارُ
لا يَعجبِ السامعون من صفتي، كذلك الثلج باردٌ حارُ

ومن لك بطبيب أعرابي! ومن لك برومي هندي، وبفارسي يوناني! وبقديم مولّد[١]، وبميّت ممتَّع! ومن لك بشيء يجمع لك الاول يكون في العِلم بمعانيها، واستعمال تصاريف ألفاظها، وتأويلات مخارجها، مثل مؤلّف الكتاب وواضعه؟ فمتى كان، رحمه الله تعالى، ابن البطريق، وابن ناعمة، وأبو قرّة (ابن قرّة)، وابن فِهر، وابن وهيلى، وابن المقفّع، مثل أرسطاطاليس؟ ومتى كان خالد مثل أفلاطون؟ ولا بدّ للترجمان من أن يكون بيانه في نفس الترجمة في وزن علمه في نفس المعرفة. وينبغي ان يكون أعلم الناس باللغة المنقولة والمنقول اليها، حتى يكون فيهما سواء وغاية. ومتى وجدناه ايضاً قد تكلّم بلسانَين علمنا أنّه قد أدخل الضّيم عليهما، لان كل واحدة من اللغتين تجذب الأُخرى وتأخذ منها وتعترض عليها؛ وكيف يكون تمكّن اللسان منهما مجتمعَين فيه كتمكّنه اذا انفرد بالواحدة، وإنما له قوّة واحدة، فإن تكلّم بلغة واحدة استفرغت تلك القوة عليهما، وكذلك إن تكلم بأكثر من لغتين على حساب ذلك تكون الترجمة لجميع اللغات. وكلّما كان الباب من العلم أعسر وأضيق، والعلماء به أقلّ، كان أشدّ على المترجم، وأجدر أن يُخطئ فيه، ولن تجد البتّة مترجماً يفي بواحد من هؤلاء العلماء. هذا قولنا في كتب الهندسة والتنجيم والحساب واللحون، فكيف لو كانت هذه الكتب كتب دين؟ ...

---

١ المولد: خلاف القديم.

١٨٤ تقسيم مخلوقات العالم

وأقول : إن العالم بما فيه من الاجسام على ثلاثة أنحاء : مُتفق، ومختلف، ومتضادّ . وكلها في جملة القول : جمادٌ، ونامٍ . وكان حقيقة القول في الاجسام من هذه القسمة ان يُقال : نامٍ، وغير نامٍ . ولو أن الحكماء وضعوا لكل ما ليس بنامٍ اسماً كما وضعوا للنامي اسماً، لاتبعنا أثرهم؛ وإنما ننتهي الى حيث انتهوا. وما أكثر ما[1] تكون دلالة قولهم : « جماد » كدلالة قولهم : « مَوَات »؛ وقد يفترقان في مواضعَ بعضَ الافتراق .

وإذا خرجت من العالم الى الافلاك، والبروج، والنجوم، والشمس، والقمر، وجدتَها غير نامية . ولم تجدهم يسمّون شيئاً منها بجماد، ولا موات . وليس لانها تتحرّك من تلقاء أنفسها، لم تُسمّ مواتاً ولا جماداً . وناسٌ يجعلونها مُدبِرة، وناسٌ غير مُدبرة . ويجعلونها مسخَّرة وغير مُسخَّرة، ويجعلونها أحياء من الحيوان، إذ كان الحيوان إنما يحيا بإحيائها له، وبما تعطيه وتُعيره . وإنما هذا منهم رأي . والأممُ، في هذا كله، على خلافهم . ونحن، في هذا الموضع، إنما نعبّر عن لغتنا؛ وليس في لغتنا إلا ما ذكرنا .

والناس يسمّون الارض جماداً، وربما يجعلونها مواتاً، إذا كانت لم تُنبت قديماً، وهي موات الارض . وذلك كقولهم : « من أحيا أرضاً مواتاً ، فهي له . » وهم لا يجعلون الماء، والنار، والهواء، جماداً ولا مواتاً، ولا يسمّونها حيواناً، ما دامت كذلك؛ وإن كانت لا تُضاف الى النماء والحسّ .

والارض هي أحد الاركان الاربعة التي هي : الماء، والارض، والهواء، والنار. والاسمان لا يتعاوران عندهم إلا الارض .

ثم النامي على قسمين : حيوان ، ونبات .

---

١ ما الاولى : تعجبية . وما الثانية : مصدرية .

والحيوان على اربعة أقسام : شيء يمشي، وشيء يطير، وشيء يسبح، وشيء ينساح[١] . إلا أن كل طائر يمشي؛ وليس الذي يمشي ولا يطير يسمّى طائراً .

والنوع الذي يمشي على اربعة اقسام : ناس، وبهائم، وسباع، وحشرات . على أن الحشرات راجعة في المعنى الى مشاكلة طباع البهائم والسباع ...

١٨٥ قوة الحية

وليس في الارض شيء جسمه مثلُ جسم الحية إلا والحيَّةُ أقوى بدَناً منه أضعافاً . ومن قوّتها أنها اذا أدخلت رأسها في جُحرها أو في صَدع[٢]، الى صدرها، لم يستطع أقوى الناس، وهو قابضٌ على ذنبها بكلتا يديه، أن يخرجها ، لشدة اعتمادها، وتعاون اجزائها . وليست بذي قوائم لها أظفار ، او مخالب لها أظلاف[٣] تنشبها في الارض تتشبَّث بها وتعتمد عليها . وربما انقطعت في يد الجاذب لها من أنها لدنة[٤]، ملساء، علِكة[٥] . فيحتاج الرفيق في أمرها، عند ذلك، أن يُرسلها من يديه بعض الإرسال، ثم يَنشطها[٦] كالمختطف والمختلس، وربما انقطع ذنبها في يد الجاذب لها .

فأما أذناب الافاعي فإنها تَنبت . ومن عجيب ما فيها، من هذا الباب أن نابها يُقطع فينبت، حتى يتم نباته في أقلّ من ثلاث ليال !

والخطّاف، في هذا الباب، خلاف الخنزير . لان الخطّاف إذا قُلعت إحدى عينيه رجعت، وعين البِرْذَون[٧] يركبها البياض فيذهب في أيام يسيرة . وناب الافعى يُحتال له بأن يُدخل في فيها حماض أُترُج[٨] ويطبق لَحْيها الاعلى على الاسفل، فلا تقتل بعضتها أياماً صالحة . والمغناطيس الجاذب للحديد اذا حُكّ عليه الثوم لم

---

١ ينساح : يمشي على بطنه . ٢ الصدع : الشق في شيء صلب . ٣ الاظلاف : جمع ظلف : الظفر لما اجترّ من الحيوان كالبقرة والظبي . ٤ لدنة : لينة . ٥ العلك : اللزج . ٦ نشطه : نزعه، شده . ٧ البرذون : التركي من الخيل وهو خلاف العراب . ٨ ثمر شجر بستاني من جنس الليمون .

يجذب الحديد . والافعى لا تدور عينها في رأسها، وهي تلد وتبيض ؛ وذلك أنها اذا طرقت بيضها تحطم في جوفها، فترمي بفراخها اولاداً، حتى كأنها من الحيوان الذي يلد حيواناً مثله .

وفي الافاعي من العجب أنها تُذبح حتى يُفرى[1] منها كل ودج[2]، فتبقى كذلك اياماً لا تموت . فأمرتُ الحاوي[3]، فقبض على خرزة عنقها فقلت له : اقبضها من الخرزة التي تليها قبضاً رفيقاً . فما فتح بينها بقدر سم[4] الابرة حتى بردت ميتة . وزعم أنه قد ذبح غيرها من الحيات فعاشت على شبهٍ بذلك ثم انه فصل تلك الخرزة على مثال ما صنع بالأفعى ، فماتت بأسرع من الطرْف .

١٨٦ عين الافعى

زعم محمد بن الجهم أن العيون التي تضيء بالليل كأنها مصابيح : عيون الاسد، والنمور، والسنانير، والافاعي . فبينا نحن عنده، إذ دخل عليه بعض مَن يجلب الافاعي من سِجستان، ويعمل الترياقات[5]، ويبيعها احياء ومعمولة، فقال له : حدّثهم بالذي حدّثتني به من عين الافعى ! قال :

نعم ! كنت في منزلي نائماً في ظلمة، وقد كنت جمعت رؤوس أفاعٍ كنّ عندي لأرمي بها . وأغفلتُ تحت السرير رأساً واحداً . ففتحت عَيني تجاه السرير الذي في الظلمة، فرأيت ضياء، إلا أنه ضئيل، ضعيف، دقيق . فقلت : « عين غول ! او بعض اولاد السعالى[6] » وذهبت نفسي في الوان من المعاني ؛ فقمت فقدَحتُ ناراً، وأخذت المصباح معي، ومضيت نحو السرير . فلم أجد تحته إلا رأس أفعى . فأطفأتُ السراج ونمت ؛ وفتحت عيني فإذا ذلك الضوء على حاله . فنهضتُ، فصنعتُ كصنيعي الاول، حتى فعلتُ ذلك مراراً . (قال) فقلت لآخر

١ فرى الشيء : قطعه . ٢ الودج : عرق الى جانب ثغرة النحر؛ وهما ودجان يميناً وشمالاً .
٣ الحاوي : الذي يربي الحيات . ٤ سم الابرة : ثقبها . ٥ الترياقات جمع ترياق : دواء يدفع السموم . ٦ السعالى جمع سعلاة وهي انثى الغول .

مرة : «لا أرى شيئاً إلا رأس أفعى، فلو نحّيته!» فنحّيته، وأطفأت السراج، ثم رجعت الى منامي. ففتحتُ عيني فلم أرَ الضوء، فعلمت أنه من عين الافعى. ثم سألتُ عن ذلك، فإذا الامر حقّ، وإذا هو مشهور في أهل هذه الصناعة.

١٨٧ حكمة الحية

حدّثنا أبو جعفر المكفوف[1] النّحوي العنبري، وأخوه رَوْحٌ الكاتب، ورجالٌ من بني العنبر : أن عندهم، في رمال بَلْعَنْبَر[2]، حيةً تصيد العصافير وصغار الطير بأعجب صيد. زعموا أنها إذا انتصف النهارُ واشتدّ الحرّ في رمال بَلعنبر، وامتنعت الارض على الحافي والمنتعِل، ورمض[3] الجندب، غمست هذه الحية ذنبها في الرمل، ثم انتصبت كأنها رمحٌ مركوزٌ او عودٌ ثابت. فيجيء الطائر الصغير او الجرادة، فإذا رأى عوداً قائماً، وكره الوقوع على الرمل لشدّة حرّه، وقع على رأس الحيّة، على أنها عودٌ، فإذا وقع على رأسها، قبضت عليه. فإن كان جرادةً أو جُعَلاً[4] او بعض ما لا يشبعها مثله، ابتلعته وبقيت على انتصابها، وإن كان الواقع على رأسها طائراً يُشبعها مثله، أكلته وانصرفت. وإنّ ذلك دأبها ما منعَ الرملُ جانبه في الصيف والقيظ، في انتصاف النهار والهاجرة[5]. وذلك أنّ الطائر لا يشكّ أن الحية عود، وأنه سيقوم له مقامَ الجِذْل[6] للجرباء، الى ان يسكن الحر ووهج الرمل.

وفي هذا الحديث من العجب أن تكون هذه الحية تهتدي لمثل هذه الحيلة، وفيه جهلُ الطائر بفرق ما بين الحيوان والعود، وفيه قلّة اكتراث الحية للرمل الذي

---

١ المكفوف : الاعمى. ٢ بلعنبر : اي بنو العنبر، فخفّف كما يخفّف بلعمّ وبلحرث وبلقين اي بنو العم وبنو الحرث وبنو القين؛ وذلك يختص بالأحرف القمرية. ٣ رمض : احترق من شدة الحرّ. ٤ الجعل : دويبة سوداء ذات جناحين سوداوين تطير بهما؛ قيل حياته في الزبل ويضر به ريح الورد اذا جعل تحته. ٥ الهاجرة : انتصاف النهار وشدة الحرّ، لان الناس يستكنون اذ ذاك في بيوتهم كأنهم قد تهاجروا. ٦ الجذل : عود ينصب للابل الجربى لتحتك به.

عاد كالجمر، وصلح ان يكون ملّة[1] وموضعاً للخبزة؛ ثم ان يشتمل ذلك الرمل على ثلث الحية ساعاتٍ من النهار، والرملُ على هذه الصفة . فهذه أعجوبة من أعاجيب ما في الحيات .

١٨٨ الحية والفزع

والثعابين احدى القواتل . ويزعمون انها ثلاثة اجناس، لا ينجع فيها رقيـة ولا حيلة : كالثعبان، والافعى، والهندية . ويقال ان ما سواها فانما تقتل مع ما يدّها من الفزع . وقد يفعل الفزع وحده . فكيف اذا قارنه سُمُّها ! ان لم يقتل، أمرَض .

ويزعمون ان رجلًا قال[2] تحت شجرة، فتدلّت عليه حيّـة منها، فعضّت رأسه . فانتبه محمرّ الوجه، فحكّ رأسه والتفت، فلم يرَ شيئاً، فوضع رأسه ينام واقام مدةً طويلة لا يرى بأساً . فقال له بعض من كان رأى تدليها عليه، ثم تقلّصها عنه، وهربها منه : « هل علمت من اي شيء كان انتباهك تحت الشجرة ؟ » قـال : لا، والله، ما علمت ! » قال : « بلى ! فان الحية الفلانية نزلت عليك حتى عضت رأسك، فلما جلستَ، تقلّصت عنـك، وتراجعت . » ففزع فزعة، وصرخ صرخة كانت فيها نفسه . وكأنهم توهّموا انه لما فزع واضطرب، وقد كان ذلـك السمّ مغموراً ممنوعاً، فزال مانعه، واوغله ذلـك الفزع حتى تفتحت منافسه الى موضع الصميم والدماغ وعمق البدن، فانحلّ موضع العقد الذي انعقدت عليـه اجزاؤه واخلاطه .

(قال) فالفزع اما ان يكون يوصل السمّ الى المقاتل، واما ان يكون معيناً له كتعاون الرجلَين على نزع وتد . وتراهم لا يجزمون على ان الحية من القواتل البتة،

١ الملة : الرماد الحار، وخبز الملة : ما يخبز في ذلك الرماد . ٢ قال يقيل : نام وقت القائلة اي نصف النهار .

إلا ان تقتل اذا عضت النائم والمغشي عليه، والطفل الغرير، والمجنون الذي لا يعقل؛ وحتى تجرّب عليه الادوية .

١٨٩ نهشة شديدة

حدثني بعض اصحابنا عن سُكّر الشطرنجي، وكان احمق القاصين، واحذقهم بلعب الشطرنج : سألته عن خَرق كان في خزامة[1] أنفه، فقلت له : «ما كان هذا الخرق؟» فذكر انه خرج الى الجبل يتكسب بالشطرنج . فقدم البلدة، وليس معه الا درهم واحد، وليس يدري أينجح أم يُخفق، وصاحبه الذي اعتمده أيجده ام لا؟ فورد على حوّاء، وبين يديه جُوَن[2] عظام فيها حيات جليلة . والحية، اذا عضت لم تكن غايتها النهش والعضّ، وأن ترضى بالنهش، ولكنها لا تعضّ إلا للاكل والابتلاع . وربما كانت الحيات عظاماً، ولا سموم لها؛ ولا تنفر بالعضّ، كحيات الجولان[3] . وفي البادية حيّة يقال لها الخناث، والخناث من الحيات التي تأكل الفار وأشباه الفار، ولها وعيد مُنكر، ونفخ، واظهار للصولة، وليس وراء ذلك سم؛ والجاهل ربما مات من الفزع منها . وربما جمعت الحية السمّ، وشدة الجرح والعضّ، والابتلاع، وحطم العظم . فوقف سكر على الحواء، وقد اخرج من جُونته اعظم حية في الارض، وادّعى نفوذ الرُّقية وجودة الترياق . فقال له سكر : «خذ مني هذا الدرهم، وارقني رُقيةً لا تضرُّني معها حية ابداً!» قال : «فاني افعل!» قال : «فأرسل قبل ذلك حيةً حتى ترقيني بعد ان تعضني . فان أفقت، علمت ان رقيتك صحيحة .» قال : «فاني افعل فاختر أيتهنّ شئت .» فاشار الى واحدة مما تعضّ للاكل دون السم . فقال : «دع هذه . فان هذه، ان قبضت على لحمك، لم تفارقك حتى تقطعك .»

---

[1] الخزامة : حلقة من شعر تجعل في وتيرة انف البعير يشد فيها الزمام، وقد اراد بها وتيرة الانف، اي ما بين المنخرين . [2] جوَن جمع جونة وهي سلة صغيرة مغشاة بالجلد .
[3] الجولان : جبل في نواحي دمشق .

فقال : « فاني لا اريد غيرها »، وظنَّ انه انما زواها عنه لفضيلة فيها . قال : « اما اذا أبيت إلا هذه، فاختر موضعاً من جسدك حتى ارسلها عليه . » فاختار انفه . فناشده، وخوَّفه . فأبى إلا ذلك أو يَرُدّ عليه درهمه . فاخذها الحوّاء، وطواها على يده كي لا يدعها تُنكر، فتقطع انفه من اصله . ثم ارسلها عليه . فلما انشبت احد نابيها في شقّ انفه، صرخ صرخة جمعت عليه اهل تلك البلدة . ثم غشي عليه . فأخذ الحواء فوُضع في السجن، وقتلوا تلك الحيّات . وتركوه حتى افاق كأنه أجنُّ الخلق . فتطوَّعوا بجمله، فحملوه مع المُكاري وردّوه الى البصرة وبقي اثر نابها في انفه الى ان مات .

١٩٠ وفاء الكلب

قال أبو عُبيدة : خرج رجلٌ الى الجبَّان[1] ينتظر رِكابه[2]، فاتَّبعه كلبٌ كان له، فضرب الكلب وطرده، وكره أن يتَّبعه، ورماه بحجرٍ . فأبى الكلب إلا أن يتبعه . فلمَّا صار الى الموضع الذي يريد فيه الانتظار، ربض الكلب قريباً . فبينما هو كذلك، إذ أتاه أعداءٌ له يطلبونه بطائلةٍ[3] لهم عنده . وكان معه جارٌ له وأخوه دِنيا[4] فأسلماه وهربا عنه . فجرح جراحات، ورمي به في بئر غير بعيدة القعر ؛ ثمَّ حُثي عليه[5] التراب، ثمَّ غُطي رأسه، ثم كُثِم[6] فوق رأسه منه[7] ؛ والكلب في ذلك يرخم[8] ويهر[9] . فلمَّا انصرفوا أتى رأس البئر ؛ فما زال يعوي، وينبش عنه،

---

١ الجبَّان : الصحراء . ٢ الركاب : الابل . ٣ الطائلة : الترة ، والظلم ، والثار .
٤ تقول : هو ابن عم او عمة ، او ابن خال او خالة ، او ابن اخ او اخت دني ودنيا ودنية : اي هو ابن عم لحا اي لاصق النسب ، وكذا ما يليه ؛ فان ضمت الدال في « دنيا » لم تصرف لان الالف قد تعينت للتأنيث على الاصل ؛ وان كسرت جاز صرفها وعدمه ، لجواز ان الالف للتأنيث او للالحاق ؛ اما اذا اضيف « العم » وما بعده الى معرفة ، كما اذا قيل : « هو ابن عمي » ، وجب النصب على الحال ، فيقال : « هو ابن عمي دنيا » ، لان « دنيا » نكرة ، فلا تكون نعتاً لمعرفة .
٥ حثا عليه التراب : قبضه ورماه عليه ، وصبه عليه . ٦ كثم : جمع . ٧ منه : أي من التراب . ٨ يرخم : يرق له . ٩ هر الكلب : صات دون نباح .

ويحثو التراب بيده، ويكشفه عن رأسه، حتى أظهر رأسه فتنفس، ورُدَّت اليه الروح، وقد كاد يموت، ولم يبق منه إلا حُشاشة[١] . فبينما هو كذلك، إذ مرَّ ناسٌ، فأنكروا مكان الكلب، ورأوه كأنه يحفر عن قبر . فنظروا، فإذا هم بالرجل على تلك الحال، فاستشالوه[٢]، فأخرجوه حياً، وحملوه، حتى أدّوه الى أهله .

١٩١ كلب يحسب لصاً

قال بِشرُ بن سعيد : كان بالبصرة شيخ من بني نهشل[٣] يقال له عُروة بن مَرثَد، نزل ببني أختٍ له في سكّة[٤] بني مازن[٥] وبنو أخته من قُريش . فخرج رجالهم الى ضياعهم، وذاك في شهر رمضان، وبقيت النساء يُصلّين في مسجدهم، فلم يبق في الدار إلا كلبٌ يَعس[٦] فرأى بيتاً، فدخل، وانصفق[٧] الباب، فسمع الحركة بعض الإماء، فظنَنَّ انَّ لصاً دخل الدار، فذهبت إحداهنَّ الى ابي الاعزِّ، وليس في الحي رجلٌ غيره، فأخبرته فقال ابو الاعز : « ما يبتغي اللصُّ منَّا ؟ » ثم أخذ عصاه، وجاء حتى وقف على باب البيت، فقال : « إيه[٨] يا ملأمان[٩] ! أما والله إنك بي لعارفٌ، وإني بك ايضاً لعارف، فهل أنت إلا من لصوص بني مازن شربتَ حامضاً خبيثاً[١٠] حتى إذا دارت الاقداح في رأسك، منَّتك نفسك الاماني[١١]، وقلت : دورَ بني عمرو[١٢]، والرجال خُلوف[١٣]، والنساء يُصلّين في مسجدهنَّ، فأسرقهن[١٤] . سوءةٌ والله ! ما يفعل هذا الاحرار ! لبئس، والله، ما منّتك نفسك ! فاخرج، وإلا دخلتُ عليك، فصرمتكَ مني العقوبة[١٥] ! لأَيمُ

---

١ الحشاش والحشاشة : بقية الروح في المريض والجريح . ٢ استشالوه : رفعوه . ٣ نهشل بن دارم : بطن من تميم . ٤ السكة : الموضع الذي فيه دور مختلفة ومنازل متعددة لقوم يسكنون فيه، وفي خلالها طريق وسبيل لهم . ٥ بنو مازن : من بني تميم . ٦ عس : طاف في الليل يحرس الناس ويكشف اهل الريبة ؛ وهنا : يطوف ليلاً . ٧ انصفق : ارتد وانغلق . ٨ ايه : كلمة زجر بمعنى حسبك . ٩ يا ملأم ويا ملأمان : يا لئيم . ١٠ الحامض الخبيث : اي الحامض من الخمر . ١١ مناه الشيء وبه : جعله يتمناه . ١٢ بنو عمرو : اي عمرو بن تميم . ١٣ الخلوف جمع خلف وهم الذين ذهبوا من الحي . ١٤ فأسرقهن : اي اسرق الدور . ١٥ اي عاقبتك عقاباً صارماً .

الله[1] لتخرَجنَّ، أو لأهتفنَّ هتفةً مشؤومةً عليك، يلتقي فيها الحيّان عمرو وحنظلة[2] ويصير أمرك الى تبابٍ[3] . ويجيء سعدٌ[4] بعدد الحصى، ويسيل عليك الرجالُ من هاهنا وهاهنا ! ولئن فعلتَ، لتكوننَّ أشأم مولودٍ في بني تميم !

فلماً رأى أنه لا يجيبه، أخذ باللِّين، وقال : اخرج يا بُنيَّ، وانت مستورٌ ؛ إني، والله، ما أُراكَ تعرفني، ولو عرفتني لقد قنعت بقولي، واطمأننت إليَّ . أنا عُروة بنُ مرثَدٍ أبو الاعزّ المرثدي، وأنا خال القوم، وجلدة ما بين أعينهم[5] لا يعصونني في أمرٍ ؛ وأنا لك بالذمّة كفيلٌ خفيرٌ[6] أصيّرك بين شحمة أذني وعاتقي[7] لا تُضار[8] . فاخرج، فأنت في ذمتي ، وإلا ، فإنَّ عندي قَوْصرَّتين[9] : إحداهما الى ابن أختي البارِّ الوَصول[10] ، فخذ إحداهما ، فانتبذها[11] حلالاً من الله تعالى ورسوله .

وكان الكلب اذا سمع الكلام أطرق[12] ، واذا سكت، وثب يُريغ[13] المخرج فتهانف الأعرابيّ، أي تضاحك، ثم قال : يا ألأم الناس وأوضعهم، ألا يأني لك[14] أنّا منذ الليلة في وادٍ، وأنت في آخر ! اذا قلت لك السوداء والبيضاء[15]، تسكت وتطرق ؛ فإذا سكتُ عنك، تُريغ المخرج ! والله لتخرجنَّ بالعفو عنك، أو لألجنَّ عليك البيت بالعقوبة !

فلما طال وقوفه، جاءت جاريةٌ من إماء الحيّ، فقالت : أعرابيٌّ مجنون ! والله ما أرى في البيت شيئاً ! ودفعتِ الباب، فخرج الكلب شداً[16]، وحاد عنه أبو

---

١ ايمن الله وايم الله : اسم الله : اسم وضـــع للقسم ، والتقدير أيمن الله قسمي ؛ وليم الله وليمن الله (لايم ولايمن) : اللام فيهما لام الابتداء، حذفت معها الف الوصل الا نادراً . ٢ حنظلة : حي من بني تميم . ٣ التباب : الخسران والهلاك . ٤ سعد : هم بنو سعد بن زيد مناة من تميم . ٥ يقـــال : هو جلدة ما بين العينين : اي هو مثلها في العزة والقرب . ٦ الخفير : المجير والحامي والحافظ . ٧ العاتق : الكتف ؛ يقال : صيره بين شحمة اذنه وعاتقه اي في عنقه ، اي في ذمته . ٨ ضاره الامر : اضر به . ٩ القوصرة : وعاء من قصب يجعل فيه التمر ونحوه . ١٠ الوصـــول : الكثير الوصل وهو البر والعطاء . ١١ انتبذها : اصنعها لك نبيذاً . ١٢ اطرق : سكت . ١٣ اراغ : لغة في اراد . ١٤ الا يأنى لك : اي اما حان لك (ان تعرف) . ١٥ اذا قلت لك السوداء والبيضاء : اذا قلت لك كلمة تسوءك او تسرك . ١٦ شداً : عدواً .

الاعز مُستلقياً، وقال : الحمد لله الذي مسخك كلباً، وكفاني منك حرباً ! ثم قال تالله، ما رأيت كالليلة . ما أُراه إلّا كلباً . أما والله، لو علمتُ بحاله لولجت عليه .

١٩٢ الذباب والبعوض

ذكر محمّدُ بن الجهم فيما خبرني عنه به بعض الثقات أنه قال لهم ذات يومٍ : هل تعرفون الحكمة التي استفدناها في الذباب ؟ قالوا : لا . قال : بلى، إنها تأكل البعوض وتصيده وتلقطه وتُفنيه ؟ وذلك أني كنتُ أُريد القائلة[1]، فأمرت بإخراج الذباب، وطرح الستر، وإغلاق الباب، قبل ذلك بساعةٍ . فإذا خرجن، حصل في البيت البعوضُ، وقوي سلطانه . فكنت أدخلُ الى القائلة، فيأكلني البعوض أكلاً شديداً . فأتيت ذات يوم المنزلَ في وقت القائلة، فإذا ذلك البيت مفتوح، والستر مرفوع ؛ وقد كان الغلمان أغفلوا ذلك في يومهم . فلما اضطجعت للقائلة لم أجد من البعوض شيئاً ؛ وقد كان غضبي اشتدَّ على الغلمان، فنمت في عافية . فلما كان من الغد، عادوا الى إغلاق الباب، وإخراج الذباب . فدخلت ألتمس القائلة، فإذا البعوضُ كثيرٌ . ثم أغفلوا إغلاق الباب يوماً آخر، فلما رأيته مفتوحاً، شتمتُهُم ؛ فلما صرت الى القائلة، لم أجد بعوضةً واحدة . فقلت في نفسي عند ذلك : أراني قد نمت في يومَيْ الإغفال والتضييع، وامتنع مني النوم في أيام التحفُّظ والاحتراس ؛ فلمَ لا أُجرِّب ترك إغلاق الباب في يومي هـذا ، فإن نمت ثلاثة ايام لا أتى من البعوض أذًى مع فتح الباب علمت أن الصواب في الجمـع بين الذبّان والبعوض ؛ فإن الذبّان هي التي تفنيه ؛ وأن صلاح أمرنا في تقريب ما كنّا نباعد . ففعلتُ ذلك، فإذا الامر قد تمّ . فصرنا اذا أردنا إخراج الذبّان، أخرجناها بأيسر حيلة ؛ وإذا أردنا إفناء البعوض، أفنيناها على أيدي الذبّان بأيسر حيلة .

١٩٣ القاضي والذباب

كان لنا بالبصرة قاضٍ يقال له عبد الله بن سَوّار، لم يرَ الناس حاكماً قط

---

[1] القائلة : النوم في نصف النهار .

زِمّيتاً[١]، ولا ركيناً[٢]، ولا وقوراً حليماً، ضبط من نفسه، وملك من حركته مثل الذي ضبط وملك . كان يصلي الغداة في منزله، وهو قريب الدار من مسجده فيأتي مجلسه فيحتبي[٣] ولا يتكئ . فلا يزال منتصباً لا يتحرك له عضو، ولا يلتفت ولا يحلّ حُبوته، ولا يحلّ رجلاً على رجل، ولا يعتمد على احد شِقّيه[٤]، حتى كأنه بناء بني او صخرة منصوبة . فلا يزال كذلك حتى يقوم الى صلاة الظهر . ثم يعود الى مجلسه، فلا يزال كذلك حتى يقوم الى العصر . ثم يرجع لمجلسه، فلا يزال كذلك حتى يقوم لصلاة المغرب . ثم ربما عاد الى محله؛ بل كثيراً ما كان يكون ذلك، اذا بقي عليه من قراءة العهود والشروط والوثائق . ثم يصلي العِشاء، وينصرف . فالحق يقال لم يقم، في طول تلك المدة والولاية، مرةً واحدةً الى الوضوء، ولا احتاج اليه، ولا شربَ ماء، ولا غيره من الشراب . كذلك كان شأنهُ في طوال الايام وفي قصارها، وفي صيفها وفي شتائها . وكان مع ذلك، لا يحرّك يده ولا يُشير برأسه، وليس إلا ان يتكلم .

فبينا هو كذلك، ذات يوم، واصحابه حواليه، وفي السِماطَيْن[٥] بين يديه، إذ سقط على أنفه ذُباب . فأطال المكث، ثم تحوّل الى مُوْق[٦] عينه . فرام الصبر في سقوطه على المُوْق وعلى عضّه ونَفاذ خُرطومه، كما رام من الصبر على سقوطه على أنفه، من غير أن يُحرّك أرنبته[٧]، او يُغضِّن وَجهَه، او يذبّ[٨] بإصبعه . فلما طال ذلك عليه من الذباب وشغَله، وأوجعه، وأحرقه، وقصد الى مكان لا يحتمل التغافل، أطبقَ جَفنه الاعلى على جفنه الاسفل؛ فلم يَنهَض . فدعاه ذلك الى أن يُوالي بين الإطباق والفتح، فتنحّى ريثما سكّن جَفنه . ثم عاد الى مُوقه بأشدّ من مرّته الاولى، فغمس خرطومه في مكان كان قد أوهاه قبل ذلك . فكان احتماله له أضعف وعَجزُه عن الصبر في الثانية أقوى، فحرّك اجفانه، وزاد في شدّة الحركة،

---

١ الزميت . الكثير الوقار . ٢ الركين : الرزين . ٣ احتبى : جمع بين ظهره وساقيه بعمامة ونحوها . ٤ الشقان : الجانبان . ٥ اي منتظمين بالقرب منه . ٦ مؤق العين : طرفها مما يلي الانف . ٧ ارنبة الانف : طرفه . ٨ ذب : دفع ورد .

وألحّ في فتح العين، وفي تتابع الفتح والإطباق . فتنحّى عنه بقدر ما سكنت حركته . ثم عاد الى موضعه، فما زال يُلحّ عليه حتى أستفرغ صبره وبلغ مجهوده، فلم يجد بدًّا من أن يذبّ عن عينيه بيده . ففعل، وعيون القوم اليه، ترمقه، وكأنهم لا يُريدونه . فتنحى عنه بقدر ما ردّ يده وسكنت حركته . ثم عاد الى موضعه . ثم ألجأه الى ان ذبّ عن وجهه بطرف كمّه . ثم ألجأه الى أن تابع بين ذلك، وعلم أنّ فعله كلّه بعين من حضره من أُمنائه وجُلسائه . فلما نظروا اليه قال : « أشهد ان الذباب ألحّ من الخنفساء، وأزهى من الغراب . وأستغفر الله! فما اكثر من أعجبته نفسه فأراد الله، عزّ وجلّ، أن يُعرّفه من ضعفه ما كان عنه مستوراً! وقد علمت أني عند نفسي من أضعف الناس، فقد غلبني وفضحني أضعف خلقه . » ثم تلا قوله تعالى : « وإن يسلبهم الذباب شيئاً لا يستنقذوه منه ضَعُفَ الطالب والمطلوب ! » وكان بيّن اللسان قليل فُضول الكلام، وكان مهيباً في اصحابه، وكان أحدَ من لم يُطعَن عليه في نفسه، ولا في تعريض اصحابه للمنالة .

١٩٤ الشك في الروايات

زعم لي ابن ابي العجوز ان الدسّاس[1] تلد، وكذلك خبرني به محمّد بن أيّوب بن جعفر عن أبيه، وخبرني به الفضل بن إسحاق بن سليمان، فإن كان خبرهما عن إسحق فقد كان إسحق في معادن العلم . وقد زعموا بهذا الإسناد أن الأرويّة[2] تضع مع كل ولد وضعته أفعى في مشيمة[3] واحدة، وقال الآخرون : الأرويّة لا تعرف بهذا المعنى، ولكنه ليس في الارض نمرة إلا وهي تضع ولدها وفي عنقه أفعى في مكان الطوق، وذكروا أنها تنهش وتعضّ ولا تقتل . ولم أكتب هذا لتقرّ به، ولكنه رواية أحببت أن تسمعها، ولا يعجبني الإقرار بهذا الخبر، وكذلك لا يُعجبني الإنكار له . ولكن ليكن قلبك الى إنكاره أميل وبعد هذا فاعرف

١ الدساس : حية خبيثة . ٢ الاروية : انثى الوعول . ٣ المشيمة : محل الولد، تخرج معه عند الولادة .

مواضع الشك وحالاتها الموجبة له لتعرف بها مواضع اليقين والحالات الموجبة له، وتعلم الشك في المشكوك فيه تعلماً . فلو لم يكن في ذلك إلا تعرُّف التوقف ثم التثبُّت، لقد كان ذلك مما يُحتاج اليه . ثم اعلم ان الشك في طبقات عند جميعهم، ولم يُجمعوا على ان اليقين طبقات في القوّة والضعف . ولمّا قال ابو الجهم للمكيّ : انا لا اكاد أشك ؛ قال المكيّ : وأنا لا اكاد أوقن . ففخر عليه المكيّ بالشك في مواضع الشك، كما فخر عليه ابن الجهم باليقين في مواضع اليقين .

١٩٥ الجرذ والعقرب

يزعمون أنهم لم يروا قتالاً قطّ بين بهيمتين ولا سَبُعَين[1] أشدّ من قتال يكون بين جُرَذَين . فإذا رُبط أحدهما بطرف خيط وشد رجل الآخر بالطرف الآخر فلهما عند ذلك من الجلَب[2] والخمش والعضّ والتنييب[3] والعِفاس[4] ما لا يوجد بين شيئين من ذوات العِقار[5] والهراش[6] . إلا أنّ ذلك ما داما في الرِّباط ؛ فإذا انحلّا وانقطع ولّى كلٌّ واحد منهما عن صاحبه وهرب في الارض واخذ خلاف جهة الآخر .

وان جُعلا في إناء من قوارير، أعني الجُرذ والعقرب – وإنما ذكرت القوارير لانها لا تستر عن أعين الناس صنعهما، ولا يستطيعان الخروج لملاسة الحيطان – فالفأرة عند ذلك تَختِل[7] العقرب . فإن قبضت على إبرتها قرصتها، وإن ضربتها العقرب ضرباً كثيراً فاستنفدت سمّها كان ذلك من اسباب حتفها .

ميزة كتاب الحيوان : كتاب الحيوان خزانة معلومات شتى، وقد امتزج فيه العلم بالادب : فالجاحظ عالم وان غلبت عليه الصبغة الادبية، يتناول الموضوعات العلمية ويعالجها متبعاً اصول العلم في التحقيق والتحرّي من اعتماد على العقل والحواس، ومن تجربة وفرض ومقابلة وتصنيف . وهو في كل ذلك يعدل عن اساليب المجاز ويعتمد الواقع مراعياً ابداً مقتضى الحال، هازلاً، يطلق عبارته في تقطيع موسيقي حافل بالحياة والروعة، وفي سهولة ودقة هما غاية ما يبلغه اسلوب كتابي .

---

١ السبع : المفترس من الحيوان مطلقاً . ٢ الجلب : اختلاط الاصوات . ٣ التنييب . العض بالانياب . ٤ العفاس : الضرب بالرجلين . ٥ العقار : المنافرة . ٦ الهراش : الخصام . ٧ ختله : خدعه واخذه بالحيلة .

الباب الثالث

أدب الاستقرار والتدرّج نحو التعقيد والجمود

في الشعر

ابو الطيّب المتنبي[1] (٩١٥ _ ٩٦٥ م/٣٠٣ _ ٣٥٤ هـ)

[كان ابو الطيب المتنبي مجنون العظمة في حياته ، فسعى وراءها منذ صباه ، تارة بالثورة ، وطوراً باستغلال النزعات الدينية في الشعب ؛ تارة بالشعر وطوراً بالفروسية ، الى ان صرعته العظمة فكان شهيد طغيانها وفريسة أطماعها . وقد تقلّب في الحياة من حال الى حال ، وضرب في الآفاق من بلد الى بلد ، وقصد العظماء واحداً فواحداً وهو متعطّش الى السلطان ، يبوّق له في شعره ، وما رجع الا عن خيبة مرّة وجروح في النفس والجسد دامية . وقد كان شعره السجلّ الذي يمثّل نفسه اروع تمثيل ويصوّر نزعاته اصدق تصوير ، بل كان المرآة التي تتراءى فيها البطولة وفلسفة الطموح والقوة كما تتراءى فيها الاخلاق لذلك العهد وما هنالك من اضطراب واصطدام .]

شعر الصبا والفتوّة :

١٩٦ كم قتيل

كَمْ قَتيلٍ كمَا قُتِلْتُ شَهيدِ لِبَياضِ ٱلطُّلَى وَوَرْدِ ٱلخُدُودِ[2]

١ نعتمد في مختارات المتنبي وشرحها « العرف الطيب » للشيخين ناصيف وابراهيم اليازجي .
٢ شهيد : نعت قتيل . والطلى جمع طلية وهي العنق .

وَعُيُونِ ٱلْمَهَى وَلَا كَعُيُونٍ فَتَكَتْ بِٱلْمُتَيَّمِ ٱلْمَعْمُودِ ١
دَرَّ دَرُّ ٱلصِّبَاءِ أَيَّامَ تَجْرِيـرِ ذُيُولِي بِدَارِ أَثْلَةَ عُودِي ٢
عَمْرَكَ ٱللهَ هَلْ رَأَيْتَ بُدُورًا طَلَعَتْ فِي بَرَاقِعٍ وَعُقُودِ ٣
رَامِيَاتٍ بِأَسْهُمٍ رِيشُهَا ٱلْهُـدْبُ تَشُقُّ ٱلْقُلُوبَ قَبْلَ ٱلْجُلُودِ ٤
يَتَرَشَّفْنَ مِنْ فَمِي رَشَفَاتٍ هُنَّ فِيهِ حَلَاوَةُ ٱلتَّوْحِيدِ ٥
كُلُّ خُمْصَانَةٍ أَرَقُّ مِنَ ٱلْخَمْـرِ بِقَلْبٍ أَقْسَى مِنَ ٱلْجُلْمُودِ ٦
ذَاتِ فَرْعٍ كَأَنَّمَا ضُرِبَ ٱلْعَنْبَرُ فِيهِ بِمَاءِ وَرْدٍ وَعُودِ ٧
حَالِكٍ كَٱلْغُدَافِ جَثْلٍ دَجُوجِيٍّ أَثِيثٍ جَعْدٍ بِلَا تَجْعِيدِ ٨
تَحْمِلُ ٱلْمِسْكَ عَنْ غَدَائِرِهَا ٱلرِّيـحُ وَتَفْتَرُّ عَنْ شَنِيبٍ بَرُودِ ٩
جَمَعَتْ بَيْنَ جِسْمِ أَحْمَدَ وَٱلسُّقْـمِ وَبَيْنَ ٱلْجُفُونِ وَٱلتَّسْهِيدِ ١٠

---

١ المهى : بقر الوحش تشبه عيون النساء بعيونها . والمتيم : الذي استعبده الحب . والمعمود : الذي اضناه الحب واوجعه يعني بذلك نفسه . يقول : كم قتيل قتل بعيون احبته التي هي كعيون المهى وليست تلك العيون التي قتلتـه كالعيون التي قتلتني فانها لا تشبه بغيرها . ٢ يقال در دره : اي كثر خيره لان الخير في ذلك عند العرب . وايام : منادى . وتجرير الذيول : كناية عن اللهـو والسرور . ودار اثلة : موضع بظهر الكوفة . ينادي هذه الايام ويتمنى ان تعود له . ٣ العمر : اسم بمعنى التعمير وهو اطالة العمر . وهو واسم الجـلالة منصوبان بمضمر : اي اسال الله تعميرك . ٤ راميات : نعت بدورا في البيت السابق . ويريد بالاسهم العيون . والهدب الشعر الذي على اشفار الاجفان شبهه بريش السهم . اي ان هـذه الاسهم تنفذ الى القلوب فتشقها من غير ان تشق الجلود بخلاف الاسهم المعهودة . ٥ الترشف : الامتصاص . والتوحيد : قيل نوع من التمر بالعراق وقيل المراد به توحيد الله . وفي الكلام تشبيه مضمر اي كحلاوة التوحيد ويروى احلى من التوحيد . ٦ الخمصانة : الضامرة البطن . والجلمود : الصخر . ٧ الفرع شعر الرأس . وضرب : مزج . وعود : في آخر البيت من صلة فعل محذوف اي ودخن بعود لان ماء العود لا طيب له فحذف الفعل الثاني على حد قوله علفتها تبنا وماء باردا . ٨ الحالك : الشديد السواد . والغداف : الغراب . والجثـل : الكثير الملتف . والدجوجيّ : المظلم . والاثيث : الكثيف . ٩ الغدائر جمع الغديرة وهي الذؤابة . وتفتر : اي تبتسم . والشنيب : المنتظم المنابت العذب وهو خلف عن موصوف اي عن ثغر شنيب . والبرود : البارد . ١٠ يريد باحمد : نفسه . والتسهيد : السهر .

هٰذِهِ مُهْجَتِي لَدَيْكِ لِحَيْنِي ... فَٱنْقُصِي مِنْ عَذَابِهَا أَوْ فَزِيدِي ١
أَهْلُ مَا بِي مِنَ ٱلضَّنَى بَطَلٌ صِيـ ... ـدَ بِتَصْفِيفِ طُرَّةٍ وَبِجِيدِ ٢
كُلُّ شَيْءٍ مِنَ ٱلدِّمَاءِ حَرَامٌ ... شُرْبُهُ مَا خَلَا ٱبْنَةَ ٱلْعُنْقُودِ ٣
فَٱسْقِنِيهَا فِدًى لِعَيْنَيْكِ نَفْسِي ... مِنْ غَزَالٍ وَطَارِفِي وَتَلِيدِي ٤
شَيْبُ رَأْسِي وَذِلَّتِي وَنُحُولِي ... وَدُمُوعِي عَلَى هَوَاكِ شُهُودِي
أَيَّ يَوْمٍ سَرَرْتِنِي بِوِصَالٍ ... لَمْ تَرُعْنِي ثَلَاثَةً بِصُدُودِ ٥
مَا مُقَامِي بِأَرْضِ نَخْلَةَ إِلَّا ... كَمُقَامِ ٱلْمَسِيحِ بَيْنَ ٱلْيَهُودِ ٦
مَفْرَشِي صَهْوَةُ ٱلْحِصَانِ وَلٰكِـ ... ـنَّ قَمِيصِي مَسْرُودَةٌ مِنْ حَدِيدِ ٧
لَأْمَةٌ فَاضَةٌ أَضَاةٌ دِلَاصٌ ... أَحْكَمَتْ نَسْجَهَا يَدَا دَاوُدِ ٨
أَيْنَ فَضْلِي إِذَا قَنِعْتُ مِنَ ٱلدَّهْـ ... ـرِ بِعَيْشٍ مُعَجَّلِ ٱلتَّنْكِيدِ
ضَاقَ صَدْرِي وَطَالَ فِي طَلَبِ ٱلرِّزْ ... قِ قِيَامِي وَقَلَّ عَنْهُ قُعُودِي
أَبَدًا أَقْطَعُ ٱلْبِلَادَ وَنَجْمِي ... فِي نُحُوسٍ وَهِمَّتِي فِي سُعُودِ ٩

---

١ حيني : هلاكي . اي هذه مهجتي : مسلمة اليك لاجل هلاكي . ٢ اهل ما بي : مبتدأ خبره بطل . والضنى : المرض الطويل . والجيد : العنق . اي يستحق ما بي من الضنى بطل ساق نفسه الى هذه الفتنة كانه يتشفى من نفسه ويلومها على العشق . ٣ اي الخمر : ويروى دم العنقود . ٤ الطارف : المال المستحدث . والتليد : المال القديم . وهما معطوفان على قوله نفسي . ٥ اي : استفهامية . وقوله لم ترعني : حال من التاء في سررتني . يقال : راعه وروّعه اي افزعه . يقول انك لم تسرني يوما بالوصال الا رعتني ثلاثة ايام بالصدود . ٦ مقامي : مصدر ميمي بمعنى اقامتي . وارض نخلة : قرية لبني كلب عند بعلبك . يريد ان اهل هذه القرية اعداء له كما كانت اليهود اعداء المسيح . ٧ المفرش : موضع الفراش . والصهوة : مقعد الفارس من الفرس . والمسرودة : المنسوجة وهي خلف من موصوف اي درع مسرودة . يقول ان فراشه سرج الحصان وثيابه الدرع اي انه لا يزال متأهباً حذراً . والظاهر ان الاستدراك هنا من باب المدح في معرض الذم كما في نحو : انا افصح العرب بيد اني من قريش . ٨ اللأمة : الدرع وهي بدل من قوله مسرودة . والفاضة : الواسعة . والاضاة : الغدير من الماء وصفها بها ذهاباً الى ما فيها من صفة البريق والصفاء . والدلاص : اللينة الملساء . والمراد بداود : داود النبي . يقال انه اول من عمل الدروع . ٩ يريد انه عالي الهمة : دائب السعي وان قل حظه من الرزق .

وَلَعَلّي مُؤَمِّلٌ بَعْضَ مَا أَبْــلُغُ بِٱللُّطْفِ مِنْ عَزِيزٍ حَمِيدِ [١]
لِسَرِيٍّ لِبَاسُهُ خَشِنُ ٱلْقُطْــنِ وَمَرْوِيُّ مَرْوَ لِبْسُ ٱلْقُرُودِ [٢]
عِشْ عَزِيزًا أَوْ مُتْ وَأَنْتَ كَرِيمٌ بَيْنَ طَعْنِ ٱلْقَنَا وَخَفْقِ ٱلْبُنُودِ [٣]
فَرُؤُوسُ ٱلرِّمَاحِ أَذْهَبُ لِلْغَيْــظِ وَأَشْفَى لِغِلِّ صَدْرِ ٱلْحَقُودِ [٤]
لَا كَمَا قَدْ حَيِيتَ غَيْرَ حَمِيدٍ وَإِذَا مُتَّ مُتَّ غَيْرَ فَقِيدِ [٥]
فَٱطْلُبِ ٱلْعِزَّ فِي لَظًى وَدَعِ ٱلذُّلَّ وَلَوْ كَانَ فِي جِنَانِ ٱلْخُلُودِ [٦]
يُقْتَلُ ٱلْعَاجِزُ ٱلْجَبَانُ وَقَدْ يَعْــجِزُ عَنْ قَطْعِ بُخْنُقِ ٱلْمَوْلُودِ [٧]
وَيُوَقَّى ٱلْفَتَى ٱلْمِخَشُّ وَقَدْ خَــوَّضَ فِي مَاءِ لَبَّةِ ٱلصِّنْدِيدِ [٨]
لَا بِقَوْمِي شَرُفْتُ بَلْ شَرُفُوا بِي وَبِنَفْسِي فَخَرْتُ لَا بِجُدُودِي
وَبِهِمْ فَخْرُ كُلِّ مَنْ نَطَقَ ٱلضَّــادَ وَعَوْذُ ٱلْجَانِي وَغَوْثُ ٱلطَّرِيدِ [٩]
إِنْ أَكُنْ مُعْجَبًا فَعُجْبُ عَجِيبٍ لَمْ يَجِدْ فَوْقَ نَفْسِهِ مِنْ مَزِيدِ [١٠]

---

١ اي لعل الله يبلغني فوق ما ارجو فيكون ما ارجوه الان بعض ما سابلغه . وقيل الكلام على القلب اي لعلي ابلغ بلطف الله بعض ما ارجوه . ٢ السري : الشريف يعني به نفسه . والمروي : ثياب رقاق تنسج بمرو وهي بلد بفارس: اي ابلغ ما ذكر بلطف الله لهذا السريّ الذي لباسه القطن الخشن والعرب تتمدح بخشونة الملبس وتعيب النعمة والترف . ويروى بسري اي ابلغه باقدام هــذا السري وهمته . ٣ البنود : الاعلام الكبيرة . ٤ الغل : الحقد . ٥ اي لا تعيش كما عشت الى الآن في حال الذل لا تقدر على الصنيعة حتى تحمدك الناس واذا مت يجدون مثلك كثيراً فلا يفتقدونك ولا يبالون بموتك . ٦ لظى : جهنم . ٧ البخنق : خرقة يقنع بها الراس وتشد تحت الحنك . يعني ليس الجبن والعجز من اسباب البقاء فلا تعجز ولا تجبن . ٨ المخشّ : الجريء على الليل . وخوض : بالغ في الخوض . واللبة اعلى الصدر . والمراد بمائها دمها . والصنديد : السيد الشجاع . والبيت تتمة لمعنى البيت السابق اي وكذلك الشجاع الهجوم على موارد الهلكة يسلم منها وهو قد خاض في الحروب حتى غاص في دماء القتلى . ٩ المراد بمن نطق الضاد العرب لان هذا الحرف لا يوجد في غير العربية . والعوذ : الالتجاء . والغوث : النصرة . والطريد : المطرود . والبيت احتراس اورده دفعاً لما يتوهم في البيت السابق من كون جدوده ليسوا اهلاً لان يفتخر بهم . ١٠ المعجب : الذي يفتخر بنفسه . اي ان كنت معجباً بنفسي فهذا العجب صادر من رجل عجيب لا يجد لاحــد مزية عليه في الشرف فلا سبيل لانكار افتخاري .

أَنَا تِرْبُ ٱلنَّدَى وَرَبُّ ٱلْقَوَافِي   وَسِمَامُ ٱلْعِدَى وَغَيْظُ ٱلْحَسُودِ [1]
أَنَا فِي أُمَّةٍ تَدَارَكَهَا ٱللهُ   غَرِيبٌ كَصَالِحٍ فِي ثَمُودِ [2]

١٩٧ ضيف الم

ضَيْفٌ أَلَمَّ بِرَأْسِي غَيْرَ مُحْتَشِمٍ   أَلسَّيْفُ أَحْسَنُ فِعْلًا مِنْهُ بِٱللِّمَمِ [3]
إِبْعَدْ بَعِدْتَ بَيَاضًا لَا بَيَاضَ لَهُ   لَأَنْتَ أَسْوَدُ فِي عَيْنِي مِنَ ٱلظُّلَمِ [4]
بِحُبِّ قَاتِلَتِي وَٱلشَّيْبِ تَغْذِيَتِي   هَوَايَ طِفْلًا وَشَيْبِي بَالِغَ ٱلْحُلُمِ [5]
فَمَا أَمُرُّ بِرَسْمٍ لَا أُسَائِلُهُ   وَلَا بِذَاتِ خِمَارٍ لَا تُرِيقُ دَمِي [6]
تَنَفَّسَتْ عَنْ وَفَاءٍ غَيْرِ مُنْصَدِعٍ   يَوْمَ ٱلرَّحِيلِ وَشَعْبٍ غَيْرِ مُلْتَئِمِ [7]
قَبَّلْتُهَا وَدُمُوعِي مَزْجُ أَدْمُعِهَا   وَقَبَّلَتْنِي عَلَى خَوْفٍ فَمًا لِفَمِ
قَدْ ذُقْتُ مَاءَ حَيَاةٍ مِنْ مُقَبَّلِهَا   لَوْ صَابَ تُرْبًا لَأَحْيَا سَالِفَ ٱلْأُمَمِ [8]
تَرْنُو إِلَيَّ بِعَيْنِ ٱلظَّبْيِ مُجْهِشَةً   وَتَمْسَحُ ٱلطَّلَّ فَوْقَ ٱلْوَرْدِ بِٱلْعَنَمِ [9]

---

١ ترب الانسان : من ولد معه . والندى : الجود . والسمام جمع سم . ٢ قوله تداركها الله : جملة دعائية معترضة . قال ابن جنيّ انه بهذا البيت لقب بالمتنبي . ٣ اراد بالضيف : الشيب. والم بمعنى نزل . والمحتشم : المنقبض حياء . واللمم جمع لمة وهي الشعر يجاوز شحمة الاذن . ٤ ابعد : امر من بعد بكسر العين بمعنى هلك . ومثله بعدت وهو دعـــاء . وبياضاً تميز . واسود تفضيل من السواد وهو شاذ لورود الوصف منه على افعل غير انهم اجازوا ذلك في السواد والبياض دون غيرها من سائر الالوان . ٥ بحب قاتلتي خبر مقدم وتغذيتي مبتدأ وهواي بدل من حب . وشيبي بدل من الشيب . وطفلًا وبالغ الحلم حالان . والتقدير ان تغذيتي حاصلة بهواي وانا طفل وبشيبي وانا بالغ الحلم . يعني انه هوي وهو طفل وشاب وهو في سن الاحتلام . ٦ يريد بالرسم رسم الدار . اي كل رسم يذكرني رسم دارها فأسأله تسلياً وكذلك كل ذات خمـــار . ٧ المنصدع : المنشق اي غير متثلم . والشعب مصدر بمعنى الفرقة . وملتئم : مجتمع . ٨ المقبـــل : الفم . وصاب بمعنى اصاب ويجوز ان يكون من صوب المطر وهو نزوله . ٩ رنا اليه : نظر . والظبي : الغزال . والمجهش : المتهيء للبكاء . والطل : المطر الضعيف اراد به دموعها . واراد بالورد خدها . والعنم : شجرة احمر الثمر اراد به اطراف اناملها المخضبة .

رُوَيْدَ حُكْمَكِ فِينَا غَيْرَ مُنْصِفَةٍ ... بِٱلنَّاسِ كُلِّهِمِ أَفْدِيكِ مِنْ حَكَمِ ١
أَبْدَيْتِ مِثْلَ ٱلَّذِي أَبْدَيْتُ مِنْ جَزَعٍ ... وَلَمْ تُجِنِّي ٱلَّذِي أَجْنَنْتُ مِنْ أَلَمِ ٢
إِذًا لَبَزَّكِ ثَوْبَ ٱلْحُسْنِ أَصْغَرُهُ ... وَصِرْتِ مِثْلِي فِي ثَوْبَيْنِ مِنْ سَقَمِ ٣
لَيْسَ ٱلتَّعَلُّلُ بِٱلْآمَالِ مِنْ أَرَبِي ... وَلَا ٱلْقَنَاعَةُ بِٱلْإِقْلَالِ مِنْ شِيَمِي ٤
وَلَا أَظُنُّ بَنَاتِ ٱلدَّهْرِ تَتْرُكُنِي ... حَتَّى تَسُدَّ عَلَيْهَا طُرْقَهَا هِمَمِي ٥
لُمِ ٱللَّيَالِي ٱلَّتِي أَخْنَتْ عَلَى جِدَتِي ... بِرِقَّةِ ٱلْحَالِ وَٱعْذِرْنِي وَلَا تَلُمِ ٦
أَرَى أُنَاسًا وَمَحْصُولِي عَلَى غَنَمٍ ... وَذِكْرَ جُودٍ وَمَحْصُولِي عَلَى ٱلْكَلِمِ ٧
وَرَبَّ مَالٍ فَقِيرًا مِنْ مُرُوءَتِهِ ... لَمْ يُثْرِ مِنْهَا كَمَا أَثْرَى مِنَ ٱلْعَدَمِ ٨
سَيَصْحَبُ ٱلنَّصْلُ مِنِّي مِثْلَ مَضْرِبِهِ ... وَيَنْجَلِي خَبَرِي عَنْ صِمَّةِ ٱلصِّمَمِ ٩
لَقَدْ تَصَبَّرْتُ حَتَّى لَاتَ مُصْطَبَرٍ ... فَٱلْآنَ أُقْحِمُ حَتَّى لَاتَ مُقْتَحَمِ ١٠

---

١ يجوز في رويد ان يكون مصدراً نائباً عن فعله منصوباً به فيكون حكمك مضافاً اليه او اسم فعل مبنياً فيكون حكمك مفعولاً به . وغير منصفة حال من الكاف في حكمك . وبالناس صلة افديك . وحكم في محل نصب على التمييز والجار زائد . ٢ ابديت اي اظهرت . والجزع نقيض الصبر . واجن الشيء : اخفـاه . ٣ لبزك اي لسلبك . وثوب الحسن مفعول ثان لبزّ . واصغره فاعل بزّ . والضمير المضاف اليه للالم المذكور في البيت السابق واللام في لبزك داخلة في جواب شرط مضمر دلت عليه اذا اي لو اجننت ما اجننته من الالم لبزك . ٤ الاقلال : الفقر وقلة ذات اليد . ٥ بنات الدهر كناية عن حوادثه اي ان النوائب لا تتركه حتى يدفعها عن نفسه بان يتقوى بالمال والانصار فيسد عليها طريقها . ٦ اخنى عليه : اهلكه . والجدة : الغنى . ورقـة الحال كناية عن الفقر . ٧ المحصول مصدر بمعنى الحصول . وقوله وذكر جود مفعول افعل محذوف دل عليه المقام اي واسمع ذكر جود . يقول : ارى صور اناس ولكنهم كالغنم لا عقل لهم ولا جرأة واسمع ذكر الجود ولكن لا احصل منه الا على المواعيد . ٨ رب مال : معطوف على مفعول ارى في البيت السابق . ومن مروءته متعلق بفقيراً . والاثراء : الغنى . اي وارى صاحب مال ليس له مروءة ولم يستغن منها كما استغنى من المال بعد فقره . ٩ مضرب السيف : حده . وينجلي : ينكشف . والصمة : الشجاع . يقول سيصحب السيف مني رجلاً مثل حده في المضاء . ويتبين الناس اني اشجع الشجعان . ١٠ لات بمعنى ليس والاصل فيهـا لا فزيدت عليها التاء كما في ربت وثمت . قال ابن جني من العرب من يجرّ بها وانشد :

طلبوا صلحنا ولات اوان ... فاجبنا ان ليس حين بقاء

لَأَتْرُكَنَّ وُجُوهَ ٱلْخَيْلِ سَاهِمَةً وَٱلْحَرْبُ أَقْوَمُ مِنْ سَاقٍ عَلَى قَدَمِ ١
وَٱلطَّعْنُ يُحْرِقُهَا ، وَٱلزَّجْرُ يُقْلِقُهَا حَتَّى كَأَنَّ بِهَا ضَرْبًا مِنَ ٱللَّمَمِ ٢
قَدْ كَلَّمَتْهَا ٱلْعَوَالِي فَهْيَ كَالِحَةٌ كَأَنَّمَا ٱلصَّابُ مَذْرُورٌ عَلَى ٱللُّجُمِ ٣
بِكُلِّ مُنْصَلِتٍ مَا زَالَ مُنْتَظِرِي حَتَّى أَدَلْتُ لَهُ مِنْ دَوْلَةِ ٱلْخَدَمِ ٤
شَيْخٍ يَرَى ٱلصَّلَوَاتِ ٱلْخَمْسَ نَافِلَةً وَيَسْتَحِلُّ دَمَ ٱلْحُجَّاجِ فِي ٱلْحَرَمِ ٥
وَكُلَّمَا نُطِحَتْ تَحْتَ ٱلْعَجَاجِ بِهِ أُسْدُ ٱلْكَتَائِبِ رَامَتْهُ وَلَمْ يَرِمِ ٦
تُنْسِي ٱلْبِلَادَ بُرُوقَ ٱلْجَوِّ بَارِقَتِي وَتَكْتَفِي بِٱلدَّمِ ٱلْجَارِي عَنِ ٱلدِّيَمِ ٧
رِدِي حِيَاضَ ٱلرَّدَى يَا نَفْسُ وَٱتْرُكِي حِيَاضَ خَوْفِ ٱلرَّدَى لِلشَّاءِ وَٱلنَّعَمِ ٨

---

١ ساهمة : متغيرة ضامرة . والواو من قوله والحرب للابتداء والجملة بعدها حال . يقول لاتركن الخيل ساهمة الوجوه من شدة ما ينالها من الاهوال حين اترك الحرب قائمة كقيام الساق على القدم . ٢ الضمير في يحرقها للخيل . ويروى يخرقها بالخاء المعجمة . والجملة عطف على الحال السابقة . والزجر : الصياح . والضرب من الشيء الصنف منه . واللمم : الجنون . ٣ كلمتها اي جرحتها . والعوالي : صدور الرماح يعني بها الاسنة . والجملة حال اخرى . وكلح : تكشر في عبوس . والصاب : نبات مر . ومذرور : مرشوش . ٤ الباء من قوله بكل منصلت للاستعانة وهي متعلقة بقوله لاتركن . والمنصلت : الماضي في الامور . وادلت له : نصرته وجعلت له الدولة . كذا يروى الا ان فيه نظراً من حيث اللغة لانه لا يقال ادلت له من فلان وانما يقال ادلته منه فلعل الرواية الصحيحة حتى ادلت به بصيغة المجهول وبالباء مكان اللام . والمعنى لافعلن ما ذكرته مستعيناً بكل ماضي العزيمة طالما انتظر خروجي على السلطان حتى اخذت به الدولة من الخدم الذين لا يستحقون الامارة يعني بهم قوماً كانوا قد تملكوا بالعراق . والظاهر ان هذا الكلام من قبيل التفاؤل . ٥ يجوز في شيخ الجر على التبعية لمنصلت والرفع على الاستئناف اي هو شيخ . والنافلة خلاف الفرض وهي ما يحسن فعله ولا يحرم تركه . قال ابن القطاع كل من فسر الديوان قال الشيخ هنا واحد الشيوخ من الناس يقول انتصر على اعدائي بكل شيخ ماضٍ في اموره لا يبالي بالعواقب مستحل للمحارم سافك الدماء . قال وهذا بالهجاء اشبه وانما المعنى ان الشيخ هنا السيف سمي به لقدمه لانهم يمدحون السيوف بالقدم او لبياضه تشبيهاً بالشيب . ٦ العجاج : الغبار . والكتائب : الجيوش . وقوله رامته يريد رامت عنه اي زالت عنه ولم يزل . ٧ البارقة بمعنى البرق يريد بها لمع سيوفه . والديم جمع الديمة وهي مطر يدوم اياماً . ٨ ردي امر من الورود . والردى : الهلاك . والشاء : الغنم . والنعم : الابل . يحرض نفسه على اقتحام الهلكة وعدم المبالاة بمخاوف الموت فانها من شأن البهائم التي لا تستطيع دفاعاً عن انفسها .

إنْ لَمْ أُذْرِكِ عَلَى ٱلْأَرْمَاحِ سَائِلَةً فَلَا دُعِيتُ ٱبْنَ أُمِّ ٱلْمَجْدِ وَٱلْكَرَمِ ١
أَيَمْلِكُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْأَسْيَافُ ظَامِئَةٌ وَٱلطَّيْرُ جَائِعَةٌ لَحْمٌ عَلَى وَضَمِ ٢
مَنْ لَوْ رَآنِي مَاءً مَاتَ مِنْ ظَمَاٍ وَلَوْ عَرَضْتُ لَهُ فِي ٱلنَّوْمِ لَمْ يَنَمِ ٣
مِيعَادُ كُلِّ رَقِيقِ ٱلشَّفْرَتَيْنِ غَدًا وَمَنْ عَصَى مِنْ مُلُوكِ ٱلْعُرْبِ وَٱلْعَجَمِ ٤
فَإِنْ أَجَابُوا فَمَا قَصْدِي بِهَا لَهُمُ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَمَا أَرْضَى لَهَا بِهِمِ ٥

ميزة شعره : هذا برق القتال يدوّي ، وهذه هي الثورة تنطلق صاخبة، وهذه هي القرمطيّة تدعو الى جمع الصفوف . وان القارئ يشعر ان المتنبي في قصائد صباه لم تكتمل شخصيّته الشعريّة، فهو متأثر بأساليب الغير من أعراب نزع نزعتهم وتعمّد ما ألفته اذواقهم من الفاظ ضخمة وتعابير مقتضبة لاتخلو من غرابة وغموض ؛ ومن متصنّعين يتوفّرون على الصناعة اللفظيّة والمعنويّة كأبي تمّام وغيره؛ ومن متصوّفين يعمدون الى تعبيرات روحانية خاصّة، ومن متفلسفين اخذ عنهم بعض القوالب الفلسفية . والقوة هي اظهر ما في شعر المتنبي سواء كان في المبنى ام في المعنى . فهو شاعر القوّة تنطلق شديدة مؤثّرة .

١٩٨ لمن ادّخرت الصارم المصقولا ؟

[وخرج بدر بن عمّار الى اسد فهرب الاسد منه وكان قد خرج قبله الى اسد آخر فهاجه عن بقرة افترسها بعد ان شبع وثقل فوثب الى كفل فرسه

١ اذرك اي اترك . والخطاب لنفسه . ٢ الاستفهام للانكار . وظامئة : عطشى . والجملة حال . ولحم فاعل علك . والوضم : خشبة يقطع الجزار عليها اللحم . يريدون باللحم على الوضم الضعيف الذي لا يقدر ان يمنع نفسه . يقول هل يسلم بالملك لمن كانت هذه صفته من غير حرب ولا جهاد .
٣ من بدل من لحم . والظمأ : العطش . وعرض له : ظهر . ويروى : مثلت اي انتصبت .
٤ ميعاد مبتدأ خبره غدا . ورقيق الشفرتين نعت لمحذوف اي سيف رقيق الشفرتين وهما جانبا النصل او حداه . ومن عصى عطف على كل . يتوعد من عصاه من الملوك بقرب ايقاد نار الحروب .
٥ الضمير في بها للسيوف وفي لهم للملوك . وكذا في الشطر الثاني . يقول : ان اطاعوني واجابوا الى ما ادعوهم فلست اقصدهم بسيوفي وانما اقصد بها غيرهم ممن عصى . وان اعرضوا عن طاعتي فلست اقنع بقتلهم وحدهم ولكني اقتل معهم كل من رأى رأيهم .

فاعجله عن استلال سيفه فضربه بالسوط ودار به الجيش فقال ابو الطيّب]

فِي ٱلْخَدِّ أَنْ عَزَمَ ٱلْخَلِيطُ رَحِيلَا ... مَطَرٌ تَزِيدُ بِهِ ٱلْخُدُودُ مُحُولَا [١]

يَا نَظْرَةً نَفَتِ ٱلرُّقَادَ وَغَادَرَتْ ... فِي حَدِّ قَلْبِي مَا حَيِيتُ فُلُولَا [٢]

كَانَتْ مِنَ ٱلْكَحْلَاءِ سُؤْلِي إِنَّمَا ... أَجَلِي تَمَثَّلَ فِي فُؤَادِي سُولَا [٣]

أَجِدُ ٱلْجَفَاءَ عَلَى سِوَاكِ مُرُوءَةً ... وَٱلصَّبْرَ إِلَّا فِي نَوَاكِ جَمِيلَا [٤]

وَأَرَى تَدَلُّلَكِ ٱلْكَثِيرَ مُحَبَّبًا ... وَأَرَى قَلِيلَ تَدَلُّلٍ مَمْلُولَا [٥]

حَدَقُ ٱلْحِسَانِ مِنَ ٱلْغَوَانِي هِجْنَ لِي ... يَوْمَ ٱلْفِرَاقِ صَبَابَةً وَغَلِيلَا [٦]

حَدَقٌ يُذِمُّ مِنَ ٱلْقَوَاتِلِ غَيْرَهَا ... بَدْرُ بْنُ عَمَّارِ بْنِ إِسْمَاعِيلَا [٧]

ٱلْفَارِجُ ٱلْكُرَبَ ٱلْعِظَامَ بِمِثْلِهَا ... وَٱلتَّارِكُ ٱلْمَلِكَ ٱلْعَزِيزَ ذَلِيلَا [٨]

---

١ في الخد خبر مقدم عن مطر . وقوله ان عزم يريد لان عزم فحذف اللام . والخليط : المعاشر . يقول : ان في خده لفراق احبته مطراً من الدمع تزيد به الخدود محلًا لا خصباً كما هو شأن المطر المعهود . ويريد بمحل الخدود شحوبها وذهاب نضرتها من الحزن . ٢ غادرت : تركت . والفلول : الثلوم . يقول : ان نظرته للحبيبة عند الفراق ذهبت بنومه وتركت قلبه كالسيف المفلول لا يقوى على مقاومة النوائب واتقائها . ٣ اسم كانت ضمير النظرة . والكحلاء : صفة الحبيبة وهي السوداء الجفون خلقة . والسؤل : ما تسأله وتتمناه وهو خبر كانت والحرف قبله متعلق به . ولين السؤل في آخر البيت للقافية . يقول : كانت هذه النظرة بغية لي اتمناها من الحبيبة ولكني قتلت بها لانها كانت نظرة الفراق فكأن اجلي تصور في قلبي بصورة البغية . ٤ الجفاء : الاعراض وصله بعلى على تضمينه معنى الامتناع ونحوه . والنوى : البعد . يقول : اني اجد اعراضي عن النساء مروءة الا عنك والصبر على كل نازلة جميلًا الا على بعادك . ٥ حببه اليه : جعله يحبه . يقول : ان دلالك على كثرته محبوب عندي مع ان القليل من دلال غيرك يمل . ٦ الحدق جمع حدقة وهي سواد العين الاعظم . والغواني جمع غانية وهي التي غنيت بحسنها عن الزينة . والصبابة : رقة الشوق . والغليل : حرارة العطش يراد به لاعج الوجد . ٧ حدق : خبر عن محذوف يرجع الى حدق الاولى . ويذم من الذمام اي يجير . وغيرها يجوز فيه النصب على الاستثناء او الحال والجر على التبعية . وبدر بن عمار فاعل يذم . اي انه يجير من كل ما يقتل الا من احداق الحسان فانه لا يستطيع الاجارة منها . ٨ اي انه يفرج الكرب العظام عن اوليائه بانزال مثلها على اعدائه يعني انه يهلكهم ليدفع شرهم عن اوليائه .

مَحِكٌ إِذَا مَطَلَ ٱلْغَرِيمُ بِدَيْنِهِ ... جَعَلَ ٱلْحُسَامَ بِمَا أَرَادَ كَفِيلَا [١]
نَطِقٌ إِذَا حَطَّ ٱلْكَلَامُ لِثَامَهُ ... أَعْطَى بِمَنْطِقِهِ ٱلْقُلُوبَ عُقُولَا [٢]
أَعْدَى ٱلزَّمَانَ سَخَاؤُهُ فَسَخَا بِهِ ... وَلَقَدْ يَكُونُ بِهِ ٱلزَّمَانُ بَخِيلَا [٣]
وَكَأَنَّ بَرْقًا فِي مُتُونِ غَمَامَةٍ ... هِنْدِيُّهُ فِي كَفِّهِ مَسْلُولَا [٤]
وَمَحَلُّ قَائِمِهِ يَسِيلُ مَوَاهِبًا ... لَوْ كُنَّ سَيْلًا مَا وَجَدْنَ مَسِيلَا [٥]
رَقَّتْ مَضَارِبُهُ فَهُنَّ كَأَنَّمَا ... يُبْدِينَ مِنْ عِشْقِ ٱلرِّقَابِ نُحُولَا [٦]
أَمُعَفِّرَ ٱللَّيْثِ ٱلْهِزَبْرِ بِسَوْطِهِ ... لِمَنِ ٱدَّخَرْتَ ٱلصَّارِمَ ٱلْمَصْقُولَا [٧]
وَقَعَتْ عَلَى ٱلْأُرْدُنِّ مِنْهُ بَلِيَّةٌ ... نُضِدَتْ بِهَا هَامُ ٱلرِّفَاقِ تُلُولَا [٨]
وَرْدٌ إِذَا وَرَدَ ٱلْبُحَيْرَةَ شَارِبًا ... وَرَدَ ٱلْفُرَاتَ زَئِيرُهُ وَٱلنِّيلَا [٩]

---

١ المحك : اللجوج . وبما اراد : صلة كفيل . اي انه لجوج في تقاضي ما له على الناس من حق الطاعة والخضوع فاذا مطلوه بهذا الدين طالب به سيفه كما يطالب الكفيل بدين الغريم . يعني اذا لم يخضعوا له طوعاً اخضعهم قهراً . ٢ النطق : نَطِق من النطق يريد اللسن البليغ . والضمير في لثامه للممدوح . قال الواحدي : كانت العرب تلثم بعمائمها فاذا ارادوا ان يتكلموا كشفوا اللثام عن افواههم . يقول : اذا وضع الكلام لثامه عن فيه عند النطق افاد منطقه قلوب السامعين عقولا يعني انه يتكلم بالحكمة وبما يستفاد منه العقل . ٣ قال ابن فورجة : يعني سخا به علي وكان بخيلاً به فلما اعداه سخاؤه اسعدني الزمان بضمي اليه وهدايتي نحوه . ٤ في البيت شذوذ لانه جعل اسم كان نكرة وخبرها معرفة . والمتون جمع متن وهو الظهر . والهندي السيف المصنوع من حديد الهند . وفي كفه ومسلولا حالان . عكس التشبيه في هذا البيت لان الاصل ان يشبه السيف بالبرق فشبه البرق بالسيف مبالغة في بريقه ولمعانه . ٥ قائم السيف : مقبضه كنى بمحله عن راحة الممدوح . ومواهباً تمييز . اي ان كفه تسيل نعماً لو كانت مطراً لم تجد مكاناً يكفي لمجراها .
٦ المضارب جمع مضرب بفتح الراء وكسرها وهو طرف السيف او حده . ويبدين : يظهرن . يصف هذا السيف بالرقة والمضاء . يقول : ان مضاربه لكثرة ملازمتها للرقاب صارت عاشقة لها فاثر فيها هذا العشق نحولا فرقتها من ذلك النحول . ٧ عفره : مرغه في التراب . والليث : الاسد . والهزبر : الشديد . والصارم : السيف القاطع . يقول : اذا كنت تصرع الاسد بالصوت وهو اشد الحيوان خلقة واهوله بأساً فلمن خبأت سيفك . ٨ نضدت : جمع بعضها فوق بعض . والهام : الرؤوس . والرفاق جمع الرفقة وهي الجماعة في السفر . وتلولا حال اي مماثلة للتلول . يقول : انه كان بلية وقعت على هذا النهر فقد اكثر القتلى من المسافرين حتى اجتمعت رؤوسهم هناك مثل التلول .
٩ الورد الذي يضرب لونه الى الحمرة . والمراد بالبحيرة : بحيرة طبرية . والزئير : صوت الاسد . يعني انه يزأر في طبرية فيبلغ زئيره العراق ومصر .

مُتَخَضِّبٌ بِدَمِ ٱلْفَوَارِسِ لَابِسٌ   فِي غِيلِهِ مِنْ لِبْدَتَيْهِ غِيلَا [1]
مَا قُوبِلَتْ عَيْنَاهُ إِلَّا ظُنَّتَا   تَحْتَ ٱلدُّجَى نَارَ ٱلْفَرِيقِ حُلُولَا [2]
فِي وَحْدَةِ ٱلرُّهْبَانِ إِلَّا أَنَّهُ   لَا يَعْرِفُ ٱلتَّحْرِيمَ وَٱلتَّحْلِيلَا
يَطَأُ ٱلثَّرَى مُتَرَفِّقًا مِنْ تِيهِهِ   فَكَأَنَّهُ آسٍ يَجُسُّ عَلِيلَا [3]
وَيَرُدُّ عُفْرَتَهُ إِلَى يَأْفُوخِهِ   حَتَّى تَصِيرَ لِرَأْسِهِ إِكْلِيلَا [4]
وَتَظُنُّهُ مِمَّا يُزَمْجِرُ نَفْسُهُ   عَنْهَا لِشِدَّةِ غَيْظِهِ مَشْغُولَا [5]
قَصَرَتْ مَخَافَتُهُ ٱلْخُطَى فَكَأَنَّمَا   رَكِبَ ٱلْكَمِيُّ جَوَادَهُ مَشْكُولَا [6]
أَلْقَى فَرِيسَتَهُ وَبَرْبَرَ دُونَهَا   وَقَرُبْتَ قُرْبًا خَالَهُ تَطْفِيلَا [7]
فَتَشَابَهَ ٱلْخُلُقَانِ فِي إِقْدَامِهِ   وَتَخَالَفَا فِي بَذْلِكَ ٱلْمَأْكُولَا [8]
أَسَدٌ يَرَى عُضْوَيْهِ فِيكَ كِلَيْهِمَا   مَتْنًا أَزَلَّ وَسَاعِدًا مَفْتُولَا [9]

---

١ الغيل : الغابة . واللبدة : الشعر المجتمع على كتف الاسد . يقول : انه قد تلطخ بدم الفوارس لكثرة ما قتل منهم . وشبه لبدتيه بالغابة لكثافتهما فقال انه اذا كان في غابة من الشجر فهو في غابة اخرى من لبدتيه . ٢ الدجى جمع دجية وهي الظلمة . والظرف في موضع الحال من نائب ظنتا . والفريق : الجماعة . وحلولاً اي نازلين وهو حال من الفريق . ٣ الثرى : الارض . والتيه : الكبرياء . والآسي : الطبيب . يشبه تأنيه في الوطء بجس الطبيب ليد العليل وذلك انه لعزة نفسه لا يسرع في الخطو لانه لا يخاف شيئاً . ٤ العفرة : شعر القفا، اذا غضب ردها الى يأفوخه فتنتصب كالاكليل . ٥ زمجر الاسد : ردد زئيره . ونفسه : فاعل تظنه . ومشغولاً مفعول ثانٍ للظن اي ان نفسه تظنه مشغولاً عنها لكثرة ما يزمجر من شدة غضبه وتغيظه . ٦ القصر هنا ضد التطويل . والخطى جمع خطوة وهي مسافة ما بين القدمين . والكمي : لابس السلاح . والجواد: الفرس الكريم . والمشكول: المقيد بالشكال. يقول ان خوفه تمكن من القلوب فاحجمت به قوائم الخيل وقصرت خطاها حتى كأن الشجاع ركب فرسه بشكاله . ٧ يريد بفريسته البقرة التي هاجه عنها . والبربرة كلام المغضب استعارها لزمجرة الاسد . وخاله : ظنه . والتطفيل: الدخول على الآكلين من غير دعوة اي لما رآك مقبلاً عليه القى فريسته وزمجر غضباً لانه ظنك تتطفل على صيده . ٨ الخلق : الطبيعة، ويريد بالخلقين خلق الأسد وخلق الممدوح . والضمير من اقدامه للاسد . يقول تشابهتما في الاقدام والجراة لكن تخالفتما في انه حريص على طعامه وانت كريم به باذل له . ٩ يريد بعضويه ما ذكره بعد من المتن والساعد . والمتن : جانب الصلب . والازل : القليل اللحم . والمفتول : المندمج الشديد . اي انك تشبهه في هذين العضوين .

فِي سَرْجِ ظَامِئَةِ ٱلْفُصُوصِ طِمِرَّةٍ ... يَأْبَى تَفَرُّدُهَا لَهَا ٱلتَّمْثِيلَا [1]
نَيَّالَةِ ٱلطَّلَبَاتِ لَوْلَا أَنَّهَا ... تُعْطِي مَكَانَ لِجَامِهَا مَا نِيلَا [2]
تَنْدَى سَوَالِفُهَا إِذَا ٱسْتَحْضَرْتَهَا ... وَيُظَنُّ عَقْدُ عِنَانِهَا مَحْلُولَا [3]
مَا زَالَ يَجْمَعُ نَفْسَهُ فِي زَوْرِهِ ... حَتَّى حَسِبْتَ ٱلْعَرْضَ مِنْهُ ٱلطُّولَا [4]
وَيَدُقُّ بِٱلصَّدْرِ ٱلْحِجَارَ كَأَنَّهُ ... يَبْغِي إِلَى مَا فِي ٱلْحَضِيضِ سَبِيلَا [5]
وَكَأَنَّهُ غَرَّتْهُ عَيْنٌ فَادَّنَى ... لَا يُبْصِرُ ٱلْخَطْبَ ٱلْجَلِيلَ جَلِيلَا [6]
أَنَفُ ٱلْكَرِيمِ مِنَ ٱلدَّنِيئَةِ تَارِكٌ ... فِي عَيْنِهِ ٱلْعَدَدَ ٱلْكَثِيرَ قَلِيلَا [7]
وَٱلْعَارُ مَضَّاضٌ وَلَيْسَ بِخَائِفٍ ... مِنْ حَتْفِهِ مَنْ خَافَ مِمَّا قِيلَا [8]
سَبَقَ ٱلْتِقَاءَكَهُ بِوَثْبَةِ هَاجِمٍ ... لَوْ لَمْ تُصَادِمْهُ لَجَازَكَ مِيلَا [9]

---

١ ظامئة الفصوص : دقيقة المفاصل، والظرف حال من التاء في قربت . والطمرة : الوثابة . ويقول قربت منه وانت في سرج فرس هذه صفتها وقد تفردت في الكمال فلا تمثل بغيرها من الخيل .
٢ نيالة : فعالة من النيل . والطلبات جمع طلبة بفتح فكسر وهي الشيء المطلوب . ومكان لجامها كناية عن راسها . وقوله ما نيل نفي . اي انها شديدة الحضر لا يفوتها مطلب وهي طويلة العنق لولا انها تحط راسها للجام لم ينله فارسها لارتفاعه . ٣ السوالف جمع سالفة وهي جانب العنق . واستحضرتها : ركضتها . والعنان : سير اللجام . يقول : اذا حثثتها على الركض جرت حتى يعرق عنقها وما حوله فاذا جذبت عنانها طاوعت وانثنت عند اول شعورها بالجذب غير مجاذبة بعنانها حتى تظن ان عقد عنانها محلول . ٤ الزور : وسط الصدر حيث تلتقي عظامه . يقول : انه جمع نفسه للوثوب وجعل قواه كلها عند صدره حتى صار عرضه في قدر طوله . ٥ الدق : الكسر . ويبغي: يطلب . والحضيض: القرار من الارض . اي انه لشدة غيظه يضرب الحجارة بصدره فيدقها كانه يريد ان يحفر الارض ويتخذ سبيلاً الى قرارها . ٦ ادنى : اقترب . والخطب : الامر . اي غره نظره اليك رجلاً وهو اسد فاستهان بشجاعتك واقدم عليك يطلب قتالك وهو لا يرى ما في ذلك من الخطب العظيم . ٧ الانف والانفة : الاستنكاف . والدنيئة : النقيصة . يقول ان انفة الكريم من ان يعاب بالجبن تحمله على تعريض نفسه للهلكة حتى يصير العدد الكثير في عينه قليلاً . يشير الى ثبات الممدوح واقدامه على الاسد خوفاً من عار الهزيمة . ٨ مضه الامر : آلمه . والحتف : الموت . يقول ان العار مؤلم فمن كان يخاف من كلام الناس فيه فانه لا يخاف من الموت .
٩ يقول انه اعجلك عن التقائك له فوثب على ردف فرسك وثبة لولا مصادمتك له عند وثبها لجاوزك مسافة ميل من شدتها . والميل : ثلث فرسخ، والفرسخ ١٢ الف ذراع .

خَذَلَتْهُ قُوَّتُهُ وَقَدْ كَافَحْتَهُ … فَٱسْتَنْصَرَ ٱلتَّسْلِيمَ وَٱلتَّجْدِيلَا [1]
قَبَضَتْ مَنِيَّتُهُ يَدَيْهِ وَعُنْقَهُ … فَكَأَنَّمَا صَادَفْتَهُ مَغْلُولَا [2]
سَمِعَ ٱبْنُ عَمَّتِهِ بِهِ وَبِحَالِهِ … فَنَجَا يُهَرْوِلُ أَمْسِ مِنْكَ مَهُولَا [3]
وَأَمَرُّ مِمَّا فَرَّ مِنْهُ فِرَارُهُ … وَكَقَتْلِهِ أَنْ لَا يَمُوتَ قَتِيلَا [4]
تَلَفُ ٱلَّذِي ٱتَّخَذَ ٱلْجَرَاءَةَ خُلَّةً … وَعَظَ ٱلَّذِي ٱتَّخَذَ ٱلْفِرَارَ خَلِيلَا [5]
لَوْ كَانَ عِلْمُكَ بِٱلْإِلٰهِ مُقَسَّماً … فِي ٱلنَّاسِ مَا بَعَثَ ٱلْإِلٰهُ رَسُولَا [6]
لَوْ كَانَ لَفْظُكَ فِيهِمِ مَا أَنْزَلَ ٱلْـــفُرْقَانَ وَٱلتَّوْرَاةَ وَٱلْإِنْجِيلَا [7]
لَوْ كَانَ مَا تُعْطِيهِمِ مِنْ قَبْلِ أَنْ … تُعْطِيهِمِ لَمْ يَعْرِفُوا ٱلتَّأْمِيلَا [8]
فَلَقَدْ عُرِفْتَ وَمَا عُرِفْتَ حَقِيقَةً … وَلَقَدْ جُهِلْتَ وَمَا جُهِلْتَ خُمُولَا [9]

---

١ خذله: خانه وترك نصرته. وكافحه: استقبله في الحرب بوجهه. والاستنصار: طلب النصرة. والتجديل مصدر جدله اذا صرعه على الجدالة وهي الارض. يقول خانته قوته اي ضعفت فلم تجده فطلب نصرته من التسليم اليك والسقوط امامك على الارض وهو من باب التهكم. ٢ المغلول: المقيّد بالغل وهو طوق من حديد تجمع به اليدان الى العنق. يقول ان منيته حانت على يدك فقبضت على يديه وعنقه لا يستطيع وثوباً ولا فراراً فكأنك لقيته مقيداً. ٣ الهرولة: بين المشي والعدو. ومهولاً: مذعوراً. يريد بابن عمته الاسد الذي هرب بعد ذلك ولم يرد تحقيق النسب بينهما بل اراد اسداً آخر من جنسه. ٤ قوله مما فر منه اي من الهلاك. وكقتله خبر مقدم عن المصدر المتأول بعده. يقول ان فراره من الهلاك امر من الهلاك لما فيه من الذل والنقيصة وعدم موته قتيلاً مثل القتل لانه انما سلم بالهرب وهو والقتل على الشجاع سيان. ٥ تلف: مبتدأ خبره وعظ. والخلة: الخليلة. يقول ان تلف الاسد الذي اجترأ عليك فهلك وعظ الاسد الذي فر منك فسلم. ٦ يقول لو عرف الناس ربهم معرفتك به لم يبعث الله رسولا يدعوهم الى معرفته لعدم الحاجة اليه. ٧ ويروى القرآن. والفرقان اسم جامع للكتب المنزلة التي تفرق بين الحق والباطل. وقد يراد به القرآن بخصوصه وهو المقصود هنا. ٨ الجار والمجرور في موضع نصب خبر كان. يقول لو كان ما تعطيه للناس سابقاً لوقته لكانوا لا يعرفون الامل لانك تغنيهم به ولا تترك في نفوسهم حاجة يؤملونها. ٩ حقيقة الشيء: ما ثبت من امره وهي منصوبة على التمييز. والخمول: سقوط الشهرة وهو مفعول لاجله. يقول ان الناس عرفوك بما ظهر من كرمك واريحيتك ولكن لم يعرفوا حقيقة ما انت عليه لقصورهم عن ادراك كنهك فاذا جهلوا قدرك فهم انما يجهلونه لذلك لا لكونك خامل الذكر.

نَطَقَتْ بِسُؤْدُدِكَ ٱلْحَمَامُ تَغَنِّيًا وَبِمَا تُجَشِّمُهَا ٱلْجِيَادُ صَهِيلَا [١]
مَا كُلُّ مَنْ طَلَبَ ٱلْمَعَالِيَ نَافِذًا فِيهَا وَلَا كُلُّ ٱلرِّجَالِ فُحُولَا

ميزة شعره: لقي المتنبي في بدر بن عمار ضالته المنشودة من كرم ورجولة ومجد قومي، فأطلق صوته يصوّر تلك البطولة ويضخمها بقدر ما في نفسه من أمل وبقدر ما في ساعده من حياة. فكان بدر في نظر مخيلته ملك الاسود، وكان الرسول المنشود، وكان النبي المنتظر.

١٩٩ الا لا اري الاحداث مدحاً ولا ذمّا

[وورد على ابي الطيّب كتاب من جدّته لامه تشكو شوقها اليه وطول غيبته عنها فتوجّه نحو العراق ولم يمكنه دخول الكوفة على حالته تلك فانحدر الى بغداد وكانت جدّته قد يئست منه فكتب اليها كتاباً يسألها المسير اليه فقبّلت كتابه وحمّت لوقتها سروراً به وغلب الفرح على قلبها فقتلها فقال يرثيها :]

أَلَا لَا أُرِي ٱلْأَحْدَاثَ مَدْحًا وَلَا ذَمَّا فَمَا بَطْشُهَا جَهْلًا وَلَا كَفُّهَا حِلْمَا [٢]
إِلَى مِثْلِ مَا كَانَ ٱلْفَتَى مَرْجِعُ ٱلْفَتَى يَعُودُ كَمَا أُبْدِي وَيُكْرِي كَمَا أَرْمَى [٣]
لَكِ ٱللهُ مِنْ مَفْجُوعَةٍ بِحَبِيبِهَا قَتِيلَةِ شَوْقٍ غَيْرِ مُلْحِقِهَا وَصْمَا [٤]

---

١ السؤدد: السيادة. وتجشمها: تكلفها. وتغنيا وصهيلاً حالان. يقول قد بلغت من الشهرة ما عرفه ما لا يعقل فضلاً عن العاقل فالحمام اذا تغنت نطقت بسيادتك والخيل اذا صهلت نطقت بغزواتك التي تكلفها اياها. والبيت تتميم وتأكيد للبيت السابق. ٢ الاحداث: نوب الدهر. يريد ان الحوادث لا تستحق مدحاً على احسان ولا ذماً على اساءة لانها اذا بطشت لم يكن ذلك جهلاً منها واذا كفّت عن البطش لم يكن حلماً اذ الفعل في ذلك لله وانما ينسب اليها مجازا. ٣ الابداء: الخلق واصله الهمزة فليّنه للضرورة. واكرى الشيء: نقص. وارمى: زاد. يقول ان كل واحد يرجع الى مثل حالته التي كان عليها قبل وجوده فيعود الى عناصره الاولى كما خلق منها وينقص ما حدث فيه من الحياة كما زاد. ٤ لك الله: دعاء لها. ومفجوعة في موضع نصب على التمييز والحرف زائد. والوصم: العيب وهو مفعول ثانٍ لملحقها والمفعول الاول الضمير المضاف اليه. عن بحبيبها نفسه. يقول انها قتلت بفعل الشوق ولكن هذا الشوق ليس مما يعاب به لانــــه شوق الأمّ الى ولدها.

أَحِنُّ إِلَى ٱلْكَأْسِ ٱلَّتِي شَرِبَتْ بِهَا ... وَأَهْوَى لِمَثْوَاهَا ٱلتُّرَابَ وَمَا ضَمَّا [١]
بَكَيْتُ عَلَيْهَا خِيفَةً فِي حَيَاتِهَا ... وَذَاقَ كِلَانَا ثُكْلَ صَاحِبِهِ قِدْمَا [٢]
وَلَوْ قَتَلَ ٱلْهَجْرُ ٱلْمُحِبِّينَ كُلَّهُمْ ... مَضَى بَلَدٌ بَاقٍ أَجَدَّتْ لَهُ صَرْمَا [٣]
عَرَفْتُ ٱللَّيَالِي قَبْلَ مَا صَنَعَتْ بِنَا ... فَلَمَّا دَهَتْنِي لَمْ تَزِدْنِي بِهَا عِلْمَا
مَنَافِعُهَا مَا ضَرَّ فِي نَفْعِ غَيْرِهَا ... تَغَذَّى وَتَرْوَى أَنْ تَجُوعَ وَأَنْ تَظْمَا [٤]
أَتَاهَا كِتَابِي بَعْدَ يَأْسٍ وَتَرْحَةٍ ... فَمَاتَتْ سُرُورًا بِي فَمُتُّ بِهَا غَمَّا [٥]
حَرَامٌ عَلَى قَلْبِي ٱلسُّرُورُ فَإِنَّنِي ... أَعُدُّ ٱلَّذِي مَاتَتْ بِهِ بَعْدَهَا سُمَّا
تَعَجَّبُ مِنْ لَفْظِي وَخَطِّي كَأَنَّمَا ... تَرَى بِحُرُوفِ ٱلسَّطْرِ أَغْرِبَةً عُصْمَا [٦]
وَتَلْثِمُهُ حَتَّى أَصَارَ مِدَادُهُ ... مَحَاجِرَ عَيْنَيْهَا وَأَنْيَابَهَا سُحْمَا [٧]

١ الحنين: الشوق . وعنى بالكأس كأس الموت وهي استعارة . والمثوى : المقام، اراد به القبر . يقول اني لاجل موتها احن الى الموت لاني لا احب البقاء بعدها ولاجل مدفنها اهوى التراب وكل مدفون فيه . ٢ الثكل : الفقد . وقدما: بمعنى قديما . يقول كنت ابكي عليها في حياتها خوف فقدها وفرقت الايام بيني وبينها فذاق كل واحد منا ثكل صاحبه قبل الموت . ٣ اجدّت بمعنى جددت . والصرم: القطيعة . يقول لو كان الهجر يقتل كل محب كما قتلها هجري لقتل بلدها ايضاً يعني ان بلدها كان ممن يحبها لما لها فيه من اثار الكرم والمبرة . ٤ من رد الضمير الى المرثية وهو الاجود روى تجوع وتظما بالتاء ومن رده الى الليالي وهو الاقرب رواهما بالتاء وبالنون . وقوله ان تجوع اي بان تجوع فحذف الحرف على قياس حذفه قبل ان المصدرية . وتظما: تعطش واصله بالهمز فلينه للقافية . وقوله ما ضر إن جعلت الضمائر للمرثية فالتقدير ما ضرها والجار والمجرور التاليان في موضع الحال من فاعل ضر . وان جعلتها لليالي فالتقدير ما هو ضار والجار والمجرور صلة ضر . والمعنى على الاول ان هذه المرثية كانت تنتفع بما يضرها في سبيل نفع الناس فهي تؤثرهم بطعامها وشرابها فتجوع وتعطش وتحسب غذاءها وريها في ذلك . والجوع والعطش مثل اراد به ما هو اعم منهما . وعلى الثاني يكون المعنى ان الليالي تنتفع بما يكون ضررا في نفع اهلها لولوعها باذاهم فكانها تتغذى وتروى بان تجوع ايها المخاطب وتعطش او بان نجوع نحن ونعطش . ٥ الترحة : الاسم من الترح وهو الحزن والهم . نسب الموت الى نفسه مبالغة قصد بها المشاكلة . ٦ تعجب اي تتعجب فحذف احدى التاءين . والباء من قوله بحروف للتجريد . والاغربة جمع غراب . والعصم جمع اعصم وهو الذي في جناحه بياض . اي انها عند رؤية خطه كانت تتعجب من سلامته لانها كانت قد يئست منه فكأن كل حرف منه كان غراب اعصم وهو عندهم مثل في الغرابة لعزة وجوده . ٧ تلثمه اي تقبله والضمير للكتاب . واصار بمعنى صير . والمداد : الحبر . والمحاجر: ما حول العينين . والسحم جمع أسحم وهو الاسود .

رَقَا دَمْعُهَا ٱلْجَارِي وَجَفَّتْ جُفُونُهَا ... وَفَارَقَ حُبِّي قَلْبَهَا بَعْدَ مَا أَدْمَى ١
وَلَمْ يُسْلِهَا إِلَّا ٱلْمَنَايَا وَإِنَّمَا ... أَشَدُّ مِنَ ٱلسُّقْمِ ٱلَّذِي أَذْهَبَ ٱلسُّقْمَا ٢
طَلَبْتُ لَهَا حَظًّا فَفَاتَتْ وَفَاتَنِي ... وَقَدْ رَضِيَتْ بِي لَوْ رَضِيتُ بِهَا قِسْمَا ٣
فَأَصْبَحْتُ أَسْتَسْقِي ٱلْغَمَامَ لِقَبْرِهَا ... وَقَدْ كُنْتُ أَسْتَسْقِي ٱلْوَغَى وَٱلْقَنَا ٱلصُّمَّا ٤
وَكُنْتُ قُبَيْلَ ٱلْمَوْتِ أَسْتَعْظِمُ ٱلنَّوَى ... فَقَدْ صَارَتِ ٱلصُّغْرَى ٱلَّتِي كَانَتِ ٱلْعُظْمَى ٥
هَبِينِي أَخَذْتُ ٱلثَّأْرَ فِيكِ مِنَ ٱلْعِدَى ... فَكَيْفَ بِأَخْذِ ٱلثَّأْرِ فِيكِ مِنَ ٱلْحُمَّى ٦
وَمَا ٱنْسَدَّتِ ٱلدُّنْيَا عَلَيَّ لِضِيقِهَا ... وَلٰكِنَّ طَرْفًا لَا أَرَاكِ بِهِ أَعْمَى ٧
فَوَا أَسَفَا أَلَّا أُكِبَّ مُقَبِّلًا ... لِرَأْسِكِ وَٱلصَّدْرِ ٱللَّذَيْ مُلِئَا حَزْمَا ٨
وَأَلَّا أُلَاقِي رُوحَكِ ٱلطَّيِّبَ ٱلَّذِي ... كَأَنَّ ذَكِيَّ ٱلْمِسْكِ كَانَ لَهُ جِسْمَا ٩
وَلَوْ لَمْ تَكُونِي بِنْتَ أَكْرَمِ وَالِدٍ ... لَكَانَ أَبَاكِ ٱلضَّخْمَ كَوْنُكِ لِي أُمَّا ١٠

---

١ رقا الدمع : انقطع واصله الهمز فلينه للوزن . يقول لما ماتت انقطع دمعها الذي كان يجري على فراقي وزال حبي من قلبها بعد ما كان قد ادماه في حياتها . ٢ المنايا جمع المنية وهي الموت . يقول لم يسلها عني الا الموت وقد ذهب به ما نالها من السقم جزعاً عليّ ولكن الذي اذهب عنها ذلك السقم كان اشد عليها من السقم . ٣ يقول انما فارقتها لاطلب لها حظها من الرزق ففاتتني هي وفاتني هذا الحظ لاني لم ادركه وقد كانت راضية ان اكون قسماً لها من الدنيا لو رضيتها قسماً لي. ٤ استسقي : اطلب السقيا . والوغى الحرب . والقنا: الرماح . والصم: الصلاب . يقول انه كان يطلب من الرماح ان تسقيه دم الاعداء . فلما ماتت ترك الحرب وجداً عليها وصار يطلب من السحاب ان يسقي قبرها . ٥ قبيل : تصغير قبل . والنوى : البعد . يقول انه كان قبل موتها يستعظم فراقها فلما ماتت صارت حادثة الفراق صغيرة بالنسبة الى الموت . ٦ هبيني : احسبيني . وبأخذ متعلق بمحذوف اي فكيف اصنع . يقول احسبيني بمنزلة من اخذ ثأرك من الاعداء لو قتلوك فكيف آخذ ثأرك من الحمى وهي العدو الذي لا سبيل اليه . ٧ الطرف : النظر ويطلق على الباصرة . يقول انه قد صار لفقدها كالاعمى فانسدت عليه المسالك لذلك لا لان الارض قد ضاقت . ٨ الالف من قوله اسفا للندبة . واكبّ : انحنى على وجهه . وقوله اللذي اراد اللذين فحذف النون لطول الاسم بالصلة وقيل هي لغة لبعض العرب . يتأسف لغيبته عند وفاتها وانه لم يودّعها قبل مواراتها في التراب . ٩ اي ووا اسفا اني لم ادركك في الحياة قبل انفصال روحك . ١٠ الضخم اي العظيم يقول لو لم يكن ابوك اكرم والد لقامت ولادتك اياي مقام اب عظيم تنسبين اليه اي اذا قيل لك ام ابي الطيب استغنيت بذلك عن نسب الاب لو لم يكن لك نسب .

لَئِنْ لَذَّ يَوْمُ ٱلشَّامِتِينَ بِيَوْمِهَا … لَقَدْ وَلَدَتْ مِنِّي لِأَنْفِهِمِ رَغْمَا ١
تَغَرَّبَ لَا مُسْتَعْظِمًا غَيْرَ نَفْسِهِ … وَلَا قَابِلًا إِلَّا لِخَالِقِهِ حُكْمَا ٢
وَلَا سَالِكًا إِلَّا فُؤَادَ عَجَاجَةٍ … وَلَا وَاجِدًا إِلَّا لِمَكْرُمَةٍ طَعْمَا ٣
يَقُولُونَ لِي «مَا أَنْتَ» فِي كُلِّ بَلْدَةٍ … وَمَا تَبْتَغِي مَا أَبْتَغِي جَلَّ أَنْ يُسْمَى ٤
كَأَنَّ بَنِيهِمْ عَالِمُونَ بِأَنَّنِي … جَلُوبٌ إِلَيْهِمْ مِنْ مَعَادِنِهِ ٱلْيُتْمَا ٥
وَمَا ٱلْجَمْعُ بَيْنَ ٱلْمَاءِ وَٱلنَّارِ فِي يَدِي … بِأَصْعَبَ مِنْ أَنْ أَجْمَعَ ٱلْجَدَّ وَٱلْفَهْمَا ٦
وَلٰكِنَّنِي مُسْتَنْصِرٌ بِذُبَابِهِ … وَمُرْتَكِبٌ فِي كُلِّ حَالٍ بِهِ ٱلْغَشْمَا ٧
وَجَاعِلُهُ يَوْمَ ٱللِّقَاءِ تَحِيَّتِي … وَإِلَّا فَلَسْتُ ٱلسَّيِّدَ ٱلْبَطَلَ ٱلْقَرْمَا ٨
إِذَا فَلَّ عَزْمِي عَنْ مَدًى خَوْفُ بُعْدِهِ … فَأَبْعَدُ شَيْءٍ مُمْكِنٌ لَمْ يَجِدْ عَزْمَا ٩

---

١ مني تجريد. ورغم انفه: الصقه بالرغام اي التراب، وهو كناية عن الاذلال والقهر. يقول ان كان يوم موتها قد صار موت لذة للشامتين فقد ولدت بولادتها اياي من يعاقبهم برغم الانوف.
٢ اي ان هذا الرجل الذي ولدته يعني نفسه تغرب عن بلاده انفة من تعظم غيره عليه لانه لا يستعظم على نفسه احداً وفراراً من ان يحكم عليه احد الا الله الذي خلقه. ٣ العجاجة: الغبار يريد غبار الحرب. اي لا يسلك الا في قلب غبار الحرب يستعين بها على بلوغ ما في نفسه من العظائم ولا يجد طعماً يستلذه الا طعم المكارم. ٤ قوله ما انت اي ما انت صانع على حذف الخبر او ما تصنع على حذف الفعل وابراز الضمير. وتبتغي: تطلب. ومصدران يسمى مجرور بعن محذوفة صلة جل. اي ان الناس يسألونني لما يرون من كثرة ترددي في البلاد ما تصنع في كل بلدة وماذا تطلب فأقول لهم ما اطلبه اجل من ان يذكر باسمه يعني قتل الملوك والاستيلاء على ملكهم.
٥ الضمير من معادنه لليتم. اي ان الناس يكرهونني خوفاً مني فكأن اولادهم قد علموا اني سأقتل اباءهم واصيرهم يتامى. يريد حساده الذين لا يزالون يسألونه عن أسفاره. ٦ الجد: الحظ والبخت. يقول ان الحظ من الدنيا لا يجتمع مع الفهم لان العاقل قلما يرى الا محروماً فهما كالماء والنار لا يمكن الجمع بينهما حتى يمكن الجمع بين هذه. ٧ ذباب السيف: حده واضمر للسيف بدون تقدم ذكره للعلم به. والغشم: من قولهم رجل مغشم بكسر الميم اذا كان يركب هواه فلا يثنيه شيء عن مراده. يقول لكنني مع عدم استطاعتي ان اجمع بين الجد والفهم اطلب النصرة بحد سيفي لا تثنيني حال من الاحوال عما اطلبه حتى افوز به ٨ الضمير من جاعله للسيف. والقرم بمعنى السيد. اي واحيي اعدائي يوم لقائهم بسيفي اي استقبلهم به واجعله لهم بدل التحية. ٩ فل السيف: ثلمه فاستعاره للعزم على تشبيهه بالسيف وهو من الاستعارة بالكناية. والمدى: الغاية. وابعد مبتدأ خبره ممكن. يقول اذا اضعف عزمي عن غاية خوف بعدها فان الغاية الممكنة ايضاً لا تنال اذا لم يكن عند طالبها عزم اذ لا يدرك شيء بغير عزم واذا وجد العزم جاز ان يدرك البعيد به كما يدرك القريب.

وَإِنِّي لَمِنْ قَوْمٍ كَأَنَّ نُفُوسَهُمْ بِهَا أَنَفٌ أَنْ تَسْكُنَ ٱللَّحْمَ وَٱلْعَظْمَا ١
كَذَا أَنَا يَا دُنْيَا إِذَا شِئْتِ فَٱذْهَبِي وَيَا نَفْسِي زِيدِي فِي كَرَائِهِهَا قُدْمَا ٢
فَلَا عَبَرَتْ لِي سَاعَـةٌ لَا تُعِزُّنِي وَلَا صَحِبَتْنِي مُهْجَةٌ تَقْبَلُ ٱلظُّلْمَا ٣

ميزة شعره : كان المتنبي يضرب في الآفاق عندما وافاه خبر وفاة والدته ، وكان صدره مضطرماً غيظاً من جرى حسد الحساد وسعاياتهم ، فامتزج الحزن بالسخط ، وانطلق حمماً ملتهبة ، في شعر حافل بالالم والفخر والتهديد ، وفي لغة كأنها صليل السيوف وزمزمة الجيوش .

٢٠٠ افاضل الناس اغراض لدى الزمن

[وقال يمدح ابا عبد الله بن محمد الخطيب الخصيبي وهو يومئذ يتقلد القضاء بانطاكية .]

أَفَاضِلُ ٱلنَّاسِ أَغْرَاضٌ لِدَى ٱلزَّمَنِ يَخْلُو مِنَ ٱلْهَمِّ أَخْلَاهُمْ مِنَ ٱلْفِطَنِ ٤
وَإِنَّمَا نَحْنُ فِي جِيـلٍ سَوَاسِيَةٍ شَرٍّ عَلَى ٱلْحُرِّ مِنْ سُقْمٍ عَلَى بَدَنِ ٥
حَوْلِي بِكُلِّ مَكَانٍ مِنْهُمُ خِلَقٌ تُخْطِي إِذَا جِئْتَ فِي ٱسْتِفْهَامِهَا بِمَنِ ٦

---

١ الانف : الاستكبار والاستنكاف . يقول انا من قوم دأبهم خوض الغمرات والتطوح في الحروب حتى كأنّ نفوسهم ترى السكنى في اجسادها عاراً تأنف منه فهم يختارون القتل على الحياة للتخلص من هذا العار . ٢ الكرائه جمع كريهة وهي النازلة . والقدم : التقدم . يقول للدنيا : انا على ما وصفت نفسي فاذهبي ان شئت فما انا من يبالي بك . ثم يقول لنفسه امضي على عزمك ولا تثنك نوازل الدنيا وشدائدها عما انت عليه من العزة والاقدام . ٣ اي تقبل ان يظلمها احد . ٤ الاغراض جمع غرض وهو الهدف يرمى بالسهام . ويروى لذا الزمن . والضمير من اخلاهم للناس . يقول ان الافاضل من الناس كالاغراض للزمان يصيبهم بنوائبه وآفاته اذ هم اشد اهتماماً بها من سواهم فكأنهم هم المقصودون بها . ولذلك كلما خلا الانسان من الفطنة كان اخلى من الهمّ لانه لا يبالي بالنوائب ولا يفكر في العواقب . ٥ الجيل : الصنف من الناس . وسواسية بمعنى متساوين قيل وهو خاص بالذم ولا يقال في المدح اي متساوين في اللؤم والخسة . وشر تفضيل بمعنى اشر . والحر : خلاف العبد والمراد به هنا الكريم . ٦ خلق بكسر ففتح جمع خلقة وهي الصورة التي يخلق عليها الشيء اراد بها الاشباح . ويروى حلق بفتحتين بالحاء المهملة جمع حلقة بالاسكان وهي القوم يجتمعون مستديرين . يقول : حولي جماعة منهم لا تعقل فاذا اردت الاستفهام عن احدها لا يجوز ان تقول من هذا لان من تختص بالعقلاء .

لَا أَقْتَرِي بَلَدًا إِلَّا عَلَى غَرَرٍ ... وَلَا أَمُرُّ بِخَلْقٍ غَيْرِ مُضْطَغِنِ ١
وَلَا أُعَاشِرُ مِنْ أَمْلَاكِهِمْ مَلِكاً ... إِلَّا أَحَقَّ بِضَرْبِ ٱلرَّأْسِ مِنْ وَثَنِ ٢
إِنِّي لَأَعْذِرُهُمْ مِمَّـا أُعَنِّفُهُمْ ... حَتَّى أُعَنِّفَ نَفْسِي فِيهِمِ وَأَنِي ٣
فَقْرُ ٱلْجَهُولِ بِلَا قَلْبٍ إِلَى أَدَبٍ ... فَقْرُ ٱلْحِمَارِ بِلَا رَأْسٍ إِلَى رَسَنِ ٤
وَمُدْقِعِـينَ بِسُبْرُوتٍ صَحِبْتُهُمُ ... عَارِينَ مِنْ حُلَلٍ كَاسِينَ مِنْ دَرَنِ ٥
خُرَّابِ بَادِيَـةٍ غَرْثَى بُطُونُهُمُ ... مَكْنُ ٱلضِّبَابِ لَهُمْ زَادٌ بِلَا ثَمَنِ ٦
يَسْتَخْبِرُونَ فَلَا أُعْطِيهِمِ خَبَرِي ... وَمَا يَطِيشُ لَهُمْ سَهْمٌ مِنَ ٱلظِّنَنِ ٧
وَخَلَّةٍ فِي جَلِيسٍ أَتَّقِيهِ بِهَا ... كَيْمَا يَرَى أَنَّنَا مِثْلَانِ فِي ٱلْوَهَنِ ٨

---

١ اقتري : اتتبع . والغرر الاسم من قولهم غرر بنفسه اذا عرضها للهلكة . والخلق: المخلوق مسمى بالمصدر . ومضطغن : حاقد. يقول لا اسافر الا على خطر من اعدائي وحسادي ولا امر باحد لا يكون حاقداً علي يعني انهم لئام جهلاء. ومثلهم لا بد ان يكون عدوا لمثله . ٢ ويروى احداً . واحق اي اجدر وهو نعت ملكاً والحرفان بعده متعلقان به . وضرب الرأس يحتمل الضرب بالسيف او بالعصا ونحوها ولعل الثاني هو المراد . يقول : انه لم يباشر احداً من ملوكهم الا وجده في صورة الانسان دون عقله فهو كالصنم الذي يعمل على هيئة الانسان وينصب للعبادة والتعظيم وهو حقيق بالكسر والاهانة لانه لا يضر ولا ينفع . ٣ التعنيف: التعيير والملام . والعائد على الموصول محذوف اي مما اعنفهم عليه . وحتى ابتدائية . واني بمعنى افتر واقصر . يقول الوهم على ما بهم من خسة النفس وسقوط الهمة ثم اعذرهم من هـذه الحال لما اجد بهم من الغفلة والجهل حتى اعود باللوم على نفسي واقصر عن لومهم . ٤ هذا البيت بيان لعذرهم عنده . يقول : ان الانسان انما يتأدب بعقله وهؤلاء لاعقل لهم فهم لا يفتقرون الى الادب كما ان الحمار اذا كان بلا رأس لا يفتقر الى الرسن . ٥ الواو واو رب . والمدقـع : اللاصق بالارض ذلاً . والسبروت : القفر لا نبات به . والدرن : الوسخ . اي رب صعاليك يجلسون لفقرهم على التراب صحبتهم وهم عارون من الثياب مكتسون بما عليهم من الاقذار . ٦ الخراب جمع خارب وهو الذي يسرق الابل خاصة ثم سمي به كل لص . والبادية : الصحراء . وغرثى : ضامرة جوعاً وهو خبر مقدم عما بعده . والضباب جمع ضب وهو دويبة معروفة . ومكنها: بيضها . يقول : هم لصوص وليس لهم زاد الا بيض الضباب يأخذونه بلا ثمن . ٧ طاش السهم : اذا انحرف عن الرمية . والظنن جمع ظنة بالكسر وهي ما تظنـه بالانسان من سوء . اي يسألونني عن خبري فاكتم نفسي عنهم خوفاً مـن غدرهم لكنهم يظنون اني انا فلان الذي يسمعون بذكره فلا يخطئون . ٨ الخلة: الخصلة . والوهن: الضعف . اي رب خصلة في جليس لي اجاريه عليها واستقبله بمثلها ليظن اني مماثل له في ضعف الرأي . يريد انـه يخفي نفسه وفضله خوفاً من الحسد .

وَكِلْمَةٍ فِي طَرِيقٍ خِفْتُ أُعْرِبُهَا   فَيُهْتَدَى لِي فَلَمْ أَقْدِرْ عَلَى ٱللَّحَنِ ١
قَدْ هَوَّنَ ٱلصَّبْرُ عِنْدِي كُلَّ نَازِلَةٍ   وَلَيَّنَ ٱلْعَزْمُ حَدَّ ٱلْمَرْكَبِ ٱلْخَشِنِ ٢
كَمْ مَخْلَصٍ وَعُلًى فِي خَوْضِ مَهْلَكَةٍ   وَقَتْلَةٍ قُرِنَتْ بِٱلذَّمِّ فِي ٱلْجُبُنِ ٣
لَا يُعْجِبَنَّ مَضِيماً حُسْنُ بِزَّتِهِ   وَهَلْ تَرُوقُ دَفِيناً جَوْدَةُ ٱلْكَفَنِ ٤
لِلّٰهِ حَالٌ أُرَجِّيهَا وَتُخْلِفُنِي   وَأَقْتَضِي كَوْنَهَا دَهْرِي وَيَمْطُلُنِي ٥
مَدَحْتُ قَوْماً وَإِنْ عِشْنَا نَظَمْتُ لَهُمْ   قَصَائِداً مِنْ إِنَاثِ ٱلْخَيْلِ وَٱلْحُصُنِ ٦
تَحْتَ ٱلْعَجَاجِ قَوَافِيهَا مُضَمَّرَةٌ   إِذَا تُنُوشِدْنَ لَمْ يَدْخُلْنَ فِي أُذُنِ ٧
فَلَا أُحَارِبُ مَدْفُوعاً إِلَى جُدُرٍ   وَلَا أُصَالِحُ مَغْرُوراً عَلَى دَخَنِ ٨
مُخَيِّمُ ٱلْجَمْعِ بِٱلْبَيْدَاءِ يَصْهَرُهُ   حَرُّ ٱلْهَوَاجِرِ فِي صُمٍّ مِنَ ٱلْفِتَنِ ٩

---

١ اراد ان اعربها فحذف ان وقد مرت له نظائر اي اتى بها معربة. واللحن : الخطأ في الاعراب . يقول : ورب كلمة اردت ترك اعرابها لئلا يهتدي سامعها الى معرفتي ولكني لم اقدر على ارتكاب اللحن لاني مطبوع على الفصاحة والاعراب . ٢ النازلة : الحادثة من حوادث الدهر . ويريد بالمركب ما يركبه من الامور الشاقة . ٣ العلى جمع عليا وهي اسم للمكان العالي ثم استعملت في معنى الرفعة والشرف . والقتلة : المرة من القتل . يقول ان الاقدام على المهالك كثيراً ما يكون سبباً في التخلص منها مع كسب الرفعة والمجد ؛ والجبن عن الاقدام كثيراً ما يكون سبباً لقتل الجبان مع المذمة والعار . ٤ المضيم : المظلوم . والبزة : اللباس . وراقه الشيء : اعجبه . يريد بحسن بزته اليسر وسعة الرزق. يقول لا ينبغي له ان يفرح بذلك على ما هو فيه من الذل فانه كالميت الذي عليه اكفان حسنة. ٥ يقال عند التعجب من الشيء لله هو . والاخلاف ضد الوفاء . واقتضي : اطالب . وكونها بمعنى حصولها وهو مفعول ثانٍ لاقتضي . ودهري مفعول اول . يقول انه يرجي ان يصل الى حال ترضيه وتلك الحال تخلف رجاءه فلا يصل اليها ويطالب دهره بحصولها فيماطله في تبليغه اياها . ٦ الحصن جمع حصان وهو الفحل العتيق من الخيل . يقول مدحت قوماً لا يستحقون المـــدح للؤمهم وجهلهم وان عشت فسأغزوهم بخيل أناث وذكور . وسمى تلك الخيل قصائد على الاستعارة طلباً للمشاكلة يعني سأجعلها لهم بدلاً من القصائد التي مدحتهم بها . ٧ العجاج : الغبار . والمضمرة من الخيل : المعدة للسباق . يقول : قوافي هـــذه القصائد خيل مضمرة اذا انشدت لم تدخل في الاذن بخلاف قوافي الشعر . ٨ مدفوعاً ومغروراً حالان . والجدر جمع جدار وهو الحائط . والدخن : الفساد يقال صالحه على دخن اي لعلة لا للصلح . يقول لا اعتصم في الحرب بالابنية والاسوار ولا اصالح اعدائي اذا غروني وناقفوني اي لا اصالحهم الا على بذل الرضى . ٩ مخيم خبر عن محذوف اي انا . والجمع الجيش وهو فاعل التخييم في المعنى . والبيداء : الصحراء . وصهره الحر : احرق دماغه . والهواجر جمع هاجرة وهي منتصف النهار . والصم جمع صماء وهي الشديدة . يقول ان عسكره قد ضربوا خيامهم في الفلاة تحت حر الشمس وهو توكيد لما ذكره في البيت السابق .

أَلْقَى ٱلْكِرَامُ ٱلْأُلَى بَادُوا مَكَارِمَهُمْ عَلَى ٱلْخَصِيبِيِّ عِنْدَ ٱلْفَرْضِ وَٱلسُّنَنِ ١
فَهُنَّ فِي ٱلْحَجْرِ مِنْهُ كُلَّمَا عَرَضَتْ لَهُ ٱلْيَتَامَى بَدَا بِٱلْمَجْدِ وَٱلْمِنَنِ ٢
قَاضٍ إِذَا ٱلْتَبَسَ ٱلْأَمْرَانِ عَنَّ لَهُ رَأْيٌ يُخَلِّصُ بَيْنَ ٱلْمَاءِ وَٱللَّبَنِ ٣
غَضُّ ٱلشَّبَابِ بَعِيدٌ فَجْرُ لَيْلَتِهِ مُجَانِبُ ٱلْعَيْنِ لِلْفَحْشَاءِ وَٱلْوَسَنِ ٤
شَرَابُهُ ٱلنَّشْحُ لَا لِلرِّيِّ يَطْلُبُهُ وَطُعْمُهُ لِقِوَامِ ٱلْجِسْمِ لَا ٱلسِّمَنِ ٥
ٱلْقَائِلُ ٱلصِّدْقَ فِيهِ مَا يُضِرُّ بِهِ وَٱلْوَاحِدُ ٱلْحَالَتَيْنِ ٱلسِّرِّ وَٱلْعَلَنِ ٦
ٱلْفَاصِلُ ٱلْحُكْمَ عَيَّ ٱلْأَوَّلُونَ بِهِ وَٱلْمُظْهِرُ ٱلْحَقَّ لِلسَّاهِي عَلَى ٱلذَّهِنِ ٧
أَفْعَالُهُ نَسَبٌ لَوْ لَمْ يَقُلْ مَعَهَا جَدِّي ٱلْخَصِيبُ عَرَفْنَا ٱلْعِرْقَ بِٱلْغُصُنِ ٨
ٱلْعَارِضُ ٱلْهَتِنُ ٱبْنُ ٱلْعَارِضِ ٱلْهَتِنِ ٱبْنِ ٱلْعَارِضِ ٱلْهَتِنِ ٱبْنِ ٱلْعَارِضِ ٱلْهَتِنِ ٩

---

١ الالى بمعنى الذين. ومكارمهم مفعول القى . اي ان الكرام الذين هلكوا القوا مكارمهم على هذا الممدوح اي فوضوها الى عهدته فهي عنده بجانب فروض الدين وسننه يحافظ عليها كما يحافظ على هذه. ٢ يقال هو في حجر فلان اي في كنفه والضمير للمكارم. ومنه حال من الحجر. وعرضت ظهرت. وقوله بدا من المهموز اي بدأ. والمنن: النعم. يقول لما استخلف على المكارم بعد هلاك ذويها جعلها في حجره وكفلها في جملة اليتامى الذين يكفلهم فكان كلما عرضت له اليتامى تتوقع عنايته وبره بدأ بالمجد والمنن التي هي من جملة المكارم المكفولة عنده فافاضها عليهم. ٣ ال من قوله الامران للجنس. وعنّ بمعنى ظهر. اي اذا التبس الامران واشتبه بعضها ببعض فصل بينهما برأيه ولو امتزجا امتزاج الماء باللبن. ٤ الغض: الناعم. والفحشاء: ما لا يحل. والوسن: النوم. كنى ببعد فجر ليلته عن كونه يسهر الليل في درس العلوم والعبادات فيرى ليله طويلًا كما يراه الساهر دون النائم. ٥ النشح: الشرب القليل. والطعم: الطعام. والقوام: ما يعاش به. يقول هو على اخلاق العلماء والزهاد لا ينال من الطعام والشراب الا القدر الذي يقوم به جسمه فهو انما يأكل ويشرب لبقاء حياته لا لخصب البدن وقوته. ٦ يجوز في الصدق النصب على المفعولية والجر على الاضافة تشبيهاً بالحسن الوجه. والضمير من قوله فيه للصدق والجملة حال منه. يقول هو لا ينطق الا بالصدق ولو كان فيه ما يضره ولا يتظاهر بغير ما في ضميره رئاء وانما سره وعلنه سواء. ٧ فصل الحكم: قضاه وقطع به. وعي بالامر: عجز عنه. والساهي: الغافل. والذهن: الفطن الذكي. والجار والمجرور صلة الحق. اي يظهر حق الخصم الغبي على الخصم الذكي. ٨ جدي الخصيب مبتدأ وخبر. والجملة مفعول القول. وعرفنا جواب لو. يقول ان افعاله الكريمة تدل على كرم اصل وتقوم له مقام النسب حتى لو لم يقل جدي فلان لكانت افعاله كافية في الدلالة عليه كما يستدل بالغصن على الاصل. ٩ العارض: السحاب المعترض في الافق. والهتن: فعل من الهتن وهو كثرة الانصباب. وقد عيب هذا اللفظ على المتنبي لانه يقال سحاب هاتن ولا يقال هتن ولكن جاء به قياساً على هطل وهو من النوادر. والمعنى هو جواد ابن اباء اجواد.

قَدْ صَيَّرَتْ أَوَّلَ ٱلدُّنْيَا وَآخِرَهَا ... آبَاؤُهُ مِنْ مُغَارِ ٱلْعِلْمِ فِي قَرَنِ ١
كَأَنَّهُمْ وُلِدُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ وُلِدُوا ... أَوْ كَانَ فَهْمُهُمُ أَيَّامَ لَمْ يَكُنِ ٢
أَلْخَاطِرِينَ عَلَى أَعْدَائِهِمْ أَبَـدًا ... مِنَ ٱلْمَحَامِدِ فِي أَوْقَى مِنَ ٱلْجُنَنِ ٣
لِلنَّاظِرِينَ إِلَى إِقْبَالِـهِ فَرَحٌ ... يُزِيلُ مَا بِجِبَاهِ ٱلْقَوْمِ مِنْ غَضَنِ ٤
كَأَنَّ مَالَ ٱبْنِ عَبْدِ ٱللّٰهِ مُغْتَرَفٌ ... مِنْ رَاحَتَيْهِ بِأَرْضِ ٱلرُّومِ وَٱلْيَمَنِ ٥
لَمْ نَفْتَقِدْ بِكَ مِنْ مُزْنٍ سِوَى لَثَقٍ ... وَلَا مِنَ ٱلْبَحْرِ غَيْرَ ٱلرِّيحِ وَٱلسُّفُنِ ٦
وَلَا مِنَ ٱللَّيْثِ إِلَّا قُبْحَ مَنْظَرِهِ ... وَمِنْ سِوَاهُ سِوَى مَا لَيْسَ بِٱلْحَسَنِ ٧
مُنْذُ ٱحْتَبَيْتَ بِأَنْطَاكِيَةَ ٱعْتَدَلَتْ ... حَتَّى كَأَنَّ ذَوِي ٱلْأَوْتَارِ فِي هُدَنِ ٨
وَمُذْ مَرَرْتَ عَلَى أَطْوَادِهَا قَرِعَتْ ... مِنَ ٱلسُّجُودِ فَلَا نَبْتٌ عَلَى ٱلْقُنَنِ ٩

---

١ المغار : الحبل المحكم الفتل . والقرن: حبل يجمع به البعيران . والجار الاول مع مجروره في موضع حال مقدمة من قرن . والثاني في موضع المفعول الثاني لصيرت . يعني ان اباءه قد احاطوا علماً بحوادث الدنيا ماضيها وغابرها حتى كأنهم وصلوا اولها باخرها . ٢ هذا تأكيد لما في البيت السابق . يقول انهم لعلمهم بما سلف من احوال الازمنة المتقدمة كأنهم وُجدوا في تلك الأزمنة فولدوا قبل الزمان الذي ولدوا فيه او كأن فهمهم كان موجوداً في الايام التي لم يكن موجوداً فيها فاطلعوا على ما كان في تلك الايام . ٣ خطر الرجل : مشى متبختراً وهو ان يرفع يديه في المشي ويضعهما . ونصب الخاطرين بمضمر اي اذكر او امدح ونحو ذلك . والجنن ج جنة وهي كل ما استترت به من سلاح ونحوه . يقول انهم يمرون على اعدائهم متبخترين وعليهم من المحامد ما يصون اعراضهم من الذم فيكون اوقى لهم من السلاح . ٤ يريد اقباله على الوافدين وهشاشته اليهم . والغضن : انكسار الجلد . ٥ اي ان عطاياه تعم القريب والبعيد حتى كأنها تؤخذ من راحتيه في ارض الروم واليمن كما تؤخذ في داره . ٦ افتقده : طلبه عند غيبته . والمزن ج مزنة وهي السحابة البيضاء او ذات الماء . واللثق : الندوة تعلق بالارض فتصير وحلاً . يقول لم يفتنا من السحاب بوجودك الا الوحل ولم نعدم من البحر الا ركوب السفن والتعرض لعواصف الرياح . يريد انه سحاب وبحر ولكن منفعته خالصة عن المشقة والتنغيص . ٧ الليث : الاسد . والضمير من قوله سواه لليث . اي ولم يفتنا من الاسد الا قبح منظره ولا من بقية الاشياء الا كل وصف غير مستحسن . يعني ان جميع محاسن الموصوفات مجتمعة فيه وجميع مقابحها منفية عنه . ٨ الاحتباء : ان يجمع الرجل ظهره وساقيه بعمامة ونحوها . والاوتار ج وتر وهو الثأر . والهدن ج هدنة وهي المتاركة والصلح . يقول منذ جلست محتبياً للحكم في هذه البلدة اعتدل ما فيها من الخلاف وسكن الشر حتى كأن اصحاب الاحقاد قد تهادنوا وزال من بينهم الشقاق . ٩ الاطواد : الجبال . وقوله قرعت من قرع الراس وهو ذهاب شعره . ولا، عاملة عمل ليس . والقنن ج قنة وهي اعلى موضع في الجبل . يقول لما مررت على هذه الجبال خضعت هيبة لك وسمي خضوعها سجوداً لما بينهما من الملابسة فقال ان سجودها له توالى حتى ذهب ما عليها من النبت فصارت قرعاء .

أَخْلَتْ مَوَاهِبُكَ ٱلْأَسْوَاقَ مِنْ صَنَعٍ   أَغْنَى نَدَاكَ عَنِ ٱلْأَعْمَالِ وَٱلْمِهَنِ ١
ذَا جُودُ مَنْ لَيْسَ مِنْ دَهْرٍ عَلَى ثِقَةٍ   وَزُهْدُ مَنْ لَيْسَ مِنْ دُنْيَاهُ فِي وَطَنِ ٢
وَهٰذِهِ هِمَّةٌ لَمْ يُؤْتَهَا بَشَرٌ   وَذَا ٱقْتِدَارُ لِسَانٍ لَيْسَ فِي ٱلْمُنَنِ ٣
فَمُرْ وَأَوْمِ تُطَعْ قُدِّسْتَ مِنْ جَبَلٍ   تَبَارَكَ ٱللّٰهُ مُجْرِي ٱلرُّوحِ فِي حَضَنِ ٤

شعر القوميّة والجهاد :

٢٠١ نعدّ المشرفية والعوالي

[وقال يرثي والدة سيف الدولة ويعزيه بها في سنة سبع وثلاثين وثلاث مئة .]

نُعِدُّ ٱلْمَشْرَفِيَّةَ وَٱلْعَوَالِي   وَتَقْتُلُنَا ٱلْمَنُونُ بِلَا قِتَالِ ٥
وَنَرْتَبِطُ ٱلسَّوَابِقَ مُقْرَبَاتٍ   وَمَا يُنْجِينَ مِنْ خَبَبِ ٱللَّيَالِي ٦
وَمَنْ لَمْ يَعْشَقِ ٱلدُّنْيَا قَدِيمًا ؟   وَلٰكِنْ لَا سَبِيلَ إِلَى ٱلْوِصَالِ ٧

---

١ الصنع : الصانع الحاذق . والندى : الجود . والمهن ج مهنة وهي الخدمة . يقول ان مواهبك قد كثرت وعمت حتى اصاب منها اهل الاسواق ما استغنوا به عن العمل . ٢ يقول هذا الجود الذي نراه منك جود من لا يثق بدهره ولا يأمن حوادثه فهو يجود بالمال اغتناماً للاجر والمحمدة وهذا الزهد زهد من لم يتخذ الدنيا وطناً لعلمه بانها دار قلعة وان كل من عليها فان . ٣ ضمير ليس للاقتدار . والمنن ج منة بالضم وهي القوة والجار والمجرور خبر ليس . اي وهذه قوة منطق ليس مثلها في القوى . ٤ اومىء : اشر واكثرهم يرويه اوم بترك الهمز . وقوله قدست دعاء . وجبل ، تمييز والجار قبله زائد . وحضن : جبل عظيم باعلى نجد جعله كجبل ذي روح لعظمته ووقاره . ٥ المشرفية : السيوف . والعوالي ج عالية وهي صدر الرمح والمراد الرماح انفسها . والمنون : المنية . يقول : نعد السيوف والرماح لمنازلة الاعداء ومدافعة الاقران ولكن المنية تقتل من تقتله منا بلا قتال فلا تغني عنا تلك الاسلحة شيئاً . ٦ السوابق : الخيل . ومقربات : محبوسة قرب البيوت معدة للركوب . والخبب : ضرب من العدو وهو المراوحة بين اليدين والرجلين . يقول : نرتبط الخيل لتنجو عليها اذا دهمنا حادث ولكنها لا تنجينا من غارة الدهر لانه يدركنا حيثما كنا . ٧ من : استفهام انكار . يقول الناس من قديم الزمان مولعون بحب الدنيا والبقاء فيها ولكن لم يتمتع احد من وصالها لانها لا تدوم على احد .

نَصِيبُكَ فِي حَيَاتِكَ مِنْ حَبِيبٍ   نَصِيبُكَ فِي مَنَامِكَ مِنْ خَيَالِ [١]
رَمَانِي ٱلدَّهْرُ بِٱلْأَرْزَاءِ حَتَّى   فُؤَادِي فِي غِشَاءٍ مِنْ نِبَالِ [٢]
فَصِرْتُ إِذَا أَصَابَتْنِي سِهَامٌ   تَكَسَّرَتِ ٱلنِّصَالُ عَلَى ٱلنِّصَالِ [٣]
وَهَانَ، فَمَا أُبَالِي بِٱلرَّزَايَا   لِأَنِّي مَا ٱنْتَفَعْتُ بِأَنْ أُبَالِي [٤]
وَهٰذَا أَوَّلُ ٱلنَّاعِينَ طُرًّا   لِأَوَّلِ مَيْتَةٍ فِي ذَا ٱلْجَلَالِ [٥]
كَأَنَّ ٱلْمَوْتَ لَمْ يَفْجَعْ بِنَفْسٍ   وَلَمْ يَخْطُرْ لِمَخْلُوقٍ بِبَالِ [٦]
صَلَاةُ ٱللهِ خَالِقِنَا حَنُوطٌ   عَلَى ٱلْوَجْهِ ٱلْمُكَفَّنِ بِٱلْجَمَالِ [٧]
عَلَى ٱلْمَدْفُونِ قَبْلَ ٱلتُّرْبِ صَوْنًا   وَقَبْلَ ٱللَّحْدِ فِي كَرَمِ ٱلْخِلَالِ [٨]
فَإِنَّ لَهُ بِبَطْنِ ٱلْأَرْضِ شَخْصًا   جَدِيدًا ذِكْرُنَاهُ وَهْوَ بَالِ [٩]

---

١ نصيبك الاول مبتدأ خبره نصيبك الثاني . يقول الحياة كالمنام ولذتها كالاحلام فحظك من حبيب تتمتع به في اليقظة كحظك من خيال تتمتع به في النوم لان كلتا الحالتين تنقضي كأن لم تكن.
٢ الارزاء : المصائب . وحتى ابتدائية . يقول كثرت علي مصائب الدهر وفجائعه حتى لم يبق من قلبي موضع الا اصابه سهم منها فصار في غلاف من السهام . ٣ اي صرت بعد ذلك اذا اصابتني سهام من تلك المصائب لا تجد لها موضعاً تنفذ منه الى قلبي وانما تقع نصالها على نصال التي قبلها فتتكسر عليها . قال الواحدي وهذا تمثيل معناه ان الارزاء توالت علي حتى هانت عندي والشيء اذا كثر اعتاده الانسان وقد صرح بهذا في البيت التالي . ٤ ضمير هان للدهر او لرميه . ويروى وها انا ما ابالي . اي لست ابالي بمصائب الدهر لاني وجدت المبالاة لا تدفع قضاء ولا تخفف مصابا . ٥ كان قد ورد خبرها الى انطاكية . يقول الذي اخبر بموتها هو اول من نعى امرأة ماتت في مثل هذا الجلال الذي هي فيه . ٦ يقول ان الناس قد استعظموا موتها وهالتهم المصيبة فيها حتى كانه لم يمت احد قبلها . ٧ الصلاة بمعنى الرحمة والمغفرة . والحنوط طيب يخلط للميت . يدعو لها بان تكون رحمة الله لها بمنزلة الحنوط للميت . وجعل وجهها مكفنا بالجمال اشارة الى ان الموت لم يغير محاسنها ولما بقي عليها جمالها كالكفن . قال ابن وكيع ووصفه ام الملك بالوجه الجميل غير مختار . ٨ على المدفون بدل من قوله على الوجه وذكر على ارادة الشخص ، وصونا مفعول له . واللحد : الشق في جانب القبر . والخلال : الخصال . اي انها لصيانتها كانت كأنها مدفونة في خدرها قبل ان دفنت في التراب وكان كرم خلالها يحجبها عن المنكر قبل ان حجبت في اللحد . ٩ ذكرناه اي ذكرنا له وهو فاعل جديدا اي ان لهذا المدفون شخصاً في الارض قد بلي وذكرنا له لا يزال جديدا . ويروى بعد هذا البيت وهو ساقط من اكثر نسخ الديوان :

وما احد يخلد في البرايا   بل الدنيا تؤول الى زوال

أَطابَ ٱلنَفسَ أَنَّكِ مُتِّ مَوتاً تَمَنَّتْـهُ ٱلبَواقِي وَٱلخَوالِي [١]
وَزُلتِ وَلَمْ تَرَيْ يَوماً كَرِيهاً تُسَرُّ ٱلنَفسُ فِيـهِ بِٱلزَوالِ [٢]
رِواقُ ٱلعِزِّ فَوقَـكِ مُسبَطِرٌّ وَمُلكُ عَلِيٍّ ٱبنِكِ فِي كَمالِ [٣]
سَقَى مَثْواكِ غادٍ فِي ٱلغَوادِي نَظِيرُ نَوالِ كَفِّكِ فِي ٱلنَوالِ [٤]
لِسَاحِيهِ عَلَى ٱلأَجداثِ حَفْشٌ كَأَيدِي ٱلخَيلِ أَبصَرَتِ ٱلمَخالِي [٥]
أُسائِلُ عَنكِ بَعدَكِ كُلَّ مَجدٍ وَما عَهدِي بِمَجدٍ عَنكِ خالِ [٦]
يَمُرُّ بِقَبرِكِ ٱلعَـافِي فَيَبكِي وَيَشغَلُهُ ٱلبُكاءُ عَنِ ٱلسُؤالِ [٧]
وَما أَهداكِ لِلجَدوَى عَلَيـهِ لَوَ ٱنَّكِ تَقدِرِينَ عَلَى فَعالِ [٨]
بِعَيشِكِ هَلْ سَلَوتِ فَإِنَّ قَلبِي وَإِنْ جانَبتُ أَرضَكِ غَيرُ سالِ [٩]

---

١ الحوالي: المواضي . اي الذي يسلي النفس عنك انك مت موتا في الجلال والشرف تمنت مثله كل انثى من الباقيات والذاهبات . ٢ زلت معطوف على مت . اي ومما يسلي النفس عنك انك فارقت الدنيـــا وانت طيبة النفس لم يمر بك من اكدارها ما تكرهين لاجله العيش وتسرين بمفارقته . ٣ المسبطر : الممتد . ويروى مستظل ومستطيل . اي مت وانت في هذه الحال من العز وكمال الملك . ٤ المثوى : المنزل يريد قبرها . والغادي : السحاب يغدو بالمطر . والنوال : العطاء . يدعو لها بان يسقي قبرها سحاب يزيد على السحب فيضا كما كان نوال كفها يزيد على نوال الاكف سخاء. ٥ الساحي: الذي يقشر الارض . والاجداث: القبور . والحفش: شدة الوقع . اي هـــذا المطر يقشر بسيلانه القبور ويشتد وقعه عليها كما تفعل الخيل بايديها اذا رأت المخالي . وفي هذا البيت من الهجنة ما لا يخفى . ٦ اراد خاليا بالنصب عـــلى انه حال سادة مسد الخبر لانه ليس خبرا عن العهد في المعنى فاجرى الفتحة مجرى الضمة والكسرة نحذفها ويقال هي لغة لبعض العرب . يقول اسأل عنك صنوف المجد لاني لم اعهد مجدا خاليـــا عنك والمفقود يسال عنه من كان ملازما له . ٧ العافي : قاصد المعروف . والسؤال: الطلب . يقول اذا مرَّ العافي بقبرها ذكر ما كان لها من المعروف فبكى وشغله ذلك البكاء عن ان يسألها كعادته . ٨ اهداك من الهداية وما للتعجب . والجدوى: الانعام . يقول : لو بقيت فيك قدرة على فعل الجميل لم تحتاجي الى ان يسألك العافي ولكنك كنت تهتدين الى مطالبه فتنعمين عليه وان لم يسأل . ٩ بعيشك : قسم . قال الواحدي : يقسم عليها بحياتها فيقول لها : هل سلوت عن حب النوال فان قلبي وان بعدت عنك غير سال عن نوالك . وعلى هذا المراد بالعافي نفسه .

نَزَلْتِ عَلَى ٱلْكَرَاهَةِ فِي مَكَانٍ   بَعُدْتِ عَنِ ٱلنُّعَامَى وَٱلشَّمَالِ [1]
تُحَجَّبُ عَنْكِ رَائِحَةُ ٱلْخُزَامَى   وَتُمْنَعُ مِنْكِ أَنْدَاءُ ٱلطِّلَالِ [2]
بِدَارٍ كُلُّ سَاكِنِهَا غَرِيبٌ   بَعِيدُ ٱلدَّارِ مُنْبَتُّ ٱلْحِبَالِ [3]
حَصَانٌ مِثْلُ مَاءِ ٱلْمُزْنِ فِيهِ   كَتُومُ ٱلسِّرِّ صَادِقَةُ ٱلْمَقَالِ [4]
يُعَلِّلُهَا نِطَاسِيُّ ٱلشَّكَايَا   وَوَاحِدُهَا نِطَاسِيُّ ٱلْمَعَالِي [5]
إِذَا وَصَفُوا لَهُ دَاءً بِثَغْرٍ   سَقَاهُ أَسِنَّةَ ٱلْأَسَلِ ٱلطِّوَالِ [6]
وَلَيْسَتْ كَٱلْإِنَاثِ وَلَا ٱللَّوَاتِي   تُعَدُّ لَهَا ٱلْقُبُورُ مِنَ ٱلْحِجَالِ [7]
وَلَا مَنْ فِي جَنَازَتِهَا تِجَارٌ   يَكُونُ وَدَاعُهَا نَفْضَ ٱلنِّعَالِ [8]
مَشَى ٱلْأُمَرَاءُ حَوْلَيْهَا حُفَاةً   كَأَنَّ ٱلْمَرْوَ مِنْ زِفِّ ٱلرِّئَالِ [9]
وَأَبْرَزَتِ ٱلْخُدُورُ مُخَبَّآتٍ   يَضَعْنَ ٱلنِّقْسَ أَمْكِنَةَ ٱلْغَوَالِي [10]

---

١ على بمعنى مع . والجملة بعد مكان نعت له والعائد محذوف اي بعدت فيه . والنعامى : ريح الجنوب . يقول: نزلت مع الكراهة منا لنزولك في مكان لا يصيبك فيه نسيم الرياح . ٢ الخزامى: نبت طيب الريح . والطلال ج طل وهو المطر الخفيف . ٣ بدار نعت مكان يريد بها المقبرة . وقوله كل ساكنها اي كل ساكن لها لان الاضافة اللفظية لا تفيد تعريفا . ومنبت: منقطع . والمراد بالحبال الشمل . ٤ الحصان بالفتح المصونة وهي مبتدا خبره فيه . والمزن: السحاب شبهها بمائه في الطهارة ونقاء العرض . ٥ اراد يعللها يعالجها من علتها كما يقال مرّضه . والنطاسي: الطبيب الحاذق . والشكايا : ما يشكى اي الامراض . ويريد بواحدها ابنها الذي هو واحد الناس يعني سيف الدولة ، والواو الداخلة عليه للحال . يقول يعالجها طبيب الامراض وابنها طبيب المعالي العالم بادوائها المزيل لعللها .
٦ الثغر هنا موضع المخافة من فروج البلدان . والاسنة جمع سنان وهو نصل الرمح . والاسل : عيدان الرماح . اي اذا اخبروه بانتقاض ثغر عليه ونبذه لطاعته عالجه باسنة الرماح حتى يعود الى الطاعة . وجعل معالجتـــه بالرماح سقيا لانه جعل ذلك داء به فنزل الرماح منزلة الدواء الذي يسقى ولاسيما ان الثغر يكون بمعنى الفم ايضا فكان من محسنات هذه الاستعارة . ٧ الحجال ج حجلة وهي نحو الستر . اي انها كانت من ذوات الصيانة والتستر فليست كغيرها من النساء التي يعد لها القبر سترا .
٨ التجار ج تجر بالفتح ج تاجر مثل صحاب وصحب . يقول لم تكن من نساء السوقة يتبع جنازتها تجار وباعة ينفضون نعالهم من الغبار اذا انصرفوا عن قبرها ؛ يعني انها ملكة . ٩ المرو : ضرب من الحجارة ابيض براق . والزف : صغار الريش . والرئال ج رأل وهو ولد النعام . اي مشى الامراء من حولها حفاة وهم يطأون الحجارة فلا يشعرون بوخزها من شدة الحزن كأنهم يطأون ريش النعام .
١٠ النقس : الحبر . والغوالي ج الغالية وهي اخلاط من الطيب يتضمخ بها . اي خرجت لموتها النساء المخبآت في الخدور غير مباليات بالتستر وهن يسودن وجوههن بالحبر مكان الغالية التي كن يتطيبن بها .

أَتَتْهُنَّ ٱلْمُصِيبَةُ غَافِلَاتٍ فَدَمْعُ ٱلْحُزْنِ فِي دَمْعِ ٱلدَّلَالِ [١]
وَلَوْ كَانَ ٱلنِّسَاءُ كَمَنْ فَقَدْنَا لَفُضِّلَتِ ٱلنِّسَاءُ عَلَى ٱلرِّجَالِ
وَمَا ٱلتَّأْنِيثُ لِٱسْمِ ٱلشَّمْسِ عَيْبٌ وَلَا ٱلتَّذْكِيرُ فَخْرٌ لِلْهِلَالِ
وَأَفْجَعُ مَنْ فَقَدْنَا مَنْ وَجَدْنَا قُبَيْلَ ٱلْفَقْدِ مَفْقُودَ ٱلْمِثَالِ [٢]
يُدَفِّنُ بَعْضُنَا بَعْضاً وَتَمْشِي أَوَاخِرُنَا عَلَى هَامِ ٱلْأَوَالِي [٣]
وَكَمْ عَيْنٍ مُقَبَّلَةِ ٱلنَّوَاحِي كَحِيلٍ بِٱلْجَنَادِلِ وَٱلرِّمَالِ [٤]
وَمُغْضٍ كَانَ لَا يُغْضِي لِخَطْبٍ وَبَالٍ كَانَ يُفْكِرُ فِي ٱلْهُزَالِ [٥]
أَسَيْفَ ٱلدَّوْلَةِ ٱسْتَنْجِدْ بِصَبْرٍ وَكَيْفَ بِمِثْلِ صَبْرِكَ لِلْجِبَالِ [٦]
وَأَنْتَ تُعَلِّمُ ٱلنَّاسَ ٱلتَّعَزِّي وَخَوْضَ ٱلْمَوْتِ فِي ٱلْحَرْبِ ٱلسِّجَالِ [٧]
وَحَالَاتُ ٱلزَّمَانِ عَلَيْكَ شَتَّى وَحَالُكَ وَاحِدٌ فِي كُلِّ حَالِ [٨]
فَلَا غِيضَتْ بِحَارُكَ يَا جَمُوماً عَلَى عَلَلِ ٱلْغَرَائِبِ وَٱلدِّخَالِ [٩]

---

١ يقول فاجأتهن المصيبة على حين غفلة فينا كن يبكين دلالا على سبيل الدعابة بكين من الحزن فاختلط الدمعان . ٢ افجع مبتدا خبره من وجدنا . ومفقود المثـال مفعول ثان لوجدنا اي اشد المفقودين ايلاما للفاقد من كان في حياته مفقود النظير فاذا مات لم يجـد فاقده عوضا يتسلى به عنه . ٣ الهام : الرؤوس . والاوالي بمعنى الاوائل وهو مقلوب منه . يقول الحي منا يدفن الميت والمتأخر يمشي على رأس المتقدم اي يطأ تربته بعد دفنه غير مبال بمن تحتها . ٤ النواحي : الجوانب . وكحيل بمعنى مكحولة وهو خبر كم . والجنادل : الحجارة . اي كم عين كانت تقبل اعزازا واكراما فصارت تحت الارض مكحولة بالحجارة والرمال . ٥ الاغضاء : مقاربة الجفون . والخطب : الامر العظيم . والهزال : النحول . اي وكم من اغضى الموت عينه وكان لا يغضيها لخطب ينزل له ومن اصبح باليا تحت التراب وكان اذا رأى في جسمه هزالا يشغل قلبه به ويفكر في معالجته : ٦ يقال : كيف لي بكذا اي كيف يصنع لي بان املكه ثم حذف الفعل . يقول : استنجد بالصبر في مغالبة هذا الخطب فانك من ذوي الصبر الثابتين على النوازل حتى تتمنى الجبال ان يكون لهـا مثل صبرك وثباتك. ٧ السجال: الحرب التي تكون مرة لك ومرة عليك. اي انك قد تعودت من مجالدة الخطوب وخوض الغمرات ما علمك الصبر حتى صرت تصبر الناس ولا تحتاج الى ان تصـبر . ٨ شتى ج شتيت بمعنى متفرق . يقول : تتلون عليك حالات الزمان من النعيم والبؤس والصفـو والكدر وانت في جميع ذلك على حالة واحدة من الرصانة والصبر . ٩ غيض الماء : نقص . والجموم : الذي يزداد ماؤه وقتا بعد وقت . وعلى : بمعنى مع والظرف في موضع الحال من فاعل جموما . والعلل : الشرب مرة بعد اخرى . والغرائب : يريد بها الابل الغريبة ليست لاهل الواردة . والدخال : ان يدخـل بعير قد شرب بين بعيرين لم يشربا ليزداد شربا . والكلام تمثيل يدعو له بان لا تنقطع مادة صبره على توالي المحن وشدتها .

رَأَيْتُكَ فِي ٱلَّذِينَ أَرَى مُلُوكًا ... كَأَنَّكَ مُسْتَقِيمٌ فِي مُحَالِ[1]
فَإِنْ تَفُقِ ٱلْأَنَامَ وَأَنْتَ مِنْهُمْ ... فَإِنَّ ٱلْمِسْكَ بَعْضُ دَمِ ٱلْغَزَالِ[2]

ميزة شعره : هذا رثاء «ملكي»، فيه شدّة، وفيه تعظيم لشأن الفقيدة، وفيه تضخيم جسيم للرذيلة، وتشاؤم مرير، وفيه مدح يكاد يُشعر ان المقام غير مقام الرثاء، ولاسيا وان الجوّ غير جوّ الالم المبكي، والتأثير العميق .

٢٠٢ واحرَّ قلباه !

[وقال وقد جرى له خطاب مع قوم متشاعرين وظنَّ الحيف عليه والتحامل .]

وَاحَرَّ قَلْبَاهُ مِمَّنْ قَلْبُهُ شَبِمُ ... وَمَنْ بِجِسْمِي وَحَالِي عِنْدَهُ سَقَمُ[3]
مَا لِي أُكَتِّمُ حُبًّا قَدْ بَرَى جَسَدِي ... وَتَدَّعِي حُبَّ سَيْفِ ٱلدَّوْلَةِ ٱلْأُمَمُ[4]
إِنْ كَانَ يَجْمَعُنَا حُبٌّ لِغُرَّتِهِ ... فَلَيْتَ أَنَّا بِقَدْرِ ٱلْحُبِّ نَقْتَسِمُ[5]
قَدْ زُرْتُهُ وَسُيُوفُ ٱلْهِنْدِ مُغْمَدَةٌ ... وَقَدْ نَظَرْتُ إِلَيْهِ وَٱلسُّيُوفُ دَمُ
فَكَانَ أَحْسَنَ خَلْقِ ٱللهِ كُلِّهِمِ ... وَكَانَ أَحْسَنَ مَا فِي ٱلْأَحْسَنِ ٱلشِّيَمُ[6]

---

١ ملوكاً مفعول ثانٍ لأرى والمفعول الاول محذوف عائد للموصول . والمحال: المعوج من قولهم حالت القوس والعصا وغيرها اذا اعوجت بعد استواء واحلتها انا . ٢ اي لا عجب ان فضلت الناس وانت واحد منهم فان بعض الشيء قد يفوق جملته كالمسك فانه بعض دم الغزال وهو يفضله فضلاً كثيراً . ٣ قوله واحر قلباه الالف للندبـــة واراد واحر قلبي فحذف الضمير المضاف اليه دفعاً لالتقاء الساكنين بينه وبين الالف . والهاء للسكت زادها في الوصل وهو من الضرورات الخاصة بالشعر وحينئذ فيجوز فيها الضم على التشبيه بهاء الضمير والكسر على اصل تحريك الساكن . والشبم : البارد . يقول واحر قلبي وشغفه بمن قلبه بارد عني واتا عنده عليل الجسم لفرط ما اعاني فيه سقيم الحال لفساد اعتقاده في . ٤ براه : انحله وهزله . وتدعي منصوب بان مضمرة بعد الواو وسكنه ضرورة او على لغة . يقول : ما لي لا ابوح بحبه وهو قد برح جسمي واسقمه والناس يدعون انهم يحبونه وهم على خلاف ما يظهرون . ٥ غرته : اي طلعته . واسم ليت وخبرها محذوفان سدت ان وصلتهـــا مسدهما . يقول : ان كان حبه جامعاً لنا اي كنا كلنا مشتركين فيه فليتنا نقتسم مواهبه بمقدار ذلك الحب حتى ينال كل منا ما يستحقه . ٦ الشيم: الاخلاق . اي انه نزل به في السلم وصحبه في الحرب فكان في الحالين احسن الناس وكانت اخلاقه احسن ما فيه .

فَوْتُ ٱلْعَدُوِّ ٱلَّذِي يَمَّمْتَهُ ظَفَرٌ ... فِي طَيِّهِ أَسَفٌ فِي طَيِّهِ نِعَمُ [١]
قَدْ نَابَ عَنْكَ شَدِيدُ ٱلْخَوْفِ وَٱصْطَنَعَتْ ... لَكَ ٱلْمَهَابَةُ مَا لَا تَصْنَعُ ٱلْبُهَمُ [٢]
أَلْزَمْتَ نَفْسَكَ شَيْئاً لَيْسَ يَلْزَمُهَا ... أَنْ لَا يُوَارِيَهُمْ أَرْضٌ وَلَا عَلَمُ [٣]
أَكُلَّمَا رُمْتَ جَيْشاً فَٱنْثَنَى هَرَباً ... تَصَرَّفَتْ بِكَ فِي آثَارِهِ ٱلْهِمَمُ [٤]
عَلَيْكَ هَزْمُهُمُ فِي كُلِّ مُعْتَرَكٍ ... وَمَا عَلَيْكَ بِهِمْ عَارٌ إِذَا ٱنْهَزَمُوا [٥]
أَمَا تَرَى ظَفَراً حُلْواً سِوَى ظَفَرٍ ... تَصَافَحَتْ فِيهِ بِيضُ ٱلْهِنْدِ وَٱللِّمَمُ [٦]
يَا أَعْدَلَ ٱلنَّاسِ إِلَّا فِي مُعَامَلَتِي ... فِيكَ ٱلْخِصَامُ وَأَنْتَ ٱلْخَصْمُ وَٱلْحَكَمُ [٧]
أُعِيذُهَا نَظَرَاتٍ مِنْكَ صَادِقَةً ... أَنْ تَحْسَبَ ٱلشَّحْمَ فِيمَنْ شَحْمُهُ وَرَمُ [٨]
وَمَا ٱنْتِفَاعُ أَخِي ٱلدُّنْيَا بِنَاظِرِهِ ... إِذَا ٱسْتَوَتْ عِنْدَهُ ٱلْأَنْوَارُ وَٱلظُّلَمُ [٩]
سَيَعْلَمُ ٱلْجَمْعُ مِمَّنْ ضَمَّ مَجْلِسُنَا ... بِأَنَّنِي خَيْرُ مَنْ تَسْعَى بِهِ قَدَمُ
أَنَا ٱلَّذِي نَظَرَ ٱلْأَعْمَى إِلَى أَدَبِي ... وَأَسْمَعَتْ كَلِمَاتِي مَنْ بِهِ صَمَمُ [١٠]

---

١ يممته : قصدته . يقول : ان العدو الذي قصدته ففر منك خوفاً على نفسه يعد فوته ظفراً لك به لكن في هذا الظفر اسفاً لانك لم تدركه وفي هذا الاسف نعمة لانك قد حجبت دماء رجالك . ٢ البهم ج بهمة والمراد بها هنا الجيش . اي ان خوف عدوك منك قد ناب عنك في قتاله وهزيمته فصنع لك ما لا تصنعه الجيوش لانه بلغك الفوز من غير ان تباشر القتال . ٣ يواريهم : يسترهم . والعلم : الجبل . يقول : الزمت نفسك ان تتبعهم اينما فروا وتدركهم حيثما تواروا من الارض وهذا امر لا يلزمك بعد ان تكون قد هزمتهم . يريد انه لا يرجع عنهم الا بعد قتلهم ولا يكفيه ما يكفي غيره من الظهور عليهم . ٤ رمت : طلبت : وانثنى : ارتد ، وهربا حال . اي اكلما هزمت جيشا حملتك همتك على اقتفاء اثاره وهو استفهام تعجب . ٥ يقول : عليك ان تهزمهم اذا التقوا معك في الحرب ولا عار عليك اذا انهزموا فلم تدركهم . ٦ بيض الهند : السيوف . واللمم ج لمة وهي الشعر المجاوز شحمة الاذن . اي لا يحلو لك الظفر على العدو حتى تتمكن من قتلهم وتلاقي سيوفك وشعورهم . ٧ الحكم : الحاكم . اي انا اخاصم فيك وانت خصمي في هذه المخاصمة وانت الحاكم فيها واذا كان الخصم هو الحاكم فكيف ينتصف منه . ٨ الضمير من اعيذها يرجع الى نظرات وهي تفسير له . يقول : اعيذ نظراتك الصادقة اي التي تصدق حقائق المنظورات ان تخدعك في التمييز بيني وبين غيري ممن يتظاهرون بمثل فضلي وهم براء منه . والشحم والورم : مثل لما يتشابه ظاهره وهو في الحقيقة على طرفي نقيض . ٩ الناظر : العين . يعني ان الفرق بينه وبين غيره ظاهر مثل الفرق بين النور والظلمة فينبغي ان لا يستويا في عين البصير . ١٠ الصمم : انسداد الاذن . يقول : قد شاع فضلي بين الناس ولم يبق فيهم الا من عرف مزيتي وبلغه ذكري حتى رأى ادبي من لا يميز الادب وسمع شعري من لا يعير الشعر اذناً .

أَنَامُ مِلْءَ جُفُونِي عَنْ شَوَارِدِهَا ... وَيَسْهَرُ ٱلْخَلْقُ جَرَّاهَا وَيَخْتَصِمُ ١

وَجَاهِلٍ مَدَّهُ فِي جَهْلِهِ ضَحِكِي ... حَتَّى أَتَتْهُ يَدٌ فَرَّاسَةٌ وَفَمُ ٢

إِذَا رَأَيْتَ نُيُوبَ ٱللَّيْثِ بَارِزَةً ... فَلَا تَظُنَّنَّ أَنَّ ٱللَّيْثَ يَبْتَسِمُ ٣

وَمُهْجَةٍ مُهْجَتِي مِنْ هَمِّ صَاحِبِهَا ... أَدْرَكْتُهَا بِجَوَادٍ ظَهْرُهُ حَرَمُ ٤

رِجْلَاهُ فِي ٱلرَّكْضِ رِجْلٌ وَٱلْيَدَانِ يَدٌ ... وَفِعْلُهُ مَا تُرِيدُ ٱلْكَفُّ وَٱلْقَدَمُ ٥

وَمُرْهَفٌ سِرْتُ بَيْنَ ٱلْجَحْفَلَيْنِ بِهِ ... حَتَّى ضَرَبْتُ وَمَوْجُ ٱلْمَوْتِ يَلْتَطِمُ ٦

اَلْخَيْلُ وَٱللَّيْلُ وَٱلْبَيْدَاءُ تَعْرِفُنِي ... وَٱلسَّيْفُ وَٱلرُّمْحُ وَٱلْقِرْطَاسُ وَٱلْقَلَمُ ٧

صَحِبْتُ فِي ٱلْفَلَوَاتِ ٱلْوَحْشَ مُنْفَرِدًا ... حَتَّى تَعَجَّبَ مِنِّي ٱلْقُورُ وَٱلْأَكَمُ ٨

يَا مَنْ يَعِزُّ عَلَيْنَا أَنْ نُفَارِقَهُمْ ... وِجْدَانُنَا كُلَّ شَيْءٍ بَعْدَكُمْ عَدَمُ ٩

مَا كَانَ أَخْلَقَنَا مِنْكُمْ بِتَكْرِمَةٍ ... لَوْ أَنَّ أَمْرَكُمُ مِنْ أَمْرِنَا أَمَمُ ١٠

---

١ ملء : نائب مفعول مطلق اي انام نوماً مالئاً جفوني . والضمير من شواردها للكلمات يريد الاشعار . وجراها بمعنى اجلها وسببها والاصلي من جراها فحذف الجار ونصب المجرور مفعولاً له . يقول : انام ملء جفوني عن شوارد الشعر لاني ادركها متى شئت على السهولة وغيري من الشعراء يسهرون في تحصيلها ويناوع بعضهم بعضاً على ما يظفرون به منها لعزته . ٢ مده : اي امهله وطول له . اي اغتر بضحكي واستخفافي فاسترسل في جهله حتى بطشت به . ٣ اي اذا كثر الاسد عن انيابه فليس ذلك تبسماً بل قصداً للافتراس . يريد انه اذا ابدى ابتسامه للجاهل فليس ذلك رضى منه . ٤ المهجة : الروح . ومهجتي : مبتدأ خبره الظرف . والهم : ما اهتممت به . والجواد : الفرس الكريم . والحرم : ما لا يحل انتهاكه . اي ورب مهجة من هم صاحبها اتلاف مهجتي ادركتها اي هذه المهجة بجواد من ركبه امن من ان يلحق فكأن ظهره حرم لا يدنو منه احد . ٥ اي انه لحسن مشيه واستوائه وقع قوائمه في الركض كأن رجليه رجل واحدة لانه يرفعهما ويضعهما معاً وكذا يداه وهو طوع لما يراد منه ففعله في السرعة ما تريد القدم لانه بها يستحث وفي المؤاتات ما تريد الكف لانه بها يعطف ويستوقف . ٦ المرهف : السيف الرقيق الحد وهو معطوف على ما قبله . والجحفل : الجيش الكثير . ٧ البيداء : الفلاة . ويروى في مكان تعرفني تشهد لي وفي مكان السيف والرمح الضرب والطعن وروى الواحدي والحرب والضرب . ٨ الفلوات : القفار . والقور ج قارة وهي الارض ذات الحجارة السوداء . ويروى الغور وهو المطمئن من الارض . والاكم ج اكمة وهي الجبل الصغير . ٩ اي اذا فارقناكم ووجدنا كل شيء فوجدانه والعدم سواء لانه لا يغني غناءكم احد ولا يخلفكم عندنا بدل . ١٠ اخلقنا : احرانا . وامم : قريب . يقول : ما كان احرانا ببركم وتكرمتكم لو كان امركم فيالاعتقاد لنا على نحو امرنا في الاعتقاد لكم اي لو تقارب ما بيننا بالحب لكرمتمونا لانا اهل للتكرمة .

إِنْ كَانَ سَرَّكُمُ مَا قَالَ حَاسِدُنَا ... فَمَا لِجُرْحٍ إِذَا أَرْضَاكُمُ أَلَمُ [١]
وَبَيْنَنَا لَوْ رَعَيْتُمْ ذَاكَ مَعْرِفَةٌ ... إِنَّ ٱلْمَعَارِفَ فِي أَهْلِ ٱلنُّهَى ذِمَمُ [٢]
كَمْ تَطْلُبُونَ لَنَا عَيْبًا فَيُعْجِزُكُمْ ... وَيَكْرَهُ ٱللهُ مَا تَأْتُونَ وَٱلْكَرَمُ [٣]
مَا أَبْعَدَ ٱلْعَيْبَ وَٱلنُّقْصَانَ مِنْ شَرَفِي ... أَنَا ٱلثُّرَيَّا وَذَانِ ٱلشَّيْبُ وَٱلْهَرَمُ [٤]
لَيْتَ ٱلْغَمَامَ ٱلَّذِي عِنْدِي صَوَاعِقُهُ ... يُزِيلُهُنَّ إِلَى مَنْ عِنْدَهُ ٱلدِّيَمُ [٥]
أَرَى ٱلنَّوَى يَقْتَضِينِي كُلَّ مَرْحَلَةٍ ... لَا تَسْتَقِلُّ بِهَا ٱلْوَخَّادَةُ ٱلرُّسُمُ [٦]
لَئِنْ تَرَكْنَ ضُمَيْرًا عَنْ مَيَامِنِنَا ... لَيَحْدُثَنَّ لِمَنْ وَدَّعْتُهُمْ نَدَمُ [٧]
إِذَا تَرَحَّلْتَ عَنْ قَوْمٍ وَقَدْ قَدَرُوا ... أَنْ لَا تُفَارِقَهُمْ فَٱلرَّاحِلُونَ هُمُ [٨]
شَرُّ ٱلْبِلَادِ مَكَانٌ لَا صَدِيقَ بِهِ ... وَشَرُّ مَا يَكْسِبُ ٱلْإِنْسَانُ مَا يَصِمُ [٩]

---

١ يقول : ان كان قد سركم ما قاله فينا الحاسد وتناولنا به عندكم من السعاية والقدح فنحن راضون بذلك تقرباً من رضاكم وميلاً الى ما يسركم فان الجرح الذي يرضيكم لا نجد له ألماً . ٢ بيننا : خبر مقدم عن معرفة . وقوله لو رعيتم ذاك اعتراض، والاشارة الى مضمون الجملة اي لو رعيتم ان بيننا معرفة . والنهى : العقول . والذمم : العهود . يقول : ان لم يكن بيننا ذمة يجب حفظها فان بيننا معرفة لو رعيتم حصولها لم ترضوا بضياعها فان المعارف عند ذوي العقول بمنزلة الذمم التي لا تضاع . ٣ قوله يكره الله استئناف . وتأتون : اي تفعلون . يقول : كم تطلبون ان تجدوا لي عيباً تعتذرون به في مقاطعتي فيعجزكم وجوده وهذا الذي تفعلونه يكرهه الله لانه اعتداء ويكرهه ما فيكم من الطبع الكريم لاني لم اقدم الا ما يوجب مكافأتي بالجميل . ٤ يقول : ما تلتمسونه فيّ من العيب والنقصان بعيد عني مثل بعد الشيب عن الثريا فما دامت الثريا لا تشيب ولا تهرم فانا لا يلحقني عيب ولا نقصان . ٥ الديم : الامطار . يشبه سيف الدولة بالغمام وسخطه بالصواعق وبره بالمطر . يقول : انالني سخطه واذاه وانال غيري رضاه وبره فليته يحيل هـذا الاذى الى من عنده ذاك البر فينتصف الفريقان . ٦ النوى : البعد . ويقتضيني اي يطالبني وعدّاه الى اثنين على تضمينه معنى يكلفني والوخادة : السريعة السير . والرسم جمع رسوم وهي الناقة التي تؤثر في الارض باخفافهـا . اي ارى البعد عنكم يكلفني ان اقطع كل مرحلة بعيدة لا تقوم بقطعها الابل السريعة الشديدة . ٧ اللام من قوله لئن موطئة لقسم محذوف، ومن قوله ليحدثن رابطة لجواب القسم . وضمير تركن للوخادة . وضُمَير : جبل عن يمين الراحل الى مصر من الشام . والمعنى لـئن لحقت ركابي بمصر ليندمن سيف الدولة على فراقي . ٨ اي اذا رحلت عن قوم وهم قادرون عـلى ارضائك حتى لا تضطر الى مفارقتهم فهم المختارون لفراقك فكأنهم هم الراحلون عنك . ٩ يصم : يعيب .

وَشَرُّ مَا قَنَصَتْهُ رَاحَتِي قَنَصٌ   شُهْبُ ٱلْبُزَاةِ سَوَاءٌ فِيهِ وَٱلرَّخَمُ [١]
بِأَيِّ لَفْظٍ تَقُولُ ٱلشِّعْرَ زِعْنِفَةٌ   تَجُوزُ عِنْدَكَ لَا عُرْبٌ وَلَا عَجَمُ [٢]
هٰذَا عِتَابُكَ إِلَّا أَنَّهُ مِقَةٌ   قَدْ ضُمِّنَ ٱلدُّرَّ إِلَّا أَنَّهُ كَلِمُ [٣]

ميزة شعره : عتاب ابي الطيب أشبه بمحاسبة ، فهو لا يتذلّل ولا ينكسر، بل يفخر بمزاياه في جرأة، ويقابلها بقلّة التفات المعاتَب، ويؤنّبه طالباً منه استدراك الامر . وليس في تأنيبه غلاظة، فهو يثق بمودّة من يعاتبه، ويودع لهجته أصفى عواطف الحبّ ، فيأتي عتابه مقنعاً، بعيد التأثير، شديد الروعة .

٢٠٣ لكل امرىء من دهره ما تعوّدا

[وقال يمدحه ويهنئه بعيد الاضحى سنة اثنتين واربعين وثلاث مئة، انشده اياها في ميدانه بحلب وهما على فرسيهما .]

لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِنْ دَهْرِهِ مَا تَعَوَّدَا   وَعَادَةُ سَيْفِ ٱلدَّوْلَةِ ٱلطَّعْنُ فِي ٱلْعِدَى
وَأَنْ يُكْذِبَ ٱلْإِرْجَافَ عَنْهُ بِضِدِّهِ   وَيُمْسِي بِمَا تَنْوِي أَعَادِيهِ أَسْعَدَا [٤]

---

١ الشهب جمع اشهب وهو ما فيه بياض يصدعه سواد . والرخم : طائر ضعيف . يشير الى تسوية سيف الدولة بينه وبين غيره من خساس الشعراء . يقول : اذا ساواني في اخذ مواهبك من لا قدر له فاي فضل لي عليه .   ٢ الزعنفة : الجماعة من الاوباش . وتجوز : من جواز الدرهم وهو رواجه، والجملة نعت، وعرّب نعت آخر . يقول : هؤلاء الاوباش من الشعراء باي لفظ يقولون الشعر وهم ليسوا عرباً لانهم ليست لهم فصاحة العرب ولا كلامهم اعجمي تفهمه الاعاجم اي انهم ليسوا شيئاً .   ٣ المقة : المحبة . والضمير من انه مقة للعتاب، ومن انه كلم للدر . يقول : هذا عتاب مني لك الا انه لا يخرج عن المودة والحب كما هي العادة في مثله وقد ضمنته الدر الا ان هذا الدر من درر الكلم .   ٤ ان يكذب : عطف على الطعن . والارجاف : الاكثار من الاخبار الكاذبة . اي وعادته ان يكذب ارجاف اعدائه عنه بضد ذلك الارجاف، اي انهم يرجفون بخذلانه وفشله فيكذبهم بنجاحه وظفره وهم ينوون معارضته فيتحككون به فيكون ذلك سبباً لتقدمه في السعادة لانه يؤتى الظفر عليهم ويملك رقابهم واموالهم فيصير اسعد مما كان .

وَرُبَّ مُرِيدٍ ضَرَّهُ ضَرَّ نَفْسَهُ وَهَادٍ إِلَيْهِ ٱلْجَيْشَ أَهْدَى وَمَا هَدَى ١
وَمُسْتَكْبِرٍ لَمْ يَعْرِفِ ٱللّٰهَ سَاعَةً رَأَى سَيْفَهُ فِي كَفِّهِ فَتَشَهَّدَا ٢
هُوَ ٱلْبَحْرُ غُصْ فِيهِ إِذَا كَانَ سَاكِنًا عَلَى ٱلدُّرِّ وَٱحْذَرْهُ إِذَا كَانَ مُزْبِدَا ٣
فَإِنِّي رَأَيْتُ ٱلْبَحْرَ يَعْثُرُ بِٱلْفَتَى وَهٰذَا ٱلَّذِي يَأْتِي ٱلْفَتَى مُتَعَمِّدَا ٤
تَظَلُّ مُلُوكُ ٱلْأَرْضِ خَاشِعَةً لَهُ تُفَارِقُهُ هَلْكَى وَتَلْقَاهُ سُجَّدَا ٥
وَتُحْيِي لَهُ ٱلْمَالَ ٱلصَّوَارِمُ وَٱلْقَنَا وَيَقْتُلُ مَا تُحْيِي ٱلتَّبَسُّمُ وَٱلْجَدَا ٦
ذَكِيٌّ تَظَنِّيهِ طَلِيعَةُ عَيْنِهِ يَرَى قَلْبُهُ فِي يَوْمِهِ مَا تَرَى غَدَا ٧
وَصُولٌ إِلَى ٱلْمُسْتَصْعَبَاتِ بِخَيْلِهِ فَلَوْ كَانَ قَرْنُ ٱلشَّمْسِ مَاءً لَأَوْرَدَا ٨
لِذٰلِكَ سَمَّى ٱبْنُ ٱلدُّمُسْتُقِ يَوْمَهُ مَمَاتًا وَسَمَّاهُ ٱلدُّمُسْتُقُ مَوْلِدَا ٩

---

١ مريد : اسم فاعل من اراد . وضره : مصدر ضر . وهاد : من الهداية وهو عطف على مريد. واهدى : من الهدية . يقول : رب عدو اراد ان يضره فضر نفسه بتعرضه لبأسه وقاد اليه الجيش على نية ان يوقع به فصار الجيش غنيمة له فكأنه اهدى اليه هدية . ٢ تشهّد : قال اشهد ان لا اله الا الله . يقول : رب كافر يستكبر عن الايمان بالله رآه والسيف في يده فجهر بالايمان خوفاً منه . ويحتمل ان يكون الضميران من سيفه و كفه عائدين على اسم الجلالة في صدر البيت اي انه لم يؤمن بالله حتى رأى سيفه الذي هو سيف الدولة مجرداً في يده تعالى على اعدائه . ٣ على الدرّ : اي لاجله . وازبد البحر : اذا قذف بالزبد عند جيشانه . يقول : هو موضع النفع والضرر فمن جاءه موادعاً فاز باحسانه ومن جاءه مغاضباً لم يأمن الهلكة فهو كالبحر اذا سكن امكن اتيانه والغوص على ما فيه من الجواهر وان ماج وازبد وجب التحذر منه . ٤ يقول : البحر يعثر براكبه اي يهلكه عن غير قصد وهذا يهلك اعداءه عن قصد وتعمد . ٥ يقول : من شاقه منهم وفارقه هلك ومن وادعه لقيه ساجداً لانه سيد الملوك . ٦ الصوارم : السيوف . والقنا : الرماح . والجدا : العطاء . يقول : ان السيوف والرماح تجمع له غنائم الاعداء والكرم يفرق ما جمعت . ٧ التظني : بمعنى الظن واصله التظنن فابدل . وطليعة الجيش : الربيئة تتقدم امامه تستطلع طلع العدو . والضمير في قوله ما ترى غدا للعين . يقول : ظنه لعينه بمنزلة الطليعة للجيش فهو يسبق عينه الى الاشياء فيرى قلبه منها في يومه ما ستراه عينه في غده . ٨ قرن الشمس : اول ما يبدو منها عند الطلوع . يقول : يصل بخيله الى الغايات البعيدة التي يتعذر الوصول اليها حتى لو كان قرن الشمس ماء لبلغه بخيله واوردها من ذلك الماء . ٩ يومه : اي اليوم الذي اسر فيه . والضمير من قوله سماه عائد الى اليوم . وقوله لذلك اي لاجل ما ذكرته في البيت السابق . يقول : لكون سيف الدولة على ما وصفت من الاقدام وثبات العزم في الطلب لم ينثن حتى رهق الدمستق وابنه ففر الدمستق جريحاً واخذ ابنه اسيراً ولذلك سمى الابن ذلك اليوم مماتاً لانه يئس فيه من الحياة وسمى ابوه ذلك اليوم مولداً لانه نجا فيه من مخالب المنية فكأنه خلق خلقاً جديداً .

سَرَيْتَ إِلَى جَيْحَانَ مِنْ أَرْضِ آمِدٍ ثَلَاثاً لَقَدْ أَدْنَاكَ رَكْضٌ وَأَبْعَدَا ١
فَوَلَّى وَأَعْطَاكَ ٱبْنَهُ وَجُيُوشَهُ جَمِيعاً وَلَمْ يُعْطِ ٱلْجَمِيعَ لِيُحْمَدَا ٢
عَرَضْتَ لَهُ دُونَ ٱلْحَيَاةِ وَطَرْفِهِ وَأَبْصَرَ سَيْفَ ٱللهِ مِنْكَ مُجَرَّدَا ٣
وَمَا طَلَبَتْ زُرْقُ ٱلْأَسِنَّةِ غَيْرَهُ وَلٰكِنَّ قُسْطَنْطِينَ كَانَ لَهُ ٱلْفِدَى ٤
فَأَصْبَحَ يَجْتَابُ ٱلْمُسُوحَ مَخَافَةً وَقَدْ كَانَ يَجْتَابُ ٱلدِّلَاصَ ٱلْمُسَرَّدَا ٥
وَيَمْشِي بِهِ ٱلْعُكَّازُ فِي ٱلدَّيْرِ تَائِباً وَمَا كَانَ يَرْضَى مَشْيَ أَشْقَرَ أَجْرَدَا ٦
وَمَا تَابَ حَتَّى غَادَرَ ٱلْكَرُّ وَجْهَهُ جَرِيحاً وَخَلَّى جَفْنَهُ ٱلنَّقْعُ أَرْمَدَا ٧
فَلَوْ كَانَ يُنْجِي مِنْ عَلِيٍّ تَرَهُّبٌ تَرَهَّبَتِ ٱلْأَمْلَاكُ مَثْنَى وَمَوْحَدَا ٨
وَكُلُّ ٱمْرِئٍ فِي ٱلشَّرْقِ وَٱلْغَرْبِ بَعْدَهُ يُعِدُّ لَهُ ثَوْباً مِنَ ٱلشَّعْرِ أَسْوَدَا ٩

---

١ جيحان : نهر بالعواصم . وآمد : بلد بالثغور . وقوله ثلاثاً : اي ثلاث ليال . يقول : بلغت جيحان من ارض آمد بسرى ثلاث ليالٍ وهي مسافة لا يقطعها احد في هذه المدة فقد ادناك الركض من جيحان على بعده من محل قيامك وابعدك عن آمد على قرب عهدك بمفارقتها .
٢ يقول : انهزم وترك هؤلاء اسرى في يدك ولم يعطك اياهم يبتغي الحمد بذلك لانه تركهم عجزاً لا اختياراً . ٣ عرضت له : اي ظهرت واعترضت . والطرف : النظر . وقوله منك تجريد . يقول : ظهرت له واعترضت بينه وبين الحياة لانه ايقن بحلول منيته وملكت طرفه عليه لانك ملأت عينه منك وشغلتها بتوقع بطشك فلم يرَ مما حوله شيئاً سواك وقد ابصر منك سيف الله مجرداً عليه .
٤ الاسنة : نصال الرماح . يقول : لم تكن الرماح موجهة الا اليه ولكنه انهزم عند اشتغال الجيش بأسر ابنه فنجا بنفسه وذهب ابنه فدى عنه . ٥ يجتاب : يلبس . والمسوح : ثياب من الشعر . والدلاص : اللين البراق توصف به الدرع . والمسرّد : المنسوج . وذكر الوصف على لغة من يذكر الدرع . اي ترك الحرب خوفاً منك وترهب فصار يلبس المسوح بعد ان كان يلبس الدرع . ٦ العكاز : عصا في طرفها زجّ . وقوله مشي اشقر : اي من الخيل . والاجرد : القصير الشعر . اي اقام في دير الرهبان وصار يمشي على العكاز تائباً من الحرب بعد ما كان لا يرضى مشي الجواد الاشقر وهو اسرع الخيل عند العرب . ٧ غادر : ترك . والكر : عطف القرن على قرنه في الحرب . والنقع : غبار الحوافر . يقول : ما ترك الحرب الا بعد ان ترك كر الفرسان وجهه جريحاً وزجته الخيل حتى رمدت جفونه من شدة الغبار فرجع عن القتال مقهوراً .
٨ الاملاك : الملوك . يقول : ان ترهبه لا ينجيه من سيف الدولة، ولو كان الترهب نجاة منه لترهب سائر الملوك اثنين اثنين وواحداً واحداً . ٩ يقول ، وهو تابع لجواب الشرط : ولكان كل امرىء من اعداء سيف الدولة يعد له مسحاً يترهب فيه فينجو من يده .

هَنِيئاً لَكَ ٱلْعِيدُ ٱلَّذِي أَنْتَ عِيدُهُ ... وَعِيدٌ لِمَنْ سَمَّى وَضَحَّى وَعَيَّدَا ١

وَلَا زَالَتِ ٱلْأَعْيَادُ لُبْسَكَ بَعْدَهُ ... تُسَلِّمُ مَخْرُوقاً وَتُعْطَى مُجَدَّدَا ٢

فَذَا ٱلْيَوْمُ فِي ٱلْأَيَّامِ مِثْلُكَ فِي ٱلْوَرَى ... كَمَا كُنْتَ فِيهِمْ أَوْحَداً كَانَ أَوْحَدَا

هُوَ ٱلْجَدُّ حَتَّى تَفْضُلَ ٱلْعَيْنُ أُخْتَهَا ... وَحَتَّى يَكُونَ ٱلْيَوْمُ لِلْيَوْمِ سَيِّدَا ٣

فَيَا عَجَباً مِنْ دَائِلٍ أَنْتَ سَيْفُهُ ... أَمَا يَتَوَقَّى شَفْرَتَيْ مَا تَقَلَّدَا ٤

وَمَنْ يَجْعَلِ ٱلضِّرْغَامَ لِلصَّيْدِ بَازَهُ ... تَصَيَّدَهُ ٱلضِّرْغَامُ فِيمَا تَصَيَّدَا ٥

رَأَيْتُكَ مَحْضَ ٱلْحِلْمِ فِي مَحْضِ قُدْرَةٍ ... وَلَوْ شِئْتَ كَانَ ٱلْحِلْمُ مِنْكَ ٱلْمُهَنَّدَا ٦

وَمَا قَتَلَ ٱلْأَحْرَارَ كَٱلْعَفْوِ عَنْهُمُ ... وَمَنْ لَكَ بِٱلْحُرِّ ٱلَّذِي يَحْفَظُ ٱلْيَدَا ٧

إِذَا أَنْتَ أَكْرَمْتَ ٱلْكَرِيمَ مَلَكْتَهُ ... وَإِنْ أَنْتَ أَكْرَمْتَ ٱللَّئِيمَ تَمَرَّدَا ٨

---

١ هنيئاً : حال من العيد محذوفة العامل اي ثبت لك هنيئاً ثم حذف الفعل فارتفع فاعله بها . وسمّى : ذكر اسم الله يعني عند ذبح الضحايا . يقول : انت عيد لهذا العيد لانه يبتهج بك ابتهاج الناس بالعيد وانت عيد لكل مسلم . ٢ اللبس : بالضم ما يلبس استعاره للاعياد فاجراها مجرى الملبوسات. يقول : لا زلت تستدبر العيد القديم فتستقبل الجديد . ٣ هو : ضمير الشأن اخبر عنه بمفرد . والجد : الحظ والبخت . وحتى في الشطرين ابتدائية . يقول : الحظ يفرق بين الشيء ومـا يساويه فيجعل لاحدهما مزية على الآخر حتى لقد يقع التفاضل بين العين واختهـا بان تصح احداهما وتسقم الاخرى ويكون لاحد اليومين شرف على الآخر حتى يكون منه بمنزلة السيد من المسود . يعني ان يوم العيد ليس الا واحداً من ايام السنة لكن ميزه الجد من بينها فجعله يوم فرح وسرور . ٤ الدائل : ذو الدولة يريد به الخليفة . وشفرة السيف : حده . يقول : تقلدك الخليفة سيفاً له يقطع بك دابر اعدائه أفما يخشى ان تكون سيفاً عليه فيتوقى بأسك ويحذرك على نفسه . ٥ الضرغام : الاسد . يقول : من اتخذ الاسد بازا يصيد به لم يأمن ان يجعله الاسد من جملة صيده فيذهب فريسة له . ٦ المحض : الخالص . والمهند : السيف الهندي . يقول : رأيتك خالص الحلم في قدرة خالصة لا يشوبها عجز ولا تقصير ولو شئت ان تجعـل السيف مكان الحلم لفعلت . ٧ الحرية هنا بمعنى الكرم . والكاف من قوله كالعفو اسم بمنزلة مثل ، فاعل قتل . ومن لي بكذا : من يكفل لي به ونحوه . واليد : النعمة . يقول : ما قتل الكريم شيء مثل العفو عنه لانك متى قدرت عليه لم يبق بينه وبين القتل الا امضاء قدرتك فيه فكأنك قتلته ثم يكون الرجوع عن هذه القدرة نعمة عليه تسترقه بها فكان ذلك ابلغ في قتله . ثم استدرك في عجز البيت فذكر قلة وجود من يحفظ هـذه النعمة ويستحقها . ٨ انت : في الشطرين فاعل لفعل محذوف يفسره المذكور . والبيت تأكيـد لما سبقه .

وَوَضْعُ ٱلنَّدَى فِي مَوْضِعِ ٱلسَّيْفِ بِٱلْعُلَى ... مُضِرٌّ كَوَضْعِ ٱلسَّيْفِ فِي مَوْضِعِ ٱلنَّدَى ١
وَلٰكِنْ تَفُوقُ ٱلنَّاسَ رَأْيًا وَحِكْمَةً ... كَمَا فُقْتَهُمْ حَالًا وَنَفْسًا وَمَحْتِدَا ٢
يَدِقُّ عَلَى ٱلْأَفْكَارِ مَا أَنْتَ فَاعِلٌ ... فَيُتْرَكُ مَا يَخْفَى وَيُؤْخَذُ مَا بَدَا ٣
أَزِلْ حَسَدَ ٱلْحُسَّادِ عَنِّي بِكَبْتِهِمْ ... فَأَنْتَ ٱلَّذِي صَيَّرْتَهُمْ لِي حُسَّدَا ٤
إِذَا شَدَّ زَنْدِي حُسْنُ رَأْيِكَ فِيهِمِ ... ضَرَبْتُ بِسَيْفٍ يَقْطَعُ ٱلْهَامَ مُغْمَدَا ٥
وَمَا أَنَا إِلَّا سَمْهَرِيٌّ حَمَلْتَهُ ... فَزَيَّنَ مَعْرُوضًا وَرَاعَ مُسَدَّدَا ٦
وَمَا ٱلدَّهْرُ إِلَّا مِنْ رُوَاةِ قَصَائِدِي ... إِذَا قُلْتُ شِعْرًا أَصْبَحَ ٱلدَّهْرُ مُنْشِدَا ٧
فَسَارَ بِهِ مَنْ لَا يَسِيرُ مُشَمِّرًا ... وَغَنَّى بِهِ مَنْ لَا يُغَنِّي مُغَرِّدَا ٨
أَجِزْنِي إِذَا أُنْشِدْتَ شِعْرًا فَإِنَّمَا ... بِشِعْرِي أَتَاكَ ٱلْمَادِحُونَ مُرَدَّدَا ٩

١ الندى : الجود . وبالعلى صلة مضر . يقول : ينبغي ان يوضع كل من المحاسنة والمخاشنة في موضعه فلا يعامل المسيء بالثواب لان ذلك يبعثه على التمادي في الاساءة ويجرىء غيره عليها ولا يعامل المحسن بالعقاب لان ذلك يوهن اسباب الاحسان ويقلل الاولياء وكلا الامرين مضر بالعلى هادم لاركان الدولة . ٢ المحتد : الاصل . والمنصوبات في البيت، تمييز . يقول : انت اعرف بمواقع الاساءة والاحسان لانك فوق الناس في الرأي والحكمة فلا تُعارض آراؤك بآرائهم كما انت فوقهم في بقية الامور المذكورة فلا يضاهيك فيها احد منهم . ٣ بدا : ظهر . يقول : ان ما تفعله ادق من ان تستوضحه الافكار فهي تتناول ما ظهر لها منه فتجول فيه وتترك ما خفي منه لرأيك لانها لا تصل اليه . ٤ كبته : اذله . والباء متعلقة بازل . يقول : انت صيرتهم حاسدين لي بما افضت علي من نعمتك واحسانك فاصرف شر حسدهم عني باذلالهم ورد كيدهم عليهم . ٥ فيهم : صلة رأيك . والهام : الرؤوس . يقول : اذا قويت ساعدي بحسن رأيك فيهم اي اذا آنست منك انحرافاً عنهم كفاهم ذلك خذلانا بين يدي حتى لو ضربتهم بسيفي وهو في غمده لقطع . ٦ السمهري : الرمح . ومعروضاً : محمولاً بالعرض وذلك حين لا يقصد به الطعن . وراع : خوف . ومسدّدا : موجهاً الى المطعون . يقول : انا لك كالرمح ان حملته معروضاً زينك وان حملته مسددا راع اعداءك، اي انا حلية لك ازينك بمدحي اياك وابرازي مناقبك وعدة على اعدائك اكيدهم بقوارع لساني . ٧ ويروى قلائدي : يريد ان قصائده في الحسن كقلائد الجوهر . يقول : الدهر من حملة شعري لان الالسنة لا تزال تتناقله على مر الاوقات حتى كأن الدهر كله انسان ينشد قصائدي . ٨ مشمّراً : حال من الموصول قبله، وكذا مغرّداً في الشطر الثاني . اي لحسن شعره اولع الناس بحفظه وروايته فسيره في الآفاق من لا يسير من مكانه، وغنى به من لا عادة له بالغناء لشدة طربه واهتزازه به . ٩ اجزني : من الجائزة . ومردداً : حال من شعري . يقول : اذا انشدك شاعر شعراً فاجعل جائزته لي لان الذي أنشدته هو شعري اتاك به المادحون يرددونه عليك والمعنى انهم يسلخون معاني اشعاري فيك ويأخذون الفاظي فيأتونك بها .

وَدَعْ كُلَّ صَوْتٍ غَيْرَ صَوْتِي فَإِنَّنِي ... أَنَا ٱلطَّائِرُ ٱلْمَحْكِيُّ وَٱلْآخَرُ ٱلصَّدَى [١]

تَرَكْتُ ٱلسُّرَى خَلْفِي لِمَنْ قَلَّ مَالُهُ ... وَأَنْعَلْتُ أَفْرَاسِي بِنُعْمَاكَ عَسْجَدَا [٢]

وَقَيَّدْتُ نَفْسِي فِي ذَرَاكَ مَحَبَّةً ... وَمَنْ وَجَدَ ٱلْإِحْسَانَ قَيْدًا تَقَيَّدَا [٣]

إِذَا سَأَلَ ٱلْإِنْسَانُ أَيَّامَهُ ٱلْغِنَى ... وَكُنْتَ عَلَى بُعْدٍ جَعَلْنَكَ مَوْعِدَا [٤]

ميزة شعره : تمتاز مدائح المتنبي بما فيها من الخبرة بالاخلاق والحياة العامة، والتصوير الرائع للصفات التي يتمناها لنفسه كل ممدوح، وعلو النفس في المقاطع الملحمية، وشدة الجرس الموسيقي . وان هذه الحالات تغطي ما هنالك من مغالاة وتسمو بالقصيدة كلها الى جوّ رفيع قويّ التأثير، تدوّي فيه أبيات مسكوكة سكاً تنطلق انطلاق السهام .

٢٠٤ على قدر اهل العزم

[وقال يمدحه ايضاً ويذكر بناءه ثغر الحدث سنة ثلاث واربعين وثلاث مئة .]

عَلَى قَدْرِ أَهْلِ ٱلْعَزْمِ تَأْتِي ٱلْعَزَائِمُ ... وَتَأْتِي عَلَى قَدْرِ ٱلْكِرَامِ ٱلْمَكَارِمُ [٥]

وَتَعْظُمُ فِي عَيْنِ ٱلصَّغِيرِ صِغَارُهَا ... وَتَصْغُرُ فِي عَيْنِ ٱلْعَظِيمِ ٱلْعَظَائِمُ [٦]

يُكَلِّفُ سَيْفُ ٱلدَّوْلَةِ ٱلْجَيْشَ هَمَّهُ ... وَقَدْ عَجَزَتْ عَنْهُ ٱلْجُيُوشُ ٱلْخَضَارِمُ [٧]

---

١ يقول: لا تبال بشعر غير شعري فانّ شعري هو الاصل وغيره حكاية له كالصدى الذي يحكى به صوت الصائح . ٢ السّرى : مشي الليل . وخلفي : متعلق بتركت . والعسجد : الذهب، وهو مفعول ثانٍ لانعلت . يقول : استغنيت عن السرى بوصولي اليك فتركته خلفي لمن احوجه الفقر اليه واثريت بنعمتك حتى لو شئت لانعلت افراسي بالذهب . ٣ الذرا : الستر والكنف . ومحبة : مفعول له . يقول : الزمت نفسي المقام عندك حباً لك لانك قيدتني باحسانك، ونعم القيد الاحسان . ٤ ايامه والغنى : مفعولا سأل . اي اذا طلب الانسان من دهره ان يغنيه وكنت بعيداً عنه وعده بالغنى عند وصوله اليك . ٥ العزيمة : بمعنى العزم . والمكرمة : اسم من الكرم . يقول : ان العزائم والمكارم تأتي على اقدار فاعليها ويقاس مبلغها بمبلغهم فهي تكون عظيمة حيث يكونون هم عظاماً . ٦ الضمير من صغارها للعزائم والمكارم . يقول : ان الصغير منها يعظم في عين الصغير القدر لانه يملأ ذرعه والعظيم يصغر في عين العظيم القدر لان في همته فضلة عنه . ٧ الهم : ما هممت به من امر . والخضارم جمع خضرم : وهو الكثير من كل شيء . يقول : يكلف جيشه ان يقوم بما اقتضت همته من الغزوات والفتوح وهو امر تعجز عنه الجيوش الكثيرة لان ما في همته ليس في طاقة البشر تحمله .

وَيَطْلُبُ عِنْدَ ٱلنَّاسِ مَا عِنْدَ نَفْسِهِ ... وَذَلِكَ مَا لَا تَدَّعِيهِ ٱلضَّرَاغِمُ [١]
يُفَدِّي أَتَمُّ ٱلطَّيْرِ عُمْرًا سِلَاحَهُ ... نُسُورُ ٱلْفَلَا أَحْدَاثُهَا وَٱلْقَشَاعِمُ [٢]
وَمَا ضَرَّهَا خَلْقٌ بِغَيْرِ مَخَالِبٍ ... وَقَدْ خُلِقَتْ أَسْيَافُهُ وَٱلْقَوَائِمُ [٣]
هَلِ ٱلْحَدَثُ ٱلْحَمْرَاءُ تَعْرِفُ لَوْنَهَا ... وَتَعْلَمُ أَيُّ ٱلسَّاقِيَيْنِ ٱلْغَمَائِمُ [٤]
سَقَتْهَا ٱلْغَمَامُ ٱلْغُرُّ قَبْلَ نُزُولِهِ ... فَلَمَّا دَنَا مِنْهَا سَقَتْهَا ٱلْجَمَاجِمُ [٥]
بَنَاهَا فَأَعْلَى وَٱلْقَنَا يَقْرَعُ ٱلْقَنَا ... وَمَوْجُ ٱلْمَنَايَا حَوْلَهَا مُتَلَاطِمُ [٦]
وَكَانَ بِهَا مِثْلُ ٱلْجُنُونِ فَأَصْبَحَتْ ... وَمِنْ جُثَثِ ٱلْقَتْلَى عَلَيْهَا تَمَائِمُ [٧]
طَرِيدَةُ دَهْرٍ سَاقَهَا فَرَدَدْتَهَا ... عَلَى ٱلدِّينِ بِٱلْخَطِّيِّ وَٱلدَّهْرُ رَاغِمُ [٨]

---

١ الضراغم : الاسود . يقول : يطلب ان يكون عند جيشه واصحابه مثل ما عنده من الشجاعة والاقدام وذلك شيء لا تدعيه الاسود فكيف تبلغه البشر . ٢ فداه : قال له افديك . ونسور الفلا : بدل من اتم الطير . والفلا جمع فلاة : وهي الصحراء . واحداثها : صغارها وهو بدل تفصيل من نسور . والقشاعم : المسنة منها . اراد بأتمّ الطير عمراً النسور كما فسرها في الشطر الثاني . يقول : ان النسور صغارها و كبارها تقول لاسلحته نفديك بانفسنا ، لانها كفتها التعب في طلب القوت . ٣ ما : نفي او استفهام انكار . والقوائم جمع قائم . وقائم السيف : مقبضه . يقول : ما ضر النسور لو خلقت بغير مخالب بعد ان خلقت سيوفه لتقتل بها اعداؤه ومقابضها لتكون في ايدي رجاله . يعني ان سيوفه تغنيها عن طلب الصيد فلا تحتاج الى المخالب . ٤ الحدث : قلعة بناها سيف الدولة في بلاد الروم وكانوا قد غلبوا عليها وتحصنوا بها فاتاهم سيف الدولة وقتلهم فيها فتلطخت بدمائهم ولذلك وصفها بالحمراء . يقول : هل تعرف هذه القلعة لونها الاول اي قبل ان لونت بالدم وهل تعلم اي الساقيين لها هو الغمائم ، اجماجم الروم التي سقتها بالدم ام السحائب التي سقتها قبل ذلك بالمطر . يعني ان الجماجم اجرت عليها من الدماء مثل ما اجرت عليها السحائب من الماء فهي لا تعلم اي هذين الفريقين احق بان يسمى بالغمائم لانهما استويا في السقي . وقد فسر هذا المعنى في البيت التالي . ٥ الغمام جمع غمامة . والغر : البيض . ٦ فأعلى : فأعلاها . والقنا : عيدان الرماح . يقول : بناها ورماحه تقارع رماح العدو وقد كثر القتل حولها حتى كانت المنايا كبحر يتلاطم موجه . ٧ مثل : اسم كان هو خلف من موصوف اي شيء مثل الجنون . واصبحت تام ، والواو بعده للحال . والتمائم جمع تميمة ، وهي العوذة يتوقون بها مس الجن . اراد بما كان بها مثل الجنون اضطراب الفتنة من الروم الذين كانوا يأتونها ويحاربون اهلها فلما قتلهم سيف الدولة علق القتلى على حيطانها كما تعلق التمائم على المجنون فسكنت الفتنة . ٨ الطريدة : ما طردته من صيد او غيره والتاء فيها للاسمية . والخطي : الرمح . وراغم : ذليل . يقول : كانت هذه القلعة كالطريدة امام الدهر تعقبتها حوادثه بان سلطت عليها الروم يهاجمونها مرة بعد اخرى حتى دفعتهم عنها بالرماح ورددتها على رغم الدهر .

تُفِيتُ ٱللَّيَالِي كُلَّ شَيْءٍ أَخَذْتَهُ ... وَهُنَّ لِمَا يَأْخُذْنَ مِنْكَ غَوَارِمُ ١
إِذَا كَانَ مَا تَنْوِيهِ فِعْلًا مُضَارِعًا ... مَضَى قَبْلَ أَنْ تُلْقَى عَلَيْهِ ٱلْجَوَازِمُ ٢
وَكَيْفَ تُرَجِّي ٱلرُّومُ وَٱلرُّوسُ هَدْمَهَا ... وَذَا ٱلطَّعْنُ آسَاسٌ لَهَا وَدَعَائِمُ ٣
وَقَدْ حَاكَمُوهَا وَٱلْمَنَايَا حَوَاكِمٌ ... فَمَا مَاتَ مَظْلُومٌ وَلَا عَاشَ ظَالِمُ ٤
أَتَوْكَ يَجُرُّونَ ٱلْحَدِيدَ كَأَنَّمَا ... سَرَوْا بِجِيَادٍ مَا لَهُنَّ قَوَائِمُ ٥
إِذَا بَرَقُوا لَمْ تُعْرَفِ ٱلْبِيضُ مِنْهُمُ ... ثِيَابُهُمُ مِنْ مِثْلِهَا وَٱلْعَمَائِمُ ٦
خَمِيسٌ بِشَرْقِ ٱلْأَرْضِ وَٱلْغَرْبِ زَحْفُهُ ... وَفِي أُذُنِ ٱلْجَوْزَاءِ مِنْهُ زَمَازِمُ ٧
تَجَمَّعَ فِيهِ كُلُّ لِسْنٍ وَأُمَّةٍ ... فَمَا يُفْهِمُ ٱلْحُدَّاثَ إِلَّا ٱلتَّرَاجِمُ ٨

---

١ أفاته الشيء: حمله على فوته، وفاعل تفيت ضمير المخاطب. والليالي: مفعول اول وسكنه ضرورة. وكل: مفعول ثانٍ. وغرم الدين والغصب وغير ذلك: اداه. يقول: اذا سلبت الليالي شيئاً اكرهتها على فوته لانها لا تقدر على استرداده منك وهي اذا اخذت منك شيئاً غرمته لانك تلزمها غرامته. والمعنى انت اقوى من الدهر فلا يقدر على مغالبتك لان سعدك يغلب حوادثه.

٢ اراد بالمضارع المستقبل. اي اذا نويت ان تفعل امراً وقع ذلك الفعل لوقته فصار ماضياً قبل ان تكون فيه مهلة لدخول الجازم. وخص ادوات الجزم من عوامل المضارع لانها لغير الايجاب فان منها للنفي وهو لم ولما ومنها للطلب وهو لا واللام وبواقيها للشرط. فكأنه يقول: اذا هممت بامر عاجلته قبل ان يقول القائل لا تفعل كذا وكذا ولم تنتظر ان يقدر فيه شرط او جزاء لان ما تنويه لا يتوقف على شرط ولا تخاف وراءه عاقبة.

٣ الضمير من هدمها للقلعة. وآساس جمع أس. يقول: كيف يرجون ان يهدموها وهي موثقة بالطعن كما توثق بالاساس والدعائم.

٤ جعل القلعة والروم خصمين والمنايا في الحرب حاكمة بينهما فحكمت للمظلوم وهو القلعة بالسلامة فلم تترك لهم سبيلاً الى هدمها وحكمت على الظالم وهو الروم بالهلاك فابادتهم.

٥ السرى: سير الليل. والجياد: الخيل. يقول: اتوا مدججين في السلاح يجرونه على جوانب الخيل حتى غابت قوائمها تحت الاسلحة والتجافيف التي عليها فكأنها بلا قوائم.

٦ البيض: السيوف. يقول: اذا برقوا عند وقع الشمس عليهم لم تتميز السيوف منهم لان ابدانهم مغطاة بالدروع ورؤوسهم بالخوذ وكلها من الحديد فاذا برقت السيوف برقت هذه معها. وعبر عن الدروع والخوذ بالثياب والعمائم على الاستعارة لانها تلبس في امكنتها.

٧ الخميس: الجيش وهو خبر عن محذوف اي هم خميس. وزحف الجيش: اذا مشى متثاقلاً لكثرته. والجوزاء: نجمان معترضان في جوز السماء اي وسطها وهما من البروج. والزمازم جمع زمزمة: وهي صوت الرعد اراد بها الاصوات الشديدة المتداخلة. يعني ان جيشهم طبق الارض وبلغت جلبته الى السماء.

٨ اللسن: بالكسر، اللغة. والحدّاث: القوم المتحدثون. والتراجم جمع ترجمان.

فَلِلّٰهِ وَقْتٌ ذَوَّبَ ٱلْغِشَّ نَارُهُ   فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا صَارِمٌ أَوْ ضُبَارِمُ ١
تَقَطَّعَ مَا لَا يَقْطَعُ ٱلدِّرْعَ وَٱلْقَنَا   وَفَرَّ مِنَ ٱلْفُرْسَانِ مَنْ لَا يُصَادِمُ ٢
وَقَفْتَ وَمَا فِي ٱلْمَوْتِ شَكٌّ لِوَاقِفٍ   كَأَنَّكَ فِي جَفْنِ ٱلرَّدَى وَهْوَ نَائِمُ ٣
تَمُرُّ بِكَ ٱلْأَبْطَالُ كَلْمَى هَزِيمَةً   وَوَجْهُكَ وَضَّاحٌ وَثَغْرُكَ بَاسِمُ ٤
تَجَاوَزْتَ مِقْدَارَ ٱلشَّجَاعَةِ وَٱلنُّهَى   إِلَى قَوْلِ قَوْمٍ أَنْتَ بِٱلْغَيْبِ عَالِمُ ٥
ضَمَمْتَ جَنَاحَيْهِمْ عَلَى ٱلْقَلْبِ ضَمَّةً   تَمُوتُ ٱلْخَوَافِي تَحْتَهَا وَٱلْقَوَادِمُ ٦
بِضَرْبٍ أَتَى ٱلْهَامَاتِ وَٱلنَّصْرُ غَائِبٌ   وَصَارَ إِلَى ٱللَّبَّاتِ وَٱلنَّصْرُ قَادِمُ ٧
حَقَرْتَ ٱلرُّدَيْنِيَّاتِ حَتَّى طَرَحْتَهَا   وَحَتَّى كَأَنَّ ٱلسَّيْفَ لِلرُّمْحِ شَاتِمُ ٨

---

١ لله: كلمة تقال عند التعجب. والغش: ما يدخل على المعادن من الحملان، واراد به ما لا خير فيه من الرجال والسلاح. والصارم: السيف القاطع. والضبارم: الشجاع الجريء. يقول: ان نار الحرب في ذلك اليوم سبكت الناس واسلحتهم فافنت ما كان رديئاً ولم يبق الا كل سيف صارم ورجل شجاع. ٢ يقول: تكسر من السيوف ما لم يكن ماضياً يقطع الدروع والرماح وفر من الفرسان الجبان الذي لا يطيق الصدام. ٣ الردى: الهلاك. يقول: وقفت في ساحة القتال حين لا يشك واقف في الموت لشدة الموقف وكثرة المصارع فيه حتى كأنك في جفن الردى اي في اقرب المواضع خطراً منه واشدها اشتمالاً عليك وكأن الردى نائم فلم يبصرك وغفل عنك بالنوم فسلمت. ٤ كلمى جمع كليم: اي جريح. هزيمة: منهزمة. وضاح: مشرق. والثغر: مقدم الفم. ٥ النهى: العقل. يقول: قد اظهرت من الاقدام على المهالك ومن الصبر على المخاوف ما تجاوزت به مبلغ الشجاعة والعقل الى ما يقوله قوم من انك تعلم الغيب وتعرف عواقب الامور قبل حلولها. يعني ان ما اقتحمته من الاهوال لا تثبت امامه شجاعة وما اظهرته من الصبر وسكون الجأش لا يكفي في مثله العقل والتزن فكأنك قد كوشفت بالغيب وعرفت ان العاقبة لك فلبثت في تلك الحال متهلل الوجه محتقراً لما تراه حولك من العظائم. ٦ الجناحان: ميمنة الجيش وميسرته. وقلبه: الكتيبة في وسطه. والخوافي والقوادم: من ريش الطائر، استعارها لرجال الجناحين. والمعنى اهلكتهم جميعاً. ٧ بضرب: الباء متعلقة بضممت. والهامات: الرؤوس. واللبات: اعالي الصدور. يريد سرعة انتصاره عليهم اي لم يكن الا حملة بالسيوف وقعت على هاماتهم والجيشان واقفان لا يتحقق النصر لاحدهما فما بلغت من الهامات الى اللبات حتى انهزموا فكان النصر لك. ٨ الردينيات: الرماح. يقول: ازدريت الرماح لانها سلاح الجبناء فتركت القتال بها وعمدت الى السيف وهو سلاح الشجعان لاقتضائه المقاربة بين الفريقين ولما اخترت السيف على الرمح صار كأن السيف يشتم الرمح تعييراً له.

وَمَنْ طَلَبَ ٱلْفَتْحَ ٱلْجَلِيلَ فَإِنَّمَا   مَفَاتِيحُهُ ٱلْبِيضُ ٱلْخِفَافُ ٱلصَّوَارِمُ [١]
نَثَرْتَهُمُ فَوْقَ ٱلْأُحَيْدِبِ كُلِّهِ   كَمَا نُثِرَتْ فَوْقَ ٱلْعَرُوسِ ٱلدَّرَاهِمُ [٢]
تَدُوسُ بِكَ ٱلْخَيْلُ ٱلْوُكُورَ عَلَى ٱلذُّرَى   وَقَدْ كَثُرَتْ حَوْلَ ٱلْوُكُورِ ٱلْمَطَاعِمُ [٣]
تَظُنُّ فِرَاخُ ٱلْفُتْخِ أَنَّكَ زُرْتَهَا   بِأُمَّاتِهَا وَهْيَ ٱلْعِتَاقُ ٱلصَّلَادِمُ [٤]
إِذَا زَلِقَتْ مَشَّيْتَهَا بِبُطُونِهَا   كَمَا تَتَمَشَّى فِي ٱلصَّعِيدِ ٱلْأَرَاقِمُ [٥]
أَفِي كُلِّ يَوْمٍ ذَا ٱلدُّمُسْتُقُ مُقْدِمٌ   قَفَاهُ عَلَى ٱلْإِقْدَامِ لِلْوَجْهِ لَائِمُ [٦]
أَيُنْكِرُ رِيحَ ٱللَّيْثِ حَتَّى يَذُوقَهُ   وَقَدْ عَرَفَتْ رِيحَ ٱللُّيُوثِ ٱلْبَهَائِمُ [٧]
وَقَدْ فَجَعَتْهُ بِٱبْنِهِ وَٱبْنِ صِهْرِهِ   وَبِٱلصِّهْرِ حَمْلَاتُ ٱلْأَمِيرِ ٱلْغَوَاشِمُ [٨]
مَضَى يَشْكُرُ ٱلْأَصْحَابَ فِي فَوْتِهِ ٱلظُّبَى   لِمَا شَغَلَتْهَا هَامُهُمْ وَٱلْمَعَاصِمُ [٩]
وَيَفْهَمُ صَوْتَ ٱلْمَشْرَفِيَّةِ فِيهِمِ   عَلَى أَنَّ أَصْوَاتَ ٱلسُّيُوفِ أَعَاجِمُ [١٠]

---

١ البيض الصوارم : السيوف القاطعة . والضمير من مفاتيحه، للفتح .   ٢ الاحيدب : جبل الحدث . يقول : تبعتهم على هذا الجبل وبددت جثثهم فوقه كما تبدد الدراهم التي تنثر على العروس .
٣ الوكور جمع وكر . ووكر الطائر : موضع مبيته . والذرى : اعالي الجبال . يقول : تبعتهم بخيلك في رؤوس الجبال حيث تكون وكور جوارح الطير فقتلتهم هناك حتى كثرت مطاعم الطير حول وكورها .   ٤ الفتخ جمع فتخاء . وهي من العقبان : اللينة الجناح . والامات جمع ام . يقال : امهات للعقلاء وأمات لغيرهم . والعتاق : كرام الخيل . والصلادم : الشداد . يقول : تظن فراخ العقبان ان هذه الخيل اماتها لما صعدت بها الجبال وبلغت اوكارها ؛ يريد ان خيله كالعقبان في الشدة والسرعة .
٥ الصعيد : وجه الارض . والاراقم جمع ارقم ، وهو الحية فيها سواد وبياض . يقول : اذا زلقت خيلك في مهابط تلك الجبال لشدة انصبابها، مشّيتها زحفاً على بطونها كما ترحف الحيات في الصعيد .
٦ اقدم : خلاف ادبر . يقول : انه يقدم ثم ينهزم فيقع الضرب في قفاه فكأن قفاه يلوم وجهه على الاقدام لانه بسببه تعرض للضرب .   ٧ الليث : الاسد . والهاء من يذوقه لليث . يقول : الا يزال ينكر ريح الليث فلا يعرفه حتى يذوقه اي حتى يجرب بأسه مع ان البهائم اذا شمت ريح الليث عرفته فتوقفت عن الاقدام عليه . والبيت مثل .   ٨ فجعه : رزأه بشيء يكرم عليه . والغواشم : التي لا تبالي من اخذت . يقول : هلاّ اعتبر بمن رُزئه من هؤلاء فلا يجترىء على العود الى الاقدام .
٩ الظّبى حدود السيوف . والهام : الرؤوس . والمعاصم : اطراف السواعد . يقول : هرب وهو يشكر اصحابه لانهم شغلوا السيوف عنه بقطع رؤوسهم وايديهم حتى سبق وفات السيوف .
١٠ يفهم : عطف على يشكر . والمشرفية : السيوف . يقول : اذا سمع صوت وقع السيوف في اصحابه فهِمَ انها تقتلهم فجدّ في الهزيمة مع ان اصوات السيوف عجماء اي ليست ذات لفظ يفهم .

يُسَرُّ بِمَا أَعْطَاكَ لَا عَنْ جَهَالَةٍ ... وَلَكِنَّ مَغْنُوماً نَجَا مِنْكَ غَانِمُ [١]

وَلَسْتَ مَلِيكاً هَازِماً لِنَظِيرِهِ ... وَلَكِنَّكَ ٱلتَّوْحِيدُ لِلشِّرْكِ هَازِمُ [٢]

تَشَرَّفُ عَدْنَانٌ بِهِ لَا رَبِيعَةٌ ... وَتَفْتَخِرُ ٱلدُّنْيَا بِهِ لَا ٱلْعَوَاصِمُ [٣]

لَكَ ٱلْحَمْدُ فِي ٱلدُّرِّ ٱلَّذِي لِيَ لَفْظُهُ ... فَإِنَّكَ مُعْطِيهِ وَإِنِّيَ نَاظِمُ [٤]

وَإِنِّي لَتَعْدُو بِي عَطَايَاكَ فِي ٱلْوَغَى ... فَلَا أَنَا مَذْمُومٌ وَلَا أَنْتَ نَادِمُ [٥]

عَلَى كُلِّ طَيَّارٍ إِلَيْهَا بِرِجْلِهِ ... إِذَا وَقَعَتْ فِي مِسْمَعَيْهِ ٱلْغَمَاغِمُ [٦]

أَلَا أَيُّهَا ٱلسَّيْفُ ٱلَّذِي لَيْسَ مُغْمَداً ... وَلَا فِيهِ مُرْتَابٌ وَلَا مِنْهُ عَاصِمُ [٧]

هَنِيئاً لِضَرْبِ ٱلْهَامِ وَٱلْمَجْدِ وَٱلْعُلَى ... وَرَاجِيكَ وَٱلْإِسْلَامِ أَنَّكَ سَالِمُ [٨]

وَلِمْ لَا يَقِي ٱلرَّحْمٰنُ حَدَّيْكَ مَا وَقَى ... وَتَفْلِيقُهُ هَامَ ٱلْعِدَى بِكَ دَائِمُ [٩]

---

١ يقول : يسر بما اعطاك من اصحابه الذين قتلتهم وخيله وسلاحه لان هذه الاشياء كانت كالفداء له حين اشتغل اصحابك بها عنه وليس يسر بها لانه يجهل ما لحقه بها من الخسران ولكنه حين نجا منك بروحه اكتفى بها غنيمة فعد نفسه غانماً وان كان مغنوماً . ٢ الشرك : الاسم من اشرك . اشرك : جعل لله شريكاً . يقول : انت في هزمك الدمستق لا تعد ملكاً قد هزم ملكاً مثله ولكنك التوحيد قد هزم الشرك لان كلا منكما زعيم ملته . ٣ الضمير من به لمليك . وعدنان : ابن عاد ابي العرب . وربيعة : قبيلة سيف الدولة . والعواصم : بلاد قصبتها انطاكية . يقول : لا يفتخر به رهطه وملكه فقط ولكنه شرف العرب كلها لرجوعه بالنسب اليه وفخر الدنيا باسرها لانه اكرم اهلها . ٤ يعني بالدرّ شعره . يقول : المعاني لك واللفظ لي فانت تعطيني المعاني بافعالك ومناقبك وانا انظمها في لفظي .
٥ تعدو : تجري . والوغى : الحرب . يريد بعطاياه : الخيل ، كما صرح به في البيت التالي . يقول : اغزو اعداءك واقاتلهم على الخيل التي وهبتها لي فلا انا مذموم على اخذها لانها لم تضع عندي ولا انت نادم على هبتها لانك لا تجدني غير اهل لها . ٦ الضمير من اليها : للوغى . والمسمعان : الاذنان . والغماغم : الاصوات المختلطة يعني جلبة الحرب . يقول : تعدو بي عطاياك على ظهر كل فرس اذا سمع صوت الفرسان في الحرب طار اليها برجله عوض الجناح يريد شدة سرعته في العدو حتى كأن قوائمه اجنحة . ٧ الارتياب : الشك . وعصمه من كذا : منعه وحماه . ٨ الهام : الرؤوس . والعلى جمع عليا : وهي المنزلة العالية . يقول : لتهنأ هذه المذكورات بسلامتك لانك قوامها .
٩ لم : استفهام انكار . يقول : لماذا لا يصون الله حديك من الفلول ما دامت عنده صيانة للاشياء ، اي ابداً ، وانت سيفه الذي يصول به على اعدائه .

عصارة النفس الفاشلة :

٢٠٥ بِمَ التعلّل

[واتصل بأبي الطيب ان قوماً نعوه في مجلس سيف الدولة بحلب فقال ولم ينشدها كافوراً :]

بِمَ ٱلتَّعَلُّلُ لَا أَهْلٌ وَلَا وَطَنُ ... وَلَا نَدِيمٌ وَلَا كَأْسٌ وَلَا سَكَنُ ١
أُرِيدُ مِنْ زَمَنِي ذَا أَنْ يُبَلِّغَنِي ... مَا لَيْسَ يَبْلُغُهُ مِنْ نَفْسِهِ ٱلزَّمَنُ ٢
لَا تَلْقَ دَهْرَكَ إِلَّا غَيْرَ مُكْتَرِثٍ ... مَا دَامَ يَصْحَبُ فِيهِ رُوحَكَ ٱلْبَدَنُ ٣
فَمَا يُدِيمُ سُرُورٌ مَا سُرِرْتَ بِهِ ... وَلَا يَرُدُّ عَلَيْكَ ٱلْفَائِتَ ٱلْحَزَنُ ٤
مِمَّا أَضَرَّ بِأَهْلِ ٱلْعِشْقِ أَنَّهُمُ ... هَوُوا وَمَا عَرَفُوا ٱلدُّنْيَا وَمَا فَطِنُوا ٥
تَفْنَى عُيُونُهُمُ دَمْعاً وَأَنْفُسُهُمْ ... فِي إِثْرِ كُلِّ قَبِيحٍ وَجْهُهُ حَسَنُ ٦
تَحَمَّلُوا حَمَلَتْكُمْ كُلُّ نَاجِيَةٍ ... فَكُلُّ بَيْنٍ عَلَيَّ ٱلْيَوْمَ مُؤْتَمَنُ ٧

---

١ بِمَ : اي بماذا وحذف الف ما لدخول الجار . وتعلل بالشيء : تلهى به . والسكن : الخليل تسكن اليه . يذكر اغترابه ووحشته فيقول : باي شيء اعلل نفسي وانا بعيد عن اهلي ووطني وليس لي شيء الهو به ولا احد اسكن اليه . ٢ يقول : اطلب من الزمان استقامة الاحوال وثباتها والزمان لا يبلغ هذا من نفسه لانه لا يثبت على حال . ٣ يقول : ما دمت حياً فلا تبالِ بالزمان وصروفه فان الشدة والرخاء يتعاقبان فيه على الحي فلا ييأس من تبدل الاحوال الا بانقطاع حبل الحياة. ٤ يؤكد ما حث عليه من ترك الاكتراث بالدهر فيقول : سرورك بالشيء لا يديمه عليك لان كل شيء زائل فكذلك حزنك عليه بعد زواله لا يرده لان ما فات لا يعود . ٥ يقول : مما اضر بالعشاق انهم عشقوا قبل ان يعرفوا احوال الدنيا ويفطنوا لاخلاق اهلها وما في طباعهم من الغدر ولو عرفوا ذلك ما عشقوا ولا اضاعوا ايامهم واتلفوا انفسهم في سبيل من لا يستحق ذلك منهم . ٦ دمعاً : مصدر مفعول لاجله . وانفسهم : مبتدأ خبره ما بعده والجملة حال . يقول : تفنى عيونهم من البكاء وانفسهم هائمة وراء كل محبوب قبيح الخصال الا ان وجهه حسن . ٧ تحملوا : ارحلوا . والناجية : الناقة السريعة . والبين : البعد . يخاطب الذين يشبب فيهم بعد ما ذكر من حال العاشق والمعشوق . يقول : ارحلوا عني فاني اليوم اي بعد اختباري لاحوال الدنيا واهلها لا يضرني فراق احد لاني لا اجد من يستحق ان يؤسف على فراقه . وقوله : حملتكم كل ناجية : دعاء بعدم .

مَا فِي هَوَادِجِكُمْ مِنْ مُهْجَتِي عِوَضٌ ... إِنْ مُتُّ شَوْقاً وَلَا فِيهَا لَهَا ثَمَنُ ١

يَا مَنْ نُعِيتُ عَلَى بُعْدٍ بِمَجْلِسِهِ ... كُلٌّ بِمَا زَعَمَ ٱلنَّاعُونَ مُرْتَهَنُ ٢

كَمْ قَدْ قُتِلْتُ وَكَمْ قَدْ مُتُّ عِنْدَكُمُ ... ثُمَّ ٱنْتَفَضْتُ فَزَالَ ٱلْقَبْرُ وَٱلْكَفَنُ ٣

قَدْ كَانَ شَاهَدَ دَفْنِي قَبْلَ قَوْلِهِمِ ... جَمَاعَةٌ ثُمَّ مَاتُوا قَبْلَ مَنْ دَفَنُوا ٤

مَا كُلُّ مَا يَتَمَنَّى ٱلْمَرْءُ يُدْرِكُهُ ... تَجْرِي ٱلرِّيَاحُ بِمَا لَا تَشْتَهِي ٱلسُّفُنُ ٥

رَأَيْتُكُمْ لَا يَصُونُ ٱلْعِرْضَ جَارُكُمُ ... وَلَا يَدِرُّ عَلَى مَرْعَاكُمُ ٱللَّبَنُ ٦

جَزَاءُ كُلِّ قَرِيبٍ مِنْكُمُ مَلَلٌ ... وَحَظُّ كُلِّ مُحِبٍّ مِنْكُمُ ضَغَنُ ٧

وَتَغْضَبُونَ عَلَى مَنْ نَالَ رِفْدَكُمُ ... حَتَّى يُعَاقِبَهُ ٱلتَّنْغِيصُ وَٱلْمِنَنُ ٨

فَغَادَرَ ٱلْهَجْرُ مَا بَيْنِي وَبَيْنَكُمُ ... يَهْمَاءَ تَكْذِبُ فِيهَا ٱلْعَيْنُ وَٱلْأُذُنُ ٩

تَحْبُو ٱلرَّوَاسِمُ مِنْ بَعْدِ ٱلرَّسِيمِ بِهَا ... وَتَسْأَلُ ٱلْأَرْضَ عَنْ أَخْفَافِهَا ٱلثَّفِنُ ١٠

---

١ الهوادج : مراكب النساء . والمهجة : الروح، والحرف متعلق بعوض . يقول : لست ارضى بفوت روحي لاجلكم ولا انتم تعوضونني روحاً غيرها اذا اتلفتها بالشوق اليكم . ٢ يقول : كل احد مرتهن بالموت فلا يفرح احد بنعي احد . ٣ يقول : كم قُتلت في زعم المخبرين عندكم بقتلي وموتي ثم تحقق الامر على خلاف ما اخبروا فكأني مت ثم خرجت من القبر . ٤ الضمير من قولهم، للناعين . يريد ان قوماً نعوه قبل هؤلاء واخبروا انهم شاهدوا دفنه ثم ماتوا وهو حي . ٥ يقول: هم يتمنون موتي ولكن الامور لا تدرك بالتمني ثم ضرب لذلك مثل السفن فانها تشتهي من الرياح الموافقة لسيرها ولكن الرياح كثيراً ما تجري بالخلاف . ٦ يقول : من جاوركم لم يقدر على صون عرضه عندكم لانه يشتم فلا تبالون بشتمه واذا رعت الغنم في ارضكم لم يدر لبنها على مرعاكم لوخامته . والشطر الثاني مثل يريد ان نعمتكم مشوبة بالاذى فلا يهنأ آخذها حتى تزكو عنده بالشكر . ٧ الملل : الضجر . والضغن : الحقد . ٨ الرفد : العطاء . والمنن ج منة، وهي اسم من امتنّ عليه : اذا عدد له صنائعه . يقول : من نال عطاءكم غضبتم عليه ونغصتم عطاءكم بالمن حتى يكون ذلك التنغيص كالعقاب له على اخذه . ٩ غادر : ترك . واليهماء : الارض التي لا يهتدى فيها . يذكر شدة ابعاده في الرحيل انفة من الحال التي ذكرها . يقول : ترك الهجر بيني وبينكم فلاة بعيدة الاطراف مضلة المسالك ترى العين فيها من الاشباح وتسمع الاذن من الاصوات ما لا حقيقة له لكثرة ما يتخيل فيها من المخاوف . ١٠ حبا : مشى على بطنه ويديه . والرواسم : الابل التي تمشي الرسيم وهو ضرب من السير السريع . والثفن : ما مس الارض من اعضاء البعير اذا برك كالركبتين ، واحدتها ثفنة مثل كلم وكلمة . يقول : لطول السير في تلك الارض ومتابعته تبري الارض اخفاف الابل فتحبو على ثفناتها ، وتقول الثفنات للارض : اين ذهبت الاخفاف حتى صار المشي علينا بعد ان كان عليها .

إِنِّي أُصَاحِبُ حِلْمِي وَهْوَ بِي كَرَمٌ ... وَلَا أُصَاحِبُ حِلْمِي وَهْوَ بِي جُبُنُ [١]

وَلَا أُقِيمُ عَلَى مَالٍ أَذِلُّ بِهِ ... وَلَا أَلَذُّ بِمَا عِرْضِي بِهِ دَرِنُ [٢]

سَهِرْتُ بَعْدَ رَحِيلِي وَحْشَةً لَكُمُ ... ثُمَّ ٱسْتَمَرَّ مَرِيرِي وَٱرْعَوَى ٱلْوَسَنُ [٣]

وَإِنْ بُلِيتُ بِوُدٍّ مِثْلِ وُدِّكُمُ ... فَإِنَّنِي بِفِرَاقٍ مِثْلِهِ قَمِنُ [٤]

أَبْلَى ٱلْأَجِلَّةَ مُهْرِي عِنْدَ غَيْرِكُمُ ... وَبُدِّلَ ٱلْعُذْرُ بِٱلْفُسْطَاطِ وَٱلرَّسَنُ [٥]

عِنْدَ ٱلْهُمَامِ أَبِي ٱلْمِسْكِ ٱلَّذِي غَرِقَتْ ... فِي جُودِهِ مُضَرُ ٱلْحَمْرَاءِ وَٱلْيَمَنُ [٦]

وَإِنْ تَأَخَّرَ عَنِّي بَعْضُ مَوْعِدِهِ ... فَمَا تَأَخَّرُ آمَالِي وَلَا تَهِنُ [٧]

هُوَ ٱلْوَفِيُّ وَلٰكِنِّي ذَكَرْتُ لَهُ ... مَوَدَّةً فَهْوَ يَبْلُوهَا وَيَمْتَحِنُ [٨]

ميزة شعره : في هذا الشعر الم عميق يعصر النفس ويذيبها حكمةً خالدة، ونصالاً في قلب كل إنسان . وفيه مدح لكافور ولكنه مدح نفس آسفة لا تطمئنّ تمام الاطمئنان الى من تمدح ولا تثق تمام الثقة بوعوده .

---

١ يقول : احلم عما يؤذيني ما دام حلمي يعد كرماً فاذا كان يعد جبناً فلا احلم . ٢ الدرن : الوسخ . يقول : لا اقر على غنى يجلب لي الذل ولا تطيب لي لذة اعيّر بها ويلطخ عرضي بسببها . ٣ استمر مريره : قوي بعد ضعف . وارعوى : ارتدع . والوسن : النعاس . يقول : استوحشت بعد فراقكم لالفي اياكم حتى جفاني الرقاد ثم تجلدت لما ذكرت من سوء صنيعكم فسلوت وعاودني المنام . ٤ مثله اي مثل رحيلي . وقمن : جدير . يعرض بالاسود . يقول : ان بليت منه بود ضعيف مثل ودكم فاني جدير بان افارقه كما رحلت عنكم . ٥ الاجلة جمع جلال جمع جل : وهو ما تلبسه الدابة . والعذر جمع عذار : وهو ما سال على خد الفرس من اللجام . والفسطاط : اسم مدينة في مصر . يقول : طال مقامي بالفسطاط لاكرام مثواي هناك حتى بليت اجلة فرسي وعذره ورسنه فبدلت بغيرها . ٦ الهمام : الملك العظيم الهمة . ومضر الحمراء : ابن نزار ابو القبيلة المشهورة من قبائل معد بن عدنان قيل له ذلك لانه اعطي الذهب من ميراث ابيه . والمراد باليمن بنو حمير ومن اليهم من ولد يعرب بن قحطان . والمعنى : عمّ جوده العرب كلهم . ٧ وتأخّرُ : تتأخر . وتهن : تضعف . يشير الى ما وعده به من خطة الولاية، على ما تقدم ذكره . يقول : ان تأخر قضاء وعده عني فآمالي لا تتأخر عن رجائه . ٨ يبلوها : يختبرها . يقول : هو يفي بما وعدني وان تأخر حيناً وانا كذلك اني بما ذكرت له من مودتي كما يعلم ذلك اذا اختبرها .

٢٠٦ عيد بأية حال عدتَ يا عيد

[وقال عند خروجه من مصر :]

عِيدٌ بِأَيَّةِ حَالٍ عُدْتَ يَا عِيدُ ... بِمَا مَضَى أَمْ لِأَمْرٍ فِيكَ تَجْدِيدُ ١
أَمَّا ٱلْأَحِبَّةُ فَٱلْبَيْدَاءُ دُونَهُمُ ... فَلَيْتَ دُونَكَ بِيدًا دُونَهَا بِيدُ ٢
لَوْلَا ٱلْعُلَى لَمْ تَجُبْ بِي مَا أَجُوبُ بِهَا ... وَجْنَاءُ حَرْفٌ وَلَا جَرْدَاءُ قَيْدُودُ ٣
وَكَانَ أَطْيَبَ مِنْ سَيْفِي مُعَانَقَةً ... أَشْبَاهُ رَوْنَقِهِ ٱلْغِيدُ ٱلْأَمَالِيدُ ٤
لَمْ يَتْرُكِ ٱلدَّهْرُ مِنْ قَلْبِي وَلَا كَبِدِي ... شَيْئًا تُتَيِّمُهُ عَيْنٌ وَلَا جِيدُ ٥
يَا سَاقِيَيَّ أَخَمْرٌ فِي كُؤُوسِكُمَا ... أَمْ فِي كُؤُوسِكُمَا هَمٌّ وَتَسْهِيدُ ٦
أَصَخْرَةٌ أَنَا ! مَا لِي لَا تُحَرِّكُنِي ... هٰذِي ٱلْمُدَامُ وَلَا هٰذِي ٱلْأَغَارِيدُ ٧

كان ابو الطيب قد اقام بعد انشاده قصيدته البائية سنة لا يلقى كافوراً، ولكن يسير معه في الموكب لئلا يوحشه، وهو يعمل على الرحيل عنه في ستر ؛ فاعد الابل وخفف الرحل وقال يهجوه قبل مسيره بيوم واحد. ١ عيد : خبر عن محذوف اي هذا عيد . وقوله بما مضى : ابما مضى، فحذف الهمزة . يقول: هذا اليوم الذي انا فيه عيد ثم اقبل يخاطب العيد، فقال : بأية حال عدت علي أبالحال التي عهدتها من قبل أم حدث فيك امر جديد . ٢ البيداء : الفلاة . يتذكر احبته فيقول: اما الاحبة فبعيدون عني اي لم يعودوا علي كما عدت انت فليتك ايها العيد بعيد عني اضعاف بعدهم لاني لا اسر بك وهم غائبون . ٣ جاب الموضع : قطعه . الضمير من بها لوجناء ، مقدم عليها . والوجناء : الناقة الشديدة وهي فاعل تجب . والحرف : الضامرة الصلبة . والجرداء : الفرس القصيرة الشعر . والقيدود : الطويلة العنق . يقول : لولا طلب العلى لم افارق احبتي ولم تقطع بي ناقة ولا فرس ما اكلفها قطعه من الفلوات . ٤ الغيد جمع غيداء : وهي المتثنية لينا . والاماليد جمع املود واملودة : وهي الناعمة المستوية القوام . يقول : ولولا طلب العلى لم اختر معانقة السيف واعدل عن النساء الحسان اللواتي يشبهن رونقه في بياض البشرة ونقائها . ٥ تيمه : استعبده . والجيد : العنق . يقول : ان الدهر جرد قلبه عن هوى العيون والاجياد لما توارد عليه من نوائبه فتفرغ عن الغزل واللهو الى الجد والتشمير . ٦ التسهيد : الحمل على السهاد وهو السهر . يقول لساقييه : أخمر ما تسقيانني ام هم وسهاد ؟ يعني ان ما يشربه لا يزيده الا هماً وسهراً لان قلبه مملوء بالهموم لا موضع فيه للسرور . ٧ والمدام : الخمر . والاغاريد : الاغاني . يتعجب من حاله وان الخمر والغناء لا يطربانه ولا يؤثران فيه كأنه صخرة صماء .

إِذَا أَرَدْتُ كُمَيْتَ ٱللَّوْنِ صَافِيَةً   وَجَدْتُهَا وَحَبِيبُ ٱلنَّفْسِ مَفْقُودُ [١]
مَاذَا لَقِيتُ مِنَ ٱلدُّنْيَا وَأَعْجَبُهُ   أَنِّي بِمَا أَنَا شَاكٍ مِنْهُ مَحْسُودُ [٢]
أَمْسَيْتُ أَرْوَحَ مُثْرٍ خَازِنًا وَيَدًا   أَنَا ٱلْغَنِيُّ وَأَمْوَالِي ٱلْمَوَاعِيدُ [٣]
إِنِّي نَزَلْتُ بِكَذَّابِينَ ضَيْفُهُمُ   عَنِ ٱلْقِرَى وَعَنِ ٱلتَّرْحَالِ مَحْدُودُ [٤]
جُودُ ٱلرِّجَالِ مِنَ ٱلْأَيْدِي وَجُودُهُمُ   مِنَ ٱللِّسَانِ فَلَا كَانُوا وَلَا ٱلْجُودُ [٥]
مَا يَقْبِضُ ٱلْمَوْتُ نَفْسًا مِنْ نُفُوسِهِمِ   إِلَّا وَفِي يَدِهِ مِنْ نَتْنِهَا عُودُ [٦]
أَكُلَّمَا ٱغْتَالَ عَبْدُ ٱلسُّوءِ سَيِّدَهُ   أَوْ خَانَهُ فَلَهُ فِي مِصْرَ تَمْهِيدُ [٧]
صَارَ ٱلْخَصِيُّ إِمَامَ ٱلْآبِقِينَ بِهَا   فَٱلْحُرُّ مُسْتَعْبَدٌ وَٱلْعَبْدُ مَعْبُودُ [٨]
نَامَتْ نَوَاطِيرُ مِصْرَ عَنْ ثَعَالِبِهَا   فَقَدْ بَشِمْنَ وَمَا تَفْنَى ٱلْعَنَاقِيدُ [٦]
ٱلْعَبْدُ لَيْسَ لِحُرٍّ صَالِحٍ بِأَخٍ   لَوْ أَنَّهُ فِي ثِيَابِ ٱلْحُرِّ مَوْلُودُ [١٠]

---

١ الكميت : بلفظ التصغير، الاحمر فيه سواد يوصف به المذكر والمؤنث واراد خمراً كميت اللون. يقول : اذا طلبت الخمر وجدتها واذا طلبت الحبيب لم اجده . يعني ان شرب الخمر لا يطيب الا مع الحبيب وحبيبي بعيد عني . ٢ يشكو شدة ما لقيه من نوازل الدنيا واحوالها، ثم يقول : واعجب ما لقيته منها اني محسود بما انا شاك منه يعني تقربه من كافور يريد ان الشعراء يحسدونه عليه وهو علة شكواه . ٣ أروح : من الراحة . والمثري : الكثير المال . يقول : انه قد صار غنياً ولكن خازنه ويده مستريحان من نقل المال وحفظه لان امواله مواعيد كافور وهي لا تحتاج الى ان تقبضها يد او يحفظها خازن . ٤ محدود : ممنوع . اي لا يقرونه ولا يدعونه يرحل في طلب رزقه . ٥ يقـــول : الناس يجودون بالعطاء وهؤلاء يجودون بالمواعيد ثم دعا عليهم فقال لا كانوا ولا كان جودهم . ٦ يقول : ان ارواحهم منتنة من اللؤم فاذا همّ الموت بقبضها لم يباشرها بيده تقذّراً من نتنها بل يتناولها بعود كما ترفع الجيفة . ٧ اغتاله : اخذه على غفلة . يعرض بقتل الاسود لسيده واستقلاله بالملك بعده . يقول : اكلما أهلك عبد سوء سيده، مهد له اهل مصر الطاعة وملكوه عليهم . ٨ الآبق : الهارب من سيده . يريد ان كل عبد هرب من سيده امسكه كافور عنده واحسن اليه لانه نظيره في الخيانة فهو امام الآبقين . ٩ بشم : اخذته تخمة وثقل من كثرة الاكل . اراد بنواطير مصر : ساداتها واشرافها، وبثعالبها : العبيد والاراذل، وبالعناقيد : الاموال . يقول : غفل السادات عن العبيد فاكثروا من العيث في اموال الناس حتى اكلوا فوق الشبع . وقوله وما تفنى العناقيد : يريد كثرة ما بين ايديهم من اموال مصر وانهم كلما اكلوا شيئاً اخلف لهم غيره فلا يكفون عـــن النهم . ١٠ يقول : العبد لا يؤاخي الحر ولو كان في اصله حر المولد لان من الف الدناءة والخسة تسقط مروءته ولا يثبت له عهد .

لَا تَشْتَرِ ٱلْعَبْدَ إِلَّا وَٱلْعَصَا مَعَهُ إِنَّ ٱلْعَبِيدَ لَأَنْجَاسٌ مَنَاكِيدُ[١]
مَا كُنْتُ أَحْسَبُنِي أَحْيَا إِلَى زَمَنٍ يُسِيءُ بِي فِيهِ عَبْدٌ وَهْوَ مَحْمُودُ[٢]
وَلَا تَوَهَّمْتُ أَنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ فُقِدُوا وَأَنَّ مِثْلَ أَبِي ٱلْبَيْضَاءِ مَوْجُودُ[٣]
وَأَنَّ ذَا ٱلْأَسْوَدَ ٱلْمَثْقُوبَ مِشْفَرُهُ تُطِيعُهُ ذِي ٱلْعَضَارِيطُ ٱلرَّعَادِيدُ[٤]
جَوْعَانُ يَأْكُلُ مِنْ زَادِي وَيُمْسِكُنِي لِكَيْ يُقَالَ عَظِيمُ ٱلْقَدْرِ مَقْصُودُ[٥]
وَيْلُمِّهَا خُطَّةً وَيْلُمِّ قَابِلِهَا لِمِثْلِهَا خُلِقَ ٱلْمَهْرِيَّةُ ٱلْقُودُ[٦]
وَعِنْدَهَا لَذَّ طَعْمَ ٱلْمَوْتِ شَارِبُهُ إِنَّ ٱلْمَنِيَّةَ عِنْدَ ٱلذُّلِّ قِنْدِيدُ[٧]
مَنْ عَلَّمَ ٱلْأَسْوَدَ ٱلْمَخْصِيَّ مَكْرُمَةً أَقَوْمُهُ ٱلْبِيضُ أَمْ آبَاؤُهُ ٱلصِّيدُ[٨]
أَمْ أُذْنُهُ فِي يَدِ ٱلنَّخَّاسِ دَامِيَةً أَمْ قَدْرُهُ وَهْوَ بِٱلْفَلْسَيْنِ مَرْدُودُ[٩]

---

١ مناكيد جمع منكود : وهو القليل الخير . يريد سوء اخلاق العبد وانه لا يصلح الا على الضرب والهوان . ٢ احسبني : احسب نفسي . يقول : ما كنت احسب ان اجلي يتد الى زمن احتمل فيه الاساءة من عبد وانا مع ذلك مضطر الى حمده . ٣ يقول : لم اتوهم ان الناس قد فقدوا فخلت البلاد لمن شاءها ولا ان مثل هذا يوجد في الخلق حتى رأيته على سرير مصر . وكناه بابي البيضاء هزءاً به . ٤ المشفر : شفة البعير ؛ يريد انه مشقوق الشفة فشبهه بالبعير الذي يثقب مشفره للزمام . والعضاريط جمع عضروط : وهو الذي يخدم بطعامه . والرعاديد : الجبناء الواحد رعديد . يقول : ولا توهمت ان هذا الاسود الموصوف بما ذكر يستغوي من حوله من صغار النفوس فيبذلون له الطاعة ويخدمونه بارزاقهم خسة منهم ورهباً . ووصفهم بالعضاريط على جهة الذم والتقريع يريد انهم قد صاروا بطاعته كذلك والا فلا عجب في طاعتهم له . ٥ وصفه بالجوع يريد شدة لؤمه وامساكه فلا تسخو نفسه بشيء . يقول : هو يمسكني عنده ليتمدح بقصدي اياه فيقول الناس انه عظيم القدر بقصده مثلي ليمدحه . ٦ ويلمها : كلمة تعجب اصلها : وي لأمها ، ثم حذفت الهمزة واللام تكسر على الاصل وتضم على حذف حركتها والقاء حركة الهمزة عليها . والخطة : الامر والشأن وهي تمييز . والمهرية : المنسوبة الى مهرة بن حيدان وهو ابو قبيلة تنسب اليها الابل . والقود : الطوال الظهور جمع أقود وقوداء . يتعجب من الحال التي ذكرها فيقول : ما اعجبها حالاً وما اعجب من يقبلها وانما خلقت الابل للفرار من مثلها . ٧ لذذت الشيء : وجدته لذيذاً . والقنديد : عسل قصب السكر والخمر . يقول : عند هذه الحال يستلذ طعم الموت لان الذل امرّ من الموت . ٨ الصيد جمع اصيد : وهو الملك العظيم . يريد انه لا يعرف المكرمة ما هي لانه عبد اسود لم يرث من آبائه مكرمة ولا مجداً . ٩ النخاس : بائع العبيد . يريد انه مملوك قد اشتري بثمن ان زيد عليه قدر فلسين لم يشتر لخسته .

أَوْلَى ٱللِّئَامِ كُوَيْفِيرٌ بِمَعْذِرَةٍ فِي كُلِّ لُؤْمٍ وَبَعْضُ ٱلْعُذْرِ تَفْنِيدُ[1]
وَذَاكَ أَنَّ ٱلْفُحُولَ ٱلْبِيضَ عَاجِزَةٌ عَنِ ٱلْجَمِيلِ فَكَيْفَ ٱلْخِصْيَةُ ٱلسُّودُ[2]

ميزة شعره : لا يعرف المتنبي في هجائه الا الطعن الجارح البليغ، فهو يسخط بقوّة، ويثور بقوّة، ويرمي مهجوّه بقوّة، من غير تروٍّ ولا هوادة. ينفث كل حقده حتى لا يترك رجاء لشدّة ما يضمر من السخط.

ابو فراس الحمدانيّ (٩٣٢ ـ ٩٦٨ م/٣٢٠ ـ ٣٥٧ هـ)

[هو من اسرة الحمدانيين الشهيرة، أسره الروم وقادوه الى خرشنة والقسطنطينية. فألم الشاعر ما قاسى من البعد عن اهله واوطانه، وما ابداه ابن عمه سيف الدولة من المطل في امر فدائه، وما تناهى اليه من اخبار امه الحزينة، هذا فضلاً عن جراح واوجاع ألمت بجسده، فأطلق صوت عاطفته تارةً حنيناً وطوراً تشكياً، تارةً عتاباً وطوراً تعزية، في شعر يذوب رقة ويمتاز بالسهولة واللين.]

ابو فراس شاعر الاخوانيات :

٢٠٧ يا طول شوقي !

[كتب ابو فراس الى صديقه ابي الحصين القاضي وهو على اهبة السفر الى الرقّة :]

يَا طُولَ شَوْقِيَ، إِنْ كَانَ ٱلرَّحِيلُ غَدَا لَا فَرَّقَ ٱللّٰهُ فِيمَا بَيْنَنَا أَبَدَا

---

١ كويفير : تصغير كافور . والتفنيد : اللوم والتقريع . يقول : هو احق اللئام بان يعذر على لؤمه لعجزه عن المكارم وهذا العذر على الحقيقة تقريع له وتعيير . ثم صرح بعذره في البيت التالي . ٢ يعني ان اهل الجميل يعجزون عن فعله فكيف يقدر عليه من ليس من اهله .

يَا مَنْ أُصَافِيهِ، فِي قُرْبٍ وَفِي بُعُدٍ، ... وَمَنْ أُخَالِصُهُ إِنْ غَابَ أَوْ شَهِدَا
رَاعَ ٱلْفِرَاقُ فُؤَادًا كُنْتَ تُؤْنِسُهُ ... وَذَرَّ بَيْنَ ٱلْجُفُونِ ٱلدَّمْعَ وَٱلسُّهُدَا
لَا يُبْعِدُ ٱللهُ شَخْصًا لَا أَرَى أُنُسًا ... وَلَا تَطِيبُ لِيَ ٱلدُّنْيَا إِذَا بَعُدَا
أَضْحَى وَأَضْحَيْتُ فِي سِرٍّ وَفِي عَلَنٍ ... أَعُدُّهُ وَالِدًا إِذْ عَدَّنِي وَلَدَا
مَا زَالَ يَنْظِمُ فِيَّ ٱلشِّعْرَ مُجْتَهِدًا ... فَضْلًا، وَأَنْظِمُ فِيهِ ٱلشِّعْرَ مُجْتَهِدًا،
حَتَّى ٱعْتَرَفْتُ، وَعَزَّتْنِي فَضَائِلُهُ، ... وَفَاتَ سَبْقًا، وَحَازَ ٱلْفَضْلَ مُنْفَرِدَا!
إِنْ قَصَّرَ ٱلْجُهْدُ عَنْ إِدْرَاكِ غَايَتِهِ، ... فَأَعْذَرُ ٱلنَّاسِ مَنْ أَعْطَاكَ مَا وَجَدَا
أَبْقَى لَنَا ٱللهُ مَوْلَانَا، وَلَا بَرِحَتْ ... أَيَّامُنَا أَبَدًا فِي ظِلِّهِ جُدُدَا
لَا يَطْرُقُ ٱلنَّازِلُ ٱلْمَحْذُورُ سَاحَتَهُ! ... وَلَا تَمُدُّ إِلَيْهِ ٱلْحَادِثَاتُ يَدَا
أَلْحَمْدُ لِلّهِ حَمْدًا دَائِمًا أَبَدًا ... أَعْطَانِيَ ٱلدَّهْرُ مَا لَمْ يُعْطِهِ أَحَدَا!

٢٠٨ لا شيء احسن من حانٍ على جانٍ

مَا كُنْتُ، مُذْ كُنْتُ، إِلَّا طَوْعَ خُلَّانِي! ... لَيْسَتْ مُؤَاخَذَةُ ٱلْإِخْوَانِ مِنْ شَانِي!
يَجْنِي ٱلْخَلِيلُ فَأَسْتَحْلِي جِنَايَتَهُ ... حَتَّى يَدُلَّ عَلَى عَفْوِي وَإِحْسَانِي
يَجْنِي عَلَيَّ فَأَحْنُو صَافِحًا أَبَدًا ... لَا شَيْءَ أَحْسَنُ مِنْ حَانٍ عَلَى جَانِ!
وَيُتْبِعُ ٱلذَّنْبَ ذَنْبًا حِينَ يَعْرِفُنِي ... عَمْدًا فَأُتْبِعُ غُفْرَانًا بِغُفْرَانِ!

ميزة شعره: إخوانيات ابي فراس حافلة برقّة العاطفة، وصفاء التودّد، وحرارة الشوق، والدعاء الصادق. الّا ان الخيال قلّما يسمو فيها الى جو فسيح وقلّما يصيب فيها صورًا تسترعي الانتباه.

ابو فراس شاعر الفخر:

٢٠٩ الم ترنا اعزّ الناس جارًا

[اكثر سيف الدولة من الايقاع في القبائل العربية الثائرة، فتجمعت نزار

وعشائرها واوقعت بعامله على قنسرين . فحمل الامير ومعه ابو فراس علـى نزار ، وقدّم أبا فراس في فريق من الجيش فلم يزل يتبعهم حتى الحقهم بالغور ، ثم رجع سيف الدولة حاملًا على بني نمير فاستسلموا له فصفح عنهم . فقال ابو فراس :]

أَلَمْ تَرَنَا أَعَزَّ ٱلنَّاسِ جَارًا ... وَأَمْنَعَهُمْ وَأَمْرَعَهُمْ جَنَابَا ؟ ! [1]

لَنَا ٱلْجَبَلُ ٱلْمُطِلُّ عَلَى نِزَارٍ ... حَلَلْنَا ٱلنَّجْدَ مِنْهُ وَٱلْهِضَابَا [2]

تُفَضِّلُنَا ٱلْأَنَامُ وَلَا تُحَاشِي ... وَنُوصَفُ بِٱلْجَمِيلِ وَلَا نُحَابَى [3]

وَقَدْ عَلِمَتْ رَبِيعَةُ بَلْ نِزَارٌ ... بِأَنَّا ٱلرَّأْسُ وَٱلنَّاسَ ٱلذُّنَابَى [4]

وَلَمَّا أَنْ طَغَتْ سُفَهَاءُ كَعْبٍ ... فَتَحْنَا بَيْنَنَا لِلْحَرْبِ بَابَا [5]

مَنَحْنَاهَا ٱلْحَرَائِبَ ، غَيْرَ أَنَّا ، ... إِذَا جَارَتْ ، مَنَحْنَاهَا ٱلْحِرَابَا [6]

وَلَمَّا ثَارَ سَيْفُ ٱلدِّينِ ثُرْنَا ... كَمَا هَيَّجْتَ آسَادًا غِضَابَا

أَسِنَّتُهُ إِذَا لَاقَى طِعَانًا ، ... صَوَارِمُهُ إِذَا لَاقَى ضِرَابَا [7]

دَعَانَا ، وَٱلْأَسِنَّةُ مُشْرَعَاتٌ ، ... فَكُنَّا عِنْدَ دَعْوَتِهِ ٱلْجَوَابَا [8]

وَكُنَّا كَٱلسِّهَامِ ، إِذَا أَصَابَتْ ... مَرَامِيَهَا ، فَرَامِيهَا أَصَابَا [9]

صَنَائِعُ فَاقَ صَانِعُهَا فَفَاقَتْ ، ... وَغَرْسٌ طَابَ غَارِسُهُ فَطَابَا [10]

---

١ أمرعهم جناباً : اخصبهم جناباً . ٢ النجد : ما ارتفع من الارض . الهضاب جمع هضبة وهي الجبل المنبسط . يقول : اننا اشرف القبائل النزارية حسباً وعـدداً . ٣ ولا تحاشي : ولا تستثني احداً . ولا نُحابى : اي لا يميل عن الحق من يصفنا بالفضل . ٤ الذّنابى : ذنب الطائر . ٥ سُفهاء كعب : جهالهم . يقول : لما تجاوز بنو كعب – وهم قبيلة عربية خرجت على سيف الدولة – الحدود في سوء المعاملة لم نجد بدّاً من اعلان الحرب عليهم . ونسبة الطغيان لسفهائهم من قبيل النزاهة في الكلام . ٦ الحرائب جمع حريبة وهي المال الذي يعيش به الانسان . يقول : لما خضعوا لنا منحناهم المال والندى ولما عصوا اوقعنا بهم . ٧ أسنته : اي نحن اسنته . ٨ دعانا والأسنة مشرعات . . . : اي دعانا والرماح موجهة اليه لتلبية دعوته . وهذا البيت من احسن ما قيل في تلبية الدعوة للحرب . ٩ فراميها : يعني سيف الدولة . ١٠ صنائع فاق صانعها . . . : يقول : ان اعمال سيف الدولة كانت فائقة كفاعلها ، وان غرسه طاب كغارسه .

٢١٠ اذا اشتد الزمان

إِنَّا، إِذَا ٱشْتَدَّ ٱلزَّمَانُ، وَنَابَ خَطْبٌ وَأَدْلَهَمّ [١]
أَلْفَيْتَ، حَوْلَ بُيُوتِنَا، عُدَدَ ٱلشَّجَاعَةِ وَٱلْكَرَمْ : [٢]
لِلْقَا ٱلْعِدَى بِيضَ ٱلسُّيُوفِ، وَلِلنَّدَى حُمْرَ ٱلنَّعَمْ [٣]
هٰذَا، وَهٰذَا دَأْبُنَا؛ يُودَى دَمٌ وَيُرَاقُ دَمْ [٤]

ميزة شعره : جعل ابو فراس فخره قومياً اكثر مما جعله ذاتياً، وقصره على تعداد المفاخر الزاخرة بعواطف الزهو والمجد والكبرياء. ولا يخلو فخر ابي فراس من الغلوّ ولكنه غير مفرط، ولا يخلو من اللطف الذي يسمو به عن الفخر الصبياني.

الروميات :

٢١١ يا حسرة!..

[طال الأسر واشتدّت وطأته على أبي فراس فقصدت أمه سيف الدولة، من مَنبج الى حلب، وكلمته في المفاداة متوسلة ملحة. فأرجعها الامير بالخيبة. ووافق ذلك ان الروم قسوا على الاسرى وقيدوهم بحصن خرشنة، فعظم الامر على العجوز واعتلّت من الحسرة. فبلغ ذلك أبا فراس فكتب الى ابن عمه معاتباً مهدداً.]

يَا حَسْرَةً، مَا أَكَادُ أَحْمِلُهَا ! آخِرُهَا مُزْعِجٌ، وَأَوَّلُهَا
عَلِيلَةٌ بِٱلشَّامِ مُفْرَدَةٌ، بَاتَ، بِأَيْدِي ٱلْعِدَى، مُعَلِّلُهَا، [٥]
تُمْسِكُ أَحْشَاءَهَا عَلَى حُرَقٍ، تُطْفِئُهَا، وَٱلْهُمُومُ تُشْعِلُهَا. [٦]
إِذَا ٱطْمَأَنَّتْ، وَأَيْنَ ؟ أَوْ هَدَأَتْ، عَنَّتْ لَهَا ذُكْرَةٌ تُقَلْقِلُهَا. [٧]
تَسْأَلُ عَنَّا ٱلرُّكْبَانَ، جَاهِدَةً، بِأَدْمُعٍ مَا تَكَادُ تُمْهِلُهَا : [٨]

١ ناب خطب : حلت مصيبة. ٢ الفيتَ : لقيتَ. ٣ النعم : الابل. ٤ دأبنا : عادتنا. يودى دم : تؤدّى ديته. يقول : اننا ندفع دية الدم عن المستجيرين بنا الذين يعجزون عن دفعها. ٥ عليلة : يريد امه في منبج قرب الشام. معللها : مؤنسها وسندها، يريد نفسه. ٦ تطفئها : اي تحاول إخمادها بالصبر والطمأنينة. ٧ الذكرة : الذكرى. ٨ الركبان جمع راكب : المسافرون.

يَا مَنْ رَأَى لِي، بِحِصْنِ خَرْشَنَةٍ، أُسْدَ شَرًى، فِي ٱلْقُيُودِ أَرْجُلُهَا ؟ [١]
يَا مَنْ رَأَى لِي ٱلدُّرُوبَ شَامِخَةً ، دُونَ لِقَاءِ ٱلْحَبِيبِ أَطْوَلُهَا ؟ [٢]
يَا مَنْ رَأَى لِي ٱلْقُيُودَ مُوثَقَةً ، عَلَى حَبِيبِ ٱلْفُؤَادِ أَثْقَلُهَا ؟
— يَا أَيُّهَا ٱلرَّاكِبَانِ، هَلْ لَكُمَا فِي حَمْلِ نَجْوَى، يَخِفُّ مَحْمَلُهَا ؟ [٣]
قُولَا لَهَا ، إِنْ وَعَتْ مَقَالَكُمَا —وَإِنَّ ذِكْرِي لَهَا لَيُذْهِلُهَا :
يَا أُمَّتَا ، هٰذِهِ مَنَازِلُنَا ، نَتْرُكُهَا تَارَةً ، وَنَنْزِلُهَا !
يَا أُمَّتَا ، هٰذِهِ مَوَارِدُنَا ، نُعِلُّهَا تَارَةً ، وَنُنْهِلُهَا [٤]
أَسْلَمَنَا قَوْمُنَا إِلَى نُوَبٍ ، أَيْسَرُهَا فِي ٱلْقُلُوبِ أَقْتَلُهَا [٥]
وَٱسْتَبْدَلُوا بَعْدَنَا ، رِجَالَ وَغًى ، يَوَدُّ أَدْنَى عُلَايَ أَمْثَلُهَا
يَا سَيِّدًا ، مَا تُعَدُّ مَكْرُمَةٌ ، إِلَّا وَفِي رَاحَتَيْهِ أَكْمَلُهَا ،
لَيْسَتْ تَنَالُ ٱلْقُيُودُ مِنْ قَدَمِي ، وَفِي ٱتِّبَاعِي رِضَاكَ أَحْمِلُهَا [٦]
أَنْتَ سَمَاءٌ ، وَنَحْنُ أَنْجُمُهَا ، أَنْتَ بِلَادٌ ، وَنَحْنُ أَجْبُلُهَا !
أَنْتَ سَحَابٌ ، وَنَحْنُ وَابِلُهُ ؛ أَنْتَ يَمِينٌ ، وَنَحْنُ أَنْمُلُهَا !
بِأَيِّ عُذْرٍ رَدَدْتَ وَالِهَةً ، عَلَيْكَ، دُونَ ٱلْوَرَى، مُعَوَّلُهَا ! [٧]
جَاءَتْكَ تَمْتَاحُ رَدَّ وَاحِدِهَا ؛ يَنْتَظِرُ ٱلنَّاسُ كَيْفَ تُقْفِلُهَا . [٨]
سَمَحْتُ مِنِّي بِمُهْجَةٍ كَرُمَتْ ، أَنْتَ ، عَلَى يَأْسِهَا ، مُؤَمَّلُهَا ؛
إِنْ كُنْتَ لَمْ تَبْذُلِ ٱلْفِدَاءَ لَهَا ، فَلَمْ أَزَلْ، فِي رِضَاكَ، أَبْذُلُهَا .
تِلْكَ ٱلْمَوَدَّاتُ ، كَيْفَ تُهْمِلُهَا ؟ تِلْكَ ٱلْمَوَاعِيدُ، كَيْفَ تُغْفِلُهَا ؟ !

---

١ حصن خرشنة : قلعة للروم على الفرات . الشرى : مأسدة بجنب الفرات يضرب المثل بقوة أسدها . وتريد بأسد الشرى : ابا فراس ومَن اليه من الاسرى . ٢ الدروب جمع درب : مداخل بلاد الروم من جبال طورس . ٣ الراكبان . من عادة الشعراء مخاطبة الاثنين . ٤ نعلّها : نسقاها مرة بعد مرة حتى الارتواء . ننهلها : نسقاها السقية الاولى . ويريد بالبيتين تقلب الايام فإنهـا لا تبقى على حال من رخاء او شدّة . ٥ النُّوَب جمع نوبة وهي المصيبة النازلة . ٦ نال منه : اصابه بأذى ومضرّة . ٧ الوالهة : الشديدة الحزن، يريد امه . ٨ تمتاح : تطلب . تقفلها : ترجعها .

تِلْكَ ٱلْعُقُودُ ٱلَّتِي عَقَدْتَ لَنَا ،   كَيْفَ ، وَقَدْ أُحْكِمَتْ ، تُحَلِّلُهَا ؟ [1]
أَرْحَامُنَا مِنْكَ ، لِمْ تُقَطِّعُهَا ؟   وَلَمْ تَزَلْ ، دَائِبًا ، تُوَصِّلُهَا ! [2]
أَيْنَ ٱلْمَعَالِي ٱلَّتِي عُرِفْتَ بِهَا ،   تَقُولُهَا ، دَائِمًا ، وَتَفْعَلُهَا ؟
يَا وَاسِعَ ٱلدَّارِ ، كَيْفَ تُوسِعُهَا ؟   وَنَحْنُ فِي صَخْرَةٍ نُزَلْزِلُهَا !
يَا نَاعِمَ ٱلثَّوْبِ ، كَيْفَ تُبْدِلُهُ ؟   ثِيَابُنَا ٱلصُّوفُ مَا نُبَدِّلُهَا !
يَا رَاكِبَ ٱلْخَيْلِ ، لَوْ بَصُرْتَ بِنَا ،   نَحْمِلُ أَقْيَادَنَا ، وَنَنْقُلُهَا !
رَأَيْتَ فِي ٱلضُّرِّ ، أَوْجُهًا كَرُمَتْ ،   فَارَقَ ، فِيكَ ، ٱلْجَمَالَ أَجْمَلُهَا ؛ [3]
قَدْ أَثَّرَ ٱلدَّهْرُ فِي مَحَاسِنِهَا ،   تَعْرِفُهَا ، تَارَةً ، وَتَجْهَلُهَا !
لَا يَفْتَحُ ٱلنَّاسُ بَابَ مَكْرُمَةٍ ،   صَاحِبُهَا ٱلْمُسْتَغَاثُ يُقْفِلُهَا . [4]
أَيَنْبَرِي ، دُونَكَ ، ٱلْأَنَامُ لَهَا ؟   وَأَنْتَ قَمْقَامُهَا ، وَمَعْقِلُهَا ! [5]
وَأَنْتَ ، إِنْ عَنَّ حَادِثٌ جَلَلٌ ،   قُلَّبُهَا ٱلْمُرْتَجَى وَحُوَّلُهَا ! [6]
مِنْكَ تَرَدَّى بِٱلْفَضْلِ أَفْضَلُهَا ،   مِنْكَ أَفَادَ ٱلنَّوَالَ أَنْوَلُهَا . [7]
فَإِنْ سَأَلْنَا سِوَاكَ عَارِفَةً ،   فَبَعْدَ قَطْعِ ٱلرَّجَاءِ ، نَسْأَلُهَا ؛ [8]
لَمْ يَبْقَ ، فِي ٱلْأَرْضِ ، أُمَّةٌ عُرِفَتْ ،   إِلَّا وَفَضْلُ ٱلْأَمِيرِ يَشْمَلُهَا .
نَحْنُ أَحَقُّ ٱلْوَرَى بِرَأْفَتِهِ ،   فَأَيْنَ عَنَّا ، وَأَيْنَ مَعْدِلُهَا ؟ [9]
يَا مُنْفِقَ ٱلْمَالِ ، لَا يُرِيدُ بِهِ   إِلَّا ٱلْمَعَالِي ٱلَّتِي يُؤَثِّلُهَا ؟ [10]
أَصْبَحْتَ تَشْرِي مَكَارِمًا فُضُلًا ،   فِدَاؤُنَا ، قَدْ عَلِمْتَ ، أَفْضَلُهَا ! [11]

---

١ العقود جمع عقد : العهد ، الضمان . احكمت : اتقن عقدها . تحللها : يريد تحلّها .
٢ أرحامنا : صلات القرابة بيننا . لِمْ : لِمَ . دائباً : عاملاً جادّاً ؛ نصبها على الحال .
٣ فيك : لاجلك . ٤ صاحبها المستغاث : يريد سيف الدولة . يقفلها : ارجع الضمير الى المكرمة وكان يجب ان يرجع الى الباب . ٥ القمقام : السيد . ٦ القُلّب الحوّل : البصير بتقليب الامور ، الحكيم في تصريفها . ٧ افضلها : الضمير للأنام . النوال : العطاء . ٨ العارفة : المعروف . ٩ فأين عنا : اين ذهبت عنا . مَعدلها : انصرافها وحيدها .
١٠ يؤثلها : يؤصلها ويعظمها . ١١ فُضُلاً : زيادةً ؛ وتسكين الضاد اصوب .

لَا يَقْبَلُ ٱللهُ، قَبلَ فَرضِكَ ذَا، نَافِلَةً عِنْدَهُ تُنَفِّلُها .[١]

٢١٢ اراكَ عصيَّ الدمع . . .

[بلغ أبا فراس انَّ الروم قالت : ما أسرنا أحداً لم نسلب ثيابه غير ابي فراس . فقال يفتخر :]

أَرَاكَ عَصِيَّ ٱلدَّمعِ، شِيمَتُكَ ٱلصَّبْرُ، أَمَا لِلْهَوَى نَهْيٌ عَلَيْكَ وَلَا أَمْرُ ؟
بَلَى، أَنَا مُشتَاقٌ، وَعِندِيَ لَوعَةٌ، وَلَكِنَّ مِثْلِي لَا يُذَاعُ لَهُ سِرُّ !
فَلَا تُنكِرِينِي، يَا ٱبنَةَ ٱلعَمِّ، إِنَّهُ لَيَعرِفُ مَنْ أَنكَرتِهِ ٱلبَدْوُ وَٱلحَضْرُ ؛
وَإِنِّي لَنَزَّالٌ بِكُلِّ مَخُوفَةٍ كَثِيرٍ إِلَى نُزَّالِهَا ٱلنَّظَرُ ٱلشَّزْرُ ؛[٢]
وَإِنِّي لَجَرَّارٌ لِكُلِّ كَتِيبَةٍ مُعَوَّدَةٍ أَنْ لَا يُخِلَّ بِهَا ٱلنَّصْرُ ؛[٣]
فَأَظْمَأُ، حَتَّى تَرْتَوِي ٱلبِيضُ وَٱلقَنَا، وَأَسْغَبُ، حَتَّى يَشْبَعَ ٱلذِّئْبُ وَٱلنَّسْرُ ؛
وَلَا أُصْبِحُ ٱلحَيَّ ٱلخُلُوفَ بِغَارَةٍ، وَلَا ٱلجَيْشَ، مَا لَمْ تَأْتِهِ، قَبْلِيَ، ٱلنُّذْرُ ؛[٤]
وَيَا رُبَّ دَارٍ، لَمْ تَخَفْنِي، مَنِيعَةٍ، طَلَعْتُ عَلَيهَا بِٱلرَّدَى، أَنَا وَٱلفَجْرُ !
وَمَا حَاجَتِي بِٱلمَالِ أَبْغِي وُفُورَهُ ؟ إِذَا لَمْ أَفِرْ عِرْضِي، فَلَا وَفَرَ ٱلوَفْرُ !٥
أُسِرْتُ، وَمَا صَحْبِي بِعُزْلٍ، لَدَى ٱلوَغَى ؛ وَلَا فَرَسِي مُهْرٌ، وَلَا رَبُّهُ غُمْرُ ؛٦
وَلَكِنْ، إِذَا حُمَّ ٱلقَضَاءُ عَلَى ٱمْرِئٍ، فَلَيْسَ لَهُ بَرٌّ يَقِيهِ، وَلَا بَحْرُ .

---

١ فرضك ذا : هو الفداء، ومصدر الالتزام القرابة وحاجة الدولة الى ابي فراس . النافلة : ما زاد عن الفرض . تنفلها : تزيدها - يقول : ان الله لا يقبل منك فضائل قبل ان تتمّ الواجب؛ وهذا الواجب هو افتداء الشاعر . ٢ المخوفة : الارض يُخاف فيها . النظر الشزْر : النظر بمؤخر العين شأن المعرض المتغضب . يقول : ان هذه الارض كثيرة الاعداء . ٣ خلّ به : تركه وغاب عنه . ٤ أصبحُ : آتي صباحاً . الحيّ الخلوف : الذي غابت رجاله لم يبق منهم سوى العاجزين، ومن يستقي الماء، والنساء . النُّذُر ج نذير : المخبر؛ سُكّنت الذال لاستقامة الوزن . ٥ لم افر : لم اصُن . الوفر : المال . ٦ العُزل جمع أعزل : من هو بلا سلاح . ولا فرسي مهر : ليس هو حديث عهد بخوض القتال؛ اذن هو مجرّب . ربه : صاحبه . الغُمْر : الجاهل الغرّ ومن لم يجرّب الامور . يقول : ان انكساره لم يكن عن قلة عدد وضعف عُدّة او عن جهل لاساليب القتال، ولكن لانه قد حُمّ القضاء اي قضي امره .

وَقالَ أُصَيْحابي : « ٱلفِرارُ أوِ ٱلرَّدى ! » ... فقُلْتُ : « هُما أمْرانِ، أحلاهُما مُرُّ !

وَلَكِنَّني أمْضي لِما لا يَعيبُني ، ... وَحَسْبُكَ مِنْ أمْرَيْنِ، خَيرُهُما ٱلأسْرُ ! » [1]

يَقُولونَ لي : « بِعْتَ ٱلسَّلامَةَ بِالرَّدى » ... فَقُلْتُ : « أما وَٱللهِ، ما نالَني خُسْرُ » ؟

هُوَ ٱلمَوتُ ؛ فَٱخْتَرْ ما عَلا لكَ ذِكْرُهُ ؛ ... فَلَمْ يَمُتِ ٱلإنْسانُ ما حَيِيَ ٱلذِّكْرُ !

يَمُنُّونَ أنْ خَلَّوا ثِيابي ، وَإنَّما ... عَلَيَّ ثِيابٌ ، مِنْ دِمائِهِمِ ، حُمْرُ ، [2]

وَقائِمُ سَيْفٍ ، فيهِمِ ٱنْدَقَّ نَصْلُهُ ، ... وَأعْقابُ رُمْحٍ ، فيهِمِ حُطِّمَ ٱلصَّدْرُ . [3]

سَيَذْكُرُني قَوْمي ، إذا جَدَّ جِدُّهُمْ ؛ ... وَفي ٱللَّيْلَةِ ٱلظَّلْماءِ يُفْتَقَدُ ٱلبَدْرُ ! [4]

وَلَوْ سَدَّ غَيْري ما سَدَدْتُ ، ٱكْتَفَوا بِهِ ؛ ... وَما كانَ يَغْلو ٱلتِّبْرُ ، لَوْ نَفَقَ ٱلصُّفْرُ ؛ [5]

وَنَحْنُ أُناسٌ ، لا تَوَسُّطَ بَيْنَنا ؛ ... لَنا ٱلصَّدْرُ ، دُونَ ٱلعالَمينَ ، أوِ ٱلقَبْرُ !

٢١٣ مصابي جليل

[كان ابو فراس مثخناً بالجراح يتألّم في أسره من اهمال اصحابه له اكثر من جراحه وكان قد أُصيب بسهم بقي نصله في فخذه ، فكتب الى والدته يشكو اليها همّه ويستأنس بها :]

مُصابي جَليلٌ وَٱلعَزاءُ جَميلُ ... وَظَنِّي بِأنَّ ٱللهَ سَوْفَ يُديلُ [6]

جِراحٌ وَأسْرٌ وَٱشْتِياقٌ وَغُرْبَةٌ ... أُحَمَّلُ ؛ إنّي بَعْدَها لَحَمُولُ [7] . . .

جِراحٌ تَحاماها ٱلأُساةُ مَخُوفَةٌ ، ... وَسُقْمانِ : بادٍ مِنْهُما وَدَخيلُ [8]

---

١ لما لا يعيبني : اي للرّدى لا للفرار . من امرَين : اي الردى والاسر . ٢ يمنّون : من مَنَّ عليه ؛ فخر بالاحسان اليه وقرّعه به ؛ والضمير للروم . ٣ قائم السيف : مَقْبِضه . اندقّ : انكسر . ٤ اذا جدّ جِدّهم : اذا اشتدّ خطبهم ولم يكن هزلاً . ٥ التّبر : الذهب . الصُّفر : النحاس . يقول : لو اغنى غيري غنائي في الحروب لاكتفى قومي بـه .
٦ العزاء جميل : الصبر على الشدة جميل . يديل : اي يغير هذه الحال . ٧ حَمول : صبور .
٨ تحاماها الاساة : اجتنبها الاطباء للخوف . بادٍ ودخيل : بدل تفصيل ؛ يقول : انّ فيّ سقمين سقم القلب وسقم الجسد ، احدهما ظاهر والآخر باطن .

وَأَسْرٌ أُقَاسِيهِ، وَلَيْلٌ نُجُومُهُ أَرَى كُلَّ شَيْءٍ غَيْرَهُنَّ يَزُولُ
تَطُولُ بِيَ ٱلسَّاعَاتُ وَهِيَ قَصِيرَةٌ وَفِي كُلِّ دَهْرٍ لَا يَسُرُّكَ طُولُ [1]
تَنَاسَانِيَ ٱلْأَصْحَابُ إِلَّا عِصَابَةً سَتَلْحَقُ بِٱلْأُخْرَى غَدًا وَتَحُولُ [2]
وَمَنْ ذَا ٱلَّذِي يَبْقَى عَلَى ٱلْعَهْدِ؟ إِنَّهُمْ، وَإِنْ كَثُرَتْ دَعْوَاهُمُ، لَقَلِيلُ [3]
أُقَلِّبُ طَرْفِي لَا أَرَى غَيْرَ صَاحِبٍ يَمِيلُ مَعَ ٱلنَّعْمَاءِ حَيْثُ تَمِيلُ
وَصِرْنَا نَرَى أَنَّ ٱلْمُتَارِكَ مُحْسِنٌ وَأَنَّ صَدِيقًا لَا يَضُرُّ خَلِيلُ [4]...
فَيَا حَسْرَتِي مَنْ لِي بِخِلٍّ مُوَافِقٍ أَقُولُ بِشَجْوِي مَرَّةً وَيَقُولُ؟ [5]
وَإِنَّ وَرَاءَ ٱلسِّتْرِ أُمًّا بُكَاؤُهَا عَلَيَّ وَإِنْ طَالَ ٱلزَّمَانُ طَوِيلُ
فَيَا أُمَّتَا، لَا تَعْدَمِي ٱلصَّبْرَ إِنَّهُ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَٱلنُّجْحِ ٱلْقَرِيبِ رَسُولُ
وَيَا أُمَّتَا، لَا تُخْطِئِي ٱلْأَجْرَ إِنَّهُ عَلَى قَدَرِ ٱلصَّبْرِ ٱلْجَمِيلِ جَزِيلُ! [6]
وَيَا أُمَّتَا، صَبْرًا فَكُلُّ مُلِمَّةٍ تَجَلَّى عَلَى عِلَّاتِهَا وَتَزُولُ! [7]

. . .

لَقِيتُ نُجُومَ ٱلْأُفْقِ وَهِيَ صَوَارِمٌ وَخُضْتُ سَوَادَ ٱللَّيْلِ وَهْوَ خُيُولُ [8]
وَلَمْ أَرْعَ لِلنَّفْسِ ٱلْكَرِيمَةِ خِلَّةً عَشِيَّةَ لَمْ يَعْطِفْ عَلَيَّ خَلِيلُ [9]
وَلٰكِنْ لَقِيتُ ٱلْمَوْتَ حَتَّى تَرَكْتُهَا وَفِيهَا وَفِي حَدِّ ٱلْحُسَامِ فُلُولُ [10]
وَمَنْ لَمْ يُوَقِّ ٱللهُ فَهْوَ مُمَزَّقٌ وَمَنْ لَمْ يُعِزِّ ٱللهُ فَهْوَ ذَلِيلُ

---

١ وفي كل دهر... : اي ان الطول يلزم زمان الشدة والحزن . ٢ تحول : تتغير .
٣ انهم وان كثرت دعواهم لقليل : اي ان الاصحاب قليلون وان ادّعى الكثيرون انهم يحفظون المودة ويثبتون على العهد . ٤ المتارك : الذي لا يسيء . ٥ من لي بخل... : من يضمن لي بخلّ . يقول بشجوي... : اي يشاطرني حزني ومشقتي واشاطره حزنه ومشقته .
٦ لا تخطئي الاجر : لا تدعيه يفوتك . ٧ الملمة : المصيبة . تجلّى : اي تتجلى وقد حذفت التاء للتخفيف . على علاتها : على كل احوالها . ٨ يقول : انني خضت معارك كانت السيوف تلمع فيها كالنجوم وغبار الخيل يتلبد اسود كالليل . ٩ النفس الكريمة : اي نفسه . الخلّة : الوداد . يقول : انني خضت المعارك مغرّراً بنفسي لا ارعى لها وداداً كما ان الاصدقاء لم ينصروني في صداقتهم .
١٠ يقول : لقد واجهت الموت في الحرب والطعان مواجهة ابقت فلولاً في نفسي وفي سيفي .

٢١٤ لولا العجوز

[كتب بهذه الابيات الى والدته في منبج، وهو مأسور، يوصيها بالصبر :]

لَوْلَا ٱلْعَجُوزُ بِمَنْبِجٍ مَا خِفْتُ أَسْبَابَ ٱلْمَنِيَّهْ[1]
وَلَكَانَ لِي عَمَّا سَأَلْتُ مِنَ ٱلْفِدَا نَفْسٌ أَبِيَّهْ
لٰكِنْ أَرَدْتُ مُرَادَهَا وَلَوِ ٱنْجَذَبْتُ إِلَى ٱلدَّنِيَّهْ
وَأَرَى مُحَامَاتِي عَلَيْهَا أَنْ تُضَامَ مِنَ ٱلْحَمِيَّهْ[2]
أَمْسَتْ بِمَنْبِجَ حُرَّةٌ بِٱلْحُزْنِ مِنْ بَعْدِي حَرِيَّهْ
لَوْ كَانَ يُدْفَعُ حَادِثٌ أَوْ طَارِقٌ بِجَمِيلِ نِيَّهْ
لَمْ تَطَّرِقْ نُوَبُ ٱلْحَوَادِثِ أَرْضَ هَاتِيكَ ٱلتَّقِيَّهْ[3]
لٰكِنْ قَضَاءُ ٱللهِ وَٱلْأَحْكَامُ تَنْفُذُ فِي ٱلْبَرِيَّهْ
وَٱلصَّبْرُ يَأْتِي كُلَّ ذِي رُزْءٍ عَلَى قَدْرِ ٱلرَّزِيَّهْ[4]
لَا زَالَ يَطْرُقُ مَنْبِجاً فِي كُلِّ غَادِيَةٍ تَحِيَّهْ[5]

ميزة شعره : الروميات صورة لنفس الشاعر في عزتها وأنفتها وتجلدها في المصاب وثقتها بالله، وحنينها العميق الى الاهل والبلد . فهي ذوب عواطف الرجل، وهي نفثات يرسلها من صدره فلذاً من كبده . وهي تذوب رقةً، وسهولةً، وتتغلغل الى طوايا النفس .

٢١٥ اوصيك بالحزن

[ماتت خولة اخت سيف الدولة الكبرى في ميافارقين سنة ٩٣٦، وابو فراس في الأسر، فارسل الى اخيها بالابيات التالية يعزّيه :]

---

١ منبج : بلدة قرب حلب . ٢ يقول : ارى ان حؤولي دون ضيم العجوز، بطلب المفاداة وقبول المذلة في ذلك، هو من الاعمال الكريمة . ٣ اطّرق عليه : التفّ وتجمّع ؛ وقد عدّى الشاعر هذا الفعل تعدية مباشرة على غير قياس . ٤ يقول : ان الصبر يكون عند كل مصاب على قدر مصيبته . ٥ الغادية : السحابة تأتي في الغداة . تحيّة : اي هطل مطر .

أُوصيكَ بِٱلْحُزْنِ، لَا أُوصيكَ بِٱلْجَلَدِ ! جَلَّ ٱلْمُصَابُ عَنِ ٱلتَّعْنِيفِ وَٱلْفَنَدِ [1]
إِنِّي أُجِلُّكَ أَنْ تُكْفَى بِتَعْزِيَةٍ عَنْ خَيْرِ مُفْتَقَدٍ، يَا خَيْرَ مُفْتَقِدِ
هِيَ ٱلرَّزِيَّةُ، إِنْ ضَنَّتْ بِمَا مَلَكَتْ فِيهَا ٱلْجُفُونُ، فَمَا تَسْخُو عَلَى أَحَدِ [2]
بِي مِثْلُ مَا بِكَ مِنْ حُزْنٍ وَمِنْ جَزَعٍ، وَقَدْ لَجَأْتُ إِلَى صَبْرٍ فَلَمْ أَجِدِ
لَمْ يَنْتَقِصْنِي بُعْدِي عَنْكَ مِنْ حَزَنٍ، هِيَ ٱلْمُوَاسَاةُ فِي قُرْبٍ وَفِي بُعُدِ
لَأَشْرَكَنَّكَ فِي ٱلْبَأْسَاءِ، إِنْ طَرَقَتْ، كَمَا شَرِكْتُكَ فِي ٱلنَّعْمَاءِ وَٱلرَّغَدِ
أَبْكِي بِدَمْعٍ لَهُ مِنْ حَسْرَتِي مَدَدٌ ! وَأَسْتَرِيحُ إِلَى صَبْرٍ بِلَا مَدَدِ [3]
وَلَا أُسَوِّغُ نَفْسِي فَرْحَةً أَبَدًا، وَقَدْ عَرَفْتُ ٱلَّذِي تَلْقَاهُ مِنْ كَمَدِ [4]
وَأَمْنَعُ ٱلنَّوْمَ عَيْنِي أَنْ يُلِمَّ بِهَا، عِلْمًا بِأَنَّكَ مَوْقُوفٌ عَلَى ٱلسَّهَدِ
يَا مُفْرَدًا بَاتَ يَبْكِي، لَا مُعِينَ لَهُ، أَعَانَكَ ٱللهُ بِٱلتَّسْلِيمِ وَٱلْجَلَدِ [5]
هُوَ ٱلْأَسِيرُ ٱلْمُفَدَّى، لَا فِدَاءَ لَهُ، يَفْدِيكَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْأَهْلِينَ وَٱلْوَلَدِ ! [6]

ميزة شعره : رثاء ابي فراس زفرة تأوّه وأسف لا تجد للمصاب عزاء ، وهو دمعة منسكبة مع دمعة اهل الفقيد، وهو خضوع للقضاء، واقتصاد شديد في التفجّع .

٢١٦ اسير الهدى

[قال الثعالبي : كتب ابو فراس الى سيف الدولة يقول : « مفاداتي ان تعذرت عليك، فأذن لي في مكاتبة اهل خراسان، ومراسلتهم ليفادوني ، وينوبوا عنك في امري . » فأجابه سيف الدولة : « مَن يعرفك بخراسان ؟ » . فكتب اليه ابو فراس هذه القصيدة ومما قال فيها :]

١ الفَنَد : ضعف الرأي . يقول : ان المصاب اعظم من ان يلام صاحبه ويرمى بضعف العقل لحزنه . ٢ فيها : في الرزيئة . ٣ يقول : ان العين تجد في الحسرة ما يعينها على البكاء، ولكن الصبر لا يجد ما يعينه فهو مفقود . ٤ ولا اسوّغ نفسي فرحة ابداً : اي لا ابيحها لها ابداً . ٥ يا مفرداً : يعني نفسه . بالتسليم : اي بالخضوع لاحكام الله . ٦ المفدّى : الذي يستحق الفداء .

أَسَيْفَ ٱلْهُدَى وَقَرِيعَ ٱلْعَرَبْ ... إِلَامَ ٱلْجَفَاءُ، وَفِيمَ ٱلْغَضَبْ[1]
وَمَا بَالُ كُتْبِكَ قَدْ أَصْبَحَتْ ... تُنَكِّبُنِي مَعَ هٰذِي ٱلنُّكَبْ[2]
فَلَا تَنْسِبَنَّ إِلَيَّ ٱلْخُمُولَ ... عَلَيْكَ أَقَمْتُ فَلَمْ أَغْتَرِبْ[3]
وَأَصْبَحْتُ مِنْكَ فَإِنْ كَانَ فَضْلٌ ... وَإِنْ كَانَ نَقْصٌ فَأَنْتَ ٱلسَّبَبْ
وَإِنَّ خُرَاسَانَ إِنْ أَنْكَرَتْ ... عُلَايَ فَقَدْ عَرَفَتْهَا حَلَبْ
وَمِنْ أَيْنَ يُنْكِرُنِي ٱلْأَبْعَدُونَ ... أَمِنْ نَقْصِ جَدٍّ، أَمِنْ نَقْصِ أَبْ؟!
أَلَسْتُ وَإِيَّاكَ مِنْ أُسْرَةٍ ... وَبَيْنِي وَبَيْنَكَ فَوْقَ ٱلنَّسَبْ؟
وِدَادٌ تَنَاسَبُ فِيهِ ٱلْكِرَامُ، ... وَتَرْبِيَةٌ وَمَحَلٌّ أَشِبْ[4]
وَنَفْسٌ تَكَبَّرُ إِلَّا عَلَيْكَ ... وَتَرْغَبُ إِلَّاكَ عَمَّنْ رَغِبْ[5]

٢١٧ ناحت بقربي حمامة

[قال، وقد سمع حمامة تنوح على شجرة عالية، وهو في الاسر:]

أَقُولُ وَقَدْ نَاحَتْ بِقُرْبِي حَمَامَةٌ: ... أَيَا جَارَتَا هَلْ تَشْعُرِينَ بِحَالِي؟
مَعَاذَ ٱلْهَوَى! مَا ذُقْتِ طَارِقَةَ ٱلنَّوَى، ... وَلَا خَطَرَتْ مِنْكِ ٱلْهُمُومُ بِبَالِ
أَتَحْمِلُ مَحْزُونَ ٱلْفُؤَادِ قَوَادِمٌ ... عَلَى غُصُنٍ نَائِي ٱلْمَسَافَةِ عَالِ؟[6]
أَيَا جَارَتَا، مَا أَنْصَفَ ٱلدَّهْرُ بَيْنَنَا ... تَعَالَيْ أُقَاسِمْكِ ٱلْهُمُومَ تَعَالِي![7]
تَعَالَيْ، تَرَيْ رُوحاً، لَدَيَّ، ضَعِيفَةً، ... تَرَدَّدُ فِي جِسْمٍ يُعَذَّبُ، بَالِ
أَيَضْحَكُ مَأْسُورٌ، وَتَبْكِي طَلِيقَةٌ، ... وَيَسْكُتُ مَحْزُونٌ، وَيَنْدُبُ سَالِ!

---

١ القريع: الرئيس المقدّم. ٢ تنكّبني: تأتيني بالجفاء. النُّكَب: جمع نكبة اي مصيبة، على غير قياس. ٣ الخمول: الضعة. ٤ المحلّ الاشب: الحصين. ٥ يقول: لي نفس تتكبر على ايّ شخص سواك، وترغب عن كل انسان ما عداك. ٦ القوادم: عشر ريشات في مقدّم جناح الطائر، وقد عنى بها الجناحين على سبيل المجاز المرسل. يقول: او يلحق الحزن قلب طائر يطير حرّاً ويحط على غصن عالٍ بعيد عن الارض ومكارهها. ٧ تعالي: بالكسر على غير قياس.

لَقَدْ كُنْتُ أَوْلَى مِنْكِ بِالدَّمْعِ مُقْلَةً وَلكِنَّ دَمْعِي فِي الْحَوادِثِ غالِ[١]

٢١٨ زين الشباب ابو فراس

[ومما يُروى أنَّ ابا فراس قال الابيات التالية عندما وافـاه الاجل ، مخاطباً ابنته امرأة ابي العشائر الحمداني :]

أُبُنَيَّتِي ، لَا تَحْزَنِي ، كُلُّ الْأَنامِ إِلَى ذَهابْ !
أُبُنَيَّتِي ، صَبْرًا جَمِيلًا لِلْجَلِيلِ مِنَ الْمُصابْ !
نُوحِي عَلَيَّ بِحَسْرَةٍ ، مِنْ خَلْفِ سِتْرِكِ وَالْحِجابْ
قُولِي ، إِذَا نادَيْتِنِي ، وَعَيِيتُ عَنْ رَدِّ الْجَوابْ :
« زَيْنُ الشَّبابِ أَبُو فِرا سٍ ، لَمْ يُمَتَّعْ بِالشَّبابْ ! »

الشريف الرضي (٩٧٠ ـ ١٠١٦ م/٣٥٩ ـ ٤٠٦ هـ)

[هذا رجل خُلق للشعر والشرف فكان شاعراً وشريفاً . لقد تتابعت عليه الرَّزايا فشحذت إحساسه وفجَّرت قريحته شعراً صافياً يذوب رقَّةً؛ واتَّصل بكبار البلاد فكان مدحه لهم عبارة عن اشتراكه في المعارك السياسية الناشبة في فارس والعراق؛ ولم يكن اتصاله بالوزراء والملوك لاجل منفعة مادّيَّة بل حرصاً على منفعة عالية هي ان يكون رجلًا ذا شأن في تصريف المعضلات السياسية . وكان ابداً أبيَّ النفس، وُلد شريفاً، وعاش شريفاً، ومات شريفاً .]

---

١ المقلة : شحمة العين التي تجمع بين البياض والسواد، وقد عنى بها العين، ونصبها على التمييز .

شاعر الغزل :

٢١٩ يا ظبية البان

[قال يتغزّل :]

يَا ظَبْيَةَ ٱلْبَانِ تَرْعَى فِي خَمَائِلِهِ … لِيَهْنِكِ ٱلْيَوْمَ أَنَّ ٱلْقَلْبَ مَرْعَاكِ [١]
أَلْمَاءُ عِنْدَكِ مَبْذُولٌ لِشَارِبِهِ … وَلَيْسَ يُرْوِيكِ إِلَّا مَدْمَعِي ٱلْبَاكِي
هَبَّتْ لَنَا مِنْ رِيَاحِ ٱلْغَوْرِ رَائِحَةٌ … بَعْدَ ٱلرُّقَادِ عَرَفْنَاهَا بِرَيَّاكِ [٢]
ثُمَّ ٱنْثَنَيْنَا، إِذَا مَا هَزَّنَا طَرَبٌ … عَلَى ٱلرِّحَالِ تَعَلَّلْنَا بِذِكْرَاكِ [٣]
سَهْمٌ أَصَابَ وَرَامِيهِ بِذِي سَلَمٍ … مَنْ بِٱلْعِرَاقِ، لَقَدْ أَبْعَدْتِ مَرْمَاكِ [٤]
حَكَتْ لِحَاظُكِ مَا فِي ٱلرِّيمِ مِنْ مُلَحٍ … يَوْمَ ٱللِّقَاءِ، وَكَانَ ٱلْفَضْلُ لِلْحَاكِي [٥]
كَأَنَّ طَرْفَكِ يَوْمَ ٱلْجِزْعِ يُخْبِرُنَا … بِمَا طَوَى عَنْكِ مِنْ أَسْمَاءِ قَتْلَاكِ [٦]
أَنْتِ ٱلنَّعِيمُ لِقَلْبِي وَٱلْعَذَابُ لَهُ … فَمَا أَمَرَّكِ فِي قَلْبِي وَأَحْلَاكِ
عِنْدِي رَسَائِلُ شَوْقٍ لَسْتُ أَذْكُرُهَا … لَوْلَا ٱلرَّقِيبُ لَقَدْ بَلَّغْتُهَا فَاكِ

٢٢٠ لهفة المشتاق

[قصيدة نظمها الشريف الرضي عند توجّه الناس الى الحج سنة ١٠٠٩ .]

أَقُولُ لِرَكْبٍ رَائِحِينَ : لَعَلَّكُمْ … تَحُلُّونَ مِنْ بَعْدِي ٱلْعَقِيقَ ٱلْيَمَانِيَا، [٧]

---

١ البان : شجر يشبه بأغصانه قامات النساء في الاعتدال واللين . الخمائل جمع خميلة وهي الاشجار الملتفة الاغصان . ٢ رائحة : ريح مسائية . والريا : الرائحة الطيبة . ٣ الرّحال جمع رحل وهو مركب البعير . ٤ ذو سلم : موضع بالحجاز قرب مكة . ٥ الريم : الظبي الخالص البياض . ٦ الجزع : موضع بالحجاز قرب الطائف . ٧ العقيق : كل مسيل ماء شقه السيل في الارض ووسعه ؛ وفي بلاد العرب أربعة أعقة، وهي اودية عادية شقتها السيول ؛ والعقيق هنا : اسم موضع في نجد، وقد نسب الى اليمن لانه في ارض مما يلي اليمن .

العهد العباسي

٢

العهد العباسي في المغرب

الأدب الأندلسي

(٧١٠ – ١٤٩٢ م/ ٩١–٨٩٧ هـ)

يَا كَبِدِي تَجَلَّدَا فَمَا أُطِيقُ ٱلْجَلَدَا
عَسَى فُؤَادِي يَرْعَوِي رُبَّ مُضَلٍّ وُجِدَا

ميزة شعره : غزل الشريف الرضي شديد اللصوق بنفسه، صادر عن قلب صادق الحبّ ولوعة الصبابة، وشعور حيّ عميق الإحساس؛ وعشق الشاعر نزاع بين العقل والقلب، وصراع بين عزّة الجاه وذلّة القلب؛ تدفع العزّة الشعور فيذوب جوًى، ولكنه لا يحبط في حمأة الخالعين بل يظلّ مترسّماً خطى العذريين، نازعاً نزعة البيداء . كل ذلك في لوعة ظاهرة، وعاطفة دافقة ولهجة بدويّة رقّقتها الحاضرة، وابتكار رائع في وصف اللوعة والشوق، وتفجّر في الكلام اللّيّن العذب .

شاعر الرثاء :

٢٢٣ ابكيكِ

[وقال يرثي والدته :]

أَبْكِيكِ لَوْ نَقَعَ ٱلْغَلِيلَ بُكَائِي وَأَقُولُ لَوْ ذَهَبَ ٱلْمَقَالُ بِدَائِي
وَأَعُوذُ بِٱلصَّبْرِ ٱلْجَمِيلِ تَعَزِّيًا لَوْ كَانَ بِٱلصَّبْرِ ٱلْجَمِيلِ عَزَائِي
طَوْرًا تُكَاثِرُنِي ٱلدُّمُوعُ وَتَارَةً آوِي إِلَى أُكْرُومَتِي وَحَيَائِي
كَمْ عَبْرَةٍ مَوَّهْتُهَا بِأَنَامِلِي وَسَتَرْتُهَا مُتَجَمِّلًا بِرِدَائِي
أُبْدِي ٱلتَّجَلُّدَ لِلْعَدُوِّ وَلَوْ دَرَى بِتَمَلْمُلِي لَقَدِ ٱشْتَفَى أَعْدَائِي
مَا كُنْتُ أَذْخَرُ فِي فِدَاكِ رَغِيبَةً لَوْ كَانَ يَرْجِعُ مَيِّتٌ بِفِدَاءِ . . .
فَارَقْتُ فِيكِ تَمَاسُكِي وَتَجَمُّلِي وَنَسِيتُ فِيكِ تَعَزُّزِي وَإِبَائِي . . .
كَمْ زَفْرَةٍ ضَعُفَتْ فَصَارَتْ أَنَّةً تَمَّمْتُهَا بِتَنَفُّسِ ٱلصُّعَدَاءِ
لَهْفَانَ أَنْزُو فِي حَبَائِلِ كُرْبَةٍ مَلَكَتْ عَلَيَّ جَلَادَتِي وَغَنَائِي [1]

١ أنزو : أثب .

وَجرى ٱلزَّمانُ عَلى عَوائدِ كَيْدِهِ ... في قَلْبِ آمالي وَعكْسِ رَجائي
قَدْ كُنْتُ آمَلُ أَنْ أَكُونَ لكَ ٱلفِدا ... مِمَّا أَلَمَّ فَكُنْتَ أَنتَ فِدائي
وَتَفَرُّقُ ٱلبُعَداءِ بَعْدَ مَوَدَّةٍ ... صَعْبٌ فَكَيْفَ تَفَرُّقُ ٱلقُرَباءِ
وَتَداوُلُ ٱلأَيَّامِ يُبْلِينا كَما ... يُبْلي ٱلرِّشاءَ تَطاوُحُ ٱلأَرْجاءِ ١
لَوْ كانَ مِثْلَكَ كُلُّ أُمٍّ بَرَّةٍ ... غَنِيَ ٱلبَنُونَ بِها عَنِ ٱلآباءِ
كَيْفَ ٱلسُّلُوُّ وَكُلُّ مَوْقِعِ لَحْظَةٍ ... أَثَرٌ لِفَضْلِكِ خالِدٌ بِإِزائي
رُزْآنِ يَزْدادانِ طُولَ تَجَدُّدٍ ... أَبَدَ ٱلزَّمانِ فَناؤُها وَبَقائي
آوِي إِلى بَرْدِ ٱلظِّلالِ كَأَنَّني ... لِتَحَرُّقي آوِي إِلى ٱلرَّمْضاءِ ٢
وَأَهُبُّ مِنْ طِيبِ ٱلمَنامِ تَفَزُّعاً ... فَزَعَ ٱللَّدِيغِ نَبا عَنِ ٱلإِغْفاءِ ٣
لَوْ كانَ يُبْلِغُكِ ٱلصَّفِيحُ رَسائلي ... أَوْ كانَ يُسْمِعُكِ ٱلتُّرابُ نِدائي ٤
لَسَمِعْتِ طُولَ تَأَوُّهي وَتَفَجُّعي ... وَعَلِمْتِ حُسْنَ رِعايَتي وَوَفائي

٢٢٤ اعلمت من حملوا على الاعواد

[مات الصابي سنة ٩٩٤ وكان رئيس الكتّاب في ديوان الخلافة العباسية واحد المشهود لهم بحسن الرأي وبلاغة الانشاء . وكان له – مع انه من الصابئة وهي فرقة دينية مستضعفة – مقام عالٍ عند رجال الدولة . وممن ربطتهم به رابطة المودّة محمد بن ابي احمد الحسين العلوي وهو من ائمة الادب ومن نبلاء المسلمين . فلما مات الصابي رثاه بهذه القصيدة العامرة وهي اكثر من ثمانين بيتاً نثبت منها ما يلي :]

أَعَلِمْتَ مَنْ حَمَلُوا عَلى ٱلأَعْوادِ ... أَرَأَيْتَ كَيْفَ خَبا ضِياءُ ٱلنَّادي
جَبَلٌ هَوى لَوْ خَرَّ فِي ٱلبَحْرِ ٱغْتَدى ... مِنْ وَقْعِهِ مُتَتابِعَ ٱلإِزْبادِ

---

١ الرشاء: حبل الدلو . ٢ الرمضاء : شدة الحر ؛ والارض الحارة الحامية من شدة حرارة الشمس . ٣ نبا عن الاغفاء : لم يجد الى الاغفاء سبيلاً . ٤ الصفيح : الحجر العريض الذي يجعل على وجه القبر .

مَا كُنْتُ أَعْلَمُ قَبْلَ دَفْنِكَ فِي ٱلثَّرَى ... أَنَّ ٱلثَّرَى يَعْلُو عَلَى ٱلْأَطْوَادِ
بُعْدًا لِيَوْمِكَ فِي ٱلزَّمَانِ فَإِنَّهُ ... أَقْذَى ٱلْعُيُونَ وَفَتَّ فِي ٱلْأَعْضَادِ [1]
لَا يَنْفَدُ ٱلدَّمْعُ ٱلَّذِي يُبْكَى بِهِ ... إِنَّ ٱلْقُلُوبَ لَهُ مِنَ ٱلْأَمْدَادِ
أَعْزِزْ عَلَيَّ بِأَنْ يُفَارِقَ نَاظِرِي ... لَمَعَانُ ذَاكَ ٱلْكَوْكَبِ ٱلْوَقَّادِ
أَعْزِزْ عَلَيَّ بِأَنْ نَزَلْتَ بِمَنْزِلٍ ... مُتَشَابِهِ ٱلْأَمْجَادِ وَٱلْأَوْغَادِ [2]
مَنْ لِلْبَلَاغَةِ وَٱلْفَصَاحَةِ إِنْ هَمَى ... ذَاكَ ٱلْغَمَامُ وَعَبَّ ذَاكَ ٱلْوَادِي [3]
مَنْ لِلْمَمَالِكِ لَا يَزَالُ يَلُمُّهَا ... بِسِدَادِ أَمْرٍ ضَائِعٍ وَسَدَادِ [4]
إِنَّ ٱلدُّمُوعَ عَلَيْكَ غَيْرُ بَخِيلَةٍ ... وَٱلْقَلْبَ بِٱلسُّلْوَانِ غَيْرُ جَوَادِ
سَوَّدْتَ مَا بَيْنَ ٱلْفَضَاءِ وَنَاظِرِي ... وَغَسَلْتَ مِنْ عَيْنَيَّ كُلَّ سَوَادِ
مَاذَا ٱلَّذِي حَبَسَ ٱلْجَوَادَ عَنِ ٱلْمَدَى ... مِنْ بَعْدِ سَبْقَتِهِ إِلَى ٱلْآمَادِ
مَاذَا ٱلَّذِي فَجَعَ ٱلْهُمَامَ بِوَثْبَةٍ ... وَعَدَا عَلَى دَمِهِ وَكَانَ ٱلْعَادِي [5]
قَلَصَتْ أَظِلَّةُ كُلِّ فَضْلٍ بَعْدَهُ ... وَأَمَرَّ مَشْرَبُهَا عَلَى ٱلْوُرَّادِ [6]
يَا لَيْتَ أَنِّي مَا ٱقْتَنَيْتُكَ صَاحِبًا ... كَمْ قُنْيَةٍ جَلَبَتْ أَسًى لِفُؤَادِي
بَرْدُ ٱلْقُلُوبِ بِمَنْ تُحِبُّ لِقَاءَهُ ... مِمَّا يُجِرُّ حَرَارَةَ ٱلْأَكْبَادِ [7]
لَا تَطْلُبِي يَا نَفْسُ خِلًّا بَعْدَهُ ... فَلِمِثْلِهِ أَعْيَا عَلَى ٱلْمُرْتَادِ
إِنْ لَمْ تَكُنْ مِنْ أُسْرَتِي وَعَشِيرَتِي ... فَلَأَنْتَ أَعْلَقُهُمْ يَدًا بِوِدَادِي
ضَاقَتْ عَلَيَّ ٱلْأَرْضُ بَعْدَكَ كُلُّهَا ... وَتَرَكْتَ أَضْيَقَهَا عَلَيَّ بِلَادِي
لَكَ فِي ٱلْحَشَا قَبْرٌ وَإِنْ لَمْ تَأْوِهِ ... وَمِنَ ٱلدُّمُوعِ رَوَائِحٌ وَغَوَادِي
مَا مَاتَ مَنْ جَعَلَ ٱلزَّمَانَ لِسَانَهُ ... يَتْلُو مَنَاقِبَ عُوَّدًا وَبَوَادِي

---

١ فتّ في عضده : اضعفه . ٢ الاوغاد جمع وغد وهو الدنيء الحقير . ٣ اي اذا سال غمام الفصاحة وطغى واديها . ٤ السِداد : كل ما سددتَ به خللاً . السَداد : الاستقامة، والصواب من المقول والعمل . ٥ يقول : ما الذي هاجم الهمام وتغلب عليه وقد كان ابداً هو المتغلب . ٦ قلصت الاظلة : انقبضت ونقصت . امرّ الشيء : صار مرّاً . ٧ يقول : ان السعادة عند لقاء المحبين تصبح سبب الحزن والالم عند الفراق .

فَاذْهَبْ كَمَا ذَهَبَ ٱلرَّبِيعُ وَإِثْرُهُ   بَاقٍ بِكُلِّ خَمَائِلٍ وَنِجَادِ

٢٢٥ دفنته اعضاء . . .

[وقال يرثي صديقاً له :]

أَحِبَّايَ ٱلْأَدْنَيْنَ كَمْ أَلْقَى بِكُمْ   دَاءٌ يُمِضُّ فَلَا أُدَاوِي ٱلدَّاءَ
أَحْيَا إِخَاءَكُمُ ٱلْمَمَاتُ وَغَيْرُكُمْ   جَرَّبْتُهُمْ فَثَكِلْتُهُمْ أَحْيَاءَ
إِلَّا يَكُنْ جَسَدِي أُصِيبَ فَإِنَّنِي   فَرَّقْتُهُ فَدَفَنْتُهُ أَعْضَاءَ

ميزة شعره : رثاء الشريف زفرات طويلة يصعّدها الشاعر، وإرنان نفس نكبتها الأيّام فلا تزال تذكر الآلام وتحيي ذكرى من فارقوها بتشاؤم وجبع، ومرارة من ينتظر الموت ويعلم ان الموت آتٍ لا محالة ؛ وكاد الشريف يكتفي في رثائه بالتوجّع وإرسال الدّمع، ووصف ما لقي من وطأة الرزيّة، وبالشكوى من الزمان .

شاعر الفخر :

٢٢٦ لغير العلى مني القلى

[قال يفتخر من قصيدة يمدح بها أهل البيت :]

لِغَيْرِ ٱلْعُلَى مِنِّي ٱلْقِلَى وَٱلتَّجَنُّبُ   وَلَوْلَا ٱلْعُلَى مَا كُنْتُ فِي ٱلْحُبِّ أَرْغَبُ [1]
إِذَا ٱللّٰهُ لَمْ يَعْذِرْكَ فِيمَا تَرُومُهُ   فَمَا ٱلنَّاسُ إِلَّا عَاذِلٌ وَمُؤَنِّبُ
مَلَكْتُ بِحِلْمِي فُرْصَةً مَا ٱسْتَرَقَّهَا   مِنَ ٱلدَّهْرِ مَفْتُولُ ٱلذِّرَاعَيْنِ أَغْلَبُ [2]
فَإِنْ تَكُ سِنِّي مَا تَطَاوَلَ بَاعُهَا   فَلِي مِنْ وَرَاءِ ٱلْمَجْدِ قَلْبٌ مُذَرَّبُ [3]

---

١ القلى : البغض .   ٢ استرقها : اي حصل عليها . الاغلب : القوي الذي يغلب خصمه . يقول : اني انال بالحلم ما لا يناله القوي بالقوة .   ٣ المذرّب : الماضي .

فَحَسْبِيَ أَنِّي فِي ٱلْأَعَادِي مُبَغَّضٌ ... وَأَنِّي إِلَى غُـرِّ ٱلْمَعَالِي مُحَبَّبُ
وَلِلْحِلْمِ أَوْقَاتٌ، وَلِلْجَهْلِ مِثْلُهَـا ... وَلٰكِنَّ أَيَّامِي إِلَى ٱلْحِلْمِ أَقْرَبُ [1]
يَصُولُ عَلَيَّ ٱلْجَاهِلُونَ، وَأَعْتَـلِي ... وَيُعْجِمُ فِيَّ ٱلْقَائِلُونَ، وَأُعْرِبُ [2]
يَرَوْنَ ٱحْتِمَالِي غُصَّةً وَيَزِيدُهُمْ ... لَوَاعِجَ ضِغْنٍ أَنَّنِي لَسْتُ أَغْضَبُ [3]
وَأُعْرِضُ عَنْ كَأْسِ ٱلنَّدِيمِ كَأَنَّهَا ... وَمِيضُ غَمَامٍ غَائِرِ ٱلْمُزْنِ خُلَّبُ [4]
وَقُورٌ فَلَا ٱلْأَلْحَانُ تَأْسِرُ عَزْمَتِي ... وَلَا تَمْكُرُ ٱلصَّهْبَاءُ بِي حِينَ أَشْرَبُ
وَلَا أَعْرِفُ ٱلْفَحْشَاءَ إِلَّا بِوَصْفِهَا ... وَلَا أَنْطِقُ ٱلْعَوْرَاءَ وَٱلْقَلْبُ مُغْضَبُ
تَحَلَّمُ عَنْ كَرِّ ٱلْقَوَارِصِ شِيمَتِي ... كَأَنَّ مُعِيدَ ٱلذَّمِّ بِٱلْمَدْحِ مُطْنِبُ [5]
لِسَانِي حَصَاةٌ يَقْرَعُ ٱلْجَهْلَ بِٱلْحِجَى ... إِذَا نَالَ مِنِّي ٱلْعَاضِهُ ٱلْمُتَوَثِّبُ [6]
وَلَسْتُ بِرَاضٍ أَنْ تَمَسَّ عَزَائِمِي ... فُضَالَاتُ مَا يُعْطِي ٱلزَّمَانُ وَيَسْلُبُ [7]
غَرَائِبُ آدَابٍ حَبَانِي بِحِفْظِهَـا ... زَمَانِي، وَصَرْفُ ٱلدَّهْرِ نِعْمَ ٱلْمُؤَدِّبُ [8]

ميزة شعره : فخر الشريف يصدر صدوراً طبيعياً عن اخلاق صاحبه المغرم بالمجد والهائم بالعلياء . وشعره الفخري مزيج من شدّة ولين، يشهد على اشتباك النوازع في تلك الروح التي تجمع بين العنف واللطف، والقسوة والليونة .

---

١ الجهل : الغلظة والاسراع الى الانتقام . ٢ الاعجام : ضـد الابانة . يقول : ان الجاهلين الحمقى يعتدون عليّ ولكن قدري يرتفع، ويقولون عني كلاماً كأنه لسخفه معجم غير بين، ولكنني اعرب وابين بقولي الواضح ، وفعلي الصالح . ٣ لواعج جمع لاعج وهو المحرق . ٤ الوميض : لمعـان البرق . الغمام : المطر . المزن الغائر : السحاب الذاهب . والخلب : الخادع، وهو صفة للوميض . ٥ تحلم، اصلها تتحلم، حذفت احدى التاءين للتخفيف . القوارص : الشتائم الشديدة . والشيمة : السجية والخصلة . يقول : ان كريم طبعي يأبى عليّ إلا ان اقابـل تكرار ذمي بالحلم، وان من يكرر ذم شخص يفضح نفسه، فكانه بعد ذلك يكرر مدحاً . ٦ الحصاة : العقل . الجهل : الحمق . والعاضه : الذي يكذب على المرء في وجهه . يقول : انني اذا آذاني متوثب على ذمي بالكذب عليّ في وجهي لم اقابله بالمثل، ولم ابسط فيه لساني، بل احلم عليه واجعل لساني عقلاً يفكر ولا يتكلم . ٧ الفضالات في الاصل : البقايا، ويريد بها هنا : الملاذ الدنيوية . اي انها لا تثنيني عن معالي الامور، فلا يحزنني ما افقد من هذه الملاذ، ولا يسرني ما اناله منها . ٨ صرف الدهر : نوائبه وحوادثه .

شاعر المدح :

٢٢٧ لله يومٌ . . .

[قال يمدح الخليفة القادر بالله العباسي في أحد مجالسه :]

لِلهِ يَومٌ أَطلَعَتكَ بِـهِ العُلى عَلَماً يُزاوِلُ بِالعُيونِ وَيُرشَقُ ١
لَمّا سَمَتْ بِكَ غُرَّةٌ مَرموقَةٌ كَالشَّمسِ تَبهَرُ بِالضِّياءِ وَتومَقُ ٢
وَبَرَزتَ في بُردِ النَّبِيِّ، وَلِلهُدى نورٌ عَلى أَسرارِ وَجهِكَ مُشرِقُ ٣
وَكَأَنَّ دارَكَ جَنَّةٌ حَصباؤُها اَلجادِيُّ أَو أَنماطُها الإِستَبرَقُ ٤
في مَوقِفٍ تُغضي العُيونُ جَلالَةً فيهِ وَيَعثُرُ بِالكَلامِ المَنطِقُ ٥
وَالنّاسُ إِمّا راجِعٌ مُتَهَيِّبٌ مِمّا رَأى أَو طالِعٌ مُتَشَوِّقُ
مالوا إِلَيكَ مَحَبَّةً فَتَجَمَّعوا وَرَأَوا عَلَيكَ مَهابَةً فَتَفَرَّقوا

ميزة شعره : لم يكن مدح الشريف للتكسّب، وقد جرى فيه على طريقة المتنبي ولكنه لم يبلغ شأوه .

ابو العلاء المعري (٩٧٣ ـ ١٠٥٨ م/ ٣٦٣ ـ ٤٤٩ ﻫ)

[شاعر عميت حدقتاه وأظلمت الدنيا في عينيه فانكفأ على نفسه يسبر أغوارها، وعكف على الناس يتفهّم طبائعهم من خلال ظلامه ، وعرف من الناس شرّاً

---

١ العَلَم : الجبل . يزاول : يطلب . ٢ الغرّة : اراد بها الوجه . المرموقة : التي تميل اليها الانظار . تبهر : تغلب . تومق : تحب . ٣ اسرار الوجه : خطوطه . ٤ الجاديّ : الزعفران . الانماط جمع نمط وهو البساط . الاستبرق : الديباج الغليظ، او ديباج يعمل بالذهب، أو ثياب حرير . ٥ تغضي : تغمض .

وضلالًا، وسمع من الناس اقوالًا، وقلّب في ذاكرته صفحات كتاب الكون، واذا في نفسه اشمئزاز وانقباض، واذا في فلسفته وتفكيره اضطراب وتشاؤم، واذا في كلامه، مع ذلك، عمق ونور .]

ابو العلاء المعري الشاعر :

٢٢٨ لي الشرف الذي يطأ الثريا

[قال المعري يفتخر :]

أرَى ٱلعَنقاءَ تَكبُرُ أنْ تُصادَا   فَعانِدْ مَنْ تُطِيقُ لَهُ عِنادَا [١]
وَمَا نَهْنَهْتُ عَنْ طَلَبٍ وَلٰكِنْ   هِيَ ٱلأيّامُ لَا تُعطِي قِيادَا [٢]
فَلَا تَلُمِ ٱلسَّوابِقَ وَٱلمَطَايَا   إذَا غَرَضٌ مِنَ ٱلأغْرَاضِ حَادَا [٣]
لَعَلَّكَ أنْ تَشُنَّ بِهَا مُغَارًا   فَتُنْجِحَ أوْ تُجَشِّمَهَا طِرَادَا [٤]
مُقارِعَةً أحِجَّتَهَا ٱلعَوَالِي   مُجَنِّبَةً نَوَاظِرَهَا ٱلرُّقَادَا [٥]
نَلُومُ عَلَى تَبَلُّدِهَا قُلُوبًا   تُكَابِدُ مِنْ مَعِيشَتِهَا جِهَادَا [٦]
إذَا مَا ٱلنَّارُ لَمْ تُطْعَمْ ضِرَامًا   فَأوْشِكْ أنْ تَمُرَّ بِهَا رَمَادَا
فَظُنَّ بِسَائِرِ ٱلإخْوَانِ شَرًّا   وَلَا تَأمَنْ عَلَى سِرٍّ فُؤَادَا
فَلَوْ خَبَّرْتَهُمُ ٱلجَوْزَاءُ خُبْرِي   لَمَا طَلَعَتْ مَخَافَةَ أنْ تُكَادَا [٧]

---

١ العنقاء : طائر عظيم الجسم طويل العنق يبعد في طيرانه، لا وجود له، يضرب المثل به في الشيء يسمع ولا يرى . ٢ نهنهت : كففت . ٣ يقول : لا تلم الخيل والابل ان لم تدرك غرضك فلعلك تطلب بها غرضاً آخر وهو شن الغارة . ٤ تشن : تفرق الخيل على الاعداء وتأتيهم من كل جهة . المُغار : موضع الغارة . ٥ الاحجة جمع حجاج وهو العظم الذي فوق العين وعليه الحاجب . اي تكون الرماح مقارعة لما فوق اعينها . ٦ تبلدها : كسلها . تكابد : تقاسي . ٧ الجوزاء : من بروج السماء . كاده : خدعه ومكر به .

تَجَنَّبْتُ ٱلأَنامَ، فَلا أُواخي ... وَزِدْتُ عَنِ ٱلعَدُوِّ فَلا أُعادي
وَلَمَّا أَنْ تَجَهَّمَني مُرادي ... جَرَيْتُ مَعَ ٱلزَّمانِ كَما أَرادا [1]
وَهَوَّنْتُ ٱلخُطوبَ عَلَيَّ حَتّى ... كَأَنّي صِرْتُ أَمْنَحُها ٱلوِدادا
أَأُنْكِرُها وَمَنْبِتُها فُؤادي ... وَكَيْفَ تُنْكِرُ ٱلأَرْضُ ٱلقَتادا؟ [2]
فَأَيُّ ٱلنّاسِ أَجْعَلُهُ صَديقاً ... وَأَيُّ ٱلأَرْضِ أَسْلُكُهُ ٱرْتِيادا؟
وَلَوْ أَنَّ ٱلنُّجومَ لَدَيَّ مالٌ ... نَفَتْ كَفّايَ أَكْثَرَها ٱنْتِقادا
كَأَنّي في لِسانِ ٱلدَّهْرِ لَفْظٌ ... تَضَمَّنَ مِنْهُ أَغْراضاً بِعادا
يُكَرِّرُني لِيَفْهَمَني رِجالٌ ... كَما كَرَّرْتَ مَعْنًى مُسْتَعادا
وَلَوْ أَنّي حُبيتُ ٱلخُلْدَ فَرْداً ... لَما أَحْبَبْتُ بِٱلخُلْدِ ٱنْفِرادا
فَلا هَطَلَتْ عَلَيَّ وَلا بِأَرْضي ... سَحائِبُ لَيْسَ تَنْتَظِمُ ٱلبِلادا [3]
وَكَمْ مِنْ طالِبٍ أَمَدي سَيَلْقى ... دُوَيْنَ مَكانِيَ ٱلسَّبْعَ ٱلشِّدادا [4]
يُؤَجِّجُ في شُعاعِ ٱلشَّمْسِ ناراً ... وَيَقْدَحُ في تَلَهُّبِها زِنادا [5]
وَيَطْعَنُ في عُلايَ، وَإِنَّ شِسْعي ... لَيَأْنَفُ أَنْ يَكونَ لَهُ نِجادا [6]
وَيُظْهِرُ لي مَوَدَّتَهُ مَقالاً ... وَيُبْغِضُني ضَميراً وَٱعْتِقادا
فَلا وَأَبيكَ ما أَخْشى ٱنْتِقاصاً ... وَلا وَأَبيكَ ما أَرْجو ٱزْدِيادا!
لِيَ ٱلشَّرَفُ ٱلَّذي يَطَأُ ٱلثُّرَيّا ... مَعَ ٱلفَضْلِ ٱلَّذي بَهَرَ ٱلعِبادا
وَكَمْ عَيْنٍ تُؤَمِّلُ أَنْ تَراني ... وَتَفْقِدُ عِنْدَ رُؤْيَتِيَ ٱلسَّوادا [7]
وَلَوْ مَلأَ ٱلسُّها عَيْنَيْهِ مِنّي ... أَبَرَّ عَلى مَدى زُحَلٍ وَزادا [8]

---

١ تجهمه : تنكر له . يقول : لما استعصى عليّ ما اريد جاريت الزمان في ما يريد . ٢ القتاد : نوع من الشوك . ٣ تنتظم : تعم . ٤ دوين : تصغير دون . والسبع الشداد : السموات . يقول : كم من رجل يريد ان يبلغ ما بلغت ودونه ودون ذلك مسافات شاسعة . ٥ يقول : ان من يسابقني ويباريني في المجد لا يدركني ؛ بل يكون مثله كمثل من يؤجج ناراً يكيد بها الشمس . ٦ شسع النعل : الزمام بين الاصبع الوسطى والتي تليها . النجاد : حمائل السيف . ٧ سواد العين : الحدقة منها، وبها يكون الإبصار . يقول : كم من رجل يريد ان يعرف حقيقتي فلا ينال مبتغاه . ٨ السها : نجوم خفية في بنات نعش الصغرى . وليس لها أثر في الحظ والتأثير عند المنجمين كما لزحل . ابرّ : فاق .

أَفُلُّ نَوَائِبَ ٱلأَيَّامِ وَحْدِي ... إِذَا جَمَعَتْ كَتَائِبَهَا ٱحْتِشَادَا [١]
وَقَدْ أَثْبَتُّ رِجْلِي فِي رِكَابٍ ... جَعَلْتُ مِنَ ٱلزَّمَاعِ لَهُ بِدَادَا [٢]
إِذَا أَوْطَأْتُهَا قَدَمَيْ سُهَيْلٍ ... فَلَا سُقِيَتْ خُنَاصِرَةُ ٱلعِهَادَا [٣]
كَأَنَّ ظِمَاءَهُنَّ بَنَاتُ نَعْشٍ ... يَرِدْنَ إِذَا وَرَدْنَ بِنَا ٱلثِّمَادَا [٤]
سَتَعْجَبُ مِنْ تَغَشْمُرِهَا لَيَالٍ ... تُبَارِينَـا كَوَاكِبُهَا سُهَادَا [٥]
كَأَنَّ فِجَاجَهَا فَقَدَتْ حَبِيباً ... فَصَيَّرَتِ ٱلظَّلَامَ لَهَا حِدَادَا
وَقَدْ كَتَبَ ٱلضَّرِيبُ بِهَا سُطُوراً ... فَخِلْتُ ٱلأَرْضَ لَابِسَةً بِجَادَا [٦]
كَأَنَّ ٱلزِّبْرِقَانَ بِهَـا أَسِيرٌ ... تُجُنِّبَ لَا يُفَكُّ وَلَا يُفَادَى [٧]
وَبَعْضُ ٱلظَّاعِنِينَ كَقَرْنِ شَمْسٍ ... يَغِيبُ فَإِنْ أَضَاءَ ٱلفَجْرُ عَادَا
وَلٰكِنِّي ٱلشَّبَابُ، إِذَا تَوَلَّى ... فَجَهْلٌ أَنْ تَرُومَ لَهُ ٱرْتِدَادَا
وَأَحْسَبُ أَنَّ قَلْبِي لَوْ عَصَانِي ... فَعَاوَدَ، مَا وَجَدْتُ لَهُ ٱفْتِقَادَا [٨]

(سقط الزند)

٢٢٩ الا في سبيل المجد ما انا فاعلُ

أَلَا فِي سَبِيلِ ٱلمَجْدِ مَا أَنَا فَاعِلُ : ... عَفَافٌ، وَإِقْدَامٌ، وَحَزْمٌ، وَنَائِلُ [٩]

---

١ أفل النوائب : اهزمها . والكتائب جمع كتيبة وهي الجماعة من الخيل للحرب . ٢ الزماع : الشجاعة . والبـداد : ما على جانبي السرج من اللبد، والحشو الذي تقع عليه ساقا الراكب . ٣ سهيل : نجم يطلع فوق سمت اليمن . وخناصرة : بلدة بالشام . والعهـاد : المطر . يقول : اذا توجهت تلقاء اليمن فلا ابالي ما يصيب الشام بعدي . ٤ بنات نعش : كواكب متفرقة تشاهد جهة القطب الشمالي . والثماد جمع ثمد وهي المياه القليلة تكون تحت الرمل يحفر عنها حفر صغيرة يقرب بعضها من بعض . يقول : كأن ركائبي العطاش حين ترد هذه الثماد مثل الكواكب المسماة بنات نعش في تفرقها . ٥ التغشمر : التعسف . ٦ الضريب : الصقيع، وهو الندى يسقط فيصبح أبيض على وجه الارض . البجاد : الكساء المخطط . ٧ الزبرقان : القمر، اي كأن القمر أسر في هذه الارض، فليس له من فكاك، فتطلع الشمس حين غاب . ٨ افتقاد الشيء : ان تطلبه في غيبته . اي لم أطلبه . ٩ النائل : العطاء والمعروف .

أَعِنْدِي، وَقَدْ مَارَسْتُ كُلَّ خَفِيَّةٍ   يُصَدَّقُ وَاشٍ، أَوْ يُخَيَّبُ سَائِلُ ؟ [1]
أَقَلُّ صُدُودِي أَنَّنِي لَكَ مُبْغِضٌ   وَأَيْسَرُ هَجْرِي أَنَّنِي عَنْكَ رَاحِلُ [2]
إِذَا هَبَّتِ ٱلنَّكْبَاءُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ   فَأَهْوَنُ شَيْءٍ مَا تَقُولُ ٱلْعَوَاذِلُ [3]
تُعَدُّ ذُنُوبِي عِنْدَ قَوْمٍ كَثِيرَةً   وَلَا ذَنْبَ لِي إِلَّا ٱلْعُلَى وَٱلْفَضَائِلُ
كَأَنِّي إِذَا طُلْتُ ٱلزَّمَانَ وَأَهْلَهُ   رَجَعْتُ وَعِنْدِي لِلْأَنَامِ طَوَائِلُ [4]
وَقَدْ سَارَ ذِكْرِي فِي ٱلْبِلَادِ، فَمَنْ لَهُمْ   بِإِخْفَاءِ شَمْسٍ ضَوْؤُهَا مُتَكَامِلُ ؟
يُهِمُّ ٱللَّيَالِي بَعْضُ مَا أَنَا مُضْمِرٌ   وَيُثْقِلُ رَضْوَى دُونَ مَا أَنَا حَامِلُ [5]
وَإِنِّي وَإِنْ كُنْتُ ٱلْأَخِيرَ زَمَانُهُ   لَآتٍ بِمَا لَمْ تَسْتَطِعْهُ ٱلْأَوَائِلُ
وَأَغْدُو، وَلَوْ أَنَّ ٱلصَّبَاحَ صَوَارِمٌ   وَأَسْرِي، وَلَوْ أَنَّ ٱلظَّلَامَ جَحَافِلُ [6]
وَإِنِّي جَوَادٌ لَمْ يُحَلَّ لِجَامُهُ   وَنِضْوٌ يَمَانٍ أَغْفَلَتْهُ ٱلصَّيَاقِلُ [7]
وَإِنْ كَانَ فِي لُبْسِ ٱلْفَتَى شَرَفٌ لَهُ   فَمَا ٱلسَّيْفُ إِلَّا غِمْدُهُ وَٱلْحَمَائِلُ
وَلِي مَنْطِقٌ لَمْ يَرْضَ لِي كُنْهَ مَنْزِلِي   عَلَى أَنَّنِي بَيْنَ ٱلسِّمَاكَيْنِ نَازِلُ [8]
لَدَى مَوْطِنٍ يَشْتَاقُهُ كُلُّ سَيِّدٍ   وَيَقْصُرُ عَنْ إِدْرَاكِهِ ٱلْمُتَنَاوِلُ [9]
وَلَمَّا رَأَيْتُ ٱلْجَهْلَ فِي ٱلنَّاسِ فَاشِياً   تَجَاهَلْتُ حَتَّى ظُنَّ أَنِّيَ جَاهِلُ
فَوَا عَجَباً كَمْ يَدَّعِي ٱلْفَضْلَ نَاقِصٌ   وَوَا أَسَفَا كَمْ يُظْهِرُ ٱلنَّقْصَ فَاضِلُ !
وَكَيْفَ تَنَامُ ٱلطَّيْرُ فِي وُكُنَاتِهَا   وَقَدْ نُصِبَتْ لِلْفَرْقَدَيْنِ ٱلْحَبَائِلُ [10]

١ الواشي : المفسد، الذي ينقل كلاماً لا صحة له . والاستفهام هنا للانكار . ٢ يخاطب لائمه بقوله : لا ارضى فيك بالصدود دون الابغاض لك، ولا بالهجر دون الارتحال عنك . ٣ النكباء : الريح تهب بين مهبي ريحين . يقول : اذا بعدت عنكم، واصبح بيني وبينكم فراغ تهب فيه الرياح، فلا أبالي بقول العواذل . ٤ طلت : فقت وسموت . والطوائل : الترات، اي كأن لهم ثأراً عندي يطلبونه . ٥ رضوى : جبل بين المدينة وينبع . وفي البيت اشارة الى حمله مثقلات الخطوب .
٦ الصوارم : السيوف . والجحافل جمع جحفل وهو الجيش الكثير . وغدا : سار في الصباح . وسرى : سار في الليل . ٧ لم يُحَلّ : لم يزيّن . النضو اليماني : السيف اليماني . الصياقل : الذين يصقلون السيوف . ٨ السماكان : الرامح والاعزل : نجمان في السماء . ٩ الجهل : السفه .
١٠ الوكنات جمع وكنة وهي موضع نوم الطير . والحبائل جمع حبالة وهي الشبكة تنصب لصيد الطائر . يقول : اذا كان مثلي في فضله وعلوه الذي يشبه بعلو النجوم في السماء، يكيد له الناس، ولا يتورعون عن سبه وتنقصه ، فكيف يسلم من المكايد من يقل عني، وليس له منعتي . ومتى نال الناس النجوم بالاذى لم يأمن الطير على نفسه .

يُنافِسُ يَوْمِي فِيَّ أَمْسِي تَشَرُّفاً وَتَحْسُدُ أَسْحَارِي عَلَيَّ ٱلْأَصَائِلُ [١]

وَطَالَ ٱعْتِرَافِي بِٱلزَّمَانِ وَصَرْفِهِ فَلَسْتُ أُبَالِي مَنْ تَغُولُ ٱلْغَوَائِلُ [٢]

فَلَوْ بَانَ عَضْدِي مَا تَأَسَّفَ مَنْكِبِي وَلَوْ مَاتَ زَنْدِي مَا بَكَتْهُ ٱلْأَنَامِلُ [٣]

إِذَا وَصَفَ ٱلطَّائِيَّ بِٱلْبُخْلِ مَادِرٌ وَعَيَّرَ قُسّاً بِٱلْفَهَاهَةِ بَاقِلُ [٤]

وَقَالَ ٱلسُّهَا لِلشَّمْسِ: أَنْتِ خَفِيَّةٌ وَقَالَ ٱلدُّجَى: يَا صُبْحُ لَوْنُكَ حَائِلُ [٥]

وَطَاوَلَتِ ٱلْأَرْضُ ٱلسَّمَاءَ سَفَاهَةً وَفَاخَرَتِ ٱلشُّهْبَ ٱلْحَصَى وَٱلْجَنَادِلُ

فَيَا مَوْتُ زُرْ، إِنَّ ٱلْحَيَاةَ ذَمِيمَةٌ وَيَا نَفْسُ جِدِّي إِنَّ دَهْرَكِ هَازِلُ

إِذَا أَنْتَ أُعْطِيتَ ٱلسَّعَادَةَ لَمْ تُبَلْ وَإِنْ نَظَرَتْ شَزْراً إِلَيْكَ ٱلْقَبَائِلُ [٦]

فَإِنْ كُنْتَ تَبْغِي ٱلْعِزَّ فَٱبْغِ تَوَسُّطاً فَعِنْدَ ٱلتَّنَاهِي يَقْصُرُ ٱلْمُتَطَاوِلُ

تَوَقَّى ٱلْبُدُورُ ٱلنَّقْصَ وَهْيَ أَهِلَّةٌ وَيُدْرِكُهَا ٱلنُّقْصَانُ وَهْيَ كَوَامِلُ

ميزة شعره: يكدّ ابو العلاء ويجهد في البرهان عن مفاخره وكأنه يخشى من علّته وقبح خارجه ان يسقطاه في اعتبار الناس، وينظم الشعر النابض بنزعات شخصيّته القويّة، ولا يتحرّج من المبالغة في التمدّح .

---

١ يناقس: من قولهم نفست بالشيء انفس اذا ضننت به اي ان الوقت الذي اكون فيه تشرف في فسائر الاوقات تحسد الوقت الذي اكون فيه حتى صار امسي يحسد يومي لكوني فيه وكذلك تحسد الاصائل مع اعتدالها واضاءتها الاسحار التي اكون فيها مع بردها وظلامها، والاصائل جمع جمع الجمع فالواحد اصيل ثم اصل ثم آصال ثم اصائل . ٢ الاعتراف : بمعنى المعرفة والعلم . غاله : اخذه من حيث لا يدري واهلكه . ٣ بان : انفصل . والمنكب : مجتمع رأس الكتف والعضد . والزند : موصل الذراع في الكف . ٤ يريد بالطائي حاتماً . مادر : رجل يضرب به المثل في البخل . قس بن ساعدة : احد خطباء الجاهلية وفصحائها . باقل : رجل يضرب به المثل في العي . ٥ السها : نجوم خفية في بنات نعش الصغرى . ٦ لم تبل : اي لم تبال . وهذا الفعل قد يشذ عن حكم المنقوص المجزوم فيعامل معاملة الثلاثي الاجوف في الشعر فتحذف عينه بعد حذف لامه للجزم ويسكن ما قبل آخره . والنظر الشزر : النظر بمؤخر العين غضباً .

٢٣٠ غيرُ مجدٍ في ملّتي واعتقادي . . .

[وقال المعري يرثي احد الفقهاء الحنفيّين وكان عزيزاً عليه :]

غَيْرُ مُجْدٍ فِي مِلَّتِي وَٱعْتِقَادِي   نَوْحُ بَاكٍ وَلَا تَرَنُّمُ شَادِ [١]
وَشَبِيهٌ صَوْتُ ٱلنَّعِيِّ إِذَا قِيسَ   بِصَوْتِ ٱلْبَشِيرِ فِي كُلِّ نَادِ [٢]
أَبَكَتْ تِلْكُمُ ٱلْحَمَامَةُ أَمْ   غَنَّتْ عَلَى فَرْعِ غُصْنِهَا ٱلْمَيَّادِ [٣]
صَاحِ هٰذِي قُبُورُنَا تَمْلَأُ ٱلرُّحْبَ   فَأَيْنَ ٱلْقُبُورُ مِنْ عَهْدِ عَادِ [٤]
خَفِّفِ ٱلْوَطْءَ مَا أَظُنُّ أَدِيمَ ٱلْـ   ـأَرْضِ إِلَّا مِنْ هٰذِهِ ٱلْأَجْسَادِ [٥]
وَقَبِيحٌ بِنَا وَإِنْ قَدُمَ ٱلْعَهْـ   ـدُ هَوَانُ ٱلْآبَاءِ وَٱلْأَجْدَادِ
سِرْ إِنِ ٱسْطَعْتَ فِي ٱلْهَوَاءِ رُوَيْدًا   لَا ٱخْتِيَالًا عَلَى رُفَاتِ ٱلْعِبَادِ
رُبَّ لَحْدٍ قَدْ صَارَ لَحْدًا مِرَارًا   ضَاحِكٍ مِنْ تَزَاحُمِ ٱلْأَضْدَادِ
وَدَفِينٍ عَلَى بَقَايَا دَفِينٍ   فِي طَوِيلِ ٱلْأَزْمَانِ وَٱلْآبَادِ
فَٱسْأَلِ ٱلْفَرْقَدَيْنِ عَمَّنْ أَحَسَّا   مِنْ قَبِيلٍ وَآنَسَا مِنْ بِلَادِ [٦]
كَمْ أَقَامَا عَلَى زَوَالِ نَهَارٍ   وَأَنَارَا لِمُدْلِجٍ فِي سَوَادِ [٧]
تَعَبٌ كُلُّهَا ٱلْحَيَاةُ فَمَا أَعْجَبُ   إِلَّا مِنْ رَاغِبٍ فِي ٱزْدِيَادِ
إِنَّ حُزْنًا فِي سَاعَةِ ٱلْمَوْتِ أَضْعَا   فُ سُرُورٍ فِي سَاعَةِ ٱلْمِيلَادِ
خُلِقَ ٱلنَّاسُ لِلْبَقَاءِ فَضَلَّتْ   أُمَّةٌ يَحْسَبُونَهُمْ لِلنَّفَادِ [٨]
إِنَّمَا يُنْقَلُونَ مِنْ دَارِ أَعْمَا   لٍ إِلَى دَارِ شِقْوَةٍ أَوْ رَشَادِ

---

١ غير مجد : غير نافع . الترنم : الانشاد . الشادي : المغني . يقول : اني اعتقد ان نوح الباكي وترنم الشادي لا ينفعان .   ٢ النادي : المجلس .   ٣ الفرع : من كل شيء اعلاه ومن الشجرة غصنها او اعلى الغصن . المياد : المترنح بحركة الهواء .   ٤ صاح : منادى مرخم صاحب شذوذاً لكثرة الاستعمال . عاد : هو ابن عوص بن آرام بن سام بن نوح وجدّ القبيلة المعروفة باسمه   ٥ أديم الارض : ظاهر الارض .   ٦ الفرقدين : الشمس والقمر . القبيل : الجماعة من الناس . آنسا : أبصرا .   ٧ المدلج : السائر ليلاً .   ٨ للبقاء : اي في الدار الاخرة . امة : هم الدهريون القائلون بفناء الارواح .

ضَجعةُ ٱلموتِ رَقدةٌ يستريحُ ٱلجسمُ فيها وَٱلعيشُ مثلُ ٱلسُّهادِ

. . .

أَبَناتِ ٱلهديلِ أَسعِدنَ أَوْعِدنَ قليلَ ٱلعزاء بِٱلإسعادِ [1]
إيهِ لله دَرُّكُنَّ فأنتنَّ ٱللَّواتي تُحسِنَّ حفظَ ٱلوِدادِ [2]
مَا نَسيتُنَّ هالِكاً في ٱلأوانِ ٱلخالِ أَوْدَى مِن قبلِ هُلكِ إيادِ [3]
بَيْدَ أنِّي لا أرتضي مَا فعلتُنَّ وَأطواقُكُنَّ في ٱلأجيادِ
فتسلَّبْنَ وَٱستعِرْنَ جميعاً مِنْ قميصِ ٱلدُّجى ثيابَ حِدادِ
ثُمَّ غَرِّدنَ في ٱلمآتمِ وَٱندُبْنَ بِشجوٍ مَعَ ٱلغواني ٱلخِرادِ [4]

. . .

قَصَدَ ٱلدَّهرُ مِنْ أَبي حمزةَ ٱلأوَّابِ مَوْلَى حِجىً وَخِدنَ ٱقتصادِ [5]
أَنفقَ ٱلعُمرَ ناسِكاً يطلبُ ٱلعلمَ بِكشفٍ عَنْ أَصلِهِ وَٱنتقادِ
ذا بَنانٍ لا تَلمسُ ٱلذَّهبَ ٱلأحمرَ زُهداً في ٱلعسجدِ ٱلمُستفادِ [6]

. . .

وَدِّعا أيُّها ٱلحفيَّانِ ذاكَ ٱلشَّخصَ إنَّ ٱلوداعَ أيسرُ زادِ
وَٱغسِلاهُ بِٱلدَّمعِ إن كانَ طُهراً وَٱدفِناهُ بَينَ ٱلحشَى وَٱلفؤادِ
وَٱحبُواهُ ٱلأكفانَ مِنْ وَرَقِ ٱلمُصحفِ كِبْراً عَنْ أنفَسِ ٱلأبرادِ
وَٱتلُوا ٱلنَّعشَ بِٱلقراءةِ وَٱلتَّسبيحِ لا بِٱلنَّحيبِ وَٱلتَّعدادِ

. . .

كَيفَ أصبحتَ في مَحلِّكَ بَعدي يا جَديراً مِنِّي بِحُسنِ ٱفتقادِ
قَدْ أقَرَّ ٱلطَّبيبُ عَنكَ بِعجزٍ وَتقضَّى تَرَدُّدُ ٱلعُوَّادِ

---

١ بنات الهديل : الحمام . اسعدن : ساعدن . ٢ إيه : اسم فعل بمعنى زد وامض بحديثك .
٣ اشارة الى ان الحمام لا تزال وفية تبكي هديلها الذي هلك سابقاً . ٤ الخراد : الابكار .
٥ ابو حمزة : المرثي . اي اصابه الدهر وكان صاحب عقل وصلاح . ٦ العسجد : الذهب .

وَٱنْتَهَى ٱلْيَأْسُ مِنْكَ وَٱسْتَشْعَرَ ٱلْوَجْدُ بِأَنْ لَا مَعَادَ حَتَّى ٱلْمَعَادِ
هَجَدَ ٱلسَّاهِرُونَ حَوْلَكَ لِلتَّمْرِيضِ، وَيْحٌ لِأَعْيُنِ ٱلْهُجَّادِ!
كُنْتَ خِلَّ ٱلصِّبَا فَلَمَّا أَرَادَ ٱلْبَيْنَ وَافَقْتَ رَأْيَهُ فِي ٱلْمُرَادِ[1]
وَرَأَيْتَ ٱلْوَفَاءَ لِلصَّاحِبِ ٱلْأَوَّلِ مِنْ شِيمَةِ ٱلْكَرِيمِ ٱلْجَوَادِ
وَخَلَعْتَ ٱلشَّبَابَ غَضًّا، فَيَا لَيْتَكَ أَبْلَيْتَهُ مَعَ ٱلْأَنْدَادِ![2]
فَٱذْهَبَا خَيْرَ ذَاهِبَيْنِ حَقِيقَيْنِ بِسُقْيَا رَوَائِحٍ وَغَوَادِ[3]
وَمَرَاثٍ لَوْ أَنَّهُنَّ دُمُوعٌ لَمَحَوْنَ ٱلسُّطُورَ فِي ٱلْإِنْشَادِ

. . .

زُحَلٌ أَشْرَفُ ٱلْكَوَاكِبِ دَارًا مِنْ لِقَاءِ ٱلرَّدَى عَلَى مِيعَادِ[4]
وَلِنَارِ ٱلْمِرِّيخِ مِنْ حَدَثَانِ ٱلدَّهْرِ مُطْفٍ وَإِنْ عَلَتْ فِي ٱتِّقَادِ[5]
وَٱلثُّرَيَّا رَهِينَـةٌ بِٱفْتِرَاقِ ٱلشَّمْلِ حَتَّى تُعَدَّ فِي ٱلْأَفْرَادِ[6]
كُلُّ بَيْتٍ لِلْهَدْمِ مَا تَبْتَنِي ٱلْوَرْقَاءُ وَٱلسَّيِّدُ ٱلرَّفِيعُ ٱلْعِمَادِ[7]
وَٱلْفَتَى ظَاعِنٌ وَيَكْفِيهِ ظِلُّ ٱلسِّدْرِ ضَرْبَ ٱلْأَطْنَابِ وَٱلْأَوْتَادِ[8]
بَانَ أَمْرُ ٱلْإِلٰهِ وَٱخْتَلَفَ ٱلنَّا سُ فَدَاعٍ إِلَى ضَلَالٍ وَهَادِ
وَٱلَّذِي حَارَتِ ٱلْبَرِيَّةُ فِيهِ حَيَوَانٌ مُسْتَحْدَثٌ مِنْ جَمَادِ
وَٱللَّبِيبُ ٱللَّبِيبُ مَنْ لَيْسَ يَغْتَرُّ بِكَوْنٍ مَصِيرُهُ لِلْفَسَادِ

(سقط الزند)

ميزة شعره: جمعت هذه القصيدة اللوعة وعمق الفكر، فكانت مزيجاً من عاطفة خفّاقة، وحكمة عميقة، في صور رائعة.

---

١ الضمير في اراد يرجع الى الصبا. ٢ الغض: النضر، الزاهي. الانداد جمع الند وهو القرين المماثل. ٣ الروائح والغوادي: السحب التي تحمل الماء مساءً وصباحاً. ٤ زحل: اسم لكوكب من السيارات الخاضعة للنظام الشمسي. الردى: الموت. ٥ المريخ: اسم لكوكب من السيارات ايضاً وهو يظهر للناظر احمر متوقداً. حدثان الدهر: مصائبه وحوادثه. ٦ الثريا: اسم لكوكب. ٧ الورقاء: الحمامة. ٨ الظاعن: الراحل. السدر: شجر النبق.

٢٣١ عللاني

[قال المعري في اعادة ذكرى ووصف ليلة :]

عَلِّلَانِي فَإِنَّ طِيبَ ٱلْأَمَانِي فَنِيَتْ وَٱلزَّمَانُ لَيْسَ بِفَانِ
إِنْ تَنَاسَيْتُمَا وِدَادَ أُنَاسٍ فَٱجْعَلَانِي مِنْ بَعْضِ مَنْ تَذْكُرَانِ
رُبَّ لَيْلٍ كَأَنَّهُ ٱلصُّبْحُ فِي ٱلْحُسْـنِ وَإِنْ كَانَ أَبْيَضَ ٱلطَّيْلَسَانِ
قَدْ رَكَضْنَا فِيهِ إِلَى ٱللَّهْوِ لَمَّا وَقَفَ ٱلنَّجْمُ وِقْفَةَ ٱلْحَيَوَانِ
كَمْ أَرَدْنَا ذَاكَ ٱلزَّمَانَ بِمَدْحٍ فَشُغِلْنَا بِذَمِّ هٰذَا ٱلزَّمَانِ
فَكَأَنِّي مَا قُلْتُ، وَٱلْبَدْرُ طِفْلٌ وَشَبَابُ ٱلظَّلْمَاءِ فِي عُنْفُوَانِ
لَيْلَتِي هٰذِهِ عَرُوسٌ مِنَ ٱلزَّنْـجِ عَلَيْهَا قَلَائِدٌ مِنْ جُمَانِ [1]
هَرَبَ ٱلنَّوْمُ عَنْ جُفُونِيَ فِيهَا هَرَبَ ٱلْأَمْنِ عَنْ فُؤَادِ ٱلْجَبَانِ
وَكَأَنَّ ٱلْهِلَالَ يَهْوَى ٱلثُّرَيَّا فَهُمَا لِلْوَدَاعِ مُعْتَنِقَانِ
وَسُهَيْلٌ كَوَجْنَةِ ٱلْحِبِّ فِي ٱللَّوْنِ وَقَلْبِ ٱلْمُحِبِّ فِي ٱلْخَفَقَانِ [2]
يُسْرِعُ ٱللَّمْحَ فِي ٱحْمِرَارٍ كَمَا تُسْـرِعُ فِي ٱللَّمْحِ مُقْلَةُ ٱلْغَضْبَانِ
ضَرَّجَتْهُ دَمًا سُيُوفُ ٱلْأَعَادِي فَبَكَتْ رَحْمَةً لَهُ ٱلشِّعْرَيَانِ [3]
ثُمَّ شَابَ ٱلدُّجَى وَخَافَ مِنَ ٱلْهَجْـرِ فَغَطَّى ٱلْمَشِيبَ بِٱلزَّعْفَرَانِ [4]
وَنَضَا فَجْرُهُ عَلَى نَسْرِهِ ٱلْوَا قِعِ سَيْفًا فَهَمَّ بِٱلطَّيَرَانِ [5]

---

١ الجمان : اللؤلؤ . ٢ سهيل : اسم لنجم . الحب : الحبيب . ٣ ضرّجته : لطخته . الشعريان : اسم لنجمين . ٤ الزعفران : نبات اصفر . ٥ نضا : جرّد . نسره : أحد النجوم .

ابو العلاء المفكر (اللزوميات) :

٢٣٢ سبيل الحياة

غَدَوْتَ مَرِيضَ ٱلْعَقْلِ وَٱلدِّينِ فَٱلْقَنِي ... لِتَسْمَعَ أَنْبَاءَ ٱلْأُمُورِ ٱلصَّحَائِحِ
فَلَا تَأْكُلَنْ مَا أَخْرَجَ ٱلْمَاءُ ظَالِمًا ... وَلَا تَبْغِ قُوتًا مِنْ غَرِيضِ ٱلذَّبَائِحِ [١]
وَأَبْيَضَ أُمَّاتٍ أَرَادَتْ صَرِيحَهُ ... لِأَطْفَالِهَا دُونَ ٱلْغَوَانِي ٱلصَّرَائِحِ [٢]
وَلَا تَفْجَعَنَّ ٱلطَّيْرَ وَهْيَ غَوَافِلٌ ... بِمَا وَضَعَتْ، فَٱلظُّلْمُ شَرُّ ٱلْقَبَائِحِ
وَدَعْ ضَرَبَ ٱلنَّحْلِ ٱلَّذِي بَكَرَتْ لَهُ ... كَوَاسِبَ مِنْ أَزْهَارِ نَبْتٍ فَوَائِحِ [٣]
فَمَا أَحْرَزَتْهُ كَيْ يَكُونَ لِغَيْرِهَا ... وَلَا جَمَعَتْهُ لِلنَّدَى وَٱلْمَنَائِحِ [٤]
مَسَحْتُ يَدِي مِنْ كُلِّ هٰذَا، فَلَيْتَنِي ... أَبَهْتُ لِشَأْنِي قَبْلَ شَيْبِ ٱلْمَسَائِحِ [٥]
بَنِي زَمَنِي، هَلْ تَعْلَمُونَ سَرَائِرًا ... عَلِمْتُ، وَلٰكِنِّي بِهَا غَيْرُ بَائِحِ ؟
سَرَيْتُمْ عَلَى غَيٍّ، فَهَلَّا ٱهْتَدَيْتُمُ ... بِمَا خَبَّرَتْكُمْ صَافِيَاتُ ٱلْقَرَائِحِ !
وَصَاحَ بِكُمْ دَاعِي ٱلضَّلَالِ، فَمَا لَكُمْ ... أَجَبْتُمْ، عَلَى مَا خَيَّلَتْ، كُلَّ صَائِحِ ؟ [٦]
يُغَيِّبُنِي فِي ٱلتُّرْبِ مَنْ هُوَ كَارِهٌ ... إِذَا لَمْ يُغَيِّبْنِي كَرِيهُ ٱلرَّوَائِحِ [٧]
وَمَنْ يَتَوَقَّى أَنْ يُجَاوِرَ أَعْظُمًا ... كَأَعْظُمِ تِلْكَ ٱلْهَالِكَاتِ ٱلطَّرَائِحِ
وَمِنْ شَرِّ أَخْلَاقِ ٱلْأَنِيسِ وَفِعْلِهِمْ ... خُوَارُ ٱلنَّوَاعِي وَٱلْتِدَامُ ٱلنَّوَائِحِ [٨]

---

١ الغريض : الطري من اللحم وغيره . اي لا تأكل السمك ونحوه ولا ذبائح الدواب . وهذا ما يشعرنا بان ابا العلاء قد تأثر بالديانتين البرهمية والبوذية الهنديتين وكلتاهما تحرّمان قتل الحيوان واكله الا عند الحاجة القصوى وبعد اقامة مراسيم دينية محفوظة عند ارباب الديانتين . ٢ الابيض: اللبن . الامات : لغة في الامهات، او : الاولى خاصة بالحيوان، والثانية للناس . الغواني الصرائح : النساء الخالصات الحسن . ٣ الضرب : العسل . ٤ الندى : الجود والكرم . المنائح جمع منيحة وهي ما يعطى فضلاً وتكرماً . ٥ المسائح : جمع مسيحة، وهي ذؤابة الشعر . ٦ على ما خيلت : اي كما اتفق دون امعان فكر وتدبر . ٧ يقول : اذا لم امت بسبب رائحة كريهة تخنقني، فاني لا بد ميت بانقضاء اجلي المحتوم، ويومئذ يدفنني من هو كاره ذلك . ٨ الانيس : الناس . التدام النوائح : ضربهن صدورهن في النياحة .

وَأَصفحُ عَنْ ذَنْبِ ٱلصَّدِيقِ وَغَيْرِهِ لِسُكْنَايَ بَيْتَ ٱلْحَقِّ بَيْنَ ٱلصَّفَائِحِ [١]
وَأَزْهَدُ فِي مَدْحِ ٱلْفَتَى عِنْدَ صِدْقِهِ فَكَيْفَ قَبُولِي كَاذِبَاتِ ٱلْمَدَائِحِ ؟
وَمَا زَالَتِ ٱلنَّفْسُ ٱللَّجُوجُ مَطِيَّةً إِلَى أَنْ غَدَتْ إِحدَى ٱلرَّذَايَا ٱلطَّلَائِحِ [٢]
وَمَا يَنْفَعُ ٱلْإِنْسَانَ أَنَّ غَمَامًا تَسُحُّ عَلَيْهِ تَحْتَ إِحْدَى ٱلضَّرَائِحِ [٣]
وَلَوْ كَانَ فِي قُرْبٍ مِنَ ٱلْمَاءِ رَغْبَةٌ لَنَافَسَ نَاسٌ فِي قُبُورِ ٱلْبَطَائِحِ [٤]

٢٣٣ الحياة الدنيا

أَصَاحِ، هِيَ ٱلدُّنْيَا تُشَابِهُ مَيْتَةً وَنَحْنُ حَوَالَيْهَا ٱلْكِلَابُ ٱلنَّوَابِحُ
فَمَنْ ظَلَّ مِنْهَا آكِلًا فَهُوَ خَاسِرٌ وَمَنْ عَادَ عَنْهَا سَاغِبًا فَهُوَ رَابِحُ [٥]
وَمَنْ لَمْ تُبَيِّتْهُ ٱلْخُطُوبُ فَإِنَّهُ سَيُصْبِحُهُ مِنْ حَادِثِ ٱلدَّهْرِ صَابِحُ [٦]

٢٣٤ ظلم الاحياء

قَدْ فَاضَتِ ٱلدُّنْيَا بِأَدْنَاسِهَا عَلَى بَرَايَاهَا وَأَجْنَاسِهَا
وَكُلُّ حَيٍّ فَوْقَهَا ظَالِمٌ وَمَا بِهَا أَظْلَمُ مِنْ نَاسِهَا

٢٣٥ الرزء المتواصل

نَهَانِي عَقْلِي عَنْ أُمُورٍ كَثِيرَةٍ وَطَبْعِي إِلَيْهَا بِٱلْغَرِيزَةِ جَاذِبِي
وَمِمَّا أَدَامَ ٱلرُّزْءَ تَكْذِيبُ صَادِقٍ عَلَى خُبْرَةٍ مِنَّا وَتَصْدِيقُ كَاذِبِ !

---

١ بيت الحق : القبر . الصفائح : الحجارة العريضة . ٢ الرذايا جمع رذية وهي الضعيفة المهزيلة من الحيوان، وكذلك معنى الطلائح . ٣ ينكر على الناس دعاءهم للموتى بالسقيا .
٤ البطائح جمع بطيحة وهي المسيل الواسع . ٥ الساغب : الجائع . ٦ بيّته : فاجأه ليلًا .

٢٣٦ سبيلنا ان نبكي

ضَحِكْنا وَكانَ ٱلضِحْكُ مِنّا سَفاهَةً وَحُقَّ لِسُكّانِ ٱلبَرِيَّةِ أَنْ يَبْكُوا
يُحَطِّمُنا رَيْبُ ٱلزَمانِ كَأَنَّنا زُجاجٌ، وَلٰكِنْ لَا يُعادُ لَهُ سَبْكُ

٢٣٧ التدين الكاذب

سَبِّحْ وَصَلِّ وَطُفْ بِمَكَّةَ زائِرًا سَبْعِينَ لَا سَبْعًا، فَلَسْتَ بِناسِكِ
جَهِلَ ٱلدِيانَةَ مَنْ إِذا عَرَضَتْ لَهُ أَطْماعُهُ لَمْ يُلْفَ بِٱلْمُتَماسِكِ

٢٣٨ مرأى الناس ومخبرهم

يَحْسُنُ مَرْأًى لِبَنِي آدَمٍ وَكُلُّهُمْ فِي ٱلذَوْقِ لَا يَعْذُبُ
ما فِيهِمِ بَرٌّ وَلَا ناسِكٌ إِلَّا إِلَى نَفْعٍ لَهُ يُجْذَبُ [1]
أَفْضَلُ مِنْ أَفْضَلِهِمْ صَخْرَةٌ لَا تَظْلِمُ ٱلنّاسَ وَلَا تَكْذِبُ [2]

ميزة شعره : ابو العلاء في لزومياته مفكر اكثر مما هو شاعر ؛ وتفكيره يضطرب في تشاؤم عنيف لا يخلو من حقائق دامغة .

ابو العلاء المعري الكاتب :

٢٣٩ يا نفس !

يا نفس تحذرين ولا تعتذرين، واذا أعرض [3] الطمع فما تذرين، إنكِ لاهل

١ البرّ : الرجل الصالح التقيّ ٢ يفضل الجماد على الانسان لان الصخر لا يظلم احداً . وفي البيت يظهر تشاؤم ابي العلاء وكراهته اعمال الناس . ٣ اعرض الشيء : بدا وظهر .

للجهل ؛ والحلم ليس لك بحلم[1] . أنتَ شرٌّ من جسدك، وجسدك شرٌّ منك؛ لو قدرتُ لانتفيتُ عنكِ أبلغ انتفاء .

٢٤٠ اخلاق

ألا أدلُّك على أخلاق اذا فعلتَها أطعتَ الله وأحبك الناس، وبربّنا اهتدى كلُّ دليل ؟ اسكت ما استطعتَ إلا عن ذكر الله، فاذا نطقتَ فلا تصدِّق الكاذب، ولا تكذِّب الصادقين . واعلم ان الفقراء بطعامك أحقُّ من الاغنياء ؛ ولا تَلُم على شيء كان بقضاء الله، ولا تهزأنَّ بأحد ، ولا تُرَ مع الهازلين؛ ولا تؤازرِ الظالم، ولا تُجالس المُغتاب .

(الفصول والغايات)

رسالة الغفران :

٢٤١ جنة العفاريت

ويبدو له (لابن القارح) أن يطَّلع الى اهل النار ، فينظر الى ما هم فيه ليعظُم شكره على النعم ، بدليل قوله تعالى[1] : « قال قائلٌ منهم : إني كان لي قرين، يقول أئنك لمن المصدّقين، أإذا متنا وكنا تراباً وعظاماً أئنا لمدينون ؟ قال هل أنتم مُطّلعون ؟ فاَطّلع فرآه في سواء الجحيم، قال : تالله إن كدتَ لتُردينِ، ولولا نعمة ربّي لكنتُ من المحضَرين[2] » .

فيركبُ بعضَ دوابّ الجنة ويسير، فاذا هو بمدائن ليست كمدائن الجنة، ولا

---

١ الحلم : الصديق . ٢ سورة الصافات ، الآيات ٥١ - ٥٧ .

عليها النور الشعشعاني، وهي ذات أدحال[1] وغماليل[2] . فيقول لبعض الملائكة : ما هذه يا عبد الله ؟ فيقول : هذه جنة العفاريت الذين آمنوا « بمحمد صلى الله عليه وسلم » وذُكروا في (الاحقاف[3]) وفي (سورة الجن[4]) وهم عدد كثير . فيقول: لأعدلنَّ الى هؤلاء. فلن أخلو لديهم من أعجوبة . فيعوجُ عليهم، فاذا هو بشيخ جالس على باب مغارة، فيسلّم عليه فيحسن الردّ ويقول : ما جاء بك يا إنسيّ ؟ إنك بخير لَسيّ، ما لك من القوم سِيّ[5] !

فيقول : سمعت أنكم جنّ مؤمنون، فجئت ألتمس عندكم اخبار الجِنّان[6]، وما لعلّه يوجد لديكم من أشعار المَرَدَة .

فيقول ذلك الشيخ : لقد أصبت العالِمَ ببجدة[7] الامر، ومن هو منه كالقمر من الهالة[8]، لا كالحاقن[9] من الاهالة، فسل عمّا بدا لك .

فيقول : ما اسمك أيها الشيخ ؟ فيقول : أنا « الخيثعور[10] أحد بني الشيصبان »، ولسنا من ولدِ « إبليس » ولكنا من الجنّ الذين كانوا يسكنون الارض قبل وَلَد « آدم » صلى الله عليه .

فيقول : أخبرني عن أشعار الجِنّ، فقد جمع منها المعروفُ « بالمَرزُباني[11] » قطعة

---

١ الادحال : جمع دحل بفتح الدال وضمها ، وهو النقب الضيق الاعلى، الواسع من اسفل ، يخزن فيه ماء المطر، وينزل الناس عنده اذا قل الماء.   ٢ الغماليل : جمع غملول كعصفور . وهو الوادي ذو الشجر، وكل مجتمع اظلم وتراكم ، من شجر او غمام او ظلمة .   ٣ الآيات من ٢٩ – ٣٢ .   ٤ الآيات ١ – ١٦ .   ٥ السي : المثل ، المساوي، يقال : هما سيان اي مثلان والجمع اسواء .   ٦ الجِنّان، بتشديد النون : جمع جانّ . والجان اسم جمع للجن .   ٧ بجدة الامر : باطنه وحقيقته .   ٨ الهالة : دارة القمر .   ٩ الحاقن : المجتمع بوله كثيراً ، ومنه المثل : لا رأي لحاقن . والاهالة : ما اذيب من الشحم، وقيل الشحم والزيت وكل دهن اؤتدم به . يريد : انك اصبت العالم بالموضوع، المتوغل فيه، لا الشخص البعيد عنه، المتحاميه كتحامي الحاقن المريض للدسم .   ١٠ « الخيثعور » : اسم للجني . وروي « الخيتعور » . بالتاء. وهو الذئب لا عهد له ولا وفاء، الغول لتلونها، الداهية، الشيطان، وكل ما يضمحل ولا يدوم على حال واحدة، او لا يكون له حقيقة كالسراب . ويوصف به الانسان الغادر .   ١١ المرزباني : محمد بن عمران بن موسى ، ابو عبدالله الكاتب المرزباني . وهو خراساني الاصل بغدادي المولد . ولد ببغداد سنة ٢٩٧ هـ ، وتوفي بها سنة ٣٨٤ هـ . مؤلف مشهور، وراوية ثقة . وقد اورد « ابن النديم » قائمة بأسماء كتبه، من بينها كتاب (في اشعار الجن) الذي يشير اليه « ابو العلاء » هنا .

صالحة . فيقول ذاك الشيخ : انما ذلك هَذَيان لا مُعتمد عليه، وهل يعرف البشر من النظيم الا كما تعرف البقر من علم الهيئة ومساحة الارض ؟ وانما لهم خمسة عشر جنساً من الموزون قلّ ما يعدوها القائلون، وانّ لنا لآلاف أوزان ما سمع بها الإنس، وانما كانت تخطر بهم أُطيفال منّا عارمون[1]، فتنفثُ اليهم مقدار الضُّوازة[2] من أراك « نَعمان[3] » ولقد نظمت الرّجز والقصيد قبل ان يخلق الله « آدم » بِكُورٍ[4] أو كُورَين، وقد بلغني أنكم معشر الانس تلهجون بقصيدة « امرئ القيس » :

قِفا نَبكِ مِن ذِكرى حبيبٍ ومنزلِ[5]

وتُحفِّظونها الحزاورة[6] في المكاتب، وان شئت أمليتك ألف كلمة على هذا الوزن على مثل : مَنزل وحوْمَل، وألفاً على ذلك القريّ يجيء على : مَنزلُ وحوْملُ، وألفاً على : مَنزلا وحوملا، وألفاً على : منزلَهْ وحوملَهْ ، وألفاً على : منزلُهْ وحوْملُهْ وألفاً على : منزلِهْ وحوملِهْ . وكل ذلك لشاعر منّا هلك وهو كافر، وهو الآن يشتعل في أطباق الجحيم . فيقول — وصل الله أوقاته بالسعادة : أيها الشيخ، لقد بقي عليك حِفظُك ! فيقول : لسنا مثلكم يا « بني آدم » يغلب علينا النسيان والرطوبة، لانكم خلقتم من حمإٍ[7] مسنون[8]، وخُلقنا من مارجٍ[9] من نار . فتحمله الرغبة في الادب أن يقول لذلك الشيخ : أفتُمِلُّ عليَّ شيئاً من تلك الاشعار ؟ فيقول الشيخ : فاذا شئتَ أمللتك[10] ما لا تَسِقُه الرِّكاب ، ولا تسعه صحفُ دنياك .

فيهمُّ الشيخ — لا زالت همّته عالية — بأن يكتتب[11] منه ، ثم يقول : لقد

---

١ عارمون جمع عارم وهو الشرس، يقال : عرم يعرم عراماً، وعرامة : اشتد . ٢ الضوازة بالضم : شظية من السواك . ٣ نعمان : بالفتح ثم السكون ، وادٍ بالحجاز ينبت الاراك . بين مكة والطائف والشعراء يتغنون به . ٤ الكور بالفتح : الدَّور . ٥ تمام البيت ، وهو مطلع المعلقة : بسقط اللوى بين الدخول فحومل . ٦ الحزور كجعفر، والحزَّوَّر ، بتشديد الواو ، لغة فيه : الغلام الذي قد شب وادرك، وغلمان حزاورة : قاربوا البلوغ . ٧ الحمأ : الطين الاسود . ٨ المسنون : المنتن . ٩ المارج : الشعلة ذات اللهب الشديد . ١٠ يقال : امللت الكتاب على الكاتب املالاً، وامليته املاء، ألقيته عليه فكتبه . ١١ اكتتب الكتاب : خطه، واكتتب ايضاً : استملى .

شقيتُ في الدار العاجلة بجمع الادب، ولم أحظَ منه بطائل، وانما كنتُ أتقرّب به الى الرؤساء، فأحتلبُ منهم دَرَّ بَكيءٍ[1] وأجهدُ أخلافَ مَصور، ولستُ بموفق. ان تركتُ لذاتِ الجنة واقبلت أنتسخُ آدابَ الجنّ، ومعي من الادب ما هو كافٍ، لاسيما وقد شاع النسيانُ في أهل أدب الجنة، فصرت من اكثرهم روايةً وأوسعهم حفظاً، ولله الحمد.

ويقول لذلك الشيخ: ما كُنيتك لأُكرمك بالتّكنية؟ فيقول: «أبو هَدرَش» أولدتُ من الاولاد ما شاء الله فهم قبائل: بعضهم في النار المُوقدة، وبعضهم في الجنان. فيقول: يا «أبا هَدرش» ما لي أراك أشيبَ وأهلُ الجنة شباب؟ فيقول: انّ الإنس أكرِموا بذلك وأحرِمناه[2]، لانّا أُعطينا الحُولة في الدار الماضية، فكان أحدُنا إن شاء صار حيّةً رَقشاء، وان شاء صار عصفوراً، وان شاء صار حمامة، فمُنعنا التصوُّر في الدار الآخرة، وتُركنا على خَلقنا لا نتغيّر، وعُوِّض «بنو آدم» كونَهم فيما حسُن من الصوَر. وكان قائل الإنس يقول في الدار الذاهبة: أعطينا الحيلة، وأُعطي الجنُّ الحولة.

(عن رسالة الغفران
تحقيق وشرح بنت الشاطئ)

ابن الفارض (١١٨١ – ١٢٣٤ م/ ٥٧٦ – ٦٣٢ ﻫ)

[نشأ ابن الفارض في التزّهد والصيانة، وانحاز الى التصوُّف، فنظم الشعر متغنياً بالجمال اللامتناهي، مترفّعاً عن حطام الدنيا، هدفه ان يُحِب وان يكون موضوع حبّه وجه الله الكريم.]

---

١ البكيء: الناقة البخيلة بلبنها. ٢ يقال حرمه الشيء: منعه اياه، واحرمته: لغة في حرمته، ومنه احرمه الشيء: جعله حراماً عليه.

٢٤٢ انا القتيل

مَا بَيْنَ مُعْتَرَكِ ٱلْأَحدَاقِ وَٱلْمُهَجِ   أَنَا ٱلْقَتِيلُ بِلَا إِثْمٍ وَلَا حَرَجِ [١]
وَدَّعْتُ قَبلَ ٱلْهَوَى رُوحِي لِمَا نَظَرَتْ   عَيْنَايَ مِنْ حُسْنِ ذَاكَ ٱلْمَنْظَرِ ٱلْبَهِجِ
لِلّٰهِ أَجفَانُ عَيْنٍ فِيكَ سَاهِرَةٍ   شَوْقاً إِلَيْكَ، وَقَلْبٌ بِٱلْغَرَامِ شَجِ [٢]
وَأَضْلُعٌ نَحِلَتْ كَادَتْ تُقَوِّمُهَا   مِنَ ٱلْجَوَى، كَبِدِي ٱلْحَرَّى، مِنَ ٱلْعِوَجِ [٣]
وَأَدْمُعٌ هَمَلَتْ لَوْلَا ٱلتَّنَفُّسُ مِنْ   نَارِ ٱلْهَوَى لَمْ أَكَدْ أَنجُو مِنَ ٱللُّجَجِ [٤]
وَحَبَّذَا فِيكَ أَسْقَامٌ خَفِيتُ بِهَا   عَنِّي تَقُومُ بِهَا عِندَ ٱلْهَوَى حُجَجِي [٥]
أَصْبَحْتُ فِيكَ كَمَا أَمسَيْتُ مُكْتَئِباً   وَلَمْ أَقُلْ، جَزَعاً : يَا أَزْمَةُ ٱنفَرِجِي [٦]
أَهْفُو إِلَى كُلِّ قَلْبٍ بِٱلْغَرَامِ لَهُ   شُغْلٌ وَكُلِّ لِسَانٍ بِٱلْهَوَى لَهِجِ [٧]
عَذِّبْ بِمَا شِئْتَ غَيْرَ ٱلْبُعْدِ عَنْكَ تَجِدْ   أَوْفَى مُحِبٍّ بِمَا يُرْضِيكَ مُبْتَهِجِ
وَخُذْ بَقِيَّةَ مَا أَبْقَيْتَ مِنْ رَمَقٍ   لَا خَيْرَ فِي ٱلْحُبِّ إِنْ أَبقَى عَلَى ٱلْمُهَجِ [٨]
مَنْ لِي بِإِتْلَافِ رُوحِي فِي هَوَى رَشَأٍ   حُلْوِ ٱلشَّمَائِلِ بِٱلْأَرْوَاحِ مُمْتَزِجِ [٩]
مَنْ مَاتَ فِيهِ غَرَاماً عَاشَ مُرْتَقِياً   مَا بَيْنَ أَهْلِ ٱلْهَوَى فِي أَرْفَعِ ٱلدَّرَجِ
مُحَجَّبٌ لَوْ سَرَى فِي مِثْلِ طُرَّتِهِ   أَغْنَتْهُ غُرَّتُهُ ٱلْغَرَّا عَنِ ٱلسُّرُجِ [١٠]
وَإِنْ ضَلَلْتُ بِلَيْلٍ مِنْ ذَوَائِبِهِ   أَهْدَى لِعَيْنِي ٱلْهُدَى صُبْحٌ مِنَ ٱلْبَلَجِ [١١]
وَإِنْ تَنَفَّسَ قَالَ ٱلْمِسْكُ مُعْتَرِفاً   لِعَارِفِي طِيبِهِ : مِنْ نَشْرِهِ أَرَجِي [١٢]

---

١ الاحداق جمع حدقة وهي سواد العين . المهج جمع مهجة وهي القلب . الاثم : الذنب . الحرج : الذنب ايضاً . ٢ القلب الشجي : اي الموله بالحب . ٣ الجوى : شدة الشوق . الحرّى : الملتهبة من شدة الحب . ٤ همات : فاضت بالدموع . اللجج جمع لجة وهي معظم الماء . ٥ الحجج جمع حجة وهي البرهان الذي يقدَّم . ٦ المكتئب : الحزين . جزعاً : خوفاً . الازمة : الشدة. ٧ أهفو : أميل واشتاق . اللهج : المولع . ٨ الرمق : بقية الروح . ٩ الرشأ : الغزال. الشائل : الخصال الحميدة . ١٠ سرى : مشى ليلًا . غرّته : طلعته المشرقة : اي لو سرى في ليل اسود كشعره لكان له من غرته نور يغنيه عن السراج . ١١ الذوائب جمع ذؤابة وهي الخصلة من الشعر . البلج : الاشراق، النور . ١٢ النشر : انطلاق الرائحة الذكية في الهواء . الارَج : نشر الرائحة الطيبة .

يَا سَاكِنَ ٱلْقَلْبِ لَا تَنظُرْ إِلَى سَكَنِي   وَٱرْبَحْ فُؤَادَكَ وَٱحْذَرْ فِتْنَةَ ٱلدَّعَجِ[١]
تَبَارَكَ ٱللّٰهُ مَا أَحْلَى شَمَائِلَهُ   فَكَمْ أَمَاتَتْ وَأَحْيَتْ فِيهِ مِنْ مُهَجِ[٢]
يَهْوَى لِذِكْرِ ٱسْمِهِ مَنْ لَجَّ فِي عَذَلِي   سَمْعِي، وَإِنْ كَانَ عَذْلِي فِيهِ لَمْ يَلِجِ[٣]
وَأَرْحَمُ ٱلْبَرْقَ فِي مَسْرَاهُ مُنْتَسِباً   لِثَغْرِهِ وَهْوَ مُسْتَحْيٍ مِنَ ٱلْفَلَجِ[٤]
تَرَاهُ، إِنْ غَابَ عَنِّي، كُلُّ جَارِحَةٍ   فِي كُلِّ مَعْنًى لَطِيفٍ رَائِقٍ بَهِجِ
فِي نَغْمَةِ ٱلْعُودِ وَٱلنَّايِ ٱلرَّخِيمِ إِذَا   تَأَلَّفَا بَيْنَ أَلْحَانٍ مِنَ ٱلْهَزَجِ[٥]
وَفِي مَسَارِحِ غِزْلَانِ ٱلْخَمَائِلِ فِي   بَرْدِ ٱلْأَصَائِلِ وَٱلْإِصْبَاحِ فِي ٱلْبَلَجِ[٦]
وَفِي مَسَاقِطِ أَنْدَاءِ ٱلْغَمَامِ عَلَى   بِسَاطِ نَوْرٍ مِنَ ٱلْأَزْهَارِ مُنْتَسِجِ[٧]
وَفِي مَسَاحِبِ أَذْيَالِ ٱلنَّسِيمِ إِذَا   أَهْدَى إِلَيَّ سُحَيْرًا أَطْيَبَ ٱلْأَرَجِ[٨]
وَفِي ٱلْتِثَامِي ثَغْرَ ٱلْكَأْسِ مُرْتَشِفاً   رِيقَ ٱلْمُدَامَةِ فِي مُسْتَنْزَهٍ فَرِجِ[٩]
لَمْ أَدْرِ مَا غُرْبَةُ ٱلْأَوْطَانِ وَهْوَ مَعِي   وَخَاطِرِي أَيْنَ كُنَّا غَيْرُ مُنْزَعِجِ

٢٤٣ قلبي يحدثني

قَلْبِي يُحَدِّثُنِي بِأَنَّكَ مُتْلِفِي   رُوحِي فِدَاكَ عَرَفْتَ أَمْ لَمْ تَعْرِفِ[١٠]
لَمْ أَقْضِ حَقَّ هَوَاكَ إِنْ كُنْتُ ٱلَّذِي   لَمْ أَقْضِ فِيهِ أَسًى وَمِثْلِي مَنْ يَفِي[١١]
مَا لِي سِوَى رُوحِي، وَبَاذِلُ نَفْسِهِ   فِي حُبِّ مَنْ يَهْوَاهُ لَيْسَ بِمُسْرِفِ[١٢]

---

١ الدعج : سواد شديد في عين واسعة .   ٢ في هذا البيت طباق وتفريع، قد فرّع اولا فاثبت لله احلى الشمائل ثم جاء بالطباق بقوله اماتت واحيت .   ٣ يهوى : يشتاق . لجّ : اكثر من الشيء . عذلي : لومي . لم يلج : لم يدخل .   ٤ الفلج : تباعد ما بين الاسنان خلقةً .
٥ الناي : المزمار . الهزج : ضرب من الغناء .   ٦ الخمائل جمع خميلة وهي الروضة . البلج : ظهور النور .   ٧ النَّور : الزهر او الابيض منه .   ٨ الارج : الرائحة الطيبة .
٩ التثامي : تقبيلي . مرتشفاً : شارباً رشفةً بعد اخرى . المدامة : الخمرة .   ١٠ متلفي : مهلكي .   ١١ لم اقضِ : لم اتمّ . لم أقضِ فيه أسىً : لم امت فيه حزناً .   ١٢ اي ليس لديّ غير روحي التي ابذلها في سبيل من احبّ وبذلُه في سبيل المحبوب لا يعدّ اسرافاً .

فَلَئِنْ رَضِيتَ بِهَا فَقَدْ أَسْعَفْتَنِي، يَا خَيْبَةَ ٱلْمَسْعَى إِذَا لَمْ تُسْعِفِ![1]
يَا مَانِعِي طِيبَ ٱلْمَنَامِ، وَمَانِحِي ثَوْبَ ٱلسَّقَامِ بِهِ وَوَجْدِي ٱلْمُتْلِفِ[2]
عَطْفاً عَلَى رَمَقِي وَمَا أَبْقَيْتَ لِي مِنْ جِسْمِيَ ٱلْمُضْنَى وَقَلْبِي ٱلْمُدْنَفِ[3]
أَهْفُو لِأَنْفَاسِ ٱلنَّسِيمِ تَعِلَّةً وَلِوَجْهِ مَنْ نَقَلَتْ شَذَاهُ تَشَوُّفِي[4]
فَلَعَلَّ نَارَ جَوَانِحِي بِهُبُوبِهَـا أَنْ تَنْطَفِي، وَأَوَدُّ أَنْ لَا تَنْطَفِي[5]
يَا أَهْلَ وِدِّي أَنْتُمُ أَمَلِي وَمَنْ نَادَاكُمُ يَا أَهْلَ وُدِّي قَدْ كُفِي[6]
عُودُوا لِمَا كُنْتُمْ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْوَفَا كَرَماً فَإِنِّي ذٰلِكَ ٱلْخِلُّ ٱلْوَفِي[7]
وَحَيَاتِكُمْ وَحَيَاتِكُمْ قَسَماً وَفِي عُمْرِي بِغَيْرِ حَيَاتِكُمْ لَمْ أَحْلِفِ[8]
لَوْ أَنَّ رُوحِي فِي يَدِي وَوَهَبْتُهَا لِمُبَشِّرِي بِقُدُومِكُمْ لَمْ أُنْصِفِ[9]
لَا تَحْسَبُونِي فِي ٱلْهَوَى مُتَصَنِّعاً كَلَفِي بِكُمْ خُلُقٌ بِغَيْرِ تَكَلُّفِ[10]
أَخْفَيْتُ حُبَّكُمُ فَأَخْفَانِي أَسًى حَتَّى لَعَمْرِي كِدْتُ عَنْهُ أَخْتَفِي[11]
وَكَتَمْتُهُ عَنِّي فَلَوْ أَبْدَيْتُـهُ لَوَجَدْتُهُ أَخْفَى مِنَ ٱللُّطْفِ ٱلْخَفِي[12]
وَلَقَدْ أَقُولُ لِمَنْ تَحَرَّشَ بِٱلْهَوَى: عَرَّضْتَ نَفْسَكَ لِلْبَلَا فَٱسْتَهْدِفِ[13]
أَنْتَ ٱلْقَتِيلُ بِأَيِّ مَنْ أَحْبَبْتَهُ فَٱخْتَرْ لِنَفْسِكَ فِي ٱلْهَوَى مَنْ تَصْطَفِي[14]
قُلْ لِلْعَذُولِ: أَطَلْتَ لَوْمِيَ طَامِعاً أَنَّ ٱلْمَلَامَ عَنِ ٱلْهَوَى مُسْتَوْقِفِي
دَعْ عَنْكَ تَعْنِيفِي وَذُقْ طَعْمَ ٱلْهَوَى فَإِذَا عَشِقْتَ فَبَعْدَ ذٰلِكَ عَنِّفِ[15]

. . .

١ اسعفتني : ساعدتني . ٢ مانحي : واهبي، معطيني . السقام : الضعف والمرض . وجدي : شوقي . ٣ رمقي : بقية روحي . المضنى : التعب . المدنف : الشديد الحب . ٤ اهفو : اميل واشتاق . تعلة : ما يُتعلل به . الشذا : الرائحة الطيبة . التشوّف : التطلع . ٥ الجوانح جمع جانحة وهي اوائل الضلوع تحت الترائب مما يلي الظهر . وسميت كذلك لجنوحها على القلب . ٦ ودّي : محبيّ . ٧ الخلّ : الصديق . ٨ قسماً مفعول مطلق لفعل محذوف تقديره اقسم . لم احلف : لم أقسم . ٩ لم انصف : لم اكن عادلاً . ١٠ كلفي : حبي الشديد . التكلف : التظاهر بالكلفة . ١١ الاسى : الحزن . ١٢ تلخيص المعنى : انه اخفى حبه كاتماً فلو اظهره لوجده غير ظاهر، واراد باللطف الخفيّ الله وهو تعبير صوفيّ . ١٣ البلا : المصاب . استهدف : كن هدفاً او غرضاً لذلك الهوى . ١٤ تصطفي : تختار . ١٥ تعنيفي : توبيخي.

أَسْعِدْ أُخَيَّ وَغَنِّنِي بِحَدِيثِهِ   وَٱنْثُرْ عَلَى سَمْعِي حُلاهُ وَشَنِّفِ [١]
لِأَرَى بِعَيْنِ ٱلسَّمْعِ شَاهِدَ حُسْنِهِ   مَعْنًى فَأَتْحِفْنِي بِذَاكَ وَشَرِّفِ [٢]
يَا أُخْتَ سَعْدٍ مِنْ حَبِيبِي جِئْتِنِي   بِرِسَالَةٍ أَدَّيْتِهَا بِتَلَطُّفِ [٣]
فَسَمِعْتُ مَا لَمْ تَسْمَعِي وَنَظَرْتُ مَا   لَمْ تَنْظُرِي وَعَرَفْتُ مَا لَمْ تَعْرِفِي [٤]
إِنْ زَارَ يَوْماً، يَا حَشَايَ تَقَطَّعِي   كَلَفاً بِهِ أَوْ سَارَ يَا عَيْنُ ٱذْرِفِي [٥]
مَا لِلنَّوَى ذَنْبٌ وَمَنْ أَهْوَى مَعِي   إِنْ غَابَ عَنْ إِنْسَانِ عَيْنِي فَهُوَ فِي [٦]

٢٤٤ زدني بفرط الحب

زِدْنِي بِفَرْطِ ٱلْحُبِّ فِيكَ تَحَيُّرَا   وَٱرْحَمْ حَشًى بِلَظَى هَوَاكَ تَسَعَّرَا [٧]
وَإِذَا سَأَلْتُكَ أَنْ أَرَاكَ حَقِيقَةً   فَٱسْمَحْ وَلَا تَجْعَلْ جَوَابِي : لَنْ تَرَى
يَا قَلْبُ أَنْتَ وَعَدْتَنِي فِي حُبِّهِمْ   صَبْرًا فَحَاذِرْ أَنْ تَضِيقَ وَتَضْجَرَا
إِنَّ ٱلْغَرَامَ هُوَ ٱلْحَيَاةُ فَمُتْ بِهِ   صَبًّا فَحَقُّكَ أَنْ تَمُوتَ وَتُعْذَرَا
قُلْ لِلَّذِينَ تَقَدَّمُوا قَبْلِي، وَمَنْ   بَعْدِي وَمَنْ أَضْحَى لِأَشْجَانِي يَرَى
عَنِّي خُذُوا وَبِيَ ٱقْتَدُوا وَلِيَ ٱسْمَعُوا   وَتَحَدَّثُوا بِصَبَابَتِي بَيْنَ ٱلْوَرَى
وَلَقَدْ خَلَوْتُ مَعَ ٱلْحَبِيبِ وَبَيْنَنَا   سِرٌّ أَرَقُّ مِنَ ٱلنَّسِيمِ إِذَا سَرَى
وَأَبَاحَ طَرْفِي نَظْرَةً أَمَّلْتُهَا   فَغَدَوْتُ مَعْرُوفاً وَكُنْتُ مُنَكَّرَا
فَدُهِشْتُ بَيْنَ جَمَالِهِ وَجَلَالِهِ   وَغَدَا لِسَانُ ٱلْحَالِ عَنِّي مُخْبِرَا
فَأَدِرْ لِحَاظَكَ فِي مَحَاسِنِ وَجْهِهِ   تَلْقَى جَمِيعَ ٱلْحُسْنِ فِيهِ مُصَوَّرَا

١ شنّف : اي اطرب سمعي . ٢ اتحفني : أهدني او اعطني تحفة والتحفة : الهدية الغالية .
٣ اديتها : اوصلتها سالمة صحيحة . ٤ تلخيص المعنى : ايتها الفتاة المنتمية الى قبيلة سعد قد حملت رسالة الحبيبة اليّ ولكنك لم تسمعي منها ولم تعرفي ما سمعتُ وعرفت . ٥ كلفاً : حباً . اذرفي : اسكبي الدمع . ٦ النوى : البعد، وفي البيت اكتفاء بديعيّ بقوله : فهو في اي في قلبي .
٧ بفرط الحب : بكثرة الحب . اللظى : من النار لهيبها . تسعّر : اشتعل، والخطاب هنا للعزة الالهية على الطريقة الصوفية .

لَوْ أَنَّ كُلَّ ٱلْحُسْنِ يَكْمُلُ صُورَةً   وَرَآهُ كَانَ مُهَلِّلًا وَمُكَبِّرَا

٢٤٥ أبقِ لي مقلة

أَبْقِ لِي مُقْلَةً لَعَلِّيَ يَوْمًا   قَبْلَ مَوْتِي أَرَى بِهَا مَنْ رَآكَا
أَيْنَ مِنِّي مَا رُمْتُ؟ هَيْهَاتَ، بَلْ أَيْـ   ـنَ لِعَيْنِي بِٱللَّحْظِ لَثْمُ ثَرَاكَا؟
وَبَشِيرِي لَوْ جَاءَ مِنْكَ بِعَطْفٍ   وَوُجُودِي فِي قَبْضَتِي، قُلْتُ: هَاكَا
قَدْ كَفَى مَا جَرَى دَمًا مِنْ جُفُونٍ   لِيَ قَرْحَى، فَهَلْ جَرَى مَا كَفَاكَا؟
فَأَجِرْ مِنْ قِلَاكَ فِيكَ مُعَنًّى   قَبْلَ أَنْ يَعْرِفَ ٱلْهَوَى يَهْوَاكَا
بِٱنْكِسَارِي، بِذِلَّتِي، بِخُضُوعِي   بِٱفْتِقَارِي لِفَاقَتِي لِغِنَاكَا
لَا تَكِلْنِي إِلَى قُوَى جَلَدٍ خَا   نَ، فَإِنِّي أَصْبَحْتُ مِنْ ضُعَفَاكَا
كُنْتَ تَجْفُو، وَكَانَ لِي بَعْضُ صَبْرٍ   أَحْسَنَ ٱللهُ فِي ٱصْطِبَارِي عَزَاكَا!
كَمْ صُدُودٍ، عَسَاكَ تَرْحَمُ شَكْوَا   يَ، وَلَوْ بِٱسْتِمَاعِ قَوْلِي: عَسَاكَا!
شَنَّعَ ٱلْمُرْجِفُونَ عَنْكَ بِهَجْرِي   وَأَشَاعُوا أَنِّي سَلَوْتُ هَوَاكَا
مَا بِأَحْشَائِهِمْ عَشِقْتُ، فَأَسْلُو   عَنْكَ يَوْمًا دَعْ يَهْجُرُوا، حَاشَاكَا![1]
كَيْفَ أَسْلُو؟ وَمُقْلَتِي كُلَّمَا لَا   حَ بُرَيْقٌ تَلَفَّتَتْ لِلِقَاكَا
كُلُّ مَنْ فِي حِمَاكَ يَهْوَاكَ لٰكِنْ   أَنَا وَحْدِي بِكُلِّ مَنْ فِي حِمَاكَا

ميزة شعره : كان لابن الفارض مذهب في الحبّ، كما كان له فيه انصراف شديد الوطأة على نفسه . أما مذهبه فهو ان يستسلم الانسان للحبّ الالهي استسلاماً كاملاً لا يعرف الحياء ولا الحدود الى ان يذوب المحبّ في حقيقة المحبوب . واما تصرّف الشاعر فانطلاق شديد في طريق الحب اسقمه وقتله، واسعده من حيث اشقاه وعذّبه . وفي شعر ابن الفارض تكرار لفظي ومعنوي وإكثار من وجوه البديع، واساليب الوجدان، وموسيقى عذبة؛ وفيه ايضاً غموض وإهمال لغوي ونحوي .

١ يهجروا : يقولوا قولاً قبيحاً وباطلاً .

الطغرائي

٢٤٦ لامية العجم

[لامية العجم هي من اشهر القصائد العربية، قالها الشاعر ببغداد يندب الزمان ويشكو الاخوان في أثناء عطلة له من العمل؛ وهي طويلة نجتزئ منها بما يلي :]

أَصَالَةُ ٱلرَّأْيِ صَانَتْنِي عَنِ ٱلْخَطَلِ ، وَحِلْيَةُ ٱلْفَضْلِ زَانَتْنِي لَدَى ٱلْعَطَلِ . [١]
مَجْدِي أَخِيرًا وَمَجْدِي أَوَّلًا شَرَعٌ ؛ وَٱلشَّمْسُ رَأْدَ ٱلضُّحَى كَٱلشَّمْسِ فِي ٱلطَّفَلِ [٢]
فِيمَ ٱلْإِقَامَةُ بِٱلزَّوْرَاءِ ؟ لَا سَكَنِي بِهَا وَلَا نَاقَتِي فِيهَا وَلَا جَمَلِي [٣]
نَاءٍ عَنِ ٱلْأَهْلِ ، صِفْرُ ٱلْكَفِّ ، مُنْفَرِدٌ ؛ كَٱلسَّيْفِ عُرِّيَ مَتْنَاهُ عَنِ ٱلْخِلَلِ . [٤]
فَلَا صَدِيقَ إِلَيْهِ مُشْتَكَى حَزَنِي ، وَلَا أَنِيسَ إِلَيْهِ مُنْتَهَى جَذَلِي .
أُرِيدُ بَسْطَةَ كَفٍّ أَسْتَعِينُ بِهَا عَلَى قَضَاءِ حُقُوقٍ لِلْعُلَى قِبَلِي [٥]
وَٱلدَّهْرُ يَعْكِسُ آمَالِي ، وَيُقْنِعُنِي مِنَ ٱلْغَنِيمَةِ بَعْدَ ٱلْكَدِّ بِٱلْقَفَلِ . [٦]
حُبُّ ٱلسَّلَامَةِ يَثْنِي عَزْمَ صَاحِبِهِ عَنِ ٱلْمَعَالِي وَيُغْرِي ٱلْمَرْءَ بِٱلْكَسَلِ ،
فَإِنْ جَنَحْتَ إِلَيْهِ فَٱتَّخِذْ نَفَقًا فِي ٱلْأَرْضِ ، أَوْ سُلَّمًا فِي ٱلْجَوِّ فَٱعْتَزِلِ [٧]

---

١ أصالة الرأي : جودته . الخطل : الخطأ . العطَل : الخلوّ من الزينة . يقول : جودة عقلي حفظتني من الخطإ، وحلية العلم والادب زانتني عند خلوّي من الزينـــة . ٢ شرع : سواء . رأد الضحى : رائده اي وقت انبساط الضوء في الخمس الاول من النهار . الطّفَل : بعد العصر وقبل الغروب . يقول : مجدي دائمٌ مهما تقلّبت احوالي، فأنا كالشمس التي لا ينقص من ذاتهـــا كون ضوئها في الضحى مخالفاً لضوئها وقت الطّفل . ٣ الزوراء : اسم لبغداد . ٤ صِفر الكفّ : خاليها (من المال) . متنا السيف : جانباه . الخِلل ج خِلة وهي جلدة منقوشة تكسو غمد السيف . يقول : لماذا أقيم في بغداد بعيداً عن اهلي، فقيراً، وحيداً، كسيفٍ تجرّد متنـــاه عمّا يكسوهما ويزينها . ٥ بسطة الكفّ : اتساع العيش . ٦ القفل : الرجوع . يقول : انّ الدهر يردّ آمالي، ويحملني، بعد التعب في السّفر والتغرّب، راضياً بالرجوع دون الغنيمة التي ارمي اليهـــا في تكبّدي المصاعب . ٧ النّفَق : سرب في باطن الارض له منفذ من مكان آخر .

وَدَعْ غِمَارَ ٱلْعُلَى لِلْمُقْدِمِينَ عَلَى ... رُكُوبِهَا، وَٱقْتَنِعْ مِنْهُنَّ بِٱلْبَلَلِ ١
إِنَّ ٱلْعُلَى حَدَّثَتْنِي، وَهْيَ صَادِقَةٌ ... فِيمَا تُحَدِّثُ، أَنَّ ٱلْعِزَّ فِي ٱلنُّقَلِ. ٢
أُعَلِّلُ ٱلنَّفْسَ بِٱلْآمَالِ أَرْقُبُهَا؛ ... مَا أَضْيَقَ ٱلْعَيْشَ لَوْلَا فُسْحَةُ ٱلْأَمَلِ! ٣
لَمْ أَرْتَضِ ٱلْعَيْشَ وَٱلْأَيَّامُ مُقْبِلَةٌ، ... فَكَيْفَ أَرْضَى وَقَدْ وَلَّتْ عَلَى عَجَلِ؟
غَالَى بِنَفْسِيَ عِرْفَانِي بِقِيمَتِهَا، ... فَصُنْتُهَا عَنْ رَخِيصِ ٱلْقَدْرِ مُبْتَذَلِ. ٤
أَعْدَى عَدُوِّكَ أَدْنَى مَنْ وَثِقْتَ بِهِ ... فَحَاذِرِ ٱلنَّاسَ وَٱصْحَبْهُمْ عَلَى دَخَلِ، ٥
فَإِنَّمَا رَجُلُ ٱلدُّنْيَا وَوَاحِدُهَا ... مَنْ لَا يُعَوِّلُ فِي ٱلدُّنْيَا عَلَى رَجُلِ. ٦

٢٤٧ مثل الذئب والثعلب والاسد

لَقَدْ جَاءَ فِي أَمْثَالِهِمْ أَنَّ ثَعْلَبًا ... وَذِئْبًا أَصَابَا عِنْدَ لَيْثٍ تَقَدُّمَا.
أَضَرَّ بِهِ جُوعٌ شَدِيدٌ، فَشَفَّهُ ... وَأَبْقَى لَهُ جِلْدًا رَقِيقًا وَأَعْظُمَا ٧
فَفَازَ لَدَيْهِ ٱلذِّئْبُ يَوْمًا بِخَلْوَةٍ، ... فَقَالَ: «كَفَاكَ ٱلثَّعْلَبُ ٱلْيَوْمَ مَطْعَمَا
فَكُلْهُ وَأَطْعِمْهُ، فَمَا هُوَ شَكْلُنَا، ... وَلَسْتُ أَرَى فِي أَكْلِهِ لَكَ مَأْثَمَا.»
فَلَمَّا أَحَسَّ ٱلثُّعْلُبَانُ بِكَيْدِهِ، ... تَطَبَّبَ عِنْدَ ٱللَّيْثِ وَٱحْتَالَ مُقْدِمَا ٨
وَقَالَ: «أَرَى بِٱلْمَلْكِ دَاءً مُمَاطِلًا ... تَهَدَّمَ مِنْهُ جِسْمُهُ وَتَحَطَّمَا،
وَفِي كَبِدِ ٱلذِّئْبِ ٱلشِّفَاءُ لِدَائِهِ، ... فَإِنْ نَالَ مِنْهَا يَنْجُ مِنْهُ مُسَلَّمَا.»
فَصَادَفَ مِنْهُ ذَا قَبُولًا، فَعِنْدَهُ ... أَحَالَ عَلَى ٱلذِّئْبِ ٱلْخَبِيثِ فَصَمَّمَا،
فَأَفْلَتَ مَسْلُوخَ ٱلْإِهَابِ مُرَمَّلًا؛ ... فَلَمَّا رَآهُ ٱلثُّعْلُبَانُ تَبَسَّمَا، ٩
وَصَاحَ بِهِ: «يَا لَابِسَ ٱلثَّوْبِ قَانِئًا، ... مَتَى تَخْلُ بِٱلسُّلْطَانِ فَٱسْكُتْ لِتَسْلَمَا!» ١٠

ميزة شعره: عاطفة جيّاشة وثورة داخلية فيها نفس ألم، تمثل تبرّمه من الوضع السياسيّ الذي كان يعيش فيه.

---

١ الغمار جمع غمرة: وهي المزدحم. البلَل: اليسير من الشيء. ٢ النُّقَل جمع نُقلة وهي الانتقال. ٣ أعلّل النفس: اشغلها وأطمعها. ٤ غالى بالشيء: رفع ثمنه. يقول: انّ عرفاني بقيمة نفسي أعظمَها في عيني فلم ارضَ لها بقدر حقير. ٥ اصحَبهم على دخَل: اي من غير ان تسترسل اليهم وتمدّ نفسك منهم. ٦ عوّل عليه: استعان به واعتمد عليه. ٧ شفّه: هزله وأنحله. ٨ الثُّعلُبان: ذكر الثعلب. تطبّب: تكلّف معاطاة علم الطبّ. ٩ الإهاب: الجلد. رمّله بالدم: لطّخه به. ١٠ القانئ: شديد الحمرة.

في النّثر

الترّسُّل

ابن العميد (٩٧٠ م / ٣٦٠ هـ)

[نشأ ابن العميد في بيت أدب وكتابة يُلمّ بجميع ضروب الثقافة لعصره من فلسفة وعلوم طبيعية وهندسة وحِيَل وما الى ذلك حتى سُمّي بالجاحظ الثاني .]

٢٤٨ رسالة في التهديد واللوم

[كتب ابن العميد هذه الرسالة الى ابن بلكا عند استعصائه على ركن الدولة]

كتابي وأنا مترجّح بين طمعٍ فيك ويأس منك، وإقبال عليك، وإعراضٍ عنك[1]، فإنك تُدلّ بسابق حُرمة[2]، وتمتّ[3] بسالف خدمة، أيسرهما يوجب رعاية، ويقتضي محافظة وعناية؛ ثم تشفعها بحادثِ غُلولٍ[4] وخيانة، وتُتبعُها بآنفِ[5] خلاف ومعصية. وأدنى ذلك يُحبط[6] أعمالك، ويسحقُ كلَّ ما يُرعى الك . لا جرم أني وقفت بين ميل اليك ومَيل عليك، أقدّم رِجلًا لصدِّك، وأؤخر أُخرى عن قصدك، وأبسط يداً لاصطلامك واجتياحك[7] وأثني ثانية لاستبقائك واستصلاحك، وأتوقّف

---

١ اعرض عنه : مال عنه واضرب . ٢ ادلّ عليه : وثق بمحبته فافرط عليه ؛ يقول : انّ لك عليّ دالة بما كان لك من حرمة سابقة . ٣ تمتّ : تتوسل وتتصل . ٤ الغلول : الخيانة. ٥ الآنف : السالف . ٦ يحبط : يبطـــل . ٧ الاصطلام والاجتياح : الاستئصال .

عن امتثال[١] بعض المأمور فيك، ضنًّا بالنعمة عندك، ومنافسةً في الصنيعة لديك، وتأميلًا لفَيْئتك[٢] وانصرافك، ورجاء لمراجعتك وانعطافك؛ فقد يَعْزُب العقلُ ثم يؤوب[٣]، ويعزُب اللبُّ ثم يثوب[٤]، ويذهب الحزم ثم يعود، ويفسُد العزم ثم يصلح. ويُضاع الرأي ثم يُستدرَك، ويسكر المرء ثم يصفو، ويكدر الماء ثم يصفو، وكلُّ ضِيقة الى رخاء، وكلُّ غَمرة[٥] فإلى انجلاء. وكما أنك أتيتَ من إساءتك بما لم تحتسبه أولياؤكَ، فلا بدعَ أن تأتي من إحسانك بما لا ترتقبه أعداؤك. وكما استمرَّت بكَ الغفلة حتى ركبتَ ما ركبت، واخترتَ ما اخترت، فلا عجب أن تنتبه انتباهةً تُبصر فيها قُبحَ ما صنعت، وسوء ما آثرت. وسأُقيم على رَسمي[٦] في الإبقاء[٧] والمماطلة ما صلَح، وعلى الاستيفاء[٨] والمطاولة[٩] ما أمكن، طمعاً في إنابتك[١٠]، وتحكيماً لحسن الظنّ بك. فلستُ أعدم فيما أُظاهره من إعذار، وأُرادفهُ من إنذار[١١]، احتجاجاً عليك، واستدراجاً لك، فإن يشإ الله يرشدْك، ويأخذ بك الى حظّك ويسدّدْك، فإنه على كل شيء قدير، وبالإجابة جدير.

٢٤٩ رسالة شوق

[كتب ابن العميد الرسالة التالية الى ابي عبد الله الطبريّ .]

كتابي، وأنا بحالٍ لو لم ينغِّص[١٢] منها الشوق اليك، ولم يرنِّق[١٣] صفوها النزاعُ نحوك لعددتها من الاحوال الجميلة، وأعددتُ حظي منها في النعم الجليلة، فقد جمعت فيها بين سلامة عامّة ونعمةٍ تامّة، وحظيت منها في جسمي بصلاح، وفي سعيي بنجاح؛ لكنْ، ما بقيَ أن يصفو لي عيش مع بعدي عنك، ويخلو ذَرْعي[١٤] مع

١ امتثل الامر : اطاعه . ٢ الفيئة : الرجوع اي الى الطاعة . ٣ يعزُب : يذهب. يؤوب : يرجع . ٤ يعزُب : يغيب ويزول. يثوب : يرجع . ٥ الغمرة : الشدة . ٦ الرسم : ما رسمه الانسان من قصد وامر . ٧ ابقى عليه : رحمه وشفق عليه ولم يهلكه . ٨ الاستيفاء : التمهّل والانتظار . ٩ المطاولة : المماطلة . ١٠ الانابة : الرجوع والتوبة . ١١ ظاهره : عاونه ؛ الاعذار : رفع اللوم والذنب . رادفه : عاونه . يقول : ان لديّ في الامر الذي اهتمّ به ما يُعذر ويُنذر . ١٢ نغّص : كدّر . ١٣ رنّق : كدّر . ١٤ الذّرع : الطاقة وسعة النفس .

خلوّي منك، ويسوغ لي مطعم ومشرب مع انفرادي دونك. وكيف أطمع في ذلك وأنت جزء من نفسي، وناظمٌ لشمل أنسي. وقد حُرمت رؤيتك، وعدمت مشاهدتك. وهل تسكن نفسٌ متشعبة ذات انقسام، وينفع أُنس بيت بلا نظام. وقد قرأت كتابك – جعلني الله تعالى فداءك – فامتلأت سروراً بملاحظة خطك، وتأمل تصرُّفك في لفظك؛ وما أُقرّظها: فكل خصالك مقرَّظ عندي؛ وما أمدحها: فكل أمرك ممدوح في ضميري وعَقدي[1]. وأرجو ان تكون حقيقة امرك موافقة لتقديري فيك، فان كان كذلك وإلّا فقد غطى هواك وما ألقى على بَصري.

ميزة نثره: نثر ابن العميد صلة بين عهد السجع المتأنق والعهد الذي سبقه. واذا انعمت النظر في الرسالتين، ولاسيما الاولى منها، ظهرت لك فيها المزايا الانشائية التالية: عدم التقيُّد بالسَّجع مع شيوعه فيها؛ ميل الكاتب الى الترادف والاطناب؛ الطلاوة وقصر الفقرات؛ التلوين والتنميق؛ البراعة في حسن استعمال حروف الجر وسائر الروابط الكلاميَّة...

القاضي الفاضل (١١٣٤ _ ١١٩٩ م/ ٥٢٩ _ ٥٩٦ هـ)

[كان القاضي الفاضل وزير صلاح الدين الأيوبي وكانت له طريقة خاصّة في الكتابة انتشرت في الشرق والغرب وكانت من اسباب انحطاط الكتابة الفنية.]

٢٥٠ رسالة بشرى

[قال القاضي الفاضل من رسالة كتبها عن صلاح الدين الى الخليفة ببغداد يبشره بفتح بلد من بلاد النُّوبة وانهزام ملكها بعساكره:]

---

١ العَقد: الاعتقاد او العهد.

ولم يبقَ إلّا مواقدُ نيران رحلت قلوبهم بضرامها، وأثافي[1] دُهم أعجلت المهابةُ ما ردّ سَغبهم[2] عن طعامها، وغربانُ بَينٍ كأنها في الدّيار ما قُطع من رؤوس بني حامها[3]، وعوافي[4] طيرٍ كانت تنتظرُ من اشلائهم فِطر صيامها ؛ وعادت الرُسل المنفذة لاقتفاء آثارهم وأداء أخبارهم ذاكرة أنهم لبسوا الليل حداداً على النعمة التي خُلعت، وغسلوا بماء الصبح أطماع نفسٍ كانت قد تطلّعت، وأنهم طلعوا الاوعار أوعالاً[5] والعقابَ عقباناً، وكانوا لمهابط الأودية سيولًا ، ولأعالي الشجر قضباناً . . .

ميزة نثره : تقوم طريقة القاضي الفاضل على الايغال في الجناس والطباق والتورية ، والاكثار من حلّ المنظوم والتضمين، والاطناب . واننا لنشعر ان غاية الكاتب من كتابته التنميق وانه يصرف كل همّه الى الباس الكلام لباساً موشّى تُثقله الزخارف البديعية واللفظية .

القصص

الف ليلة وليلة

٢٥١ حكاية خالد بن عبدالله القسري مع الشاب السارق

ومما يحكى أنّ خالدَ بن عبدالله القسري كان أميرَ البصرة . فجاء إليه جماعة

---

١ الاثافي جمع اثفية وهي الحجر توضع عليه القدر . ٢ السغب : الجوع . ٣ اي النوبة لسوادهم . ٤ عوافي الطير : التي تطلب الرزق . ٥ الاوعال جمع وعل وهو ما يُعرف بتيس الجبل .

متعلقون بشاب ذي جمال باهر وادب ظاهر، وعقل وافر؛ وهو حسن الصورة، طيب الرائحة، وعليه سكينة ووقار، فقدموه إلى خالد فسألهم عن قصته، فقالوا هذا لص أصبناه[١] البارحة في منزلنا . فنظر إليه خالد فأعجبه حسنُ هيئته ونظافته . فقال : خلوا عنه[٢] . ثم دنا منه، وسأله عن قصته فقال : إنّ القومَ صادقون فيما قالوا، والأمر على ما ذكروا . فقال لـه خالد : ما حملك على ذلك وأنت في هيئة جميلة وصورة حسنة ؟ قال : حملني على ذلك الطمعُ في الدنيـا وقضاء الله سبحانه وتعالى . فقال له خالد : ثكلتك أمّك[٣] ! أما كان لك في جمال وجهك، وكمال عقلك، وحُسن أدبك، زاجرٌ يزجرك عن السرقة ! قال : دع عنك هذا أيها الامير ! وامضِ[٤] الى ما أمر الله تعالى به فذلك بما كسبت يداي، وما الله بظالم للعبيد . فسكت خالدٌ ساعة يفكر في امر الفتى، ثم ادناه منه وقال له : إن اعترافك على رؤوس الاشهاد قد رابني، وأنا ما أظنك سارقاً، ولعلّ لك قصةً غير السرقة فاخبرني بها . قال : أيها الامير، لا يقع في نفسكَ شيءٌ سوى ما اعترفت به عندك، وليس لي قصة أشرحها إلا أني دخلت دار هؤلاء فسرقت ما امكنني، فأدركوني، وأخذوه مني وحملوني اليك . فأمر خالد بحبسه، وأمر منادياً يُنادي بالبصرة : ألا من أحبّ أن ينظر الى عقوبة فلانٍ اللص وقطع يده فليحضر من الغداة الى المحل الفلاني . فلما استقرّ الفتى في الحبس، ووضعوا في رجليه الحديد، تنفس الصعداء[٥] وأفاض العبرات . وأنشد هذه الابيات :

هَدَّدَنِي خَالِدٌ بِقَطْعِ يَدِي إِذْ لَمْ أُبِحْ عِنْدَهُ بِقِصَّتِهَا
فَقُلْتُ : هَيْهَاتَ أَنْ أَبُوحَ بِمَا تَضَمَّنَ ٱلْقَلْبُ مِنْ مَحَبَّتِهَا !
قَطْعُ يَدِي بِٱلَّذِي ٱعْتَرَفْتُ بِهِ أَهْوَنُ لِلْقَلْبِ مِنْ فَضِيحَتِهَا

فسمع ذلك الموكلون به، فأتوا خالداً وأخبروه بما حصل منه . فلما جنّ[٦] الليل

---

١ اصبناه : ادركناه . ٢ خلى عن الامر : تركه . ٣ ثكلت المرأة ابنها : فقدته، وهي ثكلى ؛ كلمة للدعاء على الانسان، وقد تستعمل للاعجاب بالرجـل . ٤ اي نفذه . ٥ الصعداء : التنفس الطويل من هم او تعب . ٦ جن الليل : اظلم .

أمر باحضاره عنده، فلما حضر استنطقه فرآه عاقلاً أديباً فطناً ظريفاً[١] لبيباً . فأمر له بطعام، فأكل وتحدث معه ساعة، ثم قال له خالد : قد علمت أن لك قصة غير السرقة، فاذا كان الصباح وحضر الناس وحضر القاضي وسألك عن السرقة فانكرها واذكر ما يدرأ[٢] عنك حد القطع، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ادرءوا الحدود بالشبهات » ثم أمر به الى السجن، (وأدرك شهرزاد الصباح، فسكتت عن الكلام المباح) .

(وفي ليلة اثنتين واربعين وثلاثمائة) قالت : بلغني ايها الملك السعيد أنّ خالداً بعد ان تحدّث مع الشاب امر به الى السجن فمكث فيه ليلته، فلما اصبح الصباح حضر الناس ينظرون قطع يد الشاب، ولم يبق احد في البصرة . ثم استدعى بالقضاة وأمر باحضار الفتى، فاقبل يحجل[٣] في قيوده ولم يره احد من الناس الا بكى عليه، وارتفعت اصوات النساء بالنحيب، فأمر القاضي بتسكيت النساء . ثم قال : ان هؤلاء القوم يزعمون انك دخلت دارهم وسرقت مالهم فلعلك سرقت دون النصاب[٤] ؟ قال : بل سرقت نصاباً كاملاً . قال : لعلك شريك القوم في شيء منه ؟ قال : بل هو جميعه لهم لا حقّ لي فيه . فغضب خالد، وقام اليه بنفسه، وضربه على وجهه بالسوط وقال متمثلاً بهذا البيت :

يُرِيدُ ٱلْمَرْءُ أَنْ يُعْطَى مُنَاهُ وَيَأْبَى ٱللهُ إِلَّا مَا يُرِيدُ

ثم دعا بالجزّار ليقطع يده، فحضر وأخرج السكين ومدّ يده ووضع عليها السكين، فبادرت جارية من وسط النساء عليها اطمار[٥] وسخة، فصرخت ورمت نفسها عليه، ثم أسفرت عن وجه كأنه القمر، وارتفع في الناس ضجة عظيمة، وكاد ان يقع بسبب ذلك فتنة طائرة الشرر، ثم نادت تلك الجارية بأعلى صوتها :

---

١ فطن للامر : ادركه وحذق فيه فهو فطن . الظرف : الكياسة والحذق والبراعة ورجل ظريف : بارع كيس . ٢ يدرأ عنك : يدفع عنك . ٣ حجل : رفع رجلاً ومشى متربثاً على الاخرى . ٤ نصاب السرقة : ما يجب فيه قطع اليد . ٥ الطمر : الثوب البالي .

ناشدتك الله ايها الامير! لا تعجل بالقطع حتى تقرأ هذه الرقعة[1]، ثم دفعت اليه رقعةً ففتحها خالد وقرأها، فاذا مكتوب فيها هذه الابيات :

أَخَالِدُ هٰذَا مُسْتَهَامٌ مُتَيَّمٌ ۞ رَمَتْهُ لِحَاظِي عَنْ قِسِيِّ ٱلْحَمَالِقِ[2]
فَأَصْمَاهُ سَهْمُ ٱللَّحْظِ مِنِّي لِأَنَّهُ ۞ حَلِيفُ جَوًى مِنْ دَائِهِ غَيْرُ فَائِقِ[3]
أَقَرَّ بِمَا لَمْ يَقْتَرِفْهُ كَأَنَّهُ ۞ رَأَى ذَاكَ خَيْرًا مِنْ هَتِيكَةِ عَاشِقِ[4]
فَمَهْلًا عَنِ ٱلصَّبِّ ٱلْكَئِيبِ، فَإِنَّهُ ۞ كَرِيمُ ٱلسَّجَايَا فِي ٱلْوَرَى غَيْرُ سَارِقِ

فلما قرأ خالدٌ الأبيات تنحى، وانفرد عن الناس وأحضر المرأة، ثم سألها عن القصة فاخبرته بأن هذا الفتى عاشق لها، وهي عاشقة له، وإنما اراد زيارتها فتوجّه الى دار اهلها ورمى حجراً في الدار ليعلمها بمجيئه، فسمع ابوها وإخوتها صوت الحجر فصعدوا اليه. فلما أحسّ بهم جمع قاشْ البيت كله[5]، وأراهم انه سارق ستراً على معشوقته، فلما رأوه على هذه الحالة اخذوه، وقالوا : هذا سارق : واتوا به اليك، فاعترف بالسرقة واصرّ على ذلك حتى لا يفضحني، وقد ارتكب هذه الامور من رمي نفسه بالسرقة لفرط مروءته، وكرم نفسه. فقال خالد : إنـه لخليق بان يُسعف بمراده، ثم استدعى الفتى اليه فقبله بين عينيه، وامر باحضار أبي الجارية، وقال له : يا شيخ، إنا كنا عزمنا على انفاذ الحكم من هـذا الفتى بالقطع، ولكن الله عزّ وجل قد حفظه من ذلك، وقد امرت له بعشرة آلاف درهم لبذله يده حفظاً لعرضك وعرض بنتك وصيانتكما من العار. وقد أمرت لابنتك بعشرة آلاف درهم حيث اخبرتني بحقيقة الامر. وانا اسألك ان تأذن لي في تزويجها منه. فقال الشيخ : ايها الامير، قد أذِنتُ لـك في ذلك! فحمد الله خالد واثنى عليه، وخطب خطبةً حسنة، (وأدرك شهرزاد الصباح، فسكتت عن الكلام المباح).

---

١ الرقعة هنا : القطعة من الورق التي يكتب فيها. ٢ مستهام : مغلوب العقل من الحب. حملاق العين : باطن اجفانها، والمراد العيون نفسها. ٣ اصمى الصيد : رماه فقتله مكانه وهو يراه. الجوى : شدة الوجد من حزن او عشق. والحليف : الملازم. يقال : فلان حليف جود، اي ملازم للجود. ٤ الهتيكة : الفضيحة. ٥ قاش البيت : يريد امتعته.

المقامات

بديع الزمان الهمذاني

[هو أبو الفضل أحمد بن الحسين منظِّم المقامات وواضعهـا في شكلها الفني الخاص، وهو من ارباب الكتابة وركن من اركان الترسُّل .]

٢٥٢ المقامة القريضية

حدَّثنا عيسى بن هشام[١] قال :

طرَحتني[٢] النوى مطارَحها، حتى اذا وطئتُ جُرجانَ[٣] الاقصى، فاستظهرْتُ[٤] على الايام بضياعٍ أجلتُ فيها يد العمارة ، واموالٍ وقفتها على التجارة، وحانوتٍ جعلته مَثابةً[٥] ، ورفقة اتَّخذتها صَحابة، وجعلت للدار حاشيَتَي[٦] النهار ، وللحانوت ما بينهما، فجلسنا يوماً نتذاكر القريضَ[٧] واهله، وتلقاءنا شابٌ قد جلس غـير بعيدٍ، يُنصت وكأنهُ يفهم ويسكت وكأنه لا يعلم، حتى اذا مال الكلام بنـا ميلهُ، وجرَّ الجدال فينا ذيله، قال : « قد أصبتم عُذَيقَهُ ووافقتم جُذَيلهُ[٨]، ولو شئت للفظتُ وأفضتُ، ولو قلتُ لأصدرتُ وأوردتُ[٩] ، ولَجَلَوتُ الحقَّ في معرض

---

١ عيسى بن هشام : هو الراويـــة في مقامات بديع الزمان . ٢ طرحتني : ابعدتني . ٣ جرجان : مدينة كانت قديماً عاصمة بلاد خوارزم . ٤ استظهر به : استعان . ٥ المثابة : مكان الاقامة والمرجع . ٦ حاشيتا النهار : طرفاه . ٧ القريض : الشعر . ٨ العذيق : تصغير عذق وهو عنقود التمر من النخلة، والتصغير هنا للتعظيم . والجذيل : تصغير جذل وهو اصل الشجرة الباقي بعد ذهاب فروعها، وكان يترك لتحتكّ به الابل الجربى ؛ والكاتب يشير الى قول الحباب ابن المنذر : « أنا عُذيقهـا المرجَّب وجذيلها المحكّك »، يريد انه الذي يُرجَع اليه ويعتمد عليه . ٩ اصدرت واوردت ... : يريد بذلك انه سيحدثهم حديثاً مختلفاً، وسيجعل كلامه ذا فنون واساليب متفاوتة .

بيان يُسمع الصُمَّ ويُنزل العُصم[1] . » فقلت : « يا فاضل ادنُ فقد مَنَّيت وهات فقد أثنيت . » فدنا وقال : « سلوني أجبكم ، واسمعوا أعجبكم . » فقلنا : « ما تقول في امرئ القيس ؟ » قال : « هو أوّل من وقف بالديار وعرَصاتها[2] ، واغتدى والطيرُ في وُكناتها ، ووَصف الخيل بصفاتها ، ولم يقل الشعر كاسباً ، ولم يُجِدِ القول راغباً[3] ، ففضَل من تفتّق للحيلة لسانُهُ ، وانتجع للرّغبة بنانُهُ[4] » – قلنا : « فما تقول في النابغة ؟ » قال : « يثلِبُ[5] اذا حنق ، ويمدح اذا رغب ، ويعتذر اذا رهِب ، ولا يرمي إلا صائباً . » – قلنا : « فما تقول في زُهير ؟ » قال : « يُذيب الشعر والشعر يذيبهُ ، ويدعو القول والسحر يُجيبه . » – قلنا : « فما تقول في طرفة ؟ » قال : « هو ماء الاشعار وطينتها ، وكنز القوافي ومدينتها ، مات ولم تظهر اسرار دفائنهِ ، ولم تُفتح أغلاق خزائنه[6] . » قلنا – : « فما تقول في جَرير والفرزدق ، وأيُّهما اسبق ؟ » فقال : « جريرٌ أرقُّ شعراً ، وأغزر غزراً[7] ؛ والفرزدق أمتن صخراً ، وأكثر فخراً ، وجرير أوجع هجواً ، وأشرف يوماً ؛ والفرزدق اكثر رَوماً ، واكرم قوماً ؛ وجرير إذا نسب اشجى[8] ، واذا ثلب أردى ، واذا مدح أسنى[9] ؛ والفرزدق اذا افتخر اجزى[10] ، واذا احتقر أزرى ، واذا وصف أوفى . » – قلنا : « فما تقول في المحدَثين من الشعراء والمتقدّمين منهم[11] ؟ » قال : « المتقدّمون اشرف لفظاً ، واكثر من المعاني حظاً . والمتأخرون ألطف صُنعاً وأرقُّ نسجاً . . . »

---

١ العصم جمع اعصم وهوالوعل ، يكون في الجبال . ٢ العرصات : ساحات الدّور . ٣ لم يجد القول راغباً : يريد ان القول كان يأتيه عفواً وانه كان يجيده عن غير قصد ، لما طُبع عليه من نبوغ في الفن . ٤ يقول : انه سما على الشعراء الذين لم يقولوا الشعر الا رغبة في المال ولانتجاع الكرماء . ٥ ثلبَه : عابه ولامه وشتمه . ٦ الاغلاق جمع غلَق وهو ما يغلق به الباب . وطرفة هو اقصر كبار الشعراء في الجاهلية عمراً ، توفي ولم تزد سنّه على ستّ وعشرين سنة . ٧ اغزر غزراً : اي ان جريراً يفوق الفرزدق في كثرة المعاني . ٨ نسَبَ : تغزّل . اشجى : حرّك العواطف واحزن . ٩ اسنى : رفع . ١٠ اجزى : اغنى . ١١ القدماء هم شعراء العهد الاموي وما قبله ، والمحدثون والمتأخرون هم شعراء العهد العباسي .

٢٥٣ المقامة البغداذية

حدّثنا عيسى بن هشام قال :

اشتهيت الأَزاذ[١] وانا ببغداذ[٢]، وليس معي عَقد على نقد[٣] . فخرجتُ انتهز محالّه حتى أحلّني الكَرْخَ[٤] . فإذا انا بسواديّ يسوق بالجهد حماره ويُطرّف بالعقد إزاره . فقلت : « ظفرنا والله بصيد، وحيّاكَ الله ابا زيد! من اين اقبلت؟ واين نزلت؟ ومتى وافيت؟ وهلمّ الى البيت! » فقال السواديّ : « لست بأبي زيد، ولكني ابو عُبيد . » فقلت : « نعم، لعن اللهُ الشيطان، وأبعد النسيان! أنسانيك طول العهد واتصال البعد . فكيف حال ابيك أشابَ كعهدي، أم شابَ بعدي؟ » فقال : « قد نبتَ الربيع على دِمنته[٥]، وأرجو ان يصيّره الله الى جنّته . » فقلت : « إنّا لله وإنا اليه راجعون، ولا حول ولا قوّة الا بالله العليّ العظيم . » ومددتُ يدَ البِدار الى الصِدار[٦]، أُريد تمزيقه فقبض السواديّ على خصري بجُمعه[٧] وقال : « نشدتك الله لا مزّقتهُ . » فقلت : « هلمّ الى البيت نُصب غداء، او الى السوق نشترِ شِواء، والسوق أقرب، وطعامه اطيب . » فاستفزّته حُمَة القَرَم[٨]، وعطفته عاطفة اللَّقَم[٩] ، وطمع ولم يعلم انه وقع . ثم أتينا شوّاء يتقاطر شواؤه عرقاً، وتتسايل جوذاباته[١٠] مَرَقاً . فقلت : « أفرز لأبي زيد من هذا الشواء، ثم زن له من تلك الحلواء، واختر له من تلك الاطباق، وانضد عليها اوراق الرقاق[١١]، ورشّ عليه شيئاً من ماء السماق[١٢] ليأكله ابو زيد هنيّاً . » فانحنى الشوّاء بساطوره على زبدة تنوره، فجعلها كالكحل سحقاً، وكالطحن دقّاً . ثم جلس وجلستُ ؛ ولا يئس ولا

---

١ الازاذ : نوع من التمر الجيد . ٢ بغداذ : لغة في بغداد . ٣ اي وانا لا املك مالاً .
٤ الكرخ : محل ببغداد، والضمير في « احلني » راجع الى الازاذ . ٥ الدمنة : اي القبر .
٦ الصّدار : قميص يغشّي الصدر بلا كمّين . ٧ جُمع الكفّ : قبضتها . ٨ استفزّته : استدعته واستهوته . الحمة : ابرة العقرب، وقد حُملت على الشدة مطلقاً . القرَم : الشهوة الشديدة لاكل اللحم . ٩ اللّقَم : السرعة في الاكل . ١٠ الجوذابة . رغيف يخبز وفوقه طائر او قطعة لحم . ١١ الرّقاق : الخبز المرقوق . ١٢ السّماق : حب صغير احمر حامض .

يئست حتى استوفينا، وقلت لصاحب الحلوى : « زِن لأبي زيد من اللوزينج[١] رطلين، فهو أجرى في الحلوق وامضى في العروق . وليكن ليلي[٢] العمر، يومي النشر[٢]، رقيق القشر، كثيف الحشو، لؤلؤي الدُهن، كوكبي اللون، يذوب كالصمغ قبل المضغ، ليأكله ابو زيد هنيأً . » قال : فوزنه ثم قعد وقعدت، وجرّد وجرّدت، حتى استوفيناه ثم قلت : « يا ابا زيد، ما احوجنا الى ماء يُشعشع بالثلج[٣] ليقمع هذه الصارّة[٤] ويفثأ[٥] هذه اللقم الحارّة! اجلس، يا ابا زيد، حتى نأتيك بسقاء، يأتيك بشربة ماء . » ثم خرجت، وجلست بحيث اراه ولا يراني أنظر ما يصنع . فلما ابطأت عليه، قام السوادي[٤] الى حماره، فاعتلق الشوّاء بإزاره . وقال : « اين ثمن ما اكلت ؟ » فقال ابو زيد : « اكلته ضيفاً . » فلكمه لكمة، وثنّى عليه بلطمة . ثم قال الشوّاء : « هاك، ومتى دعوناك ؟ زن يا اخا القحة عشرين[٦] . » فجعل السوادي[٤] يبكي، ويحل عُقده بأسنانه، ويقول : كم قلت لذاك القريد : « انا ابو عُبيد . » وهو يقول : « انت ابو زيد » .

ميزة مقاماته : لمقامات البديع غاية تعليميَّة وقد كثرت فيها أساليب البيان والبديع والالفاظ الغريبة .

الرسائل :

٢٥٤ رسالة عتاب

[وكتب بديع الزمان يعاتب القاسم الكرجي المتوفي سنة ١٠٠٩ م/ ٤٠٠ ﻫ .]

---

١ اللوزينج : نوع من الحلوى شبه القطائف يتخذ من الخبز ويسقى بدهن اللوز . ٢ ليليّ العمر : اي مما صنع ليلاً . يومي النشر : اي ظهر نهاراً ليكون قد شرب دهنه وعسله . ٣ يشعشع بالثلج : مخلوط بـه . ٤ الصارّة : العطش . ٥ يفثأ : يكسر ويخفف . ٦ زن عشرين : اي اعط وزن عشرين درهماً .

انا، اطال الله بقاء الشيخ سيدي ومولاي، وان لم أَلقَ تطاول[١] الاخوان الا بالتطوّل[٢]، وتحامل الاحرار الّا بالتحمل، أحاسب الشيخ، أيّده الله، على اخلاقه، ضنًّا[٣] بما عقدتُ يدي عليه من الظنّ به، والتقدير في مذهبه. ولولا ذاك، لقلتُ: في الارض مجالٌ ان ضاقت ظلالك[٤]، وفي الناس واصلٌ ان رثّتْ[٥] حبالك. وأواخذه بأفعاله. فإن اعارني أُذنًا واعية، ونفسًا مراعية، وقلبًا مُتَّعظًا ورجوعًا عن ذهابه، ونزوعًا[٦] عن هذا الباب الذي يقرعه، ونزولًا عن الصعود الذي يفرعه[٧]، فرَشتُ لمودّته خوان[٨] صدري؛ وعقدت عليه جوامع خصري، ومجامع عمري[٩] وإن ركب من التعالي غير مركبه[١٠]، وذهب من التعالي في غير مذهبه[١١] أقطعتهُ خطة[١٢] أخلاقه، وولّيته جانب اعراضه:

لا اذود الطير عن شجر قد بلوت المرَّ من ثمره![١٣]

فاني، وان كنت في مقتبل السن والعمر، قد حلبت شطرَي الدهر[١٤]، وركبت ظهرَي البرّ والبحر[١٥]، ولقيت وفدَي[١٦] الخير والشر، وصافحتُ يدَي النفع والضرّ، وضربتُ إبطَي العسر واليسر، وبلوت طعمَي الحلو والمرّ، ورضعتُ ضرعَي العرف والنكر[١٧]، فما تكاد الايام تريني من افعالها غريبًا، وتسمعني من احوالها عجيبًا. ولقيت الافراد، وطرحتُ الآحاد[١٨] فما رأيت احدًا الّا ملأت حافتَي سمعه وبصره[١٩] وشغلت حيزَي فكره ونظره[٢٠] وأثقلت كتفه في الحزن، وكفّته في الوزن، وودَّ لو

---

١ التطاول: الترفع والاعتداء. ٢ التطوّل: التفضل. ٣ ضناً: حرصاً. ٤ ظلالك: اماكن ظلك. ٥ رثّت: بليت وذابت. ٦ النزوع: الترك والرجوع. ٧ يفرعه: يصعده ويعلوه. ٨ الخوان: ما يؤكل عليه الطعام، والمراد تمكّن مودّته من صدره. ٩ يريد انه يتمسك بمودته عمره كله. ١٠ اي اذا تكبر. ١١ مذهبه: طريقته. ١٢ الخطة: الطريقة. يريد ان يتركه وان اخذ في غير طريق طباعه. ١٣ لا اذود: لا اطرد. ١٤ حلبت شطري الدهر: يريد انه خبر الدهر وعرف خيره وشره. ١٥ يريد انه جرّب الامور في البحر وفي البر. ١٦ الوفد: الجماعة ترد على الامير وغيره. يريد انه عرف الخير والشر. ١٧ العُرف: المعروف. النُكر: ضده. ١٨ يريد انه خبر الايام منذ نشأته. ١٩ حافتي سمعه: جانبي. ٢٠ حيزي فكره ونظره: ناحيتي.

بادر القِرْنَ[1] صحيفتي[2] او لقي صفيحتي[3] . فما لي صغرت هذا الصغر في عينه ! وما الذي ازرى بي[4] عنده حتى احتجب، وقد قصدته ؟ ولزم ارضه، وقد حضرته ؟ انا أحاشيه[5] أن يجهل قدر الفضل، او يجحد فضل العلم، او يمتطي[6] ظهر التيه[7]، على أهليه . وأسأله ان يختصني من بينهم بفضل إعظام، ان زلت بي مرّةً قدمٌ في قصده . وكأني به[8]، وقد غضب لهذه المخاطبة المجحفة، والرتبة المتحيفة[9] ؛ وهو، في جنب جفائه، يسير . فان أقلع[10] عن عادته، ونزع عن شيمته[11] في الجفاء، فاطال الله بقاء الاستاذ الفاضل وادام عزّه وتأييده .

٢٥٥ رسالة اعتذار

[كتب يعتذر من إنابته رسوله عن شخصه :]

يعزُّ عليَّ، اطال الله بقاء الرئيس، ان ينوب في خدمتـه قلمي ، عن قدَمي، ويسعَد برؤيته رسولي، دون وُصولي، ويرد مشرعَ[12] الأُنس به كتابي، قبل ركابي؛ ولكن ما الحيلةُ والعوائق جمّة ؟

وَعَلَيَّ أَنْ أَسْعَى وَلَيْـسَ عَلَيَّ إِدْرَاكُ ٱلنَّجَاحِ

وقد حضرتُ داره ، وقبّلت جداره ؛ ومـا بي حبُّ الجدران ، ولكن شغفاً بالقطّان[13] ؛ ولا عِشق الحيطان، ولكن شوقاً الى السكان . وحين عدَت العوادي

---

١ القرن : المقارن الكفء عند ملاقاة الابطال . ٢ صحيفتي : كتابي . ٣ صفيحتي : وجهي . ٤ ازرى بي : حطّ من قدري وشأني . ٥ احاشيه : انزهه . ٦ يمتطي : يركب . ٧ التيه : الكبر . ٨ كأني به : تأتي بمعنى الظن والتقريب ، وقد اختلف في اعرابها، والوجه الاصح ان الضمير في « كأن » حرف تكلم او خطاب لا محل له وان الباء بعده زائدة والضمير بعدهـا اسم كأن . ٩ المتحيّفة : من التحيّف وهو الظلم والجور . ١٠ اقلع : رجع . ١١ شيمته : خلقه . ١٢ المشرع : مكان ورود الماء . ١٣ القطان جمع قاطن، وهو الساكن بالمكان المقيم به . وهذا المعنى مضمون قول الشاعر :

أَمُرُّ عَلَى الدِّيَارِ ، دِيَارِ لَيْلَى أُقَبِّلُ ذَا الجِدَارَ وذَا الجِدَارَا
وَمَا حُبُّ الدِّيَارِ شَغَفْنَ قَلْبِي وَلَكِنْ حُبُّ مَنْ سَكَنَ الدِّيَارَا

عنه، أمليت ضميرَ الشوق على لسان القلم، معتذراً الى الشيخ على الحقيقة، لا عن تقصيرٍ وقع، او فُتورٍ في الخدمة عرَض، ولكني أقول:

إنْ يكُنْ تركي لقصدِكَ ذَنْباً   فكفَى ألّا أراكَ عِقابَا

ميزة رسائله: تجري رسائل البديع على اسلوب ذلك العصر من زخرف وإطناب وتضمين لاقوال الغير في سلاسة وعذوبة .

الحريريّ (١٠٥٤ ـ ١١٢٢م/٤٤٦ ـ ٥١٦هـ)

[الحريري هو الذي رفع بناء المقامات عالياً وتصرّف فيه تصرّف الحاذق الماهر حتى اصبح المثال الاعلى في هذا الميدان يرمقه كل من جرّد القلم للمقامة والالاعيب اللفظية والمعنويّة في لغة رائعة الاداء عجيبة الانطلاق .]

٢٥٦ المقامة الصنعانية[١]

حدّث الحارث بن همام، قال: لمّا اقتعدت غارب الاغتراب[٢] وأنأتني[٣] المتربة[٤] عن الاترابِ[٥]، طوّحت[٦] بي طوائح[٧] الزمن الى صنعاء اليمن، فدخلتها خاوي[٨] الوفاض[٩] بادي الإنفاض[١٠]، لا املك بُلغةً ولا اجد في جرابي مضغةً[١١]، فطفقت أجوب طرقاتها

---

١ الصنعانية: ابتدأ بها لانه يُروى ان صنعاء اول بلدة صنعت بعد الطوفان . ٢ غارب كل شيء: اعلاه . واقتعده: اتخذه قعدة . والاغتراب: التغرب عن الوطن . ٣ انأتني: ابعدتني . ٤ المتربة: الفقر لانها تلصق صاحبها بالتراب . ٥ الاتراب: جمع ترب بالكسر . وترب الرجل: لدته الذي نشأ معه . ٦ طوّحت بي: رمت . ٧ طوائح الزمن: خطوبه وقواذفه . ٨ خاوي: اي فارغ . ٩ الوفاض: جمع وفضة وهي خريطة من جلد يحمل فيها الراعي زاده . ١٠ الانفاض: انفض الرجل اذا فني زاده وماله . ١١ البلغة: ما يُتبلغ به من العيش وهو اليسير من الزاد؛ والمضغة هي ما يمضغ .

مثل الهائم[1] وأجول في حوماتها جولان الحائم[2]، وأرود في مسارح لمحاتي ومسايح غدواتي وروحاتي[3]، كريماً أخلق له ديباجتي[4] وابوح اليه بحاجتي، أو اديباً تفرّج رؤيته غُمتي[5] وتروي روايته غُلتي[6]، حتى ادّتني[7] خاتمة المطاف وهدتني فاتحة الالطاف[8]، الى نادٍ رحيب محتوٍ على زحامٍ ونحيب[9]، فولجت غابة الجمع[10] لِأسبُر مجلبة الدمع[11]، فرأيت في بهرة الحلقة[12] شخصاً شخت الخلقة[13]، عليه أُهبة السياحة[14] وله رنّة النياحة[15]، وهو يطبع الاسجاع[16] بجواهر لفظه[17]، ويقرع الأسماع بزواجر وعظه، وقد احاطت به اخلاط[18] الزُّمر إحاطة الهالة بالقمر[19]، والاكمام بالثمر[20]، فدلفت[21] اليه لاقتبس من فوائده والتقط بعض فرائده[22]، فسمعته يقول: «حين خبّ في مجاله[23] وهدرت[24] شقاشق[25] ارتجاله، أيها السادر[26] في غلوائه[27]، السادل[28] ثوب خُيلائه[29]، الجامح[30] في جهالاته، الجانح[31] الى

١ مثل الهائم : اي جملت اقطع طرقاتها بالطواف فيها مثل الحيران . ٢ الحائم : طائر اذا اشتد به العطش ورد الماء فحام عليه حتى يغرق وهو يشربه فان فاله الماء تساقط ريشه . ٣ مسارح اللمحات هي المواضع التي يجول فيها النظر . والمسايح جمع مسحة من ساح في الارض يسيح اذا ذهب. والغدوات والروحات بمعنى الذهاب والمجيء ٤ اخلق له ديباجتي : اي ابذل له وجهي . ٥ الغمة : ما على القلب من غم . ٦ الغلة : شدة العطش. ٧ ادتني : اوصلتني . ٨ الالطاف : اي اول الطاف الله بي . ٩ نحيب : هو صوت البكاء والاعوال . ١٠ غابة الجمع : الغابة في الاصل الشجر الملتف فاستعارها للازدحام . ١١ لاسبر مجلبة الدمع : لاختبر سبب البكاء . ١٢ بهرة الحلقة : وسطها . ١٣ شخت الخلقة : الشخت والشخيت الدقيق النحيف . ١٤ اي شعارها والاهبة في الاصل العدة والتأهب . ١٥ النياحة : هي انين الباكي بحزن . ١٦ الاسجاع : اي يصوغها ويرتبها وهي من الكلام ما كان له فواصل كقوافي الشعر . ١٧ بجواهر لفظه : جمع جوهر، وجوهر كل شيء خياره . ١٨ اخلاط : اوباش مختلفون من الجماعات . ١٩ الهالة بالقمر : الدائرة حول القمر . ٢٠ الاكمام : جمع كِم بالكسر وهو وعاء الطلع . ٢١ فدلفت : الدلف ان يمشي الشيخ مشياً رويداً ويقارب الخطو . ٢٢ فرائده : نوادره وغرائبه . جمع فريدة وهي في الاصل ما يجعل فاصلة بين الجواهر سميت بذلك لانفرادها تستعار للنادرة . ٢٣ خب في مجاله: اسرع في طريقه. ٢٤ هدرت : ارتفعت وصوتت من هدر الحمام : صوّت وصاح، وهدر البعير اي ردد صوته في حنجرته . ٢٥ شقاشق : جمع شِقشِقة وهي في الاصل ما يخرجه البعير من فيه اذا هاج، ويقال: فلان شقشقة قومه اي فصيحهم وشريفهم . ٢٦ السادر: الذي لا يبالي بما صنع . ٢٧ غلوائه : غلوّه ومجاوزته الحدّ . ٢٨ السادل : من السدل وهو ارخاء الثوب وارساله من غير ضم جانبيه . ٢٩ خيلائه : كبره . ٣٠ الجامح : مأخوذ من جمح الفرس اذا مرّ براكبه ولم يردّه اللجام . ٣١ الجانح : المائل .

خزعبلاته[١]، الى مَ تستمرُّ[٢] على غيك وتستمرئ[٣] مرعى بغيك، وحتى مَ تتناهى في زهوك[٤]، ولا تنتهي عن لهوك، تبارز[٥] بمعصيتك مالك ناصيتك[٦]، وتجترئ[٧] بقبح سيرتك على عالم سريرتك، وتتوارى[٨] عن قريبك وانت بمرأى رقيبك[٩] .

وتستخفي من مملوكك وما تخفى خافية على مليكك. أتظنّ أن ستنفعك حالك اذا آن ارتحالك أو ينقذك مالك حين توبقك[١٠] أعمالك أو يُغني عنك ندمك إذا زلت قدمُك أو يعطف عليك معشرك[١١] يوم يضمك محشرك[١٢]. هلّا[١٣] انتهجت[١٤] محجة اهتدائك وعجلت معالجة دائك وفللت شباة اعتدائك[١٥] وقدعت نفسك[١٦] فهي أكبر اعدائك[١٧]، أما الحمام ميعادك فما اعدادك، وبالمشيب إنذارُك فما إعذارك[١٨]، وفي اللحد مقيلك[١٩] فما قيلك[٢٠]، والى الله مصيرك فمن نصيرك، طالما ايقظك الدهر فتناعست، وجذبك الوعظ فتقاعست[٢١]، وتجلّت لك العبر[٢٢] فتعاميت، وحصحص[٢٣] لك الحق فتماديت، وأذكرك الموت فتناسيت[٢٤]، وأمكنك ان تؤاسي[٢٥] فما آسيت[٢٦]؛ تؤثر فلساً[٢٧]

---

١ خزعبلات : جمع خُزعبلة وهي الحديث الباطل . ٢ اي الى اي حين تستديم وتمضي . ٣ تستمرئ : تعدّه مريئاً او تستطيبه . ٤ زهوك : النهاية في الكبر . ٥ تبارز : تحارب . ٦ ناصيتك : هي مقدم الرأس . ٧ تجترئ : من الجرأة وهي الاقدام . ٨ تتوارى : تستتر . ٩ بمرأى رقيبك : اي عالم امرك وهو الله تعالى . ١٠ توبقك : تهلكك . ١١ معشرك : عشيرتك واقاربك . ١٢ محشرك : الحشر هو يوم الحشر . ١٣ هلا : حرف تحضيض على الفعل وحثٍّ عليه كلولا ولوما . ١٤ انتهجت : سلكت والمحجّة : معظم الطريق . ١٥ فللت شباة اعتدائك : كسرت حدة ظلمك . ١٦ قدعت نفسك : كففتها ومنعتها عن القبيح . ١٧ اكبر اعدائك : اشارة الى قوله : اعدى عدوّك نفسك التي بين جنبيك. ١٨ انذارك واعذارك : بفتح الهمزة جمع نذر وعذر ، كذا ذكره المطرّزي فاما بالكسر فالاول الاعلام بتخويف، والثاني صيرورة الرجل ذا عذر ومنه اعذر من انذر . ١٩ مقيلك : مصيرك واصله النوم بالقائلة وهي الظهيرة . ٢٠ فما قيلك : اي فما قولك . ٢١ فتقاعست : تأخرت . والقعس هو دخول الظهر وخروج الصدر ضد الحدَب . ٢٢ تجلت لك العبر : ظهرت لك اسباب الاعتبار . ٢٣ وحصحص : اي ظهر من الحصّ وهو ذهاب الشعر فيتبين ما تحته . ٢٤ فتناسيت : اظهرت انك ناسٍ ولست كذلك . ٢٥ تؤاسي : تحسن الى غيرك وتجعله اسوتك في شيء من مالك . ٢٦ فما آسيت : بهمزة ممدودة في اوله وهو الافصح اي فما احسنت . ٢٧ تؤثر فلساً : مما يُتعامل به .

توعيه[1] على ذكرٍ[2] تعيه[3]، وتختار قصراً[4] تعليه على برٍ توليه[5]، وترغب[6] عن هادٍ تستهديه[7] الى زادٍ تستهديه[8]، وتغلب حبّ ثوبٍ تشتهيه على ثوابٍ تشتريه؛ يواقيت الصلات[9] أعلق بقلبك من مواقيت الصلاة، ومغالاة الصدقات[10] آثر عندك من موالاة الصدقات، وصحاف[11] الالوان أشهى اليك من صحائف[12] الأديان[13]، ودعابة[14] الأقران[15] آنس لك من تلاوة القرآن، تأمر بالعرف[16] وتنتهك[17] حماه[18]، وتحمي[19] عن النكر ولا تتحاماه، وتزحزح[20] عن الظلم ثم تغشاه[21]، وتخشى الناس والله أحق ان تخشاه :

تَبًّا لِطَالِبِ دُنْيَا ثَنَى إِلَيْهَا انْصِبَابَه[22]
مَا يَسْتَفِيقُ غَرَاماً بِهَا وَفَرْطَ صَبَابَه[23]
وَلَوْ دَرَى لَكَفَاهُ مِمَّا يَرُومُ صُبَابَه[24]

ثم انه لبد عجاجته[25] وغيض مجاجته[26]، واعتضد شكوته[27] وتأبط هراوته[28]، فلما

١ توعيه : تجعله في وعائك . ٢ ذكرٍ : علمٍ من الدين . ٣ تعيه : اي تحفظه والمعنى يقدّم الدنيا على الآخرة . ٤ قصراً : البناء الرفيع الذي يتعاناه الملوك . ٥ توليه : تعطيه . ٦ ترغب : رغب عن الشيء اذا لم يرده، ورغب في الشيء : اراده . ٧ تستهديه : من الهداية ان تسترشده وتطلب منه الهداية . ٨ تستهديه : من الهدية تطلب ان يهدى اليك . ٩ الصلات : نفائس العطايا . ١٠ الصدقات : بضم الدال جمع صدقة وهي ما يعطى للنساء من المهر . ١١ صحاف : بكسر الصاد جمع صحفة وهي اناء منبسط واسع . ١٢ صحائف : جمع صحيفة من الكتب . ١٣ الاديان : جمع دين وهي كلمة تجمع انواع التعبد الاعتقادية والقولية والفعلية . ١٤ دُعابة : مزاح . ١٥ الاقران : جمع قِرن وهو المماثل . ١٦ العُرف : بمعنى المعروف كما ان النكر بمعنى المنكر . ١٧ تنتهك : تستأصل وتبالغ في تناوله بما لا يجوز . ١٨ حماه : هو المكان الذي مُنع منه تعظيماً له . ١٩ تحمي : تمنع وهو من حميت المريض الطعام . ٢٠ تزحزح : تبعد . ٢١ تغشاه : تأتيه . ٢٢ تباً : اي خسراً وانتصابه على المصدر . ثنى : عطف وحرف . انصبابه : اي ميله واصل الانصباب : سرعة المشي . ٢٣ ما يستفيق : استفاق من غشيته اي عاد الى عقله . الغرام : هو شدة الحب . فرط : مجاوزة الحد . صبابه : بالفتح رقة الشوق وكذا الصبوة . ٢٤ صبابه : بالضم البقية اليسيرة من الشرب في الاناء والحوض والمراد الاكتفاء بالشيء القليل بدل الكثير الجزيل . ٢٥ لبّد عجاجته : سكن غبرته، والمراد قطع كلامه . ٢٦ غيّض مجاجته : ابتلع ريقه . ٢٧ الشكوة : قربة صغيرة، واعتضدها اي جعلها في عضده . ٢٨ تأبط هراوته : جعل عصاه تحت ابطه .

رنت الجماعة[١] الى تحفزه[٢] ورأت تأهبه بزايلة مركزه[٣]، أدخل كل منهم يده في جيبه فأفعم[٤] له سجلاً[٥] من سيبه[٦]، وقال: «اصرف هذا في نفقتك، أو فرّقه على رفقتك». فقبله منهم مُغضياً[٧] وانثنى عنهم مثنياً، وجعل يودّع من يشيعه[٨] ليخفى عليه مهيعه[٩] ويسرّب[١٠] من يتبعه لكي يجهل مربعه[١١]، قال الحارث بن همام: فاتّبعته مواريا[١٢] عنه عياني[١٣]، وقفوت[١٤] أثره من حيث لا يراني حتى انتهى الى مغارة[١٥]، فانساب[١٦] فيها على غرارة[١٧]، فأمهلته ريثما[١٨] خلع نعليه وغسل رجليه ثم هجمت عليه فوجدته مثافنا[١٩] لتلميذ على خبز سميذ[٢٠] وجدي حنيذ[٢١]، وقبالتهما خابية نبيذ، فقلت له: «يا هذا، أيكون ذاك خبرك وهذا مخبرك[٢٢]؟» فزفر زفرة القيظ[٢٣] وكاد يتميز[٢٤] من الغيظ ولم يزل يحملق[٢٥] إلي حتى خفت أن يسطو علي فلما ان خبت[٢٦] ناره وتوارى أُوارُه[٢٧] انشد:

لَبِسْتُ الْخَمِيصَةَ أَبْغِي الْخَبِيصَةَ   وَأَنْشَبْتُ شِصِّي فِي كُلِّ شِيصَهْ[٢٨]

---

١ رنت الجماعة: نظرت طويلا. ٢ تحفزه: تهيئه للقيام والذهاب. ٣ مزايلة مركزه: مفارقة موضعه. ٤ افعم: ملأ طويلاً. ٥ سجلاً: الدلو اذا كان فيه ماء. ٦ سيبه: عطائه والمراد اجزل العطاء له. ٧ مغضياً: ضاماً جفنيه حياء. ٨ يشيّعه: يقال شيعه اذا خرج عند رحيله مودعاً. ٩ مهيعه: بفتح الميم وهو الطريق الواضح الواسع. ١٠ يسرّب: يفرّق وسرّب الابل اي ارسلها قطعة قطعة. ١١ مربعه: اي منزله واصله منزل القوم في الربيع. ١٢ مواريا: مخفيا. ١٣ عياني: شخصي. ١٤ قفوت: اتبعت. ١٥ مغارة: بيت تحت الارض كالكهف في الجبل. ١٦ فانساب: جرى او مرّ مسرعاً. ١٧ غرارة: الغرة بالكسر والغرارة بالفتح معناهما الغفلة. ١٨ ريثما: اي قدرما واصل الريث: البطء. يقال: راث علينا اي ابطأ. ١٩ مثافنا: مجالسا. ٢٠ سميذ: حوّارى وهو الطحين الابيض الخالص. ٢١ حنيذ: المشوي على حجارة محماة وقيل هو السمين. ٢٢ مخبرك: المخبر يستعمل للباطن كما ان الخبر يستعمل للظاهر. ٢٣ القيظ: شدة الحر والصيف. ٢٤ يتميز: يتقطع ويتمزق. ٢٥ يحملق: يحدد نظره من شدة الغيظ وهو الغضب الكامن في الباطن. ٢٦ خبت: خمدت، يريد سكن غضبه. ٢٧ توارى أواره: اختفى احتداده. ٢٨ الخميصة: كساء له علمان اسودان. الخبيصة: الحلوى. أنشبت: يقال نشب الصيد في الحبالة اذا وقع فيها وانشبه غيره: اوقعه. شيصه: شيء رديء.

وَصَيَّرْتُ وَعْظِيَ أُحْبُولَـةً   أُرِيغُ ٱلْقَنِيصَ بِهَا وَٱلْقَنِيصَه [١]
وَأَلْجَأَنِي ٱلدَّهْرُ حَتَّى وَلَجْتُ   بِلُطْفِ ٱحْتِيَالِي عَلَى ٱللَّيْثِ عِيصَه [٢]
عَلَى أَنَّنِي لَمْ أَهَبْ صَرْفَهُ   وَلَا نَبَضَتْ لِيَ مِنْهُ فَرِيصَه [٣]
وَلَا شَرَعَتْ بِي عَلَى مَوْرِدٍ   يُدَنِّسُ عِرْضِيَ نَفْسٌ حَرِيصَه [٤]
وَلَوْ أَنْصَفَ ٱلدَّهْرُ فِي حُكْمِهِ   لَمَا مَلَّكَ ٱلْحُكْمَ أَهْلَ ٱلنَّقِيصَه

ثم قالى لي: «ادنُ، فكل، وإن شئت فقم وقل.» فالتفت الى تلميذه وقلت: «عزمت عليك بمن تستدفع به الأذى، لتخبرني من ذا.» فقال: «هذا أبو زيدٍ السروجي [٥] سراج الغرباء، وتاج الادباء.» فانصرفت من حيث اتيت وقضيت العجب مما رأيت.

٢٥٧ المقامة الزبيدية

أخبر الحارث بن همّام قال: لما جُبتُ [٦] البيدَ [٧] الى زبيد [٨] صحبني غلام قد كنت ربّيته الى أن بلغ أشُدّه [٩]، وثقفته حتى اكمل رشده [١٠]، وكان قد أنس بأخلاقي وخبر مجالب وفاقي، فلم يكن يتخطى مرامي [١١] ولا يخطىء في المرامي، [١٢] لا جرمَ أن قرَبه [١٣]

---

١ احبولة: شبكة الصيد. اريغ: اراغ الشيء اذا طلبه على وجـه المكر. القنيص: الصيد الذكر. القنيصة: الصيد الانثى. ٢ الليث: من اسماء الاسد. عيصـه: بيته ومأواه. ٣ صرفه: حوادثه. نبضت: تحركت. فريصة: لحمة تكون تحت الكتف من شأنها انها ترعد عند الفزع. ٤ شرعت: شرع في الامر والماء اي دخل فيـه وشرّع ابله اذا اوردها شريعة الماء، وفي المثل اهون السقي التشريع. ٥ الغرباء: جمع غريب وهو البعيد عن الاوطان. ٦ جبت: قطعت. ٧ البيد جمع بيداء وهي الفلاة من الارض. ٨ زبيد: بلدة باليمن مشهورة بغناها. ٩ بلغ اشدّه: اصبح رجلا. ١٠ اكمل رشده: تمّ صلاحه. ١١ مرامي: مقاصدي. ١٢ المرامي: الاغراض. ١٣ القرَب: الاعمال الصالحة.

الناطت[1] بصفري[2] وأخلصته[3] لحضري وسفري، فألوى به[4] الدهر المبيد حين ضمتنا زبيد، فلما شالت نعامته[5] وسكنت نأمته[6] بقيت عاماً لا أسيغ[7] طعاماً ولا أريغ[8] غلاماً، حتى ألجأتني شوائب الوحدة[9] ومتاعب القومة والقعدة[10]، الى ان اعتاض[11] عن الدرّ الخرز، وارتاد[12] من هو سداد من عوز[13]، فقصدت من يبيع العبيد بسوق زبيد، فقلت: اريد غلاماً يُعجب اذا قلّب[14]، ويُحمد اذا جُرّب، وليكن ممن خرّجه[15] الأكياس[16] وأخرجه الى السوق الإفلاس. فاهتزّ كل منهم لمطابي ووثب وبذل تحصيله عن كثب[17]، ثم دارت الأهلّــة دورها[18] وتقلّبت كورها وحورها[19]، وما نجز[20] من وعودهم وعد ولا سحّ لها رعد[21]، فلما رأيت النخّاسين[22] ناسين او متناسين، علمتُ أن ليس كلّ من خلق يفري[23]، وأن ان يحكّ جلدي مثل ظفري[24]، فرفضت مذهب التفويض وبرزت الى السوق بالصفر والبيض[25]، فاني لاستعرض الغلمان واستعرف الاثمان، اذ عارضني رجل قد اختطم بلثام[26] وقبض على زند غلام وقال:

مَنْ يَشْتَرِي مِنِّي غُلَاماً صَنَعَا ... فِي خَلْقِهِ وَخُلْقِهِ قَدْ بَرَعَا [27]
بِكُلِّ مَا نِيطَ بِهِ مُضْطَلِعَا ... يُشْفِيكَ إِنْ قَالَ وَإِنْ قُلْتَ وَعَى [28]
وَإِنْ تُصِبْكَ عَثْرَةٌ يَقُلْ لَعَا ... وَإِنْ تَسُمْهُ السَّعْيَ فِي النَّارِ سَعَى [29]

---

١ الناطت: التصقت. ٢ بصفري: بقلبي. ٣ اخلصته: افردته. ٤ ألوى به: اهلكه. ٥ شالت نعامته: مات، واصل هذه الكناية ان النعامة، وهي باطن القدم، تنتصب عند الموت. ٦ نأمته: حركته التي تنمو بحياته. ٧ اسيغ: ابتلع. ٨ اريغ: اطلب. ٩ الشوائب: الاكدار. ١٠ القومة والقعدة: القيام والقعود. ١١ اعتاض: استبدل. ١٢ ارتاد: اطلب. ١٣ اي ما يستغنى به عن غيره عند الحاجة. ١٤ قلّب: فتش. ١٥ خرّجه: علّمه ودرّبه. ١٦ الاكياس: ذوو الكياسة وهي العقل. ١٧ عن كثب: عن قرب. ١٨ اي مرّت شهور السنة الى ان جاء الشهر الذي كنت سألتهم فيه ووعدوني بتحصيله. ١٩ كورها وحورها: تمامها ونقصانها. ٢٠ ما نجز: ما حصل. ٢١ كناية عن عدم وفاء ما وعدوه به. ٢٢ النخاس: بائع الرقيق. ٢٣ اي ليس كل من وعــد يفي. ٢٤ مثل يضرب في ترك الاتكال على الناس. ٢٥ الصفر والبيض: الدنانير والدراهم. ٢٦ اي جعله على خطمه وهو الانف. ٢٧ الصنع: الحاذق بالصناعة. ٢٨ اناط به الشيء: علقه به. المضطلع: القوي بالحمل. وعى: فهم وحفظ. ٢٩ لعا: كلمة تقال للعاثر ومعناها سلمت ونجوت. سامه: كلفه.

وَإِنْ تُصَاحِبْهُ وَلَوْ يَوْماً رَعَى ... وَإِنْ تُقَنِّعْـهُ بِظِلْفٍ قَنِعَا[1]
وَهْوَ عَلَى ٱلْكَيْسِ ٱلَّذِي قَدْ جَمَعَا ... مَا فَاهَ قَطُّ كَاذِباً وَلَا ٱدَّعَى[2]
وَلَا أَجَابَ مَطْمَعاً حِينَ دَعَا ... وَلَا ٱسْتَجَازَ نَثَّ سِرٍّ وُدِعَا[3]
وَطَالَمَـا أَبْدَعَ فِيمَا صَنَعَا ... وَفَاقَ فِي ٱلنَّثْرِ وَفِي ٱلنَّظْمِ مَعَا
وَٱللهِ، لَوْلَا ضَنْكُ عَيْشٍ صَدَعَا ... وَصِبْيَةٌ أَضْحَوْا عُرَاةً جُوَّعَا[4]
مَا بِعْتُهُ بِمُلْكِ كِسْرَى أَجْمَعَا

قال : فلما تأمّلت خلقه القويم وحسنه الصميم[5]، خلته من ولدان جنة النعيم، وقلت : ما هذا بشراً، إن هذا الا مَلَكٌ كريم، ثم استنطقته عن اسمه، لا لرغبة في علمه بل لأنظر أين فصاحته من صباحته[6]، وكيف لهجته من بهجته فلم ينطق بحلوة ولا مرة ولا فاه فوهة ابن امة ولا حرّة فضربت عنه صفحاً[7]، وقلت له قبحاً لعيّك[8] وشقحاً[9]، فغار في الضحك وأنجد[10] ثم انفض رأسه[11] اليّ وانشد :

يَا مَنْ تَلَهَّبَ غَيْظُهُ إِذْ لَمْ أَبُـحْ ... بِٱسْمِي لَهُ مَا هٰكَذَا مَنْ يُنْصِفُ
إِنْ كَانَ لَا يُرْضِيكَ إِلَّا كَشْفُهُ ... فَأَصِخْ لَهُ أَنَا يُوسُفٌ أَنَا يُوسُفُ[12]
وَلَقَدْ كَشَفْتُ لَكَ ٱلْغِطَاءَ فَإِنْ تَكُنْ ... فَطِناً عَرَفْتَ وَمَا إِخَالُكَ تَعْرِفُ

قال: فسرّى عني[13] بشعره واستبى لي[14] بسحره[15]، حتى شدهت[16] عن التحقيق وأُنسيت قصة يوسف الصدّيق، ولم يكن لي همٌّ الّا مساومة مولاه فيه واستطلاع

---

١ رعى الصحبة : حفظها . قنّعه بظلف : ارضاه بالقليل .   ٢ الكيس : الحذق والعقل .
٣ نثّ السر : نشره .   ٤ ضنك العيش : ضيق المعيشة . صدع : شق القلب وكسره .
٥ الصميم : الخالص .   ٦ الصباحة : حسن الوجه .   ٧ ضرب عنه صفحاً : اعرض ومال عنه جانباً .   ٨ العيّ : العجز عن اداء الكلام بما في المرام .   ٩ شقحاً : بعداً .
١٠ انجد : بالغ في الضحك فاخذ يرفع رأسه مرة ويخفضه اخرى .   ١١ انفض رأسه : حركه متعجباً على سبيل الاستهزاء .   ١٢ اصخ : استمع . انا يوسف : يشير الى بيع يوسف الصديق، يعني انـه حر لا يجوز بيعه .   ١٣ سرّى عني : اذهب غيظي .   ١٤ استبى لي : ملك قلبي وامره .   ١٥ بسحره : ببيانه وحسن كلامه .   ١٦ شده : تحير .

طلع الثمن[١] لأوفيه، وكنت احسب انه سينظر شزراً اليّ ويغلي السيمة[٢] عليّ فما حلق الى حيث حلقت ولاعتاق بما به اعتلقت، بل قال: ان الغلام اذا نزر ثمنه[٣] وخفت مؤنه، تبرّك به مولاه والتحف عليه هواه، وإني لأوثره تحبيب هذا الغلام اليك بأن اخفف ثمنه عليك، فزن مائتي درهم ان شيت[٤] واشكر لي ما حييت. فنقدته[٥] المبلغ في الحال كما يُنقد في الرخيص الحلال، ولم يخطر لي ببال أن كلّ مُرخصٍ[٦] غال فلما تحققت الصفقة[٧] وحقت الفرقة، هملت[٨] عينا الغلام ولا همول دمع الغمام ثم اقبل على صاحبه وقال:

لَحَاكَ ٱللهُ هَلْ مِثْلِي يُبَاعُ   لِكَيْمَا تَشْبَعَ ٱلْكِرْشُ ٱلْجِيَاعُ[٩]
وَهَلْ فِي شِرْعَةِ ٱلْإِنْصَافِ أَنِّي   أُكَلَّفُ خُطَّةً لَا تُسْتَطَاعُ[١٠]
وَأَنْ أُبْلَى بِرَوْعٍ بَعْدَ رَوْعٍ   وَمِثْلِي حِينَ يُبْلَى لَا يُرَاعُ
أَمَا جَرَّبْتَنِي فَخَبَرْتَ مِنِّي   نَصَائِحَ لَمْ يُمَازِجْهَا خِدَاعُ
وَكَمْ أَرْصَدْتَنِي شَرَكاً لِصَيْدٍ   فَعُدْتُ وَفِي حَبَائِلِيَ ٱلسِّبَاعُ
وَنُطْتَ بِيَ ٱلْمَصَاعِبَ فَٱسْتَقَادَتْ   مُطَاوِعَةً وَكَانَ بِهَا ٱمْتِنَاعُ
وَأَيُّ كَرِيهَةٍ لَمْ أُبْلِ فِيهَا   وَغُنْمٍ لَمْ يَكُنْ لِي فِيهِ بَاعُ[١١]
وَمَا أَبْدَتْ لِيَ ٱلْأَيَّامُ جُرْماً   فَيُكْشَفُ فِي مُصَارَمَتِي ٱلْقِنَاعُ[١٢]
وَلَمْ تَعْثُرْ بِحَمْدِ ٱللهِ مِنِّي   عَلَى عَيْبٍ يُكَتَّمُ أَوْ يُذَاعُ
فَأَنَّى سَاغَ عِنْدَكَ نَبْذُ عَهْدِي   كَمَا نَبَذَتْ بُرَايَتَهَا ٱلصَّنَاعُ[١٣]
وَلِمْ سَمَحَتْ قَرُونُكَ بِٱمْتِهَانِي   وَأَنْ أُشْرَى كَمَا يُشْرَى ٱلْمَتَاعُ[١٤]

---

١ طلع الثمن: قدره. ٢ السيمة: القيمة. ٣ نزر ثمنه: قلّ. ٤ ان شيت: ان شئت، خففت الهمزة للازدواج. ٥ نقدتـــه: اعطيته الثمن نقداً. ٦ المرخص: الرخيص. ٧ الصفقة: البيعة. ٨ هملت: سالت وسكبت. ٩ لحاك الله: اهلكك. الكرش: عيال الرجال من صغار ولده. ١٠ الخطة: المشقة. ١١ الكريهة: الحرب. ابلى في الحرب: اظهر فيها جلادته. الغنم: الغنيمة. الباع: البطش والخط. ١٢ مصارمتي: مقاطعتي. ١٣ انّى: كيف. ساغ: جاز وسهـــل ولذّ. البراية: ما يلقى مما ينحت من الاديم والقلم عند بريه. الصّناع: المرأة الحاذقة بالصنعة. ١٤ امتهاني: اذلالي.

وَهَلَّا صُنْتَ عِرْضِي عَنْهُ صَوْنِي ... حَدِيثَكَ يَوْمَ جَدَّ بِنَا ٱلْوَدَاعُ
عَلَى أَنِّي سَأُنْشِدُ عِنْدَ بَيْعِي ... أَضَاعُونِي وَأَيَّ فَتًى أَضَاعُوا

قال: فلما وعى الشيخ أبياته وعقل مناغاته[1] تنفس الصعداء، وبكى حتى ابكى البعداء، ثم قال لي: إني احلّ هذا الغلام محلّ ولدي ولا اميزه عن افلاذ كبدي[2] ولولا خلوّ مراحي[3] وخبوّ مصباحي لما درج عن عشّي[4] الى ان يشيع نعشي، وقد رايت ما نزل به من لوعة البين والمؤمن هَيْنٌ لينٌ[5]، فهل لك في تسلية قلبه وتسرية كربه[6] بأن تعاهدني على الاقالة فيه متى استقلت[7] وان لا تستثقلني اذا ثقلت؟ ففي الآثار المنتقاة المروية عن الثقات: من اقال نادماً بيعته اقاله الله عثرته. قال الحارث بن همام: فوعدته وعداً ابرزه الحياء، وفي القلب اشياء، فاستدنى حينئذٍ الغلام اليه وقبل ما بين عينيه وانشد، والدمع يرفض[8] من جفنيه:

خَفِّضْ فَدَتْكَ ٱلنَّفْسُ مَا تُلَاقِي ... مِنْ بُرَحَاءِ ٱلْوَجْدِ وَٱلْإِشْفَاقِ[9]
فَمَا تَطُولُ مُـدَّةُ ٱلْفِرَاقِ ... وَلَا تَنِي رَكَائِبُ ٱلتَّلَاقِي[10]
بِحُسْنِ عَوْنِ ٱلْقَادِرِ ٱلْخَلَّاقِ

ثم قال له: استودعك من هو نعم المولى وشمر ذيله وولّى. فلبث الغلام في زفيرٍ وعويلٍ ريثما يقطع مدى ميل. فلما استفاق وكفكف دمعه المهراق[11]، قال: اتدري لِمَ اعولت وعلامَ عوّلت[12]؟ فقلت: اظن فراق مولاك هو الذي ابكاك. فقال: انك لفي وادٍ وانا في واد، ولكم بين مريد ومراد، ثم انشد:

لَمْ أَبْكِ وَٱللهِ عَلَى إِلْفٍ نَزَحْ ... وَلَا عَلَى فَوْتِ نَعِيمٍ وَفَرَحْ[13]

---

١ المناغاة: هنا الكلام. واصلها تكليم الطفل الصغير. ٢ الافلاذ: جمع فلذة، وهي القطعة. ٣ مراحي: منزلي. ٤ اي لما خرج عن بيتي. ٥ اي سهل الاخلاق.
٦ اي ازالة حزنه. ٧ استقال: طلب الاقالة. ٨ ارفض الدمع: ترشش وتفرق.
٩ خفّض: هوّن عليك. برحاء الوجد: شدته. الاشفاق: الخوف. ١٠ تني: تفتر وتضعف.
١١ المهراق: المنصب. ١٢ عوّل: عزم واعتمد. ١٣ الف نزح: صاحب بعد.

وإنّما مَدْمَعُ أجفاني سَفَحْ على غَبِيٍّ لَحْظُهُ حِينَ طَمَحْ[1]
ورَّطَهُ حتّى تَعَنَّى وافْتَضَحْ وضَيَّعَ المَنْقُوشَةَ البِيضَ الوَضَحْ[2]
وَيْكَ أما نَاجَتْكَ هاتِيكَ المُلَحْ بأنّني حُرٌّ وبَيْعي لم يُبَحْ[3]
إذْ كانَ في يُوسُفَ مَعْنًى قَدْ وَضَحْ

قال : فتمثلت مقاله في مرآة المداعب ومعرض الملاعب، فتصلب[4] تصلب المحق وتبرّأ من طينة الرّق، فجلنا[5] في مخاصمة اتصلت بملاكمة، وأفضت الى محاكمة. فلما أوضحنا للقاضي الصورة[6] وتلونا عليه السورة[7]، قال: ألا، ان من انذر فقد اعذر[8]، ومن حذّر كمن بشّر، ومن بصّر[9] فما قصّر، وإنّ فيما شرحتماه لدليلاً على ان هذا الغلام قد نبهك فما ارعويت[10]، ونصح لك فما وعيت. فاستر داء بلهك واكتمه ولُم نفسك ولا تلمه، وحذار من اعتلاقه[11] والطمع في استرقاقه، فانه حرّ الاديم[12] غير معرّض للتقويم[13]. وقد كان ابوه احضره امس قبيل أفول الشمس، واعترف بأنه فرعه الذي أنشاه[14] وأن لا وارث له سواه. فقلت للقاضي: أوَتعرف أباه، اخزاه الله! فقال: وهل يجهل ابو زيدٍ الذي جرحه جبار[15]، وعند كل قاضٍ له اخبار وإخبار؟ فتحرّقت[16] حينئذٍ وحوْلقت[17] وافقت ولكن حين فات الوقت.

ميزة مقاماته : تنزع مقامات الحريري نزعة تعليميّة الا انها كثيرة السّجع، شديدة التعقيد، وافرة الكنايات والأحاجي النحوية، والمسائل الفقهية، والفتاوى اللغويّة، والالفاظ الغريبة. وعبارة الحريري قصيرة، بليغة، مقطّمة تقطيماً موسيقياً.

---

١ لحظه : نظره. طمح : ارتفع. ٢ تعنى : تعب. المنقوشة : الدراهم. ٣ ناجتك : حدثتك وافهمتك. المُلَح : الكلمات المستحسنة. ٤ تصلّب : توقف. ٥ جلنا : ترددنا. ٦ الصورة : الحقيقة. ٧ السورة : القصة. ٨ اي من حذرك ما يحلّ بك فقد صار معذوراً عندك. ٩ بصّر : عرف حقيقة الحال. ١٠ ارعوى : انتبه وانكفّ. ١١ اعتلاقه : امساكه. ١٢ الاديم : الجلد. والمراد ان ليس به شائبة رق. ١٣ اي لجعله ذا قيمة كالمبيعات. ١٤ اي ابنه الذي ولده. ١٥ جرحه جُبار : اي هدّره لا قصاص فيه. ١٦ تحرّق : عضّ على اسنانه حتى صار لها صوت من شدة الغيظ. ١٧ حولق : قال لا حول ولا قوّة الا بالله العلي العظيم.

التّصنيف الأدبيّ

ابو الفرج الاصبهانيّ (٨٩٧ ـ ٩٦٧ م / ٢٨٤ ـ ٣٥٦ ﻫ)

[هو صاحب الاغاني اي الكتاب الذي عُدّ أغزر مورد وأوثق مستند لتاريخ الآداب العربية في العصور القديمة، وقد قال ابن خلدون : « انه ديوان العرب وجامع أشتات العلوم التي اجتمعت لهم . »]

اخبار الشعراء :

٢٥٨ مجنون ليلى

اخبرني محمد بن مزيد قال : حدثنا الزبير بن بكّار قال : حدثنا اسماعيل بن أبي اويس قال :

اجتاز قيس بن ذريح[1] بالمجنون وهو جالس وحده في نادي قومه . وكان كل واحد منهما مشتاقاً الى لقاء الآخر . وكان المجنون، قبل توحشه[2]، لا يجلس الا منفرداً، ولا يحدّث احداً، ولا يردّ على متكلم جواباً، ولا على مسلّم سلاماً . فسلّم عليه قيس بن ذريح فلم يردّ عليه السلام ؛ فقال له : يا اخي، انا قيس بن ذريح . فوثب اليه فعانقه، وقال : مرحباً بك ! يا اخي، انا، والله، مذهوبٌ بي[3]،

١ قيس بن ذريح : شاعر أموي اشتهر بحبه للبنى . ٢ توحشه : اي ضربه في الآفاق، ومعاشرته الوحوش . ٣ مذهوب بي : اي مسلوب العقل .

مشترك اللب[١]، فلا تلمني . فتحدثا ساعة، وتشاكيا وبكيا . ثم قال له المجنون : يا اخي، ان حيّ ليلى منّا قريب ؛ فهل الك ان تمضي اليها، فتبلغها عني السلام ؟ فقال له: أفعل. فمضى قيس بن ذريح، حتى اتى ليلى، فسلّم وانتسب. فقالت له : حيّاك الله، ألك حاجة ؟ قال : نعم، ابن عمك ارسلني اليك بالسلام . فاطرقت، ثم قالت : ما كنت اهلاً للتحية، لو علمت انك رسوله ؛ قل له عني : أرأيت قولك :

أَبَتْ لَيْلَةٌ بِالغَيْلِ[٢]، يا أُمَّ مالِكٍ، لَكُمْ غَيْرَ حُبٍّ صادِقٍ لَيْسَ يَكْذِبُ[٣]
أَلا، إِنَّمَا أَبْقَيْتِ، يا أُمَّ مالِكٍ، صَدًى،أَيْنَمَا تَذْهَبْ بِهِ الرِّيحُ يَذْهَبِ

أخبرني عن ليلة الغيل واي ليلة هي ؟ وهل خلوت معك في الغيل او غيره ليلاً او نهاراً ؟ فقال لها قيس : يا ابنة عمّ، ان الناس تأوّلوا كلامه[٤] على غير ما أراد، فلا تكوني مثلهم ؛ انما اخبر انه رآك ليلة الغيل، فذهبت بعقله، لا انه عناك بسوء .

فاطرقت طويلاً، ودموعها تجري، وهي تكفكفها[٥]، ثم انتحبت، حتى قلت تقطعت حيازيمها[٦]، ثم قالت : اقرأ على ابن عمي السلام، وقل له : بنفسي انت! والله، إن وجدي[٧] بك لفوق ما تجد، ولكن، لا حيلة لي فيك . فانصرف قيس اليه ليخبره، فلم يجده .

٢٥٩ قوة هلال

وقال خالد بن كلثوم : كان هلال[٨] بن الاسعر، فيما ذكروا، يرد مع الإبل،

---

١ مشترك اللب : اي موزّع العقل . ٢ الغيل : اسم وادٍ لبني جعدة . ام مالك : كنية ليلى . ٣ في هذين البيتين اقواء لاختلافهما بحركة الروي ضماً وكسراً . ٤ تأولوا كلامه : اي فسروه . ٥ تكفكفها : تمسحها مرة بعد مرة لتردها . ٦ الحيازيم جمع حيزوم وهو ما اكتنف الحلقوم من جانب الصدر . ٧ الوجد : الحب . ٨ هلال : شاعر اموي كان شديداً عظيم الخلق، اكولاً، صبوراً على الجوع .

فيأكل ما وجد عند اهله، ثم يرجع اليها، ولا يتزوّد طعاماً ولا شراباً، حتى يرجع يوم ورودها، لا يذوق طعاماً ولا شراباً . وكان عاديّ الخلق[1] لا توصف صفته .

قال خالد بن كلثوم : فحدثنا عنه من ادركه : انه كان يوماً في إبل له، وذلك عند الظهيرة في يوم شديد وقع الشمس محتدم الهاجرة[2] ؛ وقد عمد الى عصاه فطرح عليها كساءه، ثم ادخل رأسه تحت كسائه من الشمس . فبينا هو كذلك، اذ مرّ به رجلان : احدهما من بني نهشل، والآخر من بني فقيم[3]، كانا اشدّ تميميّين، في ذلك الزمان، بطشاً، يقال لاحدهما الهيّاج ؛ وقد اقبلا من البحرين ومعهما أنواطٌ[4] من تمر هجر[5] . وكان هلال بناحية الصعاب[6] . فلما انتهيا الى الابل، ولا يعرفان هلالاً بوجهه، ولا يعرفان ان الابل له، ناديا : يا راعي، أعندك شراب تسقينا ؟ وهما يظنّانه عبداً لبعضهم . فناداهما هلالٌ ورأسه تحت كسائه : عليكما الناقة[7] التي صفتها كذا، في موضع كذا، فأنيخاها ؛ فان عليها وطبين[8] من لبن، فاشربا منها ما بدا لكما. قال : فقال له احدهما : ويحك ! انهض، يا غلام، فأت بذلك اللبن ! فقال لهما : إن تكُ لكما حاجة، فستأتيانها فتجدان الوطبين، فتشربان . قال : فقال احدهما : إنك، يا بن اللخناء[9]، لغليظ الكلام ؛ قم فاسقنا . ثم دنا من هلال وهو على تلك الحال . وقال لهما، حيث قال له احدهما : « انك يا ابن اللخناء لغليظ الكلام » : اراكما، والله، ستلقيان هواناً وصغاراً[10] .

وسمعا ذلك منه، فدنا احدهما، فاهوى له ضرباً بالسوط على عجزه، وهو

---

١ عاديّ الخلق : نسبة الى عاد، اي ضخم الجسم عظيم البنية . ٢ الهاجرة : شدة الحرّ . ٣ فقيم ونهشل : كلاهما من دارم، ثم من تميم . ٤ الانواط جمع نوط وهو القفة الصغيرة فيها التمر ونحوه . ٥ هجر : ناحية البحرين كلها . ٦ الصعاب : اسم جبل بين اليمامة والبحرين، وقيل : رمال بين البصرة واليمامة صعبة المسالك . ٧ عليكما الناقة : اي دونكما . ٨ الوطب : سقاء اللبن خاصة، ويكون من جلد . ٩ اللخناء : المرأة الفاسدة المنتنة . ١٠ الصغار : الذل والهوان .

مضطجع . فتناول هلال يده، فاجتذبه اليه، ورماه تحت فخذه، ثم ضغطه ضغطة ؛ فنادى صاحبه : ويحك ! أغثني، قد قتلني ! فدنا صاحبه منه، فتناوله هلال ايضاً، فاجتذبه، فرمى به تحت فخذه الاخرى، ثم اخذ برقابهما، فجعل يصك برؤوسهما بعضاً ببعض، لا يستطيعان ان يمتنعا منه . فقال احدهما : كن هلالاً، ولا نبالي ما صنعت . فقال لهما : انا والله هلال، ولا، والله، لا تفلتان مني، حتى تعطياني عهداً وميثاقاً لا تخيسان به[1] . لتأتيان المربد[2]، اذا قدمتما البصرة، ثم لتناديان بأعلى اصواتكما بما كان مني ومنكما . فعاهداه، واعطياه نوطاً من التمر الذي معهما . وقدما البصرة، فاتيا المربد، فناديا بما كان منه ومنهما .

٢٦٠ اطيب طعام واشهر بيت

صنع عبد الملك بن مروان طعاماً، فاكثر واطاب، ودعا اليه الناس فاكلوا . فقال بعضهم : « ما اطيب هذا الطعام ! ما نرى ان احداً رأى اكثر منه، ولا اكل اطيب منه . » فقال اعرابيٌّ من ناحية القوم : « اما اكثر فلا، واما اطيب، فقد، والله، اكلت اطيب منه . » فطفقوا يضحكون من قوله . فاشار اليه عبد الملك، فأُدني منه ؛ فقال : «ما انت بمحق فيما تقول إلا ان تخبرني بما يبين به صدقك.» فقال : « نعم يا امير المؤمنين ؛ بينا انا بهجر[3] في برثٍ[4] احمر، وفي اقصى حَجرٍ[5] ؛ اذ توفي ابي وترك كَلّاً[6] وعيالا ؛ وكان له نخل، فكانت فيه نخلة لم ينظر الناظرون الى مثلها، كأن تمرها اخفاف[7] الرِّبَاع[8] ؛ ولم يُرَ تمرٌ قط اغلظ، ولا اصلب، ولا اصغر نوًى، ولا احلى حلاوة منه . وكانت تطرقها[9] اتان[10] وحشية قد أَلِفتهـا،

---

١ لا تخيسان به : لا تغدران به ولا تنكثان . ٢ المربد : سوق بالقرب من البصرة، كانت فيها مفاخرات الشعراء والأدباء . ٣ هجَر : ارض البحرين من بلاد العرب، او مدينة فيها مشهورة بتمرها . ٤ البرْث : الارض الليّنة . ٥ اي في أبعد ناحية . ٦ الكلّ : اليتيم . ٧ الاخفاف جمع خُفّ وهو بمنزلة الحافر للبعير . ٨ الرِّباع جمع رُبَع وهو الفصيل يُنتَج في الربيع . ٩ تطرقها : تأتيها ليلاً . ١٠ الأتان : الأنثى من الحُمُر .

تأوي الليل تحتها . فكانت تثبت رجليها في اصلها، وترفع يديها، وتعطو[١] بفيها، فلا تترك فيها الا النبيذ[٢] والمتفرق . فاعظمني ذلك[٣] ووقع مني كل موقع، فانطلقت بقوسي واسهمي، وانا اظن أني ارجع من ساعتي ؛ فمكثت يوماً وليلة لا اراها، حتى اذا كان السحر اقبلت، فتهيأتُ لها، فرشقتها فاصبتها، واجهزت عليها؛ ثم عمدت الى سُرّتها فاقتددتها[٤] ؛ ثم عمدت الى حطب جزلٍ[٥] ، فجمعته الى رضف[٦]، وعمدت الى زندي[٧] فقدحت واضرمت النار في ذلك الحطب، والقيت، سرّتها فيه. وادركني نوم الشباب، فلم يوقظني إلا حرّ الشمس في ظهري . فانطلقت اليها، فكشفتها، والقيت ما عليها من قِذَى[٨] وسواد ورماد ؛ ثم قلبت منها مثل الملاءة البيضا، فألقيت عليها من رطب[٩] تلك النخلة المجزّعة[١٠] والمنصِفة[١١]، فسمعت لها اطيطاً[١٢] كتداعي[١٣] عامرٍ وغطفان[١٤] . ثم اقبلت اتناول الشحمة واللحمة فأضعها بين التمرتين، وأهوي الى فمي ، فيما احلف اني ما اكلت طعاماً مثله قط . »

فقال له عبد الملك : « لقد اكلت طعاماً طيباً، فمن انت ؟ » قال : « انا رجل من اخوالك من عُذرة[١٥] . » قال : « أولئك فصحاء الناس ؛ فهل لك علم بالشعر ؟ » قال : « سلني عما بدا لك، يا امير المؤمنين . » قال : « أيُّ بيت قالته العرب أمدح ؟ » قال : « قول جرير :

أَلَسْتُمْ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ ٱلْمَطَايَا، وَأَنْدَى ٱلْعَالَمِينَ بُطُونَ رَاحِ »[١٦]

---

١ عطا : تناول . ٢ النبيذ : المنبوذ الغير الصالح . ٣ أعظمني ذلك : اي وجدته عظيماً . ٤ اقتدّ الشيء : قطعه . ٥ الحطب الجزل : الغليظ العظيم . ٦ الرّضْف جمع رضفة : الحجارة المحماة . ٧ الزّند : العود الاعلى الذي تقتدح به النار . ٨ القذى : التراب المدقّق . ٩ الرّطَب : البُسر اي ثمر النخل، قبل ان يصير تمراً . ١٠ النخلة المجزّعة : التي أرطب قسم من ثمرها دون الآخر، فاختلف لونه . ١١ نصّف النخلُ : احمرّ بعض بُسره وبعضه أخضر . ١٢ الأطيط : الصوت . ١٣ تداعى القوم في الحرب : دعا بعضهم بعضاً الى التناصر . ١٤ عامر وغطفان : قبيلتان عربيتان كانت بينهما حروب في الجاهلية . ١٥ عذرة : قبيلة يمانية توصف بشدّة الهوى والعفة . ١٦ الراح جمع راحة وهي باطن الكفّ : يعني ان الممدوحين اكثر الناس عطاءً .

قال : وكان جرير في القوم، فرفع رأسه وتطاول لها[١] . ثم قال : « فأيُّ بيت قالته العرب افخر ؟ » قال : « قول جرير :

إذَا غَضِبَتْ عَلَيْكَ بَنُو تَمِيمٍ حَسِبْتَ ٱلنَّاسَ كُلَّهُمُ غِضَابَا »

قال : فتحرَّك[٢] . ثم قال له : « فأي بيت أهجى ؟ » قال : « قول جرير :

فَغُضِّ ٱلطَّرْفَ، إنَّكَ مِنْ نُمَيْرٍ، فَلَا كَعْبًا بَلَغْتَ وَلَا كِلَابَا[٣] »

قال : فاستشرف[٤] لها جرير . قال : « فأيُّ بيت قالته العرب احسن تشبيهاً ؟ » قال : « قول جرير :

سَرَى نَحْوَهُمْ لَيْلٌ، كَأَنَّ نُجُومَهُ قَنَادِيلُ، فِيهِنَّ ٱلذُّبَالُ ٱلْمُفَتَّلُ[٥] »

فقال جرير : « جائزتي للعذريّ يا امير المؤمنين . » فقال له عبد الملك : « وله مثلها من بيت المال، ولك جائزتك، يا جرير، لا تنتقص منها شيئاً . » وكانت جائزة جرير أربعة آلاف درهم، وتوابعها من الحملان[٦] والكسوة . فخرج العذريّ وفي يده اليمنى ثمانية آلاف درهم، وفي اليسرى رزمة ثياب .

٢٦١ موت بشار

حدَّث عليّ بن محمد النوفلي عن ابيه، قال : خرج بشَّار الى المهدي – ويعقوب بن داود وزيره، – فمدحه، ومدح يعقوب . فلم يحفل به يعقوب، ولم يعطه شيئاً . ومرَّ يعقوب ببشار يريد منزله، فصاح به بشار :

طَالَ ٱلثَّوَاءُ عَلَى رُسُومِ ٱلْمَنْزِلِ !

---

١ تطاول لها : اي ترفّع بسبب تلك المقالة . ٢ يرجع الضمير في « تحرّك » الى جرير . ٣ قيل ان جريراً اخزى بني نُمير بهذا البيت . ٤ استشرف : انتصب . ٥ الذّبال جمع ذُبالة وهي الفتيلة . ٦ الحُملان : ما يُحمَل عليه من الدوابّ في الهبة خاصّة .

فقال يعقوب :

فَإِذَا تَشَاءُ، أَبَا مُعاذٍ، فَارْحَلِ ![١]

فغضب بشار وقال يهجوه :

بَنِي أُمَيَّةَ هُبُّوا ! طَالَ نَوْمُكُمُ ! إِنَّ ٱلْخَلِيفَةَ يَعْقُوبُ بْنُ دَاوُدِ !
ضَاعَتْ خِلَافَتُكُمْ يَا قَوْمُ فَٱلْتَمِسُوا خَلِيفَةَ ٱللهِ بَيْنَ ٱلزِّقِّ وَٱلْعُودِ !

قال النوفلي : فلما طالت ايام بشار على باب يعقوب، دخل عليه . وكان من عادة بشار، اذا اراد ان ينشد او يتكلم، ان يتفل عن يمينه وشماله، ويصفق باحدى يديه على الاخرى ؛ ففعل ذلك وانشد :

يَعْقُوبُ، قَدْ وَرَدَ ٱلْعُفَاةُ، عَشِيَّةً مُتَعَرِّضِينَ لِسَيْبِكَ ٱلْمُنْتَابِ[٢]
فَسَقَيْتَهُمْ وَحَسِبْتَنِي كَمُّونَةً نَبَتَتْ لِزَارِعِهَا بِغَيْرِ شَرَابِ
مَهْلًا لَدَيْكَ ! فَإِنَّنِي رَيْحَانَةٌ، فَٱشْمُمْ بِأَنْفِكَ، وَٱسْقِهَا بِذِنَابِ[٣]
طَالَ ٱلثَّوَاءُ عَلَى تَنَظُّرِ حَاجَةٍ شَمِطَتْ لَدَيْكَ، فَمَنْ لَهَا بِخِضَابِ[٤]
تُعْطِي ٱلْغَزِيرَةُ دَرَّهَا ؛ فَإِذَا أَبَتْ، كَانَتْ مَلَامَتُهَا عَلَى ٱلْحَلَّابِ[٥]

(قال) فلم يعطف ذلك يعقوب عليه، وحرمه . فانصرف الى البصرة مغضباً . فلما قدم المهديّ البصرة، اعطى عطايا كثيرةً ووصل الشعراء . وذلك كله على يدي يعقوب . فلم يعطِ بشاراً شيئاً من ذلك . فجاء بشار الى حلقة يونس النحوي، فقال : هل ههنا احد يُحتشم ؟ قالوا له : لا . فانشد بيتاً يهجو فيه المهدي . فسعى به اهل الحلقة الى يعقوب .

فدخل يعقوب على المهدي، فقال له : يا امير المؤمنين، ان هذا الاعمى، الملحد،

---

١ صدر البيت لعنترة ابن شدّاد . ابو معاذ : كنية بشار . ٢ العُفاة ج عافٍ وهو طالب المعروف . السَّيب : العطاء . ٣ الذِّناب جمع ذَنوب وهي الدلو . ٤ شمطت لديك : اي اختلط شعرها بين البياض والسواد، كناية عن طول مدّتها . ٥ الغزيرة : الناقة كثر درّها .

الزنديق، قد هجاك . فقال : باي شيء؟ فقال : بما لا ينطق به لساني، ولا يتوهمه فكري . قال له : بحياتي، إلا انشدتني ! فقال : والله، لو خيرتني بين انشادي اياه وبين ضرب عنقي، لاخترت ضرب عنقي . فحلف عليه المهدي بالأيمان التي لا فُسحة فيها ان يخبره . فقال : اما لفظاً فلا، ولكني اكتب ذلك . فكتبه، ودفعه اليه . فكاد ينشقّ غيظاً . وعمد على الانحدار الى البصرة للنظر في امرها، وما وكده غير بشار . فانحدر . فلما بلغ الى البطيحة[1]، سمع أذاناً في وقت ضحى النهار، فقال : انظروا ما هذا الأذان . فاذا بشار يؤذّن سكران . فقال له : يا زنديق، عجبت ان يكون هذا غيرك ! اتلهو بالأذان في غير وقت صلاة، وانت سكران ؟ ثم دعا بابن نهيك، فامره بضربه بالسوط . فضربه بين يديه، على صدر الحرّاقة[2]، سبعين سوطاً اتلفه فيها . فكان اذا اوجعه السوط، يقول : حسِّ[3] . فقال له بعضهم : انظر الى زندقته، يا امير المؤمنين، يقول : حسِّ، ولا يقول : بسم الله . فقال : ويلك ! اطعام هو فاسمّي الله عليه ؟ فقال له الآخر : أفلا قلت : الحمد لله ! قال : او نعمة هي حتى احمد الله عليها ؟ فلما ضربه سبعين سوطاً، بان الموت فيه . فأُلقي في سفينة حتى مات . ثم رمى به في البطيحة . فجاء بعض اهله، فحملوه الى البصرة، فدفن بها ولما مات بشار، ونعي الى اهل البصرة، تباشر[4] عامتهم، وهنأ بعضهم بعضاً، وحمدوا الله، وتصدّقوا، لما كانوا مُنوا به[5] من لسانه .

٢٦٢ ابو تمام

ابو تمام حبيب بن أوس الطائي، من نفس طيء، صليبة[6] . مولده ومنشؤه بناحية

١ البطيحة : ارض واسعة بين واسط والبصرة . ٢ الحرّاقة : سفينة فيها مرامي النار يُرمى بها العدوّ . ٣ حسّ : كلمة يقولها الانسان اذا اصابه غفلة ما مضّه واحرقه كالجمرة . ٤ تباشروا : بشّر بعضهم بعضاً . ٥ مُنوا به : أصيبوا به . ٦ صليبة : اي خالص النسب .

منبج، بقرية منها يقال لها جاسم[١] . شاعر مطبوع، لطيف الفطنة، دقيق المعاني، غوّاص على ما يستصعب منها ويعسر متناوله على غيره . وله مذهب في المطابق[٢] هو كالسابق اليه جميع الشعراء، وان كانوا قد فتحوه قبله وقالوا القليل منه، فان له فضل الاكثار فيه والسلوك في جميع طرقه . والسليم من شعره النادر شيء لا يتعلق به احد . وله اشياء متوسطة، ورديئة رذلة جداً . وفي عصرنا هذا من يتعصب له فيفرط، حتى يفضله على كل سالف وخالف . واقوام يتعمدون الرديء من شعره، فينشرونه، ويطوون محاسنه، ويستعملون القحة والمكابرة في ذلك ليقول الجاهل بهم انهم لم يبلغوا علم هذا وتمييزه الا بأدب فاضل وعلم ثاقب . وهذا مما يتكسب به كثير من اهل هذا الدهر، ويجملونه، وما جرى مجراه من ثلب الناس وطلب معايبهم، سبباً للترفع وطلباً للرئاسة . وليست إساءة من اساء في القليل، واحسن في الكثير، مسقطة احسانه . ولو كثرت إساءته ايضاً ثم احسن لم يقل له عند الاحسان : أسأت ؛ ولا عند الصواب : اخطأت . والتوسط في كل شيء اجمل، والحقّ احقّ ان يُتّبع . وقد رُوي عن بعض الشعراء، أن ابا تمام أنشده قصيدة له، احسن في جميعها الا في بيت واحد، فقال له : « يا ابا تمام، لو ألقيت هذا البيت، ما كان في قصيدتك عيب ! » فقال له : « أنا، والله، اعلم منه مثلما تعلم ؛ ولكن مثل شعر الرجل عنده مثل اولاده : فيهم الجميل والقبيح والرشيد والساقط، وكلهم حلو في نفسه . فهو، وان أحبّ الفاضل، لم يبغض الناقص ؛ وان هوي بقاء المتقدم لم يهوَ موت المتأخر . » واعتذاره بهذا ضدٌّ لما وصف به نفسه في مدحه الواثق، حيث يقول :

جاءَتْكَ مِنْ نَظْمِ ٱللِّسانِ قِلادَةٌ ... سِمْطانِ فِيها ٱللُّؤْلُؤُ ٱلمَكْنُونُ[٣]
أَحذاكَها صُنْعُ ٱللِّسانِ، يَمُدُّهُ ... جَفْرٌ، إذا نَضَبَ ٱلكَلامُ مَعِينُ[٤]

١ جاسم : قرية تقع الى يمين الطريق الاعظم الذي كان يمتدّ بين دمشق وطبريّة . ٢ المطابق والطّباق : وجه من وجوه البديع يقوم بالجمع بين متضادّين في الجملة . ٣ السّمط : خيط النظم ما دام فيه اللؤلؤ والخرز . المكنون : المصون . ٤ احذاكها : أعطاك اياها . الجفر : البئر الواسعة .

وَيُسِيءُ بِالْإِحسَانِ ظَنًّا، لَا كَمَنْ هُوَ بِٱبْنِهِ وَبِشِعْرِهِ مَفْتُونُ

فلو كان يسيء بالاساءة ظنًّا ولا يفتتن بشعره، كنّا في غنى عن الاعتذار له . وقد فضل ابا تمام من الرؤساء والكبراء والشعراء من لا يشق الطاعنون عليه غبارَه، ولا يدركون، وان جدّوا، آثاره . وما رأى الناس بعده الى حيث انتهوا له، في جدّه، نظيراً ولا شكلاً . ولولا أنَّ الرواة قد اكثروا في الاحتجاج له وعليه، واكثر متعصبوه الشرح لجيد شعره، وافرط مُعادوه في التسطير لرديئه والتنبيه على رذله ودنيئه، لذكرت منه طرفاً . ولكن قد اتى من ذلك ما لا مزيد عليه .

٢٦٣ البحتري وابو تمام

حدّث عليّ بن العبّاس النوبختي، عن البحتري قال : أوّل ما رأيت أبا تمام أني دخلت على ابي سعد، محمد بن يوسف، وقد مدحته بقصيدتي :

أَأَفَاقَ صَبٌّ مِنْ هَوًى، فَأُفِيقَا أَوْ خَانَ عَهْدًا أَوْ أَطَاعَ شَفِيقَا !

فسر بها ابو سعيد، وقال : أحسنت، والله، يا فتى، وأجدت . قال : وكان في مجلسه رجل نبيل، رفيع المجلس منه، فوق كل من حضر عنده، تكاد تمسُّ ركبته ركبته . فأقبل عليّ، ثم قال : يا فتى، اما تستحيي مني ? هذا شعر لي تنتحله[1]، وتنشده بحضرتي ! فقال له ابو سعيد : احقًّا تقول ? قال : نعم، وانما علقه مني، فسبقني به اليك، وزاد فيه . ثم اندفع فانشد أكثر هذه القصيدة، حتى شككني، علمَ الله، في نفسي، وبقيت متحيّراً . فاقبل عليّ ابو سعيد، فقال : يا فتى، قد كان في قرابتك لنا وودّك لنا ما يُغنيك عن هـذا . فجعلت أحلف له بكل محرّجة من الأيمان[2] ان الشعر لي، ما سبقني اليه احد، ولا سمعته منه، ولا انتحلته . فلم ينفع ذلك شيئاً . وأطرق ابو سعيد، وقُطع بي حتى تمنيت اني سخت

١ انتحلَ الشعرَ : ادّعاه لنفسه وهو لغيره . ٢ الأيمان المحرّجة : الأيمان التي تضيّق على الانسان ولا تدع له مجالاً للتراجع عن كلامه .

في الارض . فقمت منكسر البال، اجرُّ رجليَّ، فخرجت . فما هو الا ان بلغت الدار، حتى خرج الغلمان، فردّوني . فاقبل عليَّ الرجل، فقال : الشعر الك، يا بنيَّ، والله، ما قلته قط، ولا سمعته الا منك! ولكنني ظننت انك تهاونت موضعي[1]، فاقدمت على الانشاد بحضرتي، من غير معرفة كانت بيننا، تريد بذلك مضاهاتي ومُكاثرتي؛ حتى عرّفني الامير نسبك وموضعك . ولوددت ان لا تلدَ ابداً طائيةٌ الا مثلك!» وجعل ابو سعيد يضحك . ودعاني ابو تمام، وضمني اليه، وعانقني، وأقبل يقرّظني . ولزمته بعد ذلك، واخذت عنه، واقتديت به .

اخبار المغنين :

٢٦٤ معبد في السفينة

كان معبدٌ قد علّم جاريةً من جواري الحجاز الغناء تدعى «ظبية» وعُني بتخريجها؛ فاشتراها رجل من أهل العراق فأخرجها الى البصرة وباعها هناك؛ فاشتراها رجل من أهل الاهواز، فأُعجب بها، وذهبت به كل مذهب وغلبت عليه. ثم ماتت بعد ان اقامت عنده برهةً من الزمان . واخذ جواريه اكثر غنائها عنها . فكان لمحبته اياها، وأسفه عليها، لا يزال يسأل عن اخبار معبد واين مستقره، ويظهر التعصب له والميل اليه والتقديم لغنائه على سائر اغاني اهل عصره؛ الى ان عرف ذلك منه . وبلغ معبداً خبره فخرج من مكة حتى اتى البصرة، فلما وردها صادف الرجل قد خرج عنها في ذلك اليوم الى الاهواز فاكترى سفينةً . وجاء معبد يلتمس سفينة ينحدر فيها الى الاهواز، فلم يجد غير سفينة الرجل؛ وليس يعرف احدٌ منهما صاحبه . فأمر الرّجل الملّاح ان يجلسه معه في مؤخر السفينة، ففعل وانحدروا .

---

١ اي استصغرْتَ موضعي واحتقرته .

فلما صاروا في فم نهر الأُبلة[١]، تغدّوا وشربوا؛ وأمر جواريه فغنين، ومعبدٌ ساكت وهو في ثياب السفر، وعليه فروٌ وخفّان غليظان وزيٌّ جاف من زي اهل الحجاز؛ الى أن غنت إحدى الجواري:

صوت

بَانَتْ سُعَادُ، وَأَمْسَى حَبْلُهَا انْصَرَمَا، وَٱحْتَلَّتِ ٱلْغَوْرَ وَٱلْأَجْرَاعَ مِنْ إِضَمَا[٢]
إِحْدَى بَلِيٍّ، وَمَا هَامَ ٱلْفُؤَادُ بِهَا إِلَّا ٱلسَّفَاهَ، وَإِلَّا ذِكْرَةً حُلُمَا[٣]

– قال حماد: والشعر للنابغة الذبياني، والغناء لمعبد، خفيف ثقيل أول بالبنصر؛ وفيه لغيره الحان قديمة ومحدثة.

فلم تُجد اداءه، فصاح بها معبد: يا جارية، ان غناءك هذا ليس بمستقيم. قال: فقال له مولاها، وقد غضب: وأنت ما يدريك الغناء ما هو؟ لم لا تمسك وتلزم شأنك. فأمسك معبد.

ثم غنت اصواتاً من غناء غيره، وهو ساكتٌ لا يتكلم، حتى غنت:

صوت

بِٱبْنَةِ ٱلْأَزْدِيِّ قَلْبِي كَئِيبُ مُسْتَهَامٌ عِنْدَهَا مَا يُنِيبُ[٤]
وَلَقَدْ لَامُوا، فَقُلْتُ: دَعُونِي! إِنَّ مَنْ تَنْهَوْنَ عَنْهُ حَبِيبُ
إِنَّمَا أَبْلَى عِظَامِي وَجِسْمِي حُبُّهَا وَٱلْحُبُّ شَيْءٌ عَجِيبُ
أَيُّهَا ٱلْعَائِبُ عِنْدِي هَوَاهَا أَنْتَ تَفْدِي مَنْ أَرَاكَ تَعِيبُ

– والشعر لعبد الرحمن بن ابي بكر، والغناء لمعبد ثقيل اول بالسبابة في مجرى البنصر.

---

١ الأُبلّة: بلدة على شاطئ دجلة. ٢ بانت: ابتعدت. الغور: المطمئن من الارض. الاجراع جمع جَرَع وهو الرملة الطيبة المنبت. إضم: واد بجبل تهامة، وهو الوادي الذي فيه المدينة.
٣ بليّ: اسم قبيلة. السفاه: خفّة العقل. الذِّكرة: نقيض النسيان. ٤ ينيب: ينوب.

قال : فأخلت ببعضه . فقال لها معبد : يا جارية، لقد اخللت بهذا الصوت إخلالًا شديداً . فغضب الرجل وقال له : ويلك ! ما انت والغناء ! الا تكف عن هذا الفضول ! فأمسك . وغنّى الجواري مليًا ثم غنت إحداهنّ :

خَلِيلَيَّ، عُوجَا مِنْكُمَا سَاعَةً مَعِي ... عَلَى ٱلرَّبْعِ ،نَقْضِي حَاجَةً، وَنُوَدِّعِ
وَلَا تَعْجَلَانِي أَنْ أَلِمَّ بِدِمْنَـةٍ ... لِعَزَّةَ لَاحَتْ لِي بِبَيْدَاءَ بَلْقَعِ [1]
وَقُولَا لِقَلْبٍ قَدْ سَلَا: رَاجِعِ ٱلْهَوَى؛ ... وَلِلعَيْنِ: أَذْرِي مِنْ دُمُوعِكِ أَوْ دَعِي
فَلَا عَيْشَ إِلَّا مِثْلُ عَيْشٍ مَضَى لَنَا ... مَصِيفاً أَقَمْنَا فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَرْبَعِ [2]

– الشعر لكُثيِّر، والغناء لمعبد خفيف ثقيل بالسبابة في مجرى الوسطى، وفيه رملٌ للغريض[3] .

قال : فلم تصنع فيه شيئاً . فقال لها معبد : يا هذه، اما تقومين على أداء صوت واحد ؟ فغضب الرجل وقال له : ما اراك تدع هذا الفضول بوجه ولا حيلة ! وأقسم بالله لئن عاودت لأُخرجنك من السفينة . فأمسك معبد حتى اذا سكتت الجواري سكتةً اندفع يغني الصوت الاول حتى فرغ منه ، فصاح الجواري : أحسنت، والله يا رجل ! فأعده . فقال : لا والله ولا كرامة . ثم اندفع يغني الثاني، فقلن لسيدهن : ويحك ! هذا والله، احسن الناس غناء ، فسله ان يعيده علينا ولو مرة واحدة ، لعلنا نأخذه عنه ؛ فإنه، إن فاتنا، لم نجد مثله ابداً . فقال : قد سمعتنّ سوء ردّه عليكن وأنا خائف مثله منه ؛ وقد اسلفناه الاساءة فاصبرن حتى نداريه .

ثم غنى الثالث، فزلزل عليهم الارض، فوثب الرجل فخرج اليه، وقبّل رأسه وقال : يا سيدي، أخطأنا عليك ولم نعرف موضعك . فقال له : فهبك لم تعرف موضعي قد كان ينبغي لك ان تتثبت ولا تسرع اليّ بسوء العشرة وجفاء القول .

١ البلقع : المقفر، للمذكر والمؤنث. ٢ المربع : الموضع يُنزَل في الربيع . ٣ الغريض : من مشاهير المغنين في بني امية .

فقال له : قد أخطأت، وانا اعتذر اليك مما جرى، وأسألك ان تنزل إليّ وتختلط بي . فقال : اما الآن فلا . فلم يزل يرفق به حتى نزل اليه . فقال له الرجل : ممن أخذت هذا الغناء؟ قال : من بعض أهل الحجاز ؛ فمن اين اخذه جواريك؟ فقال : اخذنه من جارية كانت لي ابتاعها رجل من اهل البصرة من مكة، وكانت قد اخذت عن ابي عبّاد معبد، وعني بتخريجها فكانت تحلّ مني محلّ الروح ؛ ثم استأثر الله، عزّ وجل ، بها وبقي هؤلاء الجواري، وهنّ من تعليمها ؛ فأنا الى الآن أتعصب لمعبد وأفضله على المغنين جميعاً ، وأفضل صنعته على كل صنعة فقال له معبد : أوَ إنّك لأنت هو ! أفتعرفني؟ قال : لا . فصكّ معبد بيده صلعته، ثم قال : فأنا، والله، معبدٌ، واليك قدمت من الحجاز ووافيت البصرة ، ساعة نزلت السفينة ، لاقصدك بالاهواز ؛ والله، لا قصرت في جواريك هؤلاء ، ولأجعلنّ الك في كل واحدة منهن خلفاً من الماضية . فأكبّ الرجل والجواري على يديه ورجليه يقبلونها ويقولون : كتمتنا نفسك طول هذا اليوم حتى جفوناك في المخاطبة ، وأسأنا عشرتك، وانت سيدنا ومن نتمنى على الله ان نلقاه !

ثم غيّر الرجل زيّه وحاله وخلع عليه عدّة خلع ، وأعطاه، في وقته، ثلثمائة دينار ، وطيباً وهدايا بمثلها . وانحدر معه الى الأهواز ، فأقام عنده حتى رضي حذق جواريه وما اخذته عنه . ثم ودّعه وانصرف الى الحجاز .

٢٦٥ ابن جامع في دار الرشيد

حدّث اسمعيل بن جامع السهمي قال : ضمني الدهر ضماً شديداً بمكة فانتقلت منها بعيالي الى المدينة . فاصبحت يوماً وما املك الا ثلاثة دراهم . فهي في كمي اذ انا بجارية حمراء على رقبتها جرة تريد الركيّ[1] تسعى بين يديّ وترنم بصوت شجي تقول :

---

١ الركيّ : البئر ذات الماء .

شَكَوْنَا إِلَى أَحْبَابِنَا طُولَ لَيْلِنَا   فَقَالُوا لَنَا مَا أَقْصَرَ اللَّيْلَ عِنْدَنَا
وَذَاكَ لِأَنَّ النَّوْمَ يَغْشَى عُيُونَهُمْ   سِرَاعاً وَمَا يَغْشَى لَنَا النَّوْمُ أَعْيُنَا

(قال) فأخذ الغنا بقلبي ولم يدرُ لي منه حرف . فقلت : يا جارية لقد اعجبني والله حسن غنائك فلو شئت اعدتِ . قالت : حباً وكرامة، ثم اسندت ظهرها الى جدار قريب منها ورفعت احدى رجليها فوضعتها على الاخرى ووضعت الجرة على ساقها ثم انبعثت تغنيه . فوالله ما دار لي منه حرف، فقلت : احسنتِ فلو شئت أعدته مرة اخرى . ففطنت وكلّحت[1] وقالت : ما اعجب امركم . احدكم لا يزال يجيء الى الجارية عليها الضريبة[2] فيشغلها . فضربت بيدي الى الثلاثة الدراهم فدفعتها اليها وقلت : أقيمي بها وجهك اليوم الى ان نلتقي . (قال) فأخذتها كالكارهة وقالت : انت الآن تريد ان تأخذ مني صوتاً احسبك ستأخذ به الف دينار والف دينار والف دينار . (قال) وانبعثت تغني . فأعملت فكري في غنائها حتى دار لي الصوت وفهمته وانصرفت مسروراً الى منزلي اردده حتى خفّ على لساني .

ثم اني خرجت اريد بغداد فدخلتها، فنزل بي المكاري على مكان، فبقيت لا ادري اين اتوجه ولا من اقصد . فذهبت امشي مع الناس حتى اتيت الجسر فعبرت معهم ثم انتهيت الى شارع المدينة فرأيتُ مسجداً بالقرب من دار الفضيل بن الربيع مرتفعاً، فقلت : مسجد قوم سراة[3] . فدخلته وحضرت صلاة المغرب، واقمت بمكاني حتى صليت العشاء الآخرة على جوع وتعب . وانصرف اهل المسجد وبقي رجل يصلي خلفه جماعة ينتظرون فراغه، فصلّى ملياً . ثم انصرف فرآني فقال : احسبك غريباً . قلت : اجل . قال : فتى كنت في هذه المدينة. قلت : دخلتها آنفاً وليس لي بها منزل ولا معرفة وليست صناعتي من الصنائع التي يت بها الى اهل الخير . قال : وما صناعتك ؟ قلت : أتغنى . (قال) فوثب

---

١ كلّحت : جعلت وجهها كالحاً عبوساً . ٢ الضريبة : القطعة من القطن او الصوف .
٣ السّراة : الأشراف .

مبادراً ووكل بي بعض من معه . فسألت الموكل بي عنه . فقال : هذا سلامٌ الابرش . (قال) واذا رسول قد جاء في طلبي، فانتهى بي الى قصر من قصور الخلافة وجاوزني مقصورة الى مقصورة . ثم أُدخلت مقصورة في آخر الدهليز ودعا بطعام، فأُتيتُ بمائدة عليها من طعام الملوك، فأكلت حتى امتلأت . فاني لكذلك اذ سمعت ركضاً في الدهليز وقائلاً يقول : اين الرجل؟ قيل : هو هذا . قال : ادعوا بغسُول[1] وخلعةٍ وطيب . ففعل ذلك بي فحُملت على دابّة الى دار الخليفة وعرفتها بالحرس والتكبير والنيران . فجاوزت مقاصير عدّة حتى صرت الى دارٍ قوراء[2] فيها اسرّة في وسطها وقد اضيف بعضها الى بعض . فأمرني الرجل بالصعود فصعدت . واذا رجل جالس عن يمينه ثلاث جوارٍ في حجورهنّ العيدان وفي حجر الرجل عود . فرحب الرجل بي . واذا مجالس حياله . فلم ألبث ان خرج خادم من وراء الستر فقال الرجل : تغنَّ . فانبعث يغني بصوت لي وهو :

لَمْ تَمْشِ مِيلاً وَلَمْ تَرْكَبْ عَلَى قَتَبٍ[3] وَلَمْ تَرَ ٱلشَّمْسَ إِلَّا دُونَهَا ٱلْكَلَلُ
تَمْشِي ٱلْهُوَيْنَا كَأَنَّ ٱلرِّيحَ تُرْجِعُهَا مَشْيَ ٱلْيَعَافِيرِ[4] فِي جِيآتِهَا ٱلْوَهَلُ

فغنى بغير اصابـة واوتار مختلفة ودساتين مختلفة . ثم عاد الخادم الى الجارية التي تلي الرجل فقال لها : تغني : فغنت ايضاً بصوتٍ لي كانت فيه احسن حالاً من الرجل، وهو :

لَئِنْ مِصْرُ فَاتَتْنِي بِمَا كُنْتُ أَرْتَجِي وَأَخْلَفَنِي فِيهَا ٱلَّذِي كُنْتُ آمَلُ
فَمَا كُلُّ مَا يَخْشَى ٱلْفَتَى بِمُصِيبَةٍ وَلَا كُلُّ مَا يَرْجُو ٱلْفَتَى هُوَ نَائِلُ

ثم عاد الى الثانية، واحسبه اغفلها وما تغنت به . ثم عاد الخادم الى الجارية التي تليها فانبعثت تغني بصوت الحكم الوادي وهو :

تُعَيِّرُنَا أَنَّا قَلِيلٌ عَدِيدُنَا فَقُلْتُ لَهَا إِنَّ ٱلْكِرَامَ قَلِيلُ

---

١ الغسُول : ماء يُغتسل به . ٢ القوراء : الواسعة . ٣ القتب : محمل الجمـل . الكلل : الستائر . ٤ اليعافير : الظباء .

قال : وتوقعت مجيء الخادم اليَّ فقلت للرجل : بأبي انت، خذ العود فشدَّ وتر كذا وارفع الطبقة وحطَّ دستان كذا . ففعل ما أمرته . وخرج الخادم فقال لي : تغنَّ عافاك الله ! فتغنيت بصوت الرجل الاول على غير ما غنَّاه . فاذا جماعة من الخدم يحضرون حتى استندوا الى الأسِرَّة وقالوا : ويحك لمن هذا الغناء ؟ قلت : لي. فانصرفوا عني بتلك السرعة. وخرج اليَّ الخادم وقال : كذبت، هذا الغناء لابن جامع . ودار الدور فلما انتهى الغناء اليَّ قلت للجارية التي تلي الرجل : خذي العود . ففعلتْ ما اريد، فسوّت العود على غنائها للصوت الثاني، فتغنيت به. فخرجت اليَّ الجماعة الاولى من الخدم فقالوا : ويحك لمن هذا ؟ قلت : لي . فرجعوا وخرج الخادم فتغنيت بصوت لي فلا يعرف الا بي . وسقوني فتزيَّدت، فتزلزلت والله الدار عليهم . وخرج الخادم فقال : ويحك لمن هذا الغناء ؟ قلت : لي . فرجع ثم خرج فقال : كذبت هذا غناء ابن جامع . فقلت : انا اسمعيل بن جامع . فما شعرت الا وامير المؤمنين وجعفر بن يحيى قد اقبلا من وراء الستر الذي كان يخرج منه الخادم . فقال الفضل بن الربيع : هذا امير المؤمنين قد اقبل اليك. فما صعد السرير حتى وثبت قائماً فقال لي : ابن جامع ؟ قلت : ابن جامع جعلني الله فداك يا امير المؤمنين. قال : ويحك متى كنت في هذه البلدة ؟ قلت : آنفاً دخلتها في الوقت الذي علم بي امير المؤمنين . قال : اجلس ويحك يا ابن جامع . ومضى هو وجعفر فجلسا في بعض تلك المجالس وقال لي : أبشر وابسط أملك . فدعوت له . ثم قال : غنِّ يا ابن جامع . فخطر بقلبي صوت الجارية الحمراء. فأمرت الرجل باصلاح العود على ما اردت فوزن العود وزناً، وتعاهده حتى استقامت الاوتار، واخذت الدساتين مواضعها وانبعثت اغني بصوت الجارية الحمراء . فنظر الرشيد الى جعفر وقال : أسمعت كذا قط ؟ فقال : لا والله ما خرق مسمعي قطّ مثله . فرفع الرشيد رأسه الى خادم بالقرب منه فدعا بكيس فيه الف دينار . فجاء به فرمى به اليَّ فصيَّرته تحت فخذي ودعوت لامير المؤمنين . فقال : يا ابن جامع ردَّ على امير المؤمنين هذا الصوت . فرددته وتزيَّدت فيه . فقال له جعفر : يا سيدي أما

تراه كيف يتزيد في الغناء، هذا خلاف ما سمعناه اولاً وان كان الامر في اللحن واحد ٠

قال : فرفع الرشيد رأسه الى ذلك الخادم فدعا بكيس فيه الف دينار . فجاءني به فصيّرته تحت فخذي ٠ وقال : تغنَّ يا اسمعيل ما حضرك ٠ فجعلت اقصد الصوت بعد الصوت مما كان يبلغني انه يشتري عليه الجواري فاغنيه ٠ فلم ازل افعل ذلك الى ان عسعس الليل[١]. فقال : اتعبناك يا اسمعيل هذه الليلة بغنائك فأعد على امير المؤمنين الصوت (يعني صوت الجارية) فتغنيت . فدعا الخادم وأمره فأحضر كيساً ثالثاً فيه الف دينار . قال : فذكرت ما كانت الجارية قالت لي فتبسمت . ولحظني فقال : ويحك مما تبسمت ٠ فجثوت على ركبتي وقلت : يا امير المؤمنين، الصدق منجاة . فقال لي بانتهار : قل ٠ فقصصت عليه خبر الجارية ٠ فلما استوعبه قال : صدقت قد يكون هذا ٠ وقام، ونزلت من السرير ولا ادري اين اقصد . فابتدرني فرّاشان فسارا بي الى دار قد أمر بها امير المؤمنين ففرشت وأعد بها جميع ما يكون في مثلها من آلة جلساء الملوك وندمائهم من الخدم ومن كل آلة وخَوَل[٢] الى جوارٍ ووصفاء[٣]٠ فدخلتها فقيراً واصبحت من جلة اهلها ومياسيرهم .

٢٦٦ ابراهيم الموصلي وابليس

حدَّث ابراهيم، قال : سألت الرشيد ان يهب لي يوماً في الجمعة، لا يبعث فيه اليَّ بوجه ولا بسبب، لاخلو فيه باخواني ٠ فاذن لي في يوم السبت، فقال : « هو يوم استثقله، فالهُ فيه بما شئت ٠ » (قال) فاقمت في يوم السبت بمنزلي، وتقدَّمت[٤] في اصطلاح طعامي وشرابي، بما احتجت اليه، وأمرت بوّابي فأغلق الابواب، وتقدمت

---

١ عسعَس الليل : دنا وأظلم . ٢ الخوَل جمع خَوَليّ وهو من يحسن القيام على المال .
٣ الوصيف : الغلام الخادم . ٤ تقدّم اليه في كذا : أمره وأوصاه به .

اليه ألا يأذن عليّ لاحد . فبينا انا في مجلسي، والخدم قد حفّوا بي[1]، وجواريّ يترددن بين يديّ، اذا انا بشيخ ذي هيئة وجمال، عليه خفّان[2] قصيران، وقميصان ناعمان، وعلى رأسه قلنسوة لاطية[3]، وبيده عكازة مقمّعة بفضة، وروائح المسك تفوح منه، حتى ملأ البيت والدار ! فداخلني، بدخوله عليّ مع ما تقدمت فيه، غيظٌ ما تداخلني قطّ مثله، وهممت بطرد بوّابي ومن حجبني لاجله . فسلم عليّ احسن سلام . فرددتُ عليه، وامرته بالجلوس، فجلس . ثم اخذ في احاديث الناس، وايام العرب واحاديثها واشعارها، حتى سُلّي ما بي من الغضب، وظننت ان غلماني تحرّوا مسرتي بادخالهم مثله عليّ لادبه وظرفه . فقلت : هل لك في الطعام ؟ فقال : لا حاجة لي فيه . فقلت : هل لك في الشراب ؟ فقال : ذلك اليك . فشربت رطلاً، وسقيته مثله ! فقال لي : يا ابا اسحق، هل لك ان تغني لنا شيئاً من صنعتك، وما قد نفقت به عند الخاص والعام ! فغاظني قوله . ثم سهلت على نفسي امره، فاخذت العود، فجسسته ثم ضربت، فغنيت . فقال : احسنت، يا ابراهيم ! فازداد غيظي، وقلت : ما رضي بما فعله من دخوله عليّ بغير إذن، واقتراحه ان اغنيه، حتى سمّاني ولم يُكنني ولم يُجمل مخاطبتي . ثم قال : هل لك ان تزيدنا ؟ فتذممت، فاخذت العود، وتغنيت . فقال : اجدت، يا ابا اسحق، فأتمّ حتى نكافئك ونغنيك . فاخذت العود، وتغنيت، وتحفظت، وقمت بما غنيته اياه تامًّا ما تحفظت مثله، ولا قمت بغناء كما قمت به له بين يدي خليفة قط، ولا غيره، لقوله لي : أكافئك . فطرب، وقال : احسنت، يا سيدي . ثم قال : اتأذن لعبدك بالغناء ؟ فقلت : شأنك ! واستضعفت عقله في ان يغني بحضرتي، بعد ما سمعه مني . فاخذ العود وجسه وحبسه[4] . فوالله خلته ينطق بلسان عربي لحسن ما سمعته من صوته، ثم تغنّى :

وَلِي كَبِدٌ مَقْرُوحَةٌ مَنْ يَبِيعُنِي ... بِهَا كَبِدًا لَيْسَتْ بِذَاتِ قُرُوحِ

---

١ أحفّوا بي : أحاطوا . ٢ الخف : ما يُلبس في الرجل . ٣ قلنسوة لاطية : قلنسوة صغيرة تلصق برأسه . ٤ جسّه : ضبطه .

أَبَاهَا عَلَيَّ ٱلنَّاسُ لَا يَشْتَرُونَهَا، وَمَنْ يَشْتَرِي ذَا عِلَّةٍ بِصَحِيحِ!

قال ابراهيم : فوالله لقد ظننت الحيطان، والابواب، وكل ما في البيت يجيبه ويغني معه، من حسن غنائه؛ حتى خلت، والله، اني وعظامي وثيابي تجاوبه. وبقيت مبهوتاً لا استطيع الكلام، ولا الجواب، ولا الحركة لما خالط قلبي. ثم غنى :

أَلَا، يَا حَمَامَاتِ ٱللِّوَى، عُدْنَ عَوْدَةً، فَإِنِّي إِلَى أَصْوَاتِكُنَّ حَزِينُ

فكاد، والله، علم الله، عقلي ان يذهب طرباً وارتياحاً، لِما سمعت. ثم غنّى :

أَلَا يَا صَبَا نَجْدٍ مَتَى هِجْتِ مِنْ نَجْدِ؟ لَقَدْ زَادَنِي مَسْرَاكِ وَجْدًا عَلَى وَجْدِ!

ثم قال : يا ابراهيم، هذا الغناء الماخوري! فخذه، وانح نحوه في غنائك، وعلمه جواريك. فقلت : أعده عليّ. فقال : ليس تحتاج، قد اخذته وفرغت منه. ثم غاب من بين يديّ. فارتعبت وقمت الى السيف فجرّدته، وعدوتُ نحو ابواب الحرم فوجدتها مغلقة. فقلت للجواري : اي شيء سمعتنّ عندي؟ فقلن : سمعنا احسن غناء سمع قط. فخرجت متحيّراً الى باب الدار، فوجدته مغلقاً. فسألت البوّاب عن الشيخ. فقال لي : اي شيخ هو؟ والله ما دخل اليك اليوم احد. فرجعت لاتأمل امري، فاذا هو قد هتف من بعض جوانب البيت : لا بأس عليك، يا ابا اسحق، انا ابليس، وانا كنت جليسك ونديمك اليوم، فلا تُرَع. فركبت الى الرشيد وقلت : لا أُطرفه ابداً بطرفةٍ مثل هذه. فدخلت اليه، فحدثته بالحديث. فقال : ويحك! تأمل هذه الابيات، هل اخذتها؟ فاخذت العود امتحنها، فاذا هي راسخة في صدري، كأنها لم تزل. فطرب الرشيد، وجلس يشرب، ولم يكن عزم على الشراب، وامر لي بصلة.

٢٦٧ بارك الله فيك وبارك الله عليك

حدّث عمر بن شبّة، عن اسحق، قال : كان بعض اهل نهيك قد تعاطى الغناء. فلما ظن انه قد احكمه، شاورني، وابي حاضر . فقلت له : ان قبلت مني، فلا تغنّ ؛ فلست فيه كما ارضى . فصاح ابي عليّ صيحة شديدة، ثم قال لي : وما يدريك يا صبي ؟ ثم اقبل على الرجل، فقال : «انت، يا حبيبي، بضدّ ما قال ؛ وان لزمت الصناعة، برعت فيها . » فلما خلا بي، قال لي : يا احمق، ما عليك ان يخزي الله مائة الف مثل هذا ؟ هؤلاء اغنياء، ملوك، وهم يعيّروننا بالغناء، فدعهم يتهتكوا به ويعيّروا ويفتضحوا، ويحتاجوا الينا فننتفع بهم، ويبيّن فضلنا لدى الناس بامثالهم . (قال) ولزمه النهيكي يأخذ عنه، ويبرّه، فيجزل . فكان، اذا غنى فأحسن، قال له : بارك الله فيك ! واذا اساء، قال : بارك الله عليك ! وكثر ذلك منه حتى عرف النهيكي معناه فيه . فغنى يوماً، وابي ساهٍ عنه، فسكت ولم يقل له شيئاً . فقال له : جُعلت فداك ! ، يا استاذي، أهذا الصوت من اصوات فيكَ ام عليك ؟ فضحك ابي، ولم يكن علم انه قد فطن لقوله . ثم قال له : والله، لاقبلنّ عليك حتى تصير كما تشتهي، فانك ظريف اديب . وعني به حتى حسن غناؤه وتقدّم . وفيه يقول ابي :

أَوْجَبَ ٱللّهُ لَكَ ٱلحَقَّ عَلَى مِثْلِي بِظَرْفِكْ
لَنْ تَرَانِي بَعْدَ هٰذَا نَاطِقًا إِلَّا بِوَصْفِكْ
وَتَرَى ٱلقُوَّةَ فِيمَا تَشْتَهِيهِ بَعْدَ ضُعْفِكْ

نوادر شتى :

٢٦٨ اعرابي في عرس

حدّث الفضل بن العباس الهاشمي، من ولد قُثم بن جعفر بن سليمان، عن ابيه،

قال : كان ناهض بن ثومة الكلابي يفد على جدّي قثم، فيمدحه . ويصله جدّي وغيره . وكان بدوياً جافياً كأنه من الوحش . وكان طيّب الحديث . فحدّثه يوماً انهم انتجعوا[1] ناحية الشام . فقصد صديقاً له، من ولد خالد بن يزيد بن معاوية، كان ينزل حلب . فاذا نزل نواحيها اتاه فمدحه . وكان برّاً به . (قال) مررت بقرية يقال لها قرية بكر بن عبدالله الهلالي، فرأيت دوراً متباينة وخصاصاً[2] قد ضُمّ بعضها الى بعض . واذا بها ناس كثير مقبلون ومدبرون، عليهم ثيابٌ تحكي الوان الزهر . فقلت في نفسي : هذا احد العيدين : الاضحى او الفطر . ثم ثاب اليّ ما غرب[3] عن عقلي، فقلت : خرجت من اهلي في بادية البصرة في صفر، وقد مضى العيدان قبل ذلك، فما هذا الذي ارى ؟ فبينا انا واقف متعجب اتاني رجل فاخذ بيدي، فادخلني داراً قوراء، وادخلني منها بيتاً قد نُجد في وجهه فرش ومهدت، وعليها شابٌ ينال فروع شعره منكبيه، والناس حوله سماطان . فقلت في نفسي : هذا الامير الذي حكي لنا جلوسه على الناس، وجلوس الناس بين يديه . فقلت، وانا ماثلٌ بين يديه : السلام عليك، ايها الامير، ورحمة الله وبركاته . فجذب رجل بيدي، وقال : اجلس، فان هذا ليس بامير . قلت : فما هو ؟ قال : عروس . فقلت : وا ثُكل اماه ! لرُبَّ عروس رأيته بالبادية اهون على اهله . فلم انشب ان دخل رجال يحملون هناتٍ[4] مدوّرات . امّا ما خفّ منها فيحمل حملاً، واما ما كبر وثقل فيدحرج . فوضع ذلك امامنا، وتحلّق القوم عليه حلقاً . ثم أتينا بخرَق بيض، فأُلقيت بين ايدينا . فظننتها ثياباً، وهممت ان اسأل القوم منها خرقاً اقطعها قميصاً . وذلك اني رأيت نسجاً متلاحماً لا يبين له سدّى ولا لحمة . فلما بسطه القوم بين ايديهم، اذ هو يتمزّق سريعاً . واذا هو، فيما زعموا، صنف من الخبز لا اعرفه . ثم أُتينا بطعام كثير بين حلو وحامض وحار وبارد . فأكثرت منه، وانا لا اعلم ما في عقبه من التخم والبشم . ثم

---

١ انتجعوا : طلبوا الكلأ في مواضعه . ٢ الخِصاص جمع خص وهو البيت من شعر او قصب . ٣ غرب : غاب وخفي . ٤ هَنات : اشياء .

أُتينا بشراب احمر في غثاء شن[١] . فقلت : لا حاجة لي فيه ؛ فاني اخاف ان يقتلني . وكان الى جنبي رجل ناصح لي، احسن الله جزاءه، فانه كان ينصح لي من بين اهل المجلس . فقال : يا أعرابيّ، انك قد اكثرت من الطعام ؛ وان شربت الماء، هما بطنك . فلما ذكر البطن تذكرت شيئاً اوصاني به ابي والاشياخ من اهلي، قالوا: لا تزال حيّاً، ما زال بطنك شديداً ؛ فاذا اختلف، فأوص . فشربت من ذلك الشراب لاتداوى به، وجعلت اكثر منه فلا امل شربه . فتداخلني من ذلك صلفٌ لا اعرفه من نفسي ؛ وبكاء لا اعرف سببه، ولا عهد لي بمثله ؛ واقتدارٌ على امر أظن معه اني لو اردت نيل السقف لبلغته، ولو شأوت[٢] الاسد لقتلته . وجعلت ألتفت الى الرّجل الناصح لي، فتحدّثني نفسي بهتم اسنانه، وهشم انفه . واهم احياناً ان اشتمه . فبينا نحن كذلك، اذ هجم علينا شياطين اربعة . احدهم قد علّق في عنقه جبة فارسية مسنّجة الطرفين[٣]، دقيقة الوسط، مشبوحة بالخيوط شبحاً منكراً . ثم بدر الثاني فاستخرج من كمه هنةً سوداء كخرطوم الفيل . فوضعها في فيه، وصوّت بها صوتاً لم اسمع، وبيت الله، اعجب منه ؛ فاستتم بها امرهم . ثم حرّك اصابعه على احجرة[٤] فيها، فاخرج منها اصواتاً ليس كما بدأ، ولكنه اتى منها، لمّا حرّك اصابعه، بصوت عجيب متلائم متشاكل بعضه لبعض كانه، علم الله، ينطق . ثم بدأ ثالث كزٌّ[٥] مقيت، عليه قميص وسخ، معه مرآتان . فجعل يصفّق بهما بيديه إحداهما على الاخرى . فخالطت بصوته ما يفعله الرجلان . ثم بدأ رابع عليه قميص مصون، وسراويل مصون، وخفّان اجذمان[٦] لا ساق لواحد منهما . فجعل يقفز كانه يثب على ظهور العقارب . ثم التبط به[٧] على الارض . فقلت : معتوه[٨] وربّ الكعبة . ثم ما برح مكانه حتى كان اغبط القوم عندي . ورأيت القوم يحذفونه بالدراهم[٩] حذفاً منكراً . ثم ارسل النساء الينا ان : أمتعونا

---

١ الشنّ : القربة، وغُثاء الشن : ما بلي منه . ٢ شأوتُ : غالبتُ . ٣ مسنجة الطرفين: مخطّطة . ٤ الأحجرة : الثقوب . ٥ الكزّ : المنقبض، القبيح . المقيت : الممقوت . ٦ الاجذم : المقطوع . ٧ التبط به : وقع على الارض كالمغشي عليه . ٨ المتوه : المجنون . ٩ : يحذفونه بالدراهم : يرمونه بها .

من لهوكم هذا . فبعثوا بهم . وجعلنا نسمع اصواتهم من بعد . وكان معنا في البيت شابٌ لا أبه له[1]، فعلت الاصوات بالثناء عليه، والدعاء . فخرج، فجاء بخشبة عيناها في صدرها، فيها خيوط اربعة . فاستخرج من خلالها عوداً، فوضعه خلف اذنه، ثم عرك آذانها، وحرّكها بخشبة في يده . فنطقت، وربّ الكعبة . واذا هي أحسن قينة رأيتها قطّ . وغنى عليها، فاطربني حتى استخفني من مجلسي . فوثبت، فجلست بين يديه، وقلت : بابي أنت وامي ! ما هذه الدابة ؟ فلست اعرفها للاعراب، وما اراها خلقت الا قريباً . فقال : هذا البربط . فقلت : بابي انت وامي ! فما هــذا الخيط الاسفل ؟ قال : الزير . قلت : فالذي يليه ؟ قــال : المثنى . قلت : فالثالث ؟ قال : المثلث . قلت : فالاعلى ؟ قال : البمّ . فقلت : آمنت بالله اولًا، وبك ثانياً، وبالبربط ثالثاً، وبالبمّ رابعاً .

(قال) فضحك ابي، والله، حتى سقط . وجعل ناهض يعجب من ضحكه . ثم كان، بعد ذلك، يستعيده هــذا الحديث، ويطرف به اخوانه، فيعيده، ويضحكون منه .

ميزة نثره : لكتاب الاغاني قيمة فنيّة كبرى . فقد جرى فيه ابو الفرج عـلى اسلوب قصصيّ غاية في الايجاز البليغ والمتانة، ينبض حياةً ورشاقة وطبيعيّة، بمـا فيه من حوار وسَرْد وجُمَل اعتراضيّة، ويفيض عذوبة بما فيه من سذاجة فطريّة مقترنة بفكاهة توافق مقتضى الحال .

---

[1] لا أبه له : اي منسيّ لا يلتفت اليه .

النّقد الأدبيّ

ابن الاثير (١١٦٣ _ ١٢٣٩ م/ ٥٥٨ _ ٦٣٧ هـ)

[هو اشهر من عمد الى الكتابة ففصل قواعدها، ومن تناول البلاغة فبيّن مذاهبها، ومن عكف على الاساليب فاوضح معالمها، وهكذا كان ابا النقد العربي وشيخاً من شيوخ البيان والفصاحة .]

٢٦٩ في الفصاحة والبلاغة

(المقدمة : الفصل الثامن)

إعلم أن هذا بابٌ متعذّر على الوالج، ومسلك متوّعر على الناهج . ولم يزل العلماء، من قديم الوقت وحديثه، يكثرون القول فيه، والبحث عنه ؛ ولم أجد من ذلك ما يُعوّل عليه الا القليل . وغاية ما يقال في هذا الباب أن الفصاحة هي الظهور والبيان، في اصل الوضع اللغوي ؛ يقال : أفصح الصبح إذا ظهر . ثم انهم يقفون عند ذلك، ولا يكشفون عن السر فيه .

وبهذا القول لا تتبيّن حقيقة الفصاحة، لانه يُعترض عليه بوجوه من الاعتراضات : احدها انه، اذا لم يكن اللفظ ظاهراً بيناً، لم يكن فصيحاً ؛ ثم اذا ظهر وتبيّن صار فصيحاً . الوجه الآخر انه اذا كان اللفظ الفصيح هو الظاهر البيّن، فقد صار ذلك بالنسب والاضافات الى الاشخاص ؛ فان اللفظ قد يكون ظاهراً لزيد، ولا يكون ظاهراً لعمرو، فهو اذاً فصيح عند هذا وغير فصيح عند هذا . وليس

كذلك . بل الفصيح هو فصيح عند الجميع ، لا خلاف فيه بحال من الاحوال ، لانه اذا تحقق حد الفصاحة ، وعُرف ما هي ، لم يبق في اللفظ الذي يختص به خلاف . الوجه الآخر انه اذا جيء بلفظٍ قبيح ينبو عنه السمع ، وهو مع ذلك ظاهر بيّن ، ينبغي ان يكون فصيحاً ، وليس كذلك . لان الفصاحة وصف حسن اللفظ ، لا وصف قبح . فهذه الاعتراضات الثلاثة واردة على قول القائل : ان اللفظ الفصيح هو الظاهر البيّن ، من غير تفصيل .

ولما وقفت على اقوال الناس ، في هذا الباب ، ملكتني الحيرة فيها ، ولم يثبت عندي منها ما اعوّل عليه ؛ ولكثرة ملابستي[1] هذا الفن ومعاركتي اياه ، انكشف لي السر فيه ، وسأوضحه في كتابي هذا ، واحقق القول فيه ، فأقول :

ان الكلام الفصيح هو الظاهر البيّن ؛ واعني بالظاهر البين ، ان تكون الفاظه مفهومة ، لا يحتاج في فهمها الى استخراج من كتاب لغة . وانما كانت بهذه الصفة ، لانها تكون مألوفة الاستعمال بين ارباب النظم والنثر ، دائرة في كلامهم . وانما كانت مألوفة الاستعمال دائرة في الكلام ، دون غيرها من الالفاظ ، لمكان حُسنها . وذلك ان ارباب النظم والنثر غربلوا اللغة باعتبار الفاظها ، وسبروا ، وقسموا ، فاختاروا الحسن من الالفاظ ، فاستعملوه ؛ ونفوا القبيح منها ، فلم يستعملوه . فحسن الاستعمال سبب استعمالها دون غيرها ؛ واستعمالها دون غيرها سبب ظهورها وبيانها . فالفصيح اذن من الالفاظ هو الحسن .

فإن قيل : من اي وجه علم ارباب النظم والنثر الحسن من الالفاظ ، حتى استعملوه ؛ وعلموا القبيح منها ، فنفوه ولم يستعملوه ؟ قلت في الجواب : ان هذا من الامور المحسوسة ، التي شاهدها من نفسها . لان الالفاظ داخلة في حيّز الاصوات ؛ فالذي يستلذه السمع منها ، ويميل اليه ، هو الحسن ؛ والذي يكرهه وينفر عنه ، هو القبيح . ألا ترى ان

١ ملابستي : مزاولتي .

السمع يستلذ صوت البلبل من الطير ، وصوت الشحرور ، ويميل اليهما ؛ ويكره صوت الغراب ، وينفر عنه ؟ وكذلك يكره نهيق الحمار ، ولا يجد ذلك في صهيل الفرس . والالفاظ جاريةٌ هذا المجرى ؛ فانه لا خلاف في ان لفظة « المُزنة » و « الديمة » حسنة ، يستلذها السمع ؛ وان لفظة « البعاق » قبيحة يكرهها السمع ؛ وهذه اللفظات الثلاث من صفة المطر ، وهي تدل على معنى واحد ؛ ومع هذا فإنك ترى لفظتي « المزنة » و« الديمة » وما جرى مجراهما مألوفة الاستعمال ، وترى لفظ « البعاق » وما جرى مجراه متروكاً لا يُستعمل . وان استعمل ، فانما يستعمله الجاهل بحقيقة الفصاحة ، او مَن ذوقه غير ذوق سليم ، لا جرم انه ذمّ وقُدح فيه، ولم يلتفت اليه ، وان كان عربياً من الجاهلية الاقدمين . فان حقيقة الشيء ، اذا عُلمت ، وجب الوقوف عندها ، ولم يعرّج[١] على ما خرج عنها .

واذن ثبت ان الفصيح من الالفاظ هو الظاهر البين ، وانما كان ظاهراً بيناً لأنه مألوف الاستعمال ، لمكان حسنه ؛ وحسنه مُدرك بالسمع ؛ والذي يُدرك بالسمع انما هو اللفظ ، لانه صوت يأتلف عن مخارج الحروف ؛ فما استلذه السمع منه فهو الحسن ، وما كرهه فهو القبيح ؛ والحسن هو الموصوف بالفصاحة ، والقبيح غير موصوف بفصاحة ، لانه ضدُّها ، لمكان قبحه . وقد مثلت ذلك في المثال المتقدّم بلفظة « المزنة » و « الديمة » ، ولفظة « البعاق » . ولو كانت الفصاحة لامر يرجع الى المعنى ، لكانت هذه الالفاظ في الدلالة عليه سواء ، ليس منها حسن ، ومنها قبيح ؛ ولما لم يكن ذلك كذلك ، علمنا انها تخص اللفظ دون المعنى . وليس لقائل ، ههنا ، ان يقول : لا لفظ الا بمعنى ؛ فكيف فصلت انت بين اللفظ والمعنى ؟ فاني لم أفصل بينهما ، وانما خصصت اللفظ بصفة هي له ، والمعنى يجيء فيه ضمناً وتبعاً .

الوجه الثاني : ان وزن « فعيل » هو اسم فاعل من فعل ، (بفتح الفاء وضم

---

١ لم يُعَرِّج : لم يُعَوِّل .

العين »، نحو كرُم فهو كريم، وشرُف فهو شريف، ولطف فهو لطيف؛ وهذا مطرد[١] في بابه. وعلى هذا، اللفظ الفصيح هو اسم فاعل من فصح، فهو فصيح؛ واللفظ هو الفاعل للابانة عن المعنى، فكانت الفصاحة مختصة به.

فان قيل: إنك قلت: ان الفصيح من الالفاظ هو الظاهر البين، اي المفهوم؛ ويرى من آيات القرآن ما لا يُفهم ما تضمنه من المعنى الا باستنباط وتفسير؛ وتلك الآيات فصيحة لا محالة؛ وهذا بخلاف ما ذكرته. قلت: لان الايات التي تُستنبط وتحتاج الى تفسير، ليس شيء منها الا ومفردات الفاظه كلها ظاهرة واضحة؛ وانما التفسير يقع في غموض المعنى من جهة التركيب، لا من جهة الفاظه المفردة؛ لان معنى المفردة يتداخل بالتركيب، ويصير له هيئة تخصه، وهذا ليس قدحاً في فصاحة تلك الالفاظ، لانها اذا اعتبرت لفظةً لفظةً وُجدت كلها فصيحة، اي ظاهرة واضحة. واعجب ما في ذلك ان تكون الالفاظ المفردة التي تركبت منها المركبة، واضحة كلها؛ واذا نُظر اليها مع التركيب احتاجت الى استنباط وتفسير. وهذا لا يختصّ به القرآن وحده؛ بل في الاخبار النبوية، والاشعار، والخطب، والمكاتبات، كثير من ذلك. وسأورد ههنا منها شيئاً فاقول: قد ورد عن النبي، صلى الله عليه وسلّم، انه قال: « صومكم يوم تصومون، وفطركم يوم تفطرون، وأضحاكم يوم تضحون.» وهذا الكلام مفهومة مفردات الفاظه، لان الصوم والفطر والاضحى مفهوم كله؛ واذا سمع هذا الخبر، من غير فكرة، قيل: علمنا ان صومنا يوم نصوم، وفطرنا يوم نُفطر، واضحانا يوم نضحي؛ فما الذي اعلمنا به مما لم نعلمه؟ واذا امعن الناظر نظره فيه، علم ان معناه يحتاج الى استنباط؛ والمراد به: انه اذا اجتمع الناس على انّ اول شهر رمضان يوم كذا، ولم يكن ذلك اليوم أوّله، فان الصوم صحيح، وأوله هو ذلك اليوم الذي اجتمع الناس عليه. وكذا يقال في يوم الفطر، ويوم الاضحى. ولهذا الخبر المشار اليه

---

١ المطّرد: الذي يتبع بعضه بعضاً.

اشياء كثيرة تفهم معاني الفاظها المفردة ، واذا تركبت تحتاج في فهمها الى استنباط . واما ما ورد من ذلك شعراً ، فكقول ابي تمام :

وَلَهِتْ فَأَظْلَمَ كُلُّ شَيْءٍ دُونَهَا ، وَأَضَاءَ مِنْهَا كُلُّ شَيْءٍ مُظْلِمِ [1]

فان الوله والظلمة والاضاءة ، كل ذلك مفهوم المعنى . لكن البيت بجملته يحتاج في فهمه الى استنباط . والمراد به انها ولهت ، فاظلم ما بيني وبينها ، لما نالني من الجزع لولهها ، كما يقول الجازع : اظلمت الارض عليَّ ، اي اني صرت كالاعمى الذي لا يبصر . واما قوله : واضاء منها كل شيء مظلم : اي وضح لي منها ما كان مستتراً عني من حبها اياي . . .

فانظر ، ايها المتأمل ، الى ما ذكرته من هذه الامثلة ، حتى يثبت عندك ما سيأتي بيانه .

واما البلاغة فان اصلها في وضع اللغة ، من الوصول والانتهاء . يقال : بلغت المكان ، اذا انتهيت اليه ؛ ومبلغ الشيء منتهاه وسمي الكلام بليغاً ، من ذلك ؛ اي انه قد بلغ الاوصاف اللفظية والمعنوية والبلاغة شاملة للالفاظ والمعاني ، وهي اخص من الفصاحة ، كالانسان من الحيوان ؛ فكل انسان حيوان ، وليس كل حيوانٍ انساناً . وكذلك يقال : كل كلام بليغ فصيح ، وليس كل كلام فصيح بليغاً . ويفرق بينها وبين الفصاحة من وجه آخر ، غير الخاص والعام ، وهو انها لا تكون الا في اللفظ والمعنى ، بشرط التركيب ؛ فان اللفظة الواحدة لا يطلق عليها اسم الفصاحة ؛ اذ يوجد فيها الوصف المختص بالفصاحة ، وهو الحسن ؛ واما وصف البلاغة ، فلا يوجد فيها لخلوها من المعنى المفيد الذي ينتظم كلاماً .

مسألة تتعلق بهذا الفصل : هل أُخذ علم البيان من ضروب الفصاحة والبلاغة بالاستقراء [2] من اشعار العرب ام بالنظر وقضية العقل ؟

---

١ ولِهَ : حزن شديداً حتى كاد يذهب عقله. ٢ استقرى الشيء : تتبّعه لمعرفة احواله وخواصه .

الجواب عن ذلك : أنا نقول : لم يؤخذ علم البيان بالاستقراء . فان العرب الذين الفوا الشعر والخطب لا يخلو امرهم من حالين : اما انهم ابتدعوا ما اتوا به من ضروب الفصاحة والبلاغة بالنظر وقضية العقل ، او اخذوه بالاستقراء ممن كان قبلهم . فان كانوا ابتدعوه، عند وقوفهم على اسرار اللغة ومعرفة جيدها من رديئها وحسنها من قبيحها ، فكذلك هو الذي اذهبُ اليه . وان كانوا اخذوه بالاستقراء ممن كان قبلهم، فهذا يتسلسل الى اول من ابتدعه ولم يستقره . فان كل لغة من اللغات لا تخلو من وصفي الفصاحة والبلاغة المختصين بالالفاظ والمعاني . الا ان اللغة العربية مزية على غيرها لما فيها من التوسعات التي لا توجد في لغة اخرى سواها .

مسألة اخرى تتعلق بهذا الفصل ايضاً : هل علم البيان بن الفصاحة والبلاغة جارٍ مجرى علم النحو ام لا ؟

الجواب عن ذلك : انا نقول : الفرق بينهما ظاهر . وذاك ان أقسام النحو أُخذت من واضعها بالتقليد ، حتى لو عكس القضية فيها لجاز له ذلك، ولما كان العقل يأباه ولا ينكره . فانه لو جعل الفاعل منصوباً، والمفعول مرفوعاً، قلد في ذلك كما قلد في رفع الفاعل، ونصب المفعول . واما علم البيان من الفصاحة والبلاغة فليس كذلك ؛ لانه استنبط بالنظر وقضية العقل ، من غير واضع اللغة ، ولم يفتقر فيه الى التوقيف منه ، بل أُخذت الفاظ ومعانٍ على هيئة مخصوصة ، وحكم لها العقل بمزية من الحسن لا يشاركها فيها غيرها . فان كل عارف باسرار الكلام ، من اي لغة كانت من اللغات ، يعلم ان اخراج المعاني في الفاظ رائقة حسنة يلذّها السمع ، ولا ينبو عنها الطبع، خير من اخراجها في الفاظ قبيحة مستكرهة ينبو عنها السمع . ولو اراد واضع اللغة خلاف ذلك لما قلدناه . فان قيل : لو أُخذت اقسام النحو بالتقليد من واضعها لما أُقيمت الادلة عليها، وعُلم بقضية النظر ان الفاعل يكون مرفوعاً والمفعول منصوباً . فالجواب عن ذلك انا نقول : هذه الادلة واهية لا تثبت على محك الجدل . فان هؤلاء الذين قصدوا

لاقامتها سمعوا عن واضع اللغة رفع الفاعل ونصب المفعول، من غير دليل ابداه لهم، فاستخرجوا لذلك ادلّة وعللاً ؛ والا فمن اين علم هـؤلاء ان الحكمة التي دعت الواضع الى رفع الفاعل ونصب المفعول هي التي ذكروها ؟

٢٧٠ في اللفظة المفردة

(المقالة الاولى : القسم الاول)

اعلم انه يحتاج صاحب هذه الصناعة[١]، في تأليفه، الى ثلاثة اشياء : الأولُ منها اختيار الالفاظ المفردة . وحكم ذلك حكم اللآلىء المبدّدة ، فإنها تتخيّر وتُنتقى قبل النظم . الثاني نظم كل كلمة مع اختها في المشاكلة لها ، لئلا يجيء الكلام قلقاً نافراً عن مواضعه ، وحكم ذلك حكم العقد المنظوم في اقتران كل لؤلؤة منه بأختها المشاكلة لها . الثالث العرض المقصود من ذلك الكلام على اختلاف انواعه، وحكم ذلك حكم الموضع الذي يوضع فيه العقد المنظوم ، فتارةً يُجعل اكليلاً على الرأس ، وتارةً يُجعل قلادةً في العنق، وتارةً يجعل شنفاً[٢] في الاذن ؛ ولكل موضع من هذه المواضع هيئة من الحسن تخصه . فهذه ثلاثة اشياء لا بدّ للخطيب والشاعر من العناية بها ، وهي الاصل المعتمد عليه في تأليف الكلام من النظم والنثر فالاول والثاني من هذه الثلاثة المذكورة هما المُراد بالفصاحة . والثلاثة بجملتها هي المراد بالبلاغة . وهذا الموضع يضل في سلوك طريقه العلماء بصناعة صوغ الكلام من النظم والنثر ، فكيف الجهال الذين لم تنفحهم رائحته . ومن الذي يؤتيه الله فطرة ناصعة يكاد زيتها يُضيء ولو لم تمسسه نار، حتى ينظر الى أسرار ما يستعمله من الالفاظ فيضعها في مواضعها .

وقد ذكر من تقدمني من علماء البيان للالفاظ المفردة خصائص وهيئات

---

١ يتكلم المؤلف على صناعة الكتابة . ٢ الشّنف : ما يعلّق في الأذن من الحلي .

تتصف بها، واختلفوا في ذلك، واستحسن احدهم شيئاً فخولف فيه، وكذلك استقبح الاخر شيئاً فخولف فيه . ولو حققوا النظر ووقفوا على السرّ في اتصاف بعض الالفاظ بالحسن وبعضها بالقبح، لما كان بينهم خلاف في شيء منها . وقد اشرت الى ذلك في الفصل الثامن من مقدمة كتابي هذا الذي يشتمل على ذكر الفصاحة، وفي الوقوف عليه والاحاطة به غنى عن غيره . ولكن لا بد ان نذكر ههنا تفصيلاً لما اجملناه هناك، لانا ذكرنا في ذلك الفصل ان الالفاظ داخلة في حيز[1] الاصوات، لانها مركبة من مخارج الحروف، فما استلذه السمع منها فهو الحسن، وما كرهه ونبا عنه[2]، فهو القبيح واذا ثبت ذلك فلا حاجة الى ما ذُكر من تلك الخصائص والهيئات التي اوردها علماء البيان في كتبهم، لانه اذا كان اللفظ لذيذاً في السمع كان حسناً، واذا كان حسناً دخلت تلك الخصائص والهيئات في ضمن حسنه .

وقد رأيت جماعة من الجهال اذا قيل لاحدهم ان هذه اللفظة حسنة وهذه قبيحة انكر ذلك، وقال : « كل الالفاظ حسن والواضع لم يضع إلا حسناً » . ومن يبلغ جهله الى ان لا يفرق بين لفظة الغصن ولفظة العُسلوج، وبين لفظة المُدامة ولفظة الإسفِنط، وبين لفظة السيف ولفظة الخنشليل، وبين لفظة الاسد ولفظة الفدَوْكس، فلا ينبغي ان يخاطب بخطاب ولا يُجاوب بجواب .

وقد بقيت هناك اوصاف أُخر ينبغي ان يُنبَّه عليها . فمنها ان لا تكون الكلمة وحشية . وقد خفي الوحشيّ على جماعة من المنتمين الى صناعة النظم والنثر، وظنوه المستقبح من الالفاظ، وليس كذلك . بل الوحشيّ ينقسم قسمين، احدهما غريب حسنٌ، والآخر غريب قبيح ؛ وذلك انه منسوب الى اسم الوحش الذي يسكن القفار وليس بأنيس، وكذلك الالفاظ التي لم تكن مأنوسة الاستعمال . وليس من شرط الوحش ان يكون مستقبحاً بل ان يكون نافراً لا يألف الانس،

١ الحيز : المكان . ٢ نبا عنه : لم يقبله .

فتارة يكون حسناً وتارة يكون قبيحاً . وعلى هذا فان احد قسمي الوحشي وهو الغريب الحسن يختلف باختلاف النسب والاضافات . واما القسم الآخر من الوحشي الذي هو قبيح فان الناس في استقباحه سواء، ولا يختلف فيه عربي بادٍ ولا قروي متحضر . واحسن الالفاظ ما كان مألوفاً متداولاً، لانه لم يكن مألوفاً متداولاً الا لمكان حسنه، وقد تقدم الكلام على ذلك في باب الفصاحة . فان ارباب الخطابة والشعر نظروا الى الالفاظ، ونقبوا عنها، ثم عدلوا الى الاحسن منها، فاستعملوه وتركوا ما سواه وهو ايضاً يتفاوت في درجات حسنه ، فالالفاظ اذن تنقسم ثلاثة اقسام : قسمان حسنان وقسم قبيح . فالقسمان الحسنان احدهما ما تداول استعماله الاول والآخر من الزمن القديم الى زماننا هذا، ولا يطلق عليه انه وحشي . والآخر ما تداول استعماله الاول دون الآخر، ويختلف في استعماله بالنسبة الى الزمن واهله، وهذا هو الذي لا يعاب استعماله عند العرب، لانه لم يكن عندهم وحشياً، وهو عندنا وحشيّ .

ولا يسبق وهمك ايها المتأمل الى قول القائل الذي غلب عليه غلظ الطبع وفجاجة الذهن بأن العرب كانت تستعمل من الالفاظ كذا وكذا، فهذا دليل على انه حسن . بل ينبغي ان تعلم ان الذي نستحسنه نحن في زماننا هذا هو الذي كان عند العرب مستحسناً، والذي نستقبحه هو الذي كان عندهم مستقبحاً . والاستعمال ليس بدليل على الحسن، فانا نحن نستعمل الآن من الكلام ما ليس بحسن، وانما نستعمله لضرورة، فليس استعمال الحسن بممكن في كل الاحوال . وهذا طريق يضل بغير العارف بمسالكه، ومن لم يعرف صناعة النظم والنثر وما يجده صاحبها من الكلفة في صوغ الالفاظ واختيارها فانه معذور في ان يقول ما قال :

لَا يَعْرِفُ ٱلشَّوْقَ إِلَّا مَنْ يُكَابِدُهُ   وَلَا ٱلصَّبَابَةَ إِلَّا مَنْ يُعَانِيهَا[1]

---

[1] الصبابة : الشوق او رقته، والولع الشديد .

ومع هذا فان قول القائل بأن العرب كانت تستعمل من الالفاظ كذا وكذا وهذا دليل على انه حسن قول فاسد لا يصدر الا عن جاهل، فان استحسان الالفاظ واستقباحها لا يؤخذ بالتقليد من العرب، لانه شيء ليس للتقليد فيه مجال، وانما هو شيء له خصائص وهيئات وعلامات اذا وجدت علم حسنه من قبحه، وقد تقدم الكلام على ذلك في باب الفصاحة والبلاغة . واما الذي تُقلد العرب فيه من الالفاظ فانما هو الاستشهاد بأشعارها على ما ينقل من لغتها، والاخذ باقوالها في الاوضاع النحوية في رفع الفاعل ونصب المفعول وجر المضاف اليه وجزم الشرط واشباه ذلك وما عداه فلا . وحسن الالفاظ وقبحها ليس إضافياً الى زيد دون عمرو او الى عمرو دون زيد . الا ترى ان لفظة « المزنة » مثلاً حسنة عند الناس كافة من العرب وغيرهم وهلم جراً لا يختلف احد في حسنها ؟ وكذلك لفظة «البعاق» فانها قبيحة عند الناس كافة من العرب وغيرهم، فإذا استعملتها العرب لا يكون استعمالهم إياها، مخرجاً لها عن القبح ولا يلتفت اذن الى استعمالهم اياها، بل يعاب مستعملها ويغلّظ له النكير[1] حيث استعملها .

فلا تظن ان الوحشي من الالفاظ ما يكرهه سمعك ويثقل عليك النطق به وانما هو الغريب الذي يقل استعماله، فتارة يخف على سمعك ولا تجد به كراهة، وتارة يثقل على سمعك وتجد منه الكراهة . وذلك في اللفظ عيبان، احدهما انه غريب الاستعمال والآخر انه ثقيل على السمع كريه على الذوق . واذا كان اللفظ بهذه الصفة فلا مزيد على فظاظته وغلاظته، وهو الذي يسمى الوحشيّ الغليظ، ويسمى ايضاً المتوعّر، وليس وراءه في القبح درجة اخرى، ولا يستعمله الا اجهل الناس ممن لم يخطر بباله شيء من معرفة هذا الفن اصلاً . فان قيل : فما هذا النوع من الالفاظ ؟ قلت قد ثبت لك انه ما كرهه سمعك وثقل على لسانك النطق به . . .

---

١ يُغلّظ له النكير : اي يعاب بشدّة .

والعرب لا تلام على استعمال الغريب الحسن من الالفاظ، وانما تلام على الغريب القبيح ، واما الحضريّ فانه يلام على استعمال القسمين معاً وهو في احدهما اشد ملامة منه في الآخر .

ميزته : يريد ابن الاثير ان يعلّم، فيستعمل كل وسائل التعليم من اسلوب سهل، واضح المعنى، قريب المتناوَل، سلس العبارة، بعيد عن التكلّف، قويّ البرهان، فيه التفصيل والتمييز والدّحض وما الى ذلك .

٢٧١ ابو تمام والبحتري والمتنبي

(المقالة الثانية : النوع الثلاثون)

. . . ولقد وقفت من الشعر على كل ديوان ومجموع، وانفدتُ شطراً من العمر في المحفوظ منه والمسموع، فألفيته بحراً لا يوقف على ساحله، وكيف يُنتهى الى احصاء قولٍ لم تحصَ اسماء قائله ؟ فعند ذلك اقتصرتُ منه على ما تكثُر فوائده، وتتشعب مقاصده ؛ ولم اكن ممن أخذ بالتقليد والتسليم، في اتباع من قصر نظره على الشعر القديم، اذ المُراد من الشعر انما هو ايداع المعنى الشريف في اللفظ الجزل[1] واللطيف .

وقد اكتفيت في هذا بشعر ابي تمّام، حبيب بن أوْس، وأبي عُبادة الوليد، وابي الطيب المتنبي . وهؤلاء الثلاثة هم لاتُ الشعر وعُزّاه ومناته[2]، الذين ظهرت على ايديهم حسناته ومستحسناته . وقد حوت اشعارهم غرابة المحدثين الى فصاحة القدماء ؛ وجمعت بين الامثال السائرة وحكمة الحكماء .

اما ابو تمام فانه ربُّ معانٍ، وصيقلُ ألباب وأذهان . وقد شُهد له بكل معنى

---

١ الجزْل من الالفاظ : الفصيح المتين . ٢ اللات والعزّى ومنـاة : من آلهة العرب الوثنيين في الجاهليّة .

مبتكر، لم يمش فيه على أثر . فهو غير مدافع عن مقام الاغراب[1]، الذي برّز فيه على الأضراب[2] . ولقد مارست من الشعر كل اول واخير، ولم اقل ما اقول فيه الا عن تنقيب وتنقير؛ فمن حفظ شعر الرّجل، وكشف عن غامضه، وراض فكرَه برائضه، أطاعته أعنّة الكلام .

واما ابو عُبادة البحتري، فانه أحسن في سبك اللفظ على المعنى، واراد ان يشعر فغنى . واقد حاز طرفي الرقة والجزالة على الإطلاق . وسئل ابو الطيب المتنبي عنه وعن ابي تمام وعن نفسه، فقال: «أنا وأبو تمام حكيمان، والشاعر البحتري» . ولعمري انه أنصف في حكمه، واعرب بقوله هذا عن متانة علمه؛ فإن أبا عبادة اتى في شعره بالمعنى المقدود من الصخرة الصماء، في اللفظ المصوغ من سلالة الماء؛ فأدرك بذلك بعد المرام، مع قربه الى الأفهام .

وأمّا ابو الطيب المتنبي فإنه أراد ان يسلك مسلك ابي تمام فقصرت عنه خطاه، ولم يُعطه الشعر من قياده ما أعطاه؛ لكنه حظي في شعره بالحكم والأمثال، واختصّ بالابداع في وصف مواقف القتال وأنا اقول قولًا لست فيه متأثماً[3]، ولا منه متلثماً[4]، وذاك أنه اذا خاض في وصف معركة، كان لسانه امضى من نصالها، وأشجع من أبطالها؛ وقامت اقواله للسامع مقامَ افعالها، حتى تظنّ الفريقين قد تقابلا، والسلاحين قد تواصلا . فطريقه في ذلك تضلّ بسالكه، وتقوم بعذر تاركه . ولا شكّ انه كان يشهد الحروب مع سيف الدولة ابن حمدان، فيصف لسانه ما أدّى اليه عيانه . ومع هذا فإني رأيت الناس عادلين فيه عن سَنن التوسط؛ فإمّا مُفرط في وصفه، وإمّا مُفرّط[5] . وهو، وان انفرد بطريق صار ابا عُذره[6]؛ فانّ سعادة الرجل كانت اكبر من شعره . وعلى الحقيقة، فانه خاتم الشعراء،

---

١ الإغراب: الإتيان بغريب الكلام ونوادره . ٢ الأضراب جمع ضرب وهو الشبيه .
٣ تأثّم الرجلُ: تاب عن الإثم . ٤ تلثّم: شدّ اللثام على فمه؛ وهنا تخوّف وتخفّى .
٥ فرّط: قصّر . ٦ يقال: هو ابو عُذر هذا الكلام: اي هو اوّل من اخترعه .

رمها وُصف فهو فوق الوصف، وفوق الإطراء[1] . ولقد صدق في قوله من ابيات يمدح بها سيف الدولة :

لَا تَطْلُبَنَّ كَرِيماً، بَعْدَ رُؤْيَتِهِ ، إِنَّ ٱلْكِرَامَ بِأَسْخَاهُمْ يَدًا خُتِمُوا
وَلَا تُبَالِ بِشِعْرٍ، بَعْدَ شَاعِرِهِ، قَدْ أُفْسِدَ ٱلْقَوْلُ، حَتَّى أُحْمِدَ ٱلصَّمَمُ[2]

ولما تأملت شعرَه بعين المعدلة البعيدة عن الهوى، وعين المعرفة التي ما ضلّ صاحبها وما غوى، وجدته أقساماً خمسة : خُمس في الغاية التي انفرد بها دون غيره، وخمس من جيد الشعر الذي يساويه فيه غيره ، وخمس من متوسط الشعر، وخمس دون ذلك، وخمس في الغاية المتقهقرة التي لا يعبأ بها، وعدمها خيرٌ من وجودها . ولو لم يقلها ابو الطيب، لوقاه الله شرّها . فانها هي التي ألبسته لباس الملام، وجعلت عرضه شارة[3] لسهام الأقوام .

ولسائل ههنا ان يسأل ويقول : لم عدلت الى شعر هؤلاء الثلاثة دون غيرهم ؟ فاقول : اني لم اعدل اليهم اتفاقاً ، وانما عدلت اليهم نظراً واجتهاداً . وذلك اني وقفت على اشعار الشعراء ، قديمها وحديثها، حتى لم اترك ديواناً لشاعر مُفلق[4]، يثبت شعره على المحكّ ، إلّا وعرضته على نظري ؛ فلم أجد اجمعَ من ديوان ابي تمام وابي الطيب المعاني الدقيقة ، ولا اكثر استخراجاً منهما للطيف الاغراض والمقاصد ؛ ولم اجد احسن تهذيباً للألفاظ من ابي عُبادة ، ولا أنقش ديباجةً ولا ابهج سبكاً . فاخترت حينئذ دواوينهم، لاشتمالها على محاسن الطرفين من المعاني والالفاظ ؛ ولمّا حفظتها ، ألغيت ما سواها ، مع ما بقي على خاطري من غيرها .

---

١ الإطراء : المبالغة في المدح . ٢ البيتان من قصيدة للمتني في مـدح سيف الدولة مطلعها :

عُقبى اليَمينِ على عُقبى الوغى ندَمُ ماذا يَزيدك في إقدامـك القسَمُ

يريد الشاعر في البيتين أن لا كريم بعد سيف الدولة، فإنه خاتمة الكرام لانـه أسخاهم يداً وأن لا شاعر بعد المتني نفسه ، فقد فسد قول الشعر حتى استُحِبّ في جنبـه الصَّمَم تفادياً من سماعه .
٣ الشارة : الهدَف . ٤ الشاعر المُفلِق : الحاذق الذي يأتي بالعجيب .

ميزة نقده : تغلب في كتاب المثل السائر النزعة البلاغية النظرية، نزعة التعليم والتفنين. وتظهر فيه روح فلسفية تتحرّى المنطق والتقسيم وتورد الأدلّة والشواهد وتعتمد اساليب الجدل؛ وروح تعليمية تتحرّى الوضوح والسهولة والاسهاب في التفصيل والتبيين؛ وروح ادّعاء ومباهاة تُكثر التحدُّث عن النفس، وتشمخ فوق كل كاتب واديب .

التّاريخ والجغرافيَة

الطبريّ (٩٢٣ م/٣١٠ هـ)

[ابو جعفر الطبري عالم من علماء الدين وإمام من ائمّة البلاغـة . له مؤلّفات عدّة من اشهرها كتاب في التاريخ عنوانه « اخبار الرُسل والملوك » نورد منـه ما يلي :]

٢٧٢ خلافة الأمين

وفي هذه السنة (١٩٣ هـ) بويعَ لمحمد الأمين بن هارون بالخلافة في عسكر الرشيد، وعبد الله بن هارون المأمون يومئذٍ بمرو ؛ وكان فيما ذكر قد كتب حمويه مولى المهدي صاحب البريد بطوس الى ابي مسلم سلّام مولاه وخليفته ببغداد على البريد والاخبار يعلمه وفاة الرشيد . فدخل على محمد فعزّاه وهنّأه بالخلافة . وكان أوّل الناس فعل ذلك . ثم قدم عليه رجاء الخادم يوم الاربعاء لأربع عشرة ليلة خلت من جمادى الآخرة : كان صالح بن الرشيد أرسله اليه بالخبر بذلك ، وقيل ليلة الخميس للنصف من جمادى الآخرة ، فأظهر يوم الجمعة وستر خبره بقيـة

يومه وليلته، وخاض الناس في أمره؛ ولمّا قدم كتاب صالح على محمد الأمين مع رجاء الخادم بوفاة الرشيد، وكان نازلًا في قصره بالخلد، تحوّل الى قصر ابي جعفر بالمدينة، وأمر الناس بالحضور ليوم الجمعة فحضروا وصلى بهم، فلما قضى صلاته صعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ونعى الرشيد الى الناس وعزّى نفسه والناس، ووعدهم خيراً، وبسط الآمال، وآمن الأسود والأبيض، وبايعه جلة أهل بيته وخاصّته ومواليه وقوّاده، ثم دخل ووكل بيعته على من بقي منهم عم أبيه سليمان ابن ابي جعفر، فبايعهم، وأمر السنديّ بمبايعة جميع الناس من القوّاد وسائر الجند، وأمر الجند ممن بمدينة السلام برزق اربعة وعشرين شهراً، ولخواصّ من كانت له خاصة لهذه الشهور.

المسعوديّ (٩٥٧ م/٣٤٦ ﻫ)

[هو الرحالة الذي طاف الهند والصين ومدغشكر ومصر والسودان والشام وآسية الصغرى، وكتب في الجغرافية والتاريخ ولكنه جمع بين الغثّ والسمين، ولم يستقص البحث عمّا سمع ورأى، ولم يسعَ وراء المصادر الاولية، بل اكتفى بالمعلومات السطحية، ولم يتحفظ من الخرافات والاساطير.]

٢٧٣ شكل البحار

وقد تُنوزع في شكل البحار فذهب الاكثر من الفلاسفة المتقدّمين من الهند وحكماء اليونانيين — الا من خالفهم وذهب الى قول الشرعيين — أن البحر مستدير على مواضع الارض، واستدلوا على صحة ذلك بدلائل كثيرة، منها أنك اذا لججت فيه غابت عنك الارض والجبال شيئاً بعد شيء حتى يغيب ذلك كله، ولا ترى

شيئاً من شوامخ الجبال، واذا اقبلت ايضاً نحو الساحل ظهرت تلك الجبال شيئاً بعد شيء، و(اذا قربت من الساحل) ظهرت الاشجار والارض .

وهذا جبل دُنباوَند بين بلاد الرّي وطبرستان يُرى من مئة فرسخ لعلوّه وذهابه في الجو، ويرتفع في اعاليه الدخان، والثلوج مترادفة عليه غير خالية من اعاليه، ويخرج من اسفله نهر كثير الماء أصفر كبريتي ذهبيّ اللون، مسافة الصعود اليه في نحو ثلاثة ايام بلياليها ؛ وإنّ من علاه وصار في قلته وجد مساحة رأس القلة نحو الف ذراع في مثل ذلك، وهي ترى في رأي العين من اسفل نحو القبة المنخرطة وان في هذه المساحة في اعاليه رملاً أحمر تغوص فيه الاقدام، وانّ هذه القبة لا يلحقها شيء من الوحوش ولا من الطير، لشدّة الرياح وسموّها في الهواء، وشدّة البرد، وان في اعاليه نحواً من ثلاثين ثقباً يخرج منها الدخان الكبريتي العظيم، ويخرج مع ذلك من هذه المخارق مع الدخان دويّ عظيم كاشدّ ما يكون من الرعد، وذلك صوت تلهب النيران، وربّما يحمل من غرّر بنفسه وصعد الى أعاليه من أفواه هذه الثقوب كبريتاً أصفر كأنه الذهب يقع في أنواع الصنعة والكيمياء وغير ذلك من الوجوه، وان من علاه يرى ما حوله من الجبال الشامخة كأنها روابٍ وتلال لعلوّه عليها ؛ وبين هذا الجبل وبحر طبرستان في المسافة نحو من عشرين فرسخاً ؛ والمركب اذا لجت في هذا البحر غاب عنها جبل دنباوند فلم يره احد ، فاذا صاروا في هذا البحر على نحو مائة فرسخ ودنوا من جبال طبرستان رأوا اليسير من أعالي هذا الجبل، فكلما قربوا من هذا الساحل ظهر لهم، وهذا دليل على ما ذهبوا اليه من كروية ماء البحر، وانه مستدير الشكل .

(مروج الذهب)

٢٧٤ النيل

رأيت في جغرافية النيل مصوّراً ظاهراً من تحت جبل القمر، ومنبعه ومبدأ ظهوره من اثنتي عشرة عيناً، فتصبُّ تلك المياه الى بحرين هناك كالبطائح، ثم يجتمع

الماء جارياً فيمرّ برمال هناك وجبال، ويخترق أرضَ السودان مما يلي بلاد الزّنج فيتشعب منه خليج ينصبّ الى بحر الزّنج، وهو بحر جزيرة قنبلو، وهي جزيرة عامرة فيها قوم من المسلمين، الا أنّ لغتهم زنجية: غلبوا على هذه الجزيرة وسبوا من كان فيها من الزنج، كغلبة المسلمين على جزيرة اقريطش في البحر الرومي، وذلك في مبدإ الدولة العباسية وتقضي الامويّة، ومنها الى عمان في البحر نحو من خمسمائة فرسخ على ما يقول البحريّون حزراً منهم لذلك لا على طريق التحصيل والمساحة، وذكر جماعة من نواخذة[1] هذا البحر من السيرافيين والعمانيين وهم ارباب المراكب أنهم يشاهدون في هذا البحر – في الوقت الذي تكثر فيه زيادة النيل بمصر أو قبل الأوان بمدةٍ يسيرة – ماء يخترق هذا البحر ويشقه من شدّة جريانه، يخرج من جبال الزنج، عرضه اكثر من ميل عذباً حلواً، يتكدّر في إبّان الزيادة بمصر وصعيدها، فيها الشوهمان، وهو التمساح الكائن في نيل مصر، ويسمى أيضاً الورل.

وقد زعم عمرو بن بحر الجاحظ أن نهر مهران الذي هو نهر السند من نيل مصر، ويستدل على انه من النيل بوجود التماسيح فيه، فلست أدري كيف وقع له هذا الدليل، وذكر ذلك في كتابه المترجم بكتاب الامصار وعجائب البلدان، وهو كتاب في نهاية الغثاثة لان الرجل لم يسلك البحار، ولا أكثرَ الاسفار، ولا تقرّى المسالك والامصار (وانما كان حاطب ليل، ينقل من كتب الورّاقين) ولم يعلم أن نهر مهران السند يخرج من أعين مشهورة من أعالي بلاد السند من أرض القنوج من مملكة بؤورة وأرض قشمير والقندهار والطافر حتى ينتهي الى بلاد المولتان، ومن هناك يسمى مهران الذهب، وتفسير المولتان فرج الذهب، وصاحب مملكة بلد المولتان رجل من قريش من ولد سامة بن لؤي بن غالب، والقوافل منه الى خراسان متصلة، وكذلك صاحب مملكة المنصورة رجل من قريش من ولد هبّار بن الاسود، والملك في هؤلاء وملك صاحب المولتان متوارثان قديماً من صدر

---

١ النواخذة: ملاك سفن البحر او وكلاؤهم.

الاسلام ؛ ثم ينتهي نهر مهران الى بلاد المنصورة ويصب نحو بلاد الديبل في بحر الهند، والتماسيح كثيرة في أجواف هذا البحر، وفي خليج ميدليون من مملكة ياغر من أرض الهند وخلجان الزانج من بحر مملكة المهراج ، وكذلك في خلجان الاغياب ، وهي أغياب تلي جزيرة سرنديب والاغلب على التماسيح كونها في الماء العذب ، وما ذكرنا من خلجانات الهند فالأغلب من أمواهها أن تكون عذبة لصب مياه الامطار اليها .

فلنرجع الآن الى الاخبار عن نيل مصر ، فنقول : ان الذي ذكرته الحكماء انه يجري على وجه الارض تسعمائة فرسخ ، وقيل : ألف فرسخ في عامر وغير عامر ، حتى يأتي أسوان من صعيد مصر ، والى هذا الموضع تصعد المراكب من فسطاط مصر وعلى اميال من اسوان جبال واحجار يجري النيل في وسطها ، ولا سبيل الى جريان السفن فيه هناك ، وهذه الجبال والمواضع فارقة بين مواضع سفن الحبشة في النيل وبين سفن المسلمين ، ويعرف هذا الموضع من النيل بالجندال والصخور ، ثم يأتي النيل الفسطاط وقد قطع الصعيد ومر بجبل الطيلمون وحجر اللاهون من بلاد الفيوم ، وهو الموضع المعروف بالجزيرة التي اتخذها يوسف النبي صلى الله عليه وسلم وطناً فيقطعه ، وسنذكر فيما يرد من هذا الكتاب أخبار مصر (والفيوم) وضياعها وكيفية فعل يوسف عليه الصلاة والسلام في مائها ، ثم يمضي جارياً فينقسم خلجانات الى بلاد تنيس ودمياط ورشيد والاسكندرية ، (كلٌّ) يصب الى البحر الرومي ، وقد احدث فيه بحيرات في هذه المواضع ، وقد كان النيل انقطع عن بلاد الاسكندرية قبل هذه الزيادة التي زادها في هذه السنة ، وهي سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة ، ونمى اليَّ وانا بمدينة انطاكية والثغر الشامي ان النيل زاد في هذه السنة ثمانية عشر ذراعاً فلست ادري أفي هذه الزيادة دخل خليج الاسكندرية أم لا ، وقد كان الاسكندر ابن فيلبس المقدوني بنى الاسكندرية على هذا الخليج من النيل ، وكان يتفجر اليه معظم ماء النيل ، ويسقي (بلاد) الاسكندرية وبلاد مريوط ، وكان بلاد مريوط هذا في نهاية العمارة والجنان متصلة بأرض برقة من بلاد المغرب ، وكانت السفن

تجـري في النيل فتتصل باسواق الاسكندرية، وقد بلط ارض نيلها في المدينة بالرخام والمرمر .

(مروج الذهب)

٢٧٥ اردشير بن بابك

كان اول من نسب اليه ملوكهم (الساسانية) على حسب ما قدَّمنا في الباب الذي قبل هذا أردشير بن بابك شاه بن ساسان بن بابك بن ساسان بن بهاوند بن دارا بن ساسان بن بهمن بن اسفنديار بن يستاسف بن بهراسف ولا خلاف بينهم في ان أردشير من مولد منوشهر، وكان مما حفظ من قوله يوم ملك وقتل اردوان وفرغ من ملوك الطوائف ووضع التاج على رأسه ان قال : الحمد لله الذي خصنا بنعمه، وشملنا بفوائده وقسمه، ومهد لنا البلاد، وقاد الى طاعتنا العباد، نحمده حمد من عرف فضل ما آتاه، ونشكره شكر الداري بما منحه واصطفاه، ألا وانَّا ساعون في اقامة العدل، وإدرار الفضل، وتشييد المآثر، وعمارة البلاد، والرأفة بالعباد، ورمّ اقطار المملكة، ورد ما انخرم في سائر الايام منها، فليسكن طائركم، ايها الناس، فاني أعمُّ بالعدل القويَّ والضعيفَ، والدنيَّ والشريف، واجعل العدل سنَّةً محمودة، وشريعة مقصودة، وستردّون في سيرتنا الى ما تحمدوننا عليه، وتصدق افعالنا أقوالنا، ان شاء الله تعالى، والسلام .

قال المسعودي : وأردشير بن بابك المتقدِّم في ترتيب طبقات القدماء، وبـه اقتدى المتأخرون من الملوك والخلفاء، وكان يرى ان ذلك من السياسة، ومما يدعم عمود الرياسة، فكانت طبقات خاصته ثلاثاً : الاولى الاساورة وابناء الملوك، وكان مجلس هـذه الطبقة عن يمين الملك، على نحو من عشرة اذرع، وهم بطانة الملك وندماؤه ومحدثوه من اهل الشرف والعلم، وكانت الطبقة الثانية على مقدار عشرة اذرع من الاولى، وهم وجـوه المرازبة وملوك الكور والمقيمون بباب اردشير، الاصبهذية ممن كانت مملكة الكور في أيامه ؛ والطبقة الثالثة كانت رتبتها على

قدر عشرة أذرع من حد مرتبة الطبقة الثانية، وأهل هذه الطبقة المضحكون واهل البطالة والهزل، غير انه لم يكن في هذه الطبقة الثالثة خسيس الاصل، ولا وضيع القدر . . .

ورتب اردشير المراتب فجعلها سبعة افواج : فأولها الوزراء، ثم الموبذان، وهو القائم بامور الدين، وهو قاضي القضاة، وهو رئيس الموبذة، ومعناها القوّام بامور الدين في سائر المملكة، والقضاة المنصوبون للاحكام، وجعل الاصبهذيين اربعة : الاول بخراسان، والثاني بالمغرب، والثالث ببلاد الجنوب، والرابع ببلاد الشمال، فهؤلاء الاربعة هم اصحاب تدبير الملك، كل واحد منهم قد افرد بتدبير جزء من اجزاء المملكة، فكل واحـد منهم صاحب ربع منها، ولكل واحد من هؤلاء مرزبان، وهم خلفاء هؤلاء الاربعة . ورتب اردشير الطبقات الاربعة من اصحاب التدبير ومن اليهم ازمة الملك . . . ثم رتب طبقات المغنين وسائر المطربين وذوي الصنعة بالموسيقى .

وقد كانت ملوك الاعاجم كلها من عهد أردشير تحتجب عن الندماء، وكان بين الملك وبين اول الطبقات عشرون ذراعاً، لان الستارة التي على الملك تكون منه على عشرة أذرع، ومن الطبقة الاولى على عشرة أذرع، وكان الموكل بالستارة رجلاً من ابنـاء الاساورة يقال له خرم باش، فاذا غاب هذا الرجل وكل بها آخر من ابناء الاساورة وذوي التحصيل، وسمي بهذا الاسم، وهـذا الاسم عام لمن رتب في هذه المرتبة ووقف هذا الموقف، وتفسير ذلك كن فرحاً مسروراً، وكان خرم باش هذا اذا جلس الملك لندمائه ومعاقريه أمر رجلاً ان يرتفع على أرفع مكان في دار الملك، فيرفع عقيرته ويغرّد بصوت رفيع يسمعه كل من حضر، فيقول : يا لسان احفظ رأسك، فانـك تجالس في هذا اليوم الملك، ثم ينزل، وكان ذلك فعلهم في يوم جلوس الملك للهوه وطربه، فيأخذ الندماء مراتبهم خافتة اصواتها، غير مشيرة بشيء من جوارحها، حتى يطلع الموكل بالستارة، فيقول : غنّ انت يا فلان كذا وكذا، واضرب انت يا فلان كذا وكذا، من طريقة كذا وكذا،

من طرائق الموسيقى، وقد كانت الاوائل من بني أمية لا تظهر للندماء، وكذلك الاوائل من خلفاء بني العباس .

وكوّر أردشير بن بابك كوراً، ومدّن مدناً، وله عهد في أيدي الناس .

ولما خلا من ملكه اربع عشرة سنة، وقيل : خمس عشرة سنة، واستقامت له الارض، ومهدها، وصال على الملوك فانقادت الى طاعته، زهد في الدنيا، فآثر التفرد عن المملكة، والترك لها، واللحاق ببيوت النيران، والانفراد بعبادة الرحمن، والانس بالوحدة، فنصب ابنه (سابور) لمملكته، وتوجه بتاجه، وذلك انه رآه أرجح ولده حلماً، واكملهم علماً، واشدّهم بأساً، واجزلهم مراساً، فعاش بعد ذلك في حال تزهده، وخلوه بربه، وكونه في بيوت النيران سنة، وقيل: شهراً، وقيل اكثر مما ذكرنا .

وأقام أردشير اثنتي عشرة سنة يحارب ملوك الطوائف : فمنهم من يكاتبه فينقاد الى ملكه رهبة من صولته، ومنهم من يمتنع عليه فيسير الى داره ويأتي عليه، وكان آخر من قتل منهم ملكاً للنبط بناحية سواد العراق اسمه بابا بن بردينا صاحب قصر ابن هبيرة، ثم أردوان الملك، وفي هذا اليوم سمي شاهنشاه، وهو ملك الملوك .

(مروج الذهب)

العهد العباسي

٢

العهد العباسي في الغرب

الأدب الأندلسي

(٧١٠ – ١٤٩٢ م/ ٩١– ٨٩٧ هـ)

المُوشَّحات

٢٧٦ هل درى ظبي الحمى

[هذا الموشّح من نظم ابراهيم بن سهل الاندلسيّ .]

هَل دَرَى ظَبْيُ ٱلْحِمَى أَنْ قَدْ حَمَى   قَلْبَ صَبٍّ حَلَّهُ عَنْ مَكْنَسِ [١]
فَهْوَ فِي حَرٍّ وَخَفْقٍ مِثْلَمَا   لَعِبَتْ رِيحُ ٱلصَّبَا بِٱلْقَبَسِ [٢]

. . .

يَا بُدُورًا أَطْلَعَتْ يَوْمَ ٱلنَّوَى   غُرَرًا تَسْلُكُ فِي نَهْجِ ٱلْغَرَرْ [٣]
مَا لِقَلْبِي فِي ٱلْهَوَى ذَنْبٌ سِوَى   مِنْكُمُ ٱلْحُسْنُ وَمِنْ عَيْنِي ٱلنَّظَرْ
أَجْتَنِي ٱللَّذَّاتِ مَكْلُومَ ٱلْجَوَى   وَٱلتِّذَاذِي مِنْ حَبِيبِي بِٱلْفِكَرْ [٤]

. . .

كُلَّمَا أَشْكُوهُ، وَجْدًا بَسَمَا   كَٱلرُّبَى بِٱلْعَارِضِ ٱلْمُنْبَجِسِ [٥]
إِذْ يُقِيمُ ٱلْقَطْرُ فِيهَا مَأْتَمَا   وَهْيَ مِنْ بَهْجَتِهَا فِي عُرُسِ [٦]

. . .

١ حمى الحِمى : حماه ودافع عنه، اي ان الحبيب وكنى عنه بالظبي قد استقلّ بقلبه . الصبّ : المحِبّ . المكنس : مأوى الظبي . ٢ القبس : جذوة النار الملتهبة . ٣ الغُرر جمع غُرّة : طلعة الوجه وإشراقه . الغَرَر : التغرير بالنفس للتهلكة . ٤ مكلوم : مجروح . الجوى : شدّة الشوق . ٥ وجداً : شوقاً . الربى جمع راية وهي التلة المرتفعة . العارض : السحاب الممطر . المنبجس : المتفجّر ماءً . ٦ القَطر : المطر . المأتم : البكاء على الميت واستعير هنا للمطر بجامع الدمع المتساقط على الميت حزناً .

غَالِبٌ لِي غَالِبٌ بِالتُّؤَدَهْ بِأَبِي أَفْدِيهِ مِنْ جافٍ رَقِيقْ [١]
مَا رَأَيْنَا مِثْلَ ثَغْرٍ نَضَّدَهْ أُقْحُوَانًا عُصِرَتْ مِنْهُ رَحِيقْ [٢]
أَخَذَتْ عَيْنَاهُ، مِنهُ، ٱلْعَرْبَدَهْ وَفُؤَادِي سُكْرُهُ مَا إِنْ يُفِيقْ

. . .

فَاحِمُ ٱلْجُمَّةِ، مَغْسُولُ ٱللَّمَى أَكْحَلُ ٱللَّحْظِ شَهِيُّ ٱللَّعَسِ [٣]
وَجْهُهُ يَتْلُو ٱلضُّحَى مُبْتَسِماً وَهْوَ مِنْ إِعْرَاضِهِ فِي عَبَسِ [٤]

. . .

أَيُّهَا ٱلسَّائِلُ عَنْ ذُلِّي لَدَيْهِ لِيَ يُجْنَى ٱلذَّنْبُ وَهْوَ ٱلْمُذْنِبُ
أَخَذَتْ شَمْسُ ٱلضُّحَى مِنْ وَجْنَتَيْهِ مُشْرِقًا لِلصَّبِّ فِيهِ مَغْرِبُ
ذَهَبَتْ أَدْمُعُ أَجْفَانِي عَلَيْهِ وَلَهُ خَدٌّ بِلَحْظِي مُذْهَبُ [٥]

يَطْلُعُ ٱلْبَدْرُ عَلَيْهِ كُلَّمَا لَاحَظَتْهُ مُقْلَتِي فِي ٱلْخُلَسِ [٦]
لَيْتَ شِعْرِي أَيُّ شَيْءٍ حَرَّمَا ذَلِكَ ٱلْوَرْدَ عَلَى ٱلْمُفْتَرِسِ

. . .

كُلَّمَا أَشْكُو إِلَيْهِ حُرَقِي غَادَرَتْنِي مُقْلَتَاهُ دَنِفَا [٧]
تَرَكَتْ أَلْحَاظُهُ مِنْ رَمَقِي أَثَرَ ٱلنَّمْلِ عَلَى صُمِّ ٱلصَّفَا [٨]
وَأَنَا أَشْكُرُهُ فِيمَا بَقِي لَسْتُ أَلْحَاهُ عَلَى مَا أَتْلَفَا [٩]

---

١ التؤدة : التمهّل ضد العجلة . ٢ الرّحيق : من اسماء الخمرة . ٣ الفاحم : الشديد السواد . الجُمّة : مجتمع شعر الرأس . اللمى : السُّمرة في باطن الشفة . اللّعس : احمرار مستحبّ في الشفة . ٤ الضحى وعبس من سور القرآن وقد ورّى بهما، الضحى : اول الصباح . العَبس : اي العبوس وهو تقطيب ما بين العينين . ٥ بلحظي : بعيني الباصرة . مُذهب : مطلي بالذهب واراد انه مورّد الخدين خجلاً . ٦ مقلتي : عيني . الخُلَس جمع خلسة وهي النهزة والفرصة . ٧ غادرتني : تركتني . الدّنِف : المريض حباً . ٨ رَمَقي : بقية روحي او حياتي . الصمّ : الصلب . الصفا : الصخر . ٩ ألحاه : ألومه .

. . .

فَهوَ عِندِي عَادِلٌ إنْ ظَلَمَا وَعَذُولِي نُطقُهُ كَالْخَرَسِ
لَيسَ لِي فِي ٱلْحُبِّ حُكمٌ بَعْدَمَا حَلَّ مِنْ نَفسِي مَحَلَّ ٱلنَّفَسِ

. . .

مِنهُ لِلنَّارِ بِأَحشَائِي ٱضطِرَامْ يَلتَظِي فِي كُلِّ حِينٍ مَا يَشَا [1]
وَهيَ فِي خَدَّيهِ بَردٌ وَسَلَامْ وَهيَ ضُرٌّ وَحَرِيقٌ فِي ٱلْحَشَا
أَتَّقِي مِنهُ عَلَى حُكمِ ٱلغَرَامْ أَسَدَ ٱلغَابِ وَأَهوَاهُ رَشَا [2]

. . .

قُلتُ لَمَّا أَنْ تَبَدَّى مُعلَمَا وَهوَ مِنْ أَلحَاظِهِ فِي حَرَسِ [3]
أَيُّهَا ٱلْآخِذُ قَلبِي مَغْنَمَا إجعَلِ ٱلوَصلَ مَكَانَ ٱلخُمُسِ [4]

٢٧٧ جادكِ الغيث

[لابن الخطيب يعارض موشّح ابن سهل .]

جَادَكِ ٱلغَيثُ إذَا ٱلغَيثُ هَمَا يَا لَيَالِي ٱلوَصلِ بِٱلأَندَلُسِ [5]
لَمْ يَكُنْ وَصلُكِ إلَّا حُلُمَا فِي ٱلكَرَى أَوْ خِلسَةَ ٱلمُختَلِسِ [6]

. . .

إذْ يَقُودُ ٱلدَّهرُ أَشتَاتَ ٱلمُنَى نَنقُلُ ٱلخَطوَ عَلَى مَا تَرسُمُ [7]

---

١ اضطرام : اشتعـــال . يلتظي : يلتهب . ٢ الرّشأ : الظبي . ٣ تبدّى : ظهر . المُعلَم : المطرّز الثوب . ٤ الخُمُس : ما يصيب القائد من الغنيمة . ٥ جادَكِ : اصابك بجوده . همَا : سقط . الوصل : القرب . ٦ الكرى : النوم . المختلِس : الذي يختلس اي يأخذ ما ليس له في نهزة ومخاتلة . ٧ رَسم له كذا : أمره به والفاعل هنا هو المُنى ؛ ومعنى البيت : اذ كان الدهر يأتينا بالمُنى فنسير بحسب ما تطلبه منّا .

زُمَرًا بَيْنَ فُرَادَى وَثُنَا … مِثْلَمَا يَدْعُو ٱلْحَجِيجَ ٱلْمَوْسِمُ [١]
وَٱلْحَيَا قَدْ جَلَّلَ ٱلرَّوْضَ سَنَا … فَثُغُورُ ٱلزَّهْرِ فِيهِ تَبْسِمُ [٢]
وَرَوَى ٱلنُّعْمَانُ عَنْ مَاءِ ٱلسَّمَا … كَيْفَ يَرْوِي مَالِكٌ عَنْ أَنَسِ [٣]
فَكَسَاهُ ٱلْحُسْنُ ثَوْبًا مُعْلَمَا … يَزْدَهِي مِنْهُ بِأَبْهَى مَلْبَسِ [٤]

. . .

فِي لَيَالٍ كَتَمَتْ سِرَّ ٱلْهَوَى … بِٱلدُّجَى لَوْلَا شُمُوسُ ٱلْغُرَرِ [٥]
مَالَ نَجْمُ ٱلْكَأْسِ فِيهَا وَهَوَى … مُسْتَقِيمَ ٱلسَّيْرِ سَعْدَ ٱلْأَثَرِ
وَطَرٌ مَا فِيهِ مِنْ عَيْبٍ سِوَى … أَنَّهُ مَرَّ كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ
حِينَ لَذَّ ٱلنَّوْمُ شَيْئًا أَوْ كَمَا … هَجَمَ ٱلصُّبْحُ هُجُومَ ٱلْحَرَسِ
غَارَتِ ٱلشُّهْبُ بِنَا أَوْ رُبَّمَا … أَثَّرَتْ فِينَا عُيُونُ ٱلنَّرْجِسِ [٦]

. . .

أَيُّ شَيْءٍ لِٱمْرِئٍ قَدْ خَلَصَا … فَيَكُونَ ٱلرَّوْضُ قَدْ مُكِّنَ فِيهْ [٧]
تَنْهَبُ ٱلْأَزْهَارُ فِيهِ ٱلْفُرَصَا … أَمِنَتْ مِنْ مَكْرِهِ مَا تَتَّقِيهْ
فَإِذَا ٱلْمَاءُ تَنَاجَى وَٱلْحَصَى … وَخَلَا كُلُّ خَلِيلٍ بِأَخِيهْ
تُبْصِرُ ٱلْوَرْدَ غَيُورًا بَرِمَا … يَكْتَسِي مِنْ غَيْظِهِ مَا يَكْتَسِي [٨]
وَتَرَى ٱلْآسَ لَبِيبًا فَهِمَا … يَسْرِقُ ٱلسَّمْعَ بِأُذْنَيْ فَرَسِ [٩]

---

١ الزُّمر جمع زُمرة وهي الجماعة، نصبت على الحال. الحجيج: الجماعة الذين يقصدون الحجّ. ٢ الموسِم: مجتمع الناس وقد استُعمل للدلالة على وقت اجتماع الحجّاج وسوقهم في مكّة. الحيا: المطر. ٣ النعمان: ملك الحيرة، واراد زهر شقائق النعمان. ماء السما: ام المنذر وجدّة النعمان واراد المطر وفي البيت تورية فقد ورّى بالبعيد واراد القريب كما ترى. مالك، امام المدينة واحد الائمة الاربعة من اصحاب المذاهب الاسلامية السنية. أنس والده: وقد اراد رواية مالك عن ابيه رواية صدق ومثلها رواية الشقيق عن المطر، وقد ظهر صدق الرواية في الزهر وحسن منظره. ٤ الثوب المعلَم: المطرّز. ٥ الغُرر جمع غُرّة وهي الطلعة الحسنة في الوجه اي اشراقه. ٦ الشهب: النجوم. ٧ اي ان الروض حاصلٌ على كل ما خَلَص عند البشر. ٨ البرم: السآمة والضجر. ٩ الآس: حبّ ابيض يعرف «بالحنبلاس».

...

يَا أُهَيْلَ ٱلْحَيِّ مِنْ وَادِي ٱلْغَضَا   وَبِقَلْبِي مَسْكَنٌ أَنْتُمْ بِهِ [١]
ضَاقَ عَنْ وَجْدِي بِكُمْ رَحْبُ ٱلْفَضَا   لَا أُبَالِي شَرْقَهُ مِنْ غَرْبِهِ
فَأَعِيدُوا عَهْدَ أُنْسٍ قَدْ مَضَى   تُعْتِقُوا عَبْدَكُمْ مِنْ كَرْبِهِ
وَٱتَّقُوا ٱللهَ وَأَحْيُوا مُغْرَمَا   يَتَلَاشَى نَفَساً فِي نَفَسِ
حَبَسَ ٱلْقَلْبَ عَلَيْكُمْ كَرَمَا   أَفَتَرْضَوْنَ عَفَاءَ ٱلْحُبُسِ [٢]

...

وَبِقَلْبِي مِنْكُمُ مُقْتَرِبُ   بِأَحَادِيثِ ٱلْمُنَى وَهْوَ بَعِيدْ
قَمَرٌ أَطْلَعَ مِنْهُ ٱلْمَغْرِبُ   شِقْوَةَ ٱلْمُضْنَى بِهِ وَهْوَ سَعِيدْ
قَدْ تَسَاوَى مُحْسِنٌ أَوْ مُذْنِبُ   فِي هَوَاهُ بَيْنَ وَعْدٍ وَوَعِيدْ
أَحْوَرُ ٱلْمُقْلَةِ مَعْسُولُ ٱللَّمَى   جَالَ فِي ٱلنَّفْسِ مَجَالَ ٱلنَّفَسِ
سَدَّدَ ٱلسَّهْمَ فَأَصْمَى إِذْ رَمَى   بِفُؤَادِي نَبْلَةَ ٱلْمُفْتَرِسِ [٣]

...

مَا لِقَلْبِي كُلَّمَا هَبَّتْ صَبَا   عَادَهُ عِيدٌ مِنَ ٱلشَّوْقِ جَدِيدْ
جَلَبَ ٱلْهَمَّ لَهُ وَٱلْوَصَبَا   فَهْوَ لِلْأَشْجَانِ فِي جُهْدٍ جَهِيدْ [٤]
كَانَ فِي ٱللَّوْحِ لَهُ مُكْتَتَبَا   قَوْلُهُ: «إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدْ» [٥]
لَاعِجٌ فِي أَضْلُعِي قَدْ أُضْرِمَا   فَهْيَ نَارٌ فِي هَشِيمِ ٱلْيَبَسِ [٦]
لَمْ يَدَعْ فِي مُهْجَتِي إِلَّا ذَمَا   كَبَقَاءِ ٱلصُّبْحِ بَعْدَ ٱلْغَلَسِ [٧]

---

١ وادي الغضا: وادٍ يكثر فيه شجر الغضا. ٢ العفاء: الهلاك. الحُبُس جمع حبيس وهو كل ما حُبس بوجه من الوجوه يقع على كل شيء، وقفه صاحبه وقفاً محرّماً. ٣ أصمى: اصاب المرمى. النبلة: السهم المنطلق عن القوس. ٤ الوصب: التعب والهمّ. الاشجان: الاحزان. ٥ اللوح: ما يكتب به الله ما يصيب الانسان اي قضاؤه. ٦ اللاعج: الاحتراق في الصدر. أضرم: أشعل. الهشيم: العشب اليابس. ٧ الذماء: بقية الروح. الغلس: ظلمة آخر الليل اذا اختلطت بضوء الصباح.

٢٧٨ ايها الساقي

[قد اختلف في صاحب هذا الموشّح فمنهم مَن نسبه الى ابن المعتز ومنهم مَن قال انه للحفيد بن زُهر والمرجَّح انه لابن زهر :]

أيُّهَا ٱلسَّاقِي إِلَيْكَ ٱلْمُشْتَكَى   قَدْ دَعَوْنَاكَ وَإِنْ لَمْ تَسْمَعِ

. . .

وَنَدِيمٍ هِمْتُ فِي غُرَّتِهِ   وَبِشُرْبِ ٱلرَّاحِ مِنْ رَاحَتِهِ [1]
كُلَّمَا ٱسْتَيْقَظَ مِنْ سَكْرَتِهِ   جَذَبَ ٱلزِّقَّ إِلَيْهِ وَٱتَّكَا [2]
وَسَقَانِي أَرْبَعًا فِي أَرْبَعِ [3]

. . .

مَا لِعَيْنِي عَشِيَتْ بِٱلنَّظَرِ   أَنْكَرَتْ بَعْدَكَ ضَوْءَ ٱلْقَمَرِ [4]
وَإِذَا مَا شِئْتَ فَٱسْمَعْ خَبَرِي   عَشِيَتْ عَيْنَايَ مِنْ طُولِ ٱلْبُكَا
وَبَكَى بَعْضِي عَلَى بَعْضِي مَعِي

. . .

غُصْنُ بَانٍ مَالَ مِنْ حَيْثُ ٱسْتَوَى   بَاتَ مَنْ يَهْوَاهُ مِنْ فَرْطِ ٱلْجَوَى [5]
خَفِقَ ٱلْأَحْشَاءِ مَوْهُونَ ٱلْقُوَى   كُلَّمَا فَكَّرَ بِٱلْبَيْنِ بَكَى [6]
وَيْحَهُ يَبْكِي لِمَا لَمْ يَقَعِ

. . .

١ الراح : من اسماء الخمرة . راحته : كفّه . ٢ الزِق : وعاء الخمر . ٣ وسقاني اربعاً : اي اربع كؤوس . ٤ عشيت : ساء بصرها . ٥ الجوى : الحرقة وشدّة الوجد من عشق او حزن . موهون : ضعيف . ٦ البين : البعد .

لَيسَ لِي صَبْرٌ وَلَا لِي جَلَدُ يَا لَقَوْمِي عَذَلُوا وَٱجْتَهَدُوا [١]
أَنْكَرُوا شَكْوَايَ مِمَّا أَجِدُ مِثْلُ حَالِي حَقُّهُ أَنْ يُشْتَكَى
كَمَدُ ٱلْيَأْسِ وَذُلُّ ٱلطَّمَعِ

. . .

كَبِدِي حَرَّى وَدَمْعِي يَكِفُ [٢] يَعْرِفُ ٱلذَّنْبَ وَلَا يَعْتَرِفُ
أَيُّهَا ٱلْمُعْرِضُ عَمَّا أَصِفُ قَدْ نَمَا حُبِّي بِقَلْبِي وَزَكَا [٣]
لَا تَخَلْ فِي ٱلْحُبِّ أَنِّي مُدَّعِ

٢٧٩ قلب كواه تنفس الصعدا . . .

قَلْبٌ كَوَاهُ تَنَفُّسُ ٱلصُّعَدَا، وَنَاظِرٌ، مُذْ غَابَ، مَا رَقَدَا أَصْلَا .
كَمْ أُنْكِرُ ٱلْوَجْدَ فِيكَ وَٱلْكَلَفَا، وَمَدْمَعِي بِٱلْهَوَى قَدِ ٱعْتَرَفَا،
وَا أَسَفِي ! مُتُّ، بَعْدَكُمْ، أَسَفَا !

هَلْ يُنْجِزُ ٱلدَّهْرُ مَا بِهِ وَعَدَا، وَيَجْمَعُ ٱللّٰهُ بِٱلَّذِي بَعُدَا شَمْلَا ؟
قَنِعْتُ بِٱلطَّيْفِ مِنْكَ يَا قَمَرِي، فَحَالَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ سَهَرِي،
وَمُهْجَتِي مُذْ غِبْتَ عَنْ نَظَرِي،

قَدْ فَارَقَتْ مِنْ فِرَاقِكَ ٱلْجَسَدَا، وَأَقْسَمَتْ لَا تَعُودُهُ أَبَدَا، إِلَّا . . .
تُرَى تَعُودُ ٱلْحَيَاةُ فِي جَسَدِي حَتَّى أُدَاوِي بِقُرْبِكُمْ كَبِدِي !
وَإِنْ أُمُتْ مِنْ جَفَاكَ، قَبْلَ غَدِ

يَفْدِيكَ مَنْ مَاتَ فِيكُمُ كَمَدَا ! فَهَلْ رَضِيتُمْ بِهِ يَكُونُ فِدَا، أَمْ لَا ؟

---

١ الجلد: الصبر . أجِدُ: أحبّ . ٢ يكف: فعل مضارع ماضيه وكف: تساقط .
٣ زكا: نما .

ميزة الموشحات : تمتاز الموشحات برقّة خيالها ، ولطف صوَرها؛ إلّا أنها بسيطة المعاني ضعيفة اللغة، فالشاعر لا يكاد ينظر فيها الّا الى الغُنّة الموسيقية ونعومة الخيال . وهي تُطرب بهذا الوشي الخارجي . وتُذهل السامع عن تقصّي معانيها .

في النثر

ابن عبد ربه (٨٦٠ ـ ٩٤٠ م / ٢٤٦ ـ ٣٢٨ هـ)

[لابن عبد ربّه آثار في الشعر وفي النثر، وأشهرها « العقد الفريد » الذي قال عنه ابن خلكان : « وهو من الكتب الممتعة حوى من كل شيء. » . والكتاب مجموعة ادبية علمية تاريخية ضمّنها المؤلّف جميع ما عرف ورأى في كتب عصره من اخبار العلماء ونوادر الشعراء وآراء الحكماء وسير الملوك والامراء . وهاك نموذجاً من نثره :]

٢٨٠ كرامة العدالة

أتت امرأة يوماً شريكَ بن عبدالله، قاضي الكوفة، وهو في مجلس الحكم فقالت : « انا بالله، ثم بالقاضي . » قال : « من ظلمك ؟ » قالت : « الامير موسى ابن عيسى، عمّ امير المؤمنين! كان لي بستان على شاطئ الفرات، فيه نخل وَرِثته عن أبي؛ وقاسمت إخوتي، وبنيت بيني وبينهم حائطاً، وجعلت فيه رجلاً فارسياً، يحفظ النخل، ويقوم به؛ فاشترى الامير، موسى بن عيسى، من جميع إخوتي، وساومني، ورغّبني، فلم أَبِعه . فلمّا كانت هذه الليلة بعث بخمس مئة غلام وفاعل، فاقتلعوا الحائط؛ فاصبحت لا أعرف من نخلي شيئاً، واختلط بنخل إخوتي . » فقال : « يا غلام! أحضر طينة . » فأحضر، فختمها، وقال : « إمضِ الى بابه ، حتى يحضُرَ معك . »

فأخذها الحاجب، ودخل على موسى، فقال : « قد أعدى[1] القاضي عليك ؛ وهذا ختمه . » فقال : « أدعُ لي صاحب الشرطة . » فدعا به ، فقال : « إمض الى شريك، وقل : « يا سبحان الله ! ما رأيتُ أعجب من أمرك . امرأة ادّعت دعوة لم تصحّ، أعديتها عليّ ؟ » قال صاحب الشرطة : « إن رأى الامير أن يعفيني من ذلك . » فقال : « إمض ويلك ! » فخرج، وقال لغلمانه : « إذهبوا ، واحملوا الى حبس القاضي بساطاً، وفراشاً، وما تدعو الحاجة اليه . » ثم مضى الى شريك . فلما وقف بين يديه أدّى الرسالة، فقال لغلام المجلس : « خذ بيده ، فضعه في الحبس . » فقال صاحب الشرطة : « والله ! قد علمت أنّك تحبسني، فقدّمتُ ما أحتاج اليه في الحبس . »

وبلغ موسى بن عيسى الخبر، فوجّه الحاجب اليه، وقال له : « رسول أدّى رسالة ؛ أي شيء عليه ؟ » فقال شريك : « إذهبوا به الى رفيقه ، الى الحبس . » فحُبس ؛ فلما صلّى الامير موسى العصر بعث الى اسحق بن الصباح الاشعثيّ، والى جماعة من وجوه الكوفة من اصدقاء القاضي شريك، وقال لهم : « أبلغوه السلام، وأعلموه أنّه قد استخفّ بي ، وأني لست كالعامّة . » فمضوا اليه، وهو جالس في مسجده بعد صلاة العصر، فأبلغوه الرسالة . فلما انقضى كلامهم قال لهم : « ما لي أراكم جئتموني في غَمرة[2] من الناس، فكلمتموني ؟ من ههنا من فتيان الحي ؟ » فأجابه جماعة من الفتيان؛ فقال : « ليأخذ كل واحد منكم بيد رجل، فيذهب به الى الحبس؛ ما أنتم الا فتنة، وجزاؤكم الحبس . » قالوا له : « أجادٌّ انت ؟ » قال : « حقاً، حتى لا تعودوا لرسالة ظالم . » فحبسهم ؛ فركب موسى بن عيسى في الليلة الى باب السجن، وفتح الباب، وأخرجهم كلهم .

فلما كان من الغد، وجلس شريك للقضاء، جاءه السجّان، فأخبره ؛ فدعا

---

١ أعداه على عدوّه : نصره وأعانه . ٢ الغَمْرة : المزدحَم .

بالقِمَطْر[1]، لختمه، ووجه به الى منزله، وقال لغلامه : « ألحق بثَقَلي[2] الى بغداد ؛ والله ! ما طلبنا هذا الامر منهم ، ولكن أكرهونا عليه ؛ ولقد ضمنوا لنا فيه الإعزاز، إذ تقلّدناه لهم . » ومضى نحو قنطرة الكوفة الى بغداد ؛ وبلغ الخبر الى موسى بن عيسى، فركب في موكبه، فلحقه، وجعل يناشده الله، ويقول : « يا أبا عبدالله ! تثبّت، انظر اخوانك، أتحبسهم ؟! دع أعواني . » قال : « نعم، لانهم مشوا لك في أمر لم يجز لهم المشي فيه ؛ ولست ببارح، او يُردّوا جميعاً، وإلا مضيت الى امير المؤمنين، المهديّ، فاستعفيته مما قلّدني . » فأمر موسى بردّهم جميعاً الى الحبس، وهو واقف، والله ! مكانه ؛ حتى جاء السجّان فقال : « قد رجعوا جميعاً الى الحبس . » فقال لاعوانه : « خذوا بلجام دابّته بين يديَّ الى مجلس الحكم . » فمرّوا به بين يديه، حتى أُدخل المسجد، وجلس شريك في مجلس القضاء ؛ فجاءت المرأة المتظلّمة، فقال : « هذا خصمك قد حضر . » فقال موسى : — وهو والمرأة بين يديه — : « قبل كل أمر انا قد حضرت ؛ فأولئك يخرجون من الحبس . » فقال شريك : « أما الآن فنعم؛ أخرجوهم من الحبس . » ثم قال : « ما تقول فيما تدّعيه هذه المرأة ؟ » قال : « صدقتْ . » قال : « تردُّ ما أخذتَ منها، وتبني حائطها سريعاً كما كان » .

٢٨١ مقدمة كتاب الاجوبة

هي أصعب الكلام كلّه مركباً، واعزّه مطلباً، وأغمضه[3] مذهباً، وأضيقه مسلكاً، لان صاحبه يعجّل مُناجاة الفكرة، واستعمال القريحة يروم في بديهته نقضَ ما أبرمَ القائل في رويّته[4]، فهو كمن أُخذتْ عليه الفجاجُ[5] وسُدّتْ عليه المخارج، قد اعترض الأسنّة[6] واستهدفَ للمرامي، لا يدري ما يقرع به فيتأهب له، وما

١ القِمَطْر : ما تُصان فيه الكتب . ٢ الثّقل : متاع المسافر وحشمه . ٣ أغمضه : اغفله واغضاه . ٤ الرويّة : النظر والتفكير . ٥ الفجاج : الطريق الواضح بين جبلين .
٦ الاسنة جمع السنان نصل الرمح .

يفجؤه من خصمه فيقرعه بمثله ولاسيا إذا كان القائل قد أخذ بمجامع الكلام، فقاده بزمامه[١] بعد أن روّى فيه واحتفل، وجمع خواطره واجتهد، وترك الرأي يغب حتى يختمر، فقد كرهوا الرأي الفطير[٢]، كما كرهوا الجواب الدبري[٣] فلا يزال في نسج الكلام واستئناسه، حتى اذا اطمأنّ شارده، وسكن نافره، صكّ به خصمه جملةً واحدةً ثم قيل له : أجب ولا تخطئ، وأسرع ولا تبطئ، فتراه بجواب من غير أناة[٤] ولا استعداد، يطبّق المفاصل، وينفذ القاتل، كما يرمى الجندل[٥] بالجندل، ويقرع الحديد بالحديد فيحل عراه، وينقض مرائره، ويكون جوابه على أكثر كلامه كسحابة لبدت عجاجة فلا شيء. أعضل[٦] من الجواب الحاضر، ولا أعزّ من الخصم الألدّ[٧] الذي يقرع صاحبه ويصرع منازعه كمثل النار في الحطب الجزل .

ميزته : مقلّد في نثره وشعره، فاسلوبه في المقدّمات جزل محكم قصير الفقرات ينمّقه السجع عن غير التزام ولا كثرة، فاذا ما بلغ موضوعه اطلق لقلمه العنان فجاء كلامه مرسلاً طبيعياً لا تعمّل فيه ولا زخرف فتقصر جمله وتطول بحسب مقتضى الحال .

---

١ الزمام : ما يزمّ به، وزمام الامر : ملاكه، ويقال : القى في يده زمام الامر : جعل له الرأي فيه يقضي بما يشاء . ٢ الرأي الفطير : الرأي الذي لم يختمر بل يلقى على البديهة بدون رويّة .
٣ الجواب الدبري : الجواب الذي يلقى من وراء الظهر بدون فكر . ٤ أناة : صبر .
٥ الجندل : الصخر . ٦ اعضل : أصعب . ٧ الخصم الألدّ : الشديد العداوة .

سائر الشعر

طور التقليد

ابن هانئ (٩٣٨ _ ٩٧٣ م/٣٢٦ _ ٣٦٢ هـ)

[هو امير شعراء الاندلس في عصره . اتهموه بالكفر لأخذه بمذاهب الفلاسفة وهمّوا به وبالامير . فخرج الى المغرب واتصل بمعزّ الدين الفاطمي فمدحه . ولما فتح القائد جوهر مصر وبنى القاهرة انتقل اليها المعز، وبعد مدّة لحق به الشاعر فمات في الطريق . ابن هانئ مقلّد لا مجدد . تأثر خصوصاً باساليب المتنبي في حكمه وامثاله ووصف الحرب .]

٢٨٢ اما والجواري المنشآت . . .

[قال هذه القصيدة في مدح المعزّ لدين الله الفاطميّ في المغرب ، وجاء على وصف حرّاقاته التي جعلت اسطوله، في ذلك العهد ، اقوى اسطول في البحر الابيض المتوسط .]

أَمَا وَٱلْجَوَارِي ٱلْمُنْشَآتِ ٱلَّتِي سَرَتْ، لَقَدْ ظَاهَرَتْهَا، عُدَّةٌ وَعَدِيدُ ؛[١]

قِبَابٌ، كَمَا تُزْجَى ٱلْقِبَابُ عَلَى ٱلْمَهَا، وَلٰكِنَّ مَنْ ضُمَّتْ عَلَيْهِ أُسُودُ ؛[٢]

---

١ الجواري : السفن . ٢ تزجى : تساق .

عَلَيْهَا غَمَامٌ، مُكْفَهِرٌّ صَبِيرُهُ، لَهُ بَارِقَاتٌ جَمَّةٌ وَرُعُودُ؛ [1]
مَوَاخِرُ فِي طَامِي ٱلْعُبَابِ، كَأَنَّهَا لِعَزْمِكَ بَأْسٌ، أَوْ لِكَفِّكَ جُودُ؛
مِنَ ٱلرَّاسِيَاتِ ٱلشُّمِّ، لَوْلَا ٱنْتِقَالُهَا، فَمِنْهَا قِنَانٌ شُمَّخٌ، وَرُيُودُ؛ [2]
مِنَ ٱلطَّيْرِ، إِلَّا أَنَّهُنَّ جَوَارِحٌ، فَلَيْسَ لَهَا إِلَّا ٱلنُّفُوسَ مَصِيدُ؛
مِنَ ٱلْقَادِحَاتِ ٱلنَّارَ، تُضْرَمُ لِلصِّلَى، فَلَيْسَ، لَهَا يَوْمَ ٱللِّقَاءِ، خُمُودُ؛ [3]
إِذَا زَفَرَتْ غَيْظًا، تَرَامَتْ بِمَارِجٍ، كَمَا شُبَّ مِنْ نَارِ ٱلْجَحِيمِ وُقُودُ! [4]
فَأَفْوَاهُهُنَّ ٱلْحَامِيَاتُ صَوَاعِقٌ، وَأَنْفَاسُهُنَّ ٱلزَّافِرَاتُ حَدِيدُ.
لَهَا شُعَلٌ فَوْقَ ٱلْغِمَارِ، كَأَنَّهَا دِمَاءٌ تَلَقَّتْهَا مَلَاحِفُ سُودُ.
تُعَانِقُ مَوْجَ ٱلْبَحْرِ، حَتَّى كَأَنَّهُ سَلِيطٌ لَهَا، فِيهِ ٱلذُّبَالُ عَتِيدُ. [5]

٢٨٣ كأن الافق سدّ بمثله

[وجه المعز قائده جعفراً لفتح مصر فقال ابن هانئ يمدحه ويذكر توديعه عند خروجه من القيروان ويصف الجيش وخروجه للتشييع :]

رَأَيْتُ بِعَيْنِي فَوْقَ مَا كُنْتُ أَسْمَعُ وَقَدْ رَاعَنِي يَوْمٌ مِنَ ٱلْحَشْرِ أَرْوَعُ [6]
غَدَاةَ كَأَنَّ ٱلْأُفْقَ سُدَّ بِمِثْلِهِ فَعَادَ غُرُوبُ ٱلشَّمْسِ مِنْ حَيْثُ تَطْلُعُ
فَلَمْ أَدْرِ إِذْ سَلَّمْتُ كَيْفَ أُشَيِّعُ وَلَمْ أَدْرِ إِذْ شَيَّعْتُ كَيْفَ أُوَدِّعُ
وَكَيْفَ أَخُوضُ ٱلْجَيْشَ وَٱلْجَيْشُ لُجَّةٌ وَإِنِّي بِمَنْ قَادَ ٱلْجُيُوشَ لَمُولَعُ
فَلَا عَسْكَرٌ مِنْ قَبْلِ عَسْكَرِ جَوْهَرٍ تَخُبُّ ٱلْمَطَايَا فِيهِ عَشْرًا وَتُوضَعُ [7]

١ الصبير : السحاب الابيض المتراكب . يشير الى دخان مقذوفاتها ونيرانها واصواتها .
٢ القنان جمع قُنّة : أعلى الجبل . الريود جمع رَيْد : الحرف الناتىء في عرض الجبل .
٣ الصّلى : مقاساة حرّ النار . ٤ المارج : الشُّعلة ذات اللهب الشديد . ٥ السليط : الزيت . الذّبال جمع ذُبالة : فتيلة المصباح . العتيد : المهيّأ . ٦ الحشر : يوم البعث . ٧ تخبّ : تسير الخبب وهو ان يقوم الفرس مرة على إحدى رجليه أو يديه ومرّة على الأخرى . المطايا جمع مطيّة وهي ما تُركب وتسرع في سيرها .

تَسِيرُ ٱلْجِبَالُ ٱلْجَامِدَاتُ لِسَيْرِهِ وَتَسْجُدُ مِنْ أَدْنَى ٱلْحَفِيفِ وَتَرْكَعُ
لَقَدْ جَلَّ مَنْ يَقْتَادُ ذَا ٱلْخَلْقَ كُلَّهُ وَكُلٌّ لَهُ مِنْ قَائِمِ ٱلسَّيْفِ أَطْوَعُ[١]
تَحُفُّ بِهِ ٱلْقُوَّادُ وَٱلْأَمْرُ أَمْرُهُ وَيَقْدُمُهُ رَأْيُ ٱلْخِلَافَةِ أَجْمَعُ
وَيَسْحَبُ أَذْيَالَ ٱلْخِلَافَةِ رَادِعاً بِهِ ٱلْمِسْكُ مِنْ نَشْرِ ٱلْهُدَى يَتَضَوَّعُ
لَهُ حُلَلُ ٱلْإِكْرَامِ خُصَّ بِفَضْلِهَا نَسَائِجُ بِٱلتِّبْرِ ٱلْمُشَهَّرِ تَلْمَعُ
بُرُودُ أَمِيرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بُرُودُهُ كَسَاهُ ٱلرِّضَى مِنْهُنَّ مَا لَيْسَ يُخْلَعُ
وَبَيْنَ يَدَيْهِ خَيْلُهُ بِسُرُوجِهِ يُقَادُ عَلَيْهِنَّ ٱلنُّضَارُ ٱلْمُرَصَّعُ
وَأَعْلَامُهُ مَنْشُورَةٌ وَقِبَابُهُ وَحُجَّابُهُ تُدْعَى لِأَمْرٍ فَتُشْرِعُ
مَلِيكٌ تَرَى ٱلْأَفْلَاكَ دُونَ بِسَاطِهِ وَأَعْنَاقُهُمْ مِيلٌ إِلَى ٱلْأَرْضِ خُضَّعُ[٢] ...
تَحُلُّ بُيُوتُ ٱلْمَالِ حَيْثُ مَحَلُّهُ وَجَمٌّ ٱلْعَطَايَا وَٱلرِّوَاقُ ٱلْمُرَفَّعُ ...
وَتَعْنُو لَهُ ٱلسَّادَاتُ مِنْ كُلِّ مَعْشَرٍ وَلَا سَيِّدٌ مِنْهُ أَعَزُّ وَأَمْنَعُ[٣]

ميزة شعره : يحاول ابن هانئ ان يقلّد المتنبي في شعره فيغالي، ويكثر من ذكر الجيوش وصلصلة السلاح وما الى ذلك ولكنك تشعر، وانت تقرأ هذا الشعر، انه بعيد عن نفس المتنبي وروحه، وخالٍ من سعة وثبات المتنبي، وان أثره في القلب غير أثر شعر ابي الطيب .

٢٨٤ فتكات طرفك . . .

[وقال من قصيدة يمدح بها يحيى بن علي :]

فَتَكَاتُ طَرْفِكِ، أَمْ سُيُوفُ أَبِيكِ وَكُؤُوسُ خَمْرٍ، أَمْ مَرَاشِفُ فِيكِ
أَجِلَادُ مُرْهَفَةٍ وَفَتْكُ مَحَاجِرٍ ؟ مَا أَنْتِ رَاحِمَةٌ وَلَا أَهْلُوكِ !
يَا بِنْتَ ذِي ٱلْبُرْدِ ٱلطَّوِيلِ نِجَادُهُ أَكَذَا يَجُوزُ ٱلْحُكْمُ فِي نَادِيكِ ؟[٤]

---

١ قائم السيف : مقبضه . ٢ ميل جمع أميل : اي مائل . ٣ تعنو : تخضع .
٤ يريد أنها بدوية أبوها يلبس البرد .

قَدْ كَانَ يَدْعُونِي خَيَالُكِ طَارِقاً حَتَّى دَعَانِي بِالْقَنَا دَاعِيكِ
عَيْنَايَ أَمْ مَغْنَاكِ مَوْعِدُنَا؟ وَفِي وَادِي الْكَرَى أَلْقَاكِ أَمْ وَادِيكِ؟
مَنَعُوكِ مِنْ سِنَةِ الْكَرَى وَسَرَوْا، فَلَوْ عَثَرُوا بِطَيْفٍ طَارِقٍ ظَنُّوكِ
وَدَعَوْكِ نَشْوَى، مَا سَقَوْكِ مُدَامَةً؟ لَمَّا تَمَايَلَ عِطْفُكِ اتَّهَمُوكِ
حَسِبُوا التَّكَحُّلَ فِي جُفُونِكِ حِلْيَةً تَاللهِ مَا بِأَكُفِّهِمْ كَحَلُوكِ
وَجَلَوْكِ لِي إِذْ نَحْنُ غُصْنَا بَانَةٍ حَتَّى إِذَا احْتَفَلَ الْهَوَى حَجَبُوكِ
وَلَوَى مُقَبَّلَكِ اللِّثَامُ، وَمَا دَرَوْا إِنْ قَدْ لَثِمْتِ بِهِ، وَقُبِّلَ فُوكِ
فَضَعِي الْقِنَاعَ فَقَبْلَ خَدِّكِ حُمِّرَتْ رَايَاتُ يَحْيَى بِالدَّمِ الْمَسْفُوكِ

ميزة شعره : غزل ابن هانئ ساحة حرب تمتزج فيها الدماء بالخمور، وتلمع فيها السيوف والعيون، وتتمايل فيها القنا والقامات . انّ في ذلك تقليداً للمتنبي وفيه من السُّخف ما لا يخفى على احد .

طورُ الانتقال

ابن زيدون (١٠٠٣ – ١٠٧١ م/٣٩٤ – ٤٦٣ هـ)

[أبو الوليد أحمد بن عبدالله بن زيدون وُلد بقرطبة في الاندلس، وكان ابوه من كبار الفقهاء، فدرس عليه وعلى غيره الادب والعلوم . وقد قرّبه اليه ابن جهور احد ملوك الطوائف بالاندلس، فوزر له الشاعر وساس الامور بمهارة وفطنة . ثم دبّت بين ابن زيدون وابن جهور عقارب السعاية، فسجنه الملك ولم يشفع له سالف

خدمة؛ وفرَّ من السجن ولجأ الى المعتضد صاحب اشبيلية ثم وزر لابنه المعتمد وقضى في اشبيلية بقية عمره .]

ابن زيدون الشاعر :

٢٨٥ اضحى التنائي

[ان ما يروونه في نظم هذه القصيدة ان الشاعر احبَّ ولّادة ابنة امير المؤمنين المستكفي في قرطبة واحبّته . على ان حبّهُ لم يكسبه غير العناء فقد سُجن من اجل ذلك ثم اضطر الى هجر قرطبة والالتحاق بالمعتضد صاحب اشبيلية فكان عنده كاتباً ووزيراً . ولما طال به الامر وقد يئس من لقياها بعثَ اليها بهذه القصيدة يستديم عهدها ويؤكد ودّها وهي من ارقّ القصائد الغزلية واكثرها شهرة .]

أَضْحَى ٱلتَّنَائِي بَدِيلًا مِنْ تَدَانِينَا وَنَابَ عَنْ طِيبِ لُقْيَانَا تَجَافِينَا
بِنْتُمْ وَبِنَّا فَمَا ٱبْتَلَّتْ جَوَانِحُنَا شَوْقًا إِلَيْكُمْ، وَلَا جَفَّتْ مَآقِينَا [١]
يَكَادُ حِينَ تُنَاجِيكُمْ ضَمَائِرُنَا يَقْضِي عَلَيْنَا ٱلْأَسَى لَوْلَا تَأَسِّينَا [٢]
حَالَتْ لِفَقْدِكُمُ أَيَّامُنَا فَغَدَتْ سُودًا، وَكَانَتْ بِكُمْ بِيضًا لَيَالِينَا [٣]
إِذْ جَانِبُ ٱلْعَيْشِ طَلْقٌ مِنْ تَأَلُّفِنَا وَمَوْرِدُ ٱللَّهْوِ صَافٍ مِنْ تَصَافِينَا
وَإِذْ هَصَرْنَا غُصُونَ ٱلْأُنْسِ دَانِيَةً قُطُوفُهَا، فَجَنَيْنَا مِنْهُ مَا شِينَا [٤]
لِيُسْقَ عَهْدُكُمُ، عَهْدُ ٱلسُّرُورِ، فَمَا كُنْتُمْ لِأَرْوَاحِنَا إِلَّا رَيَاحِينَا

١ الجوانح جمع جانحة : وهي الضلع . والمراد بالجوانح : ما تجنه من القلب والحشا الملتهب بالحب . وقوله : « ولا جفت مآقينا »، أي ما جفت عيوننا من الدمع والبكاء عليكم . ٢ التأسي : التصبر والتجلّد . ٣ حالت : استحالت من بيض الى سود . ٤ هصرنا : أملنا الينا .

مَنْ مُبْلِغُ ٱلْمُلْبِسِينَا بِٱنْتِزَاحِهِمِ حُزْنًا مَعَ ٱلدَّهْرِ لَا يَبْلَى وَيُبْلِينَا [١]
إِنَّ ٱلزَّمَانَ ٱلَّذِي مَا زَالَ يُضْحِكُنَا أُنْسًا بِقُرْبِكُمُ قَدْ عَادَ يُبْكِينَا
مَا حَقُّنَا أَنْ تُقِرُّوا عَيْنَ ذِي حَسَدٍ بِنَا، وَلَا أَنْ تَسُرُّوا كَاشِحًا فِينَا [٢]
غِيظَ ٱلْعِدَى مِنْ تَسَاقِينَا ٱلْهَوَى فَدَعَوْا بِأَنْ نَغَصَّ، فَقَالَ ٱلدَّهْرُ : آمِينَا !
فَٱنْحَلَّ مَا كَانَ مَعْقُودًا بِأَنْفُسِنَا وَٱنْبَتَّ مَا كَانَ مَوْصُولًا بِأَيْدِينَا
وَقَدْ نَكُونُ وَمَا يُخْشَى تَفَرُّقُنَا فَٱلْيَوْمَ نَحْنُ وَمَا يُرْجَى تَلَاقِينَا
لَمْ نَعْتَقِدْ بَعْدَكُمْ إِلَّا ٱلْوَفَاءَ لَكُمْ رَأْيًا وَلَمْ نَتَقَلَّدْ غَيْرَهُ دِينَا
لَا تَحْسَبُوا نَأْيَكُمْ عَنَّا يُغَيِّرُنَا إِنْ طَالَمَا غَيَّرَ ٱلنَّأْيُ ٱلْمُحِبِّينَا
وَٱللهِ مَا طَلَبَتْ أَهْوَاؤُنَا بَدَلًا مِنْكُمْ، وَلَا ٱنْصَرَفَتْ عَنْكُمْ أَمَانِينَا
وَلَا ٱسْتَفَدْنَا خَلِيلًا عَنْكِ يَشْغَلُنَا وَلَا ٱتَّخَذْنَا بَدِيلًا مِنْكِ يُسْلِينَا
يَا سَارِيَ ٱلْبَرْقِ غَادِ ٱلْقَصْرَ فَٱسْقِ بِهِ مَنْ كَانَ صِرْفَ ٱلْهَوَى وَٱلْوُدِّ يَسْقِينَا
وَيَا نَسِيمَ ٱلصَّبَا بَلِّغْ تَحِيَّتَنَا مَنْ لَوْ عَلَى ٱلْبُعْدِ حَيًّا كَانَ يُحْيِينَا
يَا رَوْضَةً طَالَمَا أَجْنَتْ لَوَاحِظَنَا وَرْدًا جَلَاهُ ٱلصِّبَا غَضًّا وَنَسْرِينَا [٣]
وَيَا حَيَاةً تَمَلَّيْنَا بِزَهْرَتِهَا مُنًى ضُرُوبًا وَلَذَّاتٍ أَفَانِينَا [٤]
وَيَا نَعِيمًا خَطَرْنَا مِنْ غَضَارَتِهِ فِي وَشْيِ نُعْمَى سَحَبْنَا ذَيْلَهَا حِينَا [٥]
لَسْنَا نُسَمِّيكِ إِجْلَالًا وَتَكْرِمَةً وَقَدْرُكِ ٱلْمُعْتَلِي عَنْ ذَاكَ يُغْنِينَا
إِذَا ٱنْفَرَدْتِ وَمَا شُورِكْتِ فِي صِفَةٍ فَحَسْبُنَا ٱلْوَصْفُ إِيضَاحًا وَتَبْيِينَا
يَا جَنَّةَ ٱلْخُلْدِ أُبْدِلْنَا بِسِلْسِلِهَا وَٱلْكَوْثَرِ ٱلْعَذْبِ زَقُّومًا وَغِسْلِينَا [٦] . . .

١ الانتزاح : الافتراق . ٢ أن تقرّوا عين ذي حسد : اي أن تسرّوا الحاسد . الكاشح : المضمر للعداوة . ٣ النسرين : نوع من الورود أكثر ما يكون أبيض الزهر عطر الرائحة . ٤ تملينا : استمتعنا . الافانين جمع أفنون ، وهو النوع والضرب ، اي لذات مختلفة الاشكال . ٥ خطر الرجل في مشيته : رفع يديه ووضعهما عُجباً وتيها . الغضارة : النعمة والسعة والخصب . الوشي : نوع من الثياب الحريرية المنقوشة . ٦ السلسل : الماء العذب البارد . الكوثر : نهر في الجنة . الزّقوم : يراد به ضرب من العذاب في النار جاء تمثيله بأنه طعام شجرة تكون في اصل الجحيم هذا اسمها . الغسلين : ما ينغسل من الثياب ونحوها . وغسلين النار : ما ينغسل من جلود الكفار فيها .

إن كانَ قد عزَّ في الدُّنيا اللقاءُ ففي مَواقفِ الحشرِ نلقاكُمْ ويكفينا
لا غروَ في أن ذكرنا الحزنَ حينَ نهتْ عنهُ النُّهى وتركنا الصبرَ ناسينا
إنّا قرأنا الأسى يومَ النوى سُوَرًا مكتوبةً وأخذنا الصبرَ تلقينا ...
عليكِ منّي سلامُ اللهِ ما بقيتْ صبابةٌ منكِ نُخفيها فتُخفينا

ميزة شعره : لا يقوم جمال القصيدة بابتكار معانيها ودقتها، فمعانيها بسيطة معهودة، وانما يقوم جمالها بانسجامها وسهولتها وغُنّتها الموسيقية وحسن استعمال الطرق البيانية . فأنت تقرأها وكأنك في جوّ من السحر، يحرّك الوزن اللطيف والالفاظ الليّنة الناعمة والحروف المتلائمة التي لا تجرح سمعك، والتي تسيل سيلانًا على اللسان، والقافية الموسيقية التي تنتهي بمدّين رقيقين .

٢٨٦ ما على ظني باس

[نظم ابن زيدون هذه القصيدة الفيّاضة بالألم، وهو في السجن ، وبعث بها الى صديقه الوزير الكاتب (أبي حفص بن بُرد) متوسّلًا به الى ابن جهور وقد حار ولم يجد هاديًا، وصار لا يرجو فاديًا ؛ فلم تلق شكواه أذنًا صاغية .]

ما على ظنّيَ باسُ، يجرحُ الدهرُ ويأسو . [١]
رُبَّما أشرفَ بالمرْءِ، على الآمالِ، ياسُ . [٢]
ولقدْ يُنجيكَ إغفا لٌ، ويُؤذيكَ احتراسُ،
ولكمْ أجدى قعودٌ، ولكمْ أكدى التماسُ ! [٣]
وكذا الحُكمُ : إذا ما عزَّ ناسٌ، ذلَّ ناسُ ؛ [٤]

١ أسا : داوى . يقول : لا حرج عليّ اذا ظننت بالايام خيرًا واعتقدت ان مع العسر يسرًا، فان الدهر اذا جرح داوى واذا اعسر ايسر . ٢ ياس : اصلها يأس . يقول : قد يقود احيانًا اليأس الى الامل لان المرء ربما مسته ضرّاء فيئس من النعماء فلا يلبث ان يوافيه الخير فيتحقق امله . ٣ اجدى : أفاد . اكدى : اخفق ولم يفز . ٤ وكذا الحكم : اي حكم الله تعالى .

وَبَنُو ٱلْأَيَّامِ أَخْيَا   فٌ : سَرَاةٌ وَخِسَاسُ.[١]
نَلْبَسُ ٱلدُّنْيَا ، وَلٰكِنْ   مُتْعَةٌ ذَاكَ ٱللِّبَاسُ.[٢]
يَا أَبَا حَفْصٍ ، وَمَا سَا   وَاكَ فِي فَهْمٍ ، إِيَاسُ ،[٣]
مِنْ سَنَا رَأْيِكَ لِي ، فِي   غَسَقِ ٱلْخَطْبِ ، ٱقْتِبَاسُ :[٤]
لَا يَكُنْ عَهْدُكَ وَرْدًا ،   إِنَّ عَهْدِي لَكَ آسُ ؛[٥]
وَأَدِرْ ذِكْرِيَ كَأْسًا ،   مَا ٱمْتَطَتْ كَفَّكَ كَاسُ ؛
وَٱغْتَنِمْ صَفْوَ ٱللَّيَالِي ،   إِنَّمَا ٱلْعَيْشُ ٱخْتِلَاسُ.
مَا تَرَى فِي مَعْشَرٍ حَا   لُوا عَنِ ٱلْعَهْدِ وَخَاسُوا ؟[٦]
أَذْؤُبٌ هَامَتْ بِلَحْمِي   فَٱنْتِهَابٌ وَٱنْتِهَاسُ ؛[٧]
كُلُّهُمْ يَسْأَلُ عَنْ حَا   لِي ، وَلِلذِّئْبِ ٱعْتِسَاسُ .[٨]
إِنْ قَسَا ٱلدَّهْرُ فَلِلْمَاءِ   مِنَ ٱلصَّخْرِ ٱنْبِجَاسُ ،[٩]
وَلَئِنْ أَمْسَيْتُ مَحْبُو   سًا فَلِلْغَيْثِ ٱحْتِبَاسُ
وَيُفَتُّ ٱلْمِسْكُ فِي ٱلتُّرْ   بِ فَيُوطَا وَيُدَاسُ . . .

ميزة شعره : في هذه القصيدة ألم نفسي وحزن ولوعة ، وفيها تفكير قليل العمق ، ولاسيما في الحكم ، كما فيها شغف بالطبيعة والموسيقى اللفظية .

---

١ أخياف : اي مختلفون . السراة : الاشراف ذوو المروءة والسخاء . الخساس : الحقيرون . ٢ يقول : نتمتع بما في الدنيا من ملذة ولكنّ الدنيا وملذتها تزولان وتبليان كما يبلى الثوب الذي نلبسه . ٣ إياس : هو القاضي ابن معاوية ، وُلّي القضاء في زمن عمر بن عبد العزيز ، وكان يضرب به المثل في توقد الذهن وشدة الذكاء . ٤ السنا : الضياء . الغسق : الظلمة . الاقتباس : الاستفادة والاخذ . ٥ يقول : لا يكن عهدك كالورد في سرعة ذبوله وزواله ، فانّ عهدي كالآس طويل الامد . ٦ خاس العهد وبالعهد : نقضه . ٧ انتهس اللحم : اخذه بمقدّم أسنانه ونتفه . ٨ اعتسّ الشيء : طلبه او قصده بالليل . ٩ انبجس الماء : تفجر .

ابن زيدون الناثر :

٢٨٧ الرسالة الجديدة

[وهي التي كتبها لابي الحزم بن جهور أمير قرطبة وهو في سجنه يستعطفه ؛ نورد منها ما يلي :]

يا مولاي وسيدي الذي ودادي له، واعتمادي عليه، واعتدادي به، ومن أبقاه الله تعالى ماضيَ حدّ العزم، واريَ زند الأمل، ثابت عهد النعمة . إن سلبتني — أعزّك الله — لباس إنعامك، وعطلتني من حلي إيناسك، وأظمأتني الى برود[1] إسعافك، ونفضتَ بي كفّ حياطتك، وغضضت عني طرف حمايتك، بعد أن نظر الأعمى إلى تأميلي لك، وسمع الاصمّ ثنائي عليك، واحسّ الجماد باستحمادي اليك. فلا غروَ قد يغصّ[2] بالماء شاربه، ويقتل الدواء المستشفي به، ويؤتى الحذر من مأمنه، وتكون منية المتمني في امنيته، والحَينُ[3] قد يسبق جهد الحريص :

كُلُّ ٱلْمَصَائِبِ قَدْ تَمُرُّ عَلَى ٱلْفَتَى ... وَتَهُونُ غَيْرَ شَمَاتَةِ ٱلْحُسَّادِ

وإني لأتجلدُ، وأرِي الشامتين أني لريب الدهر لا أتضعضع ؛ فأقول : هل أنا إلا يدٌ أدماها سوارها، وجبينٌ عضّ به إكليله، ومشرفيٌّ[4] ألصقه بالارض صاقله، وسمهريٌّ[5] عرضه على النار مثقفه، وعبدٌ ذهب به سيده مذهب الذي يقول :

فَقَسَا لِيَزْدَجِرُوا، وَمَنْ يَكُ حَازِماً ... فَلْيَقْسُ أَحْيَاناً عَلَى مَنْ يَرْحَمُ

هذا العتب محمود عواقبه، وهذه النبوةُ[6] غمرةٌ ثم تنجلي، وهذه النكبة سحابة

---

١ البرود : الماء البارد، اي اسعافك الذي هو كالماء البارد في اروائه للغليل . ٢ يغص : يشرق . ٣ الحين : الهلاك . ٤ المشرفي : السيف . ٥ السمهري : الرمح . ٦ النبوة : الجفوة .

صيف عن قليل تقشع[1] . ولن يريبني من سيدي أن أبطأ سيبه[2] . أو تأخر غير ضنين غناؤه، فأبطأ الدلاء فيضاً أملؤها، وأثقل السحائب مشياً أحفلها، وأنفع الحيا ما صادف جدباً، وألذّ الشراب ما أصاب غليلاً، ومع اليوم غد، ولكل أجل كتاب. له الحمد على اهتباله[3]، ولا عتب عليه في إغفاله .

فَإِنْ يَكُنِ الفِعْلُ الَّذِي سَاءَ وَاحِدًا   فَأَفْعَالُهُ اللَّائِي سَرَرْنَ أُلُوفَا

واعود فأقول : ما هذا الذنب الذي لم يسعه عفوك؟ والجهل الذي لم يأتِ من ورائه حلمك ؟ والتطاول الذي لم يستغرقه تطوُّلك[4]، والتحامل الذي لم يفِ به احتمالك ؟ ولا اخلو من ان اكون بريئاً، فأين العدل ؟ او مسيئاً، فأين الفضل ؟

إِلَّا يَكُنْ ذَنْبٌ فَعَدْلُكَ وَاسِعٌ   أَوْ كَانَ لِي ذَنْبٌ فَفَضْلُكَ أَوْسَعُ

ميزة نثره : يميل ابن زيدونُ الى الاطناب والسّجع ، ويوردُ الامثال والاشعار حتى تكاد تكون رسائله منسوجة من اقوال الشعراء وامثال العرب والتلميحات التاريخية والآيات القرآنية .

المعتمد بن عبّاد (١٠٤٠ ــ ١٠٩٥ م/٤٣١ ــ ٤٨٨ هـ)

[هذا هو ابو فراس الغرب . فقد ناءت عليه الايام بكلاكلها، فذلّ بعد عزّ، وأُسِر ونُفي بعد مُلك، فكان لـه من ذكريات الماضي السعيد جُرح يُمِضّ ولا يندمل، وكان له من ثمّ شعر يمتاز بالصبغة الوجدانية الشخصية .]

---

١ تقشع : تنكشف وتزول .   ٢ السيب : العطاء .   ٣ الاهتبال : الاغتنام، اي اغتنام معروفه .   ٤ التطول : التكرم .

٢٨٨ فيما مضى

[دخل على المعتمد بن عبَّاد صاحب اشبيلية بناتُه يوم عيد، وهو بسجنه في أغمات، وقد لبسنَ اطماراً بالية، وذلك بعد ان سلبه ابن تاشفين ملكه، فقال :]

فِيمَا مَضَى كُنْتَ بِٱلْأَعْيَادِ مَسْرُورَا فَسَاءَكَ ٱلْعِيدُ فِي أَغْمَاتَ مَأْسُورَا [1]
تَرَى بَنَاتِكَ فِي ٱلْأَطْمَارِ جَائِعَةً يَغْزِلْنَ لِلنَّاسِ مَا يَمْلُكْنَ قِطْمِيرَا [2]
يَطَأْنَ فِي ٱلطِّينِ وَٱلْأَقْدَامُ حَافِيَةٌ كَأَنَّهَا لَمْ تَطَأْ مِسْكًا وَكَافُورَا
أَفْطَرْتَ فِي ٱلْعِيدِ لَا عَادَتْ إِسَاءَتُهُ فَكَانَ فِطْرُكَ لِلْأَكْبَادِ تَفْطِيرَا
قَدْ كَانَ دَهْرُكَ، إِنْ تَأْمُرْهُ، مُمْتَثِلًا فَرَدَّكَ ٱلدَّهْرُ مَنْهِيًّا وَمَأْمُورَا
مَنْ بَاتَ بَعْدَكَ فِي مُلْكٍ يُسَرُّ بِهِ فَإِنَّمَا بَاتَ بِٱلْأَحْلَامِ مَغْرُورَا

ميزة شعره : يمتاز شعر ابن عبَّاد بالصِّبغة الوجدانية وبالسُّهولة والطبيعيَّة . فهو مرآة لنفس الشاعر المتألمة ولقلبه الرقيق، وهو صوت الألم الشاكي في إباء ورصانة .

طَوْرُ التَّجْدِيد

ابن حمديس (١٠٥٥ ــ ١١٣٢ م/٤٤٧ ــ ٥٢٧ هـ)

[وُلد ابن حمديس في صقليَّة ثم هرب يافعاً الى الاندلس واتصل بالمعتمد بن عبَّاد . اما شعره فيمتاز بدقَّة التصوير ورقَّة الشعور والرصانة .]

---

١ اغمات : مدينة من مدن المغرب كانت سجناً للمعتمد . ٢ الاطمار جمع طِمر وهو الثوب الخلَق اي البالي . القطمير : القشرة الرقيقة بين النواة والثمرة، يريد به ما يستر العري .

٢٨٩ بركة المنصور

وَٱلْمَاءُ مِنْهُ سَبَائِكٌ مِنْ فِضَّةٍ ذَابَتْ عَلَى دُولَابِ شَاذَرْوَانِ [١]
فَكَأَنَّمَا سَيْفٌ هُنَاكَ مُشَطَّبٌ أَلْقَتْهُ يَوْمَ ٱلرَّوْعِ كَفُّ جَبَانِ [٢]
كَمْ شَاخِصٍ فِيهِ يُطِيلُ تَعَجُّبًا مِنْ دَوْحَةٍ نَبَتَتْ مِنَ ٱلْعِقْيَانِ [٣]
عَجَبًا لَهَا تَسْقِي هُنَاكَ يَنَائِعًا يَنَعَتْ مِنَ ٱلثَّمَرَاتِ وَٱلْأَغْصَانِ [٤]
خُصَّتْ بِطَائِرَةٍ عَلَى فَنَنٍ لَهَا حَسُنَتْ فَأُفْرِدَ حُسْنُهَا مِنْ ثَانِي
قُسُّ ٱلطُّيُورِ ٱلسَّاجِعَاتِ بَلَاغَةً وَفَصَاحَةً مِنْ مَنْطِقٍ وَبَيَانِ [٥]
فَإِذَا أُتِيحَ لَهَا ٱلْكَلَامُ تَكَلَّمَتْ بِخَرِيرِ مَاءٍ دَائِمِ ٱلْهَمَلَانِ [٦]
وَكَأَنَّ صَانِعَهَا ٱسْتَبَدَّ بِصَنْعَةٍ فَخَرَ ٱلْجَمَادُ بِهَا عَلَى ٱلْحَيَوَانِ
أَوْفَتْ عَلَى حَوْضٍ لَهَا فَكَأَنَّهَا مِنْهَا إِلَى ٱلْعَجَبِ ٱلْعُجَابِ رَوَانِ [٧]
وَكَأَنَّهَا ظَنَّتْ حَلَاوَةَ مَائِهَا شُهْدًا فَذَاقَتْهُ بِكُلِّ لِسَانِ
وَزَرَافَةٍ فِي ٱلْجَوِّ مِنْ أُنْبُوبِهَا مَاءٌ يُرِيكَ ٱلْجَرْيَ فِي ٱلطَّيَرَانِ
مَرْكُوزَةٍ كَٱلرُّمْحِ حَيْثُ تَرَى لَهُ مِنْ طَعْنِهِ ٱلْحَلَقَ ٱنْعِطَافَ سِنَانِ [٨]
وَكَأَنَّمَا تَرْمِي ٱلسَّمَاءَ بِبُنْدُقٍ مُسْتَنْبَطٍ مِنْ لُؤْلُؤٍ وَجُمَانِ
لَوْ عَادَ ذَاكَ ٱلْمَاءُ نِفْطًا أَحْرَقَتْ فِي ٱلْجَوِّ مِنْهُ قَمِيصَ كُلِّ عَنَانِ .
فِي بِرْكَةٍ قَامَتْ عَلَى حَافَاتِهَا أُسْدٌ تَذِلُّ لِعِزَّةِ ٱلسُّلْطَانِ
نَزَعَتْ إِلَى ظُلْمِ ٱلنُّفُوسِ نُفُوسُهَا فَلِذَلِكَ ٱنْتُزِعَتْ مِنَ ٱلْأَبْدَانِ

---

١ الشاذروان : كلمة معربة ومعناه كل ما خرج قليلاً من جدار او نصب عما فوقه من بقية البناء او النصب، او ما كان كمصاطب الفوارات او قصاعها كالزخرف وهو المراد هنا . ٢ السيف المشطب: هو ما كان في متنه خطوط وطرائق تلمع من شدة جريان مائه وصفاء فرنده . شبه الماء النازل من الثقوب منحنياً بالسيوف . ٣ العقيان : الخالص من الذهب . ٤ اليانع : جمع ينيعة وهي ما نضج من الثمر . ٥ يشبه الشاعر الماء الخارج من فيها بهديل الحمام . ٦ الهملان : الفيض والسيلان . ٧ اوفت : اشرفت . روانٍ : ناظرة بطرف ساكن . ٨ الحلق : الدروع .

وَكَأَنَّمَا ٱلْحَيَّاتُ مِنْ أَفْوَاهِهَا يَطْرَحْنَ أَنْفُسَهُنَّ فِي غُدْرَانِ
وَكَأَنَّمَا ٱلْحِيتَانُ إِذْ لَمْ تَخْشَهَا أَخَذَتْ مِنَ ٱلْمَنْصُورِ عَهْدَ أَمَانِ [١]

٢٩٠ دار المعتمد بن عبّاد

وَيَا حَبَّذَا دَارٌ قَضَى ٱللهُ أَنَّهَا يُجَدِّدُ فِيهَا كُلُّ عِزٍّ وَلَا يَبْلَى
وَمَا هِيَ إِلَّا خِطَّةُ ٱلْمُلْكِ ٱلَّتِي يَحُطُّ إِلَيْهَا كُلُّ ذِي أَمَلٍ رَحْلَا
إِذَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا خِلْتَ أَنَّهَا تَقُولُ بِتَرْحِيبٍ لِدَاخِلِهَا: أَهْلَا!
وَقَدْ نَقَلَتْ صُنَّاعُهَا مِنْ صِفَاتِهِ إِلَيْهَا أَفَانِينًا، فَأَحْسَنَتِ ٱلنَّقْلَا
فَمِنْ صَدْرِهِ رُحْبًا، وَمِنْ نُورِهِ سَنًى وَمِنْ صِيتِهِ فَرْعًا، وَمِنْ حِلْمِهِ أَصْلَا
فَأَعْلَتْ بِهِ فِي رُتْبَةِ ٱلْمُلْكِ نَادِيًا وَقُلْ لَهُ فَوْقَ ٱلسِّمَاكَيْنِ أَنْ يُعْلَى [٢]
نَسِيتُ بِهِ إِيوَانَ كِسْرَى لِأَنَّنِي أَرَاهُ لَهُ مَوْلًى مِنَ ٱلْحُسْنِ لَا مِثْلَا
تَرَى ٱلشَّمْسَ فِيهِ لِيقَةً تَسْتَمِدُّهَا أَكُفٌّ أَقَامَتْ مِنْ تَصَاوِيرِهَا شَكْلَا [٣]
لَهَا حَرَكَاتٌ أُودِعَتْ فِي سُكُونِهَا فَمَا تَبْعَثُ مِنْ نَقْلِهِنَّ يَدٌ رِجْلَا
وَلَمَّا عَشِينَا مِنْ تَوَقُّدِ نُورِهَا تَخِذْنَا سَنَاهُ فِي نَوَاظِرِنَا كُحْلَا

ميزة شعره: يمتاز شعر ابن حمديس بدقّة التصوير في الاوصاف، وإخراجها في ثوب قشيب من نسج الخيال. وشعر ابن حمديس أنيق اللفظ، بيّن المنى، لا تعدوه الاستعارات والتشابيه الجميلة من غير تعقيد ولا شديد مغالاة.

---

١ الحيتان: الاسماك. ٢ السماكان: كوكبان نيران احدهما في جهة الشمال امامه كوكب صغير يقال له راية السماك ورمحه، ولذلك يقال له: السماك الرامح. والآخر في جهة الجنوب ليس امامه شيء، ولذلك يُقال له السماك الاعزل اي الذي لا سلاح معه. ٣ الليقة: القطنة ونحوها توضع في الدواة.

ابن خفاجة (١٠٥٨ _ ١١٣٨ م/ ٤٥٠ _ ٥٣٣ هـ)

[هو شاعر الطبيعة تعشقها فملأت قلبه وعينيه وراح يتغنّى بجمال صورها وروائع مشاهدها حتى اصبحت شغله الشاغل في كل حال وكل مجال] .

٢٩١ بعيشك هل تدري

[قال في الاعتبار، ويصف ليلًا وجبلًا :]

بِعَيْشِكَ هَلْ تَدْرِي أَهُوجُ ٱلْجَنَائِبِ تَخُبُّ بِرَحْلِي أَمْ ظُهُورُ ٱلنَّجَائِبِ ؟ ١
فَمَا لُحْتُ فِي أُولَى ٱلْمَشَارِقِ كَوْكَبًا فَأَشْرَقْتُ حَتَّى جِئْتُ أُخْرَى ٱلْمَغَارِبِ
وَحِيدًا تَهَادَانِي ٱلْفَيَافِي فَأَجْتَلِي وُجُوهَ ٱلْمَنَايَا فِي قِنَاعِ ٱلْغَيَاهِبِ ٢
وَلَا جَارَ إِلَّا مِنْ حُسَامٍ مُصَمِّمٍ وَلَا دَارَ إِلَّا فِي قُتُودِ ٱلرَّكَائِبِ ٣
وَلَا أُنْسَ إِلَّا أَنْ أُضَاحِكَ سَاعَةً ثُغُورَ ٱلْأَمَانِي فِي وُجُوهِ ٱلْمَطَالِبِ
وَلَيْلٍ إِذَا مَا قُلْتُ: قَدْ بَادَ فَٱنْقَضَى تَكَشَّفَ عَنْ وَعْدٍ مِنَ ٱلظَّنِّ كَاذِبِ
سَحَبْتُ ٱلدَّيَاجِي فِيهِ سُودَ ذَوَائِبٍ لِأَعْتَنِقَ ٱلْآمَالَ بِيضَ تَرَائِبِ ٤
فَخَرَّقْتُ جَيْبَ ٱللَّيْلِ عَنْ شَخْصِ أَطْلَسٍ تَطَلَّعَ وَضَّاحَ ٱلْمَضَاحِكِ قَاطِبِ ٥
رَأَيْتُ بِهِ قِطْعًا مِنَ ٱلْفَجْرِ أَغْبَشًا تَأَمَّلَ عَنْ نَجْمٍ تَوَقَّدَ ثَاقِبِ ٦

---

١ هوج الجنائب : الرياح الجنوبية الهوج . النجائب جمع نجيبة وهي الناقة الكريمة . ٢ تهاداني: تميل بي تارة الى هنا وطوراً الى هناك . الغياهب : الظلمات . ٣ القتود : اخشاب الرحال . الحسام المصمم : القاطع . ٤ الذوائب جمع ذؤابة وهي الناصية او شعرها . الترائب : ما بين الثديين من الصدر . ٥ اطلس : اي افق اطلس، والاطلس : الذي في لونه غبرة الى سواد، وهو وضاح المضاحك من جهة انه تتراءى في خلاله اشعة الفجر، وقاطب من حيث انه لا يزال عليه من غبش الليل بقية . ٦ اي رايت به قطعاً اغبش من الفجر لا يزال يبدو فيه نجم متوقد ثاقب، وهو الزهرة او عطارد لانهما من كواكب الصباح يكونان بالتبادل على الافق عند طلوع الفجر .

وَأَرْعَنَ طَمَّاحِ ٱلذُّؤَابَةِ بَاذِخٍ ... يُطَاوِلُ أَعْنَانَ ٱلسَّمَاءِ بِغَارِبِ [١]
يَسُدُّ مَهَبَّ ٱلرِّيحِ عَنْ كُلِّ وِجْهَةٍ ... وَيَزْحَمُ لَيْلًا شُهْبَهُ بِٱلْمَنَاكِبِ
وَقُورٌ عَلَى ظَهْرِ ٱلْفَلَاةِ كَأَنَّهُ ... طَوَالَ ٱللَّيَالِي مُفْكِرٌ فِي ٱلْعَوَاقِبِ
يَلُوثُ عَلَيْهِ ٱلْغَيْمُ سُودَ عَمَائِمٍ ... لَهَا مِنْ وَمِيضِ ٱلْبَرْقِ حُمْرُ ذَوَائِبِ [٢]
أَصَخْتُ إِلَيْهِ، وَهْوَ أَخْرَسُ صَامِتٌ! ... فَحَدَّثَنِي لَيْلَ ٱلسُّرَى بِٱلْعَجَائِبِ
وَقَالَ: إِلَى كَمْ كُنْتُ مَلْجَأَ قَاتِلٍ ... وَمَوْطِنَ أَوَّاهٍ تَبَتَّلَ تَائِبِ [٣]
وَكَمْ مَرَّ بِي مِنْ مُدْلِجٍ وَمُؤَوِّبٍ ... وَقَالَ بِظِلِّي مِنْ مَطِيٍّ وَرَاكِبِ [٤]
وَلَاطَمَ مِنْ نُكْبِ ٱلرِّيَاحِ مَعَاطِفِي ... وَزَاحَمَ مِنْ خُضْرِ ٱلْبِحَارِ غَوَارِبِي [٥]
فَمَا كَانَ إِلَّا أَنْ طَوَتْهُمْ يَدُ ٱلرَّدَى ... وَطَارَتْ بِهِمْ رِيحُ ٱلنَّوَى وَٱلنَّوَائِبِ
فَمَا خَفْقُ أَيْكِي غَيْرُ رَجْفَةِ أَضْلُعٍ ... وَلَا نَوْحُ وُرْقِي غَيْرُ صَرْخَةِ نَادِبِ [٦]
وَمَا غَيَّضَ ٱلسُّلْوَانُ دَمْعِي، وَإِنَّمَا ... نَزَفْتُ دُمُوعِي فِي فِرَاقِ ٱلصَّوَاحِبِ
فَحَتَّى مَتَى أَبْقَى؟ وَيَظْعَنُ صَاحِبٌ ... أُوَدِّعُ مِنْهُ رَاحِلًا غَيْرَ آئِبِ
وَحَتَّى مَتَى أَرْعَى ٱلْكَوَاكِبَ سَاهِرًا؟ ... فَمِنْ طَالِعٍ أُخْرَى ٱللَّيَالِي وَغَارِبِ
فَرُحْمَاكَ يَا مَوْلَايَ دَعْوَةَ ضَارِعٍ ... يَمُدُّ إِلَى نُعْمَاكَ رَاحَةَ رَاغِبِ!
فَأَسْمَعَنِي مِنْ وَعْظِهِ كُلَّ عِبْرَةٍ ... يُتَرْجِمُهَا عَنْهُ لِسَانُ ٱلتَّجَارِبِ
فَسَلَّى بِمَا أَبْكَى وَسَرَّ بِمَا شَجَا ... وَكَانَ عَلَى عَهْدِ ٱلسُّرَى خَيْرَ صَاحِبِ
وَقُلْتُ، وَقَدْ نَكَّبْتُ عَنْهُ لِطِيَّةٍ ... سَلَامٌ! فَإِنَّا مِنْ مُقِيمٍ وَذَاهِبِ [٧]

---

١ ارعن: الجبل الطويل القمم. الغارب: الكاهل. ٢ يلوث: يلف ويعمم على رأسه من الغيم عمائم سودا لها بروق حمر. ٣ يريد بالأواه: التائب الراهب الذي يبني صومعته في رؤوس الجبال. ٤ المدلج: السائر من اول الليل. المؤوّب: الذي يسير جميع النهار. ٥ النكب جمع نكباء وهي الريح تهب بين مهبي ريحين. معاطفي وغواربي: يريد بها جوانبي واظهري. ٦ الأيك: الاشجار المتكاثفة. والورق جمع ورقاء وهي الحمامة. ٧ نكبت عنه: ملت عنه وانصرفت. الطية: الحاجة والقصد ووجهة المسافر. ومن في «من مقيم» زائدة او بيانية. أي فإنا من بين مقيم وهو انت، وذاهب وهو نحن.

٢٩٢ احس المدامة

أَحسُ ٱلْمُدَامَةَ وَٱلنَّسِيمُ عَلِيلُ وَٱلظِّلُّ خَفَّاقُ ٱلرُّوَاقِ ظَلِيلُ [١]
وَٱلنُّورُ طَرْفٌ قَدْ تَنَبَّهَ دَامِعٌ وَٱلْمَاءُ مُبْتَسِمٌ يَرُوقُ صَقِيلُ
وَتَطَلَّعَتْ مِنْ بَرْقِ كُلِّ غَمَامَةٍ فِي كُلِّ أُفْقٍ رَايَةٌ وَرَعِيلُ [٢]
حَتَّى تَهَادَى كُلُّ خُوطَةِ أَيْكَةٍ رَيًّا وَغَصَّتْ تَلْعَةٌ وَمَسِيلُ [٣]
عَطَفَ ٱلْأَرَاكَةَ فَٱنْثَنَتْ شُكْرًا لَهُ طَرَبًا وَرَجَّعَ فِي ٱلْغُصُونِ هَدِيلُ [٤]
فَٱلرَّوْضُ مُهْتَزُّ ٱلْمَعَاطِفِ نَعْمَةً نَشْوَانُ يَعْطِفُهُ ٱلصَّبَا فَيَمِيلُ
رَيَّانُ فَضَّضَهُ ٱلنَّدَى ثُمَّ ٱنْجَلَى عَنْهُ فَذَهَّبَ صَفْحَتَيْـهِ أَصِيلُ

٢٩٣ يا ليلَ وجدٍ بنجدٍ

يَا لَيْـلَ وَجْدٍ بِنَجْدٍ أَمَا لِطَيْفِكَ مَسْرَى
وَمَـا لِدَمْعِي طَلِيقًا وَأَنْجُمُ ٱلْجَوِّ أَسْرَى
وَقَدْ طَمَى بَحْرُ لَيْلٍ لَمْ يُعْقِبِ ٱلْمَدَّ جَزْرَا
لَا يَعْبُرُ ٱلطَّرْفُ فِيـهِ غَـيْرَ ٱلْمَجَرَّةِ جِسْرَا

ميزة شعره : ابن خفاجة هو ابن الطبيعة وقد مزج صور الطبيعة بعواطفه، واذا هنالك مشاهد ناطقة بخلجات الفؤاد ونزعات النفوس، واذا الطبيعة ترتعش وتتكلم واذا الكلام حافل بألوان البيان والبديع، واذا هنالك التكلُّف والتصنُّع يقودان الى استغلاق المعاني .

---

١ الرواق : مقدم البيت . وقد شبه الظل بيبت مضروب يخفق هواء رواقه . ٢ الرعيل: الجماعة من الخيل، شبه السحب بجماعات الخيل وكتائبها في الحرب وشبه البروق المنبعثة منها بالرايات الحمر المنتشرة فوق رؤوسهم . ٣ الخوطة : الغصن. التلعة : مجرى الماء من الجبل الى الوادي. ٤ عطف : فاعله النسيم العليل . الهديل : ذكر الحمام .

ابن خفاجة الناثر :

٢٩٤ وصف رياض غبّ مطر

[قال من رسالة له في وصف رياض غِبَّ مطر :]

ولمّا أكبَّ الغمام إكباباً، لم أجد منه إغباباً[1]، واتصلَ المطر اتصالاً، لم آلف منه انفصالاً، أذِن الله تعالى للصحوِ أن يُطلع صفحته، وينشر صحيفته، فقشعت الريح السحاب، كما طوى السجلّ الكتاب، وطفقت السما. تخلع جلبابها، والشمس تميط نقابها، وطلعت الدنيا تبتهج كأنها عروس تجلّت، وقد تحلّت، فذهبتُ في لمة من الاخوان نستبق الى الراحة ركضاً، ونطوي للتفرّج أرضاً، فلا أندفع إلّا الى غديرٍ نميرٍ[2]، قد استدارت منه في كل قرارة ماء، سحابة غماء[3]، وانساب، في تلعته حباب[4]. فتردّدنا بتلك الاباطح نتهادى تهادي أغصانها، ونتضاحك تضاحك أقحوانها. وللنسيم، أثناء ذلك المنظر الوسيم ترسُّلٌ[5] مشي، على بساط وشي؛ فإذا مرَّ بغديرٍ نسجه درعاً، وأحكمه صُنعاً[6]، وإن عثر بجدولٍ شطب[7] منه نصلاً، وأخلصه صقلاً؛ فلا ترى إلّا بطاحاً، مملوءةً سلاحاً؛ كأنما انهزمت هنالك كتائب فألقت بما لبسته من درعٍ مصقول، وسيف مسلول.

ميزة نثره : يتعمد ابن خفاجة في نثره اسلوب ابن العميد والهمذاني من حيث السَّجع والتعمّل والتزام المحسّنات اللفظية.

---

١ الاغباب : ان يجيء المرء القوم يوماً ويغيب يوماً. ٢ النمير : الزاكي والناجع.
٣ الغماء : السحابة لا فرجة فيها اي اشبهت الارض السماء، فقرارات الغدران اشبهت سحب السماء الملتئمة. ٤ الحباب : معظم الماء؛ الحية. ٥ الترسل : المشي على مهل وهوادة.
٦ اي ان النسيم يجعد صفحة الماء فيجعلها كنسج حلق الدرع المجلوة. ٧ شطب الحداد السيف : جعل خطوطاً في نصله.

ابن سهل (١٢٠٨ – ١٢٥١ م / ٦٠٥ – ٦٤٩ هـ)

[هو شاعر الغزل وقف نفسه عليه وراح يعبّر عن كل ما يجول في خاطره حتى اصبح ديوانه صورة لوله العشاق ومجموعة لما يدبّ في نفوسهم من المعاني وفي قلوبهم من الاحساسات .]

٢٩٥ سَل في الظلام

سَلْ فِي ٱلظَّلَامِ أَخَاكَ ٱلْبَدْرَ عَنْ سَهَرِي ... تَدْرِي ٱلنُّجُومُ كَمَا يَدْرِي ٱلْوَرَى خَبَرِي
أَبِيتُ أَهْتِفُ بِالشَّكْوَى وَأَشْرَبُ مِنْ ... دَمْعِي وَأَنْشَقُ رَيًّا ذِكْرِكَ ٱلْعَطِرِ
حَتَّى أُخَيَّلَ أَنِّي شَارِبٌ ثَمِلٌ ... بَيْنَ ٱلرِّيَاضِ وَبَيْنَ ٱلْكَأْسِ وَٱلْوَتَرِ [1]
مَنْ لِي بِهِ؟ ٱخْتَلَفَتْ فِيهِ ٱلْمَلَاحَةُ إِذْ ... أَوْمَتْ إِلَى غَيْرِهِ إِيمَاءَ مُحْتَضَرِ [2]
مُعَطَّلٌ فَٱلْحِلَى مِنْهُ مُحَلَّأَةٌ ... تَغْنَى ٱلدَّرَارِي عَنِ ٱلتَّقْلِيدِ بِالدُّرَرِ [3]
بِخَدِّهِ لِفُؤَادِي نِسْبَةٌ عَجَبٌ ... كِلَاهُمَا أَبَدًا يَدْمَى مِنَ ٱلنَّظَرِ

٢٩٦ هل درى ظبي الحمى

[وقال ابن سهل في توشيح له :]

هَلْ دَرَى ظَبْيُ ٱلْحِمَى أَنْ قَدْ حَمَى ... قَلْبَ صَبٍّ حَلَّهُ عَنْ مَكْنِسِ [4]
فَهْوَ فِي حَرٍّ وَخَفْقٍ مِثْلَمَا ... لَعِبَتْ رِيحُ ٱلصَّبَا بِٱلْقَبَسِ [5]

---

١ الثمل : من اخذ فيه الشراب وسكر . ٢ اي تفاوتت فيه الملاحة عن نفسها عند الناس فهي فيه كاملة وفي غيره بمنزلة إشارة ضعيفة كإشارة المحتضر عند الموت . ٣ المعطّل : الخالي من الحلى . محلأة : ممنوعة . ٤ الصبّ : العاشق المشتاق . المكنس : الكناس وهو بيت الظبي في الشجر يستتر به . ٥ القبس : شعلة نار تؤخذ من معظم النار .

. . .

يَا بُدُورًا أَشْرَقَتْ يَوْمَ ٱلنَّوَى   غُرَرًا تَسْلُكُ بِي نَهْجَ ٱلْغَرَرْ [١]
مَا لِنَفْسِي فِي ٱلْهَوَى ذَنْبٌ سِوَى   مِنْكُمُ ٱلْحُسْنُ وَمِنْ عَيْنِي ٱلنَّظَرْ
أَجْتَنِي ٱللَّذَّاتِ مَكْلُومَ ٱلْجَوَى   وَٱلتَّذَاذِي مِنْ حَبِيبِي بِٱلْفِكَرْ [٢]

. . .

كُلَّمَا أَشْكُوهُ وَجْدِي بَسَمَا   كَٱلرُّبَى بِٱلْعَارِضِ ٱلْمُنْبَجِسِ [٣]
إِذْ يُقِيمُ ٱلْقَطْرُ فِيهَا مَأْتَمَا   وَهْيَ مِنْ بَهْجَتِهَا فِي عُرُسِ [٤]

. . .

أَيُّهَا ٱلسَّائِلُ عَنْ جُرْمِي لَدَيْهِ   لِي جَزَاءُ ٱلذَّنْبِ وَهْوَ ٱلْمُذْنِبُ
أَخَذَتْ شَمْسُ ٱلضُّحَى مِنْ وَجْنَتَيْهِ   مَشْرِقًا لِلشَّمْسِ فِيهِ مَغْرِبُ [٥]
ذَهَبَ ٱلدَّمْعُ بِأَشْوَاقِي إِلَيْهِ   وَلَهُ خَدٌّ بِلَحْظِي مُذْهَبُ [٦]

. . .

يَنْبُتُ ٱلْوَرْدُ بِغَرْسِي كُلَّمَا   لَاحَظَتْهُ مُقْلَتِي فِي ٱلْخُلَسِ
لَيْتَ شِعْرِي أَيُّ شَيْءٍ حَرَّمَا   ذَلِكَ ٱلْوَرْدَ عَلَى ٱلْمُغْتَرِسِ

. . .

كُلَّمَا أَشْكُو إِلَيْهِ حُرَقِي   غَادَرَتْنِي مُقْلَتَاهُ دَنِفَا [٧]

---

١ الغرر : التغرير والخطر . ٢ اي وانما التذاذي من حبيب بالتفكر فيه . ٣ العارض المنبجس : السحاب الهاطل . اي انه يبتسم كما تبتسم الجبال عن اعشاب وازهار بعد نزول المطر . ٤ اي ان نزول المطر يقيم في الربى مأتماً ومناحة ببكائه على حين ان الربى في اعراس من بهجتها واشراقها بالزهر . ٥ اي ان حمرة المشرق قبيل ظهور الشمس على الافق وحمرة شفقها بُعَيْد الغروب مستعارة من وجنتيه الحمراوين . ٦ اي مُذهَب من الخجل . وهذا المعنى مكرر جره اليه جناس الاشتقاق بين (ذهب) في اول البيت و (مذهب) في آخره . ٧ الدنف : المشرف على الموت .

تَرَكَتْ أَلحَاظُهُ مِنْ رَمَقِي أَثَرَ ٱلنَّمْلِ عَلَى صُمِّ ٱلصَّفَا[1]
وَأَنَا أَشْكُرُهُ فِيمَا بَقِي لَسْتُ أَلْحَاهُ عَلَى مَا أَتْلَفَا[2]

. . .

فَهْوَ عِنْدِي عَادِلٌ إِنْ ظَلَمَا وَعَذُولِي نُطْقُهُ كَٱلخَرَسِ
لَيْسَ لِي فِي ٱلْأَمْرِ حُكْمٌ بَعْدَ مَا حَلَّ مِنْ نَفْسِي مَحَلَّ ٱلنَّفَسِ

. . .

مِنْهُ لِلنَّارِ بِأَحْشَائِي ضِرَامْ تَتَلَظَّى كُلَّ حِينٍ مَا تَشَا
هِيَ فِي خَدَّيْهِ بَرْدٌ وَسَلَامْ وَهِيَ ضُرٌّ وَحَرِيقٌ فِي ٱلْحَشَا
أَتَّقِي مِنْهُ عَلَى حُكْمِ ٱلغَرَامْ أَسَدًا وَرْدًا وَأَهْوَاهُ رَشَا[3]

. . .

قُلْتُ لَمَّا أَنْ تَبَدَّى مُعْلَمَا وَهْوَ مِنْ أَلحَاظِهِ فِي حَرَسِ :[4]
أَيُّهَا ٱلْآخِذُ قَلْبِي مَغْنَمَا إِجْعَلِ ٱلْوَصْلَ مَكَانَ ٱلْخُمُسِ[5]

ميزة شعره : علق ابن سهل بالاوصاف الظاهرة أكثر مما حفل لاختلاجات النفوس، واسلوبه رقيق سهل قلّما يذهب فيه مذهب التكلّف في الاستعارات والمحسّنات . وصوره جميلة يرسم لنا فيها مشاهد فتّانة بلباقة وأناقة .

---

١ اي أثراً ضعيفاً لان النمل لا يؤثر مشيه في الصخرة الملساء . ٢ الحاه : ألومه واعيبه .
٣ الرشأ : الظبي . ٤ المُعْلَم : من جعل عليه سيماء الحرب . ٥ اي ان الجيش الفاتح لا يأخذ كل الغنيمة، بل يكون خمسها للدولة تنفقه في مصالح الناس وصدقاتهم .

لسان الدين بن الخطيب (١٣١٣_١٣٧٤م/٧١٣_٧٧٦هـ)

[رجل حوى في صدره ثقافة عصره من ادب وعلوم ولغة وفقه وفلسفة وطب. وقد عاش للعلم ومات في سبيله، وآثاره الكثيرة الباقية تشهد بسعة اطلاعه وطول باعه .]

٢٩٧ الفتح الغريب في الفتح القريب

[حدّث لسان الدين بن الخطيب قال : نظمت للسلطان الظافر وأنا بمدينة «سلا» لما انفصل طالباً حقه بالاندلس، قصيدةً كان صنع الله مطابقاً لاستهلالها، ووجهت بها الى «رُندة» قبل الفتح . ثم لمّا قدمتُ أنشدتها بين يديه بعد الفتح وفاء بنذري ، وسميتها الفتح الغريب في الفتح القريب :]

أَلْحَقُّ يَعْلُو وَٱلْأَبَاطِلُ تَسْفُلُ ... وَٱلْحَقُّ عَنْ أَحْكَامِهِ لَا يُسْأَلُ
فَإِذَا ٱسْتَحَالَتْ حَالَةٌ وَتَبَدَّلَتْ ... فَٱللهُ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَتَبَدَّلُ
وَٱلْيُسْرُ بَعْدَ ٱلْعُسْرِ مَوْعُودٌ بِهِ ... وَٱلصَّبْرُ بِٱلْفَرَجِ ٱلْقَرِيبِ مُوَكَّلُ
وَٱلْمُسْتَعِدُّ بِمَا يُؤَمِّلُ ظَافِرٌ ... وَكَفَاكَ شَاهِدُ «قَيِّدُوا وَتَوَكَّلُوا»
أَمُحَمَّدٌ وَٱلْحَمْدُ مِنْكَ سَجِيَّةٌ ... بِحُلِيِّهَا بَيْنَ ٱلْوَرَى يُتَجَمَّلُ
أَمَّا سُعُودُكَ فَهْوَ دُونَ مُنَازِعٍ ... عَقْدٌ بِأَحْكَامِ ٱلْقَضَاءِ يُسَجَّلُ [١]
وَلَكَ ٱلسَّجَايَا ٱلْغُرُّ وَٱلشِّيَمُ ٱلَّتِي ... بِغَرِيبِهَا يَتَمَثَّلُ ٱلْمُتَمَثِّلُ [٢]
وَلَكَ ٱلْوَقَارُ إِذَا تَزَلْزَلَتِ ٱلرُّبَى ... وَهَفَتْ مِنَ ٱلرَّوْعِ ٱلْهِضَابُ ٱلْمُثَّلُ [٣]
عَوِّذْ كَمَالَكَ مَا ٱسْتَطَعْتَ فَإِنَّهُ ... قَدْ تَنْقُصُ ٱلْأَشْيَاءُ مِمَّا تَكْمُلُ [٤]

---

١ العقد : هو الايجاب والقبول مع الارتباط المعتبر شرعاً . ٢ الشيم جمع شيمة وهي الطبيعة والخلق . يتمثّل المتمثل : يتشبه المتشبه او يجريه مثلاً . ٣ الروع : الخوف . ٤ عوّذ كمالك : اي ادعُ له بالحفظ .

إنْ كَانَ مَاضٍ مِنْ زَمَانِكَ قَدْ مَضَى   بِإِسَاءَةٍ قَدْ سَرَّكَ ٱلْمُسْتَقْبَلُ
هٰذَا بِذَاكَ فَشَفَّعِ ٱلثَّانِي ٱلَّذِي   أَرْضَاكَ فِيمَا قَدْ جَنَاهُ ٱلْأَوَّلُ
وَٱللهُ قَدْ وَلَّاكَ أَمْرَ عِبَادِهِ   لَمَّا ٱرْتَضَاكَ وِلَايَةً لَا تُعْزَلُ
وَإِذَا تَعَمَّدَكَ ٱلْإِلٰهُ بِنَصْرِهِ   وَقَضَى لَكَ ٱلْحُسْنَى فَمَنْ ذَا يَخْذُلُ [1]
وَظَعَنْتَ عَنْ أَوْطَانِ مُلْكِكَ رَاكِباً   مَتْنَ ٱلْعُبَابِ فَأَيُّ صَبْرٍ يَجْمُلُ [2]
وَٱلْبَحْرُ قَدْ حَنِيَتْ عَلَيْكَ ضُلُوعُهُ   وَٱلرِّيحُ تَقْطَعُ لِلزَّفِيرِ وَتُرْسِلُ
وَلَكَ ٱلْجَوَارِي ٱلْمُنْشَآتُ قَدِ ٱغْتَدَتْ   تَخْتَالُ فِي بُرْدِ ٱلشَّبَابِ وَتَرْفُلُ [3] . . .
لِلهِ مَوْقِفُكَ ٱلَّذِي وَثَبَاتُهُ   وَثَبَاتُهُ مَثَلٌ بِهِ يُتَمَثَّلُ [4]
وَٱلْخَيْلُ خَطٌّ وَٱلْمَجَالُ صَحِيفَةٌ   وَٱلسُّمْرُ تَنْقُطُ وَٱلصَّوَارِمُ تَشْكُلُ [5]
وَٱلْبِيضُ قَدْ كُسِرَتْ حُرُوفُ جُفُونِهَا   وَعَوَامِلُ ٱلْأَسَلِ ٱلْمُثَقَّفِ تُعْمَلُ [6]

ميزة شعره : شعره خالٍ من الوحي والانطلاق ، ضيّق الآفاق ، لا تكسوه الأصباغ الجميلة ، ولا يمشي على سنن الفن الجميل . وهو الى ذلك حافل بالالاعيب اللفظية وأساليب البديع .

٢٩٨ الكسل

[وقال من خطبة له في ذم الكسل :]

الكسل مزلقة [7] الربح ، ومسخرة الصبح . إذا رقدت النفس في فراش الكسل

---

١ تعمّدك الاله بنصره : اي حوّطك به . ٢ ظعنت : رحلت . المتن : الظهر . العباب : الماء الغمر ، البحر . ٣ الجواري : المراكب الماخرة في البحر . تختال : تميل عجباً . ترفل : تجرّ ذيلها تبختراً . ٤ وثباته : قفزاته . ثباته : صموده . وفي البيت جناس مركب ويقال له المتشابه . ٥ السمر : الرماح . الصوارم : السيوف القاطعة . وقد استعار الشاعر التنقيط للدلالة على طعنات الرماح ، والشكل للدلالة على ضربات السيوف . ٦ البيض : السيوف . جفون السيوف : اغمادها . عوامل الاسل : صدور الرماح وهي ما يلي السنان من كل رمح . المثقف : المقوّم . ٧ المزلقة : الارض لا تلبث عليها قدم .

إستغرقها نوم الغفلة[١] . لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير[٢] . الندامة في الكسل، كالسمّ في العسل . الكسل آفة[٣] الصنائع، وأرَضَة[٤] في البضائع . العجز والكسل يفتحان الخمول[٥] ولا تسل . الفلّاح إذا مل الحركة عدم البركة .

ظَهْرَانِ لَا يُبْلِغَانِ ٱلْمَرْءَ إِنْ رُكِبَا بَابَ ٱلسَّعَادَةِ ظَهْرُ ٱلْعَجْزِ وَٱلْكَسَلِ

وفي اغتنام الأنام من أضاع الفرصة تجرّع الغصة . إن كان لك من الزمان شيء فالحال، وما سواه فمحال . تاركُ أمره الى غد، لا يفلح للابد . الانسان ابن ساعته فليحطها من إضاعته . التسويف سمّ الاعمال وعدوّ الكمال . لم يُحرَم المبادر إلّا في النار . ما دَرَجت أفراخُ ذلّ إلّا من وكر طاعة . ولا بسقت[٦] فروع ندم إلّا من جرثومة إضاعة . العزم سوقٌ . والتاجر الجسور مرزوقٌ . من وثق بعهد الزمان علقت يداه بحبل الحرمان . الرّبح في ضمن الجسارة . والمضيعُ أولى بالخسارة .

ميزة نثره : اهم ما يمتاز به نثر لسان الدين الشغف بالمجاز والبديع حتى الاسراف، والاسهاب والإطناب، واعتماد السجع، وما الى ذلك مما يجعل الكلام فسيفساء مختلفة الالوان، متباينة الصور، لا يربط ما بين اجزائها رابط الفن والجمال .

---

١ نوم الغفلة : الموت . ٢ السعير : النار الملتهبة، اراد بذلك أهل جهنم . ٣ الآفة : الرذيلة، القبح . ٤ الأرضة : السوس يفسد الخشب والبضائع وهو دويبة صغيرة تفسد كل ما علقت به . ٥ الخمول : خلاف الشهرة . ٦ بسقت : ارتفعت .

العهد التركي

او

عصر الانحطاط

(١٢٥٨ - ١٧٩٨ م/٦٥٦ - ١٢١٣ هـ)

في الشعر

البوصيري (١٢١١ – ١٢٩٦)

٢٩٩ وخالف النفس !..

[من قصيدة شهيرة للبوصيري عنوانها « البُردة » في مدح النبي محمد ، وهي تقع في ١٦٢ بيتاً نجتزئ منها بما يلي :]

أَمِنْ تَذَكُّرِ جِيرَانٍ بِذِي سَلَمِ
مَزَجْتَ دَمْعاً جَرَى مِنْ مُقْلَةٍ بِدَمِ، [١]
أَمْ هَبَّتِ ٱلرِّيحُ مِنْ تِلْقَاءِ كَاظِمَةٍ
وَأَوْمَضَ ٱلبَرْقُ فِي ٱلظَّلْمَاءِ مِنْ إِضَمِ ؟ [٢]
فَمَا لِعَيْنَيْكَ إِنْ قُلْتَ : « اكْفُفَا ! » هَمَتَا ؟
وَمَا لِقَلْبِكَ إِنْ قُلْتَ : « ٱسْتَفِقْ ! » يَهِمِ ؟
يَا لَائِمِي فِي ٱلهَوَى ٱلعُذْرِيِّ مَعْذِرَةً
مِنِّي إِلَيْكَ، وَلَوْ أَنْصَفْتَ لَمْ تَلُمِ، [٣]
مَحَضْتَنِي ٱلنُّصْحَ لَكِنْ لَسْتُ أَسْمَعُهُ،
إِنَّ ٱلمُحِبَّ عَنِ ٱلعُذَّالِ فِي صَمَمِ [٤]

---

١ ذو سلم : اسم موضع . المقلة : العين . ٢ كاظمة : موضع على سيف البحر في طريق البحرين من البصرة بينه وبين البصرة مرحلتان . إضم : وادٍ بجبال تهامة من بلاد العرب يقع قرب المدينة (يثرب) . ٣ بالهوى العذريّ : الهوى الشديد العفيف ؛ يريد به هنا محبة الله . ٤ الصمم : انسداد الاذنين وثقل السمع .

إنّي ٱتّهمتُ نصيحَ ٱلشَّيبِ في عَذَلي،
وَٱلشَّيبُ أبعدُ في نُصحٍ عن ٱلتُّهمِ،
فإنَّ أمّارَتي بِٱلسُّوءِ ما ٱتّعظَتْ
مِنْ جهلِها بنذيرِ ٱلشَّيبِ وَٱلهرمِ،[1]
وَلا أعدّتْ مِنَ ٱلفعلِ ٱلجميلِ قِرَى
ضَيفٍ ألمَّ بِرأسِي غيرَ مُحتشِمِ .
مَنْ لي بِرَدِّ جِمُوحٍ مِنْ غَوايتِها
كما يُرَدُّ جِماحُ ٱلخَيلِ بِٱللُّجُمِ !
فلا تَرُمْ بِٱلمعاصِي كسرَ شهوتِها :
إنَّ ٱلطّعامَ يُقوّي شهوةَ ٱلنَّهمِ ؛[2]
وَٱلنّفسُ كَٱلطّفلِ ، إنْ تُهمِلهُ شَبَّ عَلى
حُبِّ ٱلرّضاعِ ، وإنْ تفطِمْهُ ينفطِمِ ؛
فَٱصرِفْ هواها، وحاذِرْ أنْ تُوَلّيَهُ،
إنَّ ٱلهوى ما تولّى يُصمِ أو يَصِمِ ؛[3]
كَمْ حسّنتْ لذّةً لِلمرءِ قاتِلَةً
مِنْ حيثُ لَمْ يدرِ أنَّ ٱلسُّمَّ في ٱلدَّسَمِ !
وَٱستفرِغِ ٱلدّمعَ مِنْ عَينٍ قدِ ٱمتلأتْ
مِنَ ٱلمحارِمِ وَٱلزَمْ حِميةَ ٱلنّدمِ،[4]
وَخالِفِ ٱلنّفسَ وَٱلشّيطانَ وَٱعصِهِما
وَإنْ هُما محضاكَ ٱلنُّصحَ فَٱتّهِمِ ،

---

١ الأمّارة : المغرية بالشر، يريد بها النفس . ٢ النّهم : الشَّره . ٣ أصمى : قتل . وصم : ألحق عيباً . ٤ الحِميَة : من حمى .

وَلَا تُطِعْ مِنْهُمَا خَصْماً وَلَا حَكَماً،
فَأَنْتَ تَعْرِفُ كَيْدَ ٱلْخَصْمِ وَٱلْحَكَمِ...

ميزة شعره : سموّ في الفكرة والعاطفة، تجلى في مجمل شعره النفس التائبة التي عرفت قيمة الدنيا الغرّارة، فراحت تذرف الدموع توبة واستغفاراً، وفيه الحكمة العميقة المستمدّة من كثرة التأمل والاختبار .

ابن الوردي

٣٠٠ إعتزل ذكرى الاغاني

[ان اشهر قصائد ابن الوردي لامية وفيها حكم بليغة نختار منها ما يأتي :]

إِعْتَزِلْ ذِكْرَى ٱلْأَغَانِي وَٱلْغَزَلْ وَقُلِ ٱلْفَصْلَ وَجَانِبْ مَنْ هَزَلْ [1]
وَدَعِ ٱلذِّكْرَى لِأَيَّامِ ٱلصِّبَا فَلِأَيَّامِ ٱلصِّبَا نَجْمٌ أَفَلْ [2]
وَٱتْرُكِ ٱلْغَادَةَ لَا تَحْفِلْ بِهَا تُمْسِ فِي عِزٍّ رَفِيعٍ وَتُجَلْ
وَٱفْتَكِرْ فِي مُنْتَهَى حُسْنِ ٱلَّذِي أَنْتَ تَهْوَاهُ تَجِدْ أَمْراً جَلَلْ [3]
وَٱهْجُرِ ٱلْخَمْرَةَ إِنْ كُنْتَ فَتًى كَيْفَ يَسْعَى فِي جُنُونٍ مَنْ عَقَلْ
وَٱتَّقِ ٱللهَ فَتَقْوَى ٱللهِ مَا جَاوَرَتْ قَلْبَ ٱمْرِىءٍ إِلَّا وَصَلْ
لَيْسَ مَنْ يَقْطَعُ طُرْقاً بَطَلَا إِنَّمَا مَنْ يَتَّقِي ٱللهَ ٱلْبَطَلْ
كُتِبَ ٱلْمَوْتُ عَلَى ٱلْخَلْقِ فَكَمْ فَلَّ مِنْ جَيْشٍ وَأَفْنَى مِنْ دُوَلْ [4]

---

١ اعتزل : ابتعد . الهزل : ضد الجدّ . ٢ أفل النجمُ : غاب . ٣ الامر الجلل : الامر العظيم . ٤ فلّ : بدّد .

أَيْنَ نُمْرُودُ وَكَنْعَانٌ وَمَنْ ... مَلَكَ ٱلْأَرْضَ وَوَلَّى وَعَزَلْ[1]
أَيْنَ مَنْ سَادُوا وَشَادُوا وَبَنَوا ... هَلَكَ ٱلْكُلُّ وَلَمْ تُغْنِ ٱلْقُلَلْ[2]
أَيْنَ أَرْبَابُ ٱلْحِجَى أَهْلُ ٱلنُّهَى ... أَيْنَ أَهْلُ ٱلْعِلْمِ وَٱلْقَوْمُ ٱلْأُوَلْ[3]
سَيُعِيدُ ٱللهُ كُلًّا مِنْهُمُ ... وَسَيَجْزِي فَاعِلًا مَا قَدْ فَعَلْ
يَا بُنَيَّ ٱسْمَعْ وَصَايَا جَمَعَتْ ... حِكَمًا خُصَّتْ بِهَا خَيْرُ ٱلْمِلَلْ
أُطْلُبِ ٱلْعِلْمَ وَلَا تَكْسَلْ فَمَا ... أَبْعَدَ ٱلْخَيْرَ عَلَى أَهْلِ ٱلْكَسَلْ
وَٱحْتَفِلْ لِلْفِقْهِ فِي ٱلدِّينِ وَلَا ... تَشْتَغِلْ عَنْهُ بِمَالٍ وَخَوَلْ[4]
وَٱهْجُرِ ٱلنَّوْمَ وَحَصِّلْهُ فَمَنْ ... يَعْرِفِ ٱلْمَطْلُوبَ يَحْقِرْ مَا بَذَلْ
لَا تَقُلْ قَدْ ذَهَبَتْ أَرْبَابُهُ ... كُلُّ مَنْ سَارَ عَلَى ٱلدَّرْبِ وَصَلْ
فِي ٱزْدِيَادِ ٱلْعِلْمِ إِرْغَامُ ٱلْعِدَى ... وَجَمَالُ ٱلْعِلْمِ إِصْلَاحُ ٱلْعَمَلْ
جَمِّلِ ٱلْمَنْطِقَ بِٱلنَّحْوِ فَمَنْ ... يُحْرَمِ ٱلْإِعْرَابَ بِٱلنُّطْقِ ٱخْتَبَلْ[5]
إِنْظِمِ ٱلشِّعْرَ وَلَازِمْ مَذْهَبِي ... فِي ٱطِّرَاحِ ٱلرِّفْدِ لَا تَبْغِي ٱلنِّحَلْ[6]
فَهْوَ عِنْوَانٌ عَلَى ٱلْفَضْلِ وَمَا ... أَحْسَنَ ٱلشِّعْرَ إِذَا لَمْ يُبْتَذَلْ
مُلْكُ كِسْرَى عَنْهُ تُغْنِي كِسْرَةٌ ... وَعَنِ ٱلْبَحْرِ ٱجْتِزَاءٌ بِٱلْوَشَلْ
إِطْرَحِ ٱلدُّنْيَا فَمِنْ عَادَاتِهَا ... تَخْفِضُ ٱلْعَالِي وَتُعْلِي مَنْ سَفَلْ
عِيشَةُ ٱلرَّاغِبِ فِي تَحْصِيلِهَا ... عِيشَةُ ٱلْجَاهِلِ فِيهَا أَوْ أَقَلْ
كَمْ جَهُولٍ بَانَ فِيهَا مُكْثِرًا ... وَعَلِيمٍ مَاتَ مِنْهَا بِعِلَلْ
كَمْ شُجَاعٍ لَمْ يَنَلْ فِيهَا ٱلْمُنَى ... وَجَبَانٍ نَالَ غَايَاتِ ٱلْأَمَلْ
فَٱتْرُكِ ٱلْحِيلَةَ فِيهَا وَٱتَّكِلْ ... إِنَّمَا ٱلْحِيلَةُ فِي تَرْكِ ٱلْحِيَلْ
لَا تَقُلْ أَصْلِي وَفَصْلِي أَبَدًا ... إِنَّمَا أَصْلُ ٱلْفَتَى مَا قَدْ حَصَلْ

---

١ نمرود وكنعان : اسماء ملوك قدماء، ونمرود : هو باني برج بابل فيا يقال . ٢ القلل جمع قلة : رأس الجبل . ٣ ارباب الحجى : اصحاب العقول الراجحة . ٤ الخول : الخدم . ٥ اختبل : فسد عقله . ٦ الرفد : العطاء، المعونة . النحل جمع النحلة : العطية والهبة واعطاء المرأة مهرها .

قَدْ يَسُودُ ٱلمَرْءُ مِنْ دُونِ أَبٍ   وَبِحُسْنِ ٱلسَّبْكِ قَدْ يُنْفَى ٱلدَّغَلْ [1]
إِنَّمَا ٱلوَرْدُ مِنَ ٱلشَّوْكِ وَمَا   يَنْبُتُ ٱلنَّرْجِسُ إِلَّا مِنْ بَصَلْ
قِيمَةُ ٱلإِنْسَانِ مَا يُحْسِنُهُ   أَكْثَرَ ٱلإِنْسَانُ مِنْهُ أَمْ أَقَلْ
بَيْنَ تَبْذِيرٍ وَبُخْلٍ رُتْبَةٌ   وَكِلَا هٰذَيْنِ إِنْ زَادَ قَتَلْ
لَيْسَ يَخْلُو ٱلمَرْءُ مِنْ ضِدٍّ وَلَوْ   حَاوَلَ ٱلعُزْلَةَ فِي رَأْسِ ٱلجَبَلْ
دَارِ جَارَ ٱلسُّوءِ بِٱلصَّبْرِ وَإِنْ   لَمْ تَجِدْ صَبْرًا فَمَا أَحْلَى ٱلنُّقَلْ
جَانِبِ ٱلسُّلْطَانَ وَٱحْذَرْ بَطْشَهُ   لَا تُعَانِدْ مَنْ إِذَا قَالَ فَعَلْ
لَا تَلِ ٱلأَحْكَامَ إِنْ هُمْ سَأَلُوا   رَغْبَةً فِيكَ وَخَالِفْ مَنْ عَذَلْ
إِنَّ نِصْفَ ٱلنَّاسِ أَعْدَاءٌ لِمَنْ   وَلِيَ ٱلأَحْكَامَ هٰذَا إِنْ عَدَلْ
قَصِّرِ ٱلآمَالَ فِي ٱلدُّنْيَا تَفُزْ   فَدَلِيلُ ٱلعَقْلِ تَقْصِيرُ ٱلأَمَلْ
غِبْ وَزُرْ غِبًّا تَزِدْ حُبًّا فَمَنْ   أَكْثَرَ ٱلتَّرْدَادَ أَضْنَاهُ ٱلمَلَلْ
لَا يَضُرُّ ٱلفَضْلَ إِقْلَالٌ كَمَا   لَا يَضُرُّ ٱلشَّمْسَ إِطْبَاقُ ٱلطَّفَلْ [2]
خُذْ بِنَصْلِ ٱلسَّيْفِ وَٱتْرُكْ غِمْدَهُ   وَٱعْتَبِرْ فَضْلَ ٱلفَتَى دُونَ ٱلحُلَلْ
حُبُّكَ ٱلأَوْطَانَ عَجْزٌ ظَاهِرٌ   فَٱغْتَرِبْ تَلْقَ عَنِ ٱلأَهْلِ بَدَلْ
فَبِمُكْثِ ٱلمَاءِ يَبْقَى آسِنًا   وَسُرَى ٱلبَدْرِ بِهِ ٱلبَدْرُ ٱكْتَمَلْ [3]

ميزته : شعر ابن الوردي متوسط الجودة، يحفل بالتورية وانواع البديع، واشهر ما في ديوانه اللّامية المتقدمة .

---

١ الدَّغل : الفساد. ٢ الطَّفل : قرب غروب الشمس . ٣ أسِن الماء : تغيّر فهو آسن .

صفي الدين الحلي*

٣٠١ لا يمتطي المجد

[ورد صفي الدين مصر ومثل في حضرة الملك الناصر فمدحه ونال منه الهبات الجسيمة وقال هذه القصيدة يحرّضه بها على الاحتراز من المغول ومنافرتهم عند اقبالهم :]

لَا يَمْتَطِي ٱلْمَجْدَ مَنْ لَمْ يَرْكَبِ ٱلْخَطَرَا
وَلَا يَنَالُ ٱلْعُلَى مَنْ قَدَّمَ ٱلْحَذَرَا [١]

وَمَنْ أَرَادَ ٱلْعُلَى عَفْوًا بِلَا تَعَبٍ
قَضَى وَلَمْ يَقْضِ مِنْ إِدْرَاكِهَا وَطَرَا [٢]

لَا بُدَّ لِلشَّهْدِ مِنْ نَحْلٍ يُمَنِّعُهُ
لَا يَجْتَنِي ٱلنَّفْعَ مَنْ لَمْ يَحْمِلِ ٱلضَّرَرَا

مَنْ فَاتَهُ ٱلْعِزُّ بِٱلْأَقْلَامِ أَدْرَكَهُ
بِٱلْبِيضِ يَقْدَحُ مِنْ أَطْرَافِهَا ٱلشَّرَرَا [٣]

لَا يَحْسُنُ ٱلْحِلْمُ إِلَّا فِي مَوَاطِنِهِ
وَلَا يَلِيقُ ٱلْوَفَا إِلَّا لِمَنْ شَكَرَا [٤]

وَلَا يَنَالُ ٱلْعُلَى إِلَّا فَتًى شَرُفَتْ
خِلَالُهُ، فَأَطَاعَ ٱلدَّهْرُ مَا أَمَرَا [٥]

---

١ يمتطي : يركب . الحذر : اراد به الفزع . ٢ عفواً : بلا كلفة . قضى : مات . الوطر : الحاجة . ٣ البيض : السيوف . ٤ الحلم : الصفح عند المقدرة . ٥ خلال جمع خلّة : خصلة .

كَالصَّالِحِ ٱلْمَلِكِ ٱلْمَرْهُوبِ سَطْوَتُهُ
فَلَوْ تَوَعَّدَ قَلْبَ ٱلدَّهْرِ لَٱنْفَطَرَا [1]

يَكَادُ يَقْرَأُ مِنْ عُنْوَانِ هِمَّتِهِ
مَا فِي صَحَائِفِ ظَهْرِ ٱلْغَيْبِ قَدْ سُطِرَا [2]

كَٱلْبَحْرِ وَٱلدَّهْرِ فِي يَوْمَيْ نَدًى وَرَدًى
وَٱللَّيْثِ وَٱلْغَيْثِ فِي يَوْمَيْ وَغًى وَقِرًى [3]

مَا جَادَ لِلنَّاسِ إِلَّا قَبْلَمَا سَأَلُوا
وَلَا عَفَا قَطُّ إِلَّا بَعْدَمَا قَدِرَا

إِذَا غَدَا ٱلْغُصْنُ غَضًّا مِنْ مَنَابِتِهِ
مَنْ شَاءَ فَلْيَجْنِ مِنْ أَفْنَانِهِ ٱلثَّمَرَا

مِنْ آلِ أُرْتُقَ ٱلْمَشْهُورِ ذِكْرُهُمُ
إِذْ كَانَ كَٱلْمِسْكِ إِنْ أَخْفَيْتَهُ ظَهَرَا

أَلْحَامِلِينَ مِنَ ٱلْخَطِّيِّ أَطْوَلَهُ
وَٱلنَّاقِلِينَ مِنَ ٱلْأَسْيَافِ مَا قَصُرَا [4]

لَمْ يَرْحَلُوا عَنْ حِمَى أَرْضٍ إِذَا نَزَلُوا
إِلَّا وَأَبْقَوْا بِهَا مِنْ جُودِهِمْ أَثَرَا

تَبْقَى صَنَائِعُهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ بَعْدَهُمُ
وَٱلْغَيْثُ إِنْ سَارَ أَبْقَى بَعْدَهُ ٱلزَّهَرَا

يَا أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ ٱلْبَانِي لِدَوْلَتِهِ
ذِكْرًا طَوَى ذِكْرَ أَهْلِ ٱلْأَرْضِ وَٱنْتَشَرَا

---

١ انفطر : انشقّ . ٢ تلخيص المعنى ، اذا همّ بأمر أتاه الله توفيقاً بحيث اصبح عزمه علـى الشيء دليلاً على قضاء الله به . ٣ الندى : الكرم . الردى : الهلاك . الوغى : القتال . القِرى : الضيافة ، وفي صدر البيت وعجزه طيّ ونشر . ٤ الخطيّ : الرمح ، فقد وصف الرمح بالطول ، والسيف بالقصر إشارة الى استكمال آلات الحرب .

كَانَتْ عِدَاكَ لَهَا دَسْتٌ فَقَدْ صَدَعَتْ
حَصَاةُ جِدِّكَ ذَاكَ ٱلدَّسْتَ فَٱنْكَسَرَا [١]
فَأَوْقِعْ إِذَا غَدَرُوا سَوْطَ ٱلْعَذَابِ بِهِمْ
يَظَلُّ يَخْشَاكَ صَرْفُ ٱلدَّهْرِ إِنْ غَدَرَا
وَأَرْعِبْ قُلُوبَ ٱلْعِدَى تُنْصَرْ بِخَذْلِهِمِ
إِنَّ ٱلنَّبِيَّ بِفَضْلِ ٱلرُّعْبِ قَدْ نُصِرَا [٢]
وَلَا تُكَدِّرْ بِهِمْ نَفْساً مُطَهَّرَةً
فَٱلْبَحْرُ مِنْ يَوْمِهِ لَا يَعْرِفُ ٱلْكَدَرَا
ظَنُّوا تَأَنِّيكَ عَنْ عَجْزٍ وَمَا عَلِمُوا
أَنَّ ٱلتَّأَنِّيَ فِيهِمْ يُعْقِبُ ٱلظَّفَرَا [٣]
أَحْسَنْتُمُ فَبَغَوْا جَهْلًا وَمَا ٱعْتَرَفُوا
لَكُمْ وَمَنْ كَفَرَ ٱلنُّعْمَى فَقَدْ كَفَرَا [٤]

٣٠٢ ورد الربيع

وَرَدَ ٱلرَّبِيعُ فَمَرْحَباً بِوُرُودِهِ وَبِنُورِ بَهْجَتِهِ وَنَوْرِ وُرُودِهِ [٥]
وَبِحُسْنِ مَنْظَرِهِ وَطِيبِ نَسِيمِهِ وَأَنِيقِ مَلْبَسِهِ وَوَشْيِ وُرُودِهِ [٦]

١ الدست : الغلبة في لعبة الشطرنج ، اراد به مطلق الغلبة ، واراد بالحصاة معنيها : القريب وهو واحدة الحصى، والبعيد وهو العقل والرأي وحسن التدبير . الجِدّ : الاجتهاد والاحتياط . صدع : كسر وتلخيص المعنى ، كانت الغلبة لعداك على خصومهم فلمّا رميتهم بحسن تدبيرك وكمال رايك انقلبت غلبتهم انكساراً . ٢ بخذلهم : بفشلهم، اخفاقهم . ٣ التأني : الترفق، يريد ان التأني اعقب الظفر سببه فكان الظفر عاقبته . ٤ بغى : مال عن الحق . كفر النعمى : لم يشكر عليها صاحبها . النعمى : النعمة . كفر الثانية : بمعنى لم يؤمن، تلخيص المعنى، انهم قابلوا نعمك بالنكران ومن كفر بالمعروف كمن كفر بالدين فهو مستوجب القتل . ٥ النَّوْر بفتح النون : الزهر . ٦ الانيق : الحسن الجميل . الوشي : نقش الثوب .

فَضْلٌ إِذَا ٱفْتَخَرَ ٱلزَّمَانُ فَإِنَّـهُ   إِنْسَانُ مُقْلَتِهِ وَبَيْتُ قَصِيدِهِ [١]
يُغْنِي ٱلْمِزَاجَ عَنِ ٱلْعِلَاجِ نَسِيمُهُ   بِٱللُّطْفِ عِنْدَ هُبُوبِهِ وَرُكُودِهِ
يَا حَبَّذَا أَزْهَـارُهُ وَثِمَارُهُ   وَنَبَاتُ نَاجِمِهِ وَحَبُّ حَصِيدِهِ [٢]
وَتَجَاوُبُ ٱلْأَطْيَارِ فِي أَشْجَارِهِ   كَبَنَاتِ مَعْبَدَ فِي مَوَاجِبِ عُودِهِ [٣]
وَٱلْغُصْنُ قَدْ كُسِيَ ٱلْغَلَائِلَ بَعْدَمَا   أَخَذَتْ يَدَا كَانُونَ فِي تَجْرِيدِهِ
نَالَ ٱلصِّبَا بَعْدَ ٱلْمَشِيبِ وَقَدْ جَرَى   مَاءُ ٱلشَّبِيبَةِ فِي مَنَابِتِ عُودِهِ
وَٱلْوَرْدُ فِي أَعْلَى ٱلْغُصُونِ كَأَنَّهُ   مَلِكٌ تَحُفُّ بِهِ سَرَاةُ جُنُودِهِ [٤]
وَكَأَنَّمَا ٱلْقَدَّاحُ سِمْطُ لَآلِىءٍ   هُوَ لِلْقَضِيبِ قِلَادَةٌ فِي جِيدِهِ [٥]
وَٱلْيَاسَمِينُ كَعَاشِقٍ قَدْ شَفَّهُ   جَوْرُ ٱلْحَبِيبِ بِهَجْرِهِ وَصُدُودِهِ
وَٱنْظُرْ لِنَرْجِسِهِ ٱلْجَنِيِّ كَأَنَّهُ   طَرْفٌ تَنَبَّهَ بَعْدَ طُولِ هُجُودِهِ
وَٱعْجَبْ لِأَذَرْيُونِـهِ وَبَهَارِهِ   كَٱلتِّبْرِ يَزْهُو بِٱخْتِلَافِ نُقُودِهِ [٦]
وَٱنْظُرْ إِلَى ٱلْمَنْظُومِ مِنْ مَنْثُورِهِ   مُتَنَوِّعًا بِفُصُولِهِ وَعُقُودِهِ
أَوَمَا تَرَى ٱلْغَيْمَ ٱلرَّقِيقَ وَمَا بَدَا   لِلْعَيْنِ مِنْ أَشْكَالِـهِ وَطُرُودِهِ
وَٱلسُّحْبُ تَعْقِـدُ فِي ٱلسَّمَاءِ مَآتِمًا   وَٱلْأَرْضُ فِي عُرْسِ ٱلزَّمَانِ وَعِيدِهِ
نَدَبَتْ فَشَقَّ لَهَا ٱلشَّقِيقُ جُيُوبَهُ   وَٱزْرَقَّ سَوْسَنُهَا لِلَطْمِ خُدُودِهِ [٧]
وَٱلْمَاءُ فِي تَيَّارِ دِجْلَةَ مُطْلَقٌ   وَٱلْجِسْرُ فِي أَصْفَادِهِ وَقُيُودِهِ
وَٱلْغَيْمُ يَحْكِي ٱلْمَاءَ فِي جَرَيَانِهِ   وَٱلْمَاءُ يَحْكِي ٱلْغَيْمَ فِي تَجْعِيدِهِ
فَٱبْكُرْ إِلَى رَوْضِ ٱلصَّرَاةِ وَظِلِّهَا   فَٱلْعَيْشُ بَيْنَ بَسِيطِهِ وَمَدِيدِهِ [٨]

---

١ انسان المقلة : بؤبؤ العين . بيت القصيد : احسن بيت في القصيدة . ٢ الناجم : العشب النابت من الارض . ٣ معبد : مغنٍّ من اشهر مغني العصر العباسي . مواجب العود : نغماته المتتابعة . ٤ السراة : الأشراف . ٥ القدّاح : اسم لزهر طيّب الرائحة . قلادة : ضرب من الحليّ يجعل في العنق . الجيد : العنق . ٦ الآذريون والبهار : ضرب من الازهار الذكية الرائحة . التبر : الذهب . ٧ الجيوب جمع الجيب : هو من القميص الموضع المقوّر . ٨ روض الصراة : اسم لمكان نزه .

ميزة شعره : نرى في شعره ديباجة حسنة ورشاقة نظم بالفاظ مصقولة ومعانٍ معسولة وشأْها بالاستعارات الشريفة والكنايات اللطيفة والنكات الظريفة فجاءت اشهى من الماء الزلال واحلى من السحر الحلال لا يؤخذ على صاحبها سوى تعمّد الصنعة .

ابن نباتة

٣٠٣ فطمت ولائي

[من لطيف تلاعب ابن نباتة بالنظم قصيدة بعث بها الى صلاح الدين الصفدي وكان قد ارسل اليه قصيدة يعاتبه بها وجعل ابياتها شطراً منه وشطراً من معلقة امرىء القيس، قال :]

فَطَمْتَ وِلَائِي ثُمَّ أَقْبَلْتَ عَاتِباً أَفَاطِمَ مَهْلًا بَعْضَ هٰذَا ٱلتَّدَلُّلِ ١
بِرُوحِيَ أَلْفَاظٌ تَعَرَّضَ عَتْبُهَا تَعَرُّضَ أَثْنَاءِ ٱلْوِشَاحِ ٱلْمُفَصَّلِ ٢
فَأَحْيَيْنَ وُدًّا كَانَ كَٱلرَّسْمِ عَافِياً بِسِقْطِ ٱللِّوَى بَيْنَ ٱلدَّخُولِ فَحَوْمَلِ ٣
تُعَفِّي رِيَاحُ ٱلْعُذْرِ مِنْكَ رُقُومَهُ لِمَا نَسَجَتْهَا مِنْ جَنُوبٍ وَشَمْأَلِ ٤

---

١ فطمت ولائي : قطعت اسباب مودّتي وقوله افاطم لا يجوز فيه سوى الضمّ لان المخاطب مذكر واما في معلقة امرىء القيس فيجوز الفتح على لغة من ينتظر في الترخيم، والضم على لغة من لا ينتظر لان المخاطب مؤنث اي فاطمة . ٢ الاثناء : من الثوب طيّاته . الوشاح : شبه قلادة من نسيج عريض يرصّع بالجوهر تشدّه المرأة بين عاتقها وكشحها . المفصّل : يقال عقد مفصّل : اي خولفت الوان خرزاته . ٣ عافياً : ممحوّاً . السقط : منقطع الرمل . اللوى : الرمل الملتوي . الدخول وحومل : موضعان . ٤ تعفي : تمحو . نسجتها : يقال نسجت الريح الربع تعاورته ريحان طولاً وعرضاً .

نَعَمْ قُوِّضَتْ مِنكَ ٱلْمَوَدَّةُ وَٱنْقَضَتْ   فَيَا عَجَبًا مِنْ رَحْلِهَا ٱلْمُتَحَمِّلِ [1]
أَمَوْلَايَ لَا تَسْلُكْ مِنَ ٱلظُّلْمِ وَٱلْجَفَا   بِنَا بَطْنَ خَبْتٍ ذِي قِفَافٍ عَقَنْقَلِ [2]
وَلَا تَنْسَ مِنِّي صُحْبَةً تَصْدَعُ ٱلدُّجَى   بِصُبْحٍ وَمَا ٱلْإِصْبَاحُ مِنْهَا بِأَمْثَلِ [3]
فَكَمْ خِدْمَــةٍ عَجَّلْتَهَا وَمَحَبَّةٍ   تَمَتَّعْتُ مِنْ لَهْوٍ بِهَا غَيْرَ مُعْجِلِ
وَكَمْ أَسْطُرٍ مِنِّي وَمِنْكَ كَأَنَّهَا   عَذَارَى دَوَارٍ فِي مُلَاءٍ مُذَيَّلِ [4]
وَكَمْ نَاصِحٍ كَذَّبْتُ دَعْوَاهُ إِذْ غَدَتْ   عَلَـيَّ وَآلَتْ حِلْفَةً بِتَحَلُّلِ [5]
إِلَى أَنْ تَبَدَّى غَدْرُهُ مُتَمَطِّيًا   وَأَرْدَفَ أَعْجَازًا وَنَاءَ بِكَلْكَلِ [6]
وَضَنَّ بِأَسْطَــارٍ كَأَنَّ يَرَاعَهَا   أَسَارِيعُ ظَبْيٍ أَوْ مَسَاوِيكُ إِسْحِلِ [7]
وَيَقْرَعُ سَمْعِي مِنْ مَعَارِيضِ لَفْظِهِ   مَدَاكُ عَرُوسٍ أَوْ صَلَايَةُ حَنْظَلِ [8]
وَعُدْنَا لِوُدٍّ يَمْلَأُ ٱلْقَلْبَ عَوْدُهُ   بِشَحْمٍ كَهُدَّابِ ٱلدِّمَقْسِ ٱلْمُفَتَّلِ [9]
أَعَدْتَ صَلَاحَ ٱلدِّينِ عَهْدَ مَوَدَّةٍ   بِكُلِّ مُغَارِ ٱلْفَتْلِ شُدَّتْ بِيَذْبُلِ [10]

---

١ قوضت : هدمت . الرحل : ما يستصحبه المسافر من الاثاث . ٢ الخبت : ما اطمأن من الارض . القفاف جمع القُف : حجارة غـاص بعضها ببعض لا تخالطها سهولة . العقنقـل : الوادي المتسع وهو بيان لخبت . ٣ صدع : كسر . امثـل : اوفق . ٤ دوار : صنم كان العرب يدورون حوله . الملاء جمع ملاءة : ملحفة . مذيل : طويل الذيـل . ٥ آلى : حلف ويحتمل ان يكون هنا آل بمعنى رجع اي صارت دعواه حلفة محرّمة ٦ تمطى : تمدّد . أردف : أتبع . الاعجاز جمع العجز : المؤخر . ناء بحمله : رزح تحته . الكلكل : الصدر . ٧ ضنّ : بخـل . الاساريع : جمع أُسْروع وهو عَصَبة تستبطن رجـل الظبي . المساويك جمع المسواك : عود تنظف به الاسنان . الاسحل : ضرب من الشجر . ٨ المعاريض جمـع المعراض : وهو من الكلام فحواه ومؤداه . المداك : حجر يسحق عليه الطيب . الصلاية : حجر يسحق به الطيب وغيره . الحنظل : نبات له ثمر شديد المرارة . ٩ الهدّاب من الثوب: خيوط تبقى في اطرافه . الدمقس : الحرير الابيض . ١٠ مغار الفتـل : محكمه . يذبل : علم جبل في بلاد نجد .

في النثر

ابن بطوطة (١٣٠٤ _ ١٣٧٧)

٣٠٤ النارجيل

[قام ابن بطوطة بثلاث رحلات مهمة جاب بها اكثر بلاد المعمور المعروفة في زمانه . ففي رحلته الاولى (١٣٢٥ – ١٣٤٩) مرَّ بجزيرة العرب وشاهد شجر النارجيل – وهو جوز الهند – فوصفه بما يلي :]

هذا الشجر من اغرب الاشجار شأناً واعجبها أمراً . وشجره شبه شجر النخل لا فرق بينهما، الا ان هذه تثمر جوزاً وتلك تثمر تمراً . وجوزها يشبه رأس ابن آدم، لان فيها شبه العينين، والفم، وداخلها شبه الدماغ اذا كانت خضراء، وعليها ليف شبه الشعر . وهم يصنعون منه حبالاً يخيطون بها المراكب عوضاً عن مسامير الحديد، ويصنعون الحبال منه للمراكب . والجوزة منها، تكون بمقدار رأس الآدمي .

ويزعمون انَّ حكيماً من حكماء الهند، في غابر الزمان، كان متصلاً بملك من الملوك، ومعظَّماً لديه . وكان للملك وزيرٌ بينه وبين هذا الحكيم معاداة . فقال الحكيم للملك : « ان رأس هذا الوزير، اذا قُطع ودُفن، تخرج منه نخلة تثمر بتمرٍ عظيم يعود نفعه على اهل الهند وسواهم من اهل الدنيا » . فقال له الملك : « فان لم يظهر من رأس الوزير ما ذكرته؟ . . » قال « ان لم يظهر فاصنع برأسي كما صنعتَ برأسه » . فأمر الملك برأس الوزير فقُطع، واخذه الحكيم وغرس نواة

تمر في دماغه، وعالجها حتى صارت شجرة، واثمرت بهذا الجوز . وهذه الحكاية من الاكاذيب، وانّا ذكرناها لشهرتها عندهم .

ومن خواصّ هـذا الجوز تقوية البدن، وإسراع السِّمَن، والزيادة في حمرةِ الوجه . ومن عجائبه انه يكون في ابتداء امره اخضرَ، فمن قطع بالسكين قطعة من قشره وفتح رأس الجوزة، شرب منها ماء في النهاية من الحلاوة والبرودة، ومزاجه حارّ . فاذا شرب ذلك الماء، اخذ قطعة القشرة وجعلها شبه الملعقة، وجرّد بها ما في داخل الجوزة من الطعم[1] . فيكون طعمه كطعم البيضة، اذا شويت ولم يتمّ نضجها كل التمام، ويتغذّى به .

ومن عجائبه أنه يُصنع منه الزيت، والحليب، والعسل .

واما كيفية صناعة العسل منه، فان خدّام النخل منه، ويسمون « الفازانية »، يصعدون الى النخلة غدوًّا وعشيًّا، اذا ارادوا اخذ مائها الذي يصنعون منه العسل. وهم يسمونه « الاطواق » فيقطعون العِذْق[2] الذي يخرج منه الثمر، ويتركون منه مقدار إصبعين، ويربطون عليه قدراً صغيرة، فيقطر فيها الماء الذي يسيل من العذق . فاذا ربطها غدوةً صعد اليها عشيًّا، ومعه قدحان من قشر الجوز المذكور، احدهما مملوء ماء . فيصبُّ ما اجتمع من ماء العذق في احد القدَحين، ويغسله بالماء الذي في القــدح الآخر . وينجِر من العذق قليلًا، ويربط عليه القدر ثانية . ثم يفعل غدوةً كفعله عشيًّا . فاذا اجتمع له الكثير من ذلك الماء، طبخه كما يطبخ ماء العنب اذا صُنع منه الرُّبّ[3] . فيصير عسلًا عظيم النفع طيبًا، فيشتريه تجّار الهند واليمن والصين، ويحملونه الى بلادهم ويصنعون منه الحلواء .

واما كيفية صُنع الحليب منه، فإنّ بكل دار شبه كرسيّ تجلس فوقه المرأة، ويكون بيدها عصاً في احد طرَفيها حديدة . فيفتحون في الجوزة مقدار ما تدخل

١ الطعم : الطعام . ٢ العِذق : كل غصن له شعب . ٣ الرّبّ : الدبس .

تلك الحديدة، ويجرشون ما في باطن الجوزة . وكلّ ما ينزل منها يجتمع في صحفة، حتى لا يبقى في داخل الجوزة شيء . ثم يُمرس[1] ذلك الجريش بالماء فيصير كلون الحليب بياضاً، ويكون طعمه كطعم الحليب، ويأتدم[2] به الناس .

واما كيفية صنع الزيت، فإنهم يأخذون الجوز بعد نضجه وسقوطه عن شجره، فيزيلون قشره، ويقطعونه قطعاً، ويُجعل في الشمس . فاذا ذبل طبخوه في القدور، واستخرجوا زيته . وبه يستصبحون[3] ويأتدمون به، وتجعله النساء في شعورهن . وهو عظيم النفع .

٣٠٥ بلاد الصين

[وصل ابن بطوطة، في رحلته الاولى، بعد جولة واسعة في السند والهند، الى بلاد الصين، وها هوذا يذكر لنا بعض ما شاهده فيها .]

إقليم[4] الصين مُتسع كثير الخيرات، والفواكه، والزرع، والذهب، والفضة، لا يضاهيه في ذلك إقليم من اقاليم الارض. ويخترقه النهر المعروف « باب حياة » معنى ذلك « ماء الحياة » ويسمى ايضاً نهر السبر[5]، كاسم النهر الذي بالهند، ومنبعه من جبال بقرب مدينة خان باليق[6]، تُسمى « كوه بوزنه » معناه « جبل القرود » . ويمر في وسط الصين مسيرة ستة اشهر الى ان ينتهي الى صين الصين[7]، وتكتنفه القرى والمزارع والبساتين والاسواق ؛ وعليه النواعير الكثيرة . وببلاد الصين السكر الكثير، والاعناب، والإجاص، والبطيخ العجيب . وكل ما ببلادنا من

---

١ مرَسه : نقعه ودلكه في الماء . ٢ ائتدم به : اتخذه إداماً، وهو ما يطيّب الخبز للآكل.
٣ استصبح : استضاء . ٤ الاقليم : قسم من الارض يختص باسم ويتميز به . ٥ نهر السبر: الصواب : نهر السّرو وهو النهر الاصفر . ٦ خان بالق : هي مدينة باكين . ٧ صين الصين : كانتون الحالية .

الفواكه فانّ بها ما هو مثله واحسن منه. والقمح بها كثير جداً ولم ارَ قمحاً اطيب منه . وكذلك العدس والحمّص .

واهل الصين كفّار يعبدون الاصنام، ويُحرقون موتاهم كما تفعل الهنود . وملك الصين تتري من ذرية تنكيزخان . وكفّار الصين يأكلون لحوم الخنازير والكلاب، ويبيعونها في اسواقهم . وهم اهل رفاهية وسعة عيش، الا انهم لا يحتفلون[1] في مطعم ولا ملبس. . . انما يحتفلون في اواني الذهب والفضة . ولكل واحد منهم عكّازٌ يعتمد عليه في المشي، ويقولون : «هو الرِّجل الثالثة !» والحرير عندهم كثير جداً، لان الدود تتعلق بالثمار، وتأكل منها، فلا تحتاج الى كثير مؤنة . ولذلك كثر، وهو لباس الفقراء والمساكين. . . وعادتهم ان يسبك التاجر ما يكون عنده من الذهب والفضة قطعاً، تكون القطعة منها من قنطار فما فوقه وما دونه، ويجعل ذلك على باب داره .

واهل الصين لا يتبايعون بدينار ولا درهم، وجميع ما يتحصل ببلادهم من ذلك يسبكونه قطعاً كما ذكرناه . وانما بيعهم وشراؤهم بقطع كاغد[2]، كل قطعة منها قدر الكف، مطبوعة بطابع السلطان وتسمى الخمس والعشرون قطعة منها «بالشت» وهو بمعنى الدينار عندنا . واذا تمزّقت تلك الكواغد في يد انسان، حملها الى دارٍ، كدار السكة[3] عندنا، فاخذ عوضها جدداً، ورفع تلك . ولا يُعطي على ذلك اجرة ولا سواها، لان الذين يتولون عملها، لهم الارزاق الجارية من قِبل السلطان، وقد وُكل بتلك الدار امير من كبار الامراء .

واهل الصين اعظم الامم إحكاماً للصناعات، واشدُّهم إتقاناً فيها . وذلك مشهور من حالهم قد وصفه الناس فأطنبوا فيه . واما التصوير فلا يجاريهم احد في إحكامه، من الروم ولا من سواهم . فان لهم فيه اقتداراً عظيماً . ومن

١ احتفل بالشيء : اهتمّ . ٢ الكاغد : القرطاس . ٣ دار السكة : حيث تصنع النقود .

عجيب ما شاهدت لهم من ذلك أني ما دخلت قطُّ مدينة من مدنهم ثم عدت اليها الا ورأيت صورتي وصوَر أصحابي منقوشة في الحيطـان والكواغد، موضوعة في الاسواق . ولقد دخلت الى مدينة السلطان[1] فمررت على سوق النقّاشين، ووصلت الى قصر السلطان مع اصحابي، ونحن عـلى زيّ العراقيين . فلما عدت من القصر عشياً، مررت بالسوق المذكورة، فرأيت صورتي وصوَر اصحابي منقوشة في كاغد، قد الصقوه بالحائط . فجعل كل واحد منا ينظر الى صورة صاحبه لا تخطئ شيئاً من شبه . وذُكر لي ان السلطان امرهم بذلك، وانهم اتوا الى القصر، ونحن فيه . فجعلوا ينظرون الينا، ويصوّرون صوَرنا، ونحن لم نشعر بذلك . وتلـك عادة لهم في تصوير كل من يمرّ بهم . وتنتهي حالهم في ذلك الى ان الغريب، اذا فعل ما يُوجب فراره عنهم، بعثوا صورته الى البلاد . وبُحث عنه، فحيثما وُجد شبَه تلك الصورة، أُخذ .

ميزة نثره : واقعي يسرد ما يرى وما يترامى الى سمعه، وفي ما ينقله لنا افادات جمة عن احوال زمانه، بانشاء بسيط صفيق التساوق ونرى عبارته تنحدر في بعض الاحيان الى درجـة الركاكة .

ابن خلدون (١٣٣٢ ـ ١٤٠٦)

٣٠٦ في وجوه المعاش

[بعد ان تكلم ابن خلدون على فضل علم التاريخ، انتقل الى طبيعة العمران في الخليقة وما يعرض فيها من البدو والحضر والتغلّب والكسب والمعاش والصنائع

---

١ مدينة السلطان : اي خان بالق (باكين) .

والعلوم ونحوها وما لذلك من العلل والاسباب، وجعل كلامه هذا في ستة ابواب، نجتزئ من الباب الخامس بما يلي :]

إعلم أنَّ المعاشَ هو عبارةٌ عن ابتغاء الرزق والسعي في تحصيله وتحصيل الرزق وكسبه إما ان يكون بأخذه من يد الغير وانتزاعه بالاقتدار عليه على قانون مُتعارف، ويسمى مَغرَماً وجِبايةً ؛ وإماً أن يكون من الحيوان الوحشيّ باقتراسه واخذه برميه من البر او البحر ويسمى اصطياداً ؛ واما أن يكون من الحيوان الداجن باستخراج فضوله المنصرفة بين الناس في منافعهم كاللبن من الانعام[1]، والحرير من دوده، والعسل من نحله، او يكون من النبات في الزرع، والشجر بالقيام عليه واعداده لاستخراج ثمرته، ويسمى هذا كله فلحاً ، وإما ان يكون الكسب من الاعمال الانسانية إما في مواد معيّنة وتسمى الصنائع من كتابةٍ ونجارة وخياطة وحياكة وفروسيّة وامثال ذلك، او في موادَّ غير معينة وهي جميع الامتهانات[2] والتصرفات ؛ واما ان يكون الكسب من البضائع واعدادها للأعواض، اما بالتقلب[3] بها في البلاد، واحتكارها، وارتقاب حوالة الاسواق فيها، ويسمى هذا تجارة .

فهذه وجوه المعاش واصنافه وهي معنى ما ذكره المحققون من اهل الادب والحكمة كالحريريّ وغيره ، فإنهم قالوا: «المعاشُ إمارة وتجارة وفلاحة وصناعة ؛» فأما الامارة فليست بمذهب طبيعي المعاش، فلا حاجة بنا الى ذكرها ، وقد تقدّم شيءٌ من احوال الجبايات السلطانية[4] واهلها في الفصل الثاني ؛ واماً الفلاحة والصناعة والتجارة فهي وجوه طبيعية للمعاش ؛ اماً الفلاحة فهي متقدمة عليها كلها بالذات اذ هي بسيطة وطبيعية فِطريّة لا تحتاج الى نظر ولا علم ، ولهذا تنسب في الخليقة الى آدم ابي البشر، وأنه معلّمها والقائم عليها إشارة الى انها اقدم وجوه المعاش وانسبها

١ الانعام جمع نَعَم : المواشي من بقر وغنم وما شاكل . ٢ الامتهانات : اي الاشغال .
٣ تقلّب في البلاد : تجوّل لا يثبت في بلد . ٤ الجبايات السلطانية : ما يجمع للسلطان من المال المضروب على الارض وغيرها .

الى الطبيعة ؛ واماً الصنائع فهي ثانيها ومتأخرة عنها لانها مركبة وعلمية تُصرَف فيها الافكار والانظار ، ولهذا لا يوجد غالباً الا في اهل الحضر الذي هو متأخر عن البدو وثانٍ عنه ؛ واماً التجارة ، وإن كانت طبيعية في الكسب فالاكثر من طرقها ومذاهبها انما هي تحيلات في الحصول على ما بين القيمتين في الشراء والبيع لتحصل فائدة الكسب من تلك الفضلة ، ولذلك اباح الشرع فيه المُكاسب لما انه من باب المقامرة الا انه ليس أخذاً لمال الغير مجاناً، فلهذا اختصّ بالمشروعية .

٣٠٧ الذوق

[الباب السادس من الكتاب الاول في مقدمة ابن خلدون يتضمن ابحاثاً في العلوم وأصنافها والتعليم وطرقه وسائر وجوهه وما يعرض من ذلك كلّه من الاحوال . ونحن نُثبت ما يلي من الفصل الثاني والاربعين من ذلك الباب .]

اعلم ان لفظة الذوق يتداولها المعتنون بفنون البيان ، ومعناها حصول ملكة[1] البلاغة للسان ، وقد مرّ تفسير البلاغة وأنها مطابقة الكلام للمعنى من جميع وجوهه بخواصّ تقع للتراكيب في افادة ذلك ، فالمتكلم بلسان العرب والبليغ فيه يتحرّى[2] الهيئة المفيدة لذلك على اساليب العرب وأنحاء مخاطباتهم ، وينظم الكلام على ذلك الوجه جهدَه ، فاذا اتصلت مقاماته بمخالطة كلام العرب حصلت له الملكة في نظم الكلام على ذلك الوجه ، وسهل عليه امر التركيب ، حتى لا يكاد ينحو فيه غير منحى البلاغة التي للعرب ، وإن سمع تركيباً غير جارٍ على ذلك المنحى مجه[3] ونبا عنه سمعه بادنى فكر بل وبغير فكر إلّا بما استفاد من حصول هذه الملكة ؛ فإنّ الملكات اذا استقرّت ورسخت في محالها ظهرت كأنها طبيعة وجبلة . لذلك يظنّ كثير من المغفلين[4] ، ممن لم يعرف شأن الملكات أنّ

---

١ المَلَكة : صفة راسخة في النفس بالتكرار والممارسة . ٢ تحرّى الشيء : تعمّده وقصده.
٣ مجّ الشيء : قذفه لكراهته . ٤ المُغفّل : من لا فطنة له .

الصواب للعرب في لغتهم، إعراباً وبلاغةً، امر طبيعي، ويقول : كانت العرب تنطق بالطبع . وليس كذلك، وانما هي ملكة لسانية في نظم الكلام، تمكنت ورسخت، فظهرت في بادىء الرأي انها جبلة وطبع . وهذه الملكة، كما تقدم، انما تحصل بممارسة كلام العرب، وتكرُّره على السمع، والتفطن لخواص تراكيبه. واذا تقرَّر ذلك فملكة البلاغة في اللسان تهدي البليغ الى وجوه النظم وحسن التركيب الموافق لتراكيب العرب في لغتهم ونظم كلامهم، ولو رام صاحب هذه الملكة حيداً عن هذه السبل المعينة والتراكيب المخصوصة لما قدر عليه لسانه، لانه لا يعتاد ولا تهديه اليه ملكته الراسخة عنده . واذا عُرِض عليه الكلام حائداً عن اسلوب العرب وبلاغتهم في نظم كلامهم أعرض عنه ومجّه، وعلم انه ليس من كلام العرب الذين مارس كلامهم .

واستعير لهذه الملكة، عندما ترسخ وتستقرّ، اسم الذوق الذي اصطلح عليه اهلُ صناعة البيان؛ وانما هو موضوع لادراك الطعوم . لكن لمّا كان محلّ هذه الملكة في اللسان من حيث النطق بالكلام كما هو محل لادراك الطعوم استعير لها اسمه .

واذا تبين لك ذلك علمت منـــه أنَّ الاعاجم الداخلين في اللسان العربي، الطارئين[1] عليه، المضطرين الى النطق به لمخالطة اهله، كالفرس والروم والترك بالمشرق، وكالبربر بالمغرب، فانه لا يحصل لهم هذا الذوق لقصور حظهم في هذه الملكة التي قررنا امرها، لان قُصارَاهم[2]، بعد طائفة من العمر وسبقِ ملكةٍ أخرى الى اللسان وهي لغاتهم، ان يعتنوا بما يتداوله اهل مصر بينهم في المحاورة من مفرد ومركب لما يُضطرون اليه من ذلك؛ وهذه الملكة قد ذهبت لاهل الامصار، وبعدوا عنها، كما تقدم؛ وانما لهم في ذلك ملكة أُخرى، وليست هي ملكة اللسان المطلوبة؛ ومن عرف تلك الملكة من القوانين المسطرة في الكتب فليس

---

١ الطارىء : الآتي فجأة .   ٢ القصارى : الجهد والغاية .

من تحصيل الملكة في شيء ، انما حصل احكامها ، كما عرفت ؛ وانما تحصل هذه الملكة بالممارسة والاعتياد والتكرر لكلام العرب . فان عرض لك ما تسمعه من أنَّ سِيبَوَيهِ والفارسيَّ والزمخشري وامثالهم من فرسان الكلام كانوا اعجاماً ، مع حصول هذه الملكة لهم ، فاعلم ان اولئك القوم الذين تسمع عنهم انما كانوا عجماً في نسبهم فقط ، واما المربى والنشأة فكانت بين اهل هذه الملكة من العرب ومن تعلمها منهم، فاستولوا بذلك من الكلام على غاية لا شيء وراءها ؛ وكأنهم في أول نشأتهم من العرب الذين نشأوا في اجيالهم حتى ادركوا كنه اللغة وصاروا من اهلها ، فهم وان كانوا عجماً في النسب فليسوا باعجام في اللغة والكلام ، لانهم ادركوا الملّة في عنفوانها[1]، واللغة في شبابها، ولم تذهب آثار الملكة ولا من اهل الامصار، ثم عكفوا على الممارسة والمُدارسة[2] لكلام العرب حتى استولوا على غايته .

واليومَ الواحدُ من العجم اذا خالط اهل اللسان العربي بالامصار فاول ما يجد تلك الملكة المقصودة من اللسان العربي مُمتحية الآثار، ويجد ملكتهم الخاصة بهم ملكةً أُخرى مخالفة لملكة اللسان العربي؛ ثم اذا فرضنا انه اقبل على الممارسة لكلام العرب واشعارهم بالمُدارسة والحفظ يستفيد تحصيلها ، فقلَّ ان يحصل له ما قدمناه من أنَّ الملكة اذا سبقتها ملكة اخرى في المحل فلا تحصل الا ناقصة مخدوشة وان فرضنا اعجمياً في النسب سلم من مخالطة اللسان العجمي بالكلية وذهب الى تعلم هذه الملكة بالمُدارسة فربما يحصل له ذلك ، لكنه من الندور بحيث لا يخفى عليك بما تقرّر ، وربما يدّعي كثير ممن ينظر في هذه القوانين البيانية حصول هذا الذوق له بها ، وهو غلط او مغالطة[3]؛ وانما حصلت له الملكة ان حصلت ، في تلك القوانين البيانية ، وليست من ملكة العبارة في شيء ؛ والله يهدي من يشاء الى طريق مستقيم .

ميزة نثره : له اسلوب علميّ رصين، دقيق الاشارة، يرغب عن السجع ويزهد في البديع وهو لا يعنى باللفظ إلا وراء المعنى، فتستقيم فكرته بانشاء سلس جميل .

---

١ في عنفوانها : في اول عهدها . ٢ المُدارسة: التحصيل . ٣ المُغالطة : محاولة التوقيع في الغلط .

عهد النهضة

(١٧٩٨ الى يومنا الحاضر)

في الشعر

الشيخ ناصيف اليازجي (١٨٠٠ ـ ١٨٧١)

الغزل :

٣٠٨ عفة يوسف ومريم

[وهي مما نظمه في صباه ولا غرو ان يكون الشعر لسان الشباب يعبر عن خفقان قلبه وخلجات نفسه :]

أَلْوَى عَلَيَّ، فَضَمَّنِي وَضَمَمْتُهُ وَصُدُورُنَا بِصُدُورِنَا لَمْ تَعْلَمِ [1]
أَهْوَى عَلَيَّ وَفِيَّ عِفَّةُ يُوسُفٍ، حَتَّى يَمِيلَ وَفِيهِ عِفَّةُ مَرْيَمِ [2]
فَيَرُوحُ بَيْنَ صَبَابَتِي وَحَنِينِهِ وَأَرُوحُ بَيْنَ حَدِيثِهِ وَتَبَسُّمِي [3]
خُضْنَا مَلِيًّا فِي ٱلْحَدِيثِ كَمَا جَرَى وَكَأَنَّنَا لِلشَّوْقِ لَمْ نَتَكَلَّمِ
عَاتَبْتُهَا، فَٱسْتَضْحَكَتْ وَعِتَابُهَا ظُلْمٌ وَكَيْفَ عِتَابُ مَنْ لَمْ يَأْثَمِ [4]
مَا كُنْتُ أَخْتَارُ ٱلْعِتَابَ وَإِنَّمَا قَدْ كَانَ ذٰلِكَ حِيلَةَ ٱلْمُتَكَلِّمِ
حَتَّى رَنَتْ وَكَأَنَّ هُدْبَ جُفُونِهَا وَسَوَادَ قَلْبِي قِطْعَةٌ لَمْ تُقْسَمِ [5]

---

١ ألوى : مال . لم تعلمِ، كسر الفعل المضارع المجزوم لضرورة القافية وتحريك الساكن بالكسر اصل له . ٢ يوسف خطيب مريم البتول او يوسف بن يعقوب وقد عُرفا بالعفة والطهارة .
٣ صبابتي : محبتي . ٤ لم يأثم : لم يخطىء . ٥ رنت : أدامت النظر اليه بسكون الطرف . سواد القلب : حبته .

حوراءُ تُدمِي بالسُّيوفِ جفونُهَا ... ولحاظُها ترمي القلوبَ بأسهمِ [1]
قَطرتْ دماً من فوقِ وجنتِها فما ... كَذَبتْ علينا إنَّهُ لونُ الدمِ
عَينُ الغزالةِ عينُهـا وجبينُها ... لا ذاتُها من رِقَّةٍ وتبسُّمِ
ولطالما نفرَ الغزالُ وما دَرتْ ... كيفَ النِّفارُ وعرضُها لم يُكلَمِ
يا ليلةً سمحَ الزَّمانُ ببعضِها ... بعضَ السَّماحِ وليتَهُ لم يندمِ
قد كنتُ أرجو مثلَها فبلَغتُهُ ... والحادثاتُ تقولُ طرفَكَ فاسلَمِ [2]
حتَّى دخلتُ الدارَ ساعةَ غفلةٍ ... «وعرفتُ ربعَ الدارِ بعدَ توهُّمِ»
فكأنَّ كلَّ الدهرِ مدَّةُ لحظةٍ ... وكأنَّ كلَّ الأرضِ دارةُ درهمِ
ولقد جلستُ إلى الفتاةِ مسامِراً ... ووشاتُنا من غافلينَ ونُوَّمِ [3]

. . .

باللهِ يا ريحَ الصَّبا قبلَ الضُّحى ... إنْ جزتِ هاتيكَ الدِّيارَ فسلِّمي

المدح والرثاء:

٣٠٩ يهنيك يهنيك . . .

[قال يمدح الامير بشير الشهابي الكبير ويهنئه بالنصر بعد الحروب التي نشبت في سنة ١٨٣٠ :]

يهنيكَ يهنيكَ هذا النصرُ والظفرُ ... فأنعمْ إذنْ أنتَ بل فلتنعمِ البشرُ
ولم يغبْ عنكَ تأييدٌ خُلقتَ لهُ ... لكنَّهُ البحرُ بينَ المدِّ ينجزرُ

---

١ الحوراء مؤنث الاحور : وهو من اشتد بياض عينه بياضاً وسوادها سواداً . اللحاظ : مؤخر العين مما يلي الصدغ . ٢ الحادثات : نوائب الدهر ونوازله . ٣ مسامر : مساهر . الوشاة جمع الواشي : النمام، الساعي بالشر .

مَادَتْ لِهَيْبَتِكَ ٱلدُّنْيَا فَلَوْ رُفِعَتْ ... أَطْوَادُ حِلْمِكَ مِنْهَا دَكَّهَا ٱلْخَطَرُ [١]
وَٱسْتَهْوَلَ ٱلدَّهْرُ بَأْسًا كَانَ يَعْرِفُهُ ... مِنْ قَبْلُ مِنْكَ وَلٰكِنْ فَاتَهُ ٱلْقَدَرُ [٢]
أَرَيْتَهُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلدُّنْيَا وَسَاحَتِهَا ... فِكْرًا تَمُرُّ بِهِ ٱلْأَشْبَاحُ وَٱلصُّوَرُ
كُلُّ ٱلْبِلَادِ إِذَا لَمْ تَسْتَقِرَّ بِهَا ... رُسُومُ دَارٍ عَفَتْهَا ٱلرِّيحُ وَٱلْمَطَرُ
آلَتْ عَلَيْكَ ٱلْمَعَالِي لَا تُفَارِقُهَا ... قَبْلَ ٱلْقَضَا وَعَلَى وَجْهِ ٱلْقَضَا نَفَرُ [٣]
وَأَقْسَمَ ٱلسَّعْدُ لَا يَلْقَاكَ رَاجِلُهُ ... إِلَّا وَفِي رَأْسِهِ مِنْ مَشْيِهِ أَثَرُ [٤]
وَمَا أَخَذْتَ بِسَيْفِ ٱلدَّهْرِ مُغْتَنِمًا ... لٰكِنَّ رَبَّكَ فِي هٰذَا لَهُ وَطَرُ [٥]
مَتَى ٱتَّقَى ٱلْمَرْءُ مَوْلَاهُ عَلَى حَذَرٍ ... لَا بَأْسَ إِنْ فَاتَهُ مِنْ غَيْرِهِ ٱلْحَذَرُ
وَمَا ٱعْتَصَمْتَ بِحَبْلِ ٱللهِ مُكْتَفِيًا ... إِلَّا وَعِنْدَكَ فِي أَسْرَارِهِ نَظَرُ
لَا صُنْتَ وَجْهَكَ عَنْ وَقْعِ ٱلْحِرَابِ فَقَدْ ... عَلَّمْتَهَا تَحْتَ ذَيْلِ ٱلرِّيحِ تَنْكَسِرُ
عَلَيْكَ دِرْعٌ مِنَ ٱلدِّيبَاجِ وَاقِيَةٌ ... وَكَفُّكَ ٱلسَّيْفُ لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ [٦]
مَتَى رَأَيْتُكَ بَعْدَ ٱلنَّاسِ مُخْتَبِرًا ... عَلِمْتُ أَنَّكَ خُبْرٌ وَٱلْوَرَى خَبَرُ
تَبَارَكَ ٱللهُ مَنْ أَنْشَاكَ فِي جَسَدٍ ... خَلَّى ٱلتُّرَابَ عَلَى ٱلْيَاقُوتِ يَفْتَخِرُ [٧]
لِلّٰهِ عِزَّةُ بَيْتِ ٱلدِّينِ فِيكَ فَقَدْ ... أَمْسَى عَلَى فَلَكِ ٱلشِّعْرَى لَهُ خَطَرُ [٨]
غَارَتْ نُجُومُ ٱلثُّرَيَّا مِنْ جَلَامِدِهِ ... وَظَلَّ يَحْسُدُ هَادِي لَيْلِهِ ٱلسَّحَرُ [٩]

---

١ مادت : تحركت . الاطواد جمع الطود : الجبل . دكها : هدمها . ٢ قبلُ : ظرف مبني على الضم لاضافته الى مضاف محذوف منويّ المعنى . القدَر : قضاء الله وحكمه . ٣ آلت : اقرّت، اقسمت . نفَر : اسم جمع يتناول ثلاثة اشخاص الى تسعة . ٤ الراجل : الماشي ضد الفارس . ٥ الوطر : القصد . ٦ الديباج : الحرير . لا تذر : لا تبقي . ٧ اي ان الامير وهو انسان قد جبله الله من تراب فقد افتخر على الياقوت وهو حجر ثمين . ٨ الشعرى : الكوكب الذي يطلع في الجوزاء . ٩ الثريا : اسم لنجوم في السماء . الجلامد جمع الجلمد : الصخر .

الرثاء :

٣١٠ الميت والمولود

[وتختلف الحياة بين الافراح والاتراح ويشترك اليازجي الكبير في مآسيها اشتراكه في مباهجها فيقول معزياً صديقاً له :]

لَا تَبْكِ مَيْتاً وَلَا تَفْرَحْ بِمَوْلُودِ ... فَالْمَيْتُ لِلدُّودِ وَالْمَوْلُودُ لِلدُّودِ
وَكُلُّ مَا فَوْقَ سَطْحِ ٱلْأَرْضِ تَنْظُرُهُ ... يُطْوَى عَلَى عَدَمٍ فِي ثَوْبِ مَوْجُودِ
بِئْسَ ٱلْحَيَاةُ حَيَاةٌ لَا رَجَاءَ لَهَا ... مَا بَيْنَ تَصْوِيبِ أَنْفَاسٍ وَتَصْعِيدِ
لَا تَسْتَقِرُّ بِهَا عَيْنٌ عَلَى سِنَةٍ ... إِلَّا عَلَى خَوْفِ نَوْمٍ غَيْرِ مَحْدُودِ [1]
مَا أَجْهَلَ ٱلْمَرْءَ فِي ٱلدُّنْيَا وَأَغْفَلَهُ ... وَلَا تُمَاشِي سُلَيْمَانَ بْنَ دَاوُدِ [2]
يَرَى وَيَعْلَمُ مَا فِيهَا عَلَى ثِقَةٍ ... مِنْهُ وَيَغْتَرُّ مِنْهَا بِالْمَوَاعِيدِ
كُلٌّ يُفَارِقُهَا صِفْرَ ٱلْيَدَيْنِ بِلَا ... زَادٍ فَمَا ٱلْفَرْقُ بَيْنَ ٱلْبُخْلِ وَٱلْجُودِ [3]
يَضَنُّ بِالْمَالِ مَحْمُودًا يُثَابُ بِهِ ... طَوْعًا وَيُعْطِيهِ كُرْهًا غَيْرَ مَحْمُودِ
هَانَ ٱلْمَعَادُ، فَمَا نَفْسٌ بِهِ شُغِلَتْ ... عَنْ رَبَّةِ ٱلْعُودِ أَوْ عَنْ رَنَّةِ ٱلْعُودِ [4]
يَا أَعْيُنَ ٱلْغِيدِ تَسْبِينَا لَوَاحِظُهَا ... قِفِي ٱنْظُرِي كَيْفَ تُنْسِي أَعْيُنُ ٱلْغِيدِ
يَبْدُو ٱلْهِلَالُ وَيَأْتِي ٱلْعِيدُ فِي أَنَقٍ ... مَاذَا ٱلْهِلَالُ وَمَاذَا بَهْجَةُ ٱلْعِيدِ [5]
يَوْمٌ لِغَيْرِكَ تَرْجُوهُ وَلَيْسَ لَهُ ... كُلٌّ لِيَوْمٍ غَدَاةَ ٱلْبَيْنِ مَشْهُودِ
قَدْ صَغَّرَ ٱلدَّهْرُ عِنْدِي كُلَّ ذِي خَطَرٍ ... حَتَّى ٱسْتَوَى كُلُّ مَرْحُومٍ وَمَحْسُودِ

١ السِنة، بكسر السين : النوم . ٢ سليمان بن داود ملك اسرائيل سنة ١٠١٢ ق . م وقد اشتهر بالحكمة وله في الكتاب المقدس اسفار منسوبة اليه كسفر الجامعة والامثال ونشيد الانشاد وحكمة سليمان . ٣ صفر اليدين : كناية عن فراغ اليدين من كل شيء والصفر هو النقطة الحسابية تزيد العدد بانضمامها اليه ولا تساوي شيئاً منفردة . ٤ المعاد : يوم المعاد اي يوم القيامة .
٥ الانق : الفرح والسرور وحسن المنظر .

إِذَا فُجِعْتُ بِمَفْقُودٍ صَبَرْتُ لَهُ ... أَنِّي سَأَتْرُكُ مَفْجُوعاً بِمَفْقُودِ
يَا مَنْ لَهُ أَهْلٌ لَا جَزِعَتَ عَلَى ... أَهْلٍ وَهَلْ لَكَ رُكْنٌ غَيْرُ مَهْدُودِ
لَسْنَا نُعَزِّيكَ إِجْلَالاً وَتَكْرُمَةً ... فَأَنْتَ أَدْرَى بِبُرْهَانٍ وَتَقْلِيدِ
« لِكُلِّ دَاءٍ دَوَاءٌ يُسْتَطَبُّ بِهِ » ... وَلَيْسَ لِلْحُزْنِ إِلَّا صَبْرُ مَجْهُودِ

٣١١ ذهب الحبيب

[الشاعر هو ترجمان العصر فما أحراه ان يكون ترجمان نفسه فيستبكي القوافي اذا بكى ويبثها حرّ جواه وحزنه اذا عصف به الزمن واحترم اعزّاءه واحبابه ، وها هوذا يرثي ولده حبيباً وهو آخر شعر قاله :]

ذَهَبَ ٱلْحَبِيبُ فَيَا حُشَاشَةُ ذُوبِي ... أَسَفاً عَلَيْهِ وَيَا دُمُوعُ أَجِيبِي [1]
رَبَّيْتُهُ لِلْبَيْنِ حَتَّى جَاءَهُ ... فِي جِنْحِ لَيْلٍ خَاطِفاً كَٱلذِّيبِ [2]
يَا أَيُّهَا ٱلْأُمُّ ٱلْحَزِينَةُ أَجْمِلِي ... صَبْرًا فَإِنَّ ٱلصَّبْرَ خَيْرُ طَبِيبِ
لَا تَخْلَعِي ثَوْبَ ٱلْحِدَادِ وَلَازِمِي ... نَدْباً عَلَيْهِ يَلِيقُ بِٱلْمَنْدُوبِ
هٰذَا هُوَ ٱلْغُصْنُ ٱلرَّطِيبُ أَصَابَهُ ... سَهْمُ ٱلْقَضَاءِ فَمَاتَ غَيْرَ رَطِيبِ
مَنْ لِلْكِتَابَةِ وَٱلْحِسَابَةِ بَعْدَهُ ... وَلِصِحَّةِ ٱلتَّدْبِيرِ وَٱلتَّدْرِيبِ
لَا أَسْتَحِي إِنْ قُلْتُ قَلَّ نَظِيرُهُ ... بَيْنَ ٱلرِّجَالِ فَلَسْتُ غَيْرَ مُصِيبِ
وَٱلْمَرْءُ يُطْلِقُ فِي ٱلْكَلَامِ لِسَانَهُ ... إِنْ كَانَ لَا يَخْشَى مِنَ ٱلتَّكْذِيبِ
إِنِّي وَقَفْتُ عَلَى جَوَانِبِ قَبْرِهِ ... أَسْقِي ثَرَاهُ بِدَمْعِيَ ٱلْمَصْبُوبِ
وَلَقَدْ كَتَبْتُ لَهُ عَلَى صَفَحَاتِهِ ... يَا لَوْعَتِي مِنْ ذٰلِكَ ٱلْمَكْتُوبِ
لَكَ يَا ضَرِيحُ كَرَامَةٌ وَمَحَبَّةٌ ... عِنْدِي لِأَنَّكَ قَدْ حَوَيْتَ حَبِيبِي [3]

---

١ الحشاشة : بقية الروح في المريض والجريح . ٢ البين : الفراق ، والمراد هنا الموت .
٣ الضريح : الشق المستقيم في القبر هو من باب تسمية الجزء باسم الكل ويراد به القبر .

الشعر الديني :

٣١٢ دعوت جنح الدجى

[كان في الالوان التي رسمت متباين انتاج الشاعر هـذا اللون من الابتهال للعزّة الالهية وله فيه قصائد دارت وما زالت تدور على الالسنة وهذه واحدة منها :]

دَعَوْتُ جِنْحَ ٱلدُّجَى مَوْلَايَ مُبْتَهِلَا ... وَهْوَ ٱلْمُجِيبُ لِمَنْ نَادَى وَمَنْ سَأَلَا [1]
يَا أَرْحَمَ ٱلرَّاحِمِينَ ٱلْمُسْتَغَاثَ بِهِ ... عِنْدَ ٱلْبَلَاءِ ٱلَّذِي قَدْ ضَيَّقَ ٱلسُّبُلَا
إِنِّي عَلَى جُودِكَ ٱلطَّامِي ٱتَّكَلْتُ وَهَلْ ... يَخِيبُ عَبْدٌ عَلَى أَلْطَافِكَ ٱتَّكَلَا
أَنْتَ ٱلْقَدِيرُ ٱلَّذِي تُخْشَى مَهَابَتُهُ ... وَتَرْجُفُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُ وَٱلسَّمَا وَجَلَا
مَنْ ذَا ٱلَّذِي لَيْسَ يَخْشَى مِنْكَ مُرْتَعِدًا ... خَوْفًا وَلَوْ كَانَ يَحْكِي قَلْبُهُ ٱلْجَبَلَا
وَمَنْ يَحُلُّ أُمُورًا أَنْتَ عَاقِدُهَا ... وَمَنْ يَرُدُّ قَضَاءً مِنْكَ قَدْ نَزَلَا
أَنْتَ ٱلْكَرِيمُ ٱلَّذِي مِنْ فَضْلِ نِعْمَتِهِ ... يُرْجَى ٱلْعَطَاءُ وَأَمَّا مِنْ سِوَاكَ فَلَا
أَنْتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلَّذِي يُرْجَى تَجَاوُزُهُ ... عَنْ جَهْلِ عَبْدٍ أَسَاءَ ٱلْقَوْلَ وَٱلْعَمَلَا
مَنْ رَامَ أَنْ يَبْتَنِي قَصْرًا يَدُومُ لَهُ ... فَلْيَبْنِ عِنْدَكَ قَصْرًا فِي ٱلسَّمَاءِ عَلَا
وَمَنْ أَرَادَ ٱلْغِنَى ٱلْبَاقِي لَهُ أَبَدًا ... يَطْلُبْ غِنَاكَ وَلَا يَبْغِي بِهِ بَدَلَا

الحكم :

٣١٣ لعمرك ليس فوق الارض باق

[حفل الشعر العربي القديم بالحكم والامثال وبرز في هذا المضمار جمهرة من فحول الشعراء من مثل المتنبي وغيره ولمّا كان الشيخ « كأنه قاعد في قلب المتنبي » طرّس على آثاره في ارسال الحكمة وضرب المثل :]

---

١ جنح بكسر الجيم : من الليل طائفة وقطعة منه .

لَعَمْرُكَ لَيْسَ فَوْقَ ٱلْأَرْضِ بَاقِ ... وَلَا مِمَّا قَضَاهُ ٱللهُ وَاقِ

وَمَا لِلْمَرْءِ حَظٌّ غَيْرُ قُوتٍ ... وَثَوْبٍ فَوْقَهُ عَقْدُ ٱلنِّطَاقِ [1]

وَمَا لِلْمَيْتِ إِلَّا قِيدُ بَاعٍ ... وَلَوْ كَانَتْ لَهُ أَرْضُ ٱلْعِرَاقِ [2]

وَكَمْ يَمْضِي ٱلْفِرَاقُ بِلَا لِقَاءٍ ... وَلٰكِنْ لَا لِقَاءَ بِلَا فِرَاقِ

أَضَلُّ ٱلنَّاسِ فِي ٱلدُّنْيَا سَبِيلًا ... مُحِبٌّ بَاتَ مِنْهَا فِي وِثَاقِ [3]

وَأَخْسَرُ مَا يَضِيعُ ٱلْعُمْرُ فِيهِ ... فُضُولُ ٱلْمَالِ تُجْمَعُ لِلرِّفَاقِ [4]

وَأَفْضَلُ مَا ٱشْتَغَلْتَ بِهِ كِتَابٌ ... جَلِيلٌ نَفْعُهُ حُلْوُ ٱلْمَذَاقِ

وَعِشْرَةُ حَاذِقٍ فَطِنٍ لَبِيبٍ ... يُفِيدُكَ مِنْ مَعَانِيهِ ٱلدِّقَاقِ . . .

مَضَى ذِكْرُ ٱلْمُلُوكِ بِكُلِّ عَصْرٍ ... وَذِكْرُ ٱلسُّوقَةِ ٱلْعُلَمَاءِ بَاقِ [5]

وَكَمْ عِلْمٍ جَنَى مَالًا وَجَاهًا ... وَكَمْ مَالٍ جَنَى حَرْبَ ٱلسِّبَاقِ [6]

وَمَا نَفْعُ ٱلدَّرَاهِمِ مَعْ جَهُولٍ ... يُبَاعُ بِدِرْهَمٍ وَقْتَ ٱلنِّفَاقِ

إِذَا حُمِلَ ٱلنُّضَارُ عَلَى نِيَاقٍ ... فَأَيُّ ٱلْفَخْرِ يُحْسَبُ لِلنِّيَاقِ

وَأَقْبَحُ مَا يَكُونُ غِنَى بَخِيلٍ ... يَغَصُّ وَمَاؤُهُ مِلْءُ ٱلزِّقَاقِ [7]

إِذَا مَلَكَتْ يَدَاهُ ٱلْفَلْسَ أَمْسَى ... رَقِيقًا لَيْسَ يَطْمَعُ فِي ٱلْعَتَاقِ [8]

أَلَا يَا جَامِعَ ٱلْأَمْوَالِ ، هَلَّا ... جَمَعْتَ لَهَا زَمَانًا لِلْٱفْتِرَاقِ

رَأَيْتُكَ تَطْلُبُ ٱلْأَبْحَارَ جَهْلًا ... وَأَنْتَ تَكَادُ تَغْرَقُ فِي ٱلسَّوَاقِي [9]

إِذَا أَحْرَزْتَ مَالَ ٱلْأَرْضِ طُرًّا ... فَمَا لَكَ فَوْقَ عَيْشِكَ مِنْ تَرَاقِ

أَتَأْكُلُ كُلَّ يَوْمٍ أَلْفَ كَبْشٍ ... وَتَلْبَسُ أَلْفَ طَاقٍ فَوْقَ طَاقِ [10]

---

١ النِّطاق : ما يُشدّ به الوسط . ٢ القِيد : المقدار . ٣ الوِثاق : ما يُربط ويُشدّ به من حبل او غيره . ٤ الفُضول مفرده فَضل من المال : الزائد عن الحاجة . ٥ السوقة : اسم جمع وهي الرعية التي يسوسها الملك . ٦ حرب السباق : حرب نشبت بين قبيلتي عبس وذبيان وتدعى ايضاً حرب داحس والغبراء. ٧ الزِّقاق مفرده الزق : وعاء من جلد يوضع فيه كل سائل كالماء وغيره. ٨ الرقيق: العبد. والعَتاق: الخروج من العبودية. ٩ الأبحار لم ترد هذه الصيغة في جمع بحر بل أبحر وبحور وبحار . ١٠ الطــاق : الطيلسان وهو كساء مدوّر أخضر يلبسه الخواصّ من العلماء والمشايخ .

فُضُولُ ٱلْمَالِ ذَاهِبَةٌ جُزَافاً ... كَمَاءٍ صُبَّ فِي كَأْسٍ دِهَاقِ [1]
يَفِيضُ سُدًى وَقَدْ يَسْطُو عَلَيْهَا ... فَيُنْقِصُ مِلْأَهَا عِنْدَ ٱنْدِفَاقِ
مَضَتْ دُوَلُ ٱلْعُلُومِ ٱلزُّهْرِ قِدْماً ... وَقَامَتْ دَوْلَةُ ٱلصُّفْرِ ٱلرِّقَاقِ [2]
وَأَبْرَزَتِ ٱلْخَلَاعَـةُ مِعْصَمَيْهَا ... وَبَاتَ ٱلْجَهْلُ مَمْدُودَ ٱلرِّوَاقِ
وَأَصْبَحَ يَدَّعِي بِٱلسَّبْقِ جَهْلًا ... زَعَانِفُ يَعْجِزُونَ عَنِ ٱللَّحَاقِ [3]
إِذَا هَلَكَتْ رِجَالُ ٱلْحَيِّ أَضْحَى ... صَبِيُّ ٱلْقَوْمِ يَحْلِفُ بِٱلطَّلَاقِ
أَسَرُّ ٱلنَّاسِ فِي ٱلدُّنْيَا جَهُولٌ ... يُفَكِّرُ فِي ٱصْطِبَاحٍ وَٱغْتِبَاقِ [4]
وَأَتْعَبُهُمْ رَئِيسٌ كُلَّ يَوْمٍ ... يَكُونُ لِكُلِّ مَلْسُوعٍ كَرَاقِ . . .

٣١٤ اني لقد جرّبت اخلاق الورى

[قصيدة منتزعة من المقامة الحكمية وهي السابعة عشرة من كتاب « مجمع البحرين »]

إِنِّي لَقَدْ جَرَّبْتُ أَخْلَاقَ ٱلْوَرَى ، ... حَتَّى عَرَفْتُ مَا بَدَا ، وَمَا ٱخْتَفَى :
كُلٌّ يَـذُمُّ ٱلنَّاسَ ؛ فَٱلَّذِي نَجَا ... مِنْ ذَمِّهِ ، يَدْخُلُ فِي ذَمِّ ٱلْمَلَا . [6]
وَٱلْمَرْءُ مَطْبُوعٌ عَلَى ٱلْبُخْلِ ؛ إِذَا ... جَادَ ، فَجُودُهُ عَنِ ٱلْعِرْضِ فِدًى ؛ [7]
يُرِيدُ أَنْ يَغْـتَرِفَ ٱلْبَحْرَ ، وَلَا ... يَتْرُكَ مِنْهُ قَطْرَةً تُرْوِي ٱلظَّمَا ؛
يَنْسَى ، مِنَ ٱلْمُحْسِنِ ، طَوْداً قَدْ رَسَا ؛ ... وَلَيْسَ يَنْسَى ذَرَّةً مِمَّنْ أَسَا ؛
وَلَا يُحِبُّ غَيْرَ نَفْسِهِ ؛ فَمَـا ... أَحَبَّـهُ فَهُوَ إِلَى ٱلنَّفْسِ ٱنْتَهَى .

---

١ الكأس الدهـاق : الكأس المملئة . ٢ دولة الصفر : كناية عن دولة الذهب . ٣ الزعانف مفرده الزعنفة: القصير. ٤ الاصطباح: تناول شراب الصباح. الاغتباق: تناول شراب المساء . ٥ الراقي : الذي يعمل الرّقى وهي تعاويذ اي طرق سحرية يزعمون بأن لهـا قوة الشفاء . ٦ الملأ : الجماعة . يقول : ان كل انسان يذم الناس فاذا استثنى نفسه لا ينجو من الذم اذا تكلّم غيره . ٧ يقول : ان الانسان بخيل بالطبع فاذا جاد فلئلا يعاب بذلك .

يَعْرِفُ كُلٌّ حالَهُ ، فِيمَا مَضَى، إِلَّا ٱلَّذِي كَانَ دَنِيًّا فَارْتَقَى!
وَكُلُّ عِلْمٍ يُدْرِكُ ٱلْمَرْءُ، سِوَى عِرْفَانِ قَدْرِ نَفْسِهِ ، كَمَا ٱقْتَضَى [1]
بِٱلْعَقْلِ وَٱلدِّينِ لَهُ كُلُّ ٱلرِّضَى ، أَمَّا بِمَالِهِ وَجَاهِهِ فَلَا!
وَكُلَّمَا عَقْلُ ٱلْفَتَى قَلَّ ، ٱكْتَفَى بِهِ، كَمَا ظَنَّ ، فَسُرَّ وَٱزْدَهَى...
يُؤْذِي ٱلْجَهُولُ نَفْسَهُ ؛ فَإِنْ جَنَى يَوْمًا عَلَيْكَ ، لَا يُلَامُ بِٱلْأَذَى!
وَيَذْخَرُ ٱلشَّيْخُ لِدَهْرٍ ، وَيَرَى بِعَيْنِهِ ٱلْمَوْتَ، لَدَى ٱلْبَابِ، ٱسْتَوَى...
كُلٌّ يَعُدُّ نَفْسَهُ نِعْمَ ٱلْفَتَى! فَمَنْ هُوَ ٱللَّئِيمُ مِنَّا ، يَا تُرَى؟
لَوْ عَرَفَ ٱلْإِنْسَانُ عَيْبَهُ ، لَمَا رَأَيْتَ عَيْبًا فِيهِ، مَا طَالَ ٱلْمَدَى...
لَا يَشْعُرُ ٱلْجَاهِلُ بِٱلْجَهْلِ ، كَمَا لَا يَشْعُرُ ٱلسَّكْرَانُ، إِلَّا إِنْ صَحَا.
لَا يَعْرِفُ ٱلصَّحِيحُ قِيمَةَ لِمَا كَانَ مِنَ ٱلصِّحَّةِ ، حَتَّى يُبْتَلَى؛
لَا يَحْمَدُ ٱلْقَوْمُ ٱلْفَتَى إِلَّا مَتَى مَاتَ، فَيُعْطَى حَقَّهُ تَحْتَ ٱلْبِلَى [2]...
مَنْ قَالَ : «لَا أَغَلَطُ» فِي أَمْرٍ جَرَى ؛ فَإِنَّهَا أَوَّلُ غَلْطَةٍ تُرَى...
وَكُلُّ مَا فِي غَيْرِ مَثْوَاهُ ثَوَى ، يَسْمُجُ فِي ٱلْعَيْنِ، وَيُؤْذِي مَنْ رَأَى. [3]
وَكُلُّ مَا عَنْ مَنْهَجِ ٱلطَّبْعِ ٱلْتَوَى ، تُنْكِرُهُ ٱلنَّفْسُ ، وَلَوْ نَفْعًا جَنَى! [4]
وَكُلُّ مَنْ تَاهَ دَلَالًا ، وَٱدَّعَى مُسْتَكْبِرًا ، فَذَاكَ نَاقِصُ ٱلْحِجَى. [5]
وَكُلُّ مَنْ شَابَ عَلَى خُلْقٍ ، فَلَا تَنْصَحْهُ؛ فَهْوَ لَيْسَ مِنْ أَهْلِ ٱلْهُدَى.
وَكُلُّ مَنْ لَا خَيْرَ مِنْهُ يُرْتَجَى ، إِنْ عَاشَ أَوْ مَاتَ عَلَى حَدٍّ سِوَى!

ميزة شعره: حكميات الشيخ ناصيف اليازجي هي من أشهر منظوماته لما تحويه من كنوز الخبرة، وتكشف عنه من أخلاق الانسان ، ولسلاسة أسلوبها وسهولة لغتها وانسجامها . ولكن ينقصها شيء من الحيوية لتصل إلى أعماق النفس .

١ كما اقتضى: على حسب ما يقتضيه الحال. ٢ يقول: ان الناس لا يعرفون قيمة المرء ولا يحمدون افعاله الا اذا ما بلي تحت التراب . ٣ يسمج : يقبح . ٤ المنهج : الطريق الواضح . التوى : انعطف ومال . ٥ تاه : تكبّر . الحجى : العقل .

اللغوي :

٣١٥ المقامة اللبنانية

[هي المقامة التاسعة والاربعون من «مجمع البحرين»]

رَوَى سهيلُ بن عبَّادٍ قال: ظعنتُ[١] في نَفَرٍ من مَعَدّ بن عَدْنان[٢] حتى مررنا بجبل لبنان فراعَنا[٣] ما به من الشِعاب والأودية والمجالس والأندية[٤] والخمائل[٥] والغياض[٦] والمياه والرياض والقُرَى والدساكر[٧] والعشائر الملتفَّة كالعساكر فلبثنا اياماً في جنَباته نجول بين رعانه[٨] وهضباته[٩] حتى نزلنا بقومٍ من العظماء قد احاطوا بفتًى من العلماء وهو يُنشِدُهم الابيات ويُطرِفُهم بالغرائب والآيات فوقفنا نَسترِقُ السَّمعَ في خِلال ذلك الجمع واذا شيخٌ من أبناء السبيل[١٠] قد اقبل في ثوبٍ رَعابيل[١١] فتخلَّلَ القَومَ[١٢] ولم يُسَلِّم ثم احقَوْقَفَ[١٣] مُشيحاً[١٤] ولم يُكَلِّم فاستثقلَ القومُ ظِلَّهُ وانكروا محلَّهُ وقالوا ان هذا الشيخ قد بلغ الحَدَبَ[١٥] ولم يَظفر من الأدب ولا بمثل الكَدَب[١٦] ثم اعرضوا عنه أزوِراراً[١٧] واحتملوا فظاظتهُ اضطراراً فانتدب له الفتى وقال: من أينَ أقبلتَ يا ابا الشَّقَعمق[١٨] لا كان يومُكَ الشَّمَقمَق[١٩] فزفر كفحيح الأفعى وقال: استنَّت الفِصال حتى القَرْعى[٢٠] فمن أنتَ يا مَن لا يعرفُ الكوعَ[٢١] من البوع[٢٢] قال:

---

١ ظعن : رحل . ٢ اي من بني معدّ بن عدنان . ٣ راع : اعجب . ٤ نادي ج اندية : محفل . ٥ الخميل ج خمائل : الشجر الملتف . ٦ غيضة ج غياض : غابة . ٧ دسكرة ج دساكر : مزرعة . ٨ رعان ج رَعن وهو رأس الجبل. ٩ هضبة ج هضاب : تلة منبسطة. ١٠ من ابناء السبيل : من المسافرين . ١١ رعابيل : ممزق . ١٢ تخلل القوم : دخل بينهم . ١٣ احقوقف : جلس مكبّاً على وجهه . ١٤ مشيحاً : معرضاً عن الناس . ١٥ بلغ الحدب : اي شاخ حتى صار احدب . ١٦ الكدَب : البياض الذي في اصل اظفار الصبيان . ١٧ ازورّ : انحرف . ١٨ هو مروان بن محمد الكوفيّ كان شاعراً فقيراً رثيث الحال . ١٩ الشمقمق : الطويل . يكنى به عن يوم السوء . ٢٠ قوله استنّت اي ركضت . والفصال صغار الجمال . والقَرعى ج قريع وهو ما خرجت عليه بثورٌ بيض يقال لها القَرَع . وهو مثل يُضرب لمن يتكلم مع من لا ينبغي ان يتكلم بين يديه لجلالة قدره . ٢١ الكوع : طرف الزند الذي يلي الابهام . ٢٢ البوع : العظم الذي يلي ابهام الرِّجل .

بل انت من لا يعرفُ الكاعَ[1] من الباعِ[2] ان كنت من أنماط هذا النَّمطِ[3] فما الفرق بين المَيْت والمَيّت والوَسْط والوَسَط[4] وما فرق اليتيم بين الناس والبهائم في الوضع وفرق الأم بين الفريقين في صيغة الجمع[5] فهمهم[6] الشيخ وجمجم[7] وغمغم[8] حنقاً ودمدم وقال : ويك يا مَرقعان[9] يا أُفرّة المعمعان[10] ان كنتَ ابنَ مسئلة او كاشفَ مُعضِلَة فأنبئني بقيود القَطْع[11] والّا فأعدِد قفاكَ للصَّفع[12] فرَنا[13] بعين المَهى[14] الى السُّمَّهى[15] وانشد :

يقالُ جزَّ الصوفَ زيدٌ وحَصَد · نباتهُ اليابسَ والرَّطبَ خَضَد
وجدَعَ الأنفَ وللأُذنِ صَلَم · وشَتَرَ الجفنَ وللكفِّ جذَم
وشرَمَ الشَفَةَ إذ قصَّ الشعَر · وقضبَ الكرمَ لدى قطف الثمر
وقلَمَ الظُفرَ وحزَّ اللحا · وحذَقَ الحبلَ وبتَّ الحُكما
وقدَّ ريشَ السهمِ اذ قطَّ القَلَم · وعَصَفَ الزرعَ وللنخل جرَم
وقيل قدَّ السيرَ والنعلَ حذا · وحابَ صخراً قطَعَ الثوبَ كذا
وحذَفَ الذَّنَبَ والغُصنَ عضد · وفلَحَ الحديد فاحفظ ما ورَد

قال ان كنتَ من رجال العصر فما هي قُيود الكَسْر فاستضحك طويلاً ثم فكَّر قليلاً وانشد :

---

١ الكاع : طرف الزند الذي يلي الخنصر . ويقال له الكرسوع ايضاً . ٢ الباع : قدر مد اليدين وهو معروف . ٣ الانماط الجماعات التي امرها واحد . والنمَط : الطريقة . اي ان كنت من اهل هذه الطريقة في التفريق بين الالفاظ . ٤ المَيْت بالتخفيف من مات حقيقةً وبالتشديد من لم يزل فيه روح . والوَسْط بالسكون يكون بمعنى بين كجلسنا وَسْطَ القوم . وبفتحتين بمعنى في كجلسنا وَسَط الدار . ٥ قوله في الوضع اي باعتبار وضعه لكلٍّ من الطرفين. واليتيم من الناس الفاقد الاب . ومن البهائم الفاقد الام . وجمع الأمّ من الناس أمهات . ومن البهائم أمّات . ٦ همهم : ردّد صوته في صدره . ٧ جمجم : لم يبين كلامه . ٨ غمغم : ضجّ كالابطال في الحرب . ٩ مرقعان : احمق . ١٠ المعمعان الحر وأفرّته اوله كنى بذلك عن حداثته . ١١ قيود القطع : اي خصائص الفاظ القطع . ١٢ الصفع : ضرب مؤخر العنق باليد . ١٣ رنا : نظر على سكون . ١٤ المَهى : بقر الوحش . وهي توصف بحسن العيون . ١٥ السُّمَّهى : الهواء بين السماء والارض .

يقالُ شجَّ الرأسَ والأنفَ هشَم ووقَصَ العُنقَ وللسِّنِّ هتَم
وقصمَ الظَّهرَ لدى رَثم الحجر وحطَمَ العظْمَ كغُصنٍ قد هصر
وفَضَخ الجبسَ والنوى رَضَخ ورضَّ حبًّا رأسَ حيَّةٍ شَدَخ
وفقَسَ البَيضَ على فَدْغ البَصَل وهدَّ ذاك الركنَ مَن دكَّ الجبل
وهَضَمَ القَصَبَ والخبزَ ثَرَد ونقفَ الحنظَلَ فاستجلِ الرشَد

قال: فهل تعرف قُيودَ الحِصص من مثل هذه القِصص فتململ كالأُفعُوان ثم نزا[1] كالعُنظُوان[2] وانشد:

كِسرةُ خُبزٍ فِدرةُ اللحمِ ترِد كُتلةُ تمرٍ فِلذةٌ من الكبِد
ومن طعامٍ لُمظَةٌ وكِسفَه من سُحُبٍ ومن سَويقٍ نسفه
كذا صُبابةٌ من الشرابِ جُذوةُ نارٍ حُثوةُ الترابِ
ودِرَّةٌ من لبنٍ فَرَزْدَقَه من العجينِ غُرفةٌ من مَرَقَه
وصُبرةٌ من حِنطةٍ ونُقره من فِضَّةٍ ومن حديدٍ زُبره
خُصلة شَعْرٍ كُبَّةٌ من غزلِ فِرصةُ قُطنٍ رُمَّةٌ من حبلِ
خِرقةُ ثوبٍ نُبذةٌ من مالِ وهَدأةُ الليل من الامثالِ[3]

قال سُهيلٌ فلما ابان الفتى ما ابان قال القوم قد ظهر الشجاع من الجبان فما أشبه هذا الألمعي[4] بأبي عُبيدة[5] والأصمعي[6] ولقد أعتانا[7] ويمَّم[8] حِمانا فلنَحبهُ[9] بما هو الخليق به رِعاية لحرمة أدبهِ ثم افاضوا عليه حُلَّةً من الإستبرق[10] وقبضة[11] من الذهب الاصفر كَبتاً[12] لعدوِّه الازرق[13] فطال على الشيخ واستطال وقال قد ذلَّ من

١ نزا: وثب. ٢ العنظوان: الذكر من الجراد. ٣ من الامثال: اي من امثال ذلك. ٤ الالمعي: الذكيّ المتوقد الفؤاد. ٥ ابو عبيدة: هو مَعْمَر بن المثنى البصريّ. كان اعلم الناس بلغة العرب واخبارهم وايامهم وانسابهم. ٦ الاصمعيّ: هو صاحب الروايات المشهور. ٧ اعتاه: اختاره. ٨ يمّم: قصد. ٩ نحب: اعطى. ١٠ الاستبرق: الديباج. ١١ قبصة: قدر ما يحمل بين الاصابع. ١٢ يقال: كبت عدوّه اي اخزاه واذلّه وردّه بغيظه. ١٣ العدو الازرق: الشديد العداوة. والمراد به الشيخ.

يُصادم الابطال فاعتصم الشيخ بالهزيمة واقتفاهُ الفتى بماضي العزيمة . قال سهيلٌ : فاشفقتُ على ذلك الشيخ الفاني من صولة ذلك الفتى الجاني وخرجت في إثرِهما لترقيح[1] امرِهما فاذا هما بجانب العقيق[2] بين الأُقحوان[3] والشقيق والشيخ قد لبس الحُلّة والفتى قائمٌ لديه كالرقيق فتوسّمتها من كَثَب واذ هما ميمونٌ ورَجب .

ميزة اللغوي : معرفة دقيقة وافية لما يعرفه ائمة العرب كلهم معاً « من الفوائد والقواعد والغرائب والشوارد والامثال والحكم والقصص . . . ونوادر التركيب ومحاسن الاساليب والاسماء التي لا يعثر عليها إلا بعد جهد » . وأسلوب متعمّد السجع وإظهار البراعة . ونزعة تعليمية جافة جعلت من مجمع البحرين كنزاً نفيساً للغويين ولكنها أفقدته طلاوة القصة والصبغة المحليّة .

في الشعر

محمود سامي البارودي (١٨٣٨ـ١٩٠٤ م/ ١٢٥٥ـ١٣٢٢ ﻫ)

[ولد في القاهرة وعاش رجل حرب ورجل أدب . وكان لنفيه الى سرنديب بعد اشتراكه بالثورة العرابية أثر في إذكاء قريحته . أما ثقافته فقد ارتكزت على مطالعة دواوين الشعراء الاقدمين والإكثار من القراءة والاستماع والاطلاع على بعض الثقافات الاجنبية]

---

١ ترقيح : اصلاح . ٢ العقيق : مسيل الماء . ٣ الاقحوان : من نبات الربيع له زهر أبيض ووسطه اصفر وهو طيّب الريح .

الشاعر الوجداني :

٣١٦ السجين

[بعد اخفاق الثورة العرابية التي اشترك فيها الشاعر نُفي الى سرنديب فكان البون شاسعاً بين ما عرف من حياة الترف وتجربة السجن القاسية . فقال يصف بلواه وسجن منفاه :]

شَفَّنِي وَجْدِي، وَأَبْلَانِي ٱلسَّهَرْ وَتَغَشَّتْنِي سَمَادِيرُ ٱلْكَدَرْ [1]
فَسَوَادُ ٱللَّيْلِ مَا إِنْ يَنْقَضِي وَبَيَاضُ ٱلصُّبْحِ مَا إِنْ يُنْتَظَرْ [2]
لَا أَنِيسٌ يَسْمَعُ ٱلشَّكْوَى، وَلَا خَبَرٌ يَأْتِي، وَلَا طَيْفٌ يَمُرّْ
بَيْنَ جُدْرَانٍ وَبَابٍ مُوصَدٍ كُلَّمَا حَرَّكَهُ ٱلسَّجَّانُ صَرّْ [3]
يَتَمَشَّى دُونَهُ ، حَتَّى إِذَا لَحِقَتْهُ نَبْأَةٌ مِنِّي ٱسْتَقَرّْ [4]
كُلَّمَا دُرْتُ لِأَقْضِي حَاجَةً قَالَتِ ٱلظُّلْمَةُ : مَهْلًا لَا تَدُرْ
أَتَقَرَّى ٱلشَّيْءَ أَبْغِيهِ فَلَا أَجِدُ ٱلشَّيْءَ وَلَا نَفْسِي تَقَرّْ [5]
ظُلْمَةٌ مَا إِنْ بِهَا مِنْ كَوْكَبٍ غَيْرُ أَنْفَاسٍ تَرَامَى بِالشَّرَرْ
فَٱصْبِرِي يَا نَفْسُ حَتَّى تَظْفَرِي إِنَّ حُسْنَ ٱلصَّبْرِ مِفْتَاحُ ٱلظَّفَرْ
هِيَ أَنْفَاسٌ تَقَضَّى وَٱلْفَتَى حَيْثُمَا كَانَ أَسِيرٌ لِلْقَدَرْ

٣١٧ يا دهر فيم فجعتني ؟

[ماتت زوجة الشاعر وهو في منفاه فرثاها بهذه الابيات :]

---

١ شفّني : أنحلني وهزلني . الوجد : الحزن والهمّ . تغشّتني : اتتني . السمادير ج سمدور : شيء كالذباب يتراءى للانسان من ضعف بصره عن سكر او نحوه . غشي الدوار او غشاوة العين .
٢ ان هنا زائدة بعد ما النافية . ٣ صرّ الشيء صريراً : صوّت . ٤ دونه : وراءه . النبأة : الصوت الخفي . ٥ تقرّى الشيء : تتبعه . تقرّ : تسكن وتهدأ .

لَا لَوْعَتِي تَدَعُ ٱلْفُؤَادَ، وَلَا يَدِي تَقْوَى عَلَى رَدِّ ٱلْحَبِيبِ ٱلْغَادِي[1]
يَا دَهْرُ! فِيمَ فَجَعْتَنِي بِحَلِيلَةٍ كَانَتْ خُلَاصَةَ عُدَّتِي وَعَتَادِي[2]
إِنْ كُنْتَ لَمْ تَرْحَمْ ضَنَايَ لِبُعْدِهَا أَفَلَا رَحِمْتَ مِنَ ٱلْأَسَى أَوْلَادِي؟[3]
وَمِنَ ٱلْبَلِيَّةِ أَنْ يُسَامَ أَخُو ٱلْأَسَى رَعْيَ ٱلتَّجَلُّدِ وَهْوَ غَيْرُ جَمَادِ[4]
هَيْهَاتَ بَعْدَكِ أَنْ تَقِرَّ جَوَانِحِي أَسَفاً لِبُعْدِكِ، أَوْ يَلِينَ مِهَادِي[5]
وَلَهِي عَلَيْكِ مُصَاحِبٌ لِمَسِيرَتِي وَٱلدَّمْعُ فِيكِ مُلَازِمٌ لِوِسَادِي[6]
فَإِذَا ٱنْتَبَهْتُ فَأَنْتِ أَوَّلُ ذِكْرَتِي وَإِذَا أَوَيْتُ فَأَنْتِ آخِرُ زَادِي[7]

٣١٨ طالب العزّ

[تذكر الشاعر المنفي أحداث الزمان ومصارعته الرجال وما قابله به هؤلاء من حسد، فقال يفتخر :]

عَلَيَّ طِلَابُ ٱلْعِزِّ مِنْ مُسْتَقَرِّهِ وَلَا ذَنْبَ لِي إِنْ عَارَضَتْنِي ٱلْمَقَادِرُ[8]
فَمَا كُلُّ مَحْلُولِ ٱلْعَرِيكَةِ خَائِبٌ وَلَا كُلُّ مَحْبُوكِ ٱلتَّرِيكَةِ ظَافِرُ[9]...
وَلَوْ رُمْتُ مَا رَامَ ٱمْرُؤٌ بِخِيَانَةٍ لَصَبَّحَنِي قِسْطٌ مِنَ ٱلْمَالِ غَامِرُ[10]..
فَقَدْ يَسْتَجِمُّ ٱلْمَالُ وَٱلْمَجْدُ غَائِبٌ وَقَدْ لَا يَكُونُ ٱلْمَالُ وَٱلْمَجْدُ حَاضِرُ[11]
وَلَوْ أَنَّ أَسْبَابَ ٱلسِّيَادَةِ بِٱلْغِنَى لَكَاثَرَ رَبَّ ٱلْفَضْلِ بِٱلْمَالِ تَاجِرُ[12]

---

١ الغادي : الذاهب في الصباح هنا الذي يفارق الدنيا . ٢ الحليلة : الزوجة . العُدّة والعَتاد: ما يهيّئه الانسان لاموره . ٣ الضنى : المرض وسوء الحال . ٤ سامه الامر : كلّفه إياه . الرّعي مص رعى الامر : حفظه . التجلّد : الصبر . ٥ المِهاد : الفراش . ٦ المسيرة مص سار : السير . الوِساد : المتكأ او ما يجعل تحت الرأس عند النوم . ٧ الذّكرة : نقيض النسيان. ٨ الطلاب : اصلاً مص طالب وهنا بمعنى الطلب . والبيت مأخوذ من قول أبي فراس :

عليّ طلاب العزّ من مستقرّه ولا ذنب لي إن حاربتني المطالب

٩ العريكة : الطبيعة والخُلق؛ ومحلول العريكة كناية عن الضعيف النفس . المحبوك : المحكم . التريكة : الخوذة؛ ومحبوك التريكة كناية عن القويّ . ١٠ الغامر : الكثير . ١١ استجمّ : كثر . ١٢ كاثره بالمال : فاخره بكثرة المال .

فَلَا غَرْوَ أَنْ حُزْتُ ٱلْمَكَارِمَ عَارِياً ... فَقَدْ يَشْهَدُ ٱلسَّيْفُ ٱلْوَغَى وَهْوَ حَاسِرُ [١]
أَنَا ٱلْمَرْءُ لَا يَثْنِيهِ عَنْ دَرْكِ ٱلْعُلَى ... نَعِيمٌ، وَلَا تَعْدُو عَلَيْهِ ٱلْمَفَاقِرُ [٢]
قَؤُولٌ وَأَحْلَامُ ٱلرِّجَالِ عَوَازِبٌ ... صَؤُولٌ وَأَفْوَاهُ ٱلْمَنَايَا فَوَاغِرُ [٣]
فَلَا أَنَا إِنْ أَدْنَانِيَ ٱلْوَجْدُ بَاسِمٌ ... وَلَا أَنَا إِنْ أَقْصَانِيَ ٱلْعُدْمُ بَاسِرُ [٤]
فَإِنْ كُنْتُ قَدْ أَصْبَحْتُ فَلَّ رَزِيَّةٍ ... تَقَاسَمَهَا فِي ٱلْأَهْلِ بَادٍ وَحَاضِرُ [٥]
فَكَمْ بَطَلٍ فَلَّ ٱلزَّمَانُ شَبَاتَهُ ... وَكَمْ سَيِّدٍ دَارَتْ عَلَيْهِ ٱلدَّوَائِرُ [٦]

الشاعر الاجتماعي :

٣١٩ الجارة الصاخبة

[جاورت الشاعر امرأة كثيرة الجلبة لها أولاد يكثرون الصياح فأقلقوا عليه راحته فقال :]

إِلَى ٱللهِ أَشْكُو طُولَ لَيْلِي وَجَارَةً ... تَبِيتُ إِلَى وَقْتِ ٱلصَّبَاحِ بِإِعْوَالِ [٧]
لَهَا صِبْيَةٌ، لَا بَارَكَ ٱللهُ فِيهِمِ، ... قِبَاحُ ٱلنَّوَاصِي لَا يَنِمْنَ عَلَى حَالِ [٨]
صَوَارِخُ، لَا يَهْدَأْنَ إِلَّا مَعَ ٱلضُّحَى، ... مِنَ ٱلشَّرِّ، فِي بَيْتٍ مِنَ ٱلْخَيْرِ مِمْحَالِ [٩]

---

١ عارياً : هنا من المال . الحاسر : المكشوف وهنا المجرّد من غمده . ٢ عدا عليه : ظلمه او وثب عليه وهنا بمنى لا تقوى عليه . المفاقر : وجوه الفقر . ٣ الاحلام ج حِلم : العقول . عوازب : غائبة . الصّؤول : الذي يصول كثيراً اي يسطو على الاقران ويغلبهم . الفواغر : المفتوحة . والمعنى انه يحتفظ بسداد الرأي والقول عندما يفقد الآخرون الروع لشدة الهول وتشابك الأمور، ويبقى شديد الشجاعة والفتك إبّان الخطر . ٤ وُجْد المال مص وَجَد : الاستغناء به . العُدم : الفقر . الباسر : العابس . ٥ الفَلّ : مص فلّ والرجل الفَلّ : المنهزم . الرزيّة : المصيبة . البادي : ساكن البادية . الحاضر : ساكن المدن . ٦ فلّ : ثلم وكسر . الشباة : حدّ كل شيء . دارت عليه الدوائر : نزلت به الدواهي . ٧ الإعوال : ارتفاع الصوت بالبكاء والصياح . ٨ النواصي ج ناصية وهي منبت الشعر في مقدم الرأس والشعر النابت فيه . على حال : على حال من الاحوال . ٩ المِمحال : الكثير المَحْل أي الجدب والقحط .

تَرَى بَيْنَهُمْ، يَا فَرَّقَ ٱللهُ بَيْنَهُمْ،   لَهِيبَ صِيَاحٍ يَصْعَدُ ٱلْفَلَكَ ٱلْعَالِي
كَأَنَّهُمُ مِمَّا تَنَازَعْنَ أَكْلُبٌ   طُرِقْنَ عَلَى حِينِ ٱلْمَسَاءِ بِرِئْبَالِ[1]
فَهِجْنَ جَمِيعاً هَيْجَةً فَزِعَتْ لَهَا   كِلَابُ ٱلْقُرَى مَا بَيْنَ سَهْلٍ وَأَجْبَالِ
فَلَمْ يَبْقَ مِنْ كَلْبٍ عَقُورٍ وَكَلْبَةٍ   مِنَ ٱلْحَيِّ إِلَّا جَاءَ بِٱلْعَمِّ وَٱلْخَالِ[2]
وَفُزِّعَتِ ٱلْأَنْعَامُ وَٱلْخَيْلُ فَٱنْبَرَتْ   تُجَاوِبُ بَعْضاً فِي رُغَاءٍ وَتَصْهَالِ[3]
فَقَامَتْ رِجَالُ ٱلْحَيِّ تَحْسَبُ أَنَّهَا   أُصِيبَتْ بِجَيْشٍ ذِي غَوَارِبَ ذَيَّالِ[4]
فَمِنْ حَامِلٍ رُمْحاً وَمِنْ قَابِضٍ عَصاً   وَمِنْ فَزِعٍ يَتْلُو ٱلْكِتَابَ بِإِهْلَالِ[5]
وَمِنْ صِبْيَةٍ رِيعَتْ لِذَاكَ وَنِسْوَةٍ   قَوَائِمَ دُونَ ٱلْبَابِ يَهْتِفْنَ بِٱلْوَالِي
فَيَا رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ تَصَبُّراً   عَلَى مَا أُقَاسِيهِ وَخُذْهُمْ بِزِلْزَالِ

شاعر الطبيعة :

٣٢٠ مرتبع قندية

[كان الشاعر في الحملة التي وجهها الخديوي اسماعيل لإعانة السلطان . فاحتلّ غيضة في كريت[6]، فقال يصفها :]

وَمُرْتَبَعٍ لُذْنَا بِهِ غِبَّ سُحْرَةٍ   وَلِلصُّبْحِ أَنْفَاسٌ تَزِيدُ وَتَنْقُصُ[7]
وَقَدْ مَالَ لِلْغَرْبِ ٱلْهِلَالُ، كَأَنَّهُ   بِمِنْقَارِهِ عَنْ حَبَّةِ ٱلنَّجْمِ يَفْحَصُ[8]
رَقِيقِ حَوَاشِي ٱلنَّبْتِ، أَمَّا غُصُونُهُ   فَرَيَّا، وَأَمَّا زَهْرُهُ فَمُنَصَّصُ[9]

١ طرق القوم : أتاهم ليلاً . الرئبال : الأسد . ٢ العَقور : الذي يجرح من الحيوان .
٣ الرُغاء : صوت ذوات الخفّ كالإبل . ٤ الغوارب ج غارب : الكاهل او ما بين السنام والعنق وهنا بمعنى العظيم العالي . الذّيال : الطويل الذيل . ٥ الإهلال : رفع الصوت .
٦ كريت : جزيرة تقع في البحر المتوسط جنوبيّ بلاد اليونان . ٧ المرتبَع : المكان الذي يقام فيه ايام الربيع . ٨ حبّة النجم : النجم الذي هو كالحبة . ٩ الريّا م ريّان : الخضراء الناعمة . المنصّص : الذي بعضه فوق بعض .

إِذَا لَاعَبَتْ أَفْنَانَهُ ٱلرِّيحُ خِلْتَهَا سَلَاسِلَ تُلْوَى، أَوْ غَدَائِرَ تُعْقَصُ [١]
كَأَنَّ صِحَافَ ٱلزَّهْرِ، وَٱلطَّلُّ ذَائِبٌ، عُيُونٌ يَسِيلُ ٱلدَّمْعُ مِنْهَا وَتَشْخَصُ [٢]
يَكَادُ نَسِيمُ ٱلْفَجْرِ إِنْ مَرَّ سُحْرَةً بِسَاحَتِهِ ٱلشَّجْرَاءِ لَا يَتَخَلَّصُ
كَأَنَّ شُعَاعَ ٱلشَّمْسِ، وَٱلرِّيحُ رَهْوَةٌ، إِذَا رُدَّ فِيهِ، سَارِقٌ يَتَرَبَّصُ [٣]
يَمُدُّ يَدًا دُونَ ٱلثِّمَارِ، كَأَنَّمَا يُحَاوِلُ مِنْهَا غَايَةً، ثُمَّ يَنْكُصُ... [٤]
أَقَمْنَا بِهِ شَمْسَ ٱلنَّهَارِ، وَكُلُّنَا عَلَى مَا بِهِ، مِنْ شِدَّةِ ٱلْعُجْبِ، يَخْرُصُ
فَلَمَّا ٱسْتَرَدَّ ٱلشَّمْسَ جِنْحٌ مِنَ ٱلدُّجَى وَأَعْرَضَ تَيْهُورٌ مِنَ ٱللَّيْلِ أَعْوَصُ [٥]
دَعَوْنَا بِأَسْمَاءِ ٱلْجِيَادِ فَأَقْبَلَتْ لَوَاعِبَ فِي أَرْسَانِهَا تَتَرَقَّصُ
وَقُمْنَا وَكُلٌّ بَعْدَ مَا كَانَ لَاهِيًا بِأَطْلَالِهِ كُرْهَ ٱلرَّحِيلِ مُنَغَّصُ
فَلِلَّهِ عَيْنًا مَنْ رَأَى مِثْلَ حُسْنِهِ وَمَا أَنَا فِيمَا قُلْتُهُ أَتَخَرَّصُ [٦]
ظَفِرْتُ بِهِ فِي حِقْبَةٍ، فَقَنَصْتُهُ عَلَى غِرَّةِ ٱلْأَيَّامِ وَٱللَّهْوُ يُقْنَصُ [٧]

ميزة شعره: شعر البارودي صدى لقلب تنازعته عواطف ألم الاخفاق والنفي، وعزّة الفروسية والطموح، والتبرّم ببعض المظاهر الاجتماعية الشاذة الشائبة، والتعلّق الشديد بجمال الطبيعة. فكان مثالاً حياً للادب المنبعث، لا بعمق معانيه وروعة ابتكاراته، بل بتقرّبه من معاني عصره وأغراضه وعروبة أسلوبه وتدفق شاعريته.

---

١ تُعقص: تُلوّى وتشدّ في القفا. ٢ الصِّحاف ج الصحفة: آنية للطعام. شبّه بها اوراق الزهر المتلاصقة لاستدارتها وتقعّرها. الطـلّ: الندى. تشخص: تنفتح دون ان تطرف.
٣ رهوة: رقيقة ناعمة. رُدّ: أُرجع. يتربّص: ينتظر. والمراد هنا انّ الشعاع لا يستطيع ان ينفذ بين الغصون فينتظر ريثما تحرّكها الريح. ٤ ينكص: يتراجع. ٥ الجنح من الليل: القطعة والطائفة منه. أعرض: بدا. التيهور: موج البحر المرتفع. الاعوص: الشديد، الصعب.
٦ لله عينا: تعبير يفيد المدح والتعجب. أتخرّص: أكذب. ٧ على غِرّة: على غفلة. يُقنص: يصطاد.

حفني ناصف (١٨٥٦ _ ١٩١٩ م/١٢٧٢ _ ١٣٣٨ هـ)

[ولد في مصر، وتولى التدريس والقضاء، وتعاطى الادب . وقد ترك عدة كتب مدرسية ولغوية ورسائل وديوان شعر .]

الشاعر :

٣٢١ الشكوى من قِنا

[نُقل شاعرنا القاضي الى قِنا فكتب الى صاحب الامر يشكو من ذلك :]

رَقَّيْتَنِي حِسًّا وَمَعْنًى، فَلِصُنْعِكَ ٱلشُّكْرُ ٱلْمُثَنَّى
وَجَعَلْتَ رَأْسَ ٱلْحَاسِدِينَ بِمِصْرَ مِنْ قَدَمَيَّ أَدْنَى...
قَالُوا : قِنَا حَرٌّ، فَقُلْتُ : وَهَلْ يَرُدُّ ٱلْحُرُّ قِنًّا [1]
سِرُّ ٱلْحَيَاةِ حَرَارَةٌ لَوْلَاهُ مَا طَيْرٌ تَغَنَّى
كَلَّا ! وَلَا زَهْرٌ تَبَسَّمَ، لَا وَلَا غُصْنٌ تَثَنَّى
تَتَدَفَّقُ ٱلْأَنْهَارُ مِنْ حَرٍّ وَتُزْجِي ٱلرِّيحُ مُزْنَا [2]
هَا قَدْ أَمِنْتُ ٱلْبَرْدَ وَٱلْبُرَدَاءَ، وَٱلْقَلْبُ ٱطْمَأَنَّا [3]
وَوُقِيتُ أَمْرَاضَ ٱلرُّطُوبَةِ، وَٱسْتَرَقَّ ٱلرِّيحُ وَهْنَا [4]
أَلْقَى ٱلْهَوَاءَ فَلَا أَهَابُ لِقَاءَهُ ظَهْرًا وَبَطْنَا
وَأَنَامُ غَيْرَ مُدَثَّرٍ شَيْئًا إِذَا مَا ٱللَّيْلُ جَنَّا [5]

١ القِنّ : العبد الرقيق . ٢ تُزجي : تسوق . المُزن : السحاب ذو المطر . والمعنى ان الحرارة تذوّب الثلوج فتمدّ الانهار بالماء وتبخّر ماء البحر فتولّد السحب . ٣ البُرَداء : الحمّى مع البرد . ٤ استرقّ : اصبح رقيقاً ناعماً . الوَهْن : الضعف . ٥ جَنّ الليل : أظلم .

قَدْ خَفَّتِ ٱلنَّفَقَاتُ إِذْ لَا أَشْتَرِي صُـوفاً وَقُطْنَا
وَفَرْتُ مِنْ ثَمَنِ ٱلْوَقُو دِ ٱلنِّصْفَ أَوْ نِصْفاً وَثُمْنَا
فَالشَّمْسُ تَكْفُلُ رَاحَتِي فَكَأَنَّهَـا أُمِّي وَأَحْنَى
فَإِذَا بَدَتْ لِي حَاجَةٌ فِي ٱلْغَسْلِ أَلْقَى ٱلْمَاءَ سُخْنَا
أَوْ رُمْتُ طَبْخاً أَوْ عِلَاجَ ٱلْخُبْزِ أَلْقَى ٱلْجَوَّ فُرْنَا . . .

ميزة شعره : ضرب من النثر المنظوم المنطوي عـلى كثير من الملح والنكات الخفيفة، على غير تغلغل في عالم الفنّ والجمال .

الناثر :

٣٢٢ هدية عنب

[وكتب الى الشيخ علي الليثي رسالة يشكر له فيها هدية عنب فقال :]

وصل يا مولاي الى هذا الطَّرَف، ما خصصت به العبد من الطُّرَف[١]، « قفص » من عنب كاللؤلؤ في الصدَف . . . فقابلناه لثماً بالافواه ورَشْفاً بالشفاه . واحتفينا بقدومه كل الاحتفاء، ولم نفرّط في حبه عند اللقاء، بل حللنا له الحُبى[٢]، وقلنا له: أهلاً وسهلاً ومرحبا . وأوسعناه عضّاً ولثما، وتناولناه تجميشاً[٣] وضمّاً . . . وكان الأحرى بهذا العنب ان يُناط[٤] بالنحور[٥]، او تزيّن به الصدور . فما هو الا اللؤلؤ ولكنه سلِم من سجن البحار، وما هو إلا الدرّ لكن ليس فيه صُغار[٦] . . . فلله تلك العناقيد ما اشدّ تألُّقها، وأصفى ماءها وأحسن رونقها ، من كل عنقود تخاله عمود الصبح[٧] أحاطت به الدراري[٨]، او غصن البان تعلّقت به القُماري[٩] .

---

١ الطُّرَف ج طُرفة : الشيء الغريب المستحسن . ٢ الحُبى ج حبوة : مـا يجمع به بين الساق والظهر في حبل او غيره . وحلّ له الحبى معناها قابله بالتجلّة . ٣ جمّشه تجميشاً : لاعبه وقرصه . ٤ يناط : يعلّق . ٥ النحور ج نحر : اعلى الصدر . ٦ الصُّغار : الصغير . ٧ عمود الصبح : مـا ظهر من ضوئه . ٨ الدراري ج دُرّيّ : الكوكب المتوقد . ٩ القماريّ ج قمريّ : ضرب من الحمام حسن الصوت .

ميزة نثره : جرى على أسلوب القاضي الفاضل بالتزام السجع والعناية بالبديع في الرسائل، وإن كان كاتبنا في غيرها يُرسل كلامه ارسالاً . ونثره حافل بالدعابة والنكتة .

اسماعيل صبري (١٨٥٤ ــ ١٩٢٣ م/ ١٢٧١ ــ ١٣٤٢ هـ)

[ولد ونشأ في مصر في عهد الحضارة والادب . ونال جائزة الحقوق في فرنسا . ولما عاد الى بلاده تنقّل في مناصب القضاء والإدارة . اخيراً أحيل الى التقاعد فأصبحت داره منتدى الشعراء . أما هو فكان شاعراً وجدانياً مقلّاً .]

٣٢٣ اقصر فؤادي

أَقصِرْ فُؤَادِي، فَمَا ٱلذِّكْرَى بِنَافِعَةٍ   وَلَا بِشَافِعَةٍ فِي رَدِّ مَا كَانَا [1]
سَلَا ٱلْفُؤَادُ ٱلَّذِي شَاطَرْتَهُ زَمَناً   حَمْلَ ٱلصَّبَابَةِ، فَٱخْفُقْ وَحْدَكَ ٱلْآنَا [2]
هَلَّا أَخَذْتَ لِهَذَا ٱلْيَوْمِ أُهْبَتَهُ   مِنْ قَبْلِ أَنْ تُصْبِحَ ٱلْأَشْوَاقُ أَشْجَانَا [3]
لَهْفِي عَلَيْكَ! قَضَيْتَ ٱلْعُمْرَ مُقْتَحِماً   فِي ٱلْوَصْلِ نَاراً وَفِي ٱلْهِجْرَانِ نِيرَانَا [4]

٣٢٤ وثب القلوب

حَسْنَاء مُرْهَفَةُ ٱلْقَوَامِ، فَتَذْكُرُ   تُنْسِي تَذَكُّرَنَا ٱلشَّبَابَ وَعَهْدَهُ
وَتُطِلُّ مِنْ حَدَقِ ٱلْعُيُونِ وَتَنْظُرُ   تَثِبُ ٱلْقُلُوبُ إِلَى ٱلرُّؤُوسِ إِذَا بَدَتْ،

---

١ أقصر : أمسك وأقلع . شفع فيه : سعى في طلب العون له . ٢ سلا : نسي . الصبابة : الشغف اي الولع الشديد . ٣ هلا : مع الماضي تفيد اللوم على ترك الفعل . ٤ الوَصل : خلاف الهجر .

٣٢٥ مسامحة الصديق

إِذَا خَانَنِي خِلٌّ قَدِيمٌ وَعَقَّنِي، وَفَوَّقْتُ يَوْماً، فِي مَقَاتِلِهِ، سَهْمِي [1]
تَعَرَّضَ طَيْفُ ٱلْوُدِّ بَيْنِي وَبَيْنَـهُ فَكَسَّرَ سَهْمِي، فَٱنْثَنَيْتُ وَلَمْ أَرْمِ

٣٢٦ يا سرحة

يَا سَرْحَةً بِجِوَارِ ٱلْمَاءِ نَاضِرَةً سَقَاكِ دَمْعِي إِنْ لَمْ يُوفِ سَاقِيكِ [2]
عَارٌ عَلَيْكِ وَهٰـذَا ٱلظِّلُّ مُنْتَشِرٌ فَتْكُ ٱلْهَجِيرِ بِمِثْلِي فِي نَوَاحِيكِ [3]
فَمَنْ مُعِيرِي جَنَاحَيْ طَائِرٍ غَرِدٍ كَيْ أَقْطَعَ ٱلْعُمْرَ شَدْواً فِي أَعَالِيكِ
فَلَا أَنْفِرَ عَنْ أَرْضٍ غُرِسْتِ بِهَـا وَلَا يَرِنَّ بِسَمْعِي غَـيْرُ وَادِيكِ

٣٢٨ يا رب اهلني لفضلك

يَا رَبِّ أَيْنَ تُرَى تُقَامُ جَهَنَّمٌ لِلظَّالِمِينَ غَـدًا وَلِلْفُجَّارِ ؟
لَمْ يُبْقِ عَفْوُكَ فِي ٱلسَّمَاوَاتِ ٱلْعُلَى وَٱلْأَرْضِ ، شِبْرًا خَالِيًا لِلنَّارِ
يَا رَبِّ أَهِّلْنِي لِفَضْلِكَ، وَٱكْفِنِي شَطَطَ ٱلْعُقُولِ وَفِتْنَةَ ٱلْأَفْكَارِ [4]
وَمُرِ ٱلْوُجُودَ يَشِفَّ عَنْكَ، كَيْ أَرَى غَضَبَ ٱللَّطِيفِ وَرَحْمَةَ ٱلْجَبَّارِ [5]
يَا عَالِمَ ٱلْأَسْرَارِ حَسْبِي مِحْنَةً عِلْمِي بِأَنَّكَ عَالِمُ ٱلْأَسْرَارِ
أَخْلِقْ بِرَحْمَتِكَ ٱلَّتِي تَسَعُ ٱلْوَرَى أَلَّا تَضِيقَ بِأَعْظَمِ ٱلْأَوْزَارِ

---

١ فوّق السهم: جعل له فوقاً وهو مشقّ رأس السهم حيث يقع الوتر . والمعنى : اعددت سهامي وصوّبتها نحو مقاتله اي اردت ان اؤذيه . ٢ السرحة : شجرة عظيمـة طويلة . لم يوفِ : لم يسقك تمام السقي . ٣ الهجير : نصف النهار في القيظ خاصة وشدّة الحرّ . ٤ الشطط : تجاوز القدر والحد . الفتنة: الضلال . ٥ يشفّ : اي ان يشفّ . اللطيف والجبار : من صفات الله.

٣٢٨ وصف الاهرام

[كان شاعر الاقطار العربية، خليل مطران بك، قد نظم قصيدته الشهيرة « وقفة في ظلّ تمثال رعمسيس الكبير » وعرّض بقدماء المصريين على انهم كانوا ينقادون للفراعنة عن ذل وخنوع ، فردّ عليه صبري اسماعيل معارضاً بقوله ان المصريّ القديم كان يذعن لفرعون عن برّ لا عن خوف او طمع]

لَا ٱلْقَوْمُ قَوْمِي، وَلَا ٱلْأَعْوَانُ أَعْوَانِي، ... إِذَا وَنَى يَوْمَ تَحْصِيلِ ٱلْعُلَى وَانِ ؛
وَلَسْتُ، إِنْ لَمْ تُؤَيِّدْنِي فَرَاعِنَةٌ، ... مِنكُمْ بِفِرْعَوْنَ، عَالِي ٱلْعَرْشِ وَٱلشَّانِ ؛
وَلَسْتُ جَبَّارَ ذَا ٱلْوَادِي، إِذَا سَلِمَتْ ... جِبَالُهُ تِلْكَ، مِنْ غَارَاتِ أَعْوَانِي !
لَا تَقْرَبُوا ٱلنِّيلَ، إِنْ لَمْ تَعْمَلُوا عَمَلًا، ... فَمَاؤُهُ ٱلْعَذْبُ لَمْ يُخْلَقْ لِكَسْلَانِ !
رِدُوا ٱلْمَجَرَّةَ كَدًّا، دُونَ مَوْرِدِهِ، ... أَوْ فَٱطْلُبُوا غَيْرَهُ رِيًّا لِظَمْآنِ ! [١]
وَٱبْنُوا كَمَا بَنَتِ ٱلْأَجْيَالُ قَبْلَكُمُ، ... لَا تَتْرُكُوا بَعْدَكُمْ فَخْرًا لِإِنْسَانِ ؛
أَمَرْتُكُمْ، فَأَطِيعُوا أَمْرَ رَبِّكُمُ، ... لَا يَثْنِ مُسْتَمِعًا عَنْ طَاعَةٍ ثَانِ :
فَٱلْمُلْكُ أَمْرٌ وَطَاعَاتٌ تُسَابِقُهُ، ... جَنْبًا لِجَنْبٍ، إِلَى غَايَاتِ إِحْسَانِ !
لَا تَتْرُكُوا مُسْتَحِيلًا فِي ٱسْتِحَالَتِهِ، ... حَتَّى يُمِيطَ لَكُمْ عَنْ وَجْهِ إِمْكَانِ . [٢]

. . .

مَقَالَةٌ قَدْ هَوَتْ مِنْ عَرْشِ قَائِلِهَا، ... عَلَى مَنَاكِبِ أَبْطَالٍ وَشُجْعَانِ ،
مَادَتْ لَهَا ٱلْأَرْضُ، مِنْ ذُعْرٍ، وَدَانَ لَهَا ... مَا فِي ٱلْمُقَطَّمِ مِنْ صَخْرٍ وَصَوَّانِ . [٣]
لَوْ غَيْرُ فِرْعَوْنَ أَلْقَاهَا عَلَى مَلَإٍ، ... فِي غَيْرِ مِصْرٍ، لَعُدَّتْ حُلْمَ يَقْظَانِ !

١ المجرّة : منطقة في السماء قوامها نجوم كثيرة لا يميزها البصر فيراها كبقعة بيضاء، والعامة تسميها « درب التبّانة » . ٢ أماط عن الشيء : اظهره . ٣ ماد الشيء : تحرّك واضطرب .

لَكِنَّ فِرْعَوْنَ، إنْ نَادَى بِهَا جَبَلاً، لَبَّتْ حِجَارَتُهُ فِي قَبْضَةِ ٱلْبَانِي،
وَآزَرَتْهُ جَمَاهِيرٌ، تَسِيلُ بِهَا بِطَاحُ وَادٍ، بِمَاضِي ٱلْعَزْمِ مَلآنِ؛
يَبْنُونَ مَا تَقِفُ ٱلأَجْيَالُ حَائِرَةً أَمَامَهُ، بَيْنَ إِعْجَابٍ وَإِذْعَانِ،
مِنْ كُلِّ مَا لَمْ يَلِدْ فِكْرٌ، وَلاَ فُتِحَتْ عَلَى نَظَائِرِهِ، فِي ٱلْكَوْنِ، عَيْنَانِ؛
وَيُشْبِهُونَ، إذَا طَارُوا إلَى عَمَلٍ، جِنّاً يَطِيرُ بِأَمْرٍ مِنْ سُلَيْمَانِ،
بِرّاً بِذِي ٱلأَمْرِ، لاَ خَوْفاً وَلاَ طَمَعاً، لَكِنَّهُمْ خُلِقُوا طُلاَّبَ إِتْقَانِ.

. . .

أَهْرَامُهُمْ تِلْكَ، حَيِّ ٱلْفَنَّ مُتَّخِذاً، مِنَ ٱلصُّخُورِ، بُرُوجاً فَوْقَ كَيْوَانِ.[1]
قَدْ مَرَّ دَهْرٌ عَلَيْهَا، وَهْيَ سَاخِرَةٌ بِمَا يُضَعْضِعُ مِنْ صَرْحٍ وَإِيوَانِ![2]
لَمْ يَأْخُذِ ٱللَّيْلُ، مِنْهَا، وَٱلنَّهَارُ سِوَى مَا يَأْخُذُ ٱلنَّمْلُ مِنْ أَرْكَانِ ثَهْلاَنِ.[3]
كَأَنَّهَا، وَٱلْعَوَادِي فِي جَوَانِبِهَا صَرْعَى، بِنَاءُ شَيَاطِينٍ لِشَيْطَانِ.
جَاءَتْ إلَيْهَا وُفُودُ ٱلأَرْضِ قَاطِبَةً، تَسْعَى ٱشْتِيَاقاً إلَى مَا خَلَّدَ ٱلْفَانِي.
فَصَغَّرَتْ كُلَّ مَوْجُودٍ ضَخَامَتُهَا، وَغَضَّ بُنْيَانُهَا مِنْ كُلِّ بُنْيَانِ.
وَعَادَ مُنْكِرُ فَضْلِ ٱلْقَوْمِ مُعْتَرِفاً، يُثْنِي عَلَى ٱلْقَوْمِ، فِي سِرٍّ وَإِعْلاَنِ.
تِلْكَ ٱلْهَيَاكِلُ فِي ٱلأَمْصَارِ شَاهِدَةٌ بِأَنَّهُمْ أَهْلُ سَبْقٍ، أَهْلُ إِمْعَانِ،
وَأَنَّ فِرْعَوْنَ فِي حَوْلٍ وَمَقْدُرَةٍ، وَقَوْمَ فِرْعَوْنَ فِي ٱلإِقْدَامِ كُفْآنِ.[4]
إذَا أَقَامَ عَلَيْهِمْ شَاهِداً، حَجَرٌ فِي هَيْكَلٍ، قَامَتِ ٱلأُخْرَى بِبُرْهَانِ.
كَأَنَّمَا هِيَ، وَٱلأَقْوَامُ خَاشِعَةٌ أَمَامَهَا، صُحُفٌ مِنْ عَالَمٍ ثَانِ!
تَسْتَقْبِلُ ٱلْعَيْنَ، فِي أَثْنَائِهَا، صُوَرٌ فَصِيحَةُ ٱلرَّمْزِ، دَارَتْ حَوْلَ جُدْرَانِ.
لَوْ أَنَّهَا أُعْطِيَتْ صَوْتاً، لَكَانَ لَهُ صَدًى يُرَوِّعُ صُمَّ ٱلإِنْسِ وَٱلْجَانِ!

١ كَيْوان: اسم زُحَل في الفارسية، وهو كوكب تحيط به منطقة نيّرة يضرب به المثل في العلوّ والبعد. ٢ الصرح: القصر وكل بناء عالٍ. الإيوان: المكان المتسع من البيت يحيط به ثلاثة حيطان؛ ويريد هنا القصر بلا قيد. ٣ ثهلان: جبل. ٤ كفآن مثنى كفء، وهو المثل والنظير.

أَيْنَ الأُلَى سَجَّلُوا فِي الصَّخْرِ سِيرَتَهُمْ، وَصَغَّرُوا كُلَّ ذِي مُلْكٍ وَسُلْطَانِ ؟
بَادُوا، وَبَادَتْ عَلَى آثَارِهِمْ دُوَلٌ، وَأُدْرِجُوا طَيَّ أَخْبَارٍ وَأَكْفَانِ .

ميزة شعره : شعر وجداني يعتمد على أذن موسيقية وذوق سليم وطبيعة ناقدة . وهو عموماً رقيق ناعم عليه مسحة الترف واللين والجلاء يحض على سهولة الفاظه معاني وأخيلة جميلة . هو شعر الذوق واللطافة اكثر منه شعر القوّة والثورة .

حافظ ابراهيم (١٨٧١ _ ١٩٣٢ م / ١٢٧٨ _ ١٣٥١ هـ)

[هو شاعر النيل . ولد في القاهرة وفقد والديه صغيراً . انخرط في سلك الجندية واصبح ضابطاً . ولما أحيل الى التقاعد انصرف إلى معالجة الشعر ومخالطة الادباء . وكان عميق التأثر خفيف الروح قويّ الحافظة على ان ثقافته عربية اكثر منها اجنبية . وشعره يجمع الى الاغراض التقليدية قصائد اجتماعية وسياسية كثيرة .]

شاعر العاطفة والمؤاساة :

٣٢٩ وداع الشباب

[وقف يوماً شاعرنا على داره التي قضى فيها سني الصبا فقال :]

كَمْ مَرَّ بِي فِيكِ عَيْشٌ لَسْتُ أَذْكُرُهُ وَمَرَّ بِي فِيكِ عَيْشٌ لَسْتُ أَنْسَاهُ !
وَدَّعْتُ فِيكِ بَقَايَا مَا عَلِقْتُ بِهِ مِنَ الشَّبَابِ وَمَا وَدَّعْتُ ذِكْرَاهُ
أَهْفُو إِلَيْهِ، عَلَى مَا أَقْرَحَتْ كَبِدِي مِنَ التَّبَارِيحِ أُولَاهُ وَأُخْرَاهُ [١]

---

١ اهفو اليه: اذهب في اثره . التباريح لا مفرد لها : الشدائد والمشقات .

لَبِسْتُهُ، وَدُمُوعُ ٱلْعَيْنِ طَيِّعَةٌ، وَٱلنَّفْسُ جَيَّاشَةٌ، وَٱلْقَلْبُ أَوَّاهُ
فَكَانَ عَوْنِي عَلَى وَجْدٍ أُكَابِدُهُ وَمُرِّ عَيْشٍ عَلَى ٱلْعِلَّاتِ أَلْقَاهُ[1]
إِنْ خَانَ وُدِّي صَدِيقٌ كُنْتُ أَصْحَبُهُ، أَوْ خَانَ عَهْدِي حَبِيبٌ كُنْتُ أَهْوَاهُ
قَدْ أَرْخَصَ ٱلدَّمْعَ يَنْبُوعُ ٱلْغَنَاءِ بِهِ، وَا لَهْفَتِي! وَنُضُوبُ ٱلشَّيْبِ أَغْلَاهُ[2]
كَمْ رَوَّحَ ٱلدَّمْعُ عَنْ قَلْبِي، وَكَمْ غَسَلَتْ مِنْهُ ٱلسَّوَابِقُ حُزْنًا فِي حَنَايَاهُ!
لَمْ أَدْرِ مَا يَدُهُ حَتَّى تَرَشَّفَهُ فَمُ ٱلْمَشِيبِ، عَلَى رَغْمِي، فَأَفْنَاهُ
قَالُوا: تَحَرَّرْتَ مِنْ قَيْدِ ٱلْمِلَاحِ، فَعِشْ حُرًّا، فَفِي ٱلْأَسْرِ ذُلٌّ كُنْتَ تَأْبَاهُ
فَقُلْتُ: يَا لَيْتَهُ دَامَتْ صَرَامَتُهُ مَا كَانَ أَرْفَقَهُ عِنْدِي وَأَحْلَاهُ!
بُدِّلْتُ مِنْهُ بِقَيْدٍ لَسْتُ أُفْلِتُهُ، وَكَيْفَ أُفْلِتُ قَيْدًا صَاغَهُ ٱللهُ؟
أَسْرَى ٱلصَّبَابَةِ أَحْيَاءٌ، وَإِنْ جُهِدُوا، أَمَّا ٱلْمَشِيبُ فَفِي ٱلْأَمْوَاتِ أَسْرَاهُ[3]

٣٣٠ خراب مسّينا

[«مسّينا» مدينة في جزيرة صقلية تقع على البوغاز المدعوّ بها. قد دمّرتها الزلازل في ٢٨ ك ١ سنة ١٩٠٨ واهلكت من سكانها ما يربو على الثلثين. فعظم وقع المصاب على العالم حتى رثت لتلك المدينة اقلام الكتّاب في انحاء الارض وتبارى الشعراء في نظم القصائد يصفون تلك الكارثة التي حلّت بها، وكان من اروع تلك القصائد قصيدة حافظ التي نقتطف منها ما يلي:]

مَا «لِمِسِّينَ» عُوجِلَتْ فِي صِبَاهَا وَدَعَاهَا مِنَ ٱلرَّدَى دَاعِيَانِ،
وَمَحَتْ تِلْكُمُ ٱلْمَحَاسِنَ مِنْهَا، حِينَ تَمَّتْ آيَاتُهَا، آيَتَانِ؟[4]
خُسِفَتْ ثُمَّ أُغْرِقَتْ ثُمَّ بَادَتْ؛ قُضِيَ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُ فِي ثَوَانٍ![5]

---

١ العلات ج علّة: الحالات المختلفة المتنوعة. ٢ غني غناء بالشيء: حصل عليه، واكتفى به.
٣ جُهدوا: وجدوا مشقّة. ٤ الآيات ج آية وهي العلامة والاعجوبة. يريد بآيات المدينة هنا فخامة مبانيها وتمام زينتها. والآيتان: يريد بها زلزال الارض وفيضان الماء. ٥ خسَف ـِ خسْفاً الشيء: أغرقه. ــ وخسف الله الارضَ: اساخها وغيّبها بما عليها.

وَأَتَى أَمْرُهَا فَأَضْحَتْ كَأَنْ لَمْ تَكُ، بِالْأَمْسِ، زِينَةَ ٱلْبُلْدَانِ ؛ [1]
بَغَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ عَلَيْهَا، وَطَغَى ٱلْبَحْرُ أَيَّمَا طُغْيَانِ ؛
تِلْكَ تَغْلِي حِقْدًا عَلَيْهَا، فَتَنْشَـ ـقُّ ٱنْشِقَاقًا، مِنْ كَثْرَةِ ٱلْغَلَيَانِ ؛
فَتُجِيبُ ٱلْجِبَالُ رَجْمًا وَقَذْفًا بِشُوَاظٍ مِنْ مَارِجٍ، وَدُخَانِ ؛ [2]
وَتَسُوقُ ٱلْبِحَارُ، رَدًّا عَلَيْهَا، جَيْشَ مَوْجٍ نَائِي ٱلْجَنَاحَيْنِ، دَانِي . [3]
فَهُنَا ٱلْمَوْتُ أَسْوَدُ ٱللَّوْنِ جَوْنٌ، وَهُنَا ٱلْمَوْتُ أَحْمَرُ ٱللَّوْنِ قَانِي ! [4]
جَنَّدَ ٱلْمَاءَ وَٱلثَّرَى لِهَلَاكِ ٱلْـ ـخَلْقِ، ثُمَّ ٱسْتَعَانَ بِٱلنِّيرَانِ ؛ [5]
وَدَعَا ٱلسُّحْبَ عَاتِيًا فَأَمَدَّتْـ ـهُ بِجَيْشٍ، مِنَ ٱلصَّوَاعِقِ، ثَانِ ؛
فَٱسْتَحَالَ ٱلنَّجَاءُ، وَٱسْتَحْكَمَ ٱلْيَأْ سُ، وَخَارَتْ عَزَائِمُ ٱلشُّجْعَانِ ،
وَشَفَى ٱلْمَوْتُ غِلَّهُ مِنْ نُفُوسٍ لَا تُبَالِيهِ فِي مَجَالِ ٱلطِّعَانِ . [6]
رُبَّ طِفْلٍ قَدْ سَاخَ فِي بَاطِنِ ٱلْأَرْ ضِ يُنَادِي: «أُمِّي أَبِي أَدْرِكَانِي!» [7]
وَفَتَاةٍ هَيْفَاءَ تُشْوَى عَلَى ٱلْجَمْـ ـرِ، تُعَانِي مِنْ حَرِّهِ مَا تُعَانِي ؛
وَأَبٍ ذَاهِلٍ، إِلَى ٱلنَّارِ يَمْشِي مُسْتَمِيتًا تَمْتَدُّ مِنْهُ ٱلْيَدَانِ ،
بَاحِثًا عَنْ بَنَاتِهِ وَبَنِيهِ، مُسْرِعَ ٱلْخَطْوِ، مُسْتَطِيرَ ٱلْجَنَانِ، [8]
تَأْكُلُ ٱلنَّارُ مِنْهُ، لَا هُوَ نَاجٍ مِنْ لَظَاهَا، وَلَا ٱللَّظَى عَنْهُ وَانِي !
غَصَّتِ ٱلْأَرْضُ، أُتْخِمَ ٱلْبَحْرُ مِمَّا طَوَيَاهُ مِنْ هٰذِهِ ٱلْأَبْدَانِ ؛ [9]
وَشَكَى ٱلْحُوتُ لِلنُّسُورِ شَكَاةً رَدَّدَتْهَا ٱلنُّسُورُ لِلْحِيتَانِ ؛
أَسْرَفَا فِي ٱلْجُسُومِ نَقْرًا وَنَهْشًا، ثُمَّ بَاتَا مِنْ كِظَّةٍ يَشْكُوَانِ . [10]

١ اتى امرُها : بادت . ٢ الشُّواظ : اللهب لا دخان فيه ؛ والمارج : الشعلة الساطعة ذات اللهب الشديد . ٣ نائي الجناحين : اي بعيد ما بين الجانبين؛ والداني : القريب . يريد ان الموج يتسع مرة ويضيق أخرى . ٤ الجَوْن : الشديد السواد . والقاني : الشديد الحمرة . والعرب تطلق الموت الاسود على الموت خنقاً، والموت الاحمر على الموت قتلاً لما يحدثه القتل من سيلان الدم . ٥ الضمير في « جنّد » و « استعان » للموت . ٦ الغِلّ : الحقد والموجدة . ٧ ساخ : غاص . ٨ مستطير الجَنان : ذاهب القلب جزعاً وإشفاقاً . ٩ غصّت : امتلأت . وأتخم : امتلأ جوفه من التخمة وهي الامتلاء من الطعام. ١٠ الكظّة: البطنة أي ما يعتري الانسان من الامتلاء من الطعام .

لَا رَعَى ٱللهُ سَاكِنَ ٱلْقِمَمِ ٱلشُّمِّ وَلَا حَاطَ سَاكِنَ ٱلْقِيعَانِ :[١]

قَدْ أَغَارَا عَلَى أَكُفٍّ بَرَاهَا بَارِئُ ٱلْكَائِنَاتِ لِلْإِتْقَانِ !

لَهْفَ نَفْسِي، وَأَلْفَ لَهْفٍ عَلَيْهَا مِنْ أَكُفٍّ كَانَتْ صَنَاعَ ٱلزَّمَانِ،[٢]

مُولَعَاتٍ بِصَيْدِ كُلِّ جَمِيلٍ، نَاصِبَاتٍ حَبَائِلَ ٱلْأَلْوَانِ،[٣]

حَافِرَاتٍ فِي ٱلصَّخْرِ أَوْ نَاقِشَاتٍ، شَائِدَاتٍ رَوَائِعَ ٱلْبُنْيَانِ،

مُنْطِقَاتٍ لِسَانَ كُلِّ جَمَادٍ، مُفْحِمَاتٍ سَوَاجِعَ ٱلْأَفْنَانِ،[٤]

مُلْهِمَاتٍ مِنْ دِقَّةِ ٱلصُّنْعِ مَا لَا يُلْهَمُ ٱلشِّعْرُ مِنْ دَقِيقِ ٱلْمَعَانِي،

مِنْ تَمَاثِيلَ كَٱلنُّجُومِ ٱلدَّرَارِي، يَهْرَمُ ٱلدَّهْرُ وَهْيَ فِي عُنْفُوَانِ !٥

فَسَلَامٌ عَلَيْكِ يَوْمَ تَوَلَّيْتِ بِمَا فِيكِ مِنْ مَغَانٍ حِسَانِ،[٦]

وَسَلَامٌ عَلَيْكِ يَوْمَ تَعُودِينَ، كَمَا كُنْتِ، جَنَّةَ ٱلطُّلْيَانِ ؛

وَسَلَامٌ مِنْ كُلِّ حَيٍّ عَلَى ٱلْأَرْضِ، عَلَى كُلِّ هَالِكٍ فِيكِ، فَانِ !

٣٣١ اين سعد ؟

[قال هذه الابيات في رثاء سعد زغلول باشا الزعيم السياسي المصري الشهير :]

إِيهِ يَا لَيْلُ ! هَلْ شَهِدْتَ ٱلْمُصَابَا، كَيْفَ يَنْصَبُّ فِي ٱلنُّفُوسِ ٱنْصِبَابَا ؟

بَلِّغِ ٱلْمَشْرِقَيْنِ، قَبْلَ ٱنْبِلَاجِ ٱلصُّبْحِ، أَنَّ ٱلرَّئِيسَ وَلَّى وَغَابَا . .

أَيْنَ سَعْدٌ ؟ فَذَاكَ أَوَّلُ حَفْلٍ غَابَ عَنْ صَدْرِهِ وَعَافَ ٱلْخِطَابَا

---

١ ساكن القمم الشمّ : يريد النسر لانه يسكن اعالي الجبال. ساكن القيعان : ما في البحر من الحيتان ... ٢ الصَّناع : الحاذقة الماهرة في العمل . ٣ الحبائل : الاشراك . يريد بقوله : «ناصبات حبائل الالوان» أن هذه الصور تتصيّد القلوب والانظار بما فيها من دقّة واتقان . ٤ سواجع الافنان : الحمائم التي تسجع، اي تغرّد . يشير بالشطر الاول من هذا البيت الى ما تصنعه هذه الايدي من التماثيل التي تقرب من الحقيقة حتى تكاد تنطق؛ وبالشطر الثاني الى ايدي الموسيقيين البارعين . ٥ الدراريّ (حُذف التشديد الاخير للشعر) ج درّيّ وهو الكوكب المتوقد المتلألئ الصافي الشعاع . ٦ تولى عن الامر : اعرض وانصرف . وهنا : ذهب واضمحلّ . المغاني ج مغنى وهو المنزل .

لَمْ يُعَوِّدْ جُنُودَهُ يَوْمَ خَطْبٍ   أَنْ يُنَادَى فَلَا يَرُدَّ ٱلْجَوَابَا
عَلَّ أَمْرًا قَدْ عَاقَهُ، عَلَّ سُقْمًا   قَدْ عَرَاهُ، لَقَدْ أَطَالَ ٱلْغِيَابَا
أَيْ جُنُودَ ٱلرَّئِيسِ، نَادُوا جِهَارًا   فَإِذَا لَمْ يُجِبْ فَشُقُّوا ٱلثِّيَابَا
إِنَّهَا ٱلنَّكْبَةُ ٱلَّتِي كُنْتُ أَخْشَى،   إِنَّهَا ٱلسَّاعَةُ ٱلَّتِي كُنْتُ آبَى
إِنَّهَا ٱللَّفْظَةُ ٱلَّتِي تَنْسِفُ ٱلْأَنْـفُسَ نَسْفًا وَتَفْقِرُ ٱلْأَصْلَابَا[1] ...
حَسْرَةٌ عِنْدَ أَنَّةٍ عِنْدَ آهٍ   تَحْتَهَا زَفْرَةٌ تُذِيبُ ٱلصِّلَابَا ..
خَرَجَتْ أُمَّةٌ تُشَيِّعُ نَعْشًا   قَدْ حَوَى أُمَّةً وَبَحْرًا عُبَابَا
حَمَلُوهُ عَلَى ٱلْمَدَافِعِ، لَمَّا   أَعْجَزَ ٱلْهَامَ حَمْلُهُ وَٱلرِّقَابَا
حَالَ لَوْنُ ٱلْأَصِيلِ، وَٱلدَّمْعُ يَجْرِي،   شَفَقًا سَائِلًا وَصُبْحًا مُذَابَا[2]
وَسَهَا ٱلنِّيلُ عَنْ سُرَاهُ ذُهُولًا   حِينَ أَلْفَى ٱلْجُمُوعَ تَبْكِي ٱنْتِحَابَا
ظَنَّ، يَا سَعْدُ، أَنْ يَرَى مِهْرَجَانًا،   فَرَأَى مَأْتَمًا وَحَشْدًا عُجَابَا
لَمْ تَسُقْ مِثْلَهُ فَرَاعِينُ مِصْرٍ   يَوْمَ كَانُوا لِأَهْلِهَا أَرْبَابَا ...
قَدْ بَلَوْنَاكَ قَاضِيًا وَوَزِيرًا   وَرَئِيسًا وَمِدْرَهًا خَلَّابَا[3]
فَوَجَدْنَاكَ، مِنْ جَمِيعِ نَوَاحِيكَ،   عَظِيمًا مُوَفَّقًا غَلَّابَا
لَمْ يَنَلْ حَاسِدُوكَ مِنْكَ مُنَاهُمْ   لَا وَلَمْ يُلْصِقُوا بِعَلْيَاكَ عَابَا[4]
نَمْ هَنِيئًا! فَقَدْ سَهِدْتَ طَوِيلًا،   وَسَئِمْتَ ٱلسِّقَامَ وَٱلْأَوْصَابَا[5] ...
خِفْتَ فِينَا مَقَامَ رَبِّكَ حَيًّا،   فَتَنَظَّرْ بِجَنَّتَيْهِ ٱلثَّوَابَا

١ تنسف : تقلع من الاصل، تدكّ . تفقر : تكسر فقار الظهر . الأصلاب ج صُلب : عظم في الظهر من الكاهل الى العُجْب (أصل الذنب) . ٢ حال : تحوّل وتغيّر . الاصيل : الوقت بعد العصر الى الغروب . ٣ المِدْرَه : زعيم القوم والمتكلّم عنهم . ٤ العاب : الوصمة، مثل العيب . ٥ سهد : لم ينم او قلّ نومه . الاوصاب ج وصَب : الوجع والمرض الدائم .

شاعر المجتمع والوطنية :

٣٣٢ الام مدرسة

مَنْ لِي بِتَرْبِيَةِ ٱلنِّسَاءِ فَإِنَّهَا فِي ٱلشَّرْقِ عِلَّةُ ذٰلِكَ ٱلإِخْفَاقِ
أَلْأُمُّ مَدْرَسَةٌ، إِذَا أَعْدَدْتَهَا أَعْدَدْتَ شَعْبًا طَيِّبَ ٱلْأَعْرَاقِ[1]...
أَلْأُمُّ أُسْتَاذُ ٱلْأَسَاتِذَةِ ٱلْأُولَى شَغَلَتْ مَآثِرُهُمْ مَدَى ٱلْآفَاقِ
أَنَا لَا أَقُولُ دَعُوا ٱلنِّسَاءَ سَوَافِرًا بَيْنَ ٱلرِّجَالِ يَجُلْنَ فِي ٱلْأَسْوَاقِ
يَدْرُجْنَ حَيْثُ أَرَدْنَ، لَا مِنْ وَازِعٍ يَحْذَرْنَ رِقْبَتَهُ، وَلَا مِنْ وَاقِ[2]
يَفْعَلْنَ أَفْعَالَ ٱلرِّجَالِ لَوَاهِيًا عَنْ وَاجِبَاتِ نَوَاعِسِ ٱلْأَحْدَاقِ[3]
فِي دُورِهِنَّ شُؤُونُهُنَّ كَثِيرَةٌ كَشُؤُونِ رَبِّ ٱلسَّيْفِ وَٱلْمِزْرَاقِ[4]
كَلَّا! وَلَا أَدْعُوكُمُ أَنْ تُسْرِفُوا فِي ٱلْحَجْبِ وَٱلتَّضْيِيقِ وَٱلْإِرْهَاقِ
لَيْسَتْ نِسَاؤُكُمُ حُلًى وَجَوَاهِرًا خَوْفَ ٱلضَّيَاعِ تُصَانُ فِي ٱلْأَحْقَاقِ[5]
لَيْسَتْ نِسَاؤُكُمُ أَثَاثًا يُقْتَنَى فِي ٱلدُّورِ، بَيْنَ مَخَادِعٍ وَطِبَاقِ
تَتَشَكَّلُ ٱلْأَزْمَانُ فِي أَدْوَارِهَا دُوَلًا وَهُنَّ عَلَى ٱلْجُمُودِ بَوَاقِ[6]
فَتَوَسَّطُوا فِي ٱلْحَالَتَيْنِ وَأَنْصِفُوا، فَالشَّرُّ فِي ٱلتَّقْيِيدِ وَٱلْإِطْلَاقِ
رَبُّوا ٱلْبَنَاتِ عَلَى ٱلْفَضِيلَةِ، إِنَّهَا فِي ٱلْمَوْقِفَيْنِ لَهُنَّ خَيْرُ وِثَاقِ
وَعَلَيْكُمُ أَنْ تَسْتَبِينَ بَنَاتُكُمْ نُورَ ٱلْهُدَى، وَعَلَى ٱلْحَيَاءِ ٱلْبَاقِي

---

١ الاعراق ج عِرق : الاصل . ٢ الوازع : الرادع . الرِّقبة مص رقَب : رصد .
٣ الاحداق ج حدَقة : سواد العين الاعظم . ونواعس الاحداق : الفاترات الطرْف ، صفة للدلالة على النساء . ٤ المزراق : الرمح القصير . ٥ الاحقاق ج حُقّة : وعاء صغير للطيب او غيره .
٦ الدُّوَل ج دولة : انقلاب الزمان .

٣٣٣ غادة اليابان

[نشبت حرب بين الروس واليابان سنة ١٩٠٤ – ١٩٠٥ وكان النصر فيها حليف هذه الاخيرة . فراح الشاعر ينعى على قومه خنوعهم ويستحثهم على الاقتداء بشعب اليابان الشجاع الابي، الذي تمثله غادة كان قد علق بها .]

لَا تَلُمْ كَفِّي إِذَا ٱلسَّيْفُ نَبَا صَحَّ مِنِّي ٱلعَزْمُ وَٱلدَّهْرُ أَبَى [1]
رُبَّ سَاعٍ مُبْصِرٍ فِي سَعْيِهِ أَخْطَأَ ٱلتَّوْفِيقَ فِي مَا طَلَبَا
مَرْحَباً بِٱلْخَطْبِ يَبْلُونِي، إِذَا كَانَتِ ٱلعَلْيَاءُ فِيهِ ٱلسَّبَبَا [2]
عَقَّنِي ٱلدَّهْرُ، وَلَوْلَا أَنَّنِي أُوثِرُ ٱلْحُسْنَى، عَقَقْتُ ٱلْأَدَبَا [3]
إِيهِ يَا دُنْيَا ٱعْبِسِي أَوْ فَٱبْسِمِي لَا أَرَى بَرْقَكِ إِلَّا خُلَّبَا [4]
أَنَا، لَوْلَا أَنَّ لِي مِنْ أُمَّتِي خَاذِلًا، مَا بِتُّ أَشْكُو ٱلنُّوَبَا [5]
أُمَّةٌ، قَدْ فَتَّ فِي سَاعِدِهَا بُغْضُهَا ٱلْأَهْلَ وَحُبُّ ٱلْغُرَبَا [6]
تَعْشَقُ ٱلْأَلْقَابَ فِي غَيْرِ ٱلعُلَى، وَتُفَدِّي بِٱلنُّفُوسِ ٱلرُّتَبَا
وَهِيَ، وَٱلْأَحْدَاثُ تَسْتَهْدِفُهَا، تَعْشَقُ ٱللَّهْوَ وَتَهْوَى ٱلطَّرَبَا
لَا تُبَالِي لَعِبَ ٱلْقَوْمُ بِهَا أَمْ بِهَا صَرْفُ ٱلزَّمَانِ لَعِبَا [7]

. . .

لَيْتَهَا تَسْمَعُ مِنِّي قِصَّةً ذَاتَ شَجْوٍ، وَحَدِيثاً عَجَبَا : [8]
كُنْتُ أَهْوَى فِي زَمَانِي غَادَةً وَهَبَ ٱللهُ لَهَا مَا وَهَبَا [9]
حَمَلَتْ لِي ذَاتَ يَوْمٍ نَبَأً، لَا رَعَاكَ ٱللهُ يَا ذَاكَ ٱلنَّبَا !
وَأَتَتْ تَخْطِرُ وَٱللَّيْلُ فَتًى وَهِلَالُ ٱلْأُفْقِ فِي ٱلْأُفْقِ حَبَا [10]

---

١ نبا السيف : كلّ عن الضريبة وارتدّ ولم يقطع . ٢ الخطب : المصيبة . بلاه : اختبره وامتحنه . ٣ عقني : أنكر فضلي . أوثر : أفضّل . ٤ البرق الخلّب : الذي لا مطر فيه . ٥ النوب ج النوبة : المصائب . ٦ فتّ في ساعدها : أضعفها . ٧ صرف الزمان : نوائبه . ٨ الشّجو : الهمّ والحزن . ٩ الغادة : الفتاة الناعمة الليّنة الاعطاف . ١٠ تخطر : تمشي بغنج ودلال . الليل فتى : في اوائله . حبا : زحف كالطفل، وهنا استعارة .

ثُمَّ قَالَتْ لِي بِثَغْرٍ بَاسِمٍ نَظَمَ ٱلدُّرَّ بِهِ وَٱلحَبَبَا :[1]
نَبِّئُونِي بِرَحِيلٍ عَاجِلٍ لَا أَرَى لِي بَعْدَهُ مُنْقَلَبَا
وَدَعَانِي مَوْطِنِي أَنْ أَغْتَدِي عَلَّنِي أَقْضِي لَهُ مَا وَجَبَا
نَذْبَحُ ٱلدُّبَّ وَنَفْرِي جِلْدَهُ أَيَظُنُّ ٱلدُّبُّ أَلَّا يُغْلَبَا ؟[2]
قُلْتُ، وَٱلآلَامُ تَفْرِي مُهْجَتِي، وَيْكِ ! مَا تَصْنَعُ فِي ٱلحَرْبِ ٱلظِّبَا ؟
مَا عَهِدْنَاهَا لِظَبْيٍ مَسْرَحاً يَبْتَغِي مَلْهًى بِهِ أَوْ مَلْعَبَا . . .
فَسَلِينِي، إِنَّنِي مَارَسْتُهَا وَرَكِبْتُ ٱلهَوْلَ فِيهَا مَرْكَبَا
وَتَقَحَّمْتُ ٱلرَّدَى فِي غَارَةٍ أَسْدَلَ ٱلنَّقْعُ عَلَيْهَا هَيْدَبَا[3]
قَطَبَتْ مَا بَيْنَ عَيْنَيْهَا لَنَا فَرَأَيْتُ ٱلمَوْتَ فِيهَا قَطَبَا
جَالَ عِزْرَائِيلُ فِي أَنْحَائِهَا تَحْتَ ذَاكَ ٱلنَّقْعِ يَمْشِي ٱلهَيْدَبَى[4]
فَدَعِيهَا لِلَّذِي يَعْرِفُهَا وَٱلزَمِي يَا ظَبْيَةَ ٱلبَانِ ٱلخِبَا .
فَأَجَابَتْنِي بِصَوْتٍ رَاعَنِي وَأَرَتْنِي ٱلظَّبْيَ لَيْثاً أَغْلَبَا :[5]
إِنَّ قَوْمِي ٱسْتَعْذَبُوا وِرْدَ ٱلرَّدَى كَيْفَ تَدْعُونِيَ أَنْ لَا أَشْرَبَا ؟
أَنَا يَابَانِيَّةٌ لَا أَنْثَنِي عَنْ مُرَادِي أَوْ أَذُوقَ ٱلعَطَبَا
أَنَا، إِنْ لَمْ أُحْسِنِ ٱلرَّمْيَ وَلَمْ تَسْتَطِعْ كَفَّايَ تَقْلِيبَ ٱلظُّبَى[6]
أَخْدُمُ ٱلجَرْحَى وَأَقْضِي حَقَّهُمْ وَأُوَاسِي فِي ٱلوَغَى مَنْ نُكِبَا[7]
هٰكَذَا ٱلمِيكَادُ قَدْ عَلَّمَنَا : أَنْ نَرَى ٱلأَوْطَانَ أُمّاً وَأَبَا[8]
مَلِكٌ يَكْفِيكَ مِنْهُ أَنَّهُ أَنْهَضَ ٱلشَّرْقَ فَهَزَّ ٱلمَغْرِبَا
وَإِذَا مَارَسْتَهُ أَلْفَيْتَهُ حُوَّلاً فِي كُلِّ أَمْرٍ قُلَّبَا[9]

---

١ نظم اللؤلؤ : جمعه في سلك . الحبب : الفقاقيع التي تعلو الماء . الدرّ والحبب هنا استعيرتا للدلالة على الاسنان . ٢ الدبّ : حيوان هو رمز روسيا . نفري : نقطع ونمزّق . ٣ الردى : الموت . النقع : الغبار . الهيدب : السحاب المتدلي . ٤ الهيدبى : نوع من مشي الخيل فيه جدّ .
٥ راعني : أخافني . الاغلب : الغليظ الرقبة . ٦ الظبى ج الظُبة : حدّ السيف او السنان .
٧ أواسي : أساعد وأعزي . الوغى : الحرب . ٨ الميكادو : لقب امبراطور اليابان .
٩ الحوّل : الداهية الشديد الاحتيال . قُلّب : بصير بتقليب الامور .

كَانَ وَٱلتَّاجَ صَغِيرَيْنِ مَعاً، وَجَلَالُ ٱلْمُلْكِ فِي مَهْدِ ٱلصِّبَا،
فَغَدَا هٰـذَا سَمَاءً لِلْعُلَى وَغَدَا ذٰلِكَ فِيهِ كَوْكَبَا
بَعَثَ ٱلْأُمَّةَ مِنْ مَرْقَدِهَـا وَدَعَاهَا لِلْعُـلَى، أَنْ تَدْأَبَا
فَسَمَتْ لِلْمَجْدِ، تَبْغِي شَأْوَهُ، وَقَضَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَأْرَبَا [1]

٣٣٤ انا البحر

[آلم الشاعر ان يرى انحطاط اللغة العربية ، فقال عـلى لسانها هذه الابيات النابضة بالشكوى :]

رَجَعْتُ لِنَفْسِي فَٱتَّهَمْتُ حَصَاتِي وَنَادَيْتُ قَوْمِي فَٱحْتَسَبْتُ حَيَاتِي [2]
رَمَوْنِي بِعُقْمٍ فِي ٱلشَّبَابِ، وَلَيْتَنِي عَقِمْتُ ! فَلَمْ أَجْزَعْ لِقَوْلِ عُدَاتِي ...
أَنَا ٱلْبَحْرُ فِي أَحْشَائِهِ ٱلدُّرُّ كَامِنٌ، فَهَلْ سَأَلُوا ٱلْغَوَّاصَ عَنْ صَدَفَاتِي؟
فَيَا وَيْحَكُمْ ! أَبْلَى وَتَبْلَى مَحَاسِنِي وَمِنْكُمْ وَإِنْ عَزَّ ٱلدَّوَاءُ أُسَاتِي [3]
فَلَا تَكِلُونِي لِلزَّمَانِ، فَإِنَّنِي أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ تَحِينَ وَفَاتِي [4]
أَرَى لِرِجَالِ ٱلْغَرْبِ عِزًّا وَمَنْعَةً وَكَمْ عَزَّ أَقْوَامٌ بِعِزِّ لُغَاتِ [5]
أَتَوْا أَهْلَهُمْ بِٱلْمُعْجِزَاتِ تَفَنُّنًا، فَيَا لَيْتَكُمْ تَأْتُونَ بِٱلْكَلِمَاتِ !
أَيُطْرِبُكُمْ مِنْ جَانِبِ ٱلْغَرْبِ نَاعِبٌ يُنَادِي بِوَأْدِي فِي رَبِيعِ حَيَاتِي؟ [6] ...
أَرَى كُلَّ يَوْمٍ بِٱلْجَرَائِدِ مَزْلَقًا مِنَ ٱلْقَبْرِ يُدْنِينِي بِغَيْرِ أَنَاةِ [7]
وَأَسْمَعُ لِلْكُتَّابِ فِي مِصْرَ ضَجَّةً فَأَعْلَمُ أَنَّ ٱلصَّائِحِينَ نُعَاتِي [8]

---

١ الشأو : الامد والغاية . المأرب : الغاية والمقصد . ٢ اتهمت حصاتي : اسأت الظنّ بعقلي . احتسبت حياتي: عددتها فيا يُدّخر عند الله. ٣ ويح: كلمة ترحم وتعجب. الأساة ج الآسي: الطبيب. ٤ تكلوني : تتركوني . تحين : تحلّ . ٥ المنعة : الحماية من السوء . ٦ الناعب : الغراب عندما يصيح، والذي يخبر بما يستكره . وأدي : دفني حيّة . ٧ المزلق : المكان الذي يزلق فيه الانسان اي يسقط . الاناة : الرفق والتأني . ٨ النعاة ج الناعي : المخبر بالموت .

أَيَهْجُرُنِي قومي، عفا اللهُ عنهم، إلى لُغَةٍ لم تتَّصِلْ بِرُواةِ؟ [1]
سَرَتْ لُوثَةُ الأَعجامِ فيها، كما سرى لُعابُ الأفاعي، في مسيلِ فُراتِ [2]
فجاءتْ كثوبٍ ضمَّ سبعينَ رُقعةً مُشكَّلةَ الألوانِ مُختلفاتِ!
إلى معشرِ الكُتَّابِ، والجمعُ حافلٌ، بسطتُ رجائي بعدَ بسطِ شكاتي
فإمَّا حياةٌ تبعثُ الميتَ في البِلى وتُنبتُ في تلكَ الرُّموسِ رُفاتي [3]
وإمَّا مماتٌ لا قيامةَ بعدهُ، مماتٌ لعمري لم يُقَسْ بمماتِ

ميزة شعره: كان حافظ رقيق القلب، قويّ العاطفة . وخبر في حياته الالم ومرارة العيش، وشارك الشعب في مصائبه ولم يحدّ انطلاق عاطفتـه إقليم او وطن فكان شعره صادق اللهجة بعيد التأثر . ولقد قال احمد امين : « ان حافظاً لم يجدد في بحور الشعر واوزانه ولم يجدّد في أسلوبه وبيانه ولا تفكيره وخياله : إنما جدّد في شيء هو فوق ذلك كله . جدّد في موضوعه وأغراضه، فبدلاً من ان ينظم في موضوعات امرئ القيس ومن وليه، نظم في موضوعات عصره وأماني قومه » . فإن كان شعر حافظ خالياً ، على العموم، من روعـة العنصر المعنوي وايحاء الخيال الخلاق، فيبقى ان جماله هو في قوّة عاطفته وموسيقى الفاظه .

احمد شوقي (١٨٦٨ ـ ١٩٣٢ م/١٢٨٥ ـ ١٣٥١ ﻫ)

[شاعر عبقري فذّ أوتي من المواهب الشعرية ما لا يقلّ عن اكابر الشعراء العالمين إلا أنه هدر قسماً من مواهبه بتقييد حريته . وأجـلى مظاهر عبقريته « بديهة خارقة في عمل الشعر وصناعته ، فهو لا يصرف همـه الى نظمه حتى تأتيه المعاني سيولاً وتنثال عليه الالفاظ انثيالاً » . وخيال مجنح طليق له وثبات جبارة ولمحات سريعة في عبارة او كلمة تسوق موكباً عظيماً ينتصب امام العين في حركة

---

١ الرواة ج الراوي : الذي ينقل الحديث او الشعر . لم تتصل برواة : لغة اجنبية غير العربية التي نقلها الخلف عن السلف . ٢ اللوثة : الاسترخاء والحبسة في اللسان والحمق . لعاب الافاعي : سمّها . الفرات : الماء العذب . ٣ الرموس ج الرمس : القبر .

زاخرة بالحياة . وإحساس عميق بموسيقى الالفاظ فيرسلها في ائتلاف رائع بحلاوته وعذوبته : إلا ان شاعرنا — على اتصاله بالغرب واطلاعه على ادب العرب وعلومهم — لم يحسن تهذيب عبقريته ولم يدعمها بثقافة عميقة فكانت له سقطات ، وكان عنده سطحيّة وَضحل . ومها يكن من أمر ، فشوقي ، وإن لم يوفّق كل التوفيق في محاولاته التجديدية في التمثيل والامثال والتاريخ ، وإن لم يكن شاعراً عالمياً فإنه شاعر الشرق ومجدِّد من أعظم اركان النهضة الشعرية التي وجهت الشعر العربي نحو القيم الخالدة .]

شاعر المدح والرثاء :

٣٣٥ انتم بنو المجد المؤثل

[كان الانكليز قد أتوا بعد الحرب العالمية الاولى بحسين كامل بن اسماعيل وجعلوه سلطاناً على مصر . فقال شوقي يمدحه :]

أَلْمُلْكُ فِيكُمْ، آلَ إِسْمَاعِيلَا، لَا زَالَ بَيْتُكُمُ يُظِلُّ ٱلنِّيلَا !
لَطَفَ ٱلْقَضَاءُ فَلَمْ يُمِلْ لِوَلِيِّكُمْ رُكْنًا، وَلَمْ يَشْفِ ٱلْحَسُودُ غَلِيلَا [1]
هٰذِي أُصُولُكُمُ وَتِلْكَ فُرُوعُكُمْ، جَاءَ ٱلصَّمِيمُ مِنَ ٱلصَّمِيمِ بَدِيلَا
أَلْمُلْكُ بَيْنَ قُصُورِكُمْ فِي دَارِهِ، مَنْ ذَا يُرِيدُ عَنِ ٱلدِّيَارِ رَحِيلَا ؟
عَابِدِينُ شُرِّفَ بِٱبْنِ رَافِعِ رُكْنِهِ عِزًّا عَلَى ٱلنَّجْمِ ٱلرَّفِيعِ وَطُولَا [2]
مَا دَامَ مَغْنَاكُمْ فَلَيْسَ بِسَائِلٍ أَحْوَى فُرُوعًا أَمْ أَقَلَّ أُصُولَا [3]
أَنْتُمْ بَنُو ٱلْمَجْدِ ٱلْمُؤَثَّلِ وَٱلنَّدَى، لَكُمُ ٱلسِّيَادَةُ صِبْيَةً وَكُهُولَا [4]

---

١ الغليل : الحقد والضغن . ٢ عابدين : اسم قصر هو مقرّ ملوك مصر . رافع ركنه : الخديوي اسماعيل . ٣ المغنى : المنزل . أقلّ : حمل ورفع . ٤ المؤثّل : الذي له اصل قديم .

أَلنِّيلُ، إِنْ أَحصَى لَكُمْ حَسَنَاتِكُمْ، مَلأَ ٱلزَّمَانَ مَحَاسِناً وَٱلجِيلا
أَحيَا أَبُوكُمْ شَاطِئَيهِ، وَٱبتَنَى مَجْداً لِمِصْرَ عَلَى ٱلزَّمَانِ أَثِيلا

٣٣٦ يا حافظ الفصحى

[بضع ابيات من قصيدة نظمها شوقي في رثاء صديقه حافظ ابراهيم الذي توفي سنة ١٩٣٢ :]

قَدْ كُنتُ أُوثِرُ أَنْ تَقُولَ رِثَائِي يَا مُنصِفَ ٱلمَوْتَى مِنَ ٱلأَحيَاءِ[١]
لٰكِنْ سَبَقْتَ وَكُلُّ طُولِ سَلَامَةٍ قَدَرٌ وَكُلُّ مَنِيَّةٍ بِقَضَاءِ
أَلحَقُّ نَادَى فَٱستَجَبْتَ وَلَمْ تَزَلْ بِٱلحَقِّ تَحفِلُ عِندَ كُلِّ نِدَاءِ[٢] . . .
مَا زِلْتَ تَهتِفُ بِٱلقَدِيمِ وَفَضْلِهِ حَتَّى حَمَيْتَ أَمَانَةَ ٱلقُدَمَاءِ
يَا حَافِظَ ٱلفُصْحَى وَحَارِسَ مَجدِهَا وَإِمَامَ مَنْ نَجَلَتْ مِنَ ٱلبُلَغَاءِ[٣]
جَدَّدْتَ أُسلُوبَ ٱلوَلِيدِ وَلَفْظَهُ وَأَتَيْتَ لِلدُّنيَا بِسِحْرِ ٱلطَّائِي[٤]
وَجَرَيْتَ فِي طَلَبِ ٱلجَدِيدِ إِلَى مَدًى حَتَّى ٱقتَرَنْتَ بِصَاحِبِ ٱلبُؤَسَاءِ[٥]
مَاذَا وَرَاءَ ٱلمَوْتِ مِنْ سَلْوَى وَمِنْ دَعَةٍ وَمِنْ كَرَمٍ وَمِنْ إِغضَاءِ
إِشْرَحْ حَقَائِقَ مَا رَأَيْتَ وَلَمْ تَزَلْ أَهْلاً لِشَرْحِ حَقَائِقِ ٱلأَشيَاءِ .
أَليَوْمَ هَادَنَتِ ٱلحَوَادِثُ فَٱطَّرِحْ عِبْءَ ٱلسِّنِينَ وَأَلْقِ عِبْءَ ٱلدَّاءِ
خَلَّفْتَ فِي ٱلدُّنيَا بَيَاناً خَالِداً وَتَرَكْتَ أَجيَالاً مِنَ ٱلأَبنَاءِ
وَغَداً سَيَذْكُرُكَ ٱلزَّمَانُ وَلَمْ يَزَلْ لِلدَّهرِ إِنصَافٌ وَحُسْنُ جَزَاءِ

ميزة شعره : لقد كان شوقي في مدحه مقلّداً ، وفي رثائه ضعيف العاطفة فيلجأ الى الاحداث السياسية او الخواطر الفلسفية والحكمية يستر بها فتور شاعريته ويستمد منها الوحي للإجادة في هذين الفنّين .

١ أوثر : أفضل . ٢ حفل به : بالى به واكترث له . ٣ نجلت : ولدت . ٤ الوليد : البحتري . الطائي : ابو تمام . ٥ صاحب البؤساء : الشاعر الفرنسي فكتور هوغو . والبؤساء رواية من رواياته كان قد عرب حافظ ابراهيم قسماً كبيراً منها .

شاعر الغزل :

٣٣٧ غاب بولونيا[١]

[كان شاعرنا قد سافر الى فرنسا طلباً للدرس، وزار باريس، فلما رجع الى مصر عاودته الذكريات والحنين فقال :]

يَا غَابَ بُولُونٍ، وَلِي ذِمَمٌ عَلَيْكَ، وَلِي عُهُودُ[٢]
زَمَنٌ تَقَضَّى لِلْهَوَى وَلَنَا بِظِلِّكَ، هَلْ يَعُودُ ؟
حُلْمٌ أُرِيدُ رُجُوعَهُ، وَرُجُوعُ أَحْلَامِي بَعِيدُ !
وَهَبِ ٱلزَّمَانَ أَعَادَهَا، هَلْ لِلشَّبِيبَةِ مَنْ يُعِيدُ ؟
يَا غَابَ بُولُونٍ، وَبِي وَجْدٌ مَعَ ٱلذِّكْرَى يَزِيدُ
خَفَقَتْ لِرُؤْيَتِكَ ٱلضُّلُو عُ، وَزُلْزِلَ ٱلْقَلْبُ ٱلْعَمِيدُ[٣]
وَأَرَاكَ أَقْسَى مَا عَهِدْ تُ، فَمَا تَمِيلُ وَلَا تَمِيدُ[٤]
كَمْ يَا جَمَادُ قَسَاوَةً، كَمْ هٰكَذَا أَبَدًا جُحُودُ ؟
هَلَّا ذَكَرْتَ زَمَانَ كُنَّا وَٱلزَّمَانُ كَمَا نُرِيدُ ؟
نَطْوِي إِلَيْكَ دُجَى ٱللَّيَا لِي، وَٱلدُّجَى عَنَّا يَذُودُ[٥]
فَنَقُولُ عِنْدَكَ مَا نَقُو لُ، وَلَيْسَ غَيْرُكَ مَنْ يُعِيدُ
نُطْفِي هَوًى وَصَبَابَةً، وَحَدِيثُهَا وَتْرٌ وَعُودُ
نَسْرِي وَنَسْرَحُ فِي فَضَا ئِكَ، وَٱلرِّيَاحُ بِهِ هُجُودُ
وَٱلطَّيْرُ أَقْعَدَهَا ٱلْكَرَى، وَٱلنَّاسُ نَامَتْ وَٱلْوُجُودُ،
فَنَبِيتُ فِي ٱلْإِينَاسِ يَغْـبِطُنَا بِهِ ٱلنَّجْمُ ٱلْوَحِيدُ

---

١ غاب بولونيا : متنزه في باريس . ٢ الذمم ج ذِمّة : العهد . ٣ زُلزل : اخذته الرجفة . العميد : الذي أضناه العشق . ٤ تميد : تتحرّك . ٥ يذود : يدفع عنّا العيون .

فِي كُلِّ رُكْنٍ وَقْفَةٌ، وَبِكُلِّ زَاوِيَةٍ قُعُودْ ...
وَٱلْغُصْنُ يَسْجُدُ فِي ٱلْفَضَاءِ، وَحَبَّذَا مِنْهُ ٱلسُّجُودْ !
وَٱلنَّجْمُ يَلْحَظُنَا بِعَيْنٍ مَا تَحُولُ وَلَا تَحِيدْ[1]
حَتَّى إِذَا دَعَتِ ٱلنَّوَى فَتَبَدَّدَ ٱلشَّمْلُ ٱلنَّضِيدْ[2]
بِتْنَا ، وَمِمَّا بَيْنَنَا بَحْرٌ، وَدُونَ ٱلْبَحْرِ بِيدْ
لَيْلِي بِمِصْرَ وَلَيْلُهَا بِٱلْغَرْبِ، وَهْوَ بِهَا سَعِيدْ

٣٣٨ خدعوها

خَدَعُوهَا بِقَوْلِهِمْ : حَسْنَاءُ ؛ وَٱلْغَوَانِي يَغُرُّهُنَّ ٱلثَّنَاءُ
أَتُرَاهَا تَنَاسَتِ ٱسْمِيَ لَمَّا كَثُرَتْ فِي غَرَامِهَا ٱلْأَسْمَاءُ ؟
إِنْ رَأَتْنِي تَمِيلُ عَنِّي، كَأَنْ لَمْ تَكُ بَيْنِي وَبَيْنَهَا أَشْيَاءُ :
نَظْرَةٌ، فَٱبْتِسَامَةٌ، فَسَلَامٌ، فَكَلَامٌ، فَمَوْعِدٌ، فَلِقَاءُ
فَفِرَاقٌ يَكُونُ فِيهِ دَوَاءٌ، أَوْ فِرَاقٌ يَكُونُ مِنْهُ ٱلدَّاءُ
يَوْمَ كُنَّا،وَلَا تَسَلْ كَيْفَ كُنَّا، نَتَهَادَى مِنَ ٱلْهَوَى مَا نَشَاءُ
وَعَلَيْنَا مِنَ ٱلْعَفَافِ رَقِيبٌ تَعِبَتْ فِي مِرَاسِهِ ٱلْأَهْوَاءُ
جَاذَبَتْنِي ثَوْبِي ٱلْعَصِيَّ وَقَالَتْ : أَنْتُمُ ٱلنَّاسُ أَيُّهَا ٱلشُّعَرَاءُ
فَٱتَّقُوا ٱللهَ فِي قُلُوبِ ٱلْعَذَارَى فَٱلْعَذَارَى قُلُوبُهُنَّ هَوَاءُ

٣٣٩ ردت الروح

رُدَّتِ ٱلرُّوحُ عَلَى ٱلْمُضْنَى مَعَكْ، أَحْسَنُ ٱلْأَيَّامِ يَوْمٌ أَرْجَعَكْ
مَرَّ مِنْ بُعْدِكَ مَا رَوَّعَنِي ، أَتُرَى يَا حُلْوُ بُعْدِي رَوَّعَكْ ؟

---

١ تحول : تتحرّك . ٢ النوى : البعد . الشمل : ما اجتمع من الامر . النضيد : المضموم بعضه الى بعض .

كَمْ شَكَوْتُ ٱلْبَيْنَ بِٱللَّيْلِ إِلَى مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ عَسَى أَنْ يُطْلِعَكْ !
وَبَعَثْتُ ٱلشَّوْقَ فِي رِيحِ ٱلصَّبَا فَشَكَا ٱلْحُرْقَةَ مِمَّا ٱسْتَوْدَعَكْ ...
أَنْتَ رُوحِي، ظَلَمَ ٱلْوَاشِي ٱلَّذِي زَعَمَ ٱلْقَلْبَ سَلَا أَوْ ضَيَّعَكْ[1]
مَوْقِعِي عِنْدَكَ لَا أَعْلَمُهُ ، آهِ لَوْ تَعْلَمُ عِنْدِي مَوْقِعَكْ !

٣٤٠ علّموه كيف يجفو

عَلَّمُوهُ كَيْفَ يَجْفُو فَجَفَا ، ظَالِمٌ لَاقَيْتُ مِنْهُ مَا كَفَى
مُسْرِفٌ فِي هَجْرِهِ مَا يَنْتَهِي ، أَتُرَاهُمْ عَلَّمُوهُ ٱلسَّرَفَا ؟[2]
جَعَلُوا ذَنْبِي لَدَيْهِ سَهَرِي لَيْتَ يَدْرِي إِذْ دَرَى ٱلذَّنْبَ عَفَا ! ...
يَا خَلِيلَيَّ صِفَا لِي حِيلَةً ، وَأَرَى ٱلْحِيلَةَ أَنْ لَا تَصِفَا
أَنَا لَوْ نَادَيْتُهُ فِي ذِلَّةٍ : هِيَ ذِي رُوحِي فَخُذْهَا، مَا ٱحْتَفَى[3]

ميزة شعره : عرف شوقي أدب الافرنج فكان له – عدا عن غزله التقليدي المتسم بطابع التكلّف – محاولات في تقليد مشاهير شعراء فرنسا . فإن فات شوقي عمق التحليل النفسي وروعة الابتكار فقد أتى بغزل طريف ناعم، ساحر التوقيع الموسيقيّ . فلا عجب من ثمّ ان يتغنى به المغنّون ويردّده بعدهم الكبير والصغير .

شاعر الوصف :

٣٤١ حصار ادرنة[4] في حرب البلقان

[قال الشاعر هذه القصيدة لما جاءت الانباء بانتصار البلغار وانتزاع مدينة ادرنة من سيطرة العثمانيين سنة ١٩١٢ .]

صَبْرًا أَدِرْنَةُ، كُلُّ مُلْكٍ زَائِلٌ يَوْمًا، وَيَبْقَى ٱلْمَالِكُ ٱلْعَلَّامُ

---

١ سلا : نسي . ٢ مسرف : مفرط . ٣ احتفى به : بالغ في اكرامه . ٤ أدرنة : من أمهات المدن العثمانية في مقدونيا وبها قبور كثير من السلاطين .

خَفَتَ ٱلْأَذَانُ، فَمَا عَلَيْكِ مُوَحِّدٌ … يَسْعَى، وَلَا ٱلْجُمَعُ ٱلْحِسَانُ تُقَامُ [1]
وَخَبَتْ مَسَاجِدُ كُنَّ نُورًا جَامِعًا، … تَمْشِي إِلَيْهِ ٱلْأُسْدُ وَٱلْآرَامُ [2]
يَدْرُجْنَ فِي حَرَمِ ٱلصَّلَاةِ قَوَانِتًا، … بِيضَ ٱلْإِزَارِ، كَأَنَّهُنَّ حَمَامُ [3]
وَعَفَتْ قُبُورُ ٱلْفَاتِحِينَ، وَفُضَّ عَنْ … حُفَرِ ٱلْخَلَائِقِ جَنْدَلٌ وَرِجَامُ [4]
نُبِشَتْ، عَلَى قَعْسَاءِ عِزَّتِهَا، كَمَا … نُبِشَتْ عَلَى ٱسْتِعْلَائِهَا ٱلْأَهْرَامُ [5]
فِي ذِمَّةِ ٱلتَّارِيخِ خَمْسَةُ أَشْهُرٍ … طَالَتْ عَلَيْكِ، فَكُلُّ يَوْمٍ عَامُ
أَلسَّيْفُ عَارٍ، وَٱلْوَبَاءُ مُسَلَّطٌ … وَٱلسَّيْلُ خَوْفٌ، وَٱلثُّلُوجُ رُكَامُ
وَٱلْجُوعُ فَتَّاكٌ، وَفِيكِ صَحَابَةٌ … لَوْ لَمْ يَجُوعُوا فِي ٱلْجِهَادِ لَصَامُوا
ضَنُّوا بِعِرْضِكِ أَنْ يُبَاعَ وَيُشْتَرَى، … عِرْضُ ٱلْحَرَائِرِ لَيْسَ فِيهِ سُوَامُ [6]
ضَاقَ ٱلْحِصَارُ كَأَنَّمَا حَلَقَاتُهُ … فَلَكٌ، وَمَقْذُوفَاتُهَا أَجْرَامُ [7]
وَرَمَى ٱلْعِدَى وَرَمَيْتِهِم بِجَهَنَّمٍ … مِمَّا يَصُبُّ ٱللهُ لَا ٱلْأَقْوَامُ
بِعْتِ ٱلْعَدُوَّ بِكُلِّ شِبْرٍ مُهْجَةً … وَكَذَا يُبَاعُ ٱلْمُلْكُ حِينَ يُرَامُ
مَا زَالَ بَيْنَكِ فِي ٱلْحِصَارِ وَبَيْنَهُ … شُمُّ ٱلْحُصُونِ وَمِثْلُهُنَّ عِظَامُ [8]
حَتَّى حَوَاكِ مَقَابِرًا، وَحَوَيْتِهِ … جُثَثًا، فَلَا غَبْنٌ وَلَا ٱسْتِذْمَامُ [9]

٣٤٢ دمشق

قُمْ نَاجِ جِلَّقَ وَٱنْشُدْ رَسْمَ مَنْ بَانُوا، … مَشَتْ عَلَى ٱلرَّسْمِ أَحْدَاثٌ وَأَزْمَانُ [10] . . .
بَنُو أُمَيَّةَ لِلْأَنْبَاءِ مَا فَتَحُوا، … وَلِلْأَحَادِيثِ مَا سَادُوا وَمَا دَانُوا [11]

---

١ خفت الصوت : ضعف . ٢ خبت النار : انطفأت . الآرام ج رِئْم : الظبي الخالص البياض . الاسد والآرام: الرجال والنساء . ٣ يدرجن: يمشين . الحرَم : ما لا يحل انتهاكه . ٤ عفت : امحت وذهبت آثارها . فضّ : كُسِر متفرّقاً . الجندل : الصخر العظيم . الرجام ج رُجمة : الحجارة تنصب على القبر . ٥ قعساء م أقعس : الثابت . ٦ السُّوام : عرض السلعة وذكر ثمنها . ٧ الأجرام : الاجسام الفلكية . لما شبه الشاعر حلقات الحصار بالفلك جعل مقذوفاتها اجراماً . ٨ الشمّ ج أشم : العالي . ٩ الغَبْن : غش في البيع والشراء . الاستذمام : فعل ما يقتضي الذم . ١٠ جلّق : دمشق . ١١ دانوا : قهروا وأذلّوا من الامم .

كَانُوا مُلُوكاً، سَرِيرُ ٱلشَّرْقِ تَحْتَهُمُ، فَهَلْ سَأَلْتَ سَرِيرَ ٱلْغَرْبِ مَا كَانُوا؟ [1]
عَالِينَ كَٱلشَّمْسِ فِي أَطْرَافِ دَوْلَتِهَا، فِي كُلِّ نَاحِيَةٍ مُلْكٌ وَسُلْطَانُ
يَا وَيْحَ قَلْبِي، مَهْمَا ٱنْتَابَ أَرْسُمَهُمْ سَرَى بِهِ ٱلْهَمُّ أَوْ عَادَتْهُ أَشْجَانُ
بِٱلْأَمْسِ قُمْتُ عَلَى ٱلزَّهْرَاءِ أَنْدُبُهُمْ، وَٱلْيَوْمَ دَمْعِي عَلَى ٱلْفَيْحَاءِ هَتَّانُ [2] . . .
مَرَرْتُ بِٱلْمَسْجِدِ ٱلْمَحْزُونِ أَسْأَلُهُ : هَلْ فِي ٱلْمُصَلَّى أَوِ ٱلْمِحْرَابِ مَرْوَانُ؟ [3]
تَغَيَّرَ ٱلْمَسْجِدُ ٱلْمَحْزُونُ، وَٱخْتَلَفَتْ عَلَى ٱلْمَنَابِرِ أَحْرَارٌ وَعُبْدَانُ
فَلَا ٱلْأَذَانُ أَذَانٌ فِي مَنَارَتِهِ إِذَا تَعَالَى، وَلَا ٱلْآذَانُ آذَانُ
آمَنْتُ بِٱللهِ، وَٱسْتَثْنَيْتُ جَنَّتَهُ، دِمَشْقُ رَوْحٌ وَجَنَّاتٌ وَرَيْحَانُ [4]
قَالَ ٱلرِّفَاقُ، وَقَدْ هَبَّتْ خَمَائِلُهَا : ٱلْأَرْضُ دَارٌ، لَهَا ٱلْفَيْحَاءُ بُسْتَانُ
جَرَى وَصَفَّقَ يَلْقَانَا بِهَا بَرَدَى، كَمَا تَلَقَّاكَ دُونَ ٱلْخُلْدِ رِضْوَانُ
دَخَلْتُهَا، وَحَوَاشِيهَا زُمُرُّدَةٌ، وَٱلشَّمْسُ فَوْقَ لُجَيْنِ ٱلْمَاءِ عِقْيَانُ [5] . . .
وَٱلطَّيْرُ تَصْدَحُ مِنْ خَلْفِ ٱلْعُيُونِ بِهَا، وَلِلْعُيُونِ كَمَا لِلطَّيْرِ أَلْحَانُ
وَأَقْبَلَتْ بِٱلنَّبَاتِ ٱلْأَرْضُ مُخْتَلِفاً أَفْوَافُهُ، فَهْوَ أَصْبَاغٌ وَأَلْوَانُ [6]
وَقَدْ صَفَا بَرَدَى لِلرِّيحِ، فَٱبْتَرَدَتْ لَدَى سُتُورٍ حَوَاشِيهِنَّ أَفْنَانُ [7]
ثُمَّ ٱنْثَنَتْ، لَمْ يَزَلْ عَنْهَا ٱلْبَلَالُ، وَلَا جَفَّتْ مِنَ ٱلْمَاءِ أَذْيَالٌ وَأَرْدَانُ [8]

٣٤٣ مركب الهواء

مَرْكَبٌ، لَوْ سَلَفَ ٱلدَّهْرُ بِهِ كَانَ إِحْدَى مُعْجِزَاتِ ٱلْقُدَمَاءْ! [9]

---

١ السرير : تخت الملك .   ٢ الزهراء : قصر المعتمد باشبيلية، ومدينته قرب قرطبة ، في الاندلس . الفيحاء : دمشق . الهتّان : الدائم الانسكاب، المنصبّ .   ٣ مروان : احد خلفاء بني أميّة ، وقد دعي اثنان منهم بهذا الاسم : مروان بن الحكم ومروان بن محمد .   ٤ الرَّوح : الراحة والسرور .   ٥ اللجين : الفضّة . العقيان من الذهب : الخالص .   ٦ الافواف ج فوف : ثياب موشاة وهنا بمعنى الزهور لاختلاف الوانها .   ٧ ابتردت : اغتسلت .   ٨ البلال : الماء والندوة . الاردان ج رُدْن : مقدم الكمّ . وقد نسب الشاعر الاذيال والاردان الى الريح على سبيل الاستعارة .   ٩ لو سلف الدهر به : لو أتى في الايام السالفة .

نِصْفُهُ طَيْرٌ، وَنِصْفٌ بَشَرٌ ! يَا لَهَا إِحدَى أَعَاجِيبِ ٱلْقَضَاءْ !
رَائِعٌ، مُرْتَفِعاً أَوْ وَاقِعاً، أَنْفُسَ ٱلشُّجْعَانِ قَبْلَ ٱلْجُبَنَاءْ !
مُسْرَجٌ فِي كُلِّ حِينٍ، مُلْجَمٌ، كَامِلُ ٱلْعُدَّةِ، مَرْمُوقُ ٱلرُّوَاءْ ؛ [1]
كَبِسَاطِ ٱلرِّيحِ فِي ٱلْقُدْرَةِ أَوْ هُدْهُدِ ٱلسِّيرَةِ فِي صِدْقِ ٱلْبَلَاءْ ؛ [2]
أَوْ كَحُوتٍ، يَرْتَمِي ٱلْمَوْجُ بِهِ ؛ سَابِحٍ بَيْنَ ظُهُورٍ وَخَفَاءْ ؛ [3]
رَاكِبٍ مَا شَاءَ مِنْ أَطْرَافِهِ لَا يُرَى مِنْ مَرْكَبٍ ذِي عُدَوَاءْ. [4]
مَلَأَ ٱلْجَوَّ فِعَالًا، وَغَدَا عَجَبَ ٱلْغِرْبَانِ، فِيهِ، وَٱلْحِدَاءْ ؛ [5]
وَتَرَى ٱلسُّحْبَ، بِهِ، رَاعِدَةً، مِنْ حَدِيدٍ جُمِعَتْ لَا مِنْ رَوَاءْ ؛ [6]
حَمَلَ ٱلْفُولَاذَ رِيشاً، وَجَرَى فِي عِنَانَيْنِ لَهُ : نَارٍ وَمَاءْ ؛ [7]
وَجَنَاحٍ، غَيْرِ ذِي قَادِمَةٍ، كَجَنَاحِ ٱلنَّحْلِ، مَصْقُولٍ سَوَاءْ ؛ [8]
وَذُنَابَى، كُلُّ رِيحٍ مَسَّهَا، مَسَّهُ صَاعِقَةٌ مِنْ كَهْرَبَاءْ ! [9]
يَتَرَاءَى كَوْكَباً ذَا ذَنَبٍ ؛ فَإِذَا جَدَّ فَسَهْماً ذَا مَضَاءْ ،
فَإِذَا جَازَ ٱلثُّرَيَّا لِلثَّرَى، جَرَّ كَٱلطَّاوُوسِ ذَيْلَ ٱلْخُيَلَاءْ، [10]
يَمْلَأُ ٱلْآفَاقَ صَوْتاً وَصَدًى، كَعَزِيفِ ٱلْجِنِّ فِي ٱلْأَرْضِ ٱلْعَرَاءْ، [11]
أَرْسَلَتْهُ ٱلْأَرْضُ، عَنْهَا، خَبَرًا، طَنَّ فِي آذَانِ سُكَّانِ ٱلسَّمَاءْ !

---

١ المُسرَج : المشدود عليه السَّرج ، وهنا بمعنى متأهّب . الرّواء : حسن المَنظر . ٢ بساط الريح : خرافة من خرافات العرب يزعمون فيها ان سليمان الحكيم كان يستعمل هذا المركب اذا اراد الانتقال من مكان الى آخر، ليكون اكثر سرعة . هدهُد السيرة : هو ذلك الهدهد الذي زعم العرب في خرافاتهم أنه كان رسول سليمان يطلقه لقضاء حاجاته، وقد وجّه معه رسائل الى اهل سبأ فأوصلها بكل بأس . صِدق البلاء : إظهار البأس والنُّجح في العمل والحرب . ٣ يرتمي الموجُ به : ترميه الموجة الى الاخرى . ٤ راكب ما شاء من أطرافه : اي يسير كيفما اراد ويتقلب كما يشاء . مركب ذو عُدواء : ليس بمُطمئنّ . ٥ الحِداء مفردها الحِدأة : وهي طائر يصيد الجرذان . ٦ الرواء : الماء العذب او الكثير . ٧ العنان : سَير اللجام الذي تمسك به الدابة . ٨ القادمة : هي واحدة القوادم اي الريشات التي في مقدّم الجناح وهي كبار الريش . ٩ الذّنابى : ذنب الطائر . ١٠ الثُّريّا : مجموعة كواكب في السماء، اراد بها الجوّ العالي . الثّرى : التراب النديّ، في الاصل؛ بمعنى الارض . الخيَلاء : العجْب والكِبر . ١١ عزيف الجِنّ : صوت الجنّ . الارض العَراء : الخالية من كل ما يستتر به .

٣٤٤ الغواصة

وَدَبَّابَـةٍ تَحْتَ ٱلْعُبَابِ بِمَكْمَنٍ ... أَمِينٍ، تَرَى ٱلسَّارِي وَلَيْسَ يَرَاهَا
هِيَ ٱلْحُوتُ، أَوْ فِي ٱلْحُوتِ مِنْهَا مَشَابِهٌ، ... فَلَوْ كَانَ فُولَاذًا لَكَانَ أَخَاهَـا
أَبٌ لِأَصْحَابِ ٱلسَّفِينِ غَوَائِلًا، ... وَأَلْأَمُ نَابًا حِينَ تَفْغَرُ فَاهَـا [1]
خَؤُونٌ إِذَا غَاصَتْ، غَدُورٌ إِذَا طَفَتْ، ... مُلَعَّنَةٌ فِي سَبْحِهَـا وَسُرَاهَا
تُبَيِّتُ سُفْنَ ٱلْأَبْرِيَاءِ مِنَ ٱلْوَغَى، ... وَتَجْنِي عَلَى مَنْ لَا يَخُوضُ رَحَاهَا [2]
فَلَوْ أَدْرَكَتْ تَابُوتَ مُوسَى لَسَلَّطَتْ ... عَلَيْهِ زُبَانَاهَا وَحَرَّ حَمَاهَـا [3]
وَلَوْ لَمْ تُغَيَّبْ فُلْكُ نُوحٍ وَتَحْتَجِبْ ... لَمَا أَمِنَتْ مَقْذُوفَهَـا وَلَظَاهَا
فَلَا كَانَ بَانِيهَا، وَلَا كَانَ رَكْبُهَا، ... وَلَا كَانَ بَحْرٌ ضَمَّهَـا وَحَوَاهَا
وَأُفٍّ! عَلَى ٱلْعِلْمِ ٱلَّذِي تَدَّعُونَـهُ ... إِذَا كَانَ فِي عِلْمِ ٱلنُّفُوسِ رَدَاهَا

٣٤٥ لبنان

[زار الشاعر لبنان مراراً وتمتع بجماله الفتّان فقال يصفه :]

لُبْنَانُ وَٱلْخُلْدُ ٱخْتِرَاعُ ٱللهِ، لَمْ ... يُوسَمْ بِأَزْيَنَ مِنْهُمَا مَلَكُوتُهُ
هُوَ ذِرْوَةٌ فِي ٱلْحُسْنِ غَيْرُ مَرُومَةٍ، ... وَذُرَا ٱلْبَرَاعَةِ وَٱلْحِجَى بَيْرُوتُهُ [4]
مَلِكُ ٱلْهِضَابِ ٱلشُّمِّ، سُلْطَانُ ٱلرُّبَى ... هَامُ ٱلسَّحَابِ عُرُوشُهُ وَتُخُوتُهُ
سِينَاءُ شَاطَرَهُ ٱلْجَلَالَ، فَلَا يُرَى ... إِلَّا لَهُ سُبُحَاتُهُ وَسُمُوتُهُ [5]
وَٱلْأَبْلَقُ ٱلْفَرْدُ ٱنْتَهَتْ أَوْصَافُهُ ... فِي ٱلسُّؤْدُدِ ٱلْعَالِي لَهُ، وَنُعُوتُهُ [6]

---

١ الغوائل ج غائلة : الداهية، الشرّ، المهلكة. ٢ بيّت العدوّ : أوقع به ليلاً دون ان يعلم. رحى الحرب : حومتها اي اشد موقع فيهـا. ٣ الزُّبانى من العقرب : طرف قرنيها. ٤ الذرا : الكنف. ٥ السُّبحات ج السُّبحة : الجلال. وسُبحات وجـه الله : أنواره. السموت ج السمت : هيئة اهل الخير. ٦ الابلق الفرد : حصن للسموأل في تيماء.

جَبَلٌ عَلَى آذَارَ يُزْرِي صَيفُهُ ، وَشِتَاؤُهُ يَئِدُ ٱلْقُرَى جَدْوَتُهُ [١] . . .
يَغْشَى رَوَابِيهُ، عَلَى كَافُورِهَا ، مِسْكُ ٱلْوِهَادِ : فَتِيقُهُ وَفَتِيتُهُ [٢]
وَكَأَنَّ أَيَّامَ ٱلشَّبَابِ رُبُوعُهُ وَكَأَنَّ أَحْلَامَ ٱلْكِعَابِ بُيُوتُهُ
وَكَأَنَّ رَيْعَانَ ٱلصِّبَا رَيحَانُهُ سِرُّ ٱلسُّرُورِ يَجُودُهُ وَيَقُوتُهُ . .
وَكَأَنَّ هَمْسَ ٱلْقَاعِ فِي أُذُنِ ٱلصَّفَا صَوْتُ ٱلْعِتَابِ ظُهُورُهُ وَخُفُوتُهُ [٣]

ميزة شعره : شعر شوقي الوصفي يتناول أغراضاً شتى ومواضيع مختلفة منها القديمة كوصف المدن المنكوبة ورثائها ويمتاز بانطلاق الخيال وروعة الابتكار ودقة الوصف وبلاغة الايجاز وعمق الاحساس بكل ما له علاقة بالعرب والاسلام ومصر القديمة فيحدث في القارئ أثراً بعيداً . ومنها الجديد كوصف المخترعات والمنشآت العصرية ويمتاز بالابتكار والحيوية الدافقة . ولم ينس شاعرنا الطبيعة فخصها بأوصاف جميلة ولكنه على العموم قلما يمزج بها شعوره، ويرينا ما بينها وبين نفسه من التجاوب .

شاعر مصر والشرق :

٣٤٦ الحنين الى الوطن

إِخْتِلَافُ ٱلنَّهَارِ وَٱللَّيْلِ يُنْسِي ، أُذْكُرَا لِي ٱلصِّبَا وَأَيَّامَ أُنْسِي [٤] . . .
وَسَلَا مِصْرَ : هَلْ سَلَا ٱلْقَلْبُ عَنْهَا، أَوْ أَسَا جُرْحَهُ ٱلزَّمَانُ ٱلْمُؤَسِّي ؟ [٥]
كُلَّمَا مَرَّتِ ٱللَّيَالِي عَلَيْهِ رَقَّ ، وَٱلْعَهْدُ فِي ٱللَّيَالِي تُقَسِّي
مُسْتَطَارٌ ، إِذَا ٱلْبَوَاخِرُ رَنَّتْ أَوَّلَ ٱللَّيْلِ ، أَوْ عَوَتْ بَعْدَ جَرْسِ [٦]

---

١ أزرى عليه : عابه . يئد : من وأد الابنة : دفنها حية . هنـا : يثقلها ويدفنها بثلوجه .
٢ الفتيق من المسك : ما استخرجت رائحته بشيء يدخل عليه . الفتيت : الذي فُتّ . ٣ القاع والصفا : ينبوعان في لبنان قرب عين زحلتا . ٤ اختلاف : تعاقب . ٥ أسا : داوى .
٦ المستطار : المذعور وهنا : المرتعش الخفّاق . رنّ : رفع صوته بالبكاء وصاح . الجرس : الصوت او خفيّه .

رَاهِبٌ فِي ٱلضُّلُوعِ ، لِلسُّفْنِ فَطْنٌ ،   كُلَّمَا ثُرْنَ شَاعَهُنَّ بِنَقْسِ [1]
يَا ٱبْنَةَ ٱلْيَمِّ مَا أَبُوكِ بَخِيلٌ   مَا لَهُ مُولَعاً بِمَنْعٍ وَحَبْسِ ؟ [2]
أَحَرَامٌ عَلَى بَلَابِلِهِ ٱلدَّوْ   حُ، حَلَالٌ لِلطَّيْرِ مِنْ كُلِّ جِنْسِ ؟
كُلُّ دَارٍ أَحَقُّ بِٱلْأَهْلِ، إِلَّا   فِي خَبِيثٍ مِنَ ٱلْمَذَاهِبِ رِجْسِ
نَفَسِي مِرْجَلٌ، وَقَلْبِي شِرَاعٌ،   بِهِمَا فِي ٱلدُّمُوعِ سِيرِي وَأَرْسِي [3] …
وَطَنِي ، لَوْ شُغِلْتُ بِٱلْخُلْدِ عَنْهُ ،   نَازَعَتْنِي إِلَيْهِ فِي ٱلْخُلْدِ نَفْسِي
وَهَفَا بِٱلْفُؤَادِ فِي سَلْسَبِيلٍ   ظَمَأٌ لِلسَّوَادِ مِنْ عَيْنِ شَمْسِ [4]
شَهِدَ ٱللهُ لَمْ يَغِبْ عَنْ جُفُونِي   شَخْصُهُ سَاعَةً، وَلَمْ يَخْلُ حِسِّي !

٣٤٧ نكبة دمشق

[ألقى الشاعر الابيات التالية في حفلة أقيمت عام ١٩٢٦ لاعانة منكوبي الثورة الدرزية السورية على عهد القائد الفرنسي ساراي :]

سَلَامٌ مِنْ صَبَا بَرَدَى أَرَقُّ   وَدَمْعٌ لَا يُكَفْكَفُ يَا دِمَشْقُ
وَمَعْذِرَةُ ٱلْيَرَاعَةِ وَٱلْقَوَافِي   جَلَالُ ٱلرُّزْءِ عَنْ وَصْفٍ يَدِقُّ [5] …
وَبِي مِمَّا رَمَتْكِ بِهِ ٱللَّيَالِي   جِرَاحَاتٌ لَهَا فِي ٱلْقَلْبِ عُمْقُ …
لَحَاهَا ٱللهُ أَنْبَاءً تَوَالَتْ   عَلَى سَمْعِ ٱلْوَلِيِّ بِمَا يَشُقُّ [6] …
تَكَادُ لِرَوْعَةِ ٱلْأَحْدَاثِ فِيهَا   تُخَالُ مِنَ ٱلْخُرَافَةِ وَهْيَ صِدْقُ …
رِبَاعُ ٱلْخُلْدِ، وَيْحَكِ، مَا دَهَاهَا ؟   أَحَقٌّ أَنَّهَا دَرَسَتْ ؟ أَحَقُّ ؟ ! [7] …

---

١ الراهب : المتبتل الذي اعتزل الناس طلباً للعبادة وقد شبه به الشاعر القلب . فطن للشيء : فهمه وأدركه . شاعه : تبعه . النقس : ضرب الناقوس وهنا دلالة على خفق القلب لدى سفر البواخر . ٢ اليمّ : البحر . وابنة اليم : السفينة . ٣ المرجل : القِدر . اي ان زفير صدره يؤمن لها ؛ بدل البخار ، قوّة الدفع . ٤ هفا به : أسرع . السّواد : ما حول البلدة من القرى . عين شمس : مصر الجديدة، بقرب القاهرة . ٥ الرزء : المصيبة . ٦ لحاها الله : لعنها . الوليّ : الصديق . يشق : يصعب . ٧ دَرست : امّحت .

سَلِي مَنْ رَاعَ غِيدَكِ بَعْدَ وَهْنٍ ... أَبَيْنَ فُؤَادِهِ وَالصَّخْرِ فَرْقُ؟ [1]
وَلِلْمُسْتَعْمِرِينَ وَإِنْ أَلَانُوا ... قُلُوبٌ كَالْحِجَارَةِ لَا تَرِقُّ
رَمَاكِ بِطَيْشِهِ وَرَمَى فَرَنْسَا ... أَخُو حَرْبٍ بِهِ صَلَفٌ وَحُمْقُ
إِذَا مَا جَاءَهُ طُلَّابُ حَقٍّ ... يَقُولُ: «عِصَابَةٌ خَرَجُوا وَشَقُّوا»
دَمُ الثُّوَّارِ تَعْرِفُهُ فَرَنْسَا ... وَتَعْلَمُ أَنَّهُ نُورٌ وَحَقُّ
جَرَى فِي أَرْضِهَا فِيهِ حَيَاةٌ ... كَمُنْهَلِّ السَّمَاءِ، وَفِيهِ رِزْقُ [2]
بِلَادٌ مَاتَ فِتْيَتُهَا لِتَحْيَا ... وَزَالُوا دُونَ قَوْمِهِمِ لِيَبْقُوا
وَحُرِّرَتِ الشُّعُوبُ عَلَى قَنَاهَا ... فَكَيْفَ عَلَى قَنَاهَا تُسْتَرَقُّ؟ [3]
بَنِي سُورِيَّةَ اطَّرِحُوا الْأَمَانِي ... وَأَلْقُوا عَنْكُمُ الْأَحْلَامَ، أَلْقُوا . . .
نَصَحْتُ، وَنَحْنُ مُخْتَلِفُونَ دَارًا، ... وَلٰكِنْ كُلُّنَا فِي الْهَمِّ شَرْقُ
وَيَجْمَعُنَا إِذَا اخْتَلَفَتْ بِلَادٌ، ... بَيَانٌ غَيْرُ مُخْتَلِفٍ وَنُطْقُ
وَقَفْتُمْ بَيْنَ مَوْتٍ أَوْ حَيَاةٍ ... فَإِنْ رُمْتُمْ نَعِيمَ الدَّهْرِ فَاشْقَوْا
وَلِلْأَوْطَانِ فِي دَمِ كُلِّ حُرٍّ ... يَدٌ سَلَفَتْ وَدَيْنٌ مُسْتَحِقُّ [4]
وَمَنْ يَسْقِي وَيَشْرَبُ بِالْمَنَايَا ... إِذَا الْأَحْرَارُ لَمْ يُسْقَوْا وَيَسْقُوا؟
وَلَا يَبْنِي الْمَمَالِكَ كَالضَّحَايَا ... وَلَا يُدْنِي الْحُقُوقَ وَلَا يُحِقُّ [5]
فَفِي الْقَتْلَى لِأَجْيَالٍ حَيَاةٌ ... وَفِي الْأَسْرَى فِدًى لَهُمُ وَعِتْقُ
وَلِلْحُرِّيَّةِ الْحَمْرَاءِ بَابٌ ... بِكُلِّ يَدٍ مُضَرَّجَةٍ يُدَقُّ

ميزة شعره : شغف بالوطن يمدّه ماضٍ عريق في المجد ويشحذه النفي الاليم فيفيض بالحبّ والحنين، ويعكس عواطف الشعب ونزعاته . وقلب ينطقه الجوار واللغة والقرابة فتصبح نبضاته صدى للشرق كله في افراحه واحزانه وصوتاً يدعو الى اهداف تحقق التقدّم والازدهار،

١ الغيد ج غيداء : اللينة الاعطاف، المائلة العنق . الوهْن : منتصف الليـــل او بعد ساعة منه .
٢ منهلّ السماء : قطرها .   ٣ اي انها جاهدت لتحرير الشعوب الاخرى فكيف تستعبدهم هي الآن بقواتها .   ٤ اليد : الفضل والنعمة .   ٥ يُحق : يغلب على الحق ويثبته . وأحقّ الشيء : أوجبه .

ذلك ما ينضح به الشعر الذي نحن في صدده من المعاني، في مبنى أنيق الوشي وصور رائعة لا يعدوها الابتكار والجدة .

الشاعر الاجتماعي :

٣٤٨ العلم والتعليم

[ألقيت هذه القصيدة في حفل أقامه نادي مدرسة المعلمين العليا سنة ١٩٢٤]

قُمْ لِلْمُعَلِّمِ ، وَفِّهِ ٱلتَّبْجِيلَا، كَادَ ٱلْمُعَلِّمُ أَنْ يَكُونَ رَسُولَا ،
أَعَلِمْتَ أَشْرَفَ أَوْ أَجَلَّ مِنَ ٱلَّذِي يَبْنِي وَيُنْشِئُ أَنْفُساً وَعُقُولَا؟ ...
رَبُّوا عَلَى ٱلْإِنْصَافِ فِتْيَانَ ٱلْحِمَى تَجِدُوهُمُ كَهْفَ ٱلْحُقُوقِ كُهُولَا
فَهُوَ ٱلَّذِي يَبْنِي ٱلطِّبَاعَ قَوِيمَةً ، وَهُوَ ٱلَّذِي يَبْنِي ٱلنُّفُوسَ عُدُولَا [1]
وَيُقِيمُ مَنْطِقَ كُلِّ أَعْوَجِ مَنْطِقٍ، وَيُرِيهِ رَأْياً فِي ٱلْأُمُورِ أَصِيلَا [2]
وَإِذَا ٱلْمُعَلِّمُ لَمْ يَكُنْ عَدْلًا، مَشَى رُوحُ ٱلْعَدَالَةِ فِي ٱلشَّبَابِ ضَئِيلَا
وَإِذَا ٱلْمُعَلِّمُ سَاءَ لَحْظَ بَصِيرَةٍ جَاءَتْ عَلَى يَدِهِ ٱلْبَصَائِرُ حُولَا
وَإِذَا أَتَى ٱلْإِرْشَادُ مِنْ سَبَبِ ٱلْهَوَى، وَمِنَ ٱلْغُرُورِ ، فَسَمِّهِ ٱلتَّضْلِيلَا
وَإِذَا أُصِيبَ ٱلْقَوْمُ فِي أَخْلَاقِهِمْ ، فَأَقِمْ عَلَيْهِمْ مَأْتَماً وَعَوِيلَا
إِنِّي لَأَعْذُرُكُمْ، وَأَحْسَبُ عِبْأَكُمْ مِنْ بَيْنِ أَعْبَاءِ ٱلرِّجَالِ ، ثَقِيلَا
وَجَدَ ٱلْمُسَاعِدَ غَيْرُكُمْ، وَحُرِمْتُمُ فِي مِصْرَ عَوْنَ ٱلْأُمَّهَاتِ جَلِيلَا
وَإِذَا ٱلنِّسَاءُ نَشَأْنَ فِي أُمِّيَّةٍ، رَضَعَ ٱلرِّجَالُ جَهَالَةً وَخُمُولَا
لَيْسَ ٱلْيَتِيمُ مَنِ ٱنْتَهَى أَبَوَاهُ مِنْ هَمِّ ٱلْحَيَاةِ ، وَخَلَّفَاهُ ذَلِيلَا ،
فَأَصَابَ بِٱلدُّنْيَا ٱلْحَكِيمَةِ مِنْهُمَا، وَبِحُسْنِ تَرْبِيَةِ ٱلزَّمَانِ، بَدِيلَا
إِنَّ ٱلْيَتِيمَ هُوَ ٱلَّذِي تَلْقَى لَهُ أُمّاً تَخَلَّتْ ، أَوْ أَباً مَشْغُولَا

١ العدول ج عادل : المنصف . ٢ أصيلاً : صائباً .

٣٤٩ انتحار الطلبة

[رأى شوقي ذاك المفزع الوبئ الذي يلجأ اليه صغار الطلبة في مصر بعد سقوطهم في الامتحانات . فنظم لهم هذه القصيدة يقطع عليهم فيها سبيل اليأس، ويبسط لهم سبيل الامل .]

نَاشِئٌ فِي ٱلْوَرْدِ مِنْ أَيَّامِهِ ، حَسْبُهُ ٱللهُ ! أَبِٱلْوَرْدِ عَثَرْ ؟
سَدَّدَ ٱلسَّهْمَ إِلَى صَدْرِ ٱلصِّبَا ، وَرَمَاهُ فِي حَوَاشِيهِ ٱلْغُرَرْ
بِيَدٍ لَا تَعْرِفُ ٱلشَّرَّ ، وَلَا صَلُحَتْ إِلَّا لِتَلْهُو بِٱلْأُكَرْ [١]
بُسِطَتْ لِلسَّمِّ وَٱلْحَبْلِ ، وَمَا بُسِطَتْ لِلْكَأْسِ يَوْمًا وَٱلْوَتَرْ ...
ضَاقَ بِٱلْعِيشَةِ ذَرْعًا ، فَهَوَى عَنْ شَفَا ٱلْيَأْسِ ، وَبِئْسَ ٱلْمُنْحَدَرْ !
رَاحِلًا فِي مِثْلِ أَعْمَارِ ٱلْمُنَى ، ذَاهِبًا فِي مِثْلِ آجَالِ ٱلزَّهَرْ
هَارِبًا مِنْ سَاحَةِ ٱلْعَيْشِ ، وَمَا شَارَفَ ٱلْغَمْرَةَ مِنْهَا وَٱلْغُدَرْ [٢]
لَا أَرَى ٱلْأَيَّامَ إِلَّا مَعْرَكًا ، وَأَرَى ٱلصِّنْدِيدَ فِيهِ مَنْ صَبَرْ ...
فِيمَ تَجْنُونَ عَلَى آبَائِكُمْ أَلَمَ ٱلثُّكْلِ شَدِيدًا فِي ٱلْكِبَرْ ؟
وَتَعُقُّونَ بِلَادًا ، لَمْ تَزَلْ بَيْنَ إِشْفَاقٍ عَلَيْكُمْ وَحَذَرْ ؟ ...
قَاتِلُ ٱلنَّفْسِ ، وَلَوْ كَانَتْ لَهُ ، أَسْخَطَ ٱللهَ ، وَلَمْ يُرْضِ ٱلْبَشَرْ ...
إِنَّمَا يَسْمَحُ بِٱلرُّوحِ ٱلْفَتَى سَاعَةَ ٱلرَّوْعِ ، إِذَا ٱلْجَمْعُ ٱشْتَجَرْ [٣]
فَهُنَاكَ ٱلْأَجْرُ وَٱلْفَخْرُ مَعًا ، مَنْ يَعِشْ يُحْمَدْ ، وَمَنْ مَاتَ أُجِرْ

٣٥٠ طير الحجال متى يطير ؟

[انعقدت حفلة نسائية عظيمة بدار التمثيل العربي برئاسة السيدة هدى

١ الاكر ج أكرة : لغة مسترذلة في الكرة . ٢ الغمرة : شدّة الشيء ومزدحمه . الغُدُر ج غدير : القطعة من الماء يغادرها السيل، النهر . المعنى : ترك الحياة دون ان يعرفها . ٣ الروع : الفزع، يأتي بمعنى الحرب وهذا هو المراد هنا . اشتجر : اشتبك .

الشعراوي فألقى شاعرنا فيها القصيدة التالية داعياً الى تحرير المرأة . وكان قبلاً، بحكم اتصاله بالبلاط، قد قال بضرورة الحجاب .]

قُلْ لِلرِّجالِ: طَغَى ٱلأَسِيرُ، طَيْرُ ٱلحِجالِ مَتَى يَطِيرُ؟[1]
أَوَهَى جَناحَيْهِ ٱلْحَدِيـدُ، وَحَزَّ سَاقَيْـهِ ٱلْحَرِيرُ
ذَهَبَ ٱلْحِجَابُ بِصَبْرِهِ، وَأَطَالَ حَيْرَتَهُ ٱلسُّفُورُ[2]
هَلْ هُيِّئَتْ دَرَجُ ٱلسَّمَا ءِ لَهُ، وَهَلْ نُصَّ ٱلأَثِيرُ؟[3]
وَهَلِ ٱسْتَمَرَّ بِـهِ ٱلْجَنَا حُ، وَهَمَّ بِٱلنَّهْضِ ٱلشَّكِيرُ[4]
وَسَمَا لِمَنْزِلِـهِ مِنَ ٱلدُّ نْيَا، وَمَنْزِلُهُ خَطِيرُ؟
وَمَتَى تُسَاسُ بِـهِ ٱلرِّيَا ضُ، كَمَا تُسَاسُ بِهِ ٱلْوُكُورُ؟
أَوْ كُلُّ مَا عِنْدَ ٱلرِّجَـالِ لَهُ ٱلْخَوَاطِبُ وَٱلْمُهُورُ؟
وَٱلسِّجْنُ فِي ٱلأَكْوَاخِ، أَوْ سِجْنٌ يُقَالُ لَهُ ٱلْقُصُورُ؟

ميزة شعره: بعد ان أفلت شوقي من سجن القصر الذهبي اتصل بالشعب واصبح شعره، في بعض نواحيه، مرآة تعكس آلامه وآماله وبوقاً ينادي بالاصلاح ويدعو الى الخير ويحمل على البالي من الطرائق والذميم من العوائد . اما أسلوبه فتارة تعليميّ جاف، وطوراً عاطفي يحرّك الشعور ويعمل عن طريقه في العقول .

شاعر الامثال :

٣٥١ الاسد ووزيره الحمار

لِلَّيْثِ مُلْكُ ٱلْقِفَارِ، وَمَا تَضُمُّ ٱلصَّحَارِي،

١ الحِجال ج حجلة : خدر المرأة . طير الحجال : المرأة . ٢ السفور : كشف الوجه .
٣ نُصّ : جعل بعضه فوق بعض . الاثير : مادّة دقيقة منتشرة في انحاء الفضاء تنقل الحرارة والنور والكهرباء... والمعنى : هل جعل الفضاء له عرشاً . ٤ استمرّ : قوي بعد ضعف . الشكير : صغار الريش .

سَعَتْ إِلَيْهِ ٱلرَّعَايَا يَوْماً بِكُلِّ ٱلْبِدَارِ،[1]
قَالَتْ: «تَعِيشُ وَتَبْقَى، يَا دَامِيَ ٱلْأَظْفَارِ،
مَاتَ ٱلْوَزِيرُ، فَمَنْ ذَا يَسُوسُ أَمْرَ ٱلضَّوَارِي؟»[2]
قَالَ: «ٱلْحِمَارُ وَزِيرِي، قَضَى بِهٰذَا ٱخْتِيَارِي»،
فَٱسْتَضْحَكَتْ ثُمَّ قَالَتْ: «مَاذَا رَأَى فِي ٱلْحِمَارِ؟»...
وَوَدَّعَتْهُ، وَطَارَتْ بِمُضْحِكِ ٱلْأَخْبَارِ؛
حَتَّى إِذَا ٱلشَّهْرُ وَلَّى، كَلَيْلَةٍ أَوْ نَهَارِ،
لَمْ يَشْعُرِ ٱللَّيْثُ، إِلَّا وَمُلْكُهُ فِي دَمَارِ،
ٱلْقِرْدُ عِنْدَ ٱلْيَمِينِ، وَٱلْكَلْبُ عِنْدَ ٱلْيَسَارِ،
وَٱلْقِطُّ بَيْنَ يَدَيْهِ، يَلْهُو بِعَظْمَةِ فَارِ.
فَقَالَ: «مَنْ فِي جُدُودِي، مِثْلِي، عَدِيمُ ٱلْوَقَارِ؟»
أَيْنَ ٱقْتِدَارِي وَبَطْشِي، وَهَيْبَتِي، وَٱعْتِبَارِي؟»
فَجَاءَهُ ٱلْقِرْدُ سِرّاً، وَقَالَ بَعْدَ ٱعْتِذَارِ:
«يَا عَالِيَ ٱلْجَاهِ فِينَا، كُنْ عَالِيَ ٱلْأَنْظَارِ،
رَأْيُ ٱلرَّعِيَّةِ فِيكُمْ مِنْ رَأْيِكُمْ فِي ٱلْحِمَارِ!»

٣٥٢ الحمار في السفينة

سَقَطَ ٱلْحِمَارُ مِنَ ٱلسَّفِينَةِ فِي ٱلدُّجَى، فَبَكَى ٱلرِّفَاقُ لِفَقْدِهِ، وَتَرَحَّمُوا
حَتَّى إِذَا طَلَعَ ٱلنَّهَارُ، أَتَتْ بِهِ نَحْوَ ٱلسَّفِينَةِ مَوْجَةٌ تَتَقَدَّمُ
قَالَتْ: «خُذُوهُ كَمَا أَتَانِي سَالِماً، لَمْ أَبْتَلِعْهُ لِأَنَّهُ لَا يُهْضَمُ!»

---

١ البدار: السرعة. ٢ يسوس أمره: يدبر شؤونه. الضواري ج الضاري: الوحش المعوّد أكل اللحم.

٣٥٣ القبرة وابنها

رَأَيتُ فِي بَعضِ ٱلرِّيَاضِ قُبَّرَهْ ، تُطَيِّرُ ٱبنَهَا بِأَعلَى ٱلشَّجَرَهْ
وَهيَ تَقُولُ : « يَا جَمَالَ ٱلعُشِّ ، لَا تَعتَمِدْ عَلَى ٱلجَنَاحِ ٱلهَشِّ
وَقِفْ عَلَى عُودٍ بِجَنبِ عُودِي ، وَٱفعَلْ كَمَا أَفعَلُ فِي ٱلصُّعُودِ . »
فَٱنتَقَلَتْ مِنْ فَنَنٍ إِلَى فَنَنْ ، وَجَعَلَتْ لِكُلِّ نَقلَةٍ زَمَنْ [1]
كَيْ يَستَرِيحَ ٱلفَرخُ فِي ٱلأَثنَاءِ ، فَلَا يَمَلَّ ثِقَـلَ ٱلهَوَاءِ .
لَكِنَّهُ قَدْ خَالَفَ ٱلإِشَارَهْ ، لَمَّا أَرَادَ يُظهِرُ ٱلشَّطَـارَهْ
وَطَارَ فِي ٱلفَضَاءِ حَتَّى ٱرتَفَعَا ، فَخَانَهُ جَنَاحُـهُ فَوَقَعَا
فَٱنكَسَرَتْ فِي ٱلحَالِ رُكبَتَاهُ ، وَلَمْ يَنَلْ مِنَ ٱلعُلَا مُنَاهُ .
وَلَوْ تَأَنَّى ، نَالَ مَا تَمَنَّى ، وَعَاشَ طُولَ عُمرِهِ مُهَنَّى .
لِكُلِّ شَيءٍ فِي ٱلحَيَاةِ وَقتُهُ ، وَغَايَـةُ ٱلمُستَعجِلِينَ فَوتُهُ [2]

ميزة شعره : « قصص على نحو خفيف، لا فلسفة فيه ولا عمق في افكاره » مستوحى في أغلبه من الغير . هو ذو قيمة أخلاقية واجتماعية لا تنكر، ولكنه هزيل القيمة الادبية على العموم : وقد يتصف بعضه، كما هي الحال هنا، بالرشاقة وخفة الروح وحسن السياق وحفظ المتمة .

الشاعر المسرحي :

٣٥٤ مصرع كليوباترا

[شبّ القتال بين القائدين الرومانيين أكتافيوس ومركوس أنطونيوس . وكان هذا الاخير قد أحبّ ملكة مصر كليوباترا، فحارب وطنه الاول، إلا انه دُحر وغلب فانتحر؛ فعزمت حليفته كليوباترا على ان تنتحر هي ايضاً لئلا يجرّها

[1] الفنن : الغصن . [2] فاته الامر : ذهب عنه فلم يُدركه .

اكتافيوس أسيرة الى روما لتزين موكب ظفره. وكان الكاهن، بناء على طلبها، قد بعث لها بأفعى شديدة الفتك، في سلة من التين لكي تلدغها فتموت دون ان يتشوه جمالها.]

الفصل الرابع

[«في القصر الملكي، في غرفة العرش، شرفة مطلة على البحر. كليوباترا متكئة على حافة الشرفة، شرميون وهيلانة وصيفتاها في اقصى الحجرة تنهمر من عينيها الدموع»]

كليوباترا [كأنما تناجي نفسها]:

نَامَ «مَرْكُو»، وَلَمْ أَنَمْ، وَتَفَرَّدْتُ بِٱلْأَلَـمْ
لَيْتَ جُرْحِي كَجُرْحِهِ لَقِيَ ٱلْمَوْتَ، فَٱلْتَأَمْ.
قَاتَـلَ ٱللهُ مَاضِياً قَتَـلَ ٱلْمُفْرَدَ ٱلْعَلَمْ [1]
أَنطُوَانُ ٱنْفُضِ ٱلْكَرَى سَاعَةً، وَٱنْقُلِ ٱلْقَدَمْ
قُمْ كَأَمْسِ ٱغْنَمِ ٱلْهَوَى، وَٱشْرَبِ ٱلرَّاحَ بِٱلنَّغَمْ
وَتَخَيَّرْ عَلَى ٱلْمُنَى، وَتَمَتَّعْ مِنَ ٱلنِّعَمْ
وَٱغْمُرِ ٱلْأَرْضَ بِٱلْقَنَا، وَتَغَلَّبْ عَـلَى ٱلْأُمَمْ
وَقُدِ ٱلْخَيْلَ فِي ٱلْوِهَا دِ، وَوَثْباً إِلَى ٱلْقِمَمْ؛
أَيُّهَا ٱلْعَيْنُ أَبْصِرِي، إِنَّمَا كُنْتِ فِي حُلُمْ!

[ملتفتة الى شرميون]:

يَا شَرْمِيُونُ بَلَغْنَا مَوْقِفاً حَرِجاً، لَا ٱلرَّأْيُ يَنْفَعُنَا فِيهِ وَلَا ٱلْبَأْسُ
لَمْ يَبْقَ ثُقْبُ رَجَاءٍ كُنْتُ أَلْمَحُهُ إِلَّا تَعَرَّضَ حَتَّى سَدَّهُ ٱلْيَأْسُ

[تلقي نظرة على الاسكندرية من الشرفة]

نَجْمِي يُحَدِّثُنِي بِوَشْكِ أُفُولِهِ، إِسْكَنْدَرِيَّةُ، هَلْ أَقُولُ وَدَاعَا؟

---

١ العلم: سيد القوم.

وَشَيْتُ بَرَّكِ جَدْوَلًا وَخَمِيلَةً، وَكَسَوْتُ بَحْرَكِ عُدَّةً وَشِرَاعَا
وَأَنَا ٱللَّبَاةُ، وَقَدْ مَلَأْتُكِ غَابَةً، وَأَنَا ٱلْمَهَاةُ، وَقَدْ مَلَأْتُكِ قَاعَا [1]
قَدْ خِفْتُ مِنْ بَعْدِي عَلَيْكِ مَمَالِكًا يُطْلِقْنَ فِيكِ ٱلْفَاتِحِينَ سِبَاعَا
يَأْتِينَ زَرْعَكِ بِٱلرِّيَاحِ عَوَاصِفًا، وَيَجِئْنَ ضَرْعَكِ بِٱلذِّئَابِ جِيَاعَا
فَإِذَا ٱلْحَضَارَةُ، بَعْدَ طُولِ بِنَائِهَا، قَدْ دُكَّ رُكْنُ بِنَائِهَا وَتَدَاعَى . . .

[تلقي نظرة على السلال]

مَالِي مُلِئْتُ مِنَ ٱلْمَنِيَّةِ رَهْبَةً ؟ إِنَّ ٱلْمَنِيَّةَ فِي رِقَابِ ٱلنَّاسِ ؛
آسِي ٱلْجِرَاحِ جَزِعْتُ عِنْدَ لِقَائِهِ، وَٱلنَّفْسُ تَجْزَعُ مِنْ لِقَاءِ ٱلْآسِي [2] . . .
إِنِّي طَوَيْتُ بِسَاطَ كُلِّ مُدَامَةٍ، لَمْ يَبْقَ إِلَّا شُرْبُ هٰذِي ٱلْكَاسِ،
يَا خَادِمِيَّ، بَلِ ٱبْنَتَيَّ، تَلَطَّفَا فِي ٱلْبَحْثِ، حَتَّى تَأْتِيَا بِأَيَاسِ [3]
فَعَسَى يُغَنِّينِي نَشِيدَ ٱلْمَوْتِ أَوْ نَغَمًا أَجُودُ عَلَيْهِ بِٱلْأَنْفَاسِ

شرميون :

مَلِكَتِي نَادِي أَيَاسَا إِنَّهُ بِٱلْقُرْبِ مِنْكِ
هُوَ فِي ٱلْمَقْصُورَةِ ٱلْأُخْـرَى مَعَ ٱلْبَاكِينَ يَبْكِي [4]
فِكْرُهُ فِيكِ وَلَا يَجْـسُرُ أَنْ يَسْأَلَ عَنْكِ

الملكة كليوباترا :

يَا وَيْحَ صَحْبِي بَعْدَ طُولِ سُرُورِهِمْ قَعَدُوا إِلَى أَحْزَانِهِمْ يَبْكُونَا
جِيئِي بِهِمْ يَا شَرْمِيُونُ لِيَنْظُرُوا جَلَدِي فَهٰذَا بَعْضُ مَا يَجِدُونَا

[تخرج شرميون]

كليوباترا [تنحني على زنبقة في اصيص [5]] :

زَنْبَقَةٌ فِي ٱلْآنِيَهْ ، ضَحِيَّـةُ ٱلْأَنَانِيَهْ

---

١ القاع : الارض الواسعة المطمئنة المستوية قد انفرجت عنها الآكام .   ٢ الآسي : الطبيب .
٣ أياس : هو المغني .   ٤ المقصورة : الغرفة .   ٥ الأصيص : شقفة جرّة تزرع فيها الرياحين.

جَنَتْ عَلَيْهَا غُرْبَةُ الـأَسْرِ الأَكُفُّ الجَانِيَهْ
وَبُدِّلَتْ مِنْ سَعَةِ الرَّبْوَةِ ضِيقَ البَاطِيَهْ[1]
يَسْقُونَهَا مِنْ جَرَّةٍ، بَعْدَ العُيُونِ الجَارِيَهْ
يَا جَارَتَا، شَأْنُكِ لَا يُشْبِهُ إِلَّا شَانِيَهْ:
لَمْ يَبْقَ مِنْ مُلْكِي العَرِيـضِ غَيْرُ دَارٍ خَاوِيَهْ،
وَكُلُّنَا ذَابِلَةٌ، عَمَّا قَلِيلٍ ذَاوِيَهْ،
زَالَ النَّعِيمُ، وَفَرَغْنَا مِنْ حَيَاةٍ فَانِيَهْ

[ترجع شرمبون ومعها أياس وأنشو المضحك وغيرهم]

الملكة [الى انشو]:

أَنْشُو، يَعِزُّ عَلَيَّ أَنَّكَ سَاهِمٌ يَبْدُو عَلَيْكَ الهَمُّ وَالتَّفْكِيرُ!
أَنْشُو، أَلَا قَوْلٌ يَسُرُّ، وَضِحْكَةٌ؟ إِنَّ السَّعِيدَ الضَّاحِكُ المَسْرُورُ!
قَدْ كَانَ أَيْسَرُ مَا صَنَعْتَ يَسُرُّنِي، أَعَلَى سُرُورِي اليَوْمَ أَنْتَ قَدِيرُ؟

انشو: سَيِّدَتِي، جَرَى بِمَا فِيهِ سُرُورُكِ القَدَرْ!
مَنْ لَا تَسُرُّهُ السَّمَا ، لَا يَسُرُّهُ البَشَرْ

الملكة: أَيَاسُ، هَلْ مِنْ صَوْتِ؟ غَنِّ نَشِيدَ المَوْتِ

[أياس يغني هذا النشيد]:

يَا طِيبَ وَادِي العَدَمْ مِنْ مَنْزِلٍ مِنْ مَنْزِلِ!
لَمْ تَمْشِ فِيهِ قَدَمْ لِلْعُزَّلِ وَادٍ خَلِ،
أَنَا فِيهِ لِحَبِيبِي، وَحَبِيبِي فِيهِ لِي.

. . .

يَا مَوْتُ، مِلْ بِالشِّرَاعْ، وَاحْمِلْ جَرِيحَ الحَيَاهْ،

---

١ الباطية: اناء من الزجاج يملأ من الشراب.

يسرْ بالقلوعِ السراعْ، إلى شطوطِ النجاهْ؛[1]

. . .

شراعكَ الفضي، في لجةِ التبرِ،
كالحلمِ في الغمضِ، يجري ولا يجري

. . .

في ظلِّ ليلٍ ساجْ، أقسمَ لا يسري،
مغلَّلِ الديباجْ، مطيَّبِ السترِ،[2]

. . .

في يقظةٍ يظهرْ لي، أمْ أرى حلمَا
فلكٌ منَ الجوهرْ، يخترقُ الظلمَا؟

. . .

على الدُّجى لمَّاحْ، تحسبُهُ نجمَا،[3]
ليسَ بهِ ملَّاحْ، يسلكُهُ اليمَّا؛

. . .

أضوى منَ الفجرِ، في ظلمةِ الأسدافْ،[4]
منْ نفسهِ يجري، لمْ يجرهِ مجذافْ؛

. . .

مدَّ شراعَ النورْ، يا حسنَ ما مدَّا!
كاللؤلؤ المنثورْ لوْ ينفحُ الندَّا![5]

---

١ القلوع ج قِلْع : شراع السفينة. ٢ مغلّل : مطيّب بالغالية وهي أخلاط من الطيب. الديباج : الثوب الذي لحمته وسداه من حرير. ٣ اللمّاح : الشديد اللمعان. ٤ الأسداف ج سدَف : الظلمة. ٥ ينفح : يفوح. الندّ : عود يتبخر به قيل هو العنبر.

يَا لكَ مِنْ زَوْرَقٍ! مَلَّاحُــهُ ٱلْأَقْدَارُ،
يَنْجُو بِــهِ ٱلْمُغْرَقُ مِنْ لُجَّةِ ٱلْأَكْدَارِ...

[وتأتي كليوباترا لتوديع أولادها]

كليوباترا:

بِرُوحِي، وَإِنْ لَمْ تَبْقَ مِنِّي بَقِيَّةٌ، صِغَارٌ وَرَائِي ذُوِّقُ ٱلْيُتْمِ نُوَّحُ!
أَذُوبُ لِبَلْوَاهُمْ، وَأَعْلَـمُ أَنَّنِي حَمَلْتُ عَلَيْهِمْ مَا يَجِلُّ وَيَفْدَحُ[1]
وَقَدْ أَشْتَهِي عَيْشَ ٱلذَّلِيلِ لِأَجْلِهِمْ، فَلَا ٱلْمَجْدُ يَرْضَى لِي وَلَا ٱلنُّبْلُ يَسْمَحُ؛
فَصَفْحًا، صِغَارِي، إِنْ شَقِيتُمْ بِمَصْرَعِي، وَإِنِّي لَأَرْجُو أَنْ تَغُضُّوا وَتَصْفَحُوا؛
وَدَاعًا، صِغَارِي، صَيَّرَ ٱللهُ يُتْمَكُمْ إِلَى خَيْرِ مَا يَكْفِي ٱلْيَتَامَى وَيُصْلِحُ!
أَطَفْتُ بِكُمْ، وَٱلنَّوْمُ تَسْرِي سِنَاتُهُ عَـلَى صَفَحَاتٍ كَٱلْأَهِلَّةِ تَلْمَحُ،[2]
وَمَا مِنْكُمُ فِي ٱلْخَزِّ إِلَّا حَمَامَةٌ عَلَيْهَـا ظَلِيلٌ نَاعِمُ ٱلْفَرْعِ أَفْيَحُ[3]
تَنَامُ، وَمَا تَدْرِي ٱلْكَرَى مَا وَرَاءَهُ، وَلَا ٱلصُّبْحُ فِي ظِلِّ ٱلرُّبَى كَيْفَ يُصْبِحُ،
أَتَغْدُو عَلَى ٱلدُّنْيَا، كَأَمْسِ، طَلِيقَةً، ضُحَى ٱلْيَوْمِ، أَمْ يُغْدَى عَلَيْهَا فَتُذْبَحُ؟

[ملتفتة الى هيلانة وشرميون]:

فِيمَ هِيلَانَةُ تَبْكِيــنَ، وَأَنْتِ شَرْمِيُونُ؟
كَفْكِفَا ٱلدَّمْعَ، فَلَا شِدَّةَ إِلَّا وَتَهُـونُ؛
وَٱعْلَمَا، بِنْتَيَّ، أَنَّ ٱلْــبُؤْسَ وَٱلنُّعْمَى دُيُونُ.

[تركع امام تمثال إيزيس[4]]

أَلْيَوْمَ أَقْصَرَ بَاطِلِي وَضَلَالِي، وَخَلَتْ، كَأَحْلَامِ ٱلْكَرَى، آمَالِي[5]

---

١ يفدح: يُثقل. ٢ سنات ج سِنة: النعاس. تلمح: تلمع. ٣ الأفيح: الواسع.
٤ ايزيس: إلاهة مصرية. ٥ أقصر عن الشيء: أمسك وهو قادر.

وَصَحَوْتُ مِنْ لَعِبِ ٱلحَيَاةِ وَلَهْوِهَا ، فَوَجَدْتُ لِلدُّنْيَا خُمَارَ زَوَالِ ؛ [1]
وَتَلَفَّتَتْ عَيْنِي ، فَلَا بِمَوَاكِبِي بَصُرَتْ، وَلَا بِكَتَائِبِي وَرِجَالِي ؛
وَطِئَتْ بِسَاطِي ٱلحَادِثَاتُ، وَأَهْرَقَتْ كَأْسِي، وَفَضَّتْ سَامِرِي وَنِقَالِي . [2]
إِيزِيسُ، يَنْبُوعَ ٱلحَنَانِ ، تَعَطَّفِي ، وَتَلَقَّيِ لِضَرَاعَتِي وَسُؤَالِي ،
أَنْتِ ٱلَّتِي بَكَتِ ٱلأَحِبَّةَ، وَٱشْتَكَتْ قَبْلَ ٱلأَرَامِلِ لَوْعَةَ ٱلإِرْمَالِ ،
إِنِّي وَقَفْتُ عَلَى رِحَابِكِ، فَٱرْحَمِي ذُلَّ ٱلمُلُوكِ لِمَجْدِكِ ٱلمُتَعَالِي ، [3]
هَلْ تَأْذَنِينَ بِأَنْ أُعَجِّلَ نُقْلَتِي ، وَأَحُثَّ عَنْ دَارِ ٱلشَّقَاءِ رِحَالِي ؟
وَعُلَاكِ ، مَا أَدَعُ ٱلحَيَاةَ جَبَانَةً ، أَوْ ضِيقَ ذَرْعٍ، أَوْ قَطِيعَةَ قَالِي ؛ [4]
إِنِّي ٱنْتَفَعْتُ بِعَبْقَرِيِّ جَمَالِهَا ، وَتَمَتَّعَتْ مِنْ عَبْقَرِيِّ جَمَالِي ،
وَجَمَعْتُ بَيْنَ شُعُورِهَا وَعَوَاطِفِي ، وَقَرَنْتُ رَحْبَ خَيَالِهَا بِخَيَالِي ،
وَوَجَدْتُهَا قَدْ خَلَّدَتْ أَبْطَالَهَا ، فَبَسَطْتُ سُلْطَانِي عَلَى ٱلأَبْطَالِ ؛
بِنْتُ ٱلحَيَاةِ أَنَا، وَتَشْهَدُ سِيرَتِي : مَا كُنْتُ مِنْ أُمِّي سِوَى تِمْثَالِ ،
مِنْهَا تَنَاوَلْتُ ٱلرِّثَاءَ وِرَاثَةً ، وَأَخَذْتُ كُلَّ خَدِيعَةٍ وَمِحَالِ [5]
وَقَسَوْتُ قَسْوَتَهَا، وَلِنْتُ كَلِينِهَا ، وَٱقْتَسْتُ، فِي صَدِّي، بِهَا، وَوِصَالِي،
وَلَرُبَّمَا رَشَدَتْ، فَسِرْتُ بِرُشْدِهَا ، وَغَوَتْ ، فَأَغْوَتْنِي وَضَلَّ ضَلَالِي ،
وَوَجَدْتُهَا حُبًّا يَفِيضُ وَلَذَّةً ، فَجَعَلْتُ لَذَّاتِ ٱلهَوَى أَشْغَالِي :
يَوْمِي بِأَيَّامٍ، لِكَثْرَةِ مَا مَشَتْ فِيهِ ٱلحَيَاةُ ، وَلَيْلَتِي بِلَيَالِي ؛
وَلَقَدْ لَقِيتُ مِنَ ٱلحَيَاةِ صَبِيَّةً ، مَا جَلَّ مِنْ بُؤْسٍ وَرِقَّةِ حَالِ ،
فَخَلَعْتُ مُلْكِي، طِفْلَةً، وَشَرَدْتُ فِي صَدْرِ ٱلصِّبَا، وَرَأَى ٱلمَكَارِهَ آلِي ؛
شَرَعَتْ عَلَيَّ ٱلسَّوْطَ فِي كُتَّابِهَا ، وَٱليَوْمَ تَضْرِبُنِي بِدَرْسٍ غَالِ ! [6]
يَا مَوْتُ، هَلْ حَرَجٌ عَلَى مُسْتَنْجِدٍ بِكَ أَنْ يُسَابِقَ وَاقِعَ ٱلآجَالِ ؟

---

١ الخُمار : صداع الخمر وأذاها . والمعنى : ان فتنتها لا تدوم . ٢ السامر : مجلس السمّار . النقال : مجلس الشرب . ٣ الرّحاب ج رَحْبَة : من الدار الساحة والمتسع . ٤ القالي : المبغض . ٥ المِحال : المكر والكيد . ٦ شرع : رفع، صوّب .

يَوْمِي أُعَجِّلُـهُ، وَلَوْ لَمْ أَنْتَحِرْ ، لَلَقِيتُ يَوْماً مَا لَهُ مِنْ تَالِي !
يَا مَوْتُ، أَنْتَ أَحَبُّ أَسْرًا، فَاسْبِنِي، لَا تُعْطِ رُومَا وَٱلشُّيُوخَ عِقَالِي ؛[1]
يَا مَوْتُ، لَا تُطْفِئْ بَشَاشَةَ هَيْكَلِي، وَٱحْفَظْ ظَوَاهِرَ لَمْحَتِي وَجَلَالِي !
يَا مَوْتُ، طُفْ بِٱلرُّوحِ وَٱسْرِقْهَا، كَمَا سَرَقَ ٱلْكَرَى عَيْنَ ٱلْخَلِيِّ ٱلسَّالِي ،
حَتَّى أَمُوتَ، كَمَا حَيِيتُ، كَأَنَّنِي بِنْتُ ٱلْخَيَالِ، وَدُمْيَـةُ ٱلْمِثَالِ ![2]
وَكَأَنَّ إِغْمَاضَ ٱلْجُفُونِ تَنَاعُسٌ، وَكَأَنَّ رَقْدَتِيَ ٱضْطِجَاعُ دَلَالِ ؛
سِرْ بِي إِلَى أَنْطُونِيُو فِي نَضْرَتِي ، وَرُوَاءِ جِلْبَابِي ، وَزِينَةِ حَالِي !

[تقوم الى إحدى السلال فتكشف التين عن أفعى] :

هَلُمِّي ٱلْآنَ ، مُنْقِذَتِي ، هَلُمِّي ! وَأَهْلًا بِٱلْخَلَاصِ وَقَدْ سَعَى لِي ؛
شَرِبْتُ ٱلسُّمَّ مِنْ فِيكِ ٱلْمُفَدَّى بِسُلْطَانِي وَزِدْتُ عَلَيْهِ مَالِي ؛
عَلَى نَابَيْكِ ، مِنْ زُرْقِ ٱلْمَنَايَا ، شِفَاءُ ٱلنَّفْسِ مِنْ سُودِ ٱللَّيَالِي :
وَبَعْضُ ٱلسُّمِّ تِرْيَـاقٌ لِبَعْضٍ ، وَقَدْ يَشْفِي ٱلْعُضَالُ مِنَ ٱلْعُضَالِ !
دَعَوْتُ ٱلرَّاحَةَ ٱلْكُبْرَى فَلَبَّتْ ، فَبُعْدًا لِلْحَيَـاةِ وَلِلنِّضَالِ !
هَلُمِّي عَانِقِي أَفْعَى قُصُورٍ ، بِهَا شَوْقٌ إِلَى أَفْعَى ٱلتِّلَالِ ! . . .
أَمُوتُ كَمَا حَيِيتُ لِعَرْشِ مِصْرٍ ، وَأَبْذُلُ دُونَـهُ عَرْشَ ٱلْجَمَالِ
حَيَاةُ ٱلـذُّلِّ تُدْفَعُ بِٱلْمَنَايَا ، تَعَالَيْ حَيَّـةَ ٱلْوَادِي تَعَالِي !

[تتناول الافعى وتمهد لها من صدرها فتلدغها ثم ترميها الى السلة]

يَا ٱبْنَتِي وُدِّي . . . هَلُمَّا زَيِّنَانِي . . . . . . لِلْمَنِيَّةْ
غَلِّلَانِي . . . طَيِّبَانِي . . . بِٱلْأَفَاوِيهِ . . . ٱلزَّكِيَّةْ[3]
أَلْبِسَانِي حُلَّةً . . . تُعْجِبُ أَنْطُونِيُو . . . سَنِيَّةْ

---

١ عقل : ثنى الوظيف (ما استدق من الذراع او الساق) الى الذراع فشدهما معاً بحبل هو العقال . والمعنى : لا تدعني أقع أسيرة بين أيدي الرومانيين . ٢ الدمية : الصورة المنقشة المزيّنة . ٣ غلّلاني : طيّباني . الافاويه ج فوه : ما اعدّ للطيب من رياحين او توابع الطيب وهي الجلدات التي يجتمع فيها المسك في حشى الظبي . والمعنى هنا : الاطياب .

مِنْ ثِيَابٍ . . . كُنْتُ فِيهَا أَتَلَقَّاهُ . . . . . صَبِيَّهْ
نَاوِلَانِي التَّاجَ . . . تَاجَ الشَّمْسِ . . . فِي مُلْكِ . . . الْبَرِيَّهْ
وَانْثُرَا . . . بَيْنَ . . . يَدَيْ عَرْ . . . شِي . . . الرَّيَّا . . . حِينَ الْبَهِيَّهْ . . .

[وتموت بين وصيفتيها فيأتي اكتافيوس فيودعها . وتنتهي المسرحية بقول أنوبيس الكاهن :]

أنوبيس :

أَكْثِرِي ، أَيُّهَا الذِّئَابُ ، عُوَاءً ، وَادَّعِي فِي الْبِلَادِ عِزًّا وَقَهْرَا !
أَنْشِدِي ، وَاهْتِفِي ، وَغَنِّي ، وَضِجِّي ، وَاسْبَحِي فِي الدِّمَاءِ نَابًا وَظُفْرَا ،
لَا ، وَإِيزِيسَ ، مَا تَمَلَّكْتِ إِلَّا وَادِيًا مِنْ ضَيَاغِمِ الْغَابِ قَفْرَا ،
قَسَمًا ! مَا فَتَحْتُمُ مِصْرَ ، لٰكِنْ قَدْ فَتَحْتُمْ بِهَا لِرُومَةَ قَبْرَا !

ميزة شعره : عندما « هجم شوقي على التمثيل في آخر العمر » لم يستطع ان يتحرّر من مركّبات شخصيته الشعرية . فكانت له في مسرحياته مقطوعات وصفية وغنائية رائعة ولكنها قد تفسد العمل ولا تسعف دوماً في تقدم الرواية الى غايتها . ولقد قال طه حسين : « أما في التمثيل فقد غنى شوقي فأطرب وأثر في القلوب ولكنه لم يمثل شيئاً . . . فكان تمثيله صوراً ينقصها الروح وإن حببها الى الناس ما فيها من براعة الغناء » . ولذا قلنا وُفّق شاعرنا في تصوير العواطف البشرية تصويراً عميقاً ، وخلق شخصيات متميزة العناصر ، محكمة البناء فتصبح نماذج عالية . إلا ان ملامح البعض من أشخاصه ثابتة واضحة . فكليوباترا مثلاً تنطق فيها الانوثة المسترسلة وراء الشهوات ، والامومة العاطفة حتى على الخدم ، والملوكية التي أنفت الدهاء وتحلّت بالجرأة والإباء ، والوطنية التي تبذل عرش الجمال في سبيل البلاد . يبقى ان نقر بفضل شوقي على المسرح بتذليله الشعر العربي للتمثيل ، فقد كيّف البحور كما تقتضي الاحوال ، وتلاعب بالقوافي كما تتطلب الظروف ، فكان هذا التحرّر من القيود العروضية خطوة تقدم كبرى في سبيل الشعر المسرحي العربيّ .

جميل صدقي الزهاوي (١٨٦٣_١٩٣٦م/ ١٢٨٠_١٣٥٥هـ)

[شاعر عراقي اشتغل بالصحافة والتدريس والسياسة .]

٣٥٥ السقيم

أَمُوتُ بَعِيدًا عَنْ دِيَارِي وَعَنْ أَهْلِي ! فَمَنْ، يَا تُرَى، يَبْكِي حَوَالَيَّ مِنْ أَجْلِي؟
أَمُوتُ غَرِيباً ، فِي رُبُوعِ شَبِيبَتِي ، وَلَا صَاحِبٌ عِنْدِي يُمَرِّضُ، أَوْ يُسْلِي!
سَيَقْتَادُنِي حَتْفِي إِلَى ٱلرَّمْسِ ، صَاغِرًا، وَيَقْطَعُ عَنْ دُنْيَايَ سَيْفُ ٱلرَّدَى حَبْلِي!
غَدَاةَ غَدٍ، يَا لَهْفَ نَفْسِي عَلَى غَدٍ! يَتِمُّ عَلَى ٱلْأَيْدِي إِلَى حُفْرَةٍ نَقْلِي ،
فَيَحْمِلُ نَعْشِي، بَعْدَ غَسْلِ جِنَازَتِي، إِلَى ٱلْقَبْرِ، نَاسٌ لَا يَهُمُّهُمُ حَمْلِي ! [١]
إِلَى حَيْثُ لَا شَمْسُ ٱلنَّهَارِ مُطِلَّةٌ، وَلَا ٱللَّيْلُ نَظَّارٌ بِأَعْيُنِهِ ٱلنُّجْلِ ،
إِلَى جَدَثٍ دَاجِي ٱلْقَرَارَةِ، ضَيِّقٍ، يُجَاوِرُ أَجْدَاثاً بُنِينَ عَلَى تَلِّ ! [٢]
سَلَامٌ عَلَى ٱلدُّنْيَا، سَلَامٌ عَلَى ٱلْمُنَى، سَلَامٌ عَلَى ٱلْمَأْوَى، سَلَامٌ عَلَى ٱلْأَهْلِ !
سَلَامٌ عَلَى وَادِي ٱلسَّلَامِ وَمَائِهِ ، سَلَامٌ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلْمُخَيِّمِ فِي ٱلرَّمْلِ !
سَلَامٌ عَلَى ٱلشَّمْسِ ٱلْمُضِيئَةِ فِي ٱلضُّحَى، سَلَامٌ عَلَى رِيحِ ٱلصَّبَا عَقِبَ ٱلْوَبْلِ !
أَمُوتُ، نَعَمْ إِنِّي أَمُوتُ، وَمَنْ يَعِشْ فَلَا بُدَّ مِنْ يَوْمٍ يَمُوتُ بِهِ مِثْلِي!
فَمَا لِي أَرَانِي جَازِعاً مِنْ مَنِيَّتِي ، كَأَنْ لَمْ يَمُتْ فِي غُرْبَةٍ أَحَدٌ قَبْلِي ؟
جَزِعْتُ لِأَنِّي لِلْمَقَابِرِ رَاحِلٌ ، وَأَكْثَرُ سُكَّانِ ٱلْمَقَابِرِ مِنْ شَكْلِي .
إِذَا كَانَ أَصْلِي مِنْ تُرَابٍ، فَإِنَّنِي سَأَرْجِعُ فِيهِ، بَعْدَ مَوْتِي إِلَى أَصْلِي !
أَبَانَ أُنَاسٌ شَاهَدُونِيَ أَنَّنِي مُصَابٌ بِدَاءِ ٱلسِّلِّ ،وَيْحِي مِنَ ٱلسِّلِّ !
وَقَالُوا : « ٱلتَمِسْ فِيهِ طَبِيباً مُدَاوِياً، فَعَلَّكَ تُشْفَى مِنْهُ» قُلْتُ لَهُمْ : «عَلِّي!»

١ الجنازة : الانسان الميت . ٢ الجدث : القبر .

وَمَنْ بَاتَ مَسْلُولًا بِمَنْزِلِ غُرْبَةٍ ، فَـإِنَّ لَيَالِيهِ تُمِرُّ وَلَا تُحْلِي .
أَتَانِي كِتَابٌ مِنْ أَبِي يَسْتَعِيدُنِي ، فَيَا أَبَتِي، إِنِّي عَنِ ٱلْعَوْدِ فِي شُغْلِ !
وَيَا أَبَتِي، مَا لِي إِلَى ٱلْأَهْلِ أَوْبَةٌ ، إِلَى أَنْ يَؤُوبَ ٱلْقَارِظَانِ إِلَى ٱلْأَهْلِ ! [1]
وَيَا أَبَتِي أَخْبِرْ «حَنَانًا» أُمَيْمَتِي ، بِأَنِّيَ زَلَّتْ بِي إِلَى هُوَّةٍ نَعْلِي .
وَيَا أَبَتِي خَبِّرْ «سُعَادًا» حَلِيلَتِي ، بِأَنِّيَ مُودٍ فَلْتُحَافِظْ عَلَى طِفْلِي !
بُنَيَّ «رِضَا»، عِشْ فِي سَلَامٍ، فَإِنَّمَا حَيَاتُكَ بَعْدِي، يَا «رِضَا»، مُنْتَهَى سُؤْلِي!

ميزة شعره : أنه يصمّدها سقيم مدنف انتصبت أمامه رؤى الموت وأشباحه وحزّت في قلبه ذكريات مؤلمة وأشجاه فراق وشيك . وشعر الزهاوي عموماً متفاوت في الجودة حسبما يتعهده الشاعر بالعناية او يطلقه على علاته .

معروف الرصافي (١٨٧٥ ـ ١٩٤٥ م/ ١٢٩٢ ـ ١٣٦٥ ﻫ)

[شاعر عراقي ولد في بغداد ودرّس في العراق والاستانة والقدس . وقد اشتهرت له قصائد وطنية ووصفية واجتماعية :]

٣٥٦ ام اليتيمة

[استرعت انتباه شاعرنا حياة البؤساء وما يرافقها من الشقاء، فخفق قلبه بالشفقة وانطلق لسانه بالشعر يصف مشاهد البؤس وحياة الايتام والارامل بكلام يستدر العيون والاكفّ :]

لَقِيتُهَا – لَيْتَنِي مَا كُنْتُ أَلْقَاهَا ! – تَمْشِي، وَقَدْ أَثْقَلَ ٱلْإِمْلَاقُ مَمْشَاهَا ؛ [2]
أَثْوَابُهَا رَثَّةٌ ، وَٱلرِّجْلُ حَافِيَةٌ ، وَٱلدَّمْعُ تَذْرِفُهُ، فِي ٱلْخَدِّ، عَيْنَاهَا ؛

---

١ الاوبة : العودة . القارظان : رجلان مـن عنزة خرجا يجنيان القرَظ، وهو حبّ شجر، فلم يرجعا فضرب بهما المثل . ٢ الاملاق : الافتقار .

بَكَتْ مِنَ ٱلْفَقْرِ ، فَٱحْمَرَّتْ مَدَامِعُهَا ، وَٱصْفَرَّ كَٱلْوَرْسِ ، مِنْ جُوعٍ ، مُحَيَّاهَا ! ١
مَاتَ ٱلَّذِي كَانَ يَحْمِيهَا وَيُسْعِدُهَا ، فَٱلدَّهْرُ ، مِنْ بَعْدِهِ ، بِٱلْفَقْرِ أَشْقَاهَا ؛
تَمْشِي وَتَحْمِلُ بِٱلْيُسْرَى وَلِيدَتَهَا ، حَمْلًا عَلَى ٱلصَّدْرِ ، مَدْعُومًا بِيُمْنَاهَا ؛
قَدْ قَمَّطَتْهَا بِأَهْدَامٍ مُمَزَّقَةٍ ، فِي ٱلْعَيْنِ مَنْشَرُهَا سَمْجٌ ، وَمَطْوَاهَا ! ٢
مَا أَنْسَ لَا أَنْسَ ، أَنِّي كُنْتُ أَسْمَعُهَا تَشْكُو إِلَى رَبِّهَا أَوْصَابَ دُنْيَاهَا ، ٣
تَقُولُ : « يَا رَبِّ ! لَا تَتْرُكْ بِلَا لَبَنٍ هٰذِي ٱلرَّضِيعَةَ ، وَٱرْحَمْنِي وَإِيَّاهَا ،
مَا تَصْنَعُ ٱلْأُمُّ ، فِي تَرْبِيبِ طِفْلَتِهَا ، إِنْ مَسَّهَا ٱلضُّرُّ ، حَتَّى جَفَّ ثَدْيَاهَا ؟ ٤
يَا رَبِّ ! مَا حِيلَتِي فِيهَا ، وَقَدْ ذَبُلَتْ كَزَهْرَةِ ٱلرَّوْضِ ، فَقْدُ ٱلْغَيْثِ أَظْمَاهَا ؟
يَكَادُ يَنْقَدُّ قَلْبِي حِينَ أَنْظُرُهَا تَبْكِي وَتَفْتَحُ لِي مِنْ جُوعِهَا فَاهَا ! ٥
وَيْحَ ٱبْنَتِي ! إِنَّ رَيْبَ ٱلدَّهْرِ رَوَّعَهَا بِٱلْفَقْرِ وَٱلْيُتْمِ . آهًا مِنْهُمَا آهَا ! »
هٰذَا ٱلَّذِي ، فِي طَرِيقِي ، كُنْتُ أَسْمَعُهُ مِنْهَا ، فَأَثَّرَ فِي نَفْسِي ، وَأَشْجَاهَا ،
حَتَّى دَنَوْتُ إِلَيْهَا ، وَهْيَ مَاشِيَةٌ ، وَأَدْمُعِي أَوْسَعَتْ فِي ٱلْخَدِّ مَجْرَاهَا !
ثُمَّ ٱجْتَذَبْتُ لَهَا مِنْ جَيْبِ مِلْحَفَتِي دَرَاهِمًا ، كُنْتُ أَسْتَبْقِي بَقَايَاهَا ، ٦
فَأَرْسَلَتْ نَظْرَةً رَعْشَاءَ ، رَاجِفَةً ، تَرْمِي ٱلسِّهَامَ ، وَقَلْبِي مِنْ رَمَايَاهَا !
فَأَخْرَجَتْ زَفَرَاتٍ مِنْ جَوَانِحِهَا ، كَٱلنَّارِ تَصْعَدُ مِنْ أَعْمَاقِ أَحْشَاهَا !
وَأَجْهَشَتْ ، ثُمَّ قَالَتْ ، وَهْيَ بَاكِيَةٌ : « وَاهًا لِمِثْلِكَ مِنْ ذِي رِقَّةٍ ، وَاهَا !
لَوْ كَانَ فِي ٱلنَّاسِ إِنْصَافٌ وَمَرْحَمَةٌ ، لَمْ تَشْكُ أَرْمَلَةٌ ضَنْكًا بِدُنْيَاهَا ! ... »
أَوْلَى ٱلْأَنَامِ ، بِعَطْفِ ٱلنَّاسِ ، أَرْمَلَةٌ ، وَأَشْرَفُ ٱلنَّاسِ ، مَنْ بِٱلْمَالِ وَاسَاهَا ٧

٣٥٧ كرة القدم

[عرف الشاعر ان ينظر حوله ويعيش في عصره فوصف مظاهره الجديدة :]

---

١ الورس : نبت أصفر يميل الى الحمرة . ٢ الاهدام ج هِدم : الثوب البالي المرقع .
٣ الاوصاب ج وَصَب : المرض والوجع الدائم . ٤ ربّب الولد : ربّاه حتى أدرك .
٥ انقدّ : انشق . ٦ الملحفة : ما يلبس فوق الثياب . ٧ واسى الفقير : أحسن اليه .

قَصَدُوا ٱلرِّيَاضَةَ لَاعِبِينَ، وَبَيْنَهُمْ كُرَةٌ تُرَاضُ بِلَعْبِهَا ٱلْأَجْسَامُ،
وَقَفُوا لَهَا مُتَشَمِّرِينَ، فَأُلْقِيَتْ فَتَعَاوَرَتْهَا مِنْهُمُ ٱلْأَقْدَامُ، [1]
يَتَرَاكَضُونَ وَرَاءَهَا فِي سَاحَةٍ، لِلسُّوقِ مُعْتَرَكٌ بِهَا وَصِدَامُ،
رَفْساً بِأَرْجُلِهِمْ تُسَاقُ وَضَرْبُهَا بِٱلْكَفِّ عِنْدَ ٱللَّاعِبِينَ، حَرَامُ،
وَلَقَدْ تُحَلِّقُ فِي ٱلْهَوَاءِ، وَإِنْ هَوَتْ شَرَعُوا ٱلرُّؤُوسَ، فَنَاطَحَتْهَا ٱلْهَامُ، [2]
وَتَخَالُهَا حِيناً قَذِيفَةَ مِدْفَعٍ، فَتَمُرُّ صَائِتَةً، لَهَا إِرْزَامُ، [3]
وَلَرُبَّمَا سَقَطَتْ فَقَامَ حِيَالَهَا، لِلضَّرْبِ، عَبْلُ ٱلسَّاعِدَيْنِ هُمَامُ، [4]
فَتَخَالُهَا وَتَخَالُهُ كَفَرِيسَةٍ سَقَطَتْ، فَزَمْجَرَ دُونَهَا ٱلضِّرْغَامُ
لَا تَسْتَقِرُّ بِحَالَةٍ فَكَأَنَّهَا أَمَلٌ، بِهِ تَتَقَاذَفُ ٱلْأَوْهَامُ،
تَنْحُو ٱلشَّمَالَ بِضَرْبَةٍ، فَيَرُدُّهَا، نَحْوَ ٱلْجَنُوبِ، مُلَاعِبٌ لَطَّامُ؛
وَتَمُرُّ، وَاثِبَةً عَلَى وَجْهِ ٱلثَّرَى، مَرّاً كَمَا تَتَوَاثَبُ ٱلْآرَامُ، [5]
وَتَدُورُ بَيْنَ ٱللَّاعِبِينَ فَمُحْجِمٌ، عَنْهَا، وَآخَرُ ضَارِبٌ مِقْدَامُ.
رَاضُوا بِهَا ٱلْأَبْدَانَ، بَعْدَ طِلَابِهِمْ عِلْماً تُرَاضُ بِدَرْسِهِ ٱلْأَفْهَامُ.
إِنَّ ٱلْجُسُومَ إِذَا تَكُونُ نَشِيطَةً تَقْوَى، بِفَضْلِ نَشَاطِهَا، ٱلْأَحْلَامُ. [6]

٣٥٨ دجلة

[لا عجب ان يستثير قريحة شاعر بغداد نهر العراق الكبير فيأسف ان لا يكون لعهده معين خصبه الفياض :]

رُبَّ يَوْمٍ وَرَدْتُ دِجْلَةَ فِيهِ مَوْرِداً خَالِياً عَنِ ٱلْوُرَّادِ؛
حَيْثُ يَنْصَبُّ فِي سُكُوتٍ عَمِيقٍ مَاؤُهَا، لَاثِماً ضِفَافَ ٱلْوَادِي؛
وَهُبُوبُ ٱلنَّسِيمِ يَكْتُبُ فِي ٱلْمَاءِ سُطُوراً مُهْتَزَّةً فِي ٱطِّرَادِ؛

---

١ تشمّر للامر : تهيّأ له . تعاوروا الشيء : أخذه كل واحد مرّة . ٢ شرع الشيء : رفعه جدّاً . ٣ الارزام : صوت الرعد . ٤ العبل : الضخم . ٥ الآرام ج رئم : الغزال الخالص البياض . ٦ الاحلام ج حلم : العقول .

يَنمَحِي بَعضُها، وَيَظهرُ بَعضٌ، فَهيَ تَنسابُ بَينَ خافٍ وَبادِ ؛
وَتَئِنُّ ٱلمِيـاهُ لِي بِخَرِيرٍ كَأَنِينِ ٱلسَّقِيمِ لِلعُوَّادِ ! [1]
قُمتُ في وَجهِها أُرَدِّدُ طَرفي ساكِتاً، وَٱلضَّمِيرُ مِنِّي يُنادِي ؛
واقِفاً تَحتَ سَرحَةٍ، نَاحَ فِيها طائِرٌ، فَوقَ غُصنِها ٱلمَيَّادِ ؛
مُنشِداً، في ٱلنُّواحِ، شِعراً غَرِيزِيّاً، حَزِيناً، كَأَنَّهُ إِنشادِي !
جاوَبَتهُ أَفنانُهـا بِأَنِينٍ مِن حَفِيفِ ٱلأَوراقِ وَٱلأَعوادِ ؛
« أَيُّها ٱلطائِرُ، ٱلمُرَجِّعُ، فَوقَ ٱلغُصنِ، هَل أَنتَ نائِحٌ أَم شادِ ؟
بَينَ ماءٍ جارٍ وَلَحنٍ شَجِيٍّ، مِنكَ، يا طائِرُ، ٱستَطارَ فُؤادِي ! »
يا مِياهاً جَرَت بِدِجلَةَ ، تَجتازُ مُرُوراً ، بِجانِبَي بَغدادِ ،
إِنَّ نَفسِي إِلى ٱلحَقِيقَةِ عَطشَى ، أَفَتَشفِينَ غُلَّةً مِن صادِ ؟ [2]
كُنتِ تَجرِينَ، وَٱلرُّصافَةُ وَٱلكَرخُ خَلاءٌ مِن رائِحٍ أَو غادِ !
أَيُّها ٱلماءُ، أَينَ تَجرِي ضَياعاً ، وَحَوالَيكَ قاحِلاتُ ٱلبَوادِي ؟
فَمَتَى تَفطَنُ ٱلنُّفُوسُ ، فَيَحيا بِكَ سَقياً مَواتُ هٰذِي ٱلبِلادِ ؟
لَو زَرَعنا بِكَ ٱلبِقاعَ حُبُوباً ، لَحَصَدنا ٱلنُّضارَ يَومَ ٱلحَصادِ !
أَفَيَذرِي خَلِيجُ فارِسَ ماذا فَمُهُ مِنكَ بالِعٌ بِٱزدِرادِ ؟
أَنتَ « بِٱلحَقِّ » مَسجِدٌ وَلُجَينٌ ، لَو أَتَينا ٱلأُمُورَ بِٱستِعدادِ ؟
فَٱجرِ، يا ماءُ، إِن جَرَيتَ، رُوَيداً، بِأَناةٍ ، وَمُهلَةٍ ، وَٱتِّآدِ !
عَلَّنا نَستَفِيقُ مِن رَقدَةِ ٱلفَقرِ ، فَنَغنَى بِفَيضِكَ ٱلمُزدادِ !
سَلَكَتكَ ٱلسَّما يَنابِيعَ فِي ٱلأَرضِ أَمَدَّتكَ أَيَّما إِمدادِ ؛
فَتَفَجَّرتَ فِي ٱلسُّفُوحِ عُيُوناً ، نَبَعَت مِن مَخازِنِ ٱلأَطوادِ ؛
وَإِذا ما ٱنتَهَيتَ فِي جَرَيانٍ ، عُدتَ لِلبَدءِ فِي مُتُونِ ٱلغَوادِي .
هٰكَذا ٱنتَهَى دائِرُ ٱلكَونِ، مِن حَيثُ ٱنتَهَى عادَ راجِعاً لِلمَبادِي !

---

١ العُوَّاد ج عائد: الذي يزور المريض. ٢ الغُلّة : العطش . الصادي : العطشان .

ميزة شعره : شعر الرصافي فضلاً عن متانة لغته وسهولتها، ورصانة أسلوبه، يساير العصر ومطالبه وان لم يهمل الابواب الشعرية القديمة . والرصافي حيّ العاطفة يتطلب القوافي الموسيقية إلا ان شعره ولاسيما ما نظم منه في العهد الاول لا يخلو من اضطراب وحشو .

فوزي المعلوف (١٨٩٩ ـ ١٩٣٠ م/١٣١٧ ـ ١٣٤٩ ﻫ)

[شاعر لبناني ولد في زحلة ودرس في الكلية الشرقية ثم في معهد الاخوة ببيروت . هاجر الى البرازيل وتوفي وهو في الحادية والثلاثين من عمره « فمرّ بالارض — كما يقول طه حسين — مرّاً سريعاً كما تمرّ النسمة الهادئة الحلوة الوديعة التي تحمل على هدوئها وحلاوتها وعلى دعتها وعذوبتها خصباً كثيراً . . . او قل انه مرّ بالارض مسرعاً كما تمرّ نغمة الغناء، او كما يمرّ لحن الموسيقى، فمضى الى حيث لا يعلم أحد . ولكنه ترك في النفوس صدى يتردد فيها حلواً لاذعاً محرقاً معاً . . . »]

٣٥٩ على بساط الريح

[في صيف سنة ١٩٢٦ ركب الشاعر متن طيارة كانت على شواطئ « كوااروجا » في ريو دي جنيرو للنزهة، فأثرت فيه تلك الرحلة الجوية فنظم قصيدته الطويلة « على بساط الريح » وهي ذات أربعة عشر نشيداً . فوصف رحلة خيالية اخترق فيها عالم الفضاء. والتقى بالطيور والنجوم والارواح، ونثر فيما بينها آراءه المتشائمة في الارض ومن عليها :]

النشيد الرابع : حلم فحقيقة

يَا طُيُورَ ٱلسَّمَاءِ فِي ٱلرِّيحِ رُوحِي
بِي جَرِيًا عَلَى ٱلْجَلَدْ

وَبِجِسْمِي طِيرِي إلى حَيثُ رُوحي
فيهِ تَحيا بِلا جَسَدْ

هُوَ حُلْمٌ مُجَنَّحٌ، رافَقَ الشَّا عِرَ يَطوي الأَجيالَ جيلاً فَجيلا
خَلَقَتْ يَقْظَةُ العُقولِ جَناحَيْـ ـنِ عَلَيْهِ يُحَيِّرانِ العُقولا
ما هُما مِنْ خُرافَةٍ وَخَيالٍ، بَلْ هُما مِنْ حَقيقَةٍ وَهَيُولى
صَعِدِ الطَّرْفَ في الأَثيرِ تَجِدْني قاطِعاً في الأَثيرِ مِيلاً فَميلا
خَبَباً تارَةً، وَطَوْرًا وَنيدًا، صُعُدًا مَرَّةً، وَأُخْرى نُزُولا
فَوْقَ طَيَّارَةٍ عَلى صَهَواتِ الرِّيحِ راحَتْ تُرَوِّضُ المُسْتَحيلا
هِيَ طَيْرٌ مِنَ الجَمادِ، كَأَنَّ الـ ـجِنَّ في صَدْرِها تَحُثُّ خُيُولا
حَمْحَمَتْ تَضْرِبُ الرِّياحَ بِنَعْلَيْـ ـها، فَشَقَّتْ إلى السَّماءِ سَبيلا
ثُمَّ مَدَّتْ إلى النُّجومِ جَناحَيْـ ـها، وَجَرَّتْ عَلى السَّحابِ ذُيولا
غَرِقَتْ في الأَصيلِ حيناً، وَعامَتْ بَعْدَ حينٍ، تَعلو قَليلاً قَليلا
تَرْتَدي مِنْ دُخانِها بُرْدَةَ اللَّيْـ ـلِ، وَتُلْقي عَنْ مَنْكِبَيْها الأَصيلا
وَعَلَيْها مِنَ الشَّرارِ نُجومٌ عَقَدَتْ حَوْلَ رَأْسِها إكْليلا
حَلِّقي، حَلِّقي، وَأَلْقي عَلى الأَفْـ ـلاكِ رُعْباً وَرَوْعَةً وَفُضولا
وَاشْهَدي في الطُّيورِ كَرًّا وَفَرًّا وَاسْمَعي في النُّجومِ قالاً وَقيلا!

النشيد السابع: قرب النجوم

وَانْبَرَتْ نَجْمَةٌ لِأُخْرى تَقُولُ:
«مَنْ يَحُومُ مِنَ البَعيدْ؟
أَهُوَ نَجْمٌ مُذَنَّبٌ، أَمْ دَخيلُ
في النُّجومْ، وَما يُريدْ؟

هُوَ يَنقَضُّ كَالصَّوَاعِقِ مُنطَا دًا إِلَينَا، وَالهَولُ مِلْءُ وِشَاحِهْ [1]
بَيْنَ بَرْقٍ مِنَ الشَّرَارَاتِ وَمَّا ضٍ، وَرَعْدٍ مُلَعْلِعٍ فِي صِيَاحِهْ! [2]
أَنظُرِيهِ يَدنُو وَيَدنُو، فَهَلْ غَلْـ ـغَلَ فِي جَوِّنَا بِقَصْدِ اكْتِسَاحِهْ؟» [3]
يُنطِقُ الخَوفُ كُلَّ عَيٍّ وَهٰذِي رَعْشَةُ النَّجْمِ عَجَّلَتْ بِافْتِضَاحِهْ.
وَإِذَا نَجْمَةٌ تُجِيبُ: «وَقَاكِ البُعْدُ، أُخْتِي، شَرَّ انطِلَاقِ جَنَاحِهْ،
هُوَ تَحْتَ السَّدِيمِ أَعْجَزُ عَنْ أَنْ يَبْلُغَ النَّجْمَ فَوقَ مَتْنِ رِيَاحِهْ، [4]
هُوَ مَخْلُوقُ عَالَمٍ إِسْمُهُ الأَرْ ضُ، يُغَطِّي الشَّقَاءُ كُلَّ بِطَاحِهْ،
عَالَمٍ مَا شِعَارُهُ غَيْرَ أَنَّ الْـ ـحَقَّ لِلْقُوَّةِ الَّتِي فِي سِلَاحِهْ؛
لَا تَخَافِي مِنْهُ، وَخَلِّيهِ يَعْلُو، فَقَرِيبًا يَهْوِي صَرِيعَ كِفَاحِهْ!»
– إِيهِ يَا نَجْمَتِي أَلَمْ تَعْرِفِينِي شَاعِرًا يُنصِتُ الدُّجَى لِنُوَاحِهْ؟
كَمْ لَيَالٍ فِي الرَّوْضِ أَحْيَيْتُهَا أَبْـ ـكِي، وَأَشْكُو إِلَيْكِ بَيْنَ أَقَاحِهْ، [5]
سَاكِبًا فِي الفُؤَادِ مِنْ طَرْفِكِ السَّيَّا لِ بِالنُّورِ بَلْسَمًا لِجِرَاحِهْ،
وَسَوَادُ الظَّلَامِ فِي قَلْبِيَ حِبْـ ـرٌ أُوَشِّي بِهِ بَيَاضَ صَبَاحِهْ.
سَامَحَ اللهُ فِيكِ قَلْبًا نَسِيًّا، هُوَ فِي الكَوْنِ مِثْلُ قَلْبِ مِلَاحِهْ.

النشيد الثامن : أوراق متناثرة

نَجْمَةَ اللَّيلِ، رَحْمَةً، فَضُلُوعِي
مِنْ شُجُونِي تَتَمَزَّقْ.
كَفْكِفِي السَّيلَ، إِنَّهُ فِي دُمُوعِي
مِنْ عُيُونِي يَتَدَفَّقْ.

١ انطاد : صعد في الهواء . ٢ لعلع الرعد : صوّت . ٣ غلغل في الجوّ : دخل .
٤ السديم : ما يظهر في نواحي السماء كأنه لطخة بياض . والضباب الرقيق . ٥ أقاحه : الأقاح ج أقحوانة؛ والأقحوان من نبات الربيع له زهر ابيض ووسطه اصفر، طيّب الرائحة .

وَاذْكُرِينِي بَيْنَ الْكَوَاكِبِ، وَادْعِي   لِي، عَسَى يَهْتَدِي إِلَيَّ السَّلَامُ
عِشْتُ بَيْنَ الْمُنَى، يُرَاوِدُ نَفْسِي   خُلَّبٌ مِنْ طُيُوفِهَا وَعِقَامُ، ١
أَقْتَفِيهَا وَفِي يَدَيَّ فُؤَادِي،   ثُمَّ أَلْوِي وَفِي يَدَيَّ حُطَامُ!
أَيُّ حُلْمٍ سَبَكْتُهُ ذَهَبًا   لَمْ تُذِبْهُ بِنَارِهَا الْأَيَّامُ؟
وَرَجَاءٍ حَبَكْتُهُ مِنْ خُيُوطِ النُّورِ، لَمْ يَنْسَدِلْ عَلَيْهِ ظَلَامُ؟
أَيُّ عُودٍ حَمَلْتُهُ لِلتَّلَهِّي   لَمْ تُقَطِّعْ أَوْتَارَهُ الْآلَامُ؟
وَنَشِيدٍ وَقَّعْتُهُ لِلتَّأَسِّي   لَمْ يُعَكِّرْهُ بِالْأَنِينِ الْغَرَامُ؟
أَيُّ كَأْسٍ قَرَّبْتُهُ مِنْ شِفَاهِي   لَمْ تُحِلْ حَنْظَلًا عَلَيْهِ الْمُدَامُ؟
وَفُؤَادٍ ذَوَّبْتُ فِيهِ فُؤَادِي   لَمْ يَضِعْ عِنْدَهُ لِعَهْدِي ذِمَامُ؟
أَيُّ طَيْفٍ عَانَقْتُهُ فِي مَنَامِي   لَمْ يُكَلِّلْهُ دَمْعُ عَيْنِي السِّجَامُ؟
وَهَنَاءٍ زَرَعْتُهُ فِي ضُلُوعِي   لَمْ يَكُنْ مِنْهُ لِلذُّبُولِ طَعَامُ؟
لَيْتَ شِعْرِي، وَاللَّيْلُ يَعْقُبُهُ الْفَجْرُ، مَتَى يَعْقُبُ الْبُكَاءَ ابْتِسَامُ؟
ضَاعَ عُمْرِي سَعْيًا وَرَاءَ رُسُومٍ   خَطَّطَتْهَا فِي الشَّاطِئِ الْأَقْدَامُ،
عِشْتُ أَبْنِي عَلَى الرِّمَالِ، وَهَلْ يَثْبُتُ كَوْنٌ لَهُ الرِّمَالُ دِعَامُ؟

ميزة شعره: قال الاستاذ انيس الخوري المقدسي «ظهر في الشعر العربي الحديث نوع من الشعر التأملي هو هذه الرحلات الى الملإ الاعلى . . . وفيها يطير الشاعر على اجنحة الخيال، فيجوب الفضاء ويحدثنا عن عالم الارواح، ويسمعنا من غرائب الحكمة ما يحرّك فينا روح التأمل ويوسع امامنا مدى الخيال . . . (ومن تلك الرحلات) هذه المنظومة الرائعة التي نظمها فوزي المعلوف وهو لم يناهز الثلاثين . والفكرة الاساسية فيها ان موطن الشاعر الحقيقي هو الفضاء، فهو ابدًا يتوق الى الانعتاق من عبودية الارض ليتمتع بحرية الحياة العليا . وقد تم ذلك لشاعرنا في حلم اذ خيل إليه انه على متن طيارة يصعّد في الجوّ . وفي تصعيده يسمع أحاديث الطيور والنجوم والارواح عن الانسان والعالم الارضي . . . » ولقد وفق الشاعر ايما توفيق في ملحمته الرائعة المتميزة بعمق الفكرة وقوة التحليل والتخيل وبتعبيرها المنسجم في موسيقاه العذبة وبقوة الخلق والابداع .

١ راودَه على الامر : اراده عليه وداورَه . الخُلَّب من السحاب : الذي لا مطر فيه ، ويستعار للخادع . العِقام ج عقيم ومعناه هنا الذي لا خير فيه ولا نفع .

خليل مطران (١٨٧٢ _ ١٩٤٩ م/١٢٨٩ _ ١٣٦٩ هـ)

[ولد في بعلبك، وتخرّج على الشيخين اليازجيين خليل وابراهيم في الكلية البطريركية ببيروت، وحصّل ثقافة عربية وأوروبية واسعة، يغلب عليها عنصر التأمل والتفكير والنظر . ولما اصطدم بالمدنية الغربية في باريس أدرك فيها من المعاني والمثل العليا ما جعله يأسف لحال بلاده الرازحة تحت النير التركيّ . وانفتحت أمامه آفـاق التحرر والانطلاق في الادب ايضاً فقال : « ان خطة العرب في الشعر لا يجب حتماً ان تكون خطتنا ... يجب ان يكون شعرنا ممثـلاً لتصوّرنا وشعورنا لا تصوّرهم وشعورهم » . وسار في سبيله هذا – وإن احوجته الظروف والمناسبات الى الميل عنه احياناً – فأتى بالروائع الفنّية الخالدة التي قلّما عرف لها الادب العربي نظائر . وطلع علينا « ليس شاعراً فقط – على حد قول أحمد الشايب – او هو شاعر من هذا الطراز المثقف، هو عالم وأديب . صياغة بديعة، وشعور صادق، وخيال عام، وأفكار سديدة . فإذا التمست عند حافظ وشوقي الجمال الفني فالتمسه عند مطران والتمس معه اللذة العقلية وغذاء الفكر والعاطفة او غذاء النفس جماء » .]

شاعر الوجدان :

٣٦٠ المساء

[في شهر تموز من سنة ١٩٠٢ نظم الشاعر قصيدته التاليـة، وهو عليل في مكس الاسكندرية، فوصف فيها داءيه : داء جسده وداء قلبه :]

دَاءٌ أَلَمَّ فَخِلْتُ فِيهِ شِفَائِي مِنْ صَبْوَتِي، فَتَضَاعَفَتْ بُرَحَائِي [1]

١ ألمّ به : نزل به وزاره زيارة يسيرة ؛ صبوتي : حنيني وشوقي؛ برحائي : شدّة أذاي .

يَا لَلضَّعِيفَيْنِ! اسْتَبَدَّا بِي، وَمَا فِي الظُّلْمِ مِثْلُ تَحَكُّمِ الضُّعَفَاءِ [١]
قَلْبٌ أَذَابَتْهُ الصَّبَابَةُ وَالْجَوَى، وَغِلَالَةٌ رَثَّتْ مِنَ الأَدْوَاءِ [٢]
وَالرُّوحُ بَيْنَهُمَا نَسِيمُ تَنَهُّدٍ فِي حَالَيِ التَّصْوِيبِ وَالصُّعَدَاءِ [٣]
وَالْعَقْلُ كَالْمِصْبَاحِ يَغْشَى نُورَهُ كَدَرِي، وَيُضْعِفُهُ نُضُوبُ دِمَائِي [٤]
هٰذَا الَّذِي أَبْقَيْتِهِ، يَا مُنْيَتِي، مِنْ أَضْلُعِي وَحُشَاشَتِي وَذَكَائِي [٥]
عُمْرَيْنِ فِيكِ أَضَعْتُ، لَوْ أَنْصَفْتِنِي لَمْ يَجْدُرَا بِتَأَسُّفِي وَبُكَائِي [٦]
عُمْرَ الْفَتَى الْفَانِي، وَعُمْرَ مُخَلَّدٍ بِبَيَانِهِ لَوْلَاكِ فِي الأَحْيَاءِ
فَغَدَوْتُ لَمْ أَنْعَمْ كَذِي جَهْلٍ، وَلَمْ أَغْنَمْ كَذِي عَقْلٍ ضَمَانَ بَقَاءِ...
إِنِّي أَقَمْتُ عَلَى التَّعِلَّةِ بِالْمُنَى فِي غُرْبَةٍ قَالُوا: تَكُونُ دَوَائِي [٧]
إِنْ يَشْفِ هٰذَا الْجِسْمَ طِيبُ هَوَائِهَا، أَيُلَطِّفُ النِّيرَانَ طِيبُ هَوَاءِ؟ [٨]
أَوْ يُمْسِكِ الْحَوْبَاءَ حُسْنُ مُقَامِهَا، هَلْ مَسْكَةٌ فِي الْبُعْدِ لِلْحَوْبَاءِ؟ [٩]
عَبَثٌ طَوَافِي فِي الْبِلَادِ، وَعِلَّةٌ فِي عِلَّةٍ مَنْفَايَ لِاسْتِشْفَاءِ: [١٠]
مُتَفَرِّدٌ بِصَبَابَتِي، مُتَفَرِّدٌ بِكَآبَتِي، مُتَفَرِّدٌ بِعَنَائِي [١١]
شَاكٍ إِلَى الْبَحْرِ اضْطِرَابَ خَوَاطِرِي فَيُجِيبُنِي بِرِيَاحِهِ الْهَوْجَاءِ [١٢]
ثَاوٍ عَلَى صَخْرٍ أَصَمَّ، وَلَيْتَ لِي قَلْبًا كَهٰذِي الصَّخْرَةِ الصَّمَّاءِ [١٣]
يَنْتَابُهَا مَوْجٌ كَمَوْجِ مَكَارِهِي وَيَفُتُّهَا كَالسُّقْمِ فِي أَعْضَائِي [١٤]

---

١ ان الضعيفين هما داؤه وصبوته. ٢ الصبابة: رقة الشوق؛ والجوى الحرقة وشدة الوجد من حبّ شديد؛ الغلالة: الثوب الرقيق الشفاف يريد بها جسمه النحيل. ٣ التصويب والصعداء: حركتا التنفس من استنشاق الهواء واخراجه من الصدر. ٤ يغشى: يغطّي؛ نضوب دمائي: يبوستها وجفافها. ٥ المنية: البغية والمراد؛ حشاشتي: بقيّة روحي. ٦ لو أنصفتني: اديت اليّ العدل من نفسك؛ لم يجدرا: لم يليقا. ٧ التعلّة: ما يشتغل به المرء ويلهى. ٨ أيلطّف النيران طيب هواء: هل يخفف حدّتها. ٩ يمسك الحوباء: يحفظ النفس. ١٠ عبث: كل لعب لا لذة فيه ويراد به هنا: ما لا فائدة فيه؛ الاستشفاء: طلب الشفاء. ١١ الكآبة: سوء الحال والانكسار من الحزن. ١٢ الرياح الهوجاء: الشديدة الهبوب حتى تقلع البيوت. ١٣ ثاوٍ: مقيم؛ صخر اصمّ: شديد الصلابة. ١٤ ينتابها: يأتيها مرة بعد أخرى؛ مكارهي: جمع مكرهة وهي ما يدعو الى الكراهية اي المقت والبغض ويراد بها هنا المصائب.

وَٱلْبَحْرُ خَفَّاقُ ٱلْجَوَانِبِ، ضَائِقٌ   كَمَدًا، كَصَدْرِي سَاعَةَ ٱلْإِمْسَاءِ
تَغْشَى ٱلْبَرِيَّةَ كُدْرَةٌ، وَكَأَنَّهَا   صَعِدَتْ إِلَى عَيْنَيَّ مِنْ أَحْشَائِي [1]
وَٱلْأُفْقُ مُعْتَكِرٌ، قَرِيحٌ جَفْنُهُ   يُغْضِي عَلَى ٱلْغَمَرَاتِ وَٱلْأَقْذَاءِ
يَا لَلْغُرُوبِ وَمَا بِهِ مِنْ عَبْرَةٍ   لِلْمُسْتَهَامِ، وَعِبْرَةٍ لِلرَّائِي!! [2]
أَوَ لَيْسَ نَزْعًا لِلنَّهَارِ، وَصَرْعَةً   لِلشَّمْسِ بَيْنَ مَآتِمِ ٱلْأَضْوَاءِ؟ [3]
أَوَ لَيْسَ طَمْسًا لِلْيَقِينِ، وَمَبْعَثًا   لِلشَّكِّ، بَيْنَ غَلَائِلِ ٱلظَّلْمَاءِ؟ [4]
أَوَ لَيْسَ مَحْوًا لِلْوُجُودِ إِلَى مَدًى،   وَإِبَادَةً لِمَعَالِمِ ٱلْأَشْيَاءِ؟ [5]
حَتَّى يَكُونَ ٱلنُّورُ تَجْدِيدًا لَهَا   وَيَكُونَ شِبْهَ ٱلْبَعْثِ عَوْدُ ذُكَاءِ؟ [6]
وَلَقَدْ ذَكَرْتُكِ، وَٱلنَّهَارُ مُوَدِّعٌ،   وَٱلْقَلْبُ بَيْنَ مَهَابَةٍ وَرَجَاءِ [7]
وَخَوَاطِرِي تَبْدُو تُجَاهَ نَوَاظِرِي   كَلْمَى، كَدَامِيَةِ ٱلسَّحَابِ إِزَائِي. [8]
وَٱلدَّمْعُ مِنْ جَفْنِي يَسِيلُ مُشَعْشَعًا   بِسَنَى ٱلشُّعَاعِ ٱلْغَارِبِ ٱلْمُتَرَائِي [9]
وَٱلشَّمْسُ فِي شَفَقٍ يَسِيلُ نُضَارُهُ   فَوْقَ ٱلْعَقِيقِ، عَلَى ذُرًى سَوْدَاءِ [10]
مَرَّتْ خِلَالَ غَمَامَتَيْنِ تَحَدُّرًا   وَتَقَطَّرَتْ كَٱلدَّمْعَةِ ٱلْحَمْرَاءِ
فَكَأَنَّ آخِرَ دَمْعَةٍ لِلْكَوْنِ، قَدْ   مُزِجَتْ بِآخِرِ أَدْمُعِي لِرِثَائِي
وَكَأَنَّنِي آنَسْتُ يَوْمِيَ زَائِلًا   فَرَأَيْتُ فِي ٱلْمِرْآةِ كَيْفَ مَسَائِي! [11]

---

١ الكُدرة : عدم الصفاء في اللون . ٢ العَبرة الاولى : الدمعة ؛ والعِبرة الثانية : العظة ؛ المستهام : المغرم . ٣ نزعاً : هنا الاشراف على الموت ، الاحتضار؛ وصرعة : المرّة من صرعه : طرحه على الارض . ٤ اليقين : العلم بحقيقة الشيء مع انتفاء الريب؛ الشك : التردد بين امرين بلا ترجيح لاحدهما على الآخر . ٥ المدى : الغاية؛ والمعالم جمع معلم وهو الاثر يستدل به على الطريق اراد بها ما يظهر من الاشياء عند اشراق النور عليها . ٦ ذكاء : علم الشمس . ٧ المهابة : الخوف مع الاجلال . ٨ كلمى : جرحى . ٩ مشعشعاً : ممزوجاً؛ سنى : نور . ١٠ الشفق : بقية ضوء الشمس وحمرتها في اول الليل الى العتمة ؛ النُضار : الذهب ؛ العقيق : الخرز الاحمر ؛ الذرى ج ذروة وهي اعلى كل شيء . يقول الشاعر : كانت الشمس في شفق اجتمعت فيه صفرة الذهب وحمرة العقيق على مرتفعات سوداء. ١١ آنستُ : شاهدتُ . يقول : ان ذلك المشهد كان ازاءه كالمرآة يشاهد فيها زوال يومه واقبال مساء حياته .

٣٦١ الاسد الباكي

[اصل العنوان « ساعة يأس » ولكن اجماع القراء بعد نشر القصيدة أطلق عليها اسم « الاسد الباكي » قالها الشاعر وقد اعتكف في مصر الجديدة حين تأسيسها، واسمها حينئذٍ « عين شمس » وبثَّ بها حزناً دوياً كان قد انتابه .]

دَعَوْتُكَ أَسْتَشْفِي إِلَيْكَ فَوَافِنِي ... عَلَى غَيْرِ عِلْمٍ مِنْكَ أَنَّكَ لِي آسِ ١
فَإِنْ تَرَنِي، وَالْحُزْنُ مِلْءُ جَوَانِحِي ... أُدَارِيهِ، فَلْيَغْرُرْكَ بِشْرِي وَإِينَاسِي ٢
وَكَمْ فِي فُؤَادِي مِنْ جِرَاحٍ ثَخِينَةٍ ... يُحَجِّبُهَا بُرْدَايَ عَنْ أَعْيُنِ النَّاسِ ! ٣
إِلَى « عَيْنِ شَمْسٍ » قَدْ لَجَأْتُ، وَحَاجَتِي ... طَلَاقَةُ جَوٍّ لَمْ يُدَنَّسْ بِأَرْجَاسِ
أُسَرِّي هُمُومِي بِانْفِرَادِيَ، آمِنًا ... مَكَايِدَ وَاشٍ أَوْ نَمَائِمَ دَسَّاسِ ٤
يَخَالُونَ أَنِّي فِي مَتَاعٍ حِيَالَهَا، ... وَأَيُّ مَتَاعٍ فِي جِوَارٍ لِدِيمَاسِ ؟ ٥
أَرَى رَوْضَةً، لَكِنَّهَا رَوْضَةُ الرَّدَى، ... وَأُصْغِي، وَمَا فِي مِسْمَعِي غَيْرُ وَسْوَاسِ ٦
وَأَنْظُرُ مِنْ حَوْلِي مُشَاةً وَرُكَّبًا ... عَلَى مُزْجَيَاتٍ مِنْ دُخَانٍ وَأَفْرَاسِ ٧
كَأَنِّيَ فِي رُؤْيَا يُزَفُّ الْأَسَى بِهَا ... طَوَائِفَ جِنٍّ فِي مَوَاكِبِ أَعْرَاسِ . . .
هُنَالِكَ أُبِيحُ الشَّجْوَ نَفْسًا مَنِيعَةً ... عَلَى الضَّيْمِ، مَهْمَا فَلَّ الضَّيْمُ مِنْ بَاسِي ٨
يَمُرُّ بِيَ الْإِخْوَانُ فِي خَطَرَاتِهِمْ، ... أُولَئِكَ عُوَّادِي، وَلَيْسُوا بِجُلَّاسِي ٩
أَهَشُّ إِلَيْهِمْ مَا أَهَشُّ تَلَطُّفًا، ... وَفِي النَّفْسِ مَا فِيهَا مِنَ الْحُزْنِ وَالْيَاسِ ! ١٠
ذَرُونِي وَانْجُوا مِنْ شَظَايَا تُصِيبُكُمْ ... إِذَا لَمْ أُطِقْ صَبْرًا فَأَطْلَقْتُ أَنْفَاسِي ١١

---

١ استشفى : طلب الشفاء؛ وافاه : جاءه؛ آس : مداوي الجراح . ٢ الجوانح : الاضلاع التي تحت الترائب مما يلي الصدر . ٣ ثخينة بمعنى مثخنة من اثخنته الجراحة : اوهنته واثقلته؛ البرد : الثوب المخطط والمراد بالبردين هنا البشر والايناس . ٤ اسرّي : اكشف؛ الواشي : النمّام؛ النائم : الوشايات والسعايات . ٥ المتاع : اسم للتمتيع؛ الديماس : مكان عميق لا ينفذ اليه الضوء . والقبر ٦ الردى : الهلاك؛ المِسمَع : الاذن؛ الوسواس : مرض يحدث من غلبة السوداء ويختلط معه الذهن . ٧ مزجيات : ركائب مسوقة . ٨ الشجو : الحزن؛ منيعة : قويّة . الضيم : القهر والظلم؛ فلّ : كسر؛ باسي مخفف عن بأسي اي قوّتي . ٩ العوّاد ج عائد وهو الزائر في المرض . ١٠ اهش : ابتسم . ١١ شظايا ج شظيّة وهي كل ما تكسّر وتشقّق من العظم ونحوه .

فَإِنِّي، عَلَى مَـا نَالَنِي مِنْ مَسَاءَةٍ، ... لَأَرْحَمُ صَحْبِي أَنْ يُلِمَّ بِهِمْ بَاسِي ١
ذَرُونِيَ لَا يَمْلِكْ وَجِيفِي قُلُوبَكُمْ ... إِذَا مَرَّ ذَاكَ ٱلطَّيْفُ وَٱدَّكَرَ ٱلنَّاسِي ٢
فَتَاللهِ لَوْلَا ذٰلِكَ ٱلطَّيْفُ وَٱلْهَوَى ... لَهُ مُسْعِدٌ، لَمْ يَمْلِكِ ٱلدَّهْرُ تَعَاسِي
ذَرُونِيَ أَحْسُ ٱلْخَمْرَ غَيْرَ مُنَفَّرٍ ... عَنِ ٱلْوِرْدِ مِنْهَا نَفْرَةَ ٱلطَّائِرِ ٱلْحَاسِي ٣
فَرُبَّتَ كَأْسٍ عَنْ شِفَاهِي رَدَدْتُهَا ... وَقَدْ قَتَلَ ٱلدَّمْعُ ٱلسُّلَافَةَ فِي ٱلْكَاسِ! ٤
ذَرُونِي أُنَكِّسْ هَامَتِي غَيْرَ مُتَّقٍ ... مَلَامَـةَ رُوَّادٍ وَشُبْهَةَ جُوَّاسِ ٥
فَفِي حُرَّةٍ بِـكْرٌ ضُلُوعِي سِيَاجُهَا، ... أَرَاشَ عَلَيْهَا سَهْمَهُ مُعْتَدٍ قَـاسِ ٦
أُعِيدُ إِلَيْهَا كُلَّ حِينٍ نَوَاظِرِي ، ... وَأَخْفِضُ مِنْ عَطْفٍ عَلَى جُرْحِهَا رَاسِي
يَكَادُ يَبُثُّ ٱلْمَجْدُ مَا لَا أَبُثُّهُ ... مِنَ ٱلسُّقْمِ ٱلْعَوَّادِ وَٱلسَّأْمِ ٱلرَّاسِي
أَنَا ٱلْأَلَمُ ٱلسَّاجِي، لِبُعْدِ مُزَافِرِي، ... أَنَا ٱلْأَمَلُ ٱلدَّاجِي، وَلَمْ يَخْبُ نِبْرَاسِي، ٧
أَنَا ٱلْأَسَدُ ٱلْبَاكِي، أَنَا جَبَلُ ٱلْأَسَى، ... أَنَا ٱلرَّمْسُ يَمْشِي دَامِياً فَوْقَ أَرْمَاسِ! ٨
فَيَا مُنْتَهَى حُبِّي إِلَى مُنْتَهَى ٱلْمُنَى، ... وَنَغْمَةَ فِكْرِي فَوْقَ شِقْوَةِ إِحْسَاسِي ،
دَعَوْتُكَ أَسْتَشْفِي إِلَيْكَ فَوَافِنِي ... عَلَى غَيْرِ عِلْمٍ مِنْكَ أَنَّكَ لِي آسٍ!

٣٦٢ وفاة عزيزين

[قال خليل بك مطران موطّئاً لهذه القصيدة : « قدم المرحوم يوسف مطران نجل المرحوم حبيب باشا مطران مدينة القاهرة في شهر يوليو (تموز) سنة ١٨٩٥ تصحبه عروسه ... فلم يكادا يستقرّان من وعثاء السّفر ... حتى شعرت تلك

١ يلمّ : يصيب . البأس : العذاب الشديد ٢ وجيفي : اضطرابي . ٣ حسا الشراب : شربه شيئاً بعد شيء ؛ الورْد : اتيان الماء . ٤ قتل الخمرة : مزجها بالماء وقد اعتاض الشاعر عن الماء بدمعه . ٥ انكّس : اخفض ؛ متّق : خائف ؛ الروّاد ج رائد ومعناه هنا الطالب ؛ الجوّاس ج جائس وهو الـذي يتخلل الدار فيطلب مـا فيها . ٦ حرة بكر : اراد بها الشاعر نفسه ومهجته ؛ اراش بمعنى راش السهمَ : الزق عليـه الريش . ٧ الساجي : الساكن ؛ المزافر ج مُزفَر اي التنفس بعد مـد النفَس ؛ الداجي : المظلم ؛ لم يَخْبُ : لم ينطفىء ؛ نبراسي : مصباحي . ٨ الاسى : الحزن؛ الرمس : القبر .

السيّدة بآلام قضت بدعوة الطبيب فوصف لها أدوية منها دواء سامّ ناولها إياه زوجها بيده خطأ . . . ، فلم تعش بعد تلك الكأس إلا أياماً رأينا فيها من شرف أخلاق تلك العقيلة الفاضلة . . . ما لم نكن لنتخيّله إلا في ملاك كريم يقيم في عالم غير هذا العالم . وقضى الوفاء على ذاك البعل الشريف . . . ان يلازم الحزن على تلك الفقيدة العزيزة الى أن قيّض الله له لقاءها قبل انقضاء عام على مصابه بها ، فتوفّي الى رحمة مولاه . . . فرثيتُ الفقيدين رثاء جامعاً بعد ان تلطّفت جمرة الاسف قليلاً على توالي الايام ، وأمكن القلب ان يملي بعض ما فيه والفكر ان يصوغ الكلام . » والقصيدة قسمان كبيران نثبت الاول منها :]

أَنَا فِي ٱلرَّوْضِ سَاهِرٌ ، وَهُوَ نَائِمْ   بَاتَ فِي قُرَّةِ ٱلدُّجَى وَهْوَ نَاعِمْ ، [1]
كُلَّمَا جِئْتُهُ وَقَلْبِيَ بَاكٍ   رَقَّ دَمْعِي كَمَائِهِ فَهْوَ بَاسِمْ ؛
أَبْتَغِي فِيهِ سَلْوَةً مِنْ مُصَابٍ   لَمْ يُلَطِّفْهُ عَهْدُهُ ٱلْمُتَقَادِمْ .
يَا لَعَزْمِي مِنَ ٱلْأَسَى وَلَحِلْمِي   أَسْعِدَانِي عَلَى ٱلرَّزَايَا ٱلْغَوَاشِمْ ؛ [2]
غَلَبَتْنِي صُرُوفُ دَهْرِي عَلَى صَبْـرِي ، وَأَفْنَتْهُ نَارُهَا فِي ٱلْمَلَاحِمْ ؛ [3]
أَلْأَمَانَ ، ٱلْأَمَانَ ! أَلْقَيْتُ سَيْفِي   وَطَوَيْتُ ٱللِّوَاءَ تَسْلِيمَ رَاغِمْ ،
خَانَ عَزْمِي ٱلشَّبَابُ ، وَٱقْتَصَّ ضُعْفِي   مِنْ ثَبَاتِي ، فَكَيْفَ مِثْلِي يُقَاوِمْ !
إِنَّ مَنْ سَيْفُهُ شَبَابٌ نَضِيرٌ   فَعُيُوبُ ٱلشَّبَابِ فِيهِ مَثَالِمْ ،
وَٱلَّذِي دِرْعُهُ فُؤَادٌ رَقِيقٌ   فَجَرِيحٌ إِنْ يُقْتَحَمْ أَوْ يُقَاحِمْ .
أَيُّهَا ٱلرَّوْضُ كُنْ لِقَلْبِي سَلَاماً   وَمَلَاذاً مِنَ ٱلشَّقَاءِ ٱلْمُلَازِمْ .
مَا أَقَرَّ ٱلنَّدَى ، وَمَا أَلْعَبَ ٱلنُّو   رَ ، وَمَا أَجْزَعَ ٱلظِّلَالَ ٱلْحَوَائِمْ !
زَهَرٌ ذَابِلٌ ، كَأَنِّي أَرَاهُ   ثَمِلاً مِنْ أَنْفَاسِهِ فِي ٱلْكَمَائِمْ ؛ [4]
وَغَدِيرٌ صَافٍ أَقَامَ سِيَاجاً   حَوْلَهُ بَاسِقٌ مِنَ ٱلدَّوْحِ قَائِمْ ،

---

١ يقول : أنا في الرّوض ساهر تكتنفني الهموم ، والروض نائم ينعم بما توفّره له الدّجى من لذّة النوم والطمأنينة . ٢ الغواشم ج غاشمة وهي الظالمة . ٣ الملاحم ج ملحمة وهي الوقعة العظيمة في الحرب لالتحام الناس واختلاطهم فيها . ٤ الكمائم ج كمامة وهي غطاء الزّهر .

تَتَنَاغَى بِيضٌ مِنَ ٱلطَّيْرِ فِيهِ ، سَابِحَاتٍ، وَتَحْتَهَا ٱلنَّجْمُ عَائِمْ ،
كَيْفَمَا سِرْنَ فَٱلطَّرِيقُ عُقُودٌ نُظِمَتْ مِنْ مَحَاجِرٍ وَمَبَاسِمْ .[1]
حَبَّذَا ٱلْبَدْرُ مُؤْنِساً يَتَجَلَّى كَحَبِيبٍ بَعْدَ ٱلتَّغَيُّبِ قَادِمْ ؛
حَبَّذَا رَسْمُهُ ٱلْعَرَايَا كَأَبْهَى مَا تَرَى ٱلْعَيْنُ فِي صَحِيفَةِ رَاسِمْ ؛
حَبَّذَا ٱلْمَاءُ وَٱلْمَصَابِيحُ فِيهِ كَبَنَانٍ يَزِينُهَا بِخَوَاتِمْ !
جَنَّةٌ بَانَتِ ٱلْمَكَارِهُ عَنْهَا ، وَهْيَ بِكْرٌ مِنَ ٱلْأَذَى وَٱلْمَحَارِمْ ،[2]
إِنَّمَا أَهْلُهَا طُيُورٌ حِسَانٌ ، إِنْ دَعَاهَا ٱلصَّبَاحُ قَامَتْ تُنَادِمْ ،[3]
وَضِيَاءٌ يَمُوجُ فِي ٱلْمَاءِ حَتَّى لَتَرَاهُ كَأَنَّهُ مُتَلَاطِمْ ،
وَمُرُوجٌ مُدَبَّجَاتٌ كَوَشْيٍ أَتْقَنَتْ صُنْعَهُ حِسَانُ ٱلْمَعَاصِمْ ،[4]
وَغُصُونٌ تَهُزُّهَا نَسَمَاتٌ كَنُهُودٍ تَهُزُّهُنَّ رَوَائِمْ .[5]
هٰذِهِ عُزْلَتِي أَفِرُّ إِلَيْهَا مِنْ مَجَالِ ٱلْأَسَى وَمَجْرَى ٱلْمَظَالِمْ ؛
هٰهُنَا أَجْتَلِي مِثَالَيْنِ بَاتَا فِي سَمَاءٍ صَفَتْ وَرَاءَ ٱلْغَمَائِمْ ؛[6]
هٰهُنَا أَلْتَقِي بِطَيْفَيْ حَبِيبَيَّ ٱلدَّفِينَيْنِ فِي فُؤَادِي ٱلْوَاجِمْ ،[7]
حَيْثُ لَا عَيْنَ لِلرُّقَاءِ، وَلَا لِلْخُبْثِ أُذْنٌ، وَلَا فَمٌ لِلنَّمَائِمْ .
لَمْ يَحُلْ بَيْنَنَا ٱلْحِمَامُ، وَحَالَتْ بَيْنَنَا ٱلنَّاسُ بِٱلنِّزَاعِ ٱلدَّائِمْ .

ميزة شعره : نفس شفافة عميقة الاحساس قوية الشعور عصرها الألم واذا بهـا تحلق في شرح ما اصابها جوًّا واسماً من الحزن، واذا الطبيعة كلها تتوجّع معها، واذا التشاؤم يتسرّب الى ذلك الجوّ . واول شيء يطالعنا في شعر مطران الوجداني هو « مطاوعـة الانفعال الشديد للاستجابة الحادثة التي تجعل للذهن مجالاً للتدخل لتصفية ألوان الإحساس، وضبط المشاعر والعمل على تناسب الخطوط بين الصورة من حيث كمالها وسكينتها وبين الأسلوب من حيث الوضوح والجزالة » وهذا ما يتيح لشاعرنا ان يبدع أيما ابداع في تحليل ما يعتلج في نفسه وتتبّع جزئيات المعاني وابراز العواطف المتسقة .

---

١ المحاجر ج محجر وهو موضع العين من الرأس . ٢ بان عنه : ابتعد . ٣ نادمه : جالسه على الشراب . ٤ الوشي : نقش الثوب . ٥ الروائم : الامهات الشفيقات . ٦ اجتلى الشيء : نظر اليه . ٧ الواجم : الساكت والعاجز عن التكلّم لشدّة الحزن .

شاعر التاريخ والاجتماع :

٣٦٣ مقاطعة

[نظمت لمّا بُدئ اضطهاد الاحرار وسُلّط قانون المطبوعات على الافكار]

شَرِّدُوا أَخْيَارَهَا بَحْرًا وَبَرًّا ، وَٱقْتُلُوا أَحْرَارَهَا حُرًّا فَحُرًّا
إِنَّمَا ٱلصَّالِحُ يَبْقَى صَالِحًا آخِرَ ٱلدَّهْرِ، وَيَبْقَى ٱلشَّرُّ شَرًّا
كَسِّرُوا ٱلْأَقْلَامَ، هَلْ تَكْسِيرُهَا يَمْنَعُ ٱلْأَيْدِيَ أَنْ تَنْقُشَ صَخْرَا؟
قَطِّعُوا ٱلْأَيْدِيَ، هَلْ تَقْطِيعُهَا يَمْنَعُ ٱلْأَعْيُنَ أَنْ تَنْظُرَ شَزْرَا ؟[1]
أَطْفِئُوا ٱلْأَعْيُنَ، هَلْ إِطْفَاؤُهَا يَمْنَعُ ٱلْأَنْفَاسَ أَنْ تَصْعَدَ زَفْرَا ؟
أَخْمِدُوا ٱلْأَنْفَاسَ، هٰذَا جُهْدُكُمْ، وَبِهِ مَنْجَاتُنَا مِنْكُمْ ... فَشُكْرًا !

٣٦٤ مقتل بزرجمهر[2]

[قال الشاعر : « اشتهر كسرى بالعدل، وكان بلا نزاع أعدل ما يكون الملك المطلق اليد في أحكام بلاده ؛ فإن كان ما وصفناه في هذه القصيدة احدى جنايات مثله في العادلين فما حال الملوك الظالمين ؟ »]

سَجَدُوا لِكِسْرَى إِذْ بَدَا إِجْلَالَا كَسُجُودِهِمْ لِلشَّمْسِ إِذْ تَتَلَالَا
يَا أُمَّةَ ٱلْفُرْسِ ٱلْعَرِيقَةَ فِي ٱلْعُلَى مَاذَا أَحَالَ بِكِ ٱلْأُسُودَ سِخَالَا ؟[3]
كُنْتُمْ كِبَارًا فِي ٱلْحُرُوبِ أَعِزَّةً، وَٱلْيَوْمَ بِتُّمْ صَاغِرِينَ ضِئَالَا[4]
عُبَّادَ « كِسْرَى » مَانِحِيهِ نُفُوسَكُمْ وَرِقَابَكُمْ وَٱلْعِرْضَ وَٱلْأَمْوَالَا[5]

---

١ نظر اليه شزراً : نظر اليه بمؤخر عينه نظر الغضبان . ٢ بزرجمهر : وزير كسرى أنوشروان العادل ينسب اليه كثير من الحكم . ٣ العريقة : الاصيلة؛ سخالاً جمع سخلة وهي ولد الشاة . ٤ اعزة : كراماً اقوياء؛ صاغرين : مهانين راضين بالذل؛ الضئال ج ضئيل وهو الصغير الحقير . ٥ العرض : موضع المدح والذم من الرجل .

تَسْتَقْبِلُونَ نِعَالَهُ بِوُجُوهِكُمْ ، وَتُعَفِّرُونَ أَذِلَّةً أَوْكَالَا [١]
أَلتِّبْرُ « كِسْرَى » وَحْدَهُ فِي فَارِسٍ وَيُعَدُّ أُمَّةَ فَارِسٍ أَرْذَالَا !
شَرُّ ٱلْعِيَالِ عَلَيْهِمِ ، وَأَعَقُّهُمْ لَهُمُ ، وَيَزْعُمُهُمْ عَلَيْهِ عِيَالَا [٢]
إِنْ يُؤْتِهِمْ فَضْلًا يَمُنَّ ، وَإِنْ يَرُمْ ثَأْرًا يُبِدْهُمْ بِٱلْعَدُوِّ قِتَالَا [٣]
وَإِذَا قَضَى يَوْمًا قَضَاءً عَادِلًا ضَرَبَ ٱلْأَنَامُ بِعَدْلِهِ ٱلْأَمْثَالَا
يَا يَوْمَ قَتْلِ « بُزُرْجُمُهْرَ » ، وَقَدْ أَتَوْا فِيهِ يُلَبُّونَ ٱلنِّدَاءَ عِجَالَا [٤]
مُتَأَلِّبِينَ لِيَشْهَدُوا مَوْتَ ٱلَّذِي أَحْيَا ٱلْبِلَادَ عَدَالَةً وَنَوَالَا [٥]
يُبْدُونَ بِشْرًا وَٱلنُّفُوسُ كَظِيمَةٌ يُجْفِلْنَ بَيْنَ ضُلُوعِهِمْ إِجْفَالَا [٦]
تَجْلُو أَسِرَّتَهُمْ بُرُوقُ مَسَرَّةٍ ، وَقُلُوبُهُمْ تَدْمَى بِهِنَّ نِصَالَا [٧]
وَإِذَا سَمِعْتَ صِيَاحَهُمْ وَدَوِيَّهُمْ لَمْ تَدْرِهِ فَرَحًا وَلَا إِعْوَالَا [٨]
وَيَلُوحُ « كِسْرَى » مُشْرِفًا مِنْ قَصْرِهِ شَمْسًا تُضِيءُ مَهَابَةً وَجَلَالَا [٩]
شَبَحًا « لِأُرْمُوزَ » ٱلْعَظِيمِ مُمَثِّلًا مَلِكًا يَضُمُّ رِدَاؤُهُ رِئْبَالَا [١٠]
يَزْهُو بِهِ ٱلْعَرْشُ ٱلرَّفِيعُ ، كَأَنَّهُ بِسَنَى ٱلْجَوَاهِرِ مُشْعَلٌ إِشْعَالَا [١١]
وَكَأَنَّ شُرْفَتَهُ مَقَامُ عِبَادَةٍ نُصِبَ ٱلتَّكَبُّرُ فِي ذُرَاهُ مِثَالَا [١٢]
وَكَأَنَّ لُؤْلُؤَةً بِقَائِمِ سَيْفِهِ عَيْنٌ تَعُدُّ عَلَيْهِمِ ٱلْآجَالَا [١٣]
مَا كَانَ كِسْرَى إِذْ طَغَى فِي قَوْمِهِ إِلَّا لِمَا خَلَقُوا بِهِ فَعَّالَا [١٤]

١ تعفرون وجوهكم : تمرغونها في التراب ؛ الاوكال ج وكل : العاجز الذي يكل امره الى غيره ويتكل عليه . ٢ العيال ج عيل : اهل بيت الرجل الذي يتكفل بهم؛ أعقهم : اكثرهم اساءة . ٣ يمنّ : يعد لهم ما فعله لهم من الاحسانات، كأن يقول لهم اعطيتكم وفعلت لكم؛ يبدهم : يهلكهم . ٤ بزرجمهر : ضبطت بهذا الشكل كما ينطق بها الفرس في لغتهم؛ عجالا ج عجلان وهو المستعجل . ٥ متألبين : متجمعين؛ نوالا : عطاء . ٦ بشراً : سروراً؛ كظيمة : مكظومة اي ممسكة على ما فيها من غيظ؛ يجفلن : ينفرن . ٧ تجلو : تصقل؛ الاسرّة ج سرار : وهو الخط في الجبهة . ٨ الاعوال : رفع الصوت بالبكاء . ٩ المهابة : الخوف مع الاجلال؛ الجلال : العظمة . ١٠ ارموز : اله الفرس الاكبر؛ رداؤه : ثوبه؛ رئبالا : اسداً . ١١ يزهو : يشرق؛ بسنى : بنور . ١٢ الشرفة من القصر : ما اشرف من بنائه؛ في ذراه : في اعاليه؛ او الذَّرا بفتح الذال بمعنى الجانب . ١٣ قائم السيف : مقبضه؛ الاجال ج اجل وهو منتهى الحياة . ١٤ طغى الرجل : تكبر وعتا من طغيان الماء اي ارتفاعه وتجاوز حده؛ خلقوا به : استحقوه

هُمْ حَكَّمُوهُ، فَاسْتَبَدَّ تَحَكُّماً، ‏ وَهُمُ أَرَادُوا أَنْ يَصُولَ، فَصَالَا [1]
وَالْجَهْلُ دَاءٌ قَدْ تَقَادَمَ عَهْدُهُ ‏ فِي الْعَالَمِينَ، وَلَا يَزَالُ عُضَالَا [2]
لَوْلَا الْجَهَالَةُ لَمْ يَكُونُوا كُلُّهُمْ ‏ إِلَّا خَلَائِقَ إِخْوَةً أَمْثَالَا
لَكِنْ خَفَضَ الْأَكْثَرِينَ جَنَاحَهُمْ ‏ رَفَعَ الْمُلُوكَ وَسَوَّدَ الْأَبْطَالَا [3]
وَإِذَا رَأَيْتَ الْمَوْجَ يَسْفُلُ بَعْضُهُ ‏ أَلْفَيْتَ تَالِيَهُ طَغَى وَتَعَالَى [4]
نَقْصٌ لِفِطْرَةِ كُلِّ حَيٍّ لَازِمٌ ‏ لَا يَرْتَجِي مَعَهُ الْحَكِيمُ كَمَالَا. [5]
وَإِذِ اسْتَوَى كِسْرَى، وَأَجْلَسَ دُونَهُ ‏ قُوَّادَهُ الْبُسَلَاءَ وَالْأَقْيَالَا [6]
صَعِدَتْ إِلَيْهِ مِنَ الْجَمَاعَةِ صَيْحَةٌ ‏ كَادَتْ تُزَلْزِلُ قَصْرَهُ زِلْزَالَا
وَإِذَا الْوَزِيرُ «بُزُرْجُمِهْرُ» يَسُوقُهُ ‏ جَلَّادُهُ مُتَهَادِياً مُخْتَالَا [7]
وَتَرُوحُ حَوْلَهُمَا الْجُمُوعُ وَتَغْتَدِي ‏ كَالْمَوْجِ وَهْوَ مُدَافِعٌ يَتَتَالَى [8]
سَخِطَ الْمَلِيكُ عَلَيْهِ إِثْرَ نَصِيحَةٍ ‏ فَاقْتَصَّ مِنْهُ غَوَايَةً وَضَلَالَا [9]
«أَبُزُرْجُمِهْرُ» حَكِيمُ فَارِسَ وَالْوَرَى ‏ يَطَأُ السُّجُونَ وَيَحْمِلُ الْأَغْلَالَا ؟ [10]
«كِسْرَى»، أَتُبْقِي كُلَّ فَدْمٍ غَاشِمٍ ‏ حَيّاً، وَتُرْدِي الْعَادِلَ الْمِفْضَالَا ؟ [11]
وَتَدُقُّ فِي مَرْأَى الرَّعِيَّةِ عُنْقَهُ ‏ لِيَمُوتَ مَوْتَ الْمُجْرِمِينَ مُذَالَا ؟ [12]
أَيْنَ التَّفَرُّدُ مِنْ مَشُورَةِ صَادِقٍ ‏ وَالْحُكْمُ أَعْدَلُ مَا يَكُونُ جِدَالَا ؟ [13]

---

١ حكّموه : ولّوه وجعلوه حاكماً؛ استبدّ : انفرد برأيه وعمل بغير مشورة احد؛ يصول : يسطو ويقهر ويذل. ٢ تقادم عهده : ان زمانه كان قديماً؛ عضالًا : لا يرجى برؤه. ٣ خفض الجناح : التواضع والاقلاع عن الكبر؛ سوّد الابطال : جعلهم سادة. ٤ ألفيت : وجدت. ٥ فطرة الرجل : خلقته التي خلق عليها. ٦ استوى على العرش : جلس عليه؛ البسلاء : الشجعان؛ الاقيال ج قَيْل ومعناه الرئيس واصل معناه ملك من ملوك حمير وقد سمي به لانه يقول ما شاء فينفذ. ٧ الجلاد : السياف والمعذب عموماً؛ متهادياً : متمايلًا في مشيته؛ مختالًا : واضعاً يديه ورافعهما في المشي. ٨ مدافع : مزاحم. يتتالى : يتتابع. ٩ اقتص منه : عاقبه؛ غواية : خلاف الرشد. الضلال : خلاف الحق. ١٠ الاغلال ج غُلّ : وهو الحديد الذي يجعل في العنق. ١١ الفدم : العيّ عند الكلام مع ثقل ورخاوة وقلة فهم. الغاشم : الفاتك الظالم الذي لا يبالي؛ تُردي : تهلك. ١٢ مذالا : مهاناً. ١٣ التفرد : الاستقلال بالرأي من غير استشارة احد؛ الجدال : المنازعة في المسألة العلمية لالزام الخصم سواء كان كلامه في نفسه فاسداً ام لا.

إِنْ تَسْتَطِعْ فَاشْرَبْ مِنَ الدَّمِ خَمْرَةً، وَاجْعَلْ جَمَاجِمَ عَابِدِيكَ نِعَالَا
وَاذْبَحْ وَدَمِّرْ وَاسْتَبِحْ أَعْرَاضَهُمْ وَامْلَأْ بِـلَادَهُمُ أَسًى وَنَكَالَا [1]
فَلَأَنْتَ « كِسْرَى »، مَا تَرَى تَحْرِيمَهُ كَانَ الْحَرَامَ ، وَمَا تُحِلُّ حَلَالَا
وَلَئِنْ كَرِنْ ، الدَّهْرَ ، عَدْلُكَ بَاهِرًا وَلَتُحْمَدَنَّ خَلَائِقًا وَفِعَـالَا [2]
لَوْ كَانَ فِي تِلْكَ النِّعَاجِ مُقَاوِمٌ لَكَ، لَمْ تَجِيءْ مَا جِئْتَهُ اسْتِفْحَالَا ! [3]
لَكِنْ أَرَادَتْ مَـا تُرِيدُ مُطِيعَةً، وَتَنَاوَلَتْ مِنْكَ الْأَذَى إِفْضَالَا !
نَادَاهُمُ الْجَلَّادُ : هَلْ مِنْ شَافِعٍ « لِبُزُرْجُمُهْرَ » ؛ فَقَالَ كُلٌّ : لَا لَا
وَأَدَارَ « كِسْرَى » فِي الْجَمَاعَةِ طَرْفَهُ فَرَأَى فَتَـاةً كَالصَّبَاحِ جَمَالَا [4]
تَسْبِي مَحَاسِنُهَا الْقُلُوبَ ، وَتَنْثَنِي عَنْهَـا عُيُونُ النَّاظِرِينَ كَلَالَا : [5]
بِنْتُ الْوَزِيرِ أَتَتْ لِتَشْهَدَ قَتْلَـهُ وَتَرَى السَّفَاهَ مِنَ الرَّشَادِ مُدَالَا [6]
تَفْرِي الصُّفُوفَ خَفِيَّةً مَنْظُورَةً فَرْيَ السَّفِينَةِ لِلْحَبَابِ جِبَـالَا [7]
بَادٍ مُحَيَّاهَـا ، فَأَيْنَ قِنَاعُهَا ؟ وَعَلَامَ شَاءَتْ أَنْ يَزُولَ فَزَالَا ؟ [8]
لَا عَارَ عِنْدَهُمُ كَخَلْعِ نِسَائِهِمْ أَسْتَارَهُنَّ ، وَلَـوْ فَعَلْنَ ثَكَالَى [9]
فَأَشَارَ « كِسْرَى » أَنْ يُرَى فِي أَمْرِهَا ؛ فَمَضَى الرَّسُولُ إِلَى الْفَتَاةِ وَقَالَا :
مَوْلَايَ يَعْجَبُ كَيْفَ لَمْ تَتَقَنَّعِي ! قَالَتْ لَـهُ : أَتَعَجُّبًا وَسُؤَالَا ؟
أُنْظُرْ وَقَدْ قُتِلَ الْحَكِيمُ، فَهَلْ تَرَى إِلَّا رُسُومًا حَوْلَـهُ وَظِلَالَا ؟ [10]
فَارْجِعْ إِلَى الْمَلِكِ الْعَظِيمِ ، وَقُلْ لَهُ : مَاتَ النَّصِيحُ وَعِشْتَ أَنْعَمَ بَالَا ! [11]
وَبَقِيتَ وَحْدَكَ بَعْدَهُ رَجُلًا، فَسُدْ وَارْعَ النِّسَاءَ وَدَبِّرِ الْأَطْفَـالَا [12]
مَا كَانَتِ الْحَسْنَاءُ تَرْفَعُ سِتْرَهَا، لَوْ أَنَّ فِي هٰذِي الْجُمُوعِ رِجَالَا ! !

١ استباح الشيء : عده مباحاً اي جائزاً؛ اسى : حزناً واسفاً . نكالاً : ما تصنعه وتنزله بالانسان حتى اذا رآه غيره حذره، فكان له موعظة وعبرة . ٢ الخلائق : الاخلاق . ٣ استفحل الامر : عظم و كبر . ٤ طرفه : نظره . ٥ تسبي : تأسر وتجذب . تنثني : ترتد . كلالا : ضعفاً . ٦ السفاه : الخفة والطيش؛ أداله من الشيء : نصره وجعله غالباً . ٧ تفري : تقطع وتشق؛ الحباب : الموج . ٨ القناع : ما تغطي به المرأة رأسها . ٩ ثكالى ج ثكلى : وهي من فقدت ابنها . ١٠ رسم الشيء : اثره الباقي؛ الظلال ج ظل : وهو الخيال . ١١ انعم بالا : اهنأ نفساً . ١٢ رعى النساء : ولي امرها وساسها .

٣٦٥ فتاة الجبل الاسود

[نظمت هذه القصيدة قبيل استقلال ذلك الجبل]

طَغَتْ أُمَّةُ ٱلْجَبَلِ ٱلْأَسْوَدِ   عَلَى حُكْمِ فَاتِحِهَا ٱلْأَيِّدِ [1]
وَهَبَّتْ مُنِيخَاتُ أَطْوَادِهَا   نَوَاشِزَ كَٱلْإِبِلِ ٱلشُّرَّدِ ؛ [2]
وَأَبْلَى ٱلنِّسَاءُ بَلَاءَ ٱلرِّجَالِ   لَدَى كُلِّ مُعْتَرَكٍ أَرْبَدِ [3]
نِسَاءٌ لِدَانُ ٱلْقُدُودِ ، لَهَا   خُدُودٌ كَزَهْرِ ٱلرِّيَاضِ ٱلنَّدِي [4]
تُنَظِّمُ مِنْ حُسْنِهَا جَنَّةً   عَلَى ذٰلِكَ ٱلْجَبَلِ ٱلْأَجْرَدِ . [5]
وَيَوْمٍ كَأَنَّ شُعَاعَ ٱلصَّبَاحِ   كَسَاهُ مَطَارِفَ مِنْ عَسْجَدِ [6]
تَفَرَّقَتِ ٱلتُّرْكُ فِيهِ عَصَائِبَ ، كُلُّ فَرِيقٍ عَلَى مَرْصَدِ
يَسُدُّونَ كُلَّ شِعَابِ ٱلْجِبَالِ   عَلَى ٱلنَّازِلِينَ وَٱلصُّعَّدِ [7]
أُسُودٌ تُرَاقِبُ أَمْثَالَهَا ،   وَلَا يَلْتَقُونَ عَلَى مَوْعِدِ
كَأَنَّ عِدَاهُمْ ، عَلَى بُؤْسِهِمْ   وَطُولِ جِهَادِهِمِ ٱلْمُجْهِدِ ، [8]
يُوَافُونَهُمْ بَغَتَاتِ ٱللُّصُوصِ   وَيَرْمُونَ بِٱلنَّارِ وَٱلْجَلْمَدِ [9]
وَيَفْتَرِقُونَ تُجَاهَ ٱلصُّفُوفِ ،   وَيَجْتَمِعُونَ عَلَى ٱلْمُفْرَدِ ،
وَيَمْتَنِعُونَ بِكُلِّ خَفِيٍّ   عَصِيٍّ عَلَى أَمْهَرِ ٱلرُّوَّدِ [10]
وَأَيٌّ رَأَى شَارِدًا يَقْتَنِصْهُ ،   وَأَيٌّ رَأَى وَارِدًا يَصْطَدِ ،
وَيَلْتَقِمُونَ جَنَاحَ ٱلْخَمِيسِ   إِذَا ٱلْعَوْنُ أَعْيَا عَلَى ٱلْمُنْجِدِ [11]
مَنَامُهُمُ جَاثِمِينَ وُقُوفًا   وَلَا يَهْجَعُونَ عَلَى مَرْقَدِ [12]

---

١ الجبل الاسود : اقليم بلقاني ضمّ فيا بعد إلى يوغسلافيا . الايد : القدير . ٢ منيخات : مقيمات . اطوادها : جبالها . نواشز : ذاهبة كل مذهب . الشرّد : النافرة . ٣ أبلت النساء : أحسنت في القتال . اربد : الذي في لونه غبرة . ٤ لدان : ليّنات وناعمات . ٥ جنة : بستاناً . الاجرد : الذي لا نبات فيه . ٦ مطارف ج مِطرَف : رداء من خز مربع ذو اعلام . ٧ شعاب ج شعب : الطريق في الجبل . ٨ على : مع . المجهد : المحمل فوق الطاقة . ٩ الجلمد : الصخر . ١٠ عصي : ممتنع . الروّد ج رائد : الذي يرسل في طلب الكلأ . ١١ يلتقمون : من التقم الطعام اذا اخذه بفيه . الخميس : الجيش . اعيا عليه الامر : امتنع واستحال . المنجد : المعين . ١٢ جاثمين : متلبدين بالارض .

وَمَا مِنْهُمُ لِلْعِدَى مُرْشِدٌ   سِوَى غَادِرٍ، سَاءَ مِنْ مُرْشِدِ!
إِذَا لَمْ يَقُدْهُمْ إِلَى مَهْلِكٍ   أَضَلَّ بِحِيلَتِهِ ٱلْمُهْتَدِي؛
وَيَعْتَسِفُ ٱلتُّرْكُ فِي كُلِّ صَوْبٍ،   فَهٰذَا يَرُوحُ وَذَا يَغْتَدِي [١]
وَمَا ٱلتُّرْكُ إِلَّا شُيُوخُ ٱلْحُرُوبِ   وَمُرْتَضِعُوهَا مِنَ ٱلْمَوْلِدِ،
إِذَا أَلْقَحُوهَا ٱلدِّمَاءَ فَلَا   نِتَاجَ سِوَى ٱلْفَخْرِ وَٱلسُّؤْدَدِ [٢]
سَوَاءٌ عَلَى ٱلْمَجْدِ أَيًّا تَكُنْ   عَوَاقِبُ إِقْدَامِهِمْ تَمْجُدِ
وَلٰكِنَّ قَوْماً يَذُودُونَ عَنْ   حَقِيقَتِهِمْ مِنْ يَدِ ٱلْمُعْتَدِي، [٣]
وَتَعْصِمُهُمْ شَامِخَاتُ ٱلْجِبَالِ   وَكُلُّ مَضِيقٍ بِهَا مُوصَدِ، [٤]
وَيَدْفَعُهُمْ حُبُّ أَوْطَانِهِمْ   وَيَجْمَعُهُمْ شَرَفُ ٱلْمَقْصِدِ، [٥]
لَوِ ٱلْمَوْتُ مَدَّ إِلَيْهِمْ يَدًا   لَرَدُّوهُ عَنْهُمْ كَلِيلَ ٱلْيَدِ. [٦]
وَكَانَ مِنَ ٱلتُّرْكِ جَمْعُ ٱلْقَلِيلِ   عَلَى رَأْسِ مُنْحَدَرٍ أَصْلَدِ [٧]
كَثِيرِ ٱلثُّلُومِ كَأَنَّ ٱلْفَتَى   إِذَا زَلَّ يَهْوِي عَلَى مِبْرَدِ؛ [٨]
وَقَدْ نَصَبُوا فَوْقَهُ مِدْفَعاً   يَهُزُّ ٱلرَّوَاسِخَ إِنْ يَرْعَدِ [٩]
وَحَفُّوا كَأَشْبَالِ لَيْثٍ بِهِ،   وَهُمْ فِي دِعَابٍ وَهُمْ فِي دَدِ [١٠]
فَفَاجَأَهُمْ هَابِطٌ كَٱلْقَضَا   ءِ فِي شَكْلِ غَضِّ ٱلصِّبَا أَمْرَدِ، [١١]
فَتًى كَٱلصَّبَاحِ بِإِشْرَاقِهِ،   لَهُ لَفْتَةُ ٱلرَّشَإِ ٱلْأَغْيَدِ [١٢]
يَدُلُّ سَنَاهُ وَسِيمَاؤُهُ   عَلَى شَرَفِ ٱلْجَاهِ وَٱلْمَحْتِدِ [١٣]

---

١ يعتسف الطريق : يأخذه على غير هداية ولا دراية . ٢ اذا القحوها الدماء : اي اذا جعلوا الدماء للحروب بمنزلة اللقاح . السؤدد : السيادة . ٣ يذودون : يدافعون . حقيقتهم : وطنهم . ٤ موصد : مغلق . ٥ المقصد : الموضع الذي يقصد . ٦ كليل اليد : ضعيفها . ٧ اصلد : بمعنى صلد اي صلب املس . ٨ الثلوم ج ثلم من ثلم السيف : كسر حرفه . زلّ : سقط . ٩ الرواسخ : الجبال الثابتة . ١٠ وحفوا به : احاطوا به . دعاب : ممازحة . دد : هزل ولعب . ١١ غض : رخص . امرد : شاب طرّ شاربه ولم تنبت لحيته . ١٢ الرشأ : الظبي اذا قوي ومشى مع امه . الاغيد : الناعم المتثني ليناً . ١٣ سيماؤه : العلامة التي يعرف بها ما عليه من خير وشر . المحتد : الاصل .

تَرُدُّ سَوَاطِعُ أَنْوَارِهِ   سَلِيمَ ٱلنَّوَاظِرِ كَالأَرْمَدِ
أَقَبُّ ٱلتَّرَائِبِ، غَضُّ ٱلرَّوَادِ   فِ، يَخْتَالُ عَنْ غُصُنٍ أَمْيَدِ [1]
لَهِيبُ ٱلْحُرُوبِ عَلَى وَجْنَتَيْـ   ـهِ، وَٱلنَّقْعُ فِي شَعْرِهِ ٱلأَسْوَدِ [2]
وَفِي مَحْجِرَيْهِ بَرِيقُ ٱلسُّيُوفِ،   وَظِلُّ ٱلْمَنِيَّةِ فِي ٱلإِثْمِدِ [3]
فَأَكْبَرَ كُلُّهُمُ أَنَّهُ   رَآهُ تَجَلَّى وَلَمْ يَسْجُدِ
وَظَنُّوهُ مُسْتَنْفِرًا هَارِبًا،   أَتَاهُمْ بِذِلَّةِ مُسْتَنْجِدِ [4]
وَلَمْ يَحْسَبُوا أَنَّ ذَا جُرْأَةٍ   يُهَاجِمُ جَمْعًا بِلَا مُسْعِدِ [5]
تَبَيَّنَ هُلْكًا، فَلَمْ يَخْشَهُ،   فَأَقْدَمَ إِقْدَامَ مُسْتَأْسِدِ، [6]
وَأَفْرَغَ نَارَ سُدَاسِيِّهِ   عَلَى ٱلْقَوْمِ أَيًّا تُصِبْ تُقْصِدِ [7]
وَضَارَبَ بِٱلسَّيْفِ يُمْنَى وَيُسْرَى   فَأَيْنَ يُصِبْ مَغْمَدًا يُغْمِدِ [8]
سَقَى ٱلصَّخْرَ مِنْ دَمِهِمْ فَٱرْتَوَى   وَلَمْ يَشْفِ مِنْهُ ٱلْفُؤَادَ ٱلصَّدِي؛ [9]
فَمَا لَبِثُوا أَنْ أَحَاطُوا بِهِ   فَدَانَ لِكَثْرَتِهِمْ عَنْ يَدِ [10]
وَلَوْلَا ٱتِّقَاءُ ٱلْخِيَانَةِ فِيهِ   لَكَانَ ٱلأَلَدُّ لَهُ يَفْتَدِي [11]
فَلَمَّا ٱحْتَوَاهُ مَقَرُّ ٱلأَمِيرِ   مَقُودًا، وَمَا هُوَ بِٱلْقَيِّدِ [12]
أَشَارَ، وَمَا كَادَ يَرْنُو إِلَيْهِ،   بِأَنْ يَقْتُلُوهُ غَدَاةَ ٱلْغَدِ [13]
فَأَقْصَى ٱلْفَتَى عَنْهُ حُرَّاسَهُ،   وَشَقَّ عَنِ ٱلصَّدْرِ مَا يَرْتَدِي، [14]
وَأَبْرَزَ نَهْدَيْ فَتَاةٍ كَعَابٍ   بِطَرْفٍ حَيِيٍّ، وَوَجْهٍ نَدِ [15]...
وَأَرْخَتْ ضَفَائِرَهَا فَٱرْتَمَتْ   إِلَى مَنْكِبَيْهَا مِنَ ٱلْمَعْقِدِ [16]

---

١ اقب : دقيق ضامر . الترائب : عظام اعلى الصدر . غضّ : طري . الروادف : ما امتدّ من الشحم . ٢ النقع : الغبار . ٣ المحجر . ما حول العين ؛ المنية : الموت . الاثمد : الكحل . ٤ مستنفراً : مشرداً . ٥ مسعد : معين . ٦ هلكاً : هلاكاً . اقدم : هجم . ٧ تقصد : تقتل . ٨ مغمداً : مكاناً لغمد السيف . ٩ الصدي : العطشان . ١٠ فدان : فذلّ . عن يد : صاغراً ١١ اتقاء : خوف . الالد : الشديد الخصومة . ١٢ القيد : الذلول المنقاد . ١٣ غداة : صباح . ١٤ اقصى : ابعد . ١٥ النهد : الثدي المرتفع . كعاب : التي بدا ثديها للنهود . ١٦ المنكب : مجتمع رأس الكتف والعضد .

تُحِيطُ دُجَاهَا بِشَمْسٍ عَرَاهَا سَقَامٌ، فَحَالَتْ إِلَى فَرْقَدِ[1]
وَقَالَتْ : أَمُهْجَةُ أُنْثَى تَفِي بِثَارَاتِ صَرْعَاكُمُ الْهُمَّدِ؟[2]...
فَأَصْغَى الْأَمِيرُ إِلَى قَوْلِهَا وَلَمْ يُسْتَفَزَّ وَلَمْ يَحْقِدِ...
أَبَى عِزَّةً قَتْلَ أُنْثَى تَذُودُ ذِيَادَ الْمُدَافِعِ لَا الْمُعْتَدِي[3]
فَقَالَ : انْقُلُوهَا إِلَى مَأْمَنٍ وَأَوْصُوا بِهَا نُطُسَ الْعُوَّدِ[4]
أَنُهْلِكُ شَعْبًا غَزَتْ دَارَهُ ثِقَالُ الْجُيُوشِ فَلَمْ يَخْلُدِ؟
خَلِيقٌ بِنَا أَنْ نَرُدَّ الْقِلَى وِدَادًا، وَمَنْ يَصْطَنِعْ يُودَدِ[5]
فَمَا بَلَدٌ تَفْتَدِيهِ النِّسَاءُ كَهٰذَا الْفِدَاءِ بِمُسْتَعْبَدِ![6]

٣٦٦ اقوال صريحة

[أبيات من قصيدة أنشدها الشاعر في العيد السنوي لجمعية الاتحاد والاحسان بطنطا عام ١٩٠٩ .]

بَنِي الشَّرْقِ فَلْنَفْقَهْ حَقِيقَةَ حَالِنَا لِنَنْجُوَ، أَوْ يُقْضَى الْقَضَاءُ الْمُحَتَّمُ[7]
يَصُولُ عَلَيْنَا الْجَهْلُ غَيْرَ مُدَافَعٍ بِجَيْشٍ لَهُ فِي كُلِّ رَبْعٍ مُخَيَّمُ[8]
وَيُعْوِزُنَا الْإِخْلَاصُ فِي كُلِّ مَطْلَبٍ وَيُعْوِزُنَا الْخُلْقُ الْمَتِينُ الْمُقَوَّمُ
وَنَرْتَاحُ دُونَ الصِّدْقِ وَالصِّدْقُ مُتْعِبٌ إِلَى الْإِفْكِ عَنَّا لَا نُكِنُّ يُتَرْجَمُ[9]
وَنَعْزِمُ عَزْمًا كُلَّ يَوْمٍ، فَيَنْقَضِي بِلَا أَثَرٍ، مَنْ لَمْ يُطِقْ فِيمَ يَعْزِمُ؟
هِنَامَاتُ آمَالٍ بِهَا الْكَوْنُ ضَائِقٌ وَرَنَّاتُ آلَامٍ بِهَا الْجَوُّ مُفْعَمُ[10]
وَمَا تَحْتَهَا إِلَّا رُؤًى مِنْ فَرَاغِهَا طَغَتْ، وَمُنًى مِنْ وَهْيِهَا تَتَكَلَّمُ[11]

---

١ عراها : اصابها . فرقد : نجم . ٢ ثارات : ج ثأر وهو الدم او الطلب به . الهمد : الاموات . ٣ تذود : تدافع . ٤ النطس : الاطباء الحذاق . العوّد ج عائدة : من تزور المرضى . ٥ القلى : البغض . اصطنع عنده صنيعة : احسن اليه وادّبه وربّاه وخرّجه . ٦ تفتديه : تنقذه . ٧ فلنفقه : فلنفهم . ٨ يصول : يسطو . ٩ ارتاح الى الافك : مال الى الكذب ؛ نُكِنّ : نخفي ونستر . ١٠ مفعم : ممتلىء . ١١ طغت : جاوزت الحدّ ؛ منًى جمع منية : البغية والمراد ؛ وهيها : ضعفها .

أَهذَا ٱلَّذِي نَعتَدُّهُ عَنْ تَيَقُّظٍ لِإِصْلَاحِنَا ٱلْمَرْجُوِّ أَمْ نَحْنُ نَحْلُمُ ؟[1]
أَإِنْ تَصْطَخِبْ مِنَّا ٱلنُّفُوسُ وَتَضْطَرِبْ لِخَطْبٍ نَخَلْ أَنَّا أَمِنَّا فَنَجْثِمُ ؟[2]
أَفِي ظَنِّكُمْ أَنَّ ٱلْمُحَاقَ يُزِيلُهُ عَزِيفٌ بِآلَاتٍ وَغَوْغَاءُ تَنْأَمُ ؟[3]
أَشَرْطُ ٱلْمَعَالِي أَنْ نَقُولَ بِوُدِّنَا، وَيُمْنَعَ إِزْمَاعٌ وَيُحْبَسَ دِرْهَمُ ؟[4]
إِلَى أَيِّ حِينٍ فِي وَنًى وَتَقَاعُسٍ، تُدَفِّعُنَا ٱلدُّنْيَا أَمَامًا وَنُحْجِمُ ؟[5]
إِلَى أَيِّ حِينٍ فِي قِلًى وَتَخَاذُلٍ وَشَمْلٍ شَتِيتٍ وَٱلْعِدَى تَتَحَكَّمُ ؟[6]
إِلَى أَيِّ حِينٍ وَٱلصُّرُوفُ زَوَاجِرٌ نَعِيشُ كَمَا يَقْضِي عَلَيْنَا ٱلتَّوَهُّمُ ؟[7]
بِنَا مِنْ جِوَارِ ٱلْمَوْتِ بَرْدٌ نُحِسُّهُ فَإِنْ نَتَدَفَّأْ فَٱلْمَجَامِرُ أَنْجُمُ[8]
وَيُوشِكُ أَنْ يَهْوِي ٱلرُّكَامُ سَرَاتُنَا فَهَلْ عُذْرُهُمْ أَنَّ ٱلشَّوَامِخَ تُرْكَمُ ؟[9]
شُمُوخٌ بِلَا مَعْنًى، وَطَيْشٌ بِلَا مَدًى وَبَيْنَهُمَا أَمْصَارُنَا تَتَهَدَّمُ
نُحَارِبُ هٰذَا ٱلْغَرْبَ فِكْرًا وَنِيَّةً وَيَضْحَكُ مِنَّا وَٱلْحَصَافَةُ تَلْطِمُ :[10]
مِنَ ٱلْغَرْبِ مَا نُكْسَى لِنَسْتُرَ عُرْيَنَا، وَمِنْهُ شَرَابٌ نَصْطَفِيهِ وَمَطْعَمُ،
وَمِنْهُ مُعَدَّاتُ ٱلْجِلَادِ ٱلَّتِي بِهَا نُدَافِعُ عَنَّا مِنْهُ مَنْ يَتَقَحَّمُ،[11]
وَفِي كُلِّ يَوْمٍ مِنْهُ لِلْعِلْمِ آيَةٌ، وَفِي كُلِّ يَوْمٍ مِنْهُ فَنٌّ مُتَمِّمُ،
إِذَا جَاءَنَا طَيَّارُهُ كَشَفَ ٱلْعِدَى وَإِلَّا ٱسْتَنَرْنَا ٱلْيَأْسَ وَٱلْجَوُّ مُظْلِمُ[12]
وَسِيَّانِ فُزْنَا أَوْ عَجَزْنَا، فَإِنَّنَا لَنَغْرَمُ فِي ٱلْحَالَيْنِ وَٱلْغَرْبُ يَغْنَمُ[13]

---

١ نعتده: نهيئه . ٢ نجثم: نلزم مكاننا فلا نبرح . ٣ المحاق: آخر الشهر فيخفى فيه القمر فلا يرى غدوة ولا عشيّة؛ العزيف: التصويت؛ الغوغاء من الناس: الكثير المختلط منهم؛ تنأم: تصوّت . ٤ المعالي جمع معلاة: وهي الشرف؛ إزماع: اعتزام وإجماع على امر . ٥ ونًى: فتور وضعف؛ تقاعس: تأخر؛ نحجم: نكفّ ونرتدّ الى الوراء هيبة . ٦ قلى: بغض؛ تخاذل القوم: ترك بعضهم نصرة بعض . ٧ الصروف: نوائب الدهر؛ زواجر: جمع زاجر: وهو المانع والناهي . ٨ المجامر جمع مجمرة: وهي موضع الجمر . ٩ السراة جمع سري: وهو السيد الشريف؛ الشوامخ جمع شامخ: وهو ما علا وطال . ١٠ الحصافة: استحكام العقل . ١١ الجلاد: المضاربة في الحروب؛ يتقحّم: يدخل ويهجم . ١٢ استنار بالشيء: استمدّ شعاعه . ١٣ نغرم الدين: نؤدّيه .

إِذَا مَا شَقِينَا فِي مُعَادَاةِ بَعْضِهِ فَبَاقِيهِ يَجْبِي ٱلْمَالَ مِنَّا وَيَنْعَمُ ١
وَلَسْنَا عَلَى شَيْءٍ سِوَى شَهَوَاتِنَا عَكَفْنَا عَلَيْهَا لَا نَغَصُّ، وَنَبْشَمُ ٢
قُرَانَا قُرَى ٱلتُّجَّارِ مِنْهُمْ، وَأَهْلُهَا عَلَى كُلِّ حَرْثٍ لِلْمُرَابِينَ قُوَّمُ ٣
نَقَائِصُ فِينَا لَمْ أُعَدِّدْ جِسَامَهَا وَلَكِنَّنِي عَدَّدْتُ مَا هُوَ أَجْسَمُ ٤
فَإِنْ بَقِيَتْ فَهِيَ ٱلتَّأَخُّرُ لَمْ يَزَلْ، وَإِنْ تُقْلِعُوا عَنْهَا فَذَاكَ ٱلتَّقَدُّمُ

ميزة شعره : ثارت نفس شاعرنا الحسّاسة على الطغيان والجور، وانبرت توقظ الوعي في الشعب وتحارب أدواء المجتمع بشعر تاريخيّ اجتماعي قلّما عهدنا مثلـه في العصور السابقة . وفي هذا الشعر قصص نابض بالحياة فيه من روعة الفنّ والمتعة وحسن السياق وبلاغـة الاسلوب وجمال التصوير وعمق التحليل شيء لا يعرفه الا « شاعر الاقطار العربية » .

شاعر الوصف :

٣٦٧ قلعة بعلبك

« تذكار صبا »

هَمَّ فَجْرُ ٱلْحَيَاةِ بِٱلْإِدْبَارِ فَإِذَا مَرَّ فَهِيَ فِي ٱلْآثَارِ ٥
وَٱلصِّبَا كَٱلْكَرَى نَعِيمٌ، وَلَكِنْ يَنْقَضِي وَٱلْفَتَى بِهِ غَيْرُ دَارِ ٦
يَغْنَمُ ٱلْمَرْءُ عَيْشَهُ فِي صِبَاهُ، فَإِذَا بَانَ عَاشَ بِٱلتِّذْكَارِ ٧
إِيهِ! آثَارَ « بَعْلَبَكَّ »، سَلَامٌ، بَعْدَ طُولِ ٱلنَّوَى وَبُعْدِ ٱلْمَزَارِ! ٨
وَوُقِيتِ ٱلْعَفَاءَ مِنْ عَرَصَاتٍ مُقْوِيَاتٍ، أَوَاهِلٍ بِٱلْفَخَارِ ٩

١ يجبي : يجمع . ٢ نبشم : نصاب بالتخمة . ٣ المرابين: الذين يعطون مالهم بالربا . ٤ جسامها جمع جسيم : وهـو العظيم . ٥ يقول ان فجر الحياة قد ازمع الانصراف واذا مضى فجرها فـلا يُعثَر ان يتبعها مغيبها في الاثر . ٦ الكرى : النوم ؛ غير دارٍ : غير عارف . ٧ بان : زال وانقضى . ٨ النوى : البعد . ٩ العفاء : مصدر عفا المنزل : درس وبلي ؛ عرصات جمع عرصة وهي البقعة الواسعة بين الدور ليس فيها بناء ؛ مقويات : خاليات من السكان ومقفرات ؛ اواهل بالفخار : اي يسكنها الفخار .

ذَكِّريني طُفُولَتي، وَأَعيدي رَسْمَ عَهْدٍ عَنْ أَعْيُنِي مُتَوارِ
مُسْتَطابِ ٱلحالَيْنِ: صَفْواً وَشَجْواً، مُسْتَحَبٍّ في ٱلنَّفْعِ وَٱلإِضْرارِ ١
يَوْمَ أَمْشي عَلى ٱلطُّلولِ ٱلسَّواجي، لا ٱفْتِرارٌ فيهِنَّ إِلّا ٱفْتِراري ٢
نَزِقاً بَيْنَهُنَّ غِرّاً لَعُوباً لاهِياً عَنْ تَبَصُّرٍ وَٱعْتِبارِ ٣
مُسْتَقِلّاً عَظيمَها، مُسْتَخِفّاً ما بِها مِنْ مَهابَةٍ وَوَقارِ . . .
خِرَبٌ حارَتِ ٱلبَرِيَّةُ فيها، فِتْنَةُ ٱلسّامِعينَ وَٱلنُّظّارِ! ٤
مُعْجِزاتٌ مِنَ ٱلبِناءِ كِبارٌ لِأُناسٍ مِلْءِ ٱلزَّمانِ كِبارِ
أَلْبَسَتْها ٱلشُّموسُ تَفْويفَ دُرٍّ وَعَقيقٍ، عَلى رِداءِ نُضارِ ٥
وَتَحَلَّتْ مِنَ ٱللَّيالي بِشاما تٍ، كَتَنْقيطِ عَنْبَرٍ في بَهارِ ٦
وَسَقاها ٱلنَّدى رَشاشَ دُموعٍ، شَرِبَتْها ظَوامِئُ ٱلأَنْوارِ
زادَها ٱلشَّيْبُ حُرْمَةً وَجَلالاً، تَوَّجَتْها بِهِ يَدُ ٱلأَعْصارِ ٧
رُبَّ شَيْبٍ أَتَمَّ حُسْناً، وَأَوْلى واهِنَ ٱلعَزْمِ صَوْلَةَ ٱلجَبّارِ ٨
مَعْبَدٌ لِلأَسْرارِ قامَ، وَلٰكِنْ صُنْعُهُ كانَ أَعْظَمَ ٱلأَسْرارِ!
مَثَّلَ ٱلقَوْمُ كُلَّ شَيْءٍ عَجيبٍ فيهِ تَمْثيلُ حِكْمَةٍ وَٱقْتِدارِ
صَنَعوا مِنْ جَمادِهِ ثَمَراً يُجْـ ـنى، وَلٰكِنْ بِٱلعَقْلِ وَٱلأَبْصارِ ٩
وَضُروباً مِنْ كُلِّ زَهْرٍ أَنيقٍ لَمْ تَفُتْها نَضارَةُ ٱلأَزْهارِ ١٠
وَشُموساً مُضيئَةً، وَشُعاعاً باهِراتٍ، لٰكِنَّها مِنْ حِجارِ ١١

---

١ شجواً: حزناً. ٢ الطلول جمع طلل وهو ما شخص وارتفع من آثار الدار؛ السواجي: الساكنة؛ افترار: ابتسام. ٣ نزقاً: نشيطاً طائشاً خفيفاً؛ غرّاً: جاهلاً بالامور وغافلاً عنها. ٤ الفتنة: الاعجاب بالشيء. ٥ التفويف: ان تجمّلَ خطوط بيض على الطول وهنا ان تجمل في البناء حجارة مختلفة الاجناس والالوان. العقيق: الخرز الاحمر. ٦ الشامات: هنا نقط سود. البهار: نبت طيّب الريح ٧ الحرمة: المهابة. ٨ اولى: اعطى وخوّل؛ واهن العزم: ضعيفه. صولة الجبار: سطوته وقدرته. ٩ يجنى: يقطف. ١٠ ضروباً: انواعاً؛ الانيق: البالغ في الحسن؛ نضارة الازهار: بهجتها وحسنها. ١١ الشعاع: جمع شُعاع وهو ما يرى من ضوء الشمس عند طلوعها كالقضبان.

وَطُيُورًا ذَوَاهِبًا آيِبَاتٍ خَالِدَاتِ ٱلْغُدُوِّ وَٱلْإِبْكَارِ [١]
فِي جِنَانٍ مُعَلَّقَاتٍ ، زَوَاهٍ بِصُنُوفِ ٱلنُّجُومِ وَٱلْأَنْوَارِ [٢]
وَأُسُودًا يُخْشَى ٱلتَّحَفُّزُ مِنْهَا وَيَرُوعُ ٱلسُّكُوتُ كَٱلتَّزْآرِ [٣]
عَابِسَاتِ ٱلْوُجُوهِ غَيْرَ غِضَابٍ، بَادِيَاتِ ٱلْأَنْيَابِ، غَيْرَ ضَوَارِ
فِي عَرَانِينِهَا دُخَانٌ مُثَارٌ وَبِأَلْحَاظِهَا سُيُولُ شَرَارِ [٤]
تِلْكَ آيَاتُهُمْ ! وَمَا بَرِحَتْ فِي كُلِّ آنٍ رَوَائِعَ ٱلزُّوَّارِ [٥]
ضَمَّهَا كُلَّهَا بَدِيعُ نِظَامٍ دَقَّ حَتَّى كَأَنَّهَا فِي ٱنْتِثَارِ
فِي مَقَامٍ لِلْحُسْنِ يُعْبَدُ بَعْدَ ٱلْـــعَقْلِ فِيهِ، وَٱلْعَقْلُ بَعْدَ ٱلْبَارِي
مُنْتَهَى مَا يُجَادُ رَسْمًا، وَأَبْهَى مَا تَحُجُّ ٱلْقُلُوبُ فِي ٱلْأَنْظَارِ ! [٦] ...

٣٦٨ حريق روما

[النيرونية ملحمة رائعة تقع في ٣٣٠ بيتاً ولقد أنشدها الخليل في جامعة بيروت الاميركية في ١٧ آذار سنة ١٩٢٤ . أما موضوعها فنيرون الطاغية في مظاهر تجبّره وعتوّه . والمقطوعة التالية تصف حريق روما كما تخيّله الشاعر :]

فَازَ « نِيرُونُ » بِأَقْصَى مَا ٱشْتَهَى مُحْرِقًا « رُومَا » لِيَسْتَبْدِعَ فِكْرًا [٧]
بَعْدَ أَنْ حَصَّلَ فِي تَمْثِيلِهِ مَا بِهِ أَصْبَحَ فِي ٱلتَّمْثِيلِ شُهْرًا [٨]
شُبَّتِ ٱلنَّارُ بِهَا لَيْلًا ، وَقَدْ رَقَدَتْ أُمَّتُهَا وَسْنَى وَسَكْرَى
شُعْلَةٌ مِنْ كُلِّ صَوْبٍ نَهَضَتْ وَمَشَتْ دَفًّا وَإِحْضَارًا وَعَبْرًا [٩]

١ آيبات : راجعات . ٢ زواهٍ : جميلات مشرقات ؛ النجوم : الاعشاب؛ الانوار : الازهار .
٣ التحفّز : التهيّؤ للقيام والذهاب ؛ يروع : يُخيفُ ويهول . ٤ عرانينها : انوفها .
٥ روائع الزوّار : تعجبهم . ٦ منتهى ما يجاد : غاية ما يؤتى بالافعال الجيدة ؛ وابهى ما تحج القلوب : اجمل ما تقصد وتختلف اليه . ٧ استبدع : اتى بيدع من الافكار وهو الجديد منها الذي لم يسبق له مثيل . ٨ الشهر : العالم . ٩ الدفّ : المشي الخفيف ؛ الاحضار : الجري السريع ؛ العبر : الوثوب من ناحية الى ناحية .

زَحَفَتْ رَايَـةٌ مُضَرَّمَةٌ   تَلْتَقِيهَا فِي عِنَاقِ ٱلْوَهَجِ أُخْرَى [١]
جَمَعَتْ أَقْسَامَ «رُومَا» كُلَّهَا   فِي جَحِيمٍ تَصْهَرُ ٱلْأَجْسَامَ صَهْرَا [٢]
فَٱلْمَبَانِي تَتَهَاوَى، وَٱلْجُذَى   تَتَرَامَى، وَٱلدُّمَى تَنْقَضُّ جَمْرَا [٣]
وَٱلْأَنَاسِيُّ حَيَارَى ذُهَّـلٌ   غَامَرُوا هَوْلًا وَسَاءَ ٱلْهَوْلُ غَمْرَا [٤]
خُوَّضٌ فِي ٱلْوَقْدِ، إِلَّا نَفَرَا   تَخِذُوا ٱلْأَشْلَاءَ فَوْقَ ٱلْوَقْدِ جِسْرَا [٥]
وَٱلضَّوَارِي ٱنْطَلَقَتْ لَا تَأْتَلِي   مَا ٱلْتَقَتْ عَضًّا وَتَمْزِيقًا وَكَسْرَا [٦]
هَجَمَتْ لِلْفَتْكِ، ثُمَّ ٱنْهَزَمَتْ   فَزِعَاتٍ سَارِيَاتٍ كُلَّ مَسْرَى
كَثُرَ ٱللَّحْمُ شِوَاءً حَوْلَهَـا   وَتَأَبَّتْ بَعْدَ جَهْدِ ٱلصَّوْمِ فِطْرَا [٧]
تَتَهَادَى مُهْرَاقًـا دَمُهَا،   وَبِهَا ضَعْضَعَةُ ٱلنَّازِفِ خَمْرَا [٨]
مُخْرِجًا أَشْجَى سَمَاعٍ لِلْوَرَى   مِنْ لَهِيبٍ يَسْدَرُ ٱلْأَبْصَارَ سَدْرَا [٩]
مُغْرِبًا حُسْنًا، وَفِي مَذْهَبِـهِ   أَنَّ خَيْرَ ٱلْحُسْنِ مَا يُفْعِمُ شَرَّا [١٠]
دَفَقَ «ٱلتِّبْرُ» ضِيَاءً وَدَمًا،   مُسْتَفِيضَ ٱللُّجِّ يَاقُوتًا وَتِبْرَا [١١]
كَانَ بِٱلْأَمْسِ كَمِرْآةٍ صَفَتْ،   رُبَّمَا كَدَّرَهَـا ٱلطَّائِرُ نَقْرَا [١٢]
تَلْتَقِي فِيهَا صُرُوحٌ عَبَسَتْ   قَاتِمَاتٍ، وَرُبًى تَبْسِمُ خُضْرَا [١٣]

---

١ عناق الوهج: المقصود به اتصال اللهب بعضه ببعض . ٢ تصهر الاجسام: تذيبها اذابة شديدة . ٣ الجذى جمع جذوة: وهي القطعة الكبيرة من الجمر؛ الدمى جمع دمية: وهي الصورة الملونة ويراد بها هنا التماثيل . ٤ الاناسيّ جمع انسان؛ غامروا: خاضوا؛ الغمر: معظم الماء والمقصود به هنا معظم النار . ٥ الاشلاء جمع شلو: وهو القطعة من اللحم الممزق . ٦ لا تأتلي: لا تقصّر في عضّ ما تلتقيه وفي تمزيقه وكسره . ٧ تأبت: امتنعت ان تتناول من تلك اللحوم على ما بها من جوع شديد . ٨ النازف: الجاري دمه فهو يمشي مضضعاً اشبه بالسكران. ٩ سَدِرَ بصرُهُ: تحيّر من شدة الحرّ فلم يحسن الادراك وقد استعمله الشاعر متعدياً؛ يقول: كان نيرون الناظر الى تلك المشاهد المروّعة يخرج للناس من ايات فنه الموسيقي اشجى لحن بزفير النيران المتضرمة التي يُفقد وهجها الابصار . ١٠ مغرباً: آتياً بالغريب؛ وفي مذهبه: وفي اعتقاده؛ يقول: ان نيرون يظهر للناس ايضاً اغرب حسن يظنه لاعتقاده ان خير الجمال ما كان باجمه ويلاً وشرّاً . ١١ التبر الاول هو نهر رومة والتبر الثاني: هو الذهب او دقيقه . ١٢ نقر الطائر: اخذ الشيء بمنقاره . ١٣ الصروح جمع صرح: وهو كل بناء عالٍ والمراد هنا القصور؛ قاتمات: سود .

فَإِذَا مَرَّتْ نُسَيْمَاتٌ بِهَا   حَطَّمَتْهَا قِدَدًا زُبْدًا وَغُرًّا [1]

[ثم راح الشاعر يصف ذاك الحريق الهائل شعراً وتصويراً وسماعاً وها نحن نثبت هنا المقطوعة الثانية :]

فِتَنُ ٱلنَّارِ، إِذَا مَا ذَهَبَتْ   فِي أَفَانِينِ ٱلْأَذَى، يَأْبَيْنَ حَصْرَا
وَمِنَ ٱلْمُمْتِعِ فَوْقَ ٱلْمُشْتَهَى   بِدَعٌ جَاءَ بِهَا ٱلتَّنْوِيعُ تَتْرَى [2]
هٰذِهِ قَنْطَرَةٌ شَاهِقَةٌ   غَارَ مِنْهَا جَانِبٌ فِي ٱلْمَاءِ طَمْرَا [3]
ذَاكَ صَرْحٌ جُرِّدَتْ أَطْلَالُهُ   مِنْ حُلِيٍّ، كُنَّ مِلْءَ ٱلْعَيْنِ سِبْرَا [4]
تِلْكَ مِنْ عَهْدٍ عَهِيدٍ دَوْحَةٌ   ظَلَّ يَسْقِيهَا سَحَابُ ٱلْعَفْوِ ثَرَّا [5]
عَقَدَتْ أَغْصَانُهَا تَاجَ سَنًى،   وَخَبَتْ بَيْنَ مُدَلَّاةٍ وَكَسْرَى [6]
ثُمَّ حَوِّلْ وِجْهَةَ ٱلطَّرْفِ تَجِدْ   صُوَرًا أَسْوَغَ فِي ٱلنَّفْسِ وَأَمْرَى [7]
نَمِرٌ، مِنْ فَرْطِ مَا حَاقَ بِهِ،   دَارَ آنًا فِي مَدَارٍ ثُمَّ خَرَّا [8]
سَالَ مِنْ فَكَّيْهِ دَامِي زَبَدٍ   حِينَ مَسَّ ٱلْأَرْضَ نَشَّتْ مِنْهُ حَرَّى [9]
فَهْدُ غَابٍ كُسِرَتْ شِرَّتُهُ،   صَارَ كَٱلْهِرِّ وَمَا يُرْهِبُ فَأْرَا [10]
وَعِلٌ، مِنْ شِدَّةِ ٱلْبَرْحِ، ٱرْتَمَى   بِبَقَايَا رَوْقِهِ يَنْطَحُ صَخْرَا [11]
وَرَلٌ أَفْلَتَ مِنْ جُحْرٍ فَلَمْ   يُلْفِ مِنْ شَيْءٍ سِوَى ٱلرَّمْضَاءِ جُحْرَا [12]
قُنْفُذٌ أَوْقَدَ مِنْ أَشْوَاكِهِ   شِكَّةً لَاحَتْ بِهَا ٱلْأَلْوَانُ كُثْرَا [13]

---

١ القِدَد جمع قدة : وهي الكسرة والقطعة ؛ الربد جمع ربداء : وهي الغبراء ؛ والغرّ جمع غراء : وهي البيضاء الزاهية . ٢ تترى : متواترة اي متتابعة . ٣ طمر الشيء : دفنه وخبأه . ٤ السبر : الحسن وورنق الجمال . ٥ عهيد : بعيد ؛ دوحة : شجرة عظيمة ؛ العفو : المعروف . وسحاب العفو : الذي يجود بمائه . ثرّ الماء : غزر . ٦ الكسرى جمع كسير وهو المكسور . ٧ ساغ الشراب ومرىء الطعام : سهلا وطابا تناولاً . ٨ فرط : زيادة ؛ خرّ : سقط . ٩ النشيش : صوت الماء عند غليانه . الحرّى مؤنث الحرّان : الشديد العطش ، متلهبه . ١٠ شرته : حدته . ١١ الوعل : حيوان من فصيلة الغزلان لكنه اكبر جسماً وقرونه متشعبة ؛ البرح : شدة الالم ؛ الروق : القرن . ١٢ الورل : دابة على خلقة الضبّ ؛ لكنه اعظم منه يسكن في الرمال ؛ الجحر : الوكر ؛ لم يلف : لم يجد ؛ الرمضاء : الرملة الحارة . ١٣ القنفد : دويّبة ذات ريش حاد يطلقه على من يريد اذاه او يوجّه رؤوسه لمن يحاول امساكه ؛ الشكة : العدة من السلاح .

عَقْرَبٌ شَالَتْ زُبَانَى رَأْسِهَـا وَٱلذُّنَابَى عَجِلَتْ خَلْجاً وَأَبْرَا[١]
شِبْهُ بَرْقٍ لَاحَ لِلطَّرْفِ وَلَمْ يَكُ إِلَّا أُفْعُوَانـاً مُسْجَهِرَّا[٢]
صُوَرٌ، لَمْ يُدْرَ آيَاتُ سَنًى، أَمْ خِشَاشٌ حَيَّةٌ تُسْجَرُ سَجْرَا[٣]
وَسِوَى ذَلِكَ، كَمْ مِنْ مَنْظَرٍ لَابَسَ ٱلْوَهْمُ بِهِ ٱلْحَقَّ فَغَرَّا![٤]
كَمْ مَهَاةٍ مِنْ دُخَانِ ٱلْفِيتْ وَهْيَ تَسْتَعْدِي عَلَى فِيلٍ هِزَبْرَا![٥]
كَمْ سَبَنْتَى حَنِقٍ، أَقْرَضَهُ ضَرَمٌ نَاباً بِهِ يَسْطُو وَظُفْرَا![٦]
كَمْ غُرَابٍ قَدْ تَبَدَّى وَاقِعاً كَشِهَابٍ، وَتَرَدَّى مُصْمَقِرَّا![٧]
كَمْ عُقَابٍ دَرَجَتْ فَٱنْضَرَجَتْ بَغْتَةً تَقْتَنِصُ ٱلْبَـازِيَّ حُرَّا![٨]
كَمْ سَحَابٍ مِنْ هَبَاءٍ سَاطِعٍ أَشْبَهَ ٱلْمُزْنَةَ إِيمَاضاً وَقَطْرَا![٩]
رُؤْيَةٌ أَرْبَتْ عَلَى ٱلرُّؤْيَا، بِمَـا لَمْ يَكُنْ يَوْماً بِظَنٍّ لِيُمَرَّا![١٠]...

٣٦٩ اشعة رنتجن[١١]

جَلَسْتُ إِلَى هِنْدَ ذَاتَ مَسَاءٍ، وَآنَسَنَا ٱلْقَمَرُ ٱلسَّاهِرُ
فَحَدَّثْتُهَا عَنْ ضِيَاءٍ عَجِيبٍ يُسَرُّ بِرُؤْيَتِـهِ ٱلزَّائِرُ

١ شالت : ارتفعت ؛ زباني العقرب : قرناها ؛ الذنابى : ابرتها في ذنبها ؛ الخلج والابر : بمعنى اللسع. ٢ المسجهرّ : المضطرب ذهاباً واياباً من حيرة وخوف وهو في الاصل من اسجهرار السراب في البادية اي اضطرابه . ٣ الخشاش : حية الجبل ؛ سجر الاتون : ملأه وقوداً واحماه . ٤ لابس خالط : ٥ المهاة: البقرة الوحشية ؛تستعدي: تستعين ؛ الهزبر : الاسد . ٦ السبنتى : النمر ؛ ٧ تبدّى : ظهر ؛ الشهاب : ما يرى بالليل كأنه كوكب ؛ تردّى : سقط ؛ المصمقر : المشتعل . ٨ انضرجت العقاب : انقضت على الصيد . ٩ المزنة : السحابة البيضاء ؛ أومض البرق ايماضاً : لمع ؛ اراد بالهباء دخان الحريق وشبّه ما يمازجه من اللهب بوميض البرق وما يتساقط منه من شرار ورماد بقطر المطر . ١٠ الرؤية : النظر الحسي، والرؤيا خاصة بالمنام ؛ اربت : زادت . ١١ رنتجن (١٨٤٥ – ١٩٢٣) عالم الماني اكتشف عام ١٨٩٥ اشعة X . ومن خصائصها ان تخترق اجساماً كثيفة لا تنفذ فيها الاشعة الظاهرة وان تجعل بعض المواد تأتلق ائتلاقاً اخضر او ابيض مائلاً الى الزرقة .

لَهُ زُرْقَةُ ٱلْمَاءِ، لٰكِنَّهُ شَرَارٌ مِنَ ٱلنَّارِ مُطَايِرُ
كَمُنْتَشِرٍ مِنْ غُبَارِ ٱلزُّمُرُّ دِ يَحْمِلُهُ لَهَبٌ ثَائِرُ
كَأَنَّ بِهِ لِلْعُيُونِ عُيُوناً، فَكُلُّ خَفِيٍّ بِهِ ظَاهِرُ
يُرِينَا ٱلْجُسُومَ أَضَالِعَ جَفَّتْ وَزَايَلَهَا حُسْنُهَا ٱلنَّاضِرُ
هَيَاكِلُ مُحْكَمَةٌ، شَادَهَا لَطِيفٌ، لِمَا شَاءَهُ قَادِرُ
يُرَفْرِفُ فِيهَا ٱلْفُؤَادُ، كَمَا يُرَفْرِفُ فِي ٱلْقَفَصِ ٱلطَّائِرُ
بِهٰذَا ٱلضِّيَاءِ يُرَى كُلُّ جِرْمٍ عَنِ ٱلْعَيْنِ يَسْتُرُهُ سَاتِرُ[1]
وَلٰكِنَّهُ لَا يُرِينَا ٱلضَّمِيرَ، وَلَا مَا يَجُولُ بِهِ ٱلْخَاطِرُ
فَثَابَتْ إِلَى دَعْوَتِي عَنْ رِضًى، كَمَا يَأْنَسُ ٱلرَّشَأُ ٱلنَّافِرُ[2]
فَجِئْنَا مَكَاناً كَثِيفَ ٱلدُّجَى، يُنِيرُ سِرَاجٌ بِهِ سَاهِرُ
يُفِيضُ ضِيَاءً، وَمِنْ حَوْلِهِ ظَلَامٌ مُحِيطٌ بِهِ غَامِرُ
عَلَى كَثَبٍ، وَيُرَى قَاصِياً، كَمَا يُنْظَرُ ٱلْكَوْكَبُ ٱلسَّافِرُ
فَدَانَيْتُهُ، وَلِهِنْدٍ فُؤَادٌ خَفُوقٌ، وَفِكْرٌ بِهِ حَائِرُ
فَلَمَّا رَأَتْنِي أَضَالِعَ سُوداً يُحِيطُ سَدِيمٌ بِهَا بَاهِرُ[3]
كَلَوْحِ ٱلزُّجَاجِ ٱلْمُمَوَّجِ بِالنُّو رِ، خَطَّ رُمُوزاً بِهِ سَاحِرُ
أَبَتْ أَنْ أَرَاهَا، وَقَدْ زَالَ عَنْهَا جَمَالُ مَلَامِحِهَا ٱلزَّاهِرُ ...
فَيَا هِنْدُ إِنْ زَالَ مِنْكِ ٱلْجَمَالُ فَحَسْبُ ٱلْمُنَى قَلْبُكِ ٱلطَّاهِرُ!
وَإِنْ بَانَ حُسْنُكِ عَنْ نَاظِرِي فَإِنَّ ٱلْفُؤَادَ لَهُ نَاظِرُ!

ميزة شعره: مطران وصاف ماهر ومصور من الطبقة الاولى بين شعراء العربية لا ينافسه في ذلك الا ابن الرومي . ووصفه يشمل المعنويات والماديات ، ويستطيع بقوة الفكر والتحليل ان يعبر عن ادق التفاصيل والجزئيات . والوصف عند مطران من اقوى العناصر الشعرية، فهو ابدًا يتلو عليك آيات بينات من روائع وصفه، وهو كيفما تقلب وفي اي موضوع

---

١ الجرم : الجسد . ٢ ثابت : فرجعت ؛ الرشأ : ولد الظبية الذي قد مشى مع امه .
٣ السديم : الضباب الرقيق .

نظم، تنطلق الصور عن لسانه انطلاق الشهب اللامعة، في نعومة ودقة عجيبتين وفي ذوق خلاب. فهنالك الترتيب والتحليل والتمثيل والتشبيه والتجريد وكل ما من شأنه ان يجسم الشيء ويحييه ويجعله ينطق ويدخل الى القلب والنفس في موسيقى هادئة خافقة النبرات تدغدغ ولا تجرح، وتؤنس ولا تفزع، اللهم الا اذا كان الموضوع يتطلب الشدة فتنطلق حينئذٍ ثائرة هائجة متوثبة.

في النثر

المعلم بطرس البستاني (١٨١٩ـ١٨٨٣م/١٢٣٥ـ١٣٠١هـ)

[ركن من اكبر أركان النهضة. وهو في عصره على حد قول جرجي زيدان « زعيم الحركة الادبية في سورية من حيث المدارس والجمعيات والجرائد والمجلات واللغة والعلم والادب». ومن أشهر آثاره قاموسه « محيط المحيط » و«دائرة المعارف».]

٣٧٠ فوائد تعليم النساء

[قال جرجي نقولا باز: « كان بطرس البستاني أول من ناصر المرأة في سورية على منبر بل أول رسول نسائي سوري دعا الى تعليمها وتهذيبها ...» وقد جمع المعلم بطرس البستاني أهم آرائه في شأن المرأة في خطابه الذي القاه في ١٤ كانون الاول سنة ١٨٤٩، والذي نورد منه مقتطفات:]

اما فوائد تعليم المرأة فكثيرة. فمنها ما يرجع الى المرأة نفسها. ومنها ما يعود الى زوجها. ومنها ما يرجع الى اولادها. ومنها ما يشمل العالم اجمع. وقد

سبقت الاشارة بالاجمال الى كثير من ذلـك . فلنتقدّم الآن الى الكلام عنه بالافراد والتفصيل على وجه الاختصار :

فوائد المرأة نفسها :

فمن فوائد التعليم للمرأة نفسها انه يوسّع قواها العقلية ويهذّبها . ويوقظ ضميرها وينبهه ويحييه . ويقوّم ارادتها، وعواطفها الادبية، ويرتّب سلوكها وتصرّفها . فيزيد رِقّةَ قلبها رِقّةً، وحنوّها حنوًّا، ولينها ليناً، وهلمّ جرًّا من هذا القبيل . ويسهّل طرق واجباتها وييسر اعمالهـا وآمالها . ويأخذ بيدها في مدافعة الاهواء المنحرفة المغروسة فيها، طبعاً . ويؤازرها على كبح الجماح الغريزيّ، وقمع الخصال والملكات الردية . ويقيها من الوقوع في ورطات الجهل والحماقة . ويلطّف اوجاعها، ويخفف آلامها . ويعطي راحةً لجسمها، وحريّةً لضميرها وعقلها، واستقامةً واصابةً لافكارها وتصوّراتها . ويعيّن لهـا واجبات واعمالًا تناسب بناءها وتليق بها . ويورثها خصالًا ومزايا تُلقي لها في قلب الجماعة اعتباراً وكرامةً ومحبةً وهيبةً ووقاراً . . .

فوائد زوجها :

اما فوائد تعليم المرأة لزوجها فتتضح من النظر الى نسبتها اليه، وما تقتضيه تلك النسبة . ولا يخفى ان علائق الارتباط بينهما من اعظم مـا يوجد في عالم نظير عالمنا . ويظهر عند التحقيق ان المقصود الاصلي من المرأة لزوجها ان تكمّل نقائص طبيعته، وتجعله اكمل مما كان لولاها . لانها في الغالب تقدر ان تميل به الى الجهة التي تروق لناظرها، فتجعله احسن واسعد، او اردأ واشقى مما هو، بحسب هواها . وهكذا القول في الرجل بالنظر اليها . وما دامت درجة المرأة او الزوجة لا تُحسب ارفع من درجة الأَمَة او الجارية الا قليلًا ، يكون تقدّم العيـال ، وبالتالي العالم، بطيئاً جدًّا . وذلك لانه، والحالة هذه، يكون ما يُعمل في العائلة، التي هي سرير الطبيعة العظيم، قليلًا في الغاية ؛ وتكون الآلة الاقوى للحكم بشريعة المحبة واللطف باطلة عاطلة، والقوة الصامتة التي للمرأة في سياسة العالم ضعيفة

لا تأثير لهـا الا قليلاً . فيلزم حينئذٍ الالتجاء الى الحكم بقوة الخوف والتأديب التي هي قاصرة لا يتوصل بها الى المراد على اكمل حال . والرجل انما يتخذ المرأة لكي تكون معينةً له في اعماله، وشريكةً في آرائه وافراحـه واحزانه وفقره وغناه، ومربية لاولاده، ومهتمّة ببيته في غيابه وفي حضوره، واقرب صديق له، ترافقه في كل مكان وزمان وحالة، اذ تطّلع على عيوبه ومحاسنه اكثر من كل انسان غيرها، دون استثناء الوالدين والاخوان . وهي تلتزم له واجبات خصوصية من محبة وطاعة وامانة، الى غير ذلك مما لا يسعني ذكره . وبما ان شرفها في شهرته، واكليلها في كرامته، وراحتها في نجاحه وصلاحه، يكون نصحه وتقويمه وراحته من اكبر مرغوباتها وهمومها . وماذا ينتج من كل ذلك الا ان فوائد تعليمها، له ولما يتعلق به، جزيلة لا تقدَّر ؟ وهل يتأتى لها القيام بحق ذلك، او يليق بنا ان نطلب او نترجّى منها اعمالاً ومهمّات كهذه دون ان نعلّمها ؟ وكم تكون الخسارة اذا اعفيناها من كل ذلك لكي نتخلّص من كلفة تعليمها ؟ وكيف يمكنها، دون تعليم، ان تكون لرجلها زوجة فهيمة، وصديقة مشفقة، ومشيرة حكيمة، وقرينة امينة في تأدية واجباتها له، ومساعدةً له في اعماله، ومخففةً لآلامه، ومربيةً خبيرة لاولاده، وحافظةً لترتيب بيته وتدبيره، وكاسرةً لعادية[1] حميّته، وهلمّ جرّاً ؟ والرجل الـذي يسأل في المرأة عن حسن الاخلاق والفهم والمحاسن الادبية دون الصفات الخارجية المحضة، هل تروق له مساكنة زوجة خالية منها او مسامرتها ؟ افما يكون البيت عنده كبرّيّة مقفرة، وتكون عيشته مكدّرة منغّصة، وبيته عادماً كل ترتيب ونظام ونظافة، واولاده متروكين لعناية التقادير والطبيعة ؟ اما تفوتـه كل البركات والراحة والفوائد المقارنة لعائلةٍ امّها متمدنة تكللها باكاليل بشاشتها وهشاشتها، وتسود عليها بحكمتها وفطنتها ؟

فوائد الاولاد :

ثم ما اعظم الفوائد الحاصلة للاولاد من تعليم المرأة ! لان المرأة تبذل ما لها

---

١ العادية : الحدّة والغضب .

من المعرفة، والآداب، والتمدُّن، لاولادها . والولد يقبل المؤثرات الاولى من امه لانها هي اول شيء يقع تحت حواسه وادراكاته . فمن النظر الى نور وجهها يكتسب ابكار افكاره . وعيناها، وصوتها، واستمالتها اليه، تنبّه الحركات الاولى في قلبه . واذ يكون كأرض بائرة[١] لم يخطّها محراث، ولا علتها مِنجل، يقبل منها تلك الحركات مهما كانت، اي سواء كانت جيّدة او رديئة، جليلة او حقيرة، مستقيمة او معوجّة . ويراقب اعمالها وحركاتها بميل غريزي شديد، ويتّجه نحوها بعواطف قويّة لكي يتقلّد اعمالها ويقتدي بمثالها . وهي حينئذٍ تطبع في قلبه الخالي اللطيف اللين كل ما طاب لها ووافق ذوقها . وتتحرّك بربابطات نفسه، وهي في قبضتها، الى الجهة التي تقصدها . وتروق لناظرها . ولا يخفى ان المؤثرات الاولى تكون اقوى المؤثرات واكثرها دواماً . لانها تدخل الى اعماق القلب بكل قوّة؛ وهناك تحيا وتنمو، وتكتسب بالتدريج قوّة تغلب جميع المؤثرات الأُخر، الطارئة عليه بعد ذلك ... ولا يخفى انه يكون، كلّ هذه المدة في مدرسة أمه يرافقها في كل مكان وزمان وحالة . وقلّما نراهُ مع ابيه، او تحت تدبيره وعنايته، لان الاب يكون في الغالب مشغولًا في السوق او في الحقل . ولهذا اذا قصدنا اصلاح العالم او جماعة او عائلة، فلكي يكون لنا املٌ بالنجاح، يجب ان نبتدئ اولًا باصلاح هذه المدرسة، وان نُدخل فيها العلوم والمعارف، والآداب السليمة الشافية؛ ونبذل الجهد في تثقيف الام التي هي معلّمة هذه المدرسة وكتبها وقوانينها وروحها وحياتها وكلّ ما لها . وحينئذٍ نرى الاولاد يرتضعون المعرفة والآداب مع الحليب، ويستقون من ينابيع التمدُّن الصافية مياه الخصال والعلوم والاخلاق الرائقة، بحيث تنتشر تلك المياه في اعضائهم الليّنة، وتؤثر فيها كطابع تأثيراً لا يُمحى فيما بعد . وتراهم، وهم في احضان امهاتهم او جلوس الى جانبهنّ، يدرسون المثالات الاولى الاساسية، ومبادئ العلوم والفنون . فيتمتعون باثمارها الشهية في طفوليتهم، وبعد ذلك، الى نهاية حياتهم . وفي هذا المكان المظنون من كثيرين حقيراً لا طائل

١ الارض البائرة : التي لم تُزرع .

تحته، يتصورّ جنين العالم، وفيه يولد، ويترعرع . ومن هذا الابتداء نقدر ان نحكم : ماذا، وكيف يكون العالم باسره . وعليه تتوقف سعادته وشقاؤه . لان المرأة هي التي تصوّر العالم كيفما شاءت، وتهضمه في القالب الذي تريده . لانه ما من عائلة صغيرة او مملكة كبيرة، الا وللمرأة التأثير الاعظم فيهـا . حتى اذا عمَّ النساء الجهل في مكان او زمان، تراه قد انتشر واستولى بملء قوته على جميع اهله . وما يجعل الناس برابرة متمدنين، اصحاب ديانةٍ او كافرين، اشراراً او صالحين، علماء او جاهلين، الى غير ذلك، انما هو المرأة . وهي سيدة الكون، وقالبه في طفوليته، ومرآته وقدوته في صباه، وحكمته وقائدته في شبابه، وراحته وبلسمه في شيخوخته. وتراها عند ما يقع الولد على صدرها، او يجلس الى جانبها، تشغل اذنيـه وسائر حواسه بما لذَّ لها، ووافق ذوقها وعادتها . وتفيض عليه بسخاء ورغبة إما ما راق وعذب من مياه تعليمها وآدابها، وإما سمّاً زعافاً من مجاري جهلها وحماقتها . وعلى ذلك يكون العالم، في معرفته وآدابه وروحه وطباعه واخلاقه وهلمَّ جرّاً، نظيرَ امه . ويا ليت شاعرنا قال : « ومن يشابه أمه فمـا ظلم » . حتى قال احدهم : « اخبرني ما هو الانسان وانا اخبرك ماذا كانت امه ! » . وهو مسلَّم بالتجربـة والاختبار انه، كما تقدَّم، لا يمكن وجود علم في عامّة الرجال من دون وجوده في عامة النساء، كما انه لا يمكن وجود نساء عالمات في عالم من الرجال جاهلٍ . وما هي النتيجة من ذلك جميعه الا ان فوائد تعليم المرأة لاولادها عظيمة لا تُقاس ولا تُقدَّر . . .

٣٧١ اضرار جهل النساء

اما الاضرار الناتجة من جهل المرأة فمن جملتها : فساد ذوقها . لانها تستحسن ما يستهجنه الذوق السليم من امر الملبوس، والزينة، والحركات . فتراهـا تخترع وسائط شتى لاجل تحسين قدّها، او لونها، او هيئتها، كما تدَّعي، غيرَ مرتضيةٍ بما اسبغهُ عليها من ذلك بارئُ الطبيعة الحكيم . وتبذل جهدها في ان تجعل نفسها

بمنزلة لُعَيبة للفرجة ، او شرك يُصطاد به الناس، غير عالمة ان ذلك انما يزيدها شناعةً وقبحاً ومقتاً .

ومنها فساد عقيدتها . لانها تصدّق خرافات، وتعتقد بتشاؤمات لا يقبلها العقل الصحيح، بل تدلّ على صغر عقلها وحماقتها . وذلك كالإصابة بالعين، ونبيح الكلب، وعواء الثعلب، وهلمّ جرًّا مما اشتهر عنها في كل مكان وزمان . ومن اراد الوقوف على ذلك فليطلبه في الكتاب الكبير المنسوب الى النساء الذي لا يوجد منه ولا صفحة واحدة في حوزة المرأة المتمدّنة . او يسأل عنه العجائز اللواتي قرأنه وعلّمنه في مدارسهنّ .

ومنها فساد آدابها كما يظهر في كلامها وتصرّفها بين الجماعات . ومعلومكم ان صراخ النساء في الاعراس واوقات الفرح، وولولتهنّ في المآتم وازمنة الحزن، مما يدلّ على شدّة جهلهنّ وابتعادهنّ عن درجة التمدّن والآداب ابتعاداً قاصياً .

ومنها فقدان المحبة الطبيعية حتى نحو اولادها، ومما يثبت ذلك هلاك الآلاف الكثيرة في الهند من الاولاد الذين تتلطّخ ايادي امهاتهم وتتضرّج اذيالهنّ بدمائهم كل سنة .

ومنها فوات كل ما سبق ذكره من فوائد تعليم المرأة .

ولا ريب ان الاضرار الحاصلة من المرأة الجاهلة لمن تقدّم ذكرهم هي اعظم بغير قياس من الفوائد الناتجة لهم من المرأة المتمدنة كما يظهر عند الاعتبار . وبالاجمال اقول ان من اراد الوقوف على المضرّات الناجمة من جهل النساء، فلينظر الى المرأة الجاهلة نفسها في كلامها، وملبوسها، وتصرّفها داخلاً وخارجاً، وآرائها وافكارها، في الدين والدنيا، وآدابها وميلها وعواطفها، وبيتها وزوجها واولادها ومعارفها، وحين تفرح او تحزن، او تُزَفّ او توضع على مرتبتها، الى غير ذلك من صفاتها واعمالها وحركاتها ومتعلقاتها . ومن حقّق النظر في ذلك يعذرنا من التفصيل فيه او التمثيل، ولا يكلّفنا بيّنات تُثبت ان المرأة، دون علم، شرّ عظيم في العالم، اذا لم تكن اعظم شرّ يمكن تصوّره .

ميزته : تمتاز كتابة بطرس البستاني بالانسجام والطبعية البعيدة عن كل زخرف وتنميق، وبالبساطة في اختيار الالفاظ والاساليب، والسهولة في اللفظ والتركيب، وان هذه الميزات، مضافة الى رصانة الكاتب، وقوة حجته، وجلاء بيانه، تكسب كلامه جلالاً وتصبغه بصبغة العلم الحقيقي، الذي لا يطلب الا الحقيقة والمعاني، ولا يريد من اللغة الا التعبير عن تلك المعاني بدقة وجلاء . وهو على بساطة اسلوبه بعيد عن الاسفاف .

أحمد فارس الشدياق (١٨٠٥ ـ ١٨٨٧م/١٢٢٠ ـ ١٣٠٥ هـ)

[ولد في عشقوت بلبنان وتخرج في مدرسة عين ورقة وتنقل في البلاد من مصر الى مالطة الى أوروبا الى تونس فالاستانة . وقد كان ضليعاً في اللغة مولعاً بالادب ثائراً على المناهج العربية القديمة وان لم يتملّص منها في قسم من منظومه ومنثوره . من أشهر مؤلفاته « الجاسوس على القاموس » و « سر الليال » و « الساق على الساق في ما هو الفارياق[1] » .]

الناقد الاجتماعي :

٣٧٢ من الناس

[تناول الشدياق في نقده الناس أفراداً وجماعات . أما الافراد فقد جاء كلامه عليهم في فصوله « جمل أدبية » التي نشرها في الجرائد وبدأها دوماً بقوله : « من الناس » .]

من الناس من يبالغ في مدح وطنه، ويحن اليه حنينه الى سكنه[2]، فيصف

---

١ الفارياق: اسم اشتقه الكاتب من كلمتي: فارس الشدياق. ٢ السكن: ما يستأنس به كالمرأة.

مروجه ورياضه، وبروجه وحياضه، ووهاده وجباله، وتلاعه[١] وتلاله، وربوعه ودياره، ونباته واشجاره، وبقوله وثماره، ودوحه واطياره، وطيب هوائه، ولذّ مائه، يزعم ان فصوله كلها كالربيع حسناً، وان جميع اقطـاره تتدفق بركة ويمناً، وان شهراً فيه خير من الف عام في غيره، وان كل بلد مستمد من خيره ومحتاج الى ميره[٢]، ثم يزفر زفير الهائم الحيران، ويصرخ صراخ الولهان، ألا ان حب الوطن من الايمان .

هي البلاد التي تغزلت بها الشعراء، بل قـد ذكرت ايضاً في بعض الكتب المنزلة، في عدة مواضع مفصلة، فقيل انها معدن الخير والكرم، ومثوى الصالحين من الامم، ومنها كان مبدأ الصنائع والعلوم في كل مجهول ومعلوم .

فاذا قلت له كيف جارك الادنى لعله كان لك عوناً وخدنا[٣] ؟ قال : ويلي ! انه شر جار، وهو على البلاد عار وشنار .

– فكيف اهل الحارة طرا ؟ قال : ويلي ! انهم كانوا كلهم علي شراً، ولم اجد منهم الا ضراً .

– فكيف اهل البلد اجمعين ؟ قال : ويلي ! وما منهم امين ولا معين، فما كأنهم خلقوا من ماء وطين .

– فكيف حال الامام ؟ قال : ويلي ! انه من الطغام[٤] اللئام .

– فكيف شأن المطران ؟ قال : ويلي ! انه ذو هذر وهذيان .

– فكيف الحاخام ؟ قال : ويلي ! انه يحرم الحلال ويحلل الحرام .

– فكيف اهل الرستاق[٥] ؟ قال : ويلي ! اني قد اختبرتهم جميعاً فلم اجـد لاحد منهم من خلاق، وان هم الا جهال اغبياء، وينقادون لمن يأمرهم من الاغنياء، فانهم عبيد الدرهم والدينار، ولا يبالون الا بملء بطونهم ولو من الخنشار[٦] .

---

١ التلاع ج تلعة : ما ارتفع من الارض .   ٢ الميَر : الطعام .   ٣ الخِدن : الصديق .
٤ الطَّغام : أوغاد الناس .   ٥ الرُّستاق والرُّزداق : ما حـول البلدة من القرى .
٦ الخُنشار : ما يبقى على المائدة مما لا خير فيه .

– فكيف اهل المدن والامصار ؟ قال : وبلي ! انهم اولو غبن وغش واخفار[١]، ما تعامل منهم من احد الا ويمنيك بالكمد والنكد والخسار .

– فكيف اهل الجبال ؟ عسى انهم ممن صفت طويتهم وطاب منهم البال، فتلك خلة قد اختصوا بها في جميع الازمان .

قال : ويلك ! ومن اين لهم الصفاء، وقد فطروا على الشراسة والجفاء، فابتعدوا عن الآداب، فكادوا ان يحصوا مع الذئاب . فان احدهم ليقتل اخاه على خبزة يسد بها جوعه، ويسلب صديقه في اكلة ويحرمه هجوعه . هذه حالة سكان البلاد، الحاضر منهم والباد، فلا تكثرن من السؤال، ولا يخطرن ببالك غير هذه الحال . فان قلت له : ولكن كيف اشتملت بلادكم على تلك المحاسن، واهلها على هذه المساوي الشوائن ؟ قال : ان اهلها الاولين كانوا من الخيرين، فحرثوها وزرعوها، وعمروها وامرعوها . ثم فسد الزمان فجاءت خلفاؤهم فاسدة، لكن بقيت تلك المحاسن فيها سائدة .

– ولكن ما معنى فسد الزمان وهو لم يكن صالحاً قط منذ خلق الانسان، والتواريخ على ذلك شاهدة، ونصوصها عليه متساندة متعاضدة ؟ ثم كيف فسدت الخلفاء، وانت بقيت من بينهم طالحاً، ترى كل من سواك طالحاً ؟ ولو كنت من الصالحين، لما رأيت في غيرك خلقاً يشين، فانما ينظر في عيوب الناس من كان اسوأ منهم حالاً :

ومن يك ذا فمٍ مرٍّ مريضٍ يجد مراً به الماء الزلالا

كذا قال الشاعر الحكيم، فما انت في طعنك على جنسك الا مليم، وان امرأ يحسب جميع اهل بلاده دونه، لجدير بان يشيعوا فتونه[٢]، ويذيعوا جنونه، ويتجنبوا محضره، ويتنكبوا[٣] منظره .

---

١ الاخفار : نقض العهد . ٢ الفتون : ذهاب العقل . ٣ يتنكبوا : يتجنّبوا ويعتزلوا .

٣٧٣ تعليم المراة

[اطلع الشدياق على البون الشاسع بين حالة المرأة في الغرب وما هي عليه في الشرق فدعا الى ترقية حال المرأة الشرقية وتثقيفها وإطلاعها على ما يفيدها ويرجع على بنيها بالنفع، وحمل على بعض العادات المستنكرة :]

وكانت زوجة الفارياق لا تدري شيئاً سوى بيت اهلها، ولا تتكلم في أمر الا فيما جرى لها مع امها او لامها مع الخادمة او لهذه معها . وكانت اذا أخبرت مثلاً بان الخادمة ذهبت الى السوق لتشتري شيئاً تخللت كل جملة بضحكة طويلة . فاقتضى لاخبارها من الوقت نحو ما كان اقتضى للخادمة من الذهاب والاياب . وسبب ذلك ان البنات في مصر والشام لا يعاشرن أحداً سوى الخوادم واهل البيت . أما امهاتهن فلا يطالعنهن بشيء من امور الدنيا مخافة ان تنجلي الغشاوة عن ابصارهن فيعرفن ما يراد منها . فمن ثم كان تحصيل معارفهن كلها من الخوادم لا غير .

ولما كان هؤلاء يرين ان في اخبار البنات بما يهوين ويملن اليه بالطبع خيراً لهن عظيماً، فاذا رأت احداهن مثلاً فتى جميلاً بادرت من ساعتها الى البنت وقالت لها: قد رأيت اليوم يا سيدتي شاباً مليحاً ظريفاً لا يصلح الا لك، وانه حين نظرني وقف وشخص الي وكأنه كان يريد ان يكلمني، واخاله عرف انك أنت سيدتي، فاذا رأيته المرة الآتية كلمته . وأشباه ذلك من الكلام مما يجعل البنت ذات ضلع معها اذا غضبت منها الام .

ولا يخفى ان البنات اذا كن جاهلات بالقراءة والكتابة وحسن المحاضرات وبآداب المجلس والمائدة وغيرها، فلا بد ان يتعوضن عن هذا الجهل بمعرفة الحيل والمكايد التي يتخذنها وسيلة لما يرمن . فان البنت اذا اشتغلت بقراءة فن من الفنون او بمطالعة الكتب المفيدة صرفها ذلك عن استنباط الحيل . فاما اذا لم يكن لهن شغل غير ملازمة البيت وليس فيه غير الخادمة فان افكارهن واهواءهن

كلها تتجمع الى مركز واحد وهو اتخاذ الخادمة وسيلة لهن وسنداً . فكلامها عندهن اصدق من كلام امهاتهن .

فالاولى عندي انا العبد الحقير ان تشتغل البنت بأحد الفنون والعلوم النافعة سواء أكان ذلك عقلياً او يدوياً . فجهل البنات بالدنيا غير مانع لهن من معرفة الرجال واستطلاع احوالهم ، بل ربما افضى بهن هذا الجهل الى التهافت عليهم والانقياد اليهم من دون نظر في العواقب، بخلاف ما اذا كن تأدبن بالمحامد والعلم اللائق بهن فانهن يعرفن ما يعرفن من الرجال عن تبصر وتدبر .

وهناك قضية اخرى وهي ان النساء اذا علمن من أنفسهن انهن كِفاء الرجال في الدراية والمعارف تترَّسن دونهم بمعارفهن وتحصنَّ بها عند تطاول الرجال عليهن، بل الرجال انفسهم يشعرون بفضلهن فيرتدعون عن ان يهتكوا حجاب التأدب معهن .

الناقد اللغوي والادبي :

٣٧٤ المعلم والطالب

[كان الشدياق مائلاً الى الافلات من القيود التقليدية . ومما تناوله بالتهكم النحو العربي وطرقه الصعبة وأساليب البيان والبديع وما يتصل بهما من صناعة فارغة . وقد اراد ان يكون الشعر طليقاً من الاساليب القديمة البالية ، والنثر خالياً من الزخرفة الجوفاء . وفي المقالة التالية تهكم بارع لاذع ينضح من محاورة معلّم وتلميذه :]

قال المعلم : النحو أساس العلوم وكل العلوم مفتقرة اليه افتقار البناء الى الاساس . الا ترى ان أهل بلادنا لا يتعلمون سواه ولا يعرّجون على غيره ؟ وعندهم ان من تمكن منه فقد تمكن من معرفة خصائص الموجودات كلها . ولذلك لا يؤلفون الا فيه . . . واني وان كنت قد لقيت منه عرَق القِربة وكثيراً ما بتّ

وبالي مشغول بعقلة من عقله وبداهية من عراقيله . فكنت آرق ليلي كله ولا اهتدي الى وجه الصواب فيما عَوِص علي من ذلك . الا اني استفدت منه فائدة عظيمة جعلتني ممنوناً لبنت ابي الأسود الدؤلي[1] أبد الدهر، فانها هي التي كانت سبباً في استنباطه. قلت : وكذا اسائر البدائع كان اصل استنباطها مسبباً عن النساء.

فقال له التلميذ : ما هذه الفائدة يا أستاذي ؟ قال : قد طالما كان يخامرني الريب في قضية خلود النفس . فكنت أميل الى ما قالته الفلاسفة من انه كل ما كان له ابتداء فهو متناه؛ فلما رأيت النحو له ابتداء وليس له انتهاء قست النفس عليه فزال عني، والحمد لله، ذلك الابهام . ومثله او اكثر منه في الصعوبة فن المعاني والبيان .

فقال له التلميذ : لم أسمع بذكر ذلك قط .

قال : اما انا فقد سمعت به واعرف ما يشتمل عليه . وهو المجاز والكناية والاستعارة والتورية والترصيع وغير ذلك مما ينيف على مئة نوع . وبيان ذلك مفصلاً يستفرغ أجلاً . وربما قضى الانسان عمره كله في علم الاستعارات وحدها إن لم يمت وهو جاهلها، او يكون قد نسي في آخر الكتاب او الكتب ما عرفه في اوله .

وذلك ان من اخترع هذا العلم الجليل لم يكن سلطاناً حتى يمكنه اجبار الناس جميعاً على متابعته ومشايعته، بل كان فقيراً فأولع بهذا الشيء. وشرّح الله صدره لتقرير قواعد له فكان لا يقع بصره على شيء الا خطر بباله طريقة من طرقه . . . ثم ما زال المستنبط يفكر في هذه البدائع حتى ادركه الاجل فمات وبقي عليه اشياء كثيرة لم يحكمها . فقام من بعده من أولع مثله بهذا الفن فاستدرك على سلفه مواضع كثيرة، وظل يباحثه ويعارضه الى ان قضى نحبه وقد ترك مجالاً لغيره . فجاء من بعده من أصلح بينهما في عدة مواطن وعاب على كل منهما ايضاً اموراً، ثم مات ولم يُنه ما قصده . فخلفه من صنع به ما صنعه هو بغيره، وهكذا

[1] أبو الأسود الدؤلي (٦٨٨م / ٦٩هـ) هو اول من وضع قواعد النحو العربي .

بقيت ابواب النقد مفتوحة الى عصرنا هذا . فمن قائل ان هذه العبارة من الاستعارة التبعية، ومن قائل انها من الترشيحية .

فقال له التلميذ وقد امتقع لونه: وهل النحاة ايضاً ماتوا ولم ينهوا قواعد هذا العلم، وهل قراءتي له عليك تغني عن اعادته عند غيرك هنا، وهل يجب على الطالب في كل بلد سافر اليه ان يتعلم نحو اهله ام هو علم مرة واحدة؟ فقال له الشيخ : أما عن المسألة الاولى فأجيب انه ما جرى على البيانيين فقد جرى ايضاً على النحاة . فقد قال الفرّاء اموت وفي قلبي شيء من حتى . وقد مات سيبويه وبقي في قلبه من فتح همزة ان وكسرها اشياء . ومات الكسائي وفي صدره من الفاء العاطفة والسببية والفصيحة والتفريعية والتعقيبية والرابطة حزازات. ومات اليزيدي وفي رأسه من الواو العاطفة والاستئنافية والقسمية والزائدة والانكارية صداع وأي صداع . ومات الزمخشري وفي كبده من لام الاستحقاق والاختصاص والتمليك وشبه التمليك والتعليل وتوكيد النفي وغير ذلك قروح وأي قروح . ومات الاصمعي وفي عنقه من رسم كتابة الهمزة غُدّة .

وفي الجملة فان معرفة حرف واحد من هذه الحروف اذا تعمّد الطالب استقصاءها وجب عليه ان يترك جميع اشغاله ومصالحه ويعكف على ما قيل فيه وأجيب عنه . وأما قولك هل يلزم ان تقرأ النحو ايضاً على غيري هنا أي في بلادنا فذلك غير لازم، فان أهل بلادنا كلهم لا يطالعون غير هذا الكتاب الذي تطالعه أنت، بل قلّ من يطالعه ويفهمه او يعمل بمقتضى قواعده . واما عن سؤالك الثالث فأقول انه لا ينبغي اعادة هذا العلم في كل بلد ولكنك حيثما سرت وايان توجهت وجدت أناساً ينتقدون عليك كلامك، فان عبرت بالواو مثلاً قالوا الافصح هنا الفاء، او بأو قالوا الاولى أم . وفي بعض البلاد اذا علم انك تنقط ياء قائل وبائع سقط اعتبارك من عيون الناس . فقد قرأت في بعض كتب الادب ان بعض العلماء عاد صديقاً له في حال مرضه فرأى عنده كراسة قد كتب فيها لفظة قائل بنقطتين تحت الياء فرجع في الحال على عقبه وقال لمن سار معه : لقد أضعنا خطواتنا في

زيارته . وهذا هو سبب قلة التأليف في عصرنا ، فان المؤلف والحالة هذه يعرض نفسه للطعن والقدح والبلاء ، ولا يراعي الناس ما في كتابه من الفوائد والحكم الا اذا كان مشتملاً على جميع المحسنات البديعية والدقائق اللغوية . ومثل ذلك مثل رجل فاضل يدخل على قوم بهيئة رثة ورعابيل[1] شماطيط[2] ، فالناس لا تنظر الى أدبه الباطني بل الى بزّته وزيه ، والحمد لله على قلة المؤلفين اليوم في بلادنا اذ لو كثروا وكثر نقدهم وتخطئتهم لكثرت اسباب البغض والمشاحنة بينهم . وقد استغنى الناس عن ذلك بتلفيق بعض فقر مسجعة في رسائل ونحوها كقولك السلام والاكرام ، والسنية والبهية ، فأخفه ما كان ساكناً .

ميزته : أكثر الشدياق من التجول في اقطار الارض ففتحت له أسفاره آفاقاً جديدة ، وكان يأنف من التقيد بما يفرض عليه فرضاً لا يستحسنه . فانتقد ما لم يرقه في الافراد والمجتمع ، وثار على تقاليد العرب الادبية . واما أسلوبه فهو في اكثر الاحيان مرسل بعيد عن القوالب المصطنعة والزخرفة البديعية ، سهل ، يكثر فيه الاستطراد ويأخذ بالطريقة القصصية ويصطبغ بالتهكم والسخر ، وإن بعُد ذلك التهكم احياناً عن طرائق النفوس المهذّبة ومذاهب الذوق السليم .

أديب اسحاق (١٨٥٦ ـ ١٨٨٥ م / ١٢٧٢ ـ ١٣٠٢ ﻫ)

[كاتب ألمعيّ متلهب الذكاء عجيب الذاكرة ساهم في رفع لغة الصحافة ولكن علة الصدر لم تمهله طويلاً فمات في الحدث بلبنان . ومن أشهر مؤلفاته « الدرر » وهي منتخبات من أشعاره وخطبه ومقالاته .]

٣٧٥ التردد

اذا كنت ذا رأيٍ فكن فيه مُقدِماً   فإنّ فساد الرأي أن تتردّدا

---

١ الرعابيل ج رعبلة : الثوب البالي .   ٢ ثوب شماطيط : خلق متشقق .

ووالِ الزمان اذا والاك، وخذ منه ما أعطاك، فهو مَلولٌ يألف الصدَّ، وبخيلٌ لا يأنفُ الردَّ. وانتهز فرص الحوادث فالعمر وإن طالَ أقصرُ من ان يسعَ المِطال[١].

واعتبر بالذين يقتلون الايام بين الإحجام والإقدام، ويؤجّلون للغد ما امكن بالامس، الى أن يمتنعَ الإمكان بما يحول دونه من مصاعب الزمان، كيف تلاشت احوالهم، وساء مآلهم، فصاروا الى الضعف بعد القوّة، والهرم بعد الفتوّة، والخمول بعد النباهة، والخسف[٢] بعد الوجاهة، حتى عاد مجدهم صَغاراً[٣] ومُسِخ فضلهم عاراً. وانظر الى الذين يُنيطون الاقوال بأطراف الاعمال، ويستلبون الاوقات من مخالب الآفات، وينتهزون الفرَصَ كيفما سنحت ويدخلون ابواب السعي متى فُتحت. هل زلّت بهم الأقدام أم ندموا على الإقدام، ام أسِفوا كما يأسف المهملون، ام خُسفوا كما خُسف المترددون؟ أوَ ما تراهم في ذروة المجد، وربوة النعمة، وعَقوة[٤] الحرية، لا يبلغ شأوهم الساعون، ولا يمسهم الشقاء، ولا ينالهم الظالمون بسوء؟ فهم القادرون اذا رغبوا، والمدركون اذا طلبوا، والعالمون اذا نطقوا، والسابقون اذا لحقوا. تبتسم الحياة لشيوخهم كما يبتسم الموت لفتياننا، ويروق الوجود لفقرائهم كما يروق الغنى لاغنيائنا. حتى كأن الزمان عاهدهم على الراحة، وواعدهم باستمرار الهناء، كما واثقنا على الجهد واستقرار البلاء.

فيا قومُ، لقد مرّت بكم الايام بأسباب النعمة والنقمة، والراحة والتعب، واليأس والرجاء، فلم تستوفوا الرغائب، ولم تجتنبوا النوائب... يأخذكم فيا ترومون عَذلُ الخائفين فتنسون ماضي الزمان على رجاء آتيه، فيومكم ابداً مستهلكٌ في غدِه والغدُ في ما يليه. فيا حليف الصبر، ويا نِضوَ[٥] العناء، نداء مشاركٍ في بلواك، وسامعٍ لنجواك: دع التردد إن أردتَ النجاح والنجاة، وأقدم فربَّ حياة تكون في الموت، وربَّ موت يجيء من طلب الحياة...

---

١ المِطال: التسويف. ٢ الخسف: الذل والنقصان. ٣ الصغار: الذلّ والضيم.
٤ العَقوة: الساحة. ٥ نِضو العناء: المهزول من العناء.

٣٧٦ الحرب وجرحاها

عرف الانسان مضارّ الحرب ولم يتجنبها، فهل تلك طبيعة وُجدت في كيانه الحيواني او عادة تمكنت فيه بالاستمرار، فصارت ملكة يتعذّر التخلّص منها؟ وهي مسألة تؤدي الى النظر في هل طُبع على الخير او الشرّ، او كان من عجائبه ان اجتمع فيه النقيضان...

فلو رأيته وهو في ساحة القتال، يطلب قِرناً يصاوله، وخصماً يطاوله، وفارساً ينازله، وبطلاً يقاتله، لأنكرته، وهو في ديار السلم، يطلب ذا مروءة يساعد من جرحه، ويُنهض من طرحه. فهو في جهة ينادي: «الانسانية الانسانية!» وما ادراك ما هي! هي صفة تقوم بمن ضعف فيه الميل الحيواني فقوي الميل الانساني، وهي الترفّع عن الحاجات الحيوانية الى المطالب العقلية، وتجريد النفس عن دنيء شهواتها لرفعها الى سامي غاياتها. وفي جهة ينادي: «الحرب الحرب»! وما ادراك ما الحرب! هي باعث الهول والكرب، اولها شكوى وأوسطها نجوى، وآخرها بلوى...

هو معترك أومضت فيه بُروق المرهفات، ولعلعت رعود المدافع، فتلتها غيوث الكرات، وسكرت السيوف بخمر من الدم فعربدت في الرؤوس، وعقد العِثْيَر[١] لملك الموت سُرادقاً مطنّباً بالقنا، والخيل ساغبة[٢] تُقبل ثقالاً وتعود خفافاً، وكأنها وقد أعياها الفارس حيّاً قد غضبت على الانسان فداست هامته انتقاماً. وقد استحيت الشمس من خشونة الانسان، فاحتجبت بحجاب الضباب. وتململت الارض من اعماله فزلزلت زلزالها وكادت تُخرج اثقالها[٣]. فارتعد الرعديد، وثبت الصنديد، ونادى منادي الحرب: «من فرّ من الموت وقع، ومن كان ينوي اهله فلا رجع»! طريح على الارض جريح ذو كبد حرّى، يستجير باحدى يديه وفوق الكبد

---

١ العِثْيَر: التراب والغبار. ٢ ساغبة: جائعة. ٣ الاثقال ج ثقَل: كل شيء نفيس مصون والمعنى: تنشقّ عما في جوفها.

الأخرى . . . يذكر والدة تألمت به جنيناً، وأرضعته طفلاً، وربّته يافعاً، وسهرت عليه حالماً[١]، ووالداً واساه في كآبته، وسلّاه في حزنه، وتوجّع له في مُصابه . ثم تنجلي له الدنيا بزخرفتها وزينتها، فيرى مُرّ عذابها حلواً، وكدر مشاربها صفواً . فهذا هو الانسان الجريح بسلاح الانسان، المطلوبة مساعدته من الانسان .

ميزته : أسلوب اديب اسحاق قوامه السجع عموماً . وهو يعتمد على تنسيق التعبير وترجيعه وتدبيجه، وكاتبنا يحيي عباراته بضروب الجناس والطباق والاستعارة ويراعي الموسيقى في تراكيبه . وقد وصف مارون عبود عباراته بقوله : « اذا راعيتها منفردة لا تحسّ لها مفعولاً عظيماً، ولكنها تؤلف كلا تخرج منه النفس وقد ملأها هذا الكلام اندفاعاً واستبسالاً » .

الشيخ محمد عبده (١٨٤٩ _ ١٩٠٥ م / ١٢٦٦ _ ١٣٢٣ هـ)

[مفتي الديار المصرية وركن متين من اركان النهضة الاسلامية الحديثة بما كتب وألّف وبسعيه في سبيل اصلاح الازهر .]

٣٧٧ معنى الشرف

الشرف كلمة يهتف بها اقوام مختلفة من الناس، إلا ان اكثرهم عن حقيقة معناها غافلون؛ فئة ترى الشرف في تشييد القصور والتغالي في البنيان، وزخرفة الحوائط والجدران، ووفرة الخدم والحشم، واقتناء الجياد، وركوب العربات ؛ وفئة أُخرى تتوهّم ان الشرف في لبس الفاخر من الثياب، والتزيّن بألوان الالبسة وانواعها، والتحلّي بالجواهر الثمينة والاحجار الكريمة؛ كالماس والياقوت والزمرّد ونحوها؛ وفئة تتخيل الشرف في الالقاب والرُّتب، او في الاوسمة وعلوّ اسمائها، حتى

---

١ الحالم : الصبي الذي ادرك وبلغ مبالغ الرجال .

إنك ترى الرجل يسلب مال اخيه، وينهب ثروة اقاربه وذويه ؛ ليشيّد بما يُصيب من السحتِ[1] قصراً، ويرفع ويزخرف بيتاً، ويقيم له حُرّاساً من المماليك، وخفراً من الغلمان، ويظنُّ بذلك انه نال مجداً ابديًا، وفخاراً سرمديًا، وتجدُ الآخر يذهب في الكسب أشنع مما يذهب الاول؛ ليكتسي برفيع الثياب، ويتزين بأجل الحُليّ، او ليكون له من ذلك ما يفاخر به أمثاله، ويتخيل أنه بلغ به درجة من الرِّفعة لا يُدانى فيها، ويعبّر عن حاله هذا بلفظ « الشرف »، ويتوهّم أنه وصل الحقيقة من معناه ·

ومنهم ثالث يسهر ليله، ويقطع نهاره بالفكر في وسيلة ينال بها لقباً من تلك الالقاب، او يحصّل بها وساماً، او يستفيد وشاحاً، وسواء عنده الوسائل ، يطلبها ايًّا كان نوعها، وإن أفضت الى خراب بلاده، او إذلال أُمته، او تمزيق ملّتــه، وعنده أنه رَقِيَ الذروة من مَعنى الشرف ·

ماذا يجد من نفسه المباهي بقصوره، وولِدانه وحوره ؟ ألا يحسُّ من نفسه أنه وإن حاز منها أعلى ما يتصوّره العقل، فذاته – التي هي أعزُّ لديه من جميع مــا كسب – لم تستفد شيئاً من الكمال ؟ وأنّ جميع ما حصّله فهو اجنبيٌّ عنه، وليس له نسبة اليه إلا نسبة العناء في تحصيله ؟

ألا يرى أنّ كثيراً ممن بلغوا مبلغه او فاقوه، سلبتهم صروف الدهر ما بأيديهم، فأصبحوا بصفاتهم وجواهر ذواتهم، فإن لم يكونوا على جانب من الكمال الانساني انخرطوا في سلك الطبقات السافلــة ، ولم يبق لهم في القلوب منزلة ، ولا في النفوس مكانة ·

الشرف حقيقة محدودة، كشفتها الشرائع، وحدّدتها عقول الكاملين من البشر· وليس لذي شاكلة[2] إنسانية ان يرتاب في فهمها، إلا من ختم الله على قلبه[3]، وجعل على بصره غشاوة ·

---

١ السُّحت : ما خبث من المكاسب فلزم عنه العار . ٢ الشاكلة : الشكل . ٣ ختم الله على قلبه : جعله لا يفهم شيئاً .

الشرف بهاء للشخص يحوم عليه بالانظار، ويوجّه اليه الخواطر والافكار، وجمال يروق حُسنه في البصائر والابصار .

ومشرق ذلك البهاء عملٌ يأتيه صاحبه، يكون له أثر حسن في أمته او بني ملته، او في النوع الانساني عامة، كإنقاذ من تهلكة، او كشف لجهالةٍ، او تنبيه لطلب حقّ سُلب، او تذكير بمجد سبق، او إنهاض من عثرة، او ايقاظ من غفلةٍ، او إرشاد لخيرٍ يعمّ، او تحذير من شرّ يغمّ، او تهذيب اخلاق، او تثقيف عقول او جمع كلمة، او تجديد رابطة، او إعادة قوّة، او انتشال من ضعف، او ايقاد حميّة.

من أتى عملاً من الاعمال، له أثر من هذه الآثار فهو الشريف – وان كان يسكن الخصاص[1] والاكواخ، ويلبس الاسمال[2]، ويقتات بنبات البرّ، ويبيت على تراب القفر، ويتوسّد نشز[3] الارض، ويضرب في كل وادٍ، ويتردد بين الرُّبى والوهاد . هذا له حلية من عمله، وزينة من فضله، وبهاء من كماله، وضياء من جدّه، يهدي اليه ضالّة الالباب، وتائهة الافئدة، وله من روحه قصور شاهقة، وغرُفات شائقة، ومناظر رائعة، وجمال باهر، ونور زاهر . اليه يصعد الكلم الطيّب، والعمل الصالح يرفعه، وفي ذلك فليتنافس المتنافسون .

ميزته : لمحمد عبده أسلوب في الكتابة سلس قوي حافل بالمعاني بعيد عن السخف . وقد كان في اول الامر متأثرًا بأساليب الازهر ثم اخذ يتحرّر باحتكاكه بصاحب نهج البلاغة وبجمال الدين الافغاني .

---

١ الخصاص ج خص : البيت من قصب . ٢ الاسمال : الثياب البالية . ٣ النشز : المتن المرتفع من الارض .

عبد الرحمن الكواكبي

(١٨٤٩ ـ ١٩٠٢ م/١٢٦٥ ـ ١٣٢٠ هـ)

[هو سليل أسرة شريفة حلبية . أحب العلم وكره الجور والفساد فناضل في سبيل الاصلاح ولكنه حبس . ولما خرج من السجن طاف في بعض الاقطار وتوفي في مصر مخلفاً عدّة آثار أهمها : « طبائع الاستبداد » و « ام القرى » .]

٣٧٨ الاستبداد

[ضمّن الكواكبي كتبه تحليلاً دقيقاً للامراض الاجتماعية والسياسية وحمل فيها حملات عنيفة على الحكومة العثمانية . والمقطوعة التالية تدور حول موضوع الاستبداد :]

الاستبداد لغة هو اقتصار المرء على رأي نفسه فيما تنبغي الاستشارة فيه، ويراد بالاستبداد عند اطلاقه استبداد الحكومات خاصة لانها هي اقوى العوامل التي جعلت الانسان اشقى ذوي الحياة . واما تحكم رؤساء بعض الاديان وبعض العائلات وبعض الاصناف فيوصف بالاستبداد مجازاً او مع الاضافة . اما في اصطلاح السياسيين فهو تصرف فرد او جمع في حقوق قوم بلا خوف تبعة . وقد تطرق مزيدات على هذا المعنى فيستعملون في مقام كلمة استبداد كلمات استعباد واعتساف وتسلط وتحكم . في مقابلتها كلمات شرع مصون، وحقوق محترمة، وحس مشترك، وحياة طيبة . ويستعملون في مقام صفة مستبد كلمات حاكم بأمره، وحاكم مطلق، وظالم، وجبار . وفي مقابلة حكومة مستبدة كلمات عادلة، ومسؤولة، ومقيدة، ودستورية . . . هذا تعريف الاستبداد باسلوب ذكر المترادفات والمقابلات ؛ واما تعريفه بالوصف فهو ان الاستبداد صفة للحكومة المطلقة العنان التي تتصرف في شؤون الرعية كما تشاء بلا خشية حساب ولا عقاب محققين . . .

المستبد يتحكم في شؤون النـاس بإرادته لا بإرادتهم ، ويحاكمهم بهواه لا بشريعتهم ، ويعلم من نفسه انه الغاصب المتعدي فيضع كعب رجله عـلى افواه الملايين من الناس، ليسدها عن النطق بالحق، والتداعي لمطالبته . . . المستبد انسان والانسان اكثر ما يألف الغنم والكلاب . فالمستبد يودّ ان تكون رعيته كالغنم درًّا وطاعة، وكالكلاب تذللاً وتملقاً . وعلى الرعية ان تكون كالخيل ان خُدمت خَدمت وان ضربت شرست، بل عليها ان تعرف مقامها هل خلقت خادمة للمستبد ام هي جاءت به ليخدمها فاستخدمها . والرعية العاقلة تقيد وحش الاستبداد بزمام تستميت دون بقائه في يدها لتأمن من بطشه . فان شمخ هزت به الزمام، وان صال ربطته . . . العوام هم قوت المستبد وقوته بهم . عليهم يصول، وبهم على غيرهم يطول . يأسرهم فيتهللون لشوكته، ويغصب اموالهم فيحمدونه على ابقاء الحياة . ويهينهم فيثنون على رفعته، ويغري بعضهم عـلى بعض فيفتخرون بسياسته . واذا اسرف باموالهم يقولون عنه : انه كريم . واذا قتل ولم يمثـل يعتبرونه رحيماً . ويسوقهم الى خطر الموت فيطيعونه حذر التأديب . وان نقم عليه منهم بعض الاباة قاتلوهم كانهم بغاة . والحاصل ان العوام يذبحون انفسهم بايديهم بسبب الخوف الناشئ عن الجهل . فاذا ارتفع الجهل زال الخوف، وانقلب الوضـع، اي انقلب المستبد رغم طبعه الى وكيل امين يهاب الحساب، ورئيس يخشى عـادل الحساب، واب حليم يتلذذ بالتحابّ .

ميزته : اراد الكواكبي الاصـلاح عن طريق التمحيص النيّر والتحليل العميق والاستقراء والاستنباط . وكما قاوم استبداد الساسة قاوم استبداد المقلّدين فلم يجار معاصريه في السجع ولم يتحذلق في كلامه .

قاسم أمين (١٨٦٥ ـ ١٩٠٨ م/١٢٨٢ ـ ١٣٢٦ ﻫ)

[كاتب مصري تعلّم الحقوق في باريس وعاد الى مصر فتعاطى القضاء . وقد عمل على تحرير المرأة فنادى به ودافع عنه بجرأة .]

٣٧٩ تحرير المراة

[احتك قاسم أمين بمشكلات مجتمعه ولاسيما مشكلة المرأة التي أثيرت في عهده فوضع كتابه الاول « تحرير المرأة » دعا فيه الى وجوب تعليمها وتحريرها . فانقسم الناس معه وعليه إلا أنه لم يعدل عن رأيه بل وضع كتاباً آخر سمّاه « المرأة الجديدة » ردّ فيه على مخالفيه وفنّد آراءهم ودعم رأيه بالحجج الجديدة . والمقطوعة التالية منتزعة من هذا الكتاب :]

الحرية هي قاعدة ترقّي النوع الانساني، ومعراجه الى السعادة، ولذلك عدتها الأمم التي ادركت سر النجاح من أنفَس حقوق الانسان .

ومن المعلوم ان المقصود من الحرية هنا هو استقلال الانسان في فكره وارادته وعمله، متى كان واقفاً عند حدود الشرائع، محافظاً على الآداب؛ وعدم خضوعه بعد ذلك في شيء لارادة غيره، اللهمّ إلا في احوال مستثناة كالجنون والطفولية . . .

فهذه الحرية على ما بها من سعة هي التي يجب ان تكون اساساً لتربية نسائنا .

يتعجب بعض الناس من طلبي تخويل الحرية للنساء، ويتساءلون هل هنّ في قيد الرق . ولو فهموا معنى الحرية لما اختلفوا معنا في الرأي .

ليس مرادنا ان نقول ان المرأة اليوم تباع وتشترى في الاسواق، ولكن ليس

الرقيق هو الانسان الذي يباح الاتجار به فقط، بل الوجدان السليم يقضي بان كل من لم يملك قياد فكره وارادته وعمله ملكاً تاماً فهو رقيق .

لا اظن ان القارئ المنصف يختلف معي في الرأي ان قلت : ان المرأة في نظر المسلمين على الجملة ليست انساناً تاماً، وان الرجل منهم يعتبر ان له حق السيادة عليها، ويجري في معاملته معها على هذا الاعتقاد، والشواهد على ذلك كثيرة .

فليس من الادب، في كثير من العائلات، ان لا تقبّل المرأة يد الرجل عند السلام عليه، ولا من الادب ان يجلس النساء مع الرجال، ولا من الادب ان يأكلن معهم . وقد رأيت مراراً بعيني ان الرجل يجلس على مائدة الطعام وامرأته قائمة تطرد الذباب عنه، وبنته تحمل قلة[1] الماء . . .

والرجل الذي يحجر على امرأته ان لا تخرج من بيتها لغير سبب سوى مجرد رغبته في ان لا تخرج، لا يحترم حريتها، فهي من هذه الجهة رقيقة بل سجينة — والسجن اشدّ سلباً للحرية من الرق .

. . . ولو أخذ المسلمون برأي الجهال من فقهائهم، وهم أهل الرأي عندهم، لرأوا من الواجب عليهم ان يسجنوا نساءهم، وان لا يسمحوا لهنّ بالخروج الا لزيارة الاقارب في العيدين، ورأوا من الافضل ان لا تخرج من بيتها في جميع الاحوال، وقد عدّوا من مفاخرهم ان لا تخرج المرأة من خدرها الا محمولة الى قبرها ؟ !

ولا شك ان تقرير الحق للرجل في سجن زوجته ينافي الحرية التي هي حق طبيعي للانسان . . .

وبالجملة، فالمرأة من وقت ولادتها الى يوم مماتها هي رقيقة لانها لا تعيش بنفسها ولنفسها، وانما تعيش بالرجل وللرجل، وهي في حاجة اليه في كل شأن من شؤونها، فلا تخرج الا مخفورة به، ولا تسافر الا تحت حمايته، ولا تفكر الا بعقله، ولا تنظر

---

١ القلّة : الجرّة .

الا بعينه، ولا تسمع الا بأذنه، ولا تريد الا بارادته، ولا تعمل الا بواسطته، ولا تتحرك بحركة الا ويكون مجراها منه . فهي بذلك لا تعدّ انساناً مستقلًا بل هي شيء ملحق بالرجل .

. . . سيقال ان حرية المرأة تستلزم في الواقع ان يعاملها الرجل بالاحترام، وان لا يضغط على ارادتها وفكرها وان يسمح لها بالخروج للزيارة والرياضة . ولكن ما العلاقة بين حريتها وكشف وجهها، واختلاطها بالرجال، ومعاملتها لهم ؟
– فالجواب ان الزام النساء بالاحتجاب هو اقسى وافظع اشكال الاستعباد . ذلك لان الرجال في اعصر التوحش كانوا يستحوذون على النساء اما بالشراء واما بالاختطاف .

وفي كلتا الحالتين كانوا يعتبرون انفسهم مالكين نساءهم ملكاً تاماً، وتبع ذلك ان الرجل جرد امرأته عن الصفات الانسانية وخصصها بوظيفة واحدة وهي ان تمتعه بجسمها، فأقرها في مسكنه وألزمها بان تلازمه ولا تخرج منه، حتى لا يكون لاحد غيره حظ في ان يتمتع بها ولو بالنظر او الحديث . شأن المالك الحريص على ملكه الذي يريد ان يستأثر بجميع مزايا المتاع الذي يملكه .

ولما كان من المحال ان لا تعرض ضرورة تقضي على المرأة بالخروج من منزلها في بعض الاحيان، اراد ان يتبعها بالحجاب حيث سارت فألزمها بستر وجهها اذا خرجت . . .

فالحجاب هو عنوان ذلك الملك القديم، وأثر من آثار تلك الاخلاق المتوحشة التي عاشت بها الانسانية اجيالًا قبل ان تهتدي الى ادراك ان الذات البشرية لا يجوز ان تكون محلًا للملك لمجرد كونها انثى، كما اهتدت الى ان تفهم ان سواد البشرة ليس سبباً لان يكون الرجل الاسود عبداً للابيض . . .

فلما بطل حق ملكية الرجال على النساء، اقتضت سنّة التدريج ان تعيش النساء في حالة وسط بين الرق والحرية، حالة اعتبرت فيها المرأة انها انسان لكنه ناقص غير تام . . . وزعموا ان الله لما خلق الرجل وهبه العقل والفضيلة وحرمها من

هذه الهبات، وانها لضعفها وقلة عقلها وميلها مع الشهوات، يلزم ان تعيش غير مستقلة تحت سيطرة الرجل، وان تنقطع عن الرجال وتحتجب بان تُقصر[1] في بيتها وتستر وجهها اذا خرجت حتى لا تفتنهم بجمالها، او تخدعهم بحيلها، وأنها ليست اهلاً للرقي العقلي والادبي، فيلزم ان تعيش جاهلة .

وذلك هو السر في ضرب الحجاب وعلة بقائه الى الآن . فاول عمل يعدّ خطوة في سبيل حرية المرأة هو تمزيق الحجاب ومحو آثاره .

ميزته : قاسم أمين يعتمد في دعم آرائه على الشواهد والادلّة الكثيرة ، وعلى التحديد والتحليل للايضاح، ويرسل كلامه باتزان وقصد وحسن سبك ، رامياً الى الافصاح عن افكاره بصدق ودقّة، لا الى التلهّي بالصناعة اللفظية .

مصطفى كامل (١٨٧٤ ــ ١٩٠٨ م/١٢٩١ ــ ١٣٢٦ هـ)

[نابغة من نوابغ مصر في هذا العهد ومن مؤسسي نهضتها الوطنية . صرف همّه الى مقاومة الاحتلال الاجنبي وسخّر في سبيل ذلك بيانه الساحر وجرأته النادرة وكافح باللسان والقلم كفاحاً دائباً أثر في صحته فمات وهو في الرابعة والثلاثين من عمره .]

٣٨٠ لا نكوننّ امّة ميراثها الذلّ والهوان

[مقتطفات من أحدى خطبه الوطنية :]

سادتي وابناء وطني الاعزّاء ،

طالما وقفت بينكم خطيباً، اذكر مصائب الوطن العزيز، واذكّركم بالواجب

---

١ تقصر : تحبس .

نحوه، وأقف بينكم الليلة هذا الموقف نفسه اجابةً لصوت ضميري ، الذي يناديني في كل لحظة بوجوب خدمة هذه البلاد، التي لا شرف لنا الا بشرفها ولا مجد لنا الا بمجدها . وان العناية التي اجدهـا منكم في كل امر يهم الديار ومستقبلها تزيدني ثباتاً على ثبات وقوةً على قوة، وتكفل لي النجاح وتحقيق الآمال .

ومها قال القانطون اني أعرّض نفسي للدمار في سبيل امّة لا يُرجى لها النجاة، وان الخطيب بين المصريين انا يخطب في الصحراء، لا يُسمع له قول ولا يُجاب له نداء، فاني ارى ان اليأس من مستقبل مصر ضرب من ضروب الجنون، واعتقد ان الامّة المصرية لم تُخلق عبثاً في الوجود، واعلم ان الوطنية الحقيقية تقضي على صاحبها ان يعمل لأمّته في وقت شقائها اكثر من عمله في وقت عزّها ورخائها، وان يضحّي بكل نفيس لاجل سعادتها، لينال الشرف الحقيقي في حياته والمجد الابدي بعد مماته .

ولذلك عاهدت نفسي امام الله وامام الناس ان اجعل حياتي هبة لبلادي وان ابذل في سبيل سلامة هذه الديار قصارى الجهد، مهما لاقيتُ من المتاعب وصادفت من المصاعب . ويعلم الله انه، لو انتقل فؤادي من الشمال الى اليمين او تحوّلت الاهرام عن مكانها المكين ، لما تغيّر لي مبدأ ولا تبدّل لي اعتقاد ، بـل تبقى الوطنية رائدي ونبراسي ويبقى الوطن كعبتي، ومجده غاية آمالي . . .

ما دُمنا نحافظ على النظام في كل اعمالنا ونرعى الودّ مـع كل الاجانب القاطنين بلادنا، فلا يستطيع احد ان يلومنا، اذا وجّهنا عنايتنا الى اصلاح شؤوننا، وراقبنا الحكومة في كل اعمالها، شأن الامم الحيّة والشعوب العارفة لحقوقها .

والذي يضرّنا، معاشر المصريين، اكثر من كل شيء، هو عدم اعتمادنا عـلى انفسنا واعتقادنا اننا أمّة قُضي عليها بالموت الدائم، فترى البعض منا يقول جهاراً ان الشعب المصري فقد الحياة والوجود، وليس في بنيه من يعرف لمحبة الوطن معنى، وانه يستحيل لمصر ان تنهض من رقدتها وتبلغ آمالها من العز والسؤدد .

وقد ردّد اليائسون هذا الاعتقاد الفاسد، حتى رسخ عند البسطاء وضاعت ثقة الامّة بذاتها، وداخلها اليأس من حالها واستقبالها، على ان اشدّ الادواء ضرراً بالشعوب هو هذا الداء العُضال، الذي اذا تمكّن من امّة، قتل فيها كل عاطفة وكل حياة، وجعل اهلها في الوجود حيارى، لا غرض لهم يعملون للوصول اليه .

وقد اثبت التاريخ بافصح بيان ان اكبر الآفات على الدول والامم ان يعتقد ابناؤها الضعف فيها، وان يُشاع عنها انها غير قادرة على حفظ كيانها . وها هي الدولة العليّة ، طالما سمعنا اعداءها يُشيعون عنها الضعف والاضمحلال ، حتى ظنّ الكثير من اشد الناس حبّاً لها واكثرهم ميلاً لسموّها انها على شفا جُرف الهلاك . فلما قامت الحرب بينها وبين اليونان، علم الكارهون والمحبون انها لا تزال صاحبة القوّة واسبق الدول في ميادين القتال .

فيا ايها المصريون، لا تظنوا ان امّتكم فقدت الحياة، ولا تغترّوا باقوال اعدائكم، بل اعتمدوا على الله، جلّ وعلا، واصغوا الى نداء الوطن العزيز، واعملوا لانقاذه واصلاح احواله، غير حاسبين للزمن حساباً . فان لم نستطع بلوغ آمالنا في حياتنا، فليبلغها ابناؤنا من بعدنا ! لا نكوننّ في العالمين امّة ميراثها الذل والهوان والاستعباد !

ميزته : كان مصطفى كامل خطيباً سياسياً بليغاً . يمتاز أسلوبه بالسهولة والوضوح والقوّة فهو قويّ التفكير يؤدي ما يجول في نفسه من الخواطر بعبارات سليمة سلسة بعيدة عن التزويق والتكلّف .

سعد زغلول

(١٨٥٦ أو ١٨٥٧ _ ١٩٢٧ م/١٢٧٣ أو ١٢٧٤ _ ١٣٤٦ هـ)

[زعيم من اكبر الزعماء الوطنيين الذين عرفتهم مصر . تتلمذ لجمال الدين الافغاني فتشبّع بثورته ؛ وتقلّب في مناصب مختلفة . ولما عقد مؤتمر الصلح بعد الحرب الكبرى رأس وفد مصر اليه . وفاوض الانكليز في مطالب مصر فأخفق ولكن مواطنيه قدّروا مساعيه وأتعابه؛ وقد كان من أعظم رجال الحرية القومية في عصره .]

٣٨١ خطاب وطنيّ

[القى الزعيم سعد باشا هذا الخطاب عند عودته من انكلترة عام ١٩٢١ :]

يا سموّ الامير ، اخواني ، ابنائي ،

اعذروني، ان لم اقدر ان اخاطبكم كما اريد، لاني تعب . اضناني التعب من هذه الاحتفالات الساحرة، تلك المظاهر الساحرة، هذا الاستقبال الذي لا نظير له ! واني بكل قوّتي احتجّ على قول حضرات ابنائي اني انا وحدي فعلتُ ما تمدحونني عليه . احتجّ بكل قوّتي ، لاني لست وحدي فيه ، بل للأمّة جمعاء اثرٌ فيه .

اريد في وسط هذه المظاهر الهاتفة ان اوجّه شكري وثنائي الى الذين اشتركوا في تأسيس مجدنا وتوفير سعادتنا وإنعاش آمالنا . اتوجّه، والخشوع يملأ جوارحي، الى تلك الارواح الطاهرة، ارواح اولئك الابطال الذين نادوا بالحق، والحق مُنكر، ففاضت ارواحهم، والسنتهم تردّد ذلك النداء؛ فاضت، وقد شرّفونا بإقدامهم، والزموا الكل باحترام مصر واسمها، وبيّضوا وجوهنا ! الآن فليناموا هادئين، فقد

انبلج فجر الاستقلال مضمَّخاً بدمائهم، وخلّفوا من بعدهم من يستحق ذلك الفداء! بيّض الله برحمته اجداثهم، واسكنهم جنّات العلاء، وارضى عن اعمالنا ارواحهم، واراحهم بتحقيق آمالنا!

لله درّ الشبيبة على ما فعلت! فانها قد فتحت ما ضمّت صدورُها من كنوز الفتوّة، وملأت قلب البلاد عزّة وحماسة، وملأت رؤوسها حكمة، وملأت حركاتها نظاماً! تلك الشبيبة، التي هي عِماد الحركة الحاضرة ومبعث انوارها الساطعة، اشكرها شكراً جزيلاً، وارتاح جداً، لان المستقبل سيكون بيدها، وهي يد ماهرة.

اشكر العلماء والقُسُس، الذين باتحادهم ابطلوا حُجّة في يد الخصوم، طالما اتخذوها سلاحاً قاطعاً. ازالوا الفوارق، واثبتوا ان الديانات متحدة في امرها بالدفاع عن الوطن، وانه ليس لها تأثير الا في عبادة الخالق، جلّ وعلا؛ اما في الوطن، فالكل سواء...

٣٨٢ ايها الشبان

[من خطبة وجّهها الى طلّاب المدارس:]

ايها الشبان: إني أُبيح دمي إذا رأيتم مني انحرافاً عن قصدكم، او تسامحاً في حقوقكم، او خروجاً عن حدود المهمّة التي عاهدتكم على القيام بها. وما عدلت، ولن أعدل، ما دام فيَّ عِرق ينبِض او نفس يتردد. وإني أُحارب كل شخص يسير على غير هذه الخطة، او يضع العقبات في طريقها، مهما كانت رابطته بنا، وصداقته لنا. ولقد قاطعت كثيراً من أصدقائي، لا لاسباب شخصية، بل لغَيرة على القضية العامة، وحرص على التمسك بحقوق الأُمّة. فكل من رأيت فيه تهاوناً في السعي، وتواكلا في العمل، او تسامحاً في الحقّ، وأعيتني الحيلة في إصلاح شأنه

قطعتُ بيني وبينه كل صلة، ولو كانت أقوى الصلات وأمتنها . أفعل ذلك غير آسف ؛ لان حقوق الأُمّة لا تقبل مجاملة ولا مسايرة لصاحب ...

وأنتم ايها الابناء ! لا تنسَوا أنكم – بفضل ما امتزتم به من العلم والتهذيب – قد زاد عبء الواجب عليكم نحو الشعب المصري الذي تنتمون اليه ؛ فاستعدوا للقيام بهذا العبء الذي ينتظركم، لتؤدُّوه على اطيب الوجوه واكملها . واذكروا أنه لا نُهوض لأُمّة، ولا سعادة لشعب، إلا بالعلم والاخلاق الفاضلة ؛ فانشدوا الكمال العقليّ والخلقيّ، وثقوا أنّ القوّة الغَشوم[1] إذا انتصرت على الحق زماناً فإن قوّة النفس المهذَّبة العالمة ، والإرادة المرتكزة على الحقّ تنتهي على الدوام بالنصر والفوز الباهر؛ لانها اكبر من كل قوّة، واقوى من كل إرادة ...

ميزته : تمتاز خطب سعد باشا بالوضوح والقوّة المؤثرة والحجة البليغة والمنطق المتزن . وهو يعدّ من أكبر خطباء الشرق في زمانه .

الشيخ ابراهيم اليازجي

(١٨٤٧ ـ ١٩٠٦ م/١٢٦٤ ـ ١٣٢٤ هـ)

[رجل ثقافة واسعة وقف جهوده ونشاطه على العلم والكتابة فكانت حياته سلسلة من التحصيل والعمل مترابطة الحلقات على غير انقطاع . ولقد كلِف باللغة العربية وانعطف على اكتناهها بشغف يلامس العبادة يشفعه ذكاء لا يكاد يختلف في شيء عن العبقرية . فانفتحت امامه بجميع كنوزها وأسرارها . فاصبح فيها أستاذاً وحجّة يهاب الكتاب جانبه ويذعنون لآرائه . وهو الى ذلك رجل مفتنّ يقرن الى حبّ العلم ولعاً شديداً بالجمال الفني ولا يرتاح الى عمل ما إلا اذا كان

١ الغشوم : الشديدة الظلم .

مستوفياً الكمال والاتقان . ولقد كان له تأثير شامل بالغ عمّ عصره ولا يزال صداه يتردد حتى الآن .]

العالم :

[أولع الشيخ ابراهيم بالعلم وكان كثير الاطلاع على قضاياه فطوى مجلاته على عدد جمّ من الابحاث والمقالات تناولت الفلك والكيمياء والفيزياء والطبيعيات والرياضيات والطب والتاريخ . وها نحن نثبت بعض نموذجات من مقالاته هذه :]

٣٨٣ دوران الارض

إن دوران الارض حول محورها، قد ثبت بالاختبار وأُيّد بشهادة الحسّ، وأشهر التجارب في ذلك ما اجراه فوكلت[1] العالم الفرنسي سنة ١٨٥١ في المكان المعروف بالبنتيون في باريز . فانه أخذ سلكاً من الفولاذ طوله ٦٨ متراً ، فثبته في سقف قبة المكان، وناط بطرفه الاسفل كرةً من نحاس ثقلها ٣٠ كيلو غراماً، وجعل في اسفل الكرة نحو إبرة واقام تحت طرفه دكةً فرشها بالرمل الدقيق، وسوّى سطحه بحيث تخطّ الابرة فيه إذا تحرك السلك . ثم ربط السلك بخيط من القبب . وعندما اراد الامتحان أحرق الخيط بلهيب شمعة، فأخذ السلك يخطر خطراناً بطيئاً من الشمال الى الجنوب، بحيث كانت الخطرة تتم في نحو ٨ ثوانٍ وكانت الابرة تخط في الرمل، إلا انها لم ترسم خطين على سمت[2] واحد . ولكنّ الخطوط كانت تتقاطع عند المركز، بحيث ان كل خط كان ينحرف عن سمت سابقه . وبعد مضي خمس دقائق، كانت زاوية الانحراف في كل من الطرفين عدة سنتيمترات . وبعد ساعة، كانت عدة درجات بحيث كان سطح الخطران ينحرف من جهة الشرق الى الغرب .

---

١ عالم فرنسي من علماء الطبيعة . اخترع آلة الجيروسكوب التي تبرهن اختبارياً عن دوران الارض حول محورها (١٨١٩ – ١٨٦٨) . ٢ السمت : الاتجاه .

واما الدورة السنوية، وهي دورة الارض حول الشمس، فلم يتنبه لها العلماء إلا بعد الدورة اليومية بزمن، لانها اخفى من تلك، وبها تنتقل الارض في فلكها حول الشمس من الغرب الى الشرق، اي الى نفس جهة دورانها على محورها . فتنتقل بذلك الابراج وسائر النجوم في الظاهر الى جهة الغرب واول من قال بهذه الدورة، فيما ذكره بلوطرخس[1]، هو ارسطرخس[2]، احد خريجي استراتون، من رجال القرن الثالث قبل الميلاد . وتبعه في ذلك اصحاب القول بالدورة الاولى . ودليلهم في هذه مثل دليلهم في تلك، اي ما ذكر من انتقال الكواكب في الظاهر انتقالًا بطيئاً من الشرق الى الغرب حتى تعود في نهاية السنة الى مواقعها الاولى . وتوصل المتأخرون الى أدلة أخرى، منها انهم بمراقبة الثوابت وجدوا انَّ بعضها، وهو الاقرب الينا، يرسم على مدار السنة إهليلجياً[3] صغيراً، يُعلم بمقايسة موقع هذا النجم على نجم آخر أبعد منه، وهذا الإهليلجيّ هو، ولا ريب، صورة الاهليلجيّ الذي ترسمه الارض في دورانها حول الشمس . ومنها ما يسمى بانحراف النور، وهو أنه، بسبب سرعة الارض في مسيرها، تصل الينا اشعة ضوء الكواكب منحرفة عن اتجاهها، حتى يظهر لنا الكوكب في غير موضعه ويرسم على مدار السنة إهليلجياً مركزه موقع النجم الحقيقي . وهذا الاهليلجي اكبر مما يقتضيه بُعد النجم، على ما ذُكر في الدليل السابق . ويتغيَّر شكله وقياسه تبعاً لموقع النجم من فلك الارض . ومثل ذلك مثل ما اذا كنا في قطار حديدي فسقط المطر، والقطار جار في سرعته، فان قطرات المطر ترسم على زجاج النوافذ خطوطاً منحرفة، وان كان سقوطها في خط عمودي . وذلك لتركُّب حركة القطار الافقية مع حركة المطر العمودية، فينشأ بينهما حركة مائلة .

اما سبب دوران الارض حول الشمس فهو دوران الشمس على محورها، حين كانت الارض جزءاً من محيطها، فلما انفصلت منها لبثت دائرة حولها في تفصيل لا

١ مؤرخ يوناني ولد بين سنتي ٥٠ و ٥٠ م . ٢ عالم فلكيّ يونانيّ كان اول من قال بدوران الارض حول محورها وحول الشمس، فاتّهم باقلاق راحة الآلهة . ٣ الاهليلجي: نسبة الى الاهليلج، وهو ثمر مستدير الشكل متطاول كالبلوط، وفي الهندسة، شكل مستدير الى الطول (Ellipse).

يسعنا بيانه في هذا الموضع . واما دورانها على محورها، فمما خفيَ سببه في الارض وغيرها من السيَّارة الدائرة كذلك . وقال بعضهم إنَّ لكلتا الدورتين سبباً واحداً، وذلك انه فرض أنَّ الارض انفصلت عن الشمس بقوَّة قذفتها عن محيطها الى الفضاء، وأنَّ تلك القوة وقعت على خطٍّ حائدٍ عن مركز الارض حسب أنه يكون على بعد ٢٤ ميلًا عن مركزها من جانب الفضاء . ولقد يُتوهَّم، من هذا، أنَّ بين هاتين الدورتين نسبة تربط إحداهما بالأخرى، بمعنى أن الدورة السنوية ناشئة عن الدورة اليومية، كما يكون بين دوران العجلة مثلًا وانتقالها؛ فانها، بدورانها على محورها تقطع في كل دورة مسافة بقدر قياس محيطها، وهي الطريقة التي جرى عليها فرنل[1] حين قاس الطريق بين باريس وأميان . ولكن الذي يظهر عند التحقيق غير ذلك، فانَّا اذا قابلنا بين دورة الارض على محورها ودورتها حول الشمس، نجد انها كلما دارت مرة حول محورها، تقطع من فلكها حول الشمس مسافة تعدل ٦٤ مرة من قياس محيطها؛ ولو قطعت كل يوم من فلكها بقدر محيطها فقط، لزم، حتى تقطع فلكها كله، أن تدور نحواً من ٢٣٠٠٠ دورة تتمها في نحو ٦٤ سنة من سنيها الحالية؛ او ان يكون بُعدها عن الشمس لا يزيد على الف الف و ٤٥٠ الف ميل بحيث يكون فلكها كله بمقدار عُشر المسافة التي بينها وبين الشمس حالًا .

وهذا من الامور العجيبة في السيَّارة . فانَّا، اذا حسبنا دورة المرّيخ، وجدنا هذا الفرق اعظم مما هو في الارض كثيراً . فانه كلما دار حول مركزه مرةً يقطع من فلكه مسافة تعدل ٩٦ مرة من قياس محيطه . وبعكس ذلك المشتري فان دورانه في فلكه اشبه بدوران العجلة على الارض . فانه كلما دار على نفسه مرة قطع من فلكه بقياس محيطه فقط . حتى كأنه كرةٌ تتدحرج . وزُحل يقطع من فلكه في كل دورة اقلَّ من مسافة محيطه، اي على نسبة ٢٣ الى ٢٥ . وهذا في منتهى الغرابة . فاذا أفضينا الى اورانوس، وجدنا، على ما قدَّروا من دورته، انه كلما دار على نفسه مرةً قطع من فلكه بمقدار محيطه مرة ونصف مرة . ونبتون يقطع مرة وخُمس مرة . وهذا ما لم نجد من تعرَّضَ لذكره . ولعلَّ كل ذلك من الاسرار التي يتعذَّر حلّها .

---

١ عالم فرنسيّ من علماء الطبيعة كان طبيباً للملك هنريكس الرابع . اجرى ذلك القياس سنة ١٠٥٥ .

٣٨٤ المرجان

المراد بالمرجان هذه المادة الحمراء التي يُتخذ منها الخرز وغيره[1] . وهو من عجائب الخلق، يتولّد، في البحر، على شكل نبات ذي ساقٍ وفروع . ولكنه، اذا كُشف عن جوهره، كان شبيهاً بجوهر الحجر . ولذلك أشكل امره على متقدّمي العلماء. فمنهم من عدّه ضرباً من المعدن، وهو ما يُستفاد من صنيع ارسطو، فيما نقل عنه القزويني، فانه ذكره في جملة الحجارة، وسماه بحجر المرجان . ومنهم من عدّه نوعاً من النبات، مثل تورنفور ومَرسيجلي وغيرهما من علماء القرن السابع عشر، لانهم رأوه ينمو ويتفرّع كالنبات . لكن الذي ثبت اخيراً انه صنع حيوان صغير من الحيوانات القشرية . وهو ما حققه پيسونيل في جزائر الانتيل، سنة ١٧٥٦. وعليه جمهور العلماء المعاصرين .

وقد ذكروا من امر هذا الحيوان انه يمتص المواد الكلسية المنحلّة في مياه البحر . ثم يفرزها، فتكون مسكناً له . وهو يعيش مجتمعاً في مواضع من حضيض البحر . ويبني مساكنه متلاحمة على شكل مستدير . فيتألف منها اولاً قاعدة متسعة لاصقة بالصخر . ثم تستدقّ وترتفع شيئاً فشيئاً ، ويَنشأ لها فروع اشبه بفروع الشجر . ويبلغ طولها من ٥٠ الى ٦٠ سنتيمتراً في غلظ ٣ او ٤ سنتيمترات . ومتى اقتلعت شجرته من البحر، وُجدت مكسوّةً بقشرة غشائية رخوة ، غبراء اللون، اذا جُففت، كانت طباشيريّة القوام، سهلة التفتت . ويُرى على ظاهر هذه القشرة اشباه براعم او أُبن[2] جوفاء هي التي يكون فيها الحيوان المذكور . وهو

---

١ المشهور عند اللغويين ان المرجان صغار اللؤلؤ . وبه فسروا قوله في « سورة الرحمن » : « يخرج منها اللؤلؤ والمرجان » . قال في « تاج العروس » : « وقال بعضهم : المرجان البُسَّذ وهو جوهر أحمر » . وفي « تهذيب الاسماء واللغات » : « المرجان : فسره الواحدي بعظام اللؤلؤ ، وابو الهيثم بصغارها ، وآخرون بخرز احمر، وهو قول ابن مسعود، وهو المشهور في عرف الناس » . اه . وهو ما جرى عليه الزمخشري والخفاجي والقزويني وابن البيطار، وغيرهم من ائمة اللغة وعلماء الطبائع . (المؤلف) ٢ أُبَن ج أُبنَة : عقدة في العود خاصة .

يعيش في باطن هذه البراعم، على حد ما يعيش الحلزون في الصَدَف . ولا يبدو منها الا فمه، وهو بشكل انبوب دقيق يتفرع منه ثماني زوائد خرطومية بيضاء، هرَمية الشكل، تظهر تحت المجهر مهدّبة الاطراف . وهذه الزوائد تزيد المرجان قرباً من منظر النبات، فيظهر للرائي اشبه بشجرة صغيرة ذات فروع وازهار، ولكنها عارية من الورق .

والقشرة المذكورة جوفاء في الاصل . لكن يتخلل بناءها أوعيةٌ دقيقة تفضي الى سطحها الباطن، تنفذ منها الفضلات الكلسية التي يفرزها الحيوان الى جوف القشرة، فترسب شيئاً فشيئاً، وتتصلّب على توالي الايام الى ان يتألف منها محور صلب يستبطن الساق والفروع، هو المرجان . واما اللون الاحمر الناصع الذي تتلوّن به فالظاهر انه ناشئٌ عن وجود شيء من اكاسيد الحديد مخالط للمادة المفرَزة، وهو يختلف تبعاً لمقدار الاكسيد المذكور فيها، فيتدرّج من حمرة الدم الى البياض الخالص .

اما كيفية صيد المرجان، فيتخذ صليب كبير من الخشب، متساوي الاعضاد، ويُشدّ في طرف كل عَضُد شبكة متينة على شكل كيس . ويركب ثمانية رجال من الغوّاصين زورقاً، ويبعدون عن الشاطئ حتى يصيروا فوق منابت المرجان . فيربطون في وسط الصليب حجراً ثقيلاً، ويُرسلونه بحبل متين؛ فيغوص الى درك البحر . وينزل احد الغواصين معه . فيأخذ باعضاد الصليب، ويرفعها الواحدة بعد الاخرى الى جهات مختلفة، حتى ينشب المرجان في الشباك . فاذا مضى على ذلك نحو نصف دقيقة، يجذب الرجال الباقون في الزورق الحبل بشدّة، ويرفعون الصليب والرجل الى الزورق . وما خرج لهم يحملونه الى مدينة ليفورنا من ايطاليا . فيباع بعضه بحاله، ويُنحت البعض الآخر في معامل مخصوصة . وفي هذه المدينة اربعة معامل كبيرة، خلا المعامل الصغرى . في كل واحد منها ٢٥٠ الى ٣٠٠ عاملة . فيرتزق من هذه الحرفة ما لا يقلّ عن الف امرأة . والظاهر ان هذه الطريقة في صيده قديمة جداً . فقد وصفها ياقوت بما يقرب مما ذكر هنا، وذلك في كلامه على

مَرسى الخرز بافريقيا . وهو مَغاصٌ قديم لهذا النوع من الجوهر . ولعلّه هو الذي يسميه الفرنسيس بالكال عند شواطئ قُسَنطينة من بلاد الجزائر .

والمرجان مَغاوص أُخر اشهرها في مرفإ مسّينا، وشواطئ سردينيا، وفي خورٍ[1] ليون من فرنسا . ومرجان هذه الناحية مشهور بحسن لونه . على ان المرجان يوجد في اكثر شواطئ البحر الرومي . قيل : وهو في الشواطئ الجنوبيـة من اوربا أنضر الوانًا، وفي الشواطئ الشمالية من افريقيا اكبر حجماً .

ومعظم تجارة المرجان مع اهل الهند ومن يجاورهم . لانه لا يوجد في شواطئهم . وهم يغالون به ويؤثرونه على افخر ما يخرج في نواحيهم من اللآلئ . وبعكسهم اهل اوربا فانهم يفضلون عليه اصغر اللآلئ . ويكثر التحلّي به عند الأمم السود والسمر . فان الاغنياء منهم يكثرون من الألماس واللؤلؤ على الملابس والعصائب ونحوها . واما الاساور والقلائد من الحلى التي تباشر الجلد فيختارون ان تكون من المرجان، لانه ليس من ذوات الالوان المشرقة، فلا تكون سبباً في زيادة ظهور السواد . وقد روى بعض السيّاح ان احد امراء مدغشكر كانت عنـده جارية فارهة من الزنج بذل له فيها احد تجار الرقيق مئتي قرش، فأبى . واعطاها لاحد الضباط الفرنسيس بعقد من المرجان لا يسوى اكثر من نصف هذا الثمن .

واعجب ما في هذا الحيوان الصغير انك اذا تفقدت جُزُر البحار ، وجـدت جانباً كبيراً منها من صنعه . وهو انواع كثيرة تُعد بالمئـات يُطلق عليها كلها حيوان المرجان، وان كان تعريفه لا يصدق الا على انواع قليلة منها لا تتجاوز ، فيما ذكروا، ستة انواع . وكلها عاملة تتناول على الدوام المواد الكلسية والطباشيرية المنحلّة في البحار، وتحوّلها الى مواد غير منحلّة . ثم تفرزها فيجتمع عنها، عـلى كثرتها وعلى توالي الايام، مقادير هائلة تمتدّ على مساحة الوف كثيرة من الكيلومترات المربعة . وقـد احصى بعضهم الجزائر المرجانية في الباسيفيك فبلغت ٢٩٠ جزيرة

١ الخور : الخليج، مصبّ الماء في البحر .

تقدّر مساحتها جميعاً بخمسين الف كيلومتر مربع، وهي نحو ثمن الاراضي القائمة فوق هذا البحر، او ما يقرب من ثُمن مساحة القطر المصري. واما الجزائر الصغرى التي اصلها من المرجان فهي كثيرة جداً. وقد عُدّ منها في الارخبيل المسمى بالملديف[1] اثنا عشر الف جزيرة، بعضها مأهول بالسكان.

ميزته : لقد أبدى الشيخ ابراهيم في أبحاثه العلمية اطلاعاً رحباً ونظراً ثاقباً وفهماً بعيداً لدقائق الامور. ومن افضاله الجلّى انه كسّر لغتنا وأسلس قيادها للتعبير عن المعاني العلمية والمخترعات الحديثة.

اللغوي الناقد :

٣٨٥ اللغة والعصر

[مقال طويل نشره الشيخ ابراهيم اليازجي في مجلة « البيان » ابتداء من حزيران سنة ١٨٩٧ ، اذ كان الادباء يسعون في تحصيل ملكة الكتابة العربية الحقيقية والتضلع من اللغة، والتملص من قيود الانحطاط :]

لم يبقَ في ارباب الاقلام ومنتحلي[2] صناعة الانشاء من هذه الأمة مَن لم يشعر بما صارت اليه اللغة لعهدنا الحاضر من التقصير بخدمة اهلها، والعقم بحاجات ذويها، حتى لقد ضاقت مُعجماتها بطالب الكتّاب والمعرّبين، وأصبحت الكتابة في كثير من الاغراض ضرباً من شاقّ التكليف، وباباً من ابواب العنَت[3]. واللغة لا تزداد ألا ضيقاً باتساع مذاهب الحضارة، وتشعب طُرق التفنن في المخترعات والمستحدثات، الى ان كادت تُنبذ في زوايا الاهمال، وتُلحق بما سبقها من لغات القرون الخوال. ومست الضرورة الى تدارك ما طرأ عليها من الثلم قبل تمام العفاء[4]، وقبل ان

١ هو ارخبيل يقع في المحيط الهندي جنوبي غربي جزيرة سرنديب (سيلان). ٢ انتحل الصناعة : نسب اليها، واتخذها. ٣ العنَت : المشقة الشديدة. ٤ العفاء : الهلاك والامّحاء.

ينادي عليها مُؤذن العصر : سبحان من تفرَّد بالبقاء، ويُختم على معجاتها بقصائد التأبين والرثاء .

تلك هي اللغة التي طالما وصفها الواصفون بأنها اغزر الالسنة مادَّةً، وأوسعها تعبيراً، وابعدها للاغراض متناوَلاً، واطوعها للمعاني تصويراً، قد أفضت اليوم الى حال لو رام الكاتب فيها ان يصف حُجرة منامه لم يكد يجد فيها ما يكفيه هذه المؤونة اليسيرة، فضلاً عمّا وراء ذلك من وصف قصور الملوك والكبراء، ومنازل المترفين[1] والاغنياء، وشوارع المدن الغنّاء[2]، وما ثمَّ من آنية وأثاث، وملبوس وفراش، وغير ذلك من اصناف الماعون، وادوات الزينة مما لا يجد لشيء منه اسماً في هذه اللغة، ولا يكون حظُّ العربي من وصفه الا العيّ والحصَر[3] وطيّ لسانه على معانٍ في قلبه لا يتسنى له ابرازها بالنطق، ولا يجد سبيلاً الى تمثيلها باللفظ، كأن المقاطع التي يعبّر بها عن هذه المشخَّصات لم يُخلق لها موضع بين فكيه، وليست مما يجري بين لَهاته[4] وشفتيه . فعاد كالأبكم يرى الاشياء ويميزها، ولا يستطيع ان يعبر عنها الا بالاشارة، ولا يصفها الا بالايماء .

ويا ليت شعري ما يصنع احدنا لو دخل أحد المعارض الطبيعية او الصناعية ، ورأى ما ثمّة من المسمّيات العضوية وغير العضوية، من انواع الحيوان وضروب النبات وصنوف المعادن، وعاين ما هناك من الآلات والادوات وسائر اجناس المصنوعات، وما تتألف منه من القطع والاجزاء، بما لها من الهيآت المختلفة، والمنافع المتباينة[5]، واراد العبارة عن شيء من هذه المذكورات .

ثم ما هو فاعلٌ لو اراد الكلام فيما يحدث كل يوم من المخترعات العلمية والصناعية، والمكتشفات الطبيعية والكيماوية، والفنون العقلية واليدوية، وما لكل

---

١ المترَفون : الذين في سعة عيش ونعيم . ٢ الغنّاء : الزاهية . ٣ الحصَر : العيّ في النطق . ٤ اللهاة : اللحمة المشرفة على الحلق من أعلى الفم . ٥ تباينت الامور : اختلفت وتفاوتت .

ذلك من الاوضاع والحدود، والمصطلحات التي لا تغادر جليلاً ولا دقيقاً الا تدلّ عليه بلفظه المخصوص ؟

لا ريب أنَّ الكثير من ذلك لا يتحرَّك له به لسان، ولا يعهد له بين الواح معجمات اللغة الفاظاً يعبر بها عنه، ولا يُغنيه في هذا الموقف ما عنده من ثمانين اسماً للعسل، ومئتي اسم للخمر، وخمس مئة للاسد، والف لفظة للسيف، ومثلها للبعير، واربعة آلاف للداهية، وما يفوت الحصر لشيء آخر حرَص مؤلف القاموس على استقصاء[1] الفاظه حتى لم يكد يذكر مادّة الا وفيها شيء يشير اليه ويدل عليه .

على ان اللغة مرآة احوال الامة، وصورة تمدنها، ورسم مجتمعها، وتمثال أخلاقها وملكتها، وسجلّ ما لها من علوم وصنائع وآداب ؛ وإنما تضع منها على قدر ما تقتضيه حاجاتها في الخطاب، وما يتمثل في خواطرها او يقع تحت حسّها من المعاني. ومعلوم أنَّ العرب واضعي هذه اللغة كانوا قوماً اهل بادية، بيوتهم الشَّعَر والأديم، ومفرشهم الباري[2] والبلاس[3]، ولباسهم الكساء والرِّداء، وأثاثهم الرَّحى والقدر، وآنيتهم القعب[4] والجفنة[5]، الى ما شاكل ذلك مما لا يكادون يعدونه[6] في حلّ ولا ترحال . فأين هم وما نحن فيه لهذا العهد من اتساع مذاهب الحضارة، والاستبحار[7] في الترف واليسار، وكثرة ما بين ايدينا من صنوف المرافق[8] وانواع الاثاث والزخارف، وما نحن فيه من التفنن في احوال المجتمع والمعاش، فضلاً عما بلغ اليه أهل هذا العصر من التبسط في مناحي العلم والصناعة، مما كان أُولئك بمعزل عن جميعه، الا ما حدث بعد ذلك في عهد استفحال الإسلام، مما ذهب عنا اكثره، وما كان فيه لو بلغ الينا إلا غثاء قليل .

ومهما يكن من حال أُولئك القوم، وضيق مضطرَب[9] الحضارة عندهم، وما نجد

---

١ استقصى الامرَ : بلغ قصواه اي غايته . ٢ الباريّ : الحصير المنسوج من القصب . ٣ البَلاس : البساط من الشعر . ٤ القَعْب : القدَح من خشب . ٥ الجفنة : الصّحفة الكبيرة . ٦ يَعدونه : يتركونه وينصرفون عنه . ٧ استبحر : اتسع . ٨ المرافق : الامور التي يُنتفع بها . ٩ المضطرَب : الميدان، المجال .

في الفاظهم من الفاقة والتقصير عن حاجات هذا الزمن، فلا يتوهمنّ متوهم أن ذلك وارد على اللغة من هرم أدركها فقعد بها عن مجاراة الاحوال العصرية، وأناخ بها في ساقة[١] الالسنة الحالية . فإنّ معنى الهرم في اللغة أن يحدث عند المتكلمين بها معانٍ قد خلت ألفاظها عنها، ثم تضيق اوضاعها عن إحداث الفاظ تؤدّى بها تلك المعاني، فيطرأ على اللغة النقص حيناً بعد حين، الى ان تعجز عن أداء اغراض اهلها، ولا تبقى صالحة للاستعمال، وحينئذٍ فلا يبقى إلا ان يُلقى حبلها على غاربها[٢]، او يستعان بغيرها على سد ما عرض فيها من الخلل بما يغيّر من ديباجتها، وينكّر اسلوب وضعها، حتى تتبدل هيآتها على الزمن، وتصيرَ على الجملة لغة اخرى .

وليس بمنكر أنّ ما وصفناه من هذه الحال يشبه في بادئ الرأي ما نشاهده من حالة لغتنا اليوم، وما لم نزل ننعاه[٣] عليها منذ حين، من تقصيرها عن الوفاء بمطالبنا العصرية؛ إلا أنّ ذلك اذا استقريت[٤] اوجهه واسبابه، وسبرْتَ غور اللغة في نفسها، وقست مبلغ استعدادها، علمت انه ليس منها في شيء، وأيقنت انها لا تزال في ريعان شبابها وطور ترعرعها، وأنّ فيها بقية صالحة لان تُجاري أوسع اللغات واكثرها مادّة؛ ولكنّ ما ادركها من ذلك واردٌ من قبل الامة، وتخلّفها في حَلْبة[٥] الحضارة والمدنية، إذِ اللغة بأهلها، تشبُّ بشبابهم وتهرم بهرمهم ؛ وإنما هي عبارة عما يتداولونه بينهم لا تعدو[٦] ألسنتهم ما في خواطرهم، ولا تمثل الفاظهم إلا صوَرَ ما في اذهانهم .

وبديهيٌ ان اللغة لم توضع دفعة واحدة ، وانما كان يوضع منها الشيء بعد الشيء على قدر ما تدعو اليه حاجة المتكلمين بها . وقد اختصت هذه اللغة بمزيّة عزّ ان توجد في غيرها، وهي ان اكثر الفاظها مأخوذ بالاشتقاق اللفظيّ او المعنوي، بحيث صارت الى ما صارت اليه من الاتساع الذي لا تكاد تضاهيها فيه لغة على

---

١ الساقة: المؤخر . ٢ اي ان تهمل . ٣ نعى عليه الشيء : عابه عليه . ٤ استقرى الامرَ : تتبّعه . ٥ الحَلبة : الدفعة من الخيل في الرهان خاصة . ٦ لا تعدو : لا تتجاوز .

كونها من اقل اللغات أوضاعاً، إلا انها من اكثرهن صيغاً وأبنية ، وهو السر في قبولها هذا الاتساع العجيب فضلاً عما فيها من تشعب طرق المجاز .

واعتبر ما ذكرناه من ذلك بالرجوع الى ما كانت عليه اللغة زمن الجاهلية، وفي صدر الاسلام، ومقابلتها بما بلغت اليه على عهد الخلفاء من بني العباس بعد سكون الغارات واستتباب الفتوح، وتنبّه الامة لطلب العلوم، وتبسطها في فنون الحضارة ، بحيث خرجوا بها من حال الخشونة البدوية الى ابعد مذاهب المدنية الشائعة لعهدهم ذاك، لم يكادوا يُدخلون فيها لفظاً اعجمياً، ولا اضطرّوا فيها الى وضع جديد، ولكنها خدمتهم بنفس اوضاعها التي وضعتها العرب، فاشتقّوا منها ما لا عهد به للعرب، على وجهه الذي نقلوه اليه، ولم تتكلم به اصلاً، حتى احاطوا بصناعة الفرس وعلوم اليونان، وأدخلوا كثيراً من مصطلحات الامم التي اجتاحوها شرقاً وغرباً، وزادوا على ذلك كله ما استنبطوه بأنفسهم، واللغة مشايعة[1] لهم في كل ما اخذوا فيه، لم تنضب مواردها دونهم، ولا رأينا من شكا منها عجزاً ولا تقصيراً، الى ان ادركهم من تبدّل الاطوار، وغارات الاقدار، ما وقف بهم عند الحدّ، فوقفت اللغة عند ما نراه فيما وصل الينا من كتبهم . وتوالى الاجتياح بعد ذلك على الامة، وتتابعت دواعي الدّمار، حتى اندرست أعلام[2] حضارتها، وذهبت علومها ادراج الرياح، فزال اكثر اللغة من ألسنتها بزوال معانيها، حتى صار الموجود منها اليوم لا يقوم بخدمة أُمة متمدنة ولا هو اهل لان يبلغ بها ما منزلته تلك . ولذلك فان كان ثمة هرم فإنما هو في الامة لا في اللغة، لان ما عرض لها من الهجر والاهمال غير لاحق بها ولا ملحِق بها وهناً ولا عجزاً، وانما هو عجز في ألسنة الامة ومداركها، وتأخر في احوالها واستعدادها . ولو صادفت من اهلها البقاء على عهد اسلافهم من السعي في سبل الحضارة، وتوسيع نطاق العلم، لم تقصّر عن مشايعتهم في كل ما فاتهم من الاطوار حتى تبلغ بهم الى مجاراة العصر الحالي .

---

١ شايعه : تابعَه . ٢ الاعلام ج علم : وهو ما ينصب فيُهتدى به، والأثر .

٣٨٦ في الذكاء والبلادة

[عن نجعة الرائد :]

يقال : فلانٌ ذكيّ، فَطن، فِهمٌ، زكنٌ[1] نَدُسٌ[2] (بضم الدال وكسرها) لَوذعيّ، ألمعيّ[3]، أروع[4]، حادّ الذهن، متوقّد الذهن، صافي الذهن، شهم الفؤاد ذكيّ القلب، خفيف القلب، ذكيّ المشاعر، حديد الفؤاد، مُرهَفٌ[5] الذهن، حديد الفهم، دقيق الفهم، سريع الفهم، سريع الفطنة، سريع الادراك، صادق الحَدْس، شاهد اللُّبّ[6]، يقظ الفؤاد، متلهب الذكاء، وقد فطن للمسألة، وتفطنَ لها، وشعر لها، وشنِفَ لها، وتنبه لها، وطبِن لها، وفهمها، وذَهَنها، وزكِنها، ولقِنها، ولحِنها، وفهمها الخ ...

وتقول في ضدّه : هو بليد، فَدْمٌ[7] غبيّ، أبله، غافل، ومُغفَّل، ضعيفُ الادراك، بطيء الحِسّ، مظلم الحِسّ، زمِنٌ[8] الفطنة، سقيم الفهم، بليد الفكر، غليظ الذهن، مُتخلّف الذهن، صلد الذهن، مغلق الذهن، مُصمَت القلب، اغلف القلب، عَمِه الفؤاد[9] الخ ...

٣٨٧ رواية عذراء الهند

انتهت الينا نسخة من هذه الرواية العذراء لحضرة منشئها الاديب المتفنن احمد بك شوقي، الشاعر المشهور ... وإنّا نتخطى موضوع الرواية الى ما أُلبسته من العبارة العربية نومئ الى بعض ما فيها من مطارح النظر قضاء لحقّ النقد، ووفاء بما ارصدنا له انفسنا من الخدمة العلمية؛ وهو، ولا جرم، شأنٌ كنا نود التفادي منه،

---

١ زكن : فطن صادق الحسّ . ٢ ندس : سريع الفهم . ٣ اللوذعي والالمعي : الذكي المتوقد . ٤ اروع : ذكي حديد الفؤاد . ٥ مرهف الذهن : من ارهاف السيف وهو ترقيقه وتحديده . ٦ شاهد اللب : حاضر العقل . ٧ فدم : غبي، قليل الفهم مع ثقل ورخاوة . ٨ زمن الفطنة : من الزمانة وهي العاهة . ٩ عمه الفؤاد : اعمى القلب .

حرصاً على ولاء المؤلف، لعلمنا بما للنقد من الوقع في نفوس الكثيرين من ادبائنا، بالقياس الى ما ألِفوه من نغم كثيرٍ من الجرائد وتهافتها على الاطراء تزلفاً وتمويهاً، او جهلاً وتقصيراً، ومعاذ الله ان نكون ممن يقبل على الحق رشوة او يرضى من امانة العلم ثمناً . . .

[ثم يعدّد الناقد هفوات الكاتب فيقول مثلاً :]

وقال، في صفحة ٧، في الكلام على التاريخ المصري : « وان الحقيقة معه لا يستقر بها خبر . فهي عين تارةً وأثر . تحيا بحجر وتموت بحجر . » يريد : فهي عين تارةً وتارةً أثر . فحذف احدى التارتين، ولا وجه للحذف في هذا الموضع، ولا يظهر له غرض، الا ان يكون قصده التعمية وافراغ الكلام في قالب اللغز . ثم انظر ما اراد بقوله : « تحيا بحجر وتموت بحجر » وماذا يُفهم بالحجر هنا ؟ وهل هذا الّا ضرب من الرُّقى وشكل من أشكال الحروف؟ . على ان في الرواية كثيراً من امثال هذه المعميات، نورد بعضها لغرابتها كقوله في صفحة ٣٥ : « وما عساي ناولتك مما فات التفاني قدره » وانظر الى قوله : ما عساي ناولتك، واي تركيب هذا ؟ . . . وفي ص ٧١ : « كان الفصل نيلا، والليل خفيفاً ثقيلا، جفيفاً بليلا، صَدِناً ثقيلا، لا قصيراً ولا طويلا . وكان الليل في طفولته الاولى، لا ينفع الضال ولا يغني عن الساري فتيلا » . . .

وهناك الفاظ وتراكيب ليست باقل غرابة مما ذُكر كقوله في صفحة ٩٢ : « ثم تواكل الثلاثة بالباب فلم يزالوا به حتى كسروه . » وانما يقال : تواكل القوم اذا اتكل بعضهم على بعض، فهو اقرب ان يكون على عكس مراده . . .

وعلى الجملة فان هذه الرواية كلها غرائب . واغرب ما في تلك الغرائب صدورها عن مثل المؤلف، على ما اشتهر به من التقدم في الادب، وطول مزاولته لصناعة القلم . وما نحسبه الا قصد مراعاة النظير بين موضوع الرواية وعبارتها حتى تكون كلها غريباً في غريب . . .

اما شعره، في هذه الرواية، فغالبه حسن رشيق النظم، مليح السبك، نورد منه قوله في صفة الحبّ :

نظرةٌ، فابتسامةٌ، فسلامٌ فكلامٌ، فموعدٌ، فلقاء،
ففراقٌ يكون منه دواءٌ، او فراقٌ يكون منه الداء.

وانظر أين هذا النظم المنسجم والالفاظ المختارة من مثل ما ذُكر من كلامه في النثر، وما ركب فيه من الغرابة والتكلّف والتعقيد والبعد عن مقام الفصاحة؟ وهذا، ولا جَرَم، مما يدلّك على ان كلًّا من النظم والنثر لغة قائمة بنفسها، لا يُحسنها غير اهلها . وان ما اشتهر من قولهم كلُّ شاعر ناثر، قول لا يطّرد صدقه، ولا يُبنى عليه قياس . . . ويشهد الله انا كنا نودّ المؤلف لو لم يجرِ بهذا التأليف قلماً . فان الرجل معروف بالشعر من الطبقة العالية، مشهود له فيه بانه من الطراز الاول . وحقيقٌ بمن بلغ في امر من الامور منزلة يكون فيها من رؤساء اربابه ان لا يتصدّى للدخول في فئة ينزل فيها عن رتبته، ويُعدّ بينهم آخراً . فان اهمال بعض الامر لا عيب فيه، اذ لا يتعيّن على المرء الاشتغال بالامور كلها . ولكن العيب كل العيب على من انتحل امراً وقصّر فيه .

ومن رشيق نظمه في هذه الرواية قوله من ابيات عن لسان عذراء الهند تخاطب محبوبها :

ما نحن قلنا فالحبّ قائلهُ، وما فعلنا فالهوى الفعلُ ؛
وان نقلنا لبقعةٍ قدماً، فالهوى لا البقعة النقلُ .

وهو كلام في غاية الرقة والانسجام . الا ان البيت الاخير مختلف الوزن من بحرين، لان الشطر الاول من المنسرح ووزنه « مستفعلن فاعلاتُ مفتعلن » وهو بحر سائر القصيدة؛ والشطر الثاني من ثالث السريع ووزنه « مستفعلن مستفعلن فعلن». ووقوع هذا الخلل البيّن من مثل هذا الشاعر مما يصعب تصوّره . ثم قال، وفيه ما في البيتين السابقين :

تلك سماء الهند شاهدةٌ، وارضها، والجبال، والسهلُ

غير انه خالف هنا بين الشطرين فجعل الاول من السريع، والثاني من المنسرح. وهذا، مع ما عرف به الناظم من طول الباع في صناعة الشعر والانطباع عليه، من اعجب العجب. ولعلّ عذره فيه انه كان قليل الركوب لهذا البحر لقلة شيوعه في الاستعمال، مع ما في ضبط اوزانه من الصعوبة لتباين صُوَر اجزائه واختلاف قوالبها، حتى كأنّ الشطر برمّته قطعة واحدة بخلاف غيره من الابحر التي ترى اجزاءها متناسقة على رصف متماثل، واوزان مكررة، كاجزاء الكامل والبسيط، فانها تأتي مُتزنة من غير تكلّف ولا تعمّل، لقصر الصور المتكررة فيها وقرب بعضها من بعض. والله أعلم ا.

ميزته : قبض اليازجي على زمام اللغة فكانت ابحاثه فيها تشهد له بطول الباع وعمق النظر وحسن التحليل والاستنتاج وبراعة الحجة والمقدرة الفذّة. وهذا ما اتاح له ان يبرع في نقده اللغوي ويقف حارساً أميناً على ابواب اللغة يدفع عنها العجز والركاكة والعجمة.

الكاتب المترسل :

٣٨٨ القمر

هو بعد الشمس، أبهى الاجرام السماوية على العموم، ونُكتة الفلك الارضيّ، بل أغرب ما يرى الناظر في عالم النجوم، اذا استقلّ في فلكه، يسبح فوق الوهاد والآكام، ورأيته يتراجع مع النجم، وهو مُجدّ في وجهته الى الامام، فتتخطى الابراج، وكأنه واقف لا يُحِسّ له الناظرون انتقالاً، وظهر بأشكاله، من الهلال الى البدر، حتى يعود هلالاً، فكان قيد الابصار، تراهُ ابداً جديداً، على تقادم عهده، وتتوهمه على قِيد اميالٍ منها، وهو الشاسع في بعده. على انه ادنى العوالم من الارض مقيلاً، واعلقهنّ بها حبلاً واقربهنّ تمثيلاً؛ فهو صورة الارض في السماء، ورفيق طيّتها[1] الى حيث لا تدري في اجواز[2] الفضاء، وشريك بختها فيما أُرصد لها

[1] الطية بالكسر : الحاجة، والمكان المنوي المقصود اليه. [2] الاجواز ج الجوز : وهو وسط الشيء ومعظمه.

من احكام القضاء؛ بل هو وليدها وان تقضى قبلها شبابه، وشابت دونها أترابه. وقد دفعته عنها منذ فصاله، فمرّ الى حيث لا مطمع في ايابه، ثم عزّ عليها الا ان يكون بحيالها، فأخذت عليه طريق انسيابه؛ فهو ابداً يدور من حولها مقطّع النياط[1] ويقطع معها أضعاف ما تقطع من الاشواط.

...

بل هو مثال الرونق والجمال، وآيـة الأبّهة والجلال، اذا برز من الأفق، فانهزمت من وجهه جيوش الظلماء، وانفرجت الكواكب لممرّه في عُرض السماء، فأقبل يتنقّل بينها وهو يسير الهوَينى عزّةً وخُيلاء، فسمت اليـه الابصار اعجاباً وإكباراً، وانصرفت اليـه الوجوه ابتهاجاً واستبشاراً، وانطلقت له النفوس نشاطاً وارتياحاً، واتسعت به الصدور انبساطاً وانشراحاً، وخلا اليه العاشق يتذكر وجـه حبيبه، ولها به المحزون فسلا عن حميمه ونسيبه، وأوَى اليه المسهَّد، فكان سميره في سهده، واتخذه المسافر رفيقاً، فذهل به عن مخاوف سفره ومشقة جهده...

...

لا بل هو مبعث الوَحشة ومحرّك الاشجان، ومُثير هواجس الصدر، وبلابل الجنان، اذا طلع في ليله، وقد سكتت الاصوات، وسكنت الحركات، ولم يبقَ الا تموّج الهواء باختلاج الانفاس الصوامت، وحفيف الانسام بين ورق الشجر المتخافت، فأرسل نوره الضعيف ساجاً في انحاء الفضاء، مترقرقاً على وجه الغبراء، تظهر من تحته الوهاد المنبسطة في العراء، والقمم الشاخصة في الهواء، لا يمشي فيها حيوان، ولا تُسمع نأمة[2] انسان. فوقف المتأمل امام مشهد ذلك الجمود، وقـد مُلكت عليه مشاعره، حتى توهّم نفسه بمعزلٍ عن الوجود، فتخيّل مـا حوله من الارض مجاهل خالية، او اطلالاً بالية، بل تخيّل الارض كأنها يوم خُلقت، فهي

---

١ النياط: عرق غليظ نيط به القلب الى الوتين وهـو عرق يجري منه دم القلب الى كل العروق. ٢ النأمة: النغمة والصوت.

أدغال وتنائف[١]، وتصوَّر نفسه آدمها، وقد وقف فيها بين الدهش والمخاوف، تخيّمت فوقة وَحشة العزلة، واحاطت بنفسه هيبة الوَحدة، وانبعثت الاشجان في صدره، فتفرَّغ لمناجاتها، وهاجت الذكر في نفسه، فغاص بين تيَّاراتها، وتوارد عليه من الخواطر ما حبّب اليه اللحاق بعالم الفناء، ثم استهواه ما يرى من جمال الطبيعة، فثابت اليه الرغبة في البقاء، فتمنى لو اتخذ سبباً[٢] الى هذا العالم الماثل فوق رأسه، او تعلّق بما تدلى اليه من أشعة نبراسه؛ فربما تخيّل ان هنالك حدائق غلباء[٣]، ومدائن غنّاء[٤]، وقصوراً شاهقة، وانهاراً دافقة، واقواماً يمرحون في نعيم، ويرتعون في خصب مقيم... وما ثمّة، لو يعلم، الّا كون جامد، وقفرٌ هامد، وسكوت سائد، وحُطام خلقٍ بائد، لا يخطو هنالك غادٍ ولا رائح، ولا يُسمع صوت باغم[٥] ولا صادح، ولا يسبح طائرٌ في السماء، ولا يدبّ حيوان على العراء[٦]، ولا يخضرّ وادٍ ولا أكمة، ولا تسحب أذيالها نسمة، ولا ينتشر سحابٌ ولا ضباب، ولا يترقرق ماء ولا سراب، ولكنْ جملة ما هنالك طلل داثر، وعالَمٌ من عوالم الدهر الغابر، بل جنازة يُطاف بها حول الارض، وان لم تحملها المناكب، وقد صلّت عليها السيارات، فترحّمت عليها الكواكب.

ميزة اسلوبه : جرى اليازجي في انشائه على أسلوبين متباينين : أسلوب ترسّل مسجع كان يلجأ اليه في رسائله ومقدمات كتبه ومقالاته، وأسلوب مرسل صاغ فيه أغلب ابحاثه. وهو وإن لم يبرأ في أسلوبه الاول من بعض الافراط والتصنّع والترويق البديعي إلا ان انشاءه عموماً يتصف بالاتقان والذوق والوضوح والجزالة وباختيار ابلغ الالفاظ وأدقها وأقربها الى الفهم واجملها نغمة وبالسلاسة والتآلف والصقل. وبالجملة ان انشاء الشيخ ابراهيم لا يزال من افضل المراجع لمن يريد الظفر بملكة اللغة والانشاء.

---

١ التنائف ج التنوفة : وهي الفلاة الواسعة لا ماء بها ولا انيس. ٢ سبباً : حبلاً، وهنا مرقاة. ٣ الغلباء : المتكاثفة. ٤ الغناء : الكثيرة الاهل والبنيان. ٥ الباغم، من بغمت الظبية : صاحت الى ولدها بارخم صوتها. ٦ العراء : الفضاء لا يستتر فيه بشي.

ولي الدين يكن (١٨٧٣ ـ ١٩٢١ م/ ١٢٩٠ ـ ١٣٤٠ هـ)

[كاتب شاعر قوي الاحساس عصبيّ المزاج لا يهاب القول الصريح ولا يخشى مهاجمة المخادعين والكذابين والوقوف في وجه الظالمين والغاشمين . ولقد كان له من بيانه النابض بالشخصية سلاحاً قوياً يهاجم به أعداء الحرية ومرآة تنعكس فيها خلجات صدره وثوراته على التقاليد .]

الكاتب السياسيّ :

٣٨٩ خليج البوسفور في احدى ليالي الشتاء

[كان وليّ الدين رجلاً حرّاً فساءه ما رآه من تعسّف أولي الامر في الآستانة، وحزّت في قلبه أخبار المظلومين فجرّد قلمه يقارع به الظلم ويصف بؤس ضحاياه :]

الظلم له يد، وليس له فؤاد . يُغمد خنجراً من خناجره في قلب من قلوب الناس فلا يستشعر لذلك ألماً . القتيل مضرّجاً بدمه لديه، كالحي مضمخاً بطيبه ! ظلمات الليالي، وظلمات البحار، وظلمات القبور، كل تستتر في أثنائها بدور مطالعها الشباب ومنازلها الآمال ! واذا كان لاهل الويـل تراثٌ، فاللواعج التي تُذكيها الذكر، والحسرات التي تستديمها الصروف . أجسامٌ، ما زهور الرياض، ولا نيّرات الآفاق، ولا عقيان[1] القلائد، ولا جواهر التيجان بأحسن منها منظراً ! تُربّى متنقلة في الدلال من حنوّ مرضعة الى غناء مربية الى ابتسامة أم الى مواصلة حبيب، كل ذلك لمصرع لحظة يتلوها الفناء . ما أضيع الامل، وما أعدى القضاء !

---

١ العقيان : الذهب .

في ليلة من ليالي الشتاء، سكنت تحتها الاشياء، وتحركت الضمائر، سوداء الجلباب، بيضاء الصقيع، طرقوا باب المظلوم فأطلّ عليهم، قال: من الطارق المنتاب؟ قالوا: اجب، شفيق[1] يدعوك.

فقام الى ثيابه فلبسها، ومال الى اهله فودعهم وتوسط رُسل البين وزبانية[2] جهنم، فأركبوه عربة سارت حتى وقفت بهم امام باب كبير. فمشى الرسل، ومشى بينهم المظلوم. فأدخل على من وجّه في طلبه. فتقدم خطواتٍ، وسلم تسليم غير المشتاق، ووقف ينتظر الجواب. هذا الموقفُ مَهيع[3] من الحياة الى الموت، تعلّلُ كل ثانية من ثوانيه نافع لمن ناله. رحمة الله على ابي تمام اذ يقول:

ها ان هذا موقف الجازعِ   اقوى وسُوْر الزمن الفاجعِ

الطالب والمطلوب متواجهان، خصمان، هذا سيفه سلطان وذاك درعه أساه. فلما استطال السكوت واستبطأ الشرُّ أسيرَهُ رفع شفيق رأسه، ونظر الى غريمه نظرة ملؤها الختل ثم قال:

الآن يذهبون بك الى «القصر»، ولا ادري عمَّ يسألونك هنالك. فكن رابط الجأش، وأحسن الجواب، تَلقَ خيراً.

ثم امر شفيق اثنين من الشرطة ان يُركبا المظلوم عربة، وان يمضيا معه، ففعلا. فلما أوفوا على الشاطئ ألفوا زورقاً فيه أناس بانتظارهم. فأركبوا الزورق، وانطلق حتى رسا بهم الى جانب سفينة كبيرة فصعدوا اليها. وجاؤوا للمظلوم بكرسيّ فجلس عليه، وناولوه سيكارة جعل يُصعّد دخانها وهو صامت. ثم اقبل من البر زورق آخر، فصعد منه جماعة منهم محمد علي رئيس الهيئة التحقيقية اذ ذاك، فدنا من المظلوم وقال له:

— الآن صدرت الارادة السلطانية بالقائك في البوسفور! بذا قضى الله، ولا

---

١ هو شفيق باشا ناظر الضابطة ومنظم الجاسوسية على عهد عبد الحميد. ٢ الزبانية ج الزبنية: الشرطي. وزبانية جهنم: الشياطين الذين يدفعون اهل النار اليها. ٣ مهيع: طريق واسع.

مردٌّ لقضائه! فان كانت لك وَصاةٌ توصي بها من بعدك، فهاتها. وان كانت نفسك تشتهي شيئاً مما يؤكل او يُشرب، فاقترح!

قال: لا اريد شيئاً. وانسابت من مُقلتي الرجل شآبيب[1] خضّلت لحيته، والناظرون اليه لا يبكون. هم يعجبون ان يجزع الناس لفراق الدنيا. شهدوا مصارع كثير من الخلائق، وشهدوا جزعهم عند الموت، فاستضحكهم ذلك وقالوا: «ما لهؤلاء يخافون ما لا بدَّ منه؟ وما تعجيله الا تعجيل امر لا ريب فيه!» يا حكماء الموت هذا عجبُ الخليّ من حال الشجيّ، ولعل لكم في ذمة الدهر مواقفَ مثل التي انتم لها شاهدون.

سكت المظلوم سكتة غلبهُ عليها فؤادهُ. وفي ثنيات الأفق كواكب تنظر ولا تُسعف. والريح بليلة الجناح، واليمُّ جائش الغوارب، والبرّان، في بيوتها المنيرة، شاهدان، ولكن لا ينطقان. الشعراء يبكون بأبياتهم، والمظلوم يُنشد دموعه. أي قعيدة الشجون، هذا الفراق:

فرّجي الخيرَ، وانتظري ايابي اذا ما القارظُ العَنَزيُّ آبا[2]

لما جاءوا بالسلاسل فأمرّوها على عنق المسكين، واثقلوا رجليه بقطع الحديد، وأهوَوا به الى الماء، فغاب في عُبابه، عرف هوانَ الحياة، وكيف تجني الوالدات على من ولدن، والى أية غاية يكون المصير!..

قالت جرائد الاستانة الصادرة في ...:

عثر رجال الشرطة على جسد رجل، بشاطئ البحر، قد تشوه وجهه، وتمزقت ملابسه واعضاؤه فلم يمكن ان يعرفوا من هو، ولكنهم رأوا في ملابسه خاتمه المنقوش عليه اسمه، فاذا هو اللواء... وظهر أن بعض اعدائه الخائنين انفردوا به يوماً فأغرقوه. وقد صدرت الارادة السلطانية بالجدّ في طلب الجانين الذين اعتدوا

---

١ الشآبيب ج شؤبوب: الدفعة من المطر. ٢ عجز البيت مثل يضرب لمن لا ترجى عودته. وأصله ان رجلاً من بني عنزة خرج في جنى القرظ، وهو حب شجر السَّلَم يدبغ به، فلم يرجع.

على مثل هذا الفقيد الغالي!!! ووُعد من يعثر عليه ان يُعطى جائزة سنيّة ويزاد راتبه، وتُرفع رتبته.

بين نوحات النائحات، وبكاء الثاكلات، سكوتٌ يأتي به الاعياء. وتَقطُّعُ الأنفاس. ذاك من الفواصل التي ينوب فيها القلب عن العين، فتسكت الظواهر وتبكي السرائر. وقد وقع مثل هذا في بيت الفقيد الغالي!! جاء رجل من القصر يحمل عطيّة. كلّم الأيّم[1] من وراء ستارها فقال:

أمير المؤمنين في حزن عظيم على المرحوم!!! فقد كان يحبه كثيراً!!! وهو يقول: اذا ذهب حاميكم، فانا حاميكم. وهذه هديته اليكم.

فانطلقت الالسن بالدعاء، من قلوب لا يشوبها الرياء...

كانوا يخدعون الناس، فيسرقون منهم الدَّعوات، ويريدون ان يخدعوك، يا رب، ليختلسوا منك الرحمة والرضوان!

الكاتب الاجتماعي:

٣٩٠ الكهول والشباب

[ما أشدّ ما يعجب كاتبنا من اصحاب القديم المتمسكين بالتقاليد والممتنعين عن مجاراة العصر. وهو يسخر منهم وسخره لاذع. إلا انه يتطرّف احياناً كما فعل عندما شبّه الاخلاق والعادات – دونما تمييز – بالملابس والازياء:]

عصرنا عصر الشباب؛ دالت دولة الكهول ومضت تتعثر بأذيال جدودها المولّية. فويل للعابد في صومعته! وويل للواعظ في بُهرة حلقته[2]. وبعد فما هنالك الا كما قال ابن بحر[3]: شِقّ مائل ولُعاب سائل. وهذا اوان التجديد. لكل

---

١ الأيّم: المرأة لا زوج لها. ٢ بهرة الحلقة: وسطها. ٣ الجاحظ.

سؤددٍ فيه سبيل : السابحات في البحار، والمحلِّقات في السماء، وناقـلات الاصوات بين متباعدات الفِجاج[1] . فمن كان له فوق هامات النجوم مطلب، سما اليه ؛ ومن كان له تحت مركز الارض مرامٌ، هبط عليه . اهلاً بك يا ابا العشرينَ، ومُبتدأ الحق، ومُستَهَلَّ المجد !

قال لي قائل : كل هذه زخارف باطلة، تأتي فتستضحك، وتُولّي فتستبكي، ولقد كنا اسعد منكم حالًا وأهدأ بالًا . كان يخرج الواحد منا في جمـاعة من اصحابه، يتقدمهم الخدم، بايديهم الفوانيس؛ وفي يده عصاهُ مذهبة القبضة، مفضضة الكعب، كأنها قضيب الملك، فيغشى دار صاحب له، رحبةَ القاعات، على حيطانها التصاوير، وامامهم فوَّارة يُرى ماؤها كرمح من البلور . فاذا جلس في صَحبهِ جيء له بالشبكات مملوءة من التبـغ بكل زكي الرائحة كالعنبر : فمن صُوريّ، ومن كوراني، ومن جبلي؛ وتدار عليهم القهوة في اباريق من الفضة وطاساتٍ مثلها ممزوجة عنبراً . يُوقد لهم العود فيفوح عبيره وتَعبق به جسومهم . كذا يقضون اوقاتهم مستمعين سيرَ الاولين ممن اتقوا وعملوا صالحاً . وانتم يا ابناء الجدَّة ما تصنعون ؟ تتوافدون الى الحانات والنوادي، فتنغمسون في الملاهي، وتَذهَلون عن مشاغلكم بلذاتكم وتفخرون بعد ذلك علينا بهذه الجبال الحديدية التي تدبّ فوق ارضكم وتهزّ اركان بيوتكم تحسبونها تغنيكم ولن تغنيكم شيئاً !

قلت : على رِسلِكَ ايها الشيخ؛ انت تنظر ولا ترى . كنت احسَبُك في بُعدِك اعقلَ منك في قربك . فأيُّ فخر تريد أن تجاذبنا طَرفيه، واي مجـد سبقتنا في لِداتِك[2] اليه وقصرنا عن مباراتكم فيه ؟ تلك المجالس التي حفَلت بكم، أخلت امثالها من ورثتكم ؟ فلا تلومونا ولا نلومكم . كل عصر له دولته ورجاله . فان ساءتكم هذه الركائب الحديدية، فما زالت العيس[3] تُستولد . وان راعكم

١ الفِجاج ج فَجّ : الطريق الواضح بين جبلين . ٢ اللدات ج لِدة : الترب الذي ولد معك في وقت واحد . ٣ العيس واحدها أعيس م عيساء : الابل البيض يخالط بياضها شيء من الشقرة .

ما ترون من زُخرف، فما خلق الله الجفون الا لِتُغمَض دون ما تكره، وتُفتَح لما تحب. نحن وان كثرت في قلوبنا شواغلها، لا نزال نطلب لكم من الحياة المزيد، ومن السعد المستمر. ولكنكم تنظرون ما لنا فتودّون لو يكون لكم، وتُحسُّون ما بكم فتتمنون لو يُصبح بنا، وفي التمني من البُطل، ما يُذهِب فضلُ تسليته الحزين.

هذا ما بيننا وبين اهل القرون الاولى، وإن أنا الّا من تابعيهم، فاذا لم يكن ابن الستين كهلًا، يكون ماذا؟ غير اني من اوائل من فتحوا باب الجِدّة لاهل النشأة الُمحدَثة ...

ان من اشد الظلم ان يتحكم الوالد في ابنه، وان يربيهُ على قديم زمانه، ويأبى ان يجهِّزه لجديده، وقد فاته انه يظلم ابنه، ويظلم من خُلِق ليعاشرهم. والاخلاق والعادات كالملابس والازياء. فاذا سُمِح بابن العصر الجديد ان يرتدي أردية اهل الوَبَر فكيف يجمُل به ان يعيش بعقولهم؟

٣٩١ العمال في البلاد العثمانية

[كان ولي الدين، وهو من الاشراف، يعطف على الشعب ويرق لما يصيبه من السوء وتعنّت اصحاب النعمة والاثراء. فسعى لترقيته ولمناصرة العمال:]

ايها الاخ العامل:

لبَّيك ألفًا! هذا يمين الاخاء أمدّه اليك. فان كنتَ خاطب ودّ فالودُّ لك. وان كنتَ شاكي ظلم، فيراعي لسانك، وبياني تَرجمانك. وانا وحياتي دريئة[1] لك من المخاوف. لعمري، لقد استنجدتَ بواهن القُوى، منعقدِ اللسان، أسيرِ العجز، حليفِ الجهل. فاذا كان يغنيك شيء من هذه الخَلّات[2] فبالصدق الذي لا أدّخر سواه، وبالفؤاد الذي لم تستأسرهُ بغية وان عزّت، ولم يُفزعه هولٌ وإن جلّ.

١ الدريئة: ما استتر به الصائد ليخدع الصيد. وهنا: حصن. ٢ الخلات: الخصال.

أدخل حجرة الوزير تلقَ بها الأواني المُذهبة في نقوشها وتصاويرها، على الخوان البديع من شجر الجوز مُطعّماً بالفضة او الصَّدَف او العاج، والى جانب ذينكَ من التحف والبدائع ما لا يصوّره الا بنان صانعه، وهو مضطجع على سرير أقلُّ مسمار فيه اغلى من مالكه ثمناً، وانفسُ قدراً . جذلانُ ثملٌ بين أُبهة الدولة، وسَكرة العز، وكبرياء الثروة . اذا مشى على ذلك البساط السُّندسي قلت: فيلٌ يمشي على هشيم . يشير لك بيمناهُ ويسراهُ الى تلك المذخورات فخوراً منتفخاً، لانه امتلكها بدراهم غلَبت والحاجة على نفس صانعها، فاقتناها، ولم يشأ ان يكون عند سواه نظير لها . هذا رجل قرأ على احد تلامذة شيخ الحارة، وتخرج اما في جامع الفاتح، او في احد اقلام الباب العالي ، ثم تنقل من تقبيل اذيال الى تقبيل ايدٍ، الى ان قُبِّلت يمينه . فأين رأى هذا عاملاً ؟ اما انه لتنظر عيناه ولا تريان !

السرير الذي يهدأ عليه جنباه اذا غشيه الكرى، والكرسي الذي يجلس فوقه ليتولى احكام الناس، والمنظار الذهبي الذي يَعَضُّ مارِنَ[1] انفه، ويريه كلَّ كلمة كالدارعة . والملابس الحريرية التي تخفي عن الابصار حدبته وما خرج من ركبتيه؛ كلّ يسرّه وكل يرضيه . أما عامله فقد نال أجره وقضي الامر !

هو يحسَب ان العامل يدور كاللولب، لا يُجهده تعب ولا يضنيه كدّ . ولو رآه في معمله مُتفصِّداً جبينُهُ عَرقاً، مشمراً عن ساعدين مفتولين عزماً، متهللاً فرَحاً في حزنه، شادياً في مناحة حظه، لأخذه الرَّوع، ولحارت، تلقاء ذلك المشهد المهيب، قُواه !

ان بين الحيطان السود تحت سُحُب الدخان، امام النار التي يُذكيها الكِير[2] الزافر، وتحت اعماقٍ من الارض ذَرْعُها[3] ثلاث مئة ذراع او اكثر، أرجالاً شُعْثَ النواصي، غُبرَ الوجوه، نسيا عن اجسادهم النعيم، وأجفلت عنهم السعادة، يخدمون بني الانسان كأن لم يكونوا من بني الانسان . اذا جاء عيد سرّهم منهُ قطعة لحم

١ مارِن الانف: طرفه وهو ما لان منه دون قصبته . ٢ الكِير : ما ينفخ به الحدّاد النار . ٣ طولها وقياسها .

يأكلونها مع اطفالهم، وجُرعةٌ من خمر يشربونها معهم . تقام الافراح وتُزَيّن البلدان ويَزدلِف الناس الى الناس تفرُّجاً وتنزهاً، وهم في ظُلُماتهم غارقون . وقد ينفجر غازٌ فيتطايرون في اثناء لهيبه، ويدهمهم سيل فيغيبون في جائشات غواربه، وليس لاهلهم من حامٍ ولا لبنيهم من آوٍ، فيكفيهم حسرات الفراق ولوعات الهموم!

يمرّ الامير الجليل في عربته وهي كَدارةِ[1] الشمس تقودها المُطهَّمات مسابقاتِ الرياح، فيلفتُ ابو الذهب وجهَه عن اخيه المسكين الفقير البائس المُجِدّ المجتهد . يرى أطمارهُ الرثّة ووجهَهُ الشاحب، فيعاتب الله كيف خلق خلقاً مثل هؤلاء الناس . ولو أنصف، لبادر اليه من علياء مركبته، وأوسعهُ لثماً وتقبيلاً، ولأخذهُ واركبهُ على يمينه، فما يتلطَّف بآثمٍ ولا بسائلٍ ؛ بل بسيده الذي يُطعمهُ ويكسوهُ ويسقيه ويَقيه !

٣٩٢ المرأة

[كان ولي الدين من أنصار المرأة يدعو الى تعليمها وتثقيفها وإلى تحريرها ورفع الحجاب وتخييرها في مصيرها وانتقاء زوجها . وقد وصف شقاءها وصفاً بليغاً أليما لكي يعطف عليها القلوب ويثير الهمم لاحلالها المحلّ اللائق بها في المجتمع :]

أَلا مَـا لِسَيِّدَتِي نَاحِبَهْ ، بِرُوحِي مَدَامِعُهَـا السَّاكِبَهْ
يَكَادُ عَلَى خَدِّهَا ٱلاحمِرَارُ ، يُبِينُ لِنَاظِرِهِ لَاهِبَـهْ
وَلَيْسَتْ بِمُعْرِضَةٍ فِي دَلَالٍ ، وَلٰكِنْ أَرَى أَنَّهَا غَاضِبَهْ
أَلا صَدَقَتْ هٰذِهِ ٱلعَبَرَاتُ ، وَقَدْ كُنْتُ أَحسَبُهَا كَاذِبَهْ
لِمَنْ يَذْخَرُ ٱلوِدَّ مَسْلُوبُهُ ، إِذَا هُوَ أَرْضَى بِهِ سَالِبَـهْ
تَمَنَّيْتُ لَوْ كَتَبَتْ مَا بِهَا ، وَلٰكِنَّهَا لَمْ تَكُنْ كَاتِبَهْ
تُفَتِّشُ ، لَيسَتْ تَرَى صَاحِباً ، يُقَاسِمُهَا ٱلحُزْنَ ، أَوْ صَاحِبَهْ

---
[1] الدارة : الهالة .

لَقَدْ غَلَبَ ٱلْيَأْسُ آمالَهَا ، وَآمالُهَا كَانَتِ ٱلْغَالِبَهْ
أَزِيلِي ٱلْحِجَابَ عَنِ ٱلْحُسْنِ يَوْماً ، وَقُولِي : مَلَلْتُكِ يَا حَاجِبَهْ
فَلَا أَنَا مِنْكَ وَلَا أَنْتَ مِنِّي ، فَرُحْ ذَاهِباً ، هَا أَنَا ذَاهِبَهْ

شهدت مصارع ثلاث نسوة : احداهنّ قتلها الاستبداد، والثانية أرداها الجهل، والثالثة اودى بها الحجاب . فقل في ثلاثة أنجم طلعت بأفق الصِبا ثم احتواها الأفول . شباب غضّ أذوى رَيبُ المنـون بهارَهُ، وأُنسٌ قريب ابعدتهُ وَحشة القدر . فاما التي قتلها الاستبداد فامرأة جركسية، كانت مقيمة مع اهلها بقرية من قرى « العزيزيّة » التابعة لولاية « سيواس » . اشتراها احد رجال « س . . . باشا » من ابيها بخمسة وعشرين جنيهاً . فلما قَدِم بها الاستانة على سيده أهداهُ اياها . فاسكنها حرَمهُ وكساها وحلّاها، حتى اذا خطرت لديه رأى في مواطئ قدميها مواضِعَ لجباه العاشقين، فخطب ودّها، فنظرت اليه بعينين نَجلاوين لا واقِيَ لقلبٍ رمتاهُ وقالت :

— مكاني في خدمة الامير احبُّ اليَّ مما عداهُ .

فما زادهُ ذلك الّا حبّاً لها، واستهتاراً بهواها، وما زادها الّا نفوراً منهُ وبغضاً . فتمكنت ذات يوم من إنفاذ كتابٍ لابيها تشكو لهُ ما تجد من اشتياقها الى امها واخواتها، وتعلمهُ بما تحسّ به من اضمحلال قواها . فاصابت شكايتُها موضع الرحمة من فؤاد ابيها، واقام اياماً يتزوّد للسفر اليها . . . فلما عاد من سفرته، قالت لهُ امرأتهُ : كيف حال من بعثها ؟ فقال : رحمة الله عليها . . .

واما التي ارداها الجهل، فغانيةٌ كتمثال فينوس[1] استصحبها ابوها الى بيروت، وهي في الخامسة من عمرها، وادخلها هناك احدى مدارس الراهبات أخذاً برأي صديق لهُ . فلما اتمت علومها التي في مدرستها، اخرجها ابوها، وقد بلغت الثالثة عشرة، واوجب عليها الحجاب ومجاورة البيت، ومنعها مطالعة الكتب الافرنجية .

١ إلاهة الجمال عند الاقدمين .

ولقد قالت له : إذن، لِمَ علمتني ما لا تريد ان أعمل بهِ ؟ فقال لها : لي الامر، وعليك السمع والطاعة . فدعي الجدال . فامتثلت المسكينة، وفي النفس ما فيها .

فبينا هي ذات يوم في غرفتها، اذا بأمها داخلة عليها، فما تقابل النظران، الّا بادرت الام الى ابنتها قائلة : جاء اباكِ خاطبٌ يخطبك منهُ . فقالت الفتاة : لا أريد الزواج . قالت الام : لكنه فتى جميل كأنه احد ابناء الملوك . قالت الفتاة : ما لي وجمالهُ وغناهُ ومشابهتهُ ابناء الملوك . انا لا أعرفهُ فلا اريدهُ .

ثم مضى شهران، وفي اول الثالث زُفّت المجهولة الى المجهول . ثم مضى شهران فدخل عليها زوجها يوماً، وفي يدها صورة رجل مكشوف الرأس، عليه ثياب قواد الجنود وفي يده قُبّعة . ففار دم زوجها، وثار غضبه وادركته غيرة الزوج، فعمد الى خنجر كان يحمله فشقّ به بطن امرأته، فاذا هي جسد بلا روح . ولما تأمل الناس ورجال القضاء الصورة التي اغضبت الزوج ؛ اذا هي صورة واشنطن الشهير محيي مجد اميركا !! . .

واما التي قتلها الحجاب، فقد تزوجها رجل من اهل أدنه شديد الغيرة . دخلت بيته ليلة زُفّت اليه، ولم تخرج منه ابداً، حتى اذا مرضت وثقُل عليها المرض واشتدّ الالم دعا زوجها طبيباً واخذ يصف له ما تشكوه . فقال : انا لا اداوي على السماع، ولا بد من رؤية المريضة وفحص موضع العلة . فأبى الزوج الابيُّ ذاك . وما مضت ايام قلائل الا وقد أزّروها في اكفانها، وشيّعوها الى منزلها الابدي : من ضريح الى ضريح !

واعرف نوادر غير هذه لا أكلّف نفسي ألمَ ذكرها ولا أهبُ القراء كمدَ العلم بها . هذا فؤاد كالبركان، له ايام يثور فيها، وله ايام يسكن فيها . وكم لي عند الايام من ثاراتٍ، ولكن ضَعُفَ الطالب وعزّ المطلوب .

على أنني راضٍ بأن احمِل الهوى، وأخلصَ منهُ لا عليَّ ولا ليا

فواعجباً ! الله يخلق هذه الصور فيمسح عليها من الجمال ما يستخف لبَّ الحكيم

وُيودِع في تلك الارواح لطف الالهام ونور اليقين، فاذا هي تكاملت في أشكالها تخاطفتها ايدي المتغلّبين، فقالوا : هذا مَتاعٌ حسنٌ، ولهوٌ ومسكنُ لذّةٍ ومستقرُّ هوًى !!! ضلال في ضلال .

اما لو كان في الغانيات مثل جورج ساند ومثل مدام دونواي[1] لتقاعست هِمَمُ المستبدّين !

رأيت رجالًا يبذّرون المال تبذيراً، فاذا اقاموا الافراح نصبوا السُّرادِقات، ورفعوا الاعلام، واوقدوا الزينات، ومدّوا الموائد، وجاءوا بالمغنين والمغنيات، واستكملوا اسباب المسرات، كلُّ ذلك ليدخُلوا بامرأةٍ لا يعرفونها . خطبوها لانها خُلقت لتُخطَب، فاذا صارت في ايديهم اياماً، ملُّوا حديثها وسئِموا قربها، وراحوا يفتشون عن غيرها . فمثلهم كمثل الطفل المدلّل يرى اللُّعبة فيبكي لابيه وامه حتى يبتاعاها له . ثم لا يلبَث ان يحطِّمها ويطرحها جانباً ليأتيا له بغيرها .

هذا عصرُ غارةٍ شعواء يشنُّها المجددون على شيعة الرأي القديم . وما ضرني وقد اشتعل الرأسُ شيباً، ان أتقدّم صفوف الشبان . فان لم اكن صاحبَ امرهم، فما عليَّ ان اكونَ حامل رايتهم . فمن لي بصاحب تحرير المرأة[2] ان ينفض عنه تراب القبر ويخرجَ الى الاحياء ليرى مبلغَ استفادتهم من رأيهِ . اما انه لو فعلَ ولن يفعل وقرأ ما يكتبه قوم في ابقاء الحجاب، والتحكم على امهات الاجيال الآتية، لكرَّ راجعاً الى مرقدهِ، واغمض عينيه حتى لا يرى، وأذنيه لكي لا يسمع، وانشد قول الحكيم القديم[3] :

ضجعةُ الموت رقدةٌ يستريح — الجسم فيها، والعيش مثل السُّهاد

ميزة اسلوبه : ثار وليّ الدين على التقاليد ومنها اساليب الانشاء المتداولة فنبذ تصنع المترسلين . فكان اسلوبه صورة لنفسه الكبيرة وقلبه المضطرم ومركباً لعاطفته المتدفقة : كلام حيّ موجز في غير غموض وجزل في غير قساوة، تسطع فيه شهب الصور المبتكرة والتشابيه الجديدة الرائعة ويتوثب توثباً في عصبية ولهجة خطابية بعيدة الاثر .

---

١ اديبتان فرنسيتان . ٢ اي قاسم امين . ٣ هو ابو العلاء المعرّي .

مصطفى لطفي المنفلوطي (١٨٧٦ـ١٩٢٤م/١٢٩٣ـ١٣٤٣هـ)

[تلقن علومه في الازهر حيث كان يقرأ ويحفظ ما تقع عليه يده من أسفار أدبية، ثم تلمذ للشيخ محمد عبده . وقد لفتت اليه الابصار مقالاته التي كانت تنشر في الصحف لما انطوت عليه من موضوعات اجتماعية مسكوبة في قالب بليغ مشرق . فالمنفلوطي من المترسلين المجلّين في ميدان القلم إلا ان شهرته قائمة على جاذبية أسلوبه لا على جوهر معانيه .

الكاتب الاجتماعي والقصصي :

٣٩٣ البائسات

[كان المنفلوطي يرمي الى الاصلاح الاجتماعي فدعا الى النهضة والتقدّم ولا بد ان ترقى المرأة ليرقى معها المجتمع . ولذا وصف الكاتب بؤس النساء وشقاءهنّ وصفاً أليماً يحزّ في القلوب ويحفز الهمم لمعالجة ادوائهنّ :]

ان المرأة المصرية شقية بائسة، ولا سبب لشقائها وبؤسها الا جهلُها وضُعف مداركها . انها لا تُحسن عملاً، ولا تعرف باب مرتزق، ولا تجد بين يديها سِلعة[1] تتجر بها وتقتات منها الا قلب الرجل، فإن استطاعت أن تمتلكه عاشت عيشاً رغداً، او لا، فلا مفرّ لها من الشقاء، من المهد الى اللحد . ودون امتلاكها هذا القلب القاسيَ المتحجرَ اهوالٌ عظام، وعقبات جسام، لو كُلف الرجل نفسُه على ما به من قوة وأيد[2] وسَعة حيلة ان يجتاز واحدة منها لسقط بين اليأس والاستسلام . متى بلغت الفتاة سنّ الزواج سواء أكان ذلك على تقدير الطبيعة او على تقدير اولئك الجهلاء أولياء أمر تينك الفتاتين، استثقل أهلها ظلها وبرَموا بها وحاسبوها على المضغة والجرعة، والقومة والقعدة، ورأوا أنها عالة عليهم، وان لا حق لها في العيش

١ السلعة : البضاعة يتّجر بها . (٢) الأيد : القوّة والشدة .

في منزل لا يستفيد من عملها شيئاً، وودُّوا لو طلع عليهم وجه الخاطب، ايُّ خاطب كان يحمل في جبينه آية البشرى بالخلاص منها . وان قوماً هـذا مبلغ عقولهم من الفهم، وقلوبهم من القسوة، وهذه منزلة فلذات اكبادهم من نفوسهم، لا يمكن بحال من الاحوال ان يفاوضوها في اختيار الزوج، او يحسنوا الاختيار لهـا حين يختارون . فاذا دخلت هذا المنزل الجديد الذي لا تعرفه ولا تعرف شأناً من شؤون أهله، دخلت في دَوْر الجهاد العظيم بينها وبين قلب الرجل . فان كانت ذات جمال او مال، فقد استوثقت لنفسها وأمنت آلام الهجر وفجائع التطليق، والا فهي تقاسي كلَّ صباح ومساء في الحصول على الحسن المجلوب، والجمال المصنوع، آلاماً جثمانية تطفئ نور شبيبتها وتذبل زهرة حياتها، وتلاقي في سبيل مصانعة الزوج ومداراته، والبكاء في موضع الابتسام ان ابتسم، والابتسام في موضع البكاء ان بكى، ما يجعل اخلاقها فضاء مملوءا بالكذب والكيد، والخبث والرياء، وهي فوق ذلك تنتظر من فم زوجها في كل ساعة كلمة الطلاق، كما ينتظر القاتل من فم قاضيه كلمة الاعدام .

ليست كلمة الاعدام من قبيل الاستعمال المجازي، فما أنسَ لا أنسَ ليلة زرت فيها صديقاً لي، فرأيت عند باب منزله امرأة بائسة ليس وراء ما بها من الهمّ غاية، وكأنما هي الخيال رقة وذبولاً، ووراءها صبية ثلاثة يدورون حولها ويُجاذبونها طرَف ردائها، فتسبل فضلَ مئزرِها على مآقيها المقرَّحة رأفة بهم ان يلمّوا ببعض شأنهـا فيبكوا لبكائها، فسألتها عن شأنها فاخبرتني انها مطلقة من زوجها، وأن بيدها حكماً من المحكمة الشرعية بالنفقة لاولادها، وقد مر عليها زمن طويل و «الادارة» تماطل في انفاذه، فجاءت الى هذا الصديق تستعين به على امرها، ثم اخذت تشرح من حالها وحال اطفالها في مقاساة الشدة، ومعالجة القوت، ما أسال شؤوننا، وصعّد زفراتنا، وامسكنا له اكبادنا خشية ان تَصدَّعَ . فخففت أنا وصديقي شيئاً من آلامها فانصرفت، وفي صباح تلك الليلة سمعنا ان امرأةً فقيرةً ماتت بحمّى دماغية، فسألنا عنها فعلمنا انها صاحبتنا بالامس، وانها ماتت شهيدة الزوجية الفاسدة .

ايها الرجل : ان كنت تعتقدُ ان المرأة انسانٌ مثلك وهبها الله مداركَ مثلَ مداركِك، واستعداداً مثل استعدادك، فعلّمها كيف تأكل لقمتها من حرفةٍ غير هذه الحرفة النكدة، والا فأحسِن اليها وارحمها كما ترحمُ كلبكَ وشاتك . ان كنت زوجاً فلا تطردها من منزلك بعد ان تقضيَ مأربك منها كما تصنع بنعلك التي تلبسها، وان كنتَ أباً فهذه فلذة كبدِك فلا تضق بها ذرعاً، ولا تُلقِ بها في جُحرِ وحشٍ ضارٍ يأكل لحمها ويمتصُّ دمها، ثم يُلقي اليك بعظامها .

ويا أيها المحسنون : والله لا اعرفُ لكم باباً في الاحسان تنفذون منه الى عفو الله ورحمته اوسع من باب الاحسان الى المرأة . علموها لتجعلوا منها مدرسةً يتعلمُ فيها اولادُكم قبل المدرسة، وأدّبوها لينشأ في حِجرها المستقبل العظيم للوطن الكريم .

٣٩٤ غرفة الاحزان

كان لي صديق أحبه لفضله وأدبه، اكثر مما أحبه لصلاحه ودينه، فكان يروقني منظرُه ويؤنسني محضرُه، ولا أُبالي بعد ذلك بشيء من نسكه وعبادته، أو فسقه واستهتاره؛ لانني ما فكرت قط ان اتلقى عنه علوم الشريعة او دروس الاخلاق.

قضيت في صحبته عهداً طويلاً ما أُنكر من أمره ولا يُنكر من أمري شيئاً، حتى سافرت من القاهرة سفراً طويلاً فتراسلنا حيناً ثم انقطعت عني كتبه فرابني من أمره ما رابني، ثم رجعت فجعلت اكبرَ همي أن أراه، فطلبته في جميع المواطن التي كنت ألقاه فيها فلم أجده، فذهبت الى منزله، فحدّثني جيرانه أنه هجره من عهد بعيد، وأنهم لا يعرفون أين مصيره، فوقفت بين اليأس والرجاء برهة من الزمان، يغالب أولها ثانيها حتى غلبه، فايقنت أن قد فقدت الرجل، وأني لن أجد بعد اليوم اليه سبيلاً .

هنالك ذرَفتُ من الوجد دموعاً لا يذرفها إلا من قلّ نصيبه من الاصدقاء،

وأقفر رَبعه من الأوفياء، وأصبح غرضاً من أغراض الايام، لا تخطئه سهامها، ولا تُغبّه آلامها .

بينا أنا عائد الى منزلي في ليلة من ليالي السِّرارَ إذ دفعني الجهل بالطريق في هذا الظلام المدلهمّ الى زُقاق موحش مهجور يخيل للناظر اليه في مثل تلك الساعة التي مررت فيها أنه مسكن الجان، أو مأوى الغيلان، فشعَرت كأني أخوض بحراً أسود، يزخَر بين جبلين شاخين، وكأنّ أمواجه تُقبل بي وتدبر، وترتفع وتنخفض، فما توسطت لجته حتى سمعت في منزل من تلك المنازل المهجورة أنة تتردّد في جوف الليل، ثم تلتها أختها ثم أخواتها، فأثر في نفسي مسمعُها تأثيراً شديداً وقلت : يا للعجب، كم يكتم هذا الليل في صدره من أسرار البائسين، وخفايا المحزونين ! وكنت قد عاهدت الله قبل اليوم ألا أرى محزوناً حتى أقف أمامه وقفة المساعد إن استطعت، او الباكي إن عجزت، فتلمست الطريق الى ذلك المنزل حتى بلغته، فطرقت الباب طرقاً خفيفاً فلم يُفتح، فطرقته أخرى طرقاً شديداً ففتحت لي فتاة صغيرة لم تكد تسلخ العاشرة من عمرها؛ فتأملتها على ضوء المصباح الضئيل الذي كان في يدها ، فإذا هي في ثيابها الممزقة، كالبدر وراء الغيوم المتقطعة، وقلت لها : هل عندكم مريض ؟ فزفرت زفرة كاد ينقطع لها نياط قلبها، وقالت : أدرك أبي أيها الرجل فهو يعالج سكرات الموت . ثم مشت أمامي فتبعتها حتى وصلت الى غرفة ذات باب قصير مسنَّم[2]، فدخلتها فخيل إليّ أني قد انتقلت من عالم الاحياء الى عالم الاموات، وأن الغرفة قبر، والمريض ميت؛ فدنوتُ منه حتى صرتُ بجانبه، فإذا قفص من العظم يتردّد فيه النفس تردُّدَ الهواء في البرج الخشبيّ . فوضعت يدي على جبينه ففتح عينيه وأطال النظر في وجهي، ثم فتح شفتيه قليلاً قليلاً، وقال بصوت خافت : « احمد الله فقد وجدت صديقي ! » فشعرت كأن قلبي يتمشى في صدري جزعاً وهلعاً، وعلمت أني قد عثرت بضالتي التي كنت أنشدُها؛ وكنت اتمنى ألّا أعثر بها وهي في طريق الفناء، وعلى باب القضاء، وألا يجدد لي مرآها حزناً كان في قلبي كميناً، وبين أضالعي دفيناً، فسألته ما باله ؟ وما هذه الحال التي صار اليها ؟ وكأن أنسه بي أمدّ مصباح حياته الضئيل بقليل من النور فأشار إليّ أنه

١ السِّرار من الشهر : آخر ليلة منه ٢ مسنَّم : تعلوه حدبة كسنام البعير .

يجب النهوض، فمددت يدي اليه، فاعتمد عليها حتى استوى جالساً وأنشأ يقص عليّ القصة الآتية :

[ثم روى له كيف أجرم الى فتاة احبها ثم انتبذها فكتبت اليه تقول :]

... قتلتَ أمي وأبي، فقد علمت أنهما ماتا، وما احسب موتهما إلا حزناً لفقدي، ويأساً من لقائي . قتلتني، لان ذلك العيش المرّ الذي شربته من كأسك، والهمّ الطويل الذي عالجته بسببك، قد بلغا مبلغهما من جسمي ونفسي، فأصبحت في فراش الموت الذُّبالة[1] المحترقة تتلاشى نفساً في نفس، وأحسب ان الله قد صنع لي، واستجاب دعائي، وأراد ان ينقلني من دار الموت والشقاء، الى دار الحياة والهناء . فأنت كاذب خادع، ولص قاتل ، ولا احسب ان الله تاركك دون ان يأخذ لي بحقي منك . ما كتبت اليك هذا الكتاب لأجدّد بك عهداً، او اخطب اليك وداً، فأنت اهون عليّ من ذلك، على انني قد اصبحت على باب القبر وفي موقف وداع الحياة بأجمعها، خيرها وشرها، سعادتها وشقائها ؛ فلا أمل لي في ودّ، ولا متسع لعهد، وإنما كتبت اليك لان لك عندي وديعة وهي فتاتك، فإن كان الذي ذهب بالرحمة من قلبك ابقى لك منها رحمة الابوّة فأقبل اليها وخذها اليك حتى لا يدركها من الشقاء ما ادرك امّها من قبلها .

فما أتممت قراءة الكتاب حتى نظرت اليه فرأيت دموعه تتحدّر على خدّيه، فسألته : وماذا تمّ بعد ذلك ؟ قال : إني ما قرأت هذا الكتاب حتى أحسست برعدة تتمشى في جميع أعضائي، وخُيّل إليّ ان صدري يحاول ان ينشق عن قلبي حزناً وجزعاً، فأسرعت الى منزلها وهو هذا المنزل الذي تراني فيه الآن، فرأيتها في هذه الغرفة على هذا السرير جثة هامدة لا حراك بها، ورأيت فتاتها الى جانبها تبكي بكاءً مُرّاً، فصُعقتُ لهول ما رأيت، وتمثلت لي جرائمي في غشيتي كأنما هي وحوش ضارية، وأساودُ ملتفة، هذا ينشب أظافره، وذاك يحدّد أنيابه، فما أفقت حتى عاهدت الله ألّا أبرح هذه الغرفة التي سميتها « غرفة الاحزان » حتى أعيش فيها عيشها، وأموت موتها . ها.نذا أموت اليوم راضياً مسروراً، فقد حدّثني قلبي

[1] الذّبالة : الفتيلة التي احترق بعضها .

ان الله قد غفر لي سيئاتي بما قاسيت من العناء، وكابدت من الشقاء . وما وصل من حديثه الى هذا الحدّ، حتى انعقد لسانه واكفهرّ وجهه وسقط على فراشه فأسلم الروح وهو يقول : ابنتي يا صديقي ! فلبثت بجانبه ساعة قضيت فيها ما يجب على الصديق لصديقه، ثم كتبت الى اصدقائه ومعارفه، فحضروا تشييع جنازته ؛ وما رئي مثل يومه يومٌ كان اكثر باكية وباكياً .

ولما حثونا الترب فوق ضريحه جزعنا ولكن أيّ ساعة مجزع

يعلم الله اني اكتب قصته، ولا أملك نفسي من البكاء والنشيج ؛ ولا أنسى ما حييت نداءه لي وهو يودع نسمات الحياة، وقوله : « ابنتي يا صديقي ! »

فيا اقوياء القلوب من الرجال، رفقاً بضعفاء النفوس من النساء . إنكم لا تعلمون حين تخدعونهن عن شرفهن وعفتهن، أيّ قلب تفجعون، واي دم تسفكون !

٣٩٥ يوم العيد

أفضل ما سمعت في باب المروءة والاحسان ان امرأة بائسة وقفت ليلة عيد من الاعياد بحانوت تماثيل في باريس يطرقه الناس في تلك الليلة لابتياع اللعب لاطفالهم الصغار، فوقع نظرها على تمثال صغير من المرمر هو آية الآيات في حسنه وجماله، فابتهجت بمرآه ابتهاجاً عظيماً، لا لانها غريرة بلهاء يستفزها من تلك المناظر الصبيانية ما يستفز الاطفالَ الصغار، بل لانها كانت تنظر اليه بعين ولدها الصغير الذي تركته في منزلها ينتظر عودتها اليه بلعبة العيد كما وعدته، فاخذت تساوم صاحب الحانوت فيه ساعة والرجل يغالي به مغالاة شديدة حتى علمت ان يدها لا تستطيع الوصول الى ثمنه، وانها لا تستطيع العودة بدونه، فساقتها الضرورة التي لا يقدرها الا من حمل بين جنبيه قلباً كقلب الامّ، وفؤاداً مستطاراً كفؤادها، الى ان تمد يدها خفية الى التمثال فتسرقه من حيث تظن ان الرجل لا يراها، ولا يشعر بمكانها، ثم رجعت ادراجها وقلبها يخفق في آن واحد خفقتين مختلفتين، خفقة الخوف من عاقبة

فعلتها، وخفقة السرور بالهدية الجميلة التي ستقدمها بعد لحظات قليلة الى ولدها؛ وكان صاحب الحانوت من اليقظة وحدَّة النظر بحيث لا تفوته معرفة ما يدور حول حانوته، فما برحت مكانها حتى تبعها يترسم مواقع اقدامها حتى عرف منزلها، ثم تركها وشأنها وذهب الى مخفر الشرطة فجاء منه بجنديين للقبض عليها، وصعدوا جميعاً الى الغرفة التي تسكنها ففاجأها وهي جالسة بين يدي ولدها تنظر الى فرحه وابتهاجه بتمثاله نظرات الغبطة والسرور، فهجم الجنديان على الام فاعتقلاها، وهجم الرجل على الولد فانتزع التمثال من يده، فصرخ الولد صرخة عظمى لا على التمثال الذي انتزع منه، بل على امه المرتعدة بين يديه، وكانت كلمة نطق بها وهو جاثٍ بين يدي الرجل : رحماك بامي يا مولاي! وظلَّ يبكي بكاء شديداً، فجمد الرجل امام هذا المنظر المؤثر، وأطرق إطراقاً طويلاً، وانه لكذلك اذ دقت اجراس الكنائس مؤذنة بإشراق فجر العيد، فانتفض انتفاضة شديدة وصعب عليه ان يترك هذه الاسرة الصغيرة المسكينة حزينة منكوبة في اليوم الذي يفرح فيه الناس جميعاً، فالتفت الى الجنديين وقال لهما : أظن اني اخطأت في اتهام هذه المرأة فاني لا ابيع هذا النوع من التماثيل؛ فانصرفا لشأنهما . والتفت هو الى الولد فاستغفره ذنبه اليه والى امه . ثم مشى الى الام فاعتذر اليها عن خشونته وشدَّته، فشكرت له فضله ومروءته، وجبينها يرفضّ عرقاً حياء من فعلتها، ولم يفارقها حتى اسدى اليها من النعم ما جعل عيدهما اسعد واهنأ مما كانا يظنان .

لا تأتي ليلة العيد حتى يطلع في سمائها نجمان مختلفان، نجم سعود ونجم نحوس، اما الاول فللسعداء الذين اعدّوا لانفسهم صنوف الاردية والحلل، ولاولادهم اللعب والتماثيل، ولاضيافهم ألوان المطاعم والمشارب، ثم ناموا ليلتهم نوماً هادئاً مطمئناً تتطاير فيه الاحلام الجميلة حول اسرّتهم تطاير الحمائم البيضاء حول المروج الخضراء؛ واما الثاني فللاشقياء الذين يبيتون ليلتهم على مثل جمر الغضا يئنون في فراشهم أنيناً يتصدع له القلب ويذوب له الصخر حزناً على اولادهم الواقفين بين

ايديهم يسألونهم بألسنتهم وبأعينهم ماذا أعدّوا لهم في هذا اليوم من ثياب يفاخرون بها أندادهم[١]، ولعب جميلة يزينون بها مناضدهم، فيعللونهم بوعود يعلمون انهم لا يستطيعون الوفاء بها ...

حسبُ البؤساء من مِحَن الدهر وارزائه أنهم يقضون جميع ايام حياتهم في سجن مظلم من بؤسهم وشقائهم، فلا اقل من ان يتمتعوا برؤية أشعة السعادة في كل عام مرة او مرتين .

ميزته : أحسّ المنفلوطي احساساً مرهفاً برسالته الاجتماعية وقام بها بإخلاص لم تعادله الطاقة والكفاية . وقد سيطرت على اجتماعياته مسحة التشاؤم لانه لم يرَ من المجتمع غالباً سوى الناحية الكئيبة الاليمة ومآسي الحياة الاخلاقية المفجعة . اما قصصه فهو خالٍ من التحليل . والمتعة غير مروّض عموماً على اساليب المفاجأة والحبك والتشويق . الا ان المنفلوطي يجيد احياناً في سرد الاخبار القصيرة ووصف الشقاء وصفاً مادياً .

الاديب المتحرّر :

٣٩٦ الاربعون

[مقالة يذكر فيها الكاتب حزنه وبعض خواطره وتغير وقائع الحياة عليه لما نظر الى زمانه الماضي بعد إذ وصل الى قمة هرم الحياة :]

الآن وصلت الى قمة هرَم الحياة، والآن بدأتُ انحدر في جانبه الآخر، ولا اعلم هل استطيع ان اهبط بهدوء وسكون حتى اصل الى السفح بسلام او اعثر في طريقي عثرةً تهوي بي الى المصرع الاخير هُوِيّاً[٢] .

سلام عليك ايها الماضي الجميل لقد كنت ميداناً فسيحاً للآمال والاحلام وكنا نطير في اجوائك البديعة الطلقة غادين، رائحين، طيران الحمائم البيضاء في افق السماء، لا نشكو ولا نتألم ولا نضجر ولا نسأم بل لا نعتقد ان في العالم هموماً وآلاماً .

١ النِّدّ ج أنداد : النظير . ٢ هُوِيّاً : مصدر هوى

وكان كل شيء في نظرنا جميلًا حتى الحاجة والفاقة واحتمال اعباء الحياة واثقالها كأن كل منظر من مناظرك قد لبس ثوباً قشيباً من نسيج الزهر الابيض فاصبح فتنة الانظار وشرك الالباب .

وكان يُخيَّل الينا ان هـذا الزورق الجميل الذي ينحدر بنا في بحيرتك من الصافية الرائقة سيستمرّ في طريقه مُطرداً[1] متدفقاً لا يعترضه مُعترض ولا يلوي به عن طريقه لاوٍ الى ما لا نهاية لاطراده وتدفعه .

وكان ما نُعالج فيك من آلام وهموم أن يكون لنا مأربان من مآرب الحياة فنظفر باحدهما ويفوتنا الآخر، او غرضان من اغراضها فنصل الى القريب ونبيت دون البعيد .

وكان كل ما يستذرف الدمع من اعيننا هجرُ حبيب او طلعة رقيب[2] او أرق ليلة او ضجر ساعة او نظرة شزر[3] يلقيها علينا بغيض او نفثة شر يرمينا بها حقود ثم لا تلبث مسرّاتنا ومباهجنا ان تطرد تلك الآلام امامها كما يطرد النهر المتدفق الاقذار والاكدار بين يديه وتسلم لنا الحياة سائغة لا كدر فيها ولا تنغيص .

سلام عليك ايها الشباب الذاهب وسلام على دوحتك الفتانة الغنّاء التي كنا نمرح في ظلالها مرح الظباء العُفر[4] في رملتها الوعثاء[5] . ننظر الى السماء فيخيَّل الينا انها مجرى سوابقنا[6] ومجرّ رماحنا . فكأن العالم كله مملكتنا الواسعة العظيمة التي نسيطر عليها ونتصرف في اي اقطارها شئنا .

ابكيك يا عهد الشباب لا لاني تمتعت فيك براح او غزل، ولا لاني ركبت

---

١ اطّرد الامر: تبع بعضه بعضاً واستقام وتماثلت احكامه . ٢ الرقيب: الحارس .
٣ نظرة شزر: نظرة من جانب العين للاعراض والتغضب . ٤ العُفر: البيض في غبرة .
٥ الوعثاء: العسرة السلوك . ٦ السوابق الخيل

مطيتك الى لهو او لعب، ولا لاني ذقت فيك العيش بارد الهواء كما يذوقه الناعمون المترفون بل لانك كنت الشباب وكفى .

ابكيك لاني كنت ارى في سمائك نجم الأمل لامعاً متلألئاً يؤنسني منظرُه ويطربني لألاؤه وينفذ الى اعماق قلبي شعاعه المتوهج الملتهب . فلما ذهبتَ ذهب بذهابك فاصبح منظر تلك السماء فلاةً متوحشة مظلمة لا يضيئها كوكب ولا يلمع فيها شعاع .

اجل . لم اتمتع فيك بمتعة من المتع ولا بلذة من الملاذ ولا نلت في عهدك مأرباً من مآرب المجد او الجاه ولكنني كنت اؤمل وارجو وبذلك الامل كنت اعيش وتحت ظلال ذاك الرجاء كنت اهنأ وانعم .

اما اليوم وقد بدأت انحدرُ من قِمة الحياة الى جانبها الآخر فقد احتجب عني كل شيء ولم يبقَ بين يدي ما افكر فيه الّا ان اعدّ عدّتي لتلك الساعة الرهيبة التي انحدر فيها الى قبري .

مضى عهد الشباب وبدأت اختلف الى الاطباء الثلاثة طبيب العيون وطبيب المعدة وطبيب الاسنان . وتقاربَت خطواتي فأصبح فرسخي ميلاً وباعي ذراعاً ونعى الناعون اليَّ كثيراً من اصحابي واترابي اي انهم نعوا اليَّ نفسي . ورأيت اصدقائي الذين نشأت معهم في طريقي فانكرت استحالة حالهم واغبرار وجوههم وتجعّد خدودهم وابيضاض شعورهم . فعلمت اني مثلهم وانهم ينكرون مني ما انكر منهم . ودعا لي الداعون بالقوة والنشاط وطول البقاء وحسن الختام اي ان قوتي في هبوط ونشاطي في اضمحلال وسلامتي في خطر وحياتي على وشك الانحدار الى مغربها . ومررت بمجامع الشبان الحافلة بالقوة والنشاط والمرح والسرور فخُيِّلَ اليَّ انني غريب عنهم لا صلة لي بهم ولا شأن لي معهم وأنني اعيش في عالم غير العالم الذي يعيشون فيه . وانتقلت من النظر في شأن نفسي وشأن مستقبلي الى النظر في شأن اولادي وشأن مستقبلهم لان مستقبلي اصبح ماضياً وغدي أصبح أمساً لا رجعة له الى الابد . وسمعت كلمة « الجد » يهتف بها احفادي الصغار فلم

انكرها ولم ابتئس بها كأنني معترف انها الكلمة التي يجب ان اسمعها . ونصحني الناصحون بالاقتصاد والتدبير ابقاء على مصلحة اولادي الفقراء كأنهم يقولون لي انك موشك[1] ان ترحل فأعدّ لنا وراءك من اهلك وبنيك ما يغنيهم عنك يوم يفقدون وجهك . وهدأت نفسي بعد ثورتها وجماحها فاصبحتُ سمحاً كريماً عَفُوّاً غفوراً لا ابغض احداً ولا احقد على احد ولا اقابل ذنباً بعقوبة ولا اساءة بمثلها كأنني اقول في نفسي ما لي وللعالم ولما يحويه من خير وشر وانا مفارقه وشيكاً ان لم يكن اليوم فغداً ! واخذت التحدث عن الماضي اكثر مما التحدث عن الحاضر لا لان الاول اجمل من الثاني بل لان الشبيبة اجمل من الشيخوخة . وذكرت الجلسة البسيطة التي كنت اجلسها ايام الطلب في غرفتي العادية الصغيرة بين زملائي الفقراء البسطاء فبكيتها ورثيتها ولم تنسني اياها جلستي اليوم في منزلي الانيق الجميل بين خير الناس ادباً وفضلاً ومجداً وشرفاً . لان الاولى كانت في سماء الاحلام الحلوة اللذيذة اما الثانية ففي ارض الحقيقة المرّة المؤلمة . وكنت انعم في صباي بكثير من الملاذ الوهمية الكاذبة فكنت اجد في نفسي غبطة عظمى حينما اجلس لمطالعة قصة الف ليلة وليلة او سيرة سيف بن ذي يزن او حروب عنترة او وقائع ابي زيد او اساطير الجنّ والشياطين : وحين آوي مضجعي فأرى في منامي رؤى بديعة يجتمع لي فيها جميع ما احب واشتهي من مطامع الحياة ومآربها وملاذ العيش ومباهجه . وحين اختلف الى مقابر الصالحين ومزارات الاولياء وأقف موقف الضراعة امام حلقات ابوابهم فاشعر بسكينة في قلبي يبعثها الامل ويزجيها[2] الرجاء . . . والآن قد حُرمت ذلك كله منذ الساعة التي عرفت فيها ان اساطير الاولين اكاذيب واباطيل ، وان الرؤى والاحلام هوَس وجنون ، وان الاولياء والصالحين احياء كانوا او امواتاً في شاغل بانفسهم عن غيرهم لا يستطيعون نفعاً ولا ضراً[3] . اي انني شقيت حين علمت وكنت سعيداً قبل ان اعلم . وكان كل ما افكر فيه ان أشيد لي بيتاً جميلاً اعيش فيه عيش السعداء الآمنين

---

١ الوشيك : السريع . ٢ أزجى : ساق ودفع برفق . ٣ لا نجاري الكاتب في زعمه هذا فأولياء الله مشفعون لديه ويأبى عليهم صلاحهم ان يكونوا في شاغل بأنفسهم عن غيرهم .

في مدينة الاحياء. فاصبحت وكل ما افكر فيه الآن ان أبني[1] لي قبراً بسيطاً يضمّ رفاتي في مدينة الاموات . وكنت ادهش لبلاغة البليغ وذلاقة الخطيب وبراعة الشاعر وقدرة الكاتب وذكاء الصانع ونبوغ المبتكر، واطرب لكل عظيم وجليل مما ارى ومما اسمع . فاصبحت لا ادهش لشيء. لان مرآة نفسي قد صدئت فلا ينطبع فيها غير الكوكب الفخم العظيم . واين ذلك الكوكب فيما يقع عليه نظري من كواكب السماء ونجومها ؟ ما انا بآسف على الموت يوم يأتيني فالموت غاية كل حي . ولكنني ارى امامي عالماً مجهولاً لا اعلم ما يكون حظي منه، واترك ورائي اطفالاً صغاراً لا اعلم كيف يعيشون من بعدي . ولولا مـا امامي ومَن ورائي ما باليت أسقطتُ على الموت ام سقط الموت عليَّ .

ليكن ما اراده الله . اما امامي فالله يعلم اني ما ألممت في حياتي بمعصية الا وترددت فيها قبل الالمام بها ثم ندمت عليها بعد وقوعها . ولا شككت يوماً من الايام في آيات الله وكتابه ولا في ملائكته ورسله ولا في قضائه وقدره ولا اذعنت لسلطان غير سلطانه ولا لعظمة غير عظمته ومـا احسب انه يحاسبني حساباً عسيراً على ما فراطت في جنبه بعد ذلك . واما من ورائي فالله الذي يتولى السائمة[1] في مرتعها والقطاة في الحوصها[2]، والعصفور في عشه والفرخ في وكره سيتولى هؤلاء الاطفال المساكين وسيبسط عليهم رحمته واحسانه .

وداعاً يا عهد الشباب فقد ودّعتُ بوداعك الحياة وما الحياة الا تلك الخفقات يخفقها القلب في مطلع العمر فاذا هدأت فقد هدأ كل شيء. وانقضى كل شيء !

أيا عهد الشباب وكنت تندى على افياء سرحتك السلامُ

ميزته : المنفلوطي من طائفة الكتّاب المجدّدين في النثر الحديث . فقد مال عن الاساليب الموروثة من عهد الصناعة اللفظية، وأهمل السجع والتعقيد، وانواع الاعنات والتكلف . واستوحى اطراد العبارة المقفعية وموسيقى العبارة الحميدية وطبعية السياق الجاحظي واشبع انشاءه

١ السائمة : الماشية الراعية . ٢ الأفحوص : الموضع الذي تبحث عنه القطاة لتبيض .

من عاطفته الرقيقة، وصوره الجميلة . فكان اسلوب المنفلوطي - على ما فيه من بعض الهفوات والعيوب كتعاقب الجمل على المعنى الواحد والاسهاب الممل احياناً - «سائغاً محبباً شفافاً تسيل الرقة والسلامة فيه كما يسيل الماء الزلال . فالقارئ يحس بدماثة اسلوب المؤلف وعذوبته فيمتلك عليه روحه ببيانه الناصع» .

سليمان البستاني (١٨٥٦ _ ١٩٢٥م/١٢٧٣ _ ١٣٤٤ ه)

[سياسيّ بارع كان له المكان المرموق بين كبار الشخصيات السياسية في عصره، وعالم واسع الاطلاع جمع بين ثقافة الغرب والشرق فاتحف العرب برائعة اليونان إلياذة هوميرس ومقدّمتها النفيسة التي كانت مرحلة في تاريخ نهضة النقد العربيّ .]

الشاعر :

٣٩٧ الداء

[أصيب الشاعر بأمراض كثيرة في جسمه فارتحل الى سويسرا يستشفي، وقد وجد من علته وادوات علاجه مجالاً وصفياً نظم فيه هذه القصيدة :]

أَلَمْ تَسْأَمْ وَعَيْشُكَ بَاتَ مُرًّا ، تُوَسِّدُ مِنْ لَظَى ٱلْآلَامِ جَمْرَا [١]
وَجَفْنُكَ لَا يَذُوقُ ٱلْغَمْضَ سُهْدًا وَإِنْ هَجَعَتْ عُيُونُ ٱلنَّاسِ طُرًّا
إِذَا ٱنْقَشَعَ ٱلظَّلَامُ رَصَدْتَ لَيْلًا، وَإِنْ هَجَمَ ٱلدُّجَى رَاقَبْتَ فَجْرَا . [٢]

---

١ وسّده الوسادة : جعلها تحت رأسه . ٢ رصده : رقبه .

تَلوحُ لَكَ ٱلْوُجوهُ ٱلبِيضُ سُودًا، وَوَجْهُ ٱلْأُفْقِ يَبْدُو مُكْفَهِرًّا .
يَقُولُ لَكَ ٱلْإِسَى : «صَبْرًا!» وَأَنَّى عَلَى هٰذَا ٱلْعَذَابِ تُطِيقُ صَبْرًا ؟
إِذَا عَالَجْتَ عُضْوًا هِجْتَ عُضْوًا ؛ وَإِنْ دَاوَيْتَ رَأْسًا هِضْتَ صَدْرًا ؛ [1]
كَأَنَّ بِكُلِّ عِرْقٍ مِنْكَ دَاءً ، تُسَكِّنُ عِلَّةً فَتَثُورُ أُخْرَى !

. . .

فَحِينَ أَهُبُّ مِمَّا قَدْ دَعَوْهُ رُقَادًا، وَهُوَ مِنِّي قَدْ تَبَرَّا ،
لِكَهْفِ ٱلْكَهْرَبَاءِ أُقَادُ حَتَّى مَجَارِيهَا تُسَاقُ إِلَيَّ جَرًّا ،
كَأَنَّ لَهَا شُعُورًا بِٱلتَّيَاعِي ، فَتُسْمِعُنِي أَنِينَ ٱلْحُزْنِ جَهْرًا ،
فَمِنْ ظَهْرٍ إِلَى بَطْنٍ وَفَخْذٍ صَفَائِحُ تُرْمِضُ ٱلْأَعْضَاءَ حَرًّا ، [2]
إِذَا عَلَتِ ٱلْأَدِيمَ وَٱلْهَبَتْهُ ، ذَرَتْ كُلَفًا بِهِ سُودًا وَحُمْرَا . [3]
فَأَلْقَى بَعْدَ ذٰلِكَ فِي فِرَاشِي زَمَانًا خِلْتُ مِنْهُ ٱلْجُزْءَ دَهْرًا ،
وَقَدْ غُمِسَتْ رِفَادَاتٌ بِمَاءٍ غَلَى حَتَّى كَوَى كَيًّا أَشَرَّا ، [4]
فَأَسْتَلْقِي فَتَأْتِينِي تِبَاعًا إِلَى أَنْ يُقْرَعَ ٱلنَّاقُوسُ ظُهْرَا ؛
فَيُؤْتَى لِي بِزَادٍ مِنْ إِدَامٍ زَهِيدٍ، يُورِثُ ٱلزُّهَّادَ كُفْرَا ! [5]
فَإِنْ رَمَقِي سَدَدْتُ بِهِ، أُعِيدَ ٱلنْـ‍ـطُولُ بِنَارِهِ شَفْعًا وَوِتْرَا ؛ [6]
أَظَلُّ بِصَبْرِ أَيُّوبٍ أُكَوَّى بِهِ، حَتَّى يَحِينَ ٱلْوَقْتُ عَصْرَا ،
فَأُدْخَلُ مِغْطَسَ ٱلْكِبْرِيتِ فِيهِ أُقِيمُ دَقَائِقًا خَمْسًا وَعَشْرَا .
فَمِنْ نَارٍ إِلَى نَارٍ فَنَارٍ ، وَهٰذَا مُنْتَهَى ٱلنِّيرَانِ تَتْرَى ! [7]

---

١ هاضَ ـِ الشيء فلاناً : نكسه اي ارجع اليه مرضه بعد تماثل . ٢ أرمض الشيء : احرقه . والصفائح : ج صفيحة وهي وجه كل شيء ممدد عريض . وهي هنا أدوات علاجية . ٣ الأديم : الجلد . ذرى ـِ الشيء : فرّقه وبعثره . الكُلَف ج كُلفة : وهي البقعة الحمراء او السوداء المشربة حمرة . ٤ الرِّفادات ج رفادة : خرقة تجعل على الجرح . ٥ الإدام : ما يجعل مع الخبز فيطيّبه . ٦ النطولُ : ماء تغلى فيه الادوية والحشائش ، ويصبّ فاتراً على العضو المصاب؛ الشَّفع : الزوج؛ والوتر: الفرد. ٧ تترى: أصلها وترى، بمعنى متتابعة واحدة بعد أخرى.

وَلَسْتُ بِوَاصِفٍ جُرَعَاتِ مَاءٍ ، وَلَا مَا صُبَّ فِي ٱلْعَيْنَيْنِ قَطْرَا ؛
وَلَا ٱلْإِبَرَ ٱلنَّوَاخِسَ نَافِثَاتٍ مُخَدِّرَ أَزْمَةٍ لِزَبَاءَ تَطْرَا ؛ [1]
وَلٰكِنْ عَنْ مَرَارَةِ كُلِّ يَوْمٍ ، أُحَدِّثُ لِلْمَلَا عِبَرًا وَذِكْرَا .
وَإِنْ أَزِفَ ٱلْمَسَاءُ وَخُرْتُ عَزْمًا ، أَتَى ٱلسَّادُ مِهْرَاعًا مِكَرًّا ؛
فَيَذْلُكُ بِٱلْمَرَاهِمِ جِسْمَ حَيٍّ كَمَيْتٍ ، يُصْعِدُ ٱلْأَنْفَاسَ زَفْرَا ؛ [2]
وَأُعْطَى ٱلْقُوتَ مَا أُعْطِيتُ قَبْلَا ، فَأَقْبَلُهُ بِكُرْهِ ٱلنَّفْسِ جَبْرَا ؛
وَيَرْجِعُ بَعْدَ ذَا ٱلسَّادُ لَيْلَا ، فَيُلْفِينِي ضَئِيلًا مُقْشَعِرًّا ،
وَكَادَتْ تَبْلُغُ ٱلرُّوحُ ٱلتَّرَاقِي ، وَكِدْتُ أَرَى حَيَاةَ ٱلْمَرْءِ نُكْرَا ؛ [3]
فَذَا دَائِي وَذَاكَ عِلَاجُ دَائِي وَلَسْتُ بِعَالِمٍ أَيًّا أَمَرَّا !

. . .

تَحُفُّ بِكَ ٱلْأُسَاةُ ، وَلَسْتَ تَقْضِي لِذَاكَ ٱلْعَطْفِ ، مَا بَالَغْتَ ، شُكْرَا ؛
وَمِنْ حَوْلَيْكَ ثَمَّ مُمَرِّضَاتٌ ، حَنِينَ ٱلْأُمَّهَاتِ تَخِذْنَ نَذْرَا . [4]
وَمَا يُجْدِي ٱلْعِلَاجُ وَجُهْدُ آسٍ ، بِدَاءٍ أَثْقَلَ ٱلْجُثْمَانَ وَقْرَا !
وَبَرَّحَ فِي خَلَايَا ٱلْجِسْمِ ، حَتَّى تَجَاوَزَهَا ، وَفِي ٱلنَّفْسِ ٱسْتَقَرَّا ! [5]
فَتِلْكَ ٱلْعِلَّةُ ٱلْكُبْرَى ، لَدَيْهَا حَسِبْتُ مَضَاضَةَ ٱلْأَدْوَاءِ نَزْرَا . [6]
وَحِيدٌ فِي بِلَادٍ لَسْتُ مِنْهَا ، وَإِنْ طَابَتْ وَكَانَ ٱلْأُنْسُ وَفْرَا ؛
بَعِيدٌ عَنْ حِمَى أَهْلٍ وَرَهْطٍ ، بِهِ نَثَرَتْهُمُ ٱلْأَقْدَارُ نَثْرَا .
رِيَاضٌ زَاهِرَاتٌ بِتْنَ بُورًا ، وَدُورٌ عَامِرَاتٌ بِتْنَ قَفْرَا ؛

---

١ الازمة : الشدة والضيقة . اللزباء : الملازمة . تطرا اصلها تطرأ من طرأ عليه الامر : جاءه فجأة ومن بعيد . ٢ ذلك الشيء : فركه ودعكه وغمزه ؛ زفر الرجل : اخرج نفسه مع مدّه إياه . ٣ التراقي ج تَرْقُوَة : العظم الذي في اعلى الصدر، بين نقرة النحر والعاتق . ويقال بلغت روحه التراقي : شارف الموت . ٤ تخذن : بمعنى اتخذن . ٥ خلايا ج خليّة ؛ والخلايا في علم الحيوان هي الجسيمات الدقيقة التي منها يتركب معظم بنية الحيوان . ٦ المضاضة : الالم من وجع المصيبة .

وَأَعمَالٌ وَآمَالٌ تَلاشَتْ ، بِرَصفِ بِنائِها أَفنَيتُ عُمْرَا !
بِنَاءٌ شَامِخٌ قَدْ دُكَّ دَكًّا وَطَودٌ رَاسِخُ ٱلأَرْكَانِ خَرَّا ! [١]

. . .

أَشَأْنُكَ ذَا، وَبَعْدُ تَرُومُ عَيشاً وَتَعقِدُ نِيَّـةً، وَتَقُولُ شِعْرَا !
أَجَلْ ! إِنَّ ٱلرَّغَائِبَ خَادِعَاتٌ يَقُدْنَ ٱلنَّفسَ، حَيثُ عَمَدْنَ، قَسرَا .
وَلٰكِنِّي، وَحَقِّكَ، لَيسَ حِرصاً عَلَى ٱلدُّنْيَا ٱستَطَبتُ بِهَا ٱلمَقَرَّا ؛
خَبَرتُ هَنَاتِهَا ٱلجُلَّى، وَإِنِّي بَلَوتُ مَذَاقَهَا حُلْوًا وَمُرًّا ،
فَلَيسَ بِرَائِعِي عَنهَا ٱرْتِحَالٌ ، وَلَيسَ بِرَائِقِي أَنْ أَستَمِرَّا ؛
كَفَتْنِي قِسمَتِي مِنهَا، وَلَيسَ ٱلأُلَى قَدْ جَاوَزُوا ٱلسِّتِّينَ كُثْرَا !
عَلَى أَنِّي رَأَيتُ ٱليَأْسَ عَجْزًا ، يُثَبِّطُ هِمَّةً ، وَيَزِيدُ قَهْرَا . [٢]
وَيُولِمُنِي ٱنتِثَارُ نِتَاجِ جُهْدِي ، وَقَدْ سَدَلَ ٱلزَّمَانُ عَلَيهِ سِتْرَا .
وَلِي وَطَنٌ تَثَقَّلَ كَاهِلَاهُ ، وَأَهلُـوهُ يُعَانُونَ ٱلأَمَرَّا ؛
لَهُمْ وَلَـهُ عَلَيَّ دُيُونُ حُرٍّ ، أَرُومُ وَفَاءَهَا فَأَمُوتُ حُرًّا ؛
وَبَعدَ قَضَاءِ ذٰلِكَ لَا أُبَالِي ، أَطَالَ ٱلعُمْرُ أَمْ أُلحِدْتُ قَبْرَا ؛
وَإِنْ تَغُلِ ٱلمَنِيَّةُ قَبلَ هٰذَا ، فَإِنَّ بِنِيَّةِ ٱلإِخلَاصِ عُذْرَا . [٣]

ميزته : شعر رقيق سائل دقيق الاداء متلاحم المعاني تمازج غنته الموسيقية بزفرات السقيم المعذّب الذي يصوّر حاله بين عوامل آلامه وتضايق انفاسه .

الناقد :

٣٩٨ الشعر : ابوابه واوزانه

[مقدمة الالياذة خمسة اقسام الاول في تعريف هوميرس والثاني في تعريف

١ دكّ الحائط : هدمه حتى سواه بالارض . ٢ ثبّط الهمة : عوّقها وشغلها . ٣ غالته المنية : اهلكته على غير انتظار .

الالياذة وما الى ذلك والثالث في حكاية نقلها الى العربية ، وفي هذا القسم يأتي المؤلف على ذكر التعريب وقواعده والشعر واوزانه ؛ ومنه نقتضب المقطع الاول والقسم الرابع يدور حول موازنة بين الالياذة والشعر العربي، ويبحث في الشعر في مختلف العصور ومنه نقتطع المقالة الثانية . والقسم الخامس او الخاتمة يبحث في اتساع اللغة العربية وثروتها ...]

رأيت ان اذكر فيما يلي ما تيسر لي استخراجه من شعر العرب، بالنظر الى ترابط بحور الشعر بمواضيعه وابوابه . فقد راعيت هذا الترابط في بعض الاناشيد[1]، فأدّت تلك المراعاة الى فائدة يحسن التعويل عليها في بعض الاحوال . ولا شكّ انّ العروضيين نظروا الى ابحر الشعر من هذه الوجهة، ولكنهم لم يزيدوا على تسميتها باسماء تنطبق توسّعاً على مسمّيات مواضيع القصائد المنظومة عليها، فقالوا : « هذا طويل، وذاك بسيط، وذاك خفيف او سريع »، وهلمّ جرّاً . ووقفوا عند هذا الحد . ولكنه يُستفاد من هذه التسمية، أن لكل بحرٍ ساحلاً يقف عنده، ويُرشد اسمه اليه . فاذا قلنا : « هذا بحر طويل »، علمنا أنه لا يسوغ ان ننظم عليه الاهازيج والموشحات والاغاني . واذا قلنا : « هذا بحر مقتضب او مجتثّ »، علمنا انهما لا يصلحان للمنظومات على إطلاقها، ولا يصح فيهما تدوين الروايات والتواريخ، ولو اردنا ان نضع اصولاً وافية لهذا البحث لوجب ان نرجع الى منظوم نوابغ الشعراء، ونقابل بين ابوابه وبحوره، فتظهر لنا اغلبية كل وجه في كل بحر . وهو بحث طويل لا يتسع له هذا المجال . فحسبنا اذاً فتحاً لهذا الباب، ان ننبه اليه ونذكر، موجزين خلاصة ما اتضح لنا بالتطبيق والمقابلة .

فالطويل بحر خضمّ[2]، يستوعب[3] ما لا يستوعب غيره من المعاني، ويتسع للفخر والحماسة، والتشابيه والاستعارات، وسرد الحوادث وتدوين الاخبار ووصف الاحوال .

---

١ يريد اناشيد الالياذة التي عرّبها نظماً . ٢ الخضمّ : العظيم . ٣ استوعب الشيء : اخذه بأجمعه .

ولهذا ربا[١] في شعر المتقدمين على ما سواه من البحور، لان قصائدهم كانت اقرب الى الشعر القَصصي من كلام المولّدين . خذ مثالًا لك معلقات امرئ القيس وزهير وطرفة، ولامية الشنفرى، وقصيدة عبد يغوث الحارثي، التي مطلعها :

أَلَا لَا تَلُومَانِي كَفَى ٱللَّوْمَ مَا بِيَا فَمَا لَكُمَا فِي ٱللَّوْمِ نَفْعٌ وَلَا لِيَا !

والبسيط يقرب من الطويل، ولكنه لا يتسع مثله لاستيعاب المعاني، ولا يلين لينه للتصرّف بالتراكيب والالفاظ، مع تساوي أجزاء البحرين . وهو، من وجه آخر، يفوقه رقّةً وجزالةً[٢]، ولهذا قلّ في شعر أبناء الجاهلية، وكثر في شعر المولدين .

والكامل أتمّ الابحر السباعية، وقد احسنوا بتسميته كاملًا، لانه يصلح لكلّ نوع من أنواع الشعر، ولهذا كان كثيراً في كلام المتقدّمين والمتأخرين . وهو أجود في الخبر منه في الانشاء، واقرب الى الشدة منه الى الرقة . واذا دخله الحذذ[٣]، وجاد نظمه، بات مطرباً مرقصاً، وكانت به نبرة تهيج العاطفة .

والوافر ألين البحور، يشتد اذا شددته، ويرق إذا رققته، واكثر ما يجود به النظم في الفخر، كمعلقة عمرو بن كلثوم . وفيه تجود المراثي، ومنها كثير في شعر المتقدمين والمتأخرين .

والخفيف أخف البحور على الطبع، وأطلاها[٤] للسمع، يشبه الوافر ليناً، ولكنه اكثر سهولةً واكثر انسجاماً . واذا جاد نظمه، رأيته سهلًا ممتنعاً، لقرب الكلام المنظوم فيه من القول المنثور . وليس في جميع بحور الشعر بحر نظيره، يصلح للتصرف بجميع المعاني .

والرَّمَل بحر الرقة . فيجود نظمه في الاحزان والافراح والزّهريات . ولهذا لعب به الاندلسيون كل ملعب، وأخرجوا منه ضروب الموشحات . وهو غير كثير في الشعر الجاهلي، وأكثره في مثل ما تقدم .

---

١ ربا : زاد . ٢ الجزالة : المتانة والشدة . ٣ الحذذ : علّة تدخل على متفاعلن فتنقل الى فَعِلن في العروض والضرب من البحر الكامل . ٤ اطلاها : اوفرها حسناً وعذوبة.

والسريع بحر يتدفّق سلاسةً وعذوبةً، يحسن فيه الوصف وتمثيل العواطف، ومع هذا فهو قليل جدًّا في الشعر الجاهلي .

والمتقارب بحر فيه رنة ونغمة مطربة، على شدة مأنوسة، وهو اصلح للعنف منه للرفق .

والمُحدَث، متدارَك الاخفش، بحر اصابوا بتسميته الخبب، تشبيهاً له بخبب الخيل. فهو لا يصلح الا لنكتة او نغمة، او ما أشبه وصف زحف جيش او وقع مطر او سلاح . وهو قليل في الشعر القديم والحديث .

والرَّجز يسمونه حمار الشعر، بحرٌ كان أولى بهم ان يسموه عالِم الشعر، لانه لسهولة نظمه، وقع عليه اختيار جميع العلماء الذين نظموا المُتون[1] العلمية، كالنحو والفقه والمنطق والطب . فهو اسهل البحور في النظم، ولكنه يقصر عنها جميعاً في ايقاظ الشواعر، وإثارة العواطف، فيجود في وصف الوقائع البسيطة، وإيراد الامثال والحكَم .

تلك هي الابحر العشرة التي نُظمت عليها الالياذة . فقد ترى النشيد كله بحراً واحداً وقصيدة واحدة، وقد تتعدد فيه الابحر والقصائد، على مقتضى ما تراءى لي من سياق الكلام . واما الابحر الستة الباقية، وهي المضارع والمقتضب، والمجتثّ والهزج، والمديد والمنسرح، فالاربعة الاولى منها لا تصلح لقصرها لمثل الالياذة، ولا يجوز نظمها في ما خلا الاناشيد والتواشيح الخفيفة . والمديد قلَّ من ينظم عليه، وهو ثقيل على السمع . والمنسرح لم يتفق لي نظمه في الالياذة لغير سبب مقصود .

٣٩٩ ملاحم الجاهليين

... قد يخال الباحث في هذا التقارب ثم في ذلك التباعد بين منظوم

---

١ المتون : النصوص والاصول .

الجاهليتين (العربية واليونانية) انه ربما كانت قصة حرب البسوس ملحمة في اصلها ففقدت منها اجزاء ادت الى تفرق ما بقي . ولكنه يتضح لدى الامعان ان ذلك لم يكن وان العرب في الجاهلية لم ينظموا الملاحم الطويلة المحكمة العرى مع توقد القرائح وتوفر معدأت الفصاحة في اللغة لان ذلك النسق في النظم لم يكن في طبعهم فلم يتخطوا الى ما وراء الطبيعة وكانوا مع عبادة الاصنام يميلون الى التوحيد وكان التسليم للاحكام العلوية من سننهم قبل الاسلام فلم يوغلوا في التخيلات الشعرية الى النظر في احوال الآلهة وما يترتب على ذلك من تفرع البحث الواحد الى ابحاث متعددة على ما هو شأن الامم الآرية . وكل ما يرى من الشبه بين احوالهم واحوال قدماء اليونان انما هو من المظاهر التي ألفت بينها طرق المعيشة الجاهلية . واذا نظرت الى حالة اليونان بما كانت عليه مع تلك الخشونة من الانتظام والدربة رأيت انهم كانوا ايام حرب طروادة اقرب شبهاً بالعرب في ايام الخلفاء الراشدين ثم كانوا في ايام هوميروس اي في زمن نظم الالياذة قد بلغوا من الحضارة مبلغاً لم يكن للعرب في جاهليتهم منه الا النزر اليسير . فلم يسع ابناء الجاهليـة ان يتجاوزوا بنظمهم احوال فطرتهم وطرق معاشهم فكانوا ينتقلون بالشعر من باب الى آخر انتقالهم من حيّ الى حيّ يجيدون في كل ما يقولون ولكنهم لا يطيلون المقام فلا يشيدون المنازل الفسيحة المشيدة الاركان .

وليس من اللازم ان يكون شعر جميع الامم على نسق واحد بل ربما كان هذا التباين من الاسباب المؤدية الى ابراز انواع الجمال كافة على اختلاف صوره واشكاله . فالشاعر القصصي من اليونان وخلفائهم كان اذا قص حادثة رواها كلها شعراً واما الشاعر العربي فينشد الشعر حيث يحسن وقعه واكثر ما يكون ذلك في الوصف والخطاب والجواب ويقول الباقي نثراً . وفي هـذه الطريقة نوع من التفكيه المأنوس . وهي طريقة شعراء البادية حتى يومنا . جلست مرة الى حلقة شاعر منهم ينشد على نغم ربابته فشرع في مقدمة نثرية قصيرة حتى بلغ الى وصف حسناء فجعل يتغنى بالشعر على نغم آلة الطرب فلما استتم قصيدته رجع الى الكلام

النثري بضع دقائق حتى بلغ وصف وقعة بين قبيلتين . فرجع الى الانشاد وهكذا ظل يتراوح قوله بين نثر وشعر نحو ثلاث ساعات . وذلك ايضاً شأن القصّاصين في كثير من الحواضر العربية .

فلا سبيل اذاً للزعم بوجود ملاحم لعرب الجاهلية على نحو ما يراد منها بعرف الافرنج . ولكن للجاهليين نوعاً آخر من الشعر القصصي مما يعز وجوده في سائر اللغات وذلك في الملاحم القصيرة المقولة في حوادث مخصوصة لجميع شعراء الجاهلية وبعض المخضرمين قد سلكوا هذا المسلك واجادوا فيه . ولو تصفحت كتاب الاغاني ومفضّليات الضبي وامثالها من كتب الادب والشعر لرأيتها ملأى بهذه المنظومات الغرّاء . . .

ميزته : البستاني في طليعة علمائنا المحققين الذين لا توقفهم مشقة في سبيل الاطلاع . وهو لا يكتفي في ابحاثه بالاحكام المجملة بل يتحرّى الدقة ويبني بالوضوح والبرهان . وتغلب على ذوقه النقدي النزعة العلمية الفلسفية وان كان نقده لا يخلو من ملاحظات ادبية بحتة .

المعرَّب :

٤٠٠ مبارزة اخيل لهكطور

[توسّل فَطْرُقل الى صديقه الحميم أخيل ان يسلّحه بسلاحه ليذهب لمقاتلة الطرواد، فأجابه أخيل الى طلبه . وقد قتل هكطورُ فطرقل في اثناء المعركة، واستولى على سلاحه . فبكى أخيل لفقد صديقه وأخذ منه الحزن كلّ مأخذ، وتصالح مع أغاممنون، للأخذ بثأر فطرقل، وهجم على الاعداء فبطش بهم بطشاً عظيماً جداً حتى جرت مركبته فوق القتلى . فانهزم من بقي من الطرواد الى المدينة، ولم يبق خارج الأسوار إلّا هكطور الذي لم يُصغ الى كلام أبيه فِريام ولا الى توسّلات أمه هيقاب، بل رام منازلة البطل الاغريقيّ . وما كاد أخيل يدركه حتى انهزم مرتاعاً .]

عن الالياذة :

النشيد الثاني والعشرون :

. . . . وآخيلُ بعامِلِه[1]
كَرَبِّ الحربِ، هيّاجِ التَّرائكِ، للوغى ابتدرا .[2]

. . .

بَريقُ الدِّرعِ قد سطعا عليه، كبارقٍ لمعا،
تألّقَ، أو كنورِ الشَّمسِ في كبدِ السَّما طلعا ؛
وهكطورٌ لرؤيتِهِ تقطَّعَ وَصْلُ عزمتِهِ،
ففرَّ، وخلفَهُ آخيلُ طيّارُ الخطى اندفعا
كبازٍ يطلُبُ الورقاءَ وهيَ تزِفُّ هالعةً،[3]
وما جارى بُزاةَ الشُّمِّ طيرٌ في الفلا ارتفعا ؛
تعقَّبَها بصرصرةٍ تذيبُ لبابَ مُهجتِها،
فراغتْ وهوَ منقضٌّ بنافذِ مِخلبٍ شُهِرا .

. . .

كذا الأبوابَ هكطورُ تجاوزَ وهوَ مذعورُ،[4]
تطيرُ بهِ خُطاهُ، وهوَ دونَ أخيلَ مدحورُ .
فجازا مَرقبَ الأرصادِ حتّى التِّينةِ العُظمى[5]
على جَدَدِ العجالِ حِيالَ خطٍّ فوقَهُ السُّورُ،[6]
إلى أنْ بلغا الحوضَينِ حيثُ الماءُ منبجسٌ

---

١ العامِل : صدر الرّمح اي ما يلي السّنان، وقد استُعمل للرمح كلّه . ٢ الترائك ج تريكة وهي الخوذة . وربّ الحرب هو الإله آريس . ٣ زَفَّ ـِ زُفوفاً : أسرع .
٤ الابواب : هي ابواب المدينة التي دخل منها الطرواد عند هربهم . وكان أخيل يأتي من اسكمندر اي من الغرب . ٥ التّينة : هي التي ذُكرت في النصّ السابق ، النابتة قرب باب اسكية .
ومرقب الارصاد : الموضع المشرف الذي كانوا يرقبون منه العدوّ . ٦ جَدَد العِجال : طريق المركبات .

يِنبُوعَينِ مِن زَنثٍ تَوْمٌ رُباهُما الحُورُ :[1]
فَيَنبوعٌ سَخينٌ والبُخارُ عَلَيهِ مُنتَشِرٌ ،
وَيَنبوعٌ بِماءٍ كَالجَليدِ تَخالُهُ انفَجَرا .

. . .

هُناكَ مَغاسِلُ الصَّخرِ ، لِغَسلِ مَلابِسٍ غُرٍّ ،
لَها قَدْ كانَتِ الغاداتُ مِنْ قَبلِ الوَغى تَجري ؛
تَعدَّاها كِلا البَطَلَينِ ، ذا عادٍ وذا تالٍ ،
شُجاعٌ فَرَّ مِمَّن كانَ أَشجَعَ مِنهُ بِالكَرِّ ؛
وما أنبَرَيا بِمَيدانِ الرِّهانِ لِجِلدِ ثَورٍ أَوْ
لِذِبحٍ يُحرِزُ العَدّاءُ يَومَ الفَوزِ بِالنَّصرِ ،[2]
وَلكِنَّ السِّباقَ هُنا عَلى أَنفاسِ هَكطورٍ ؛
ثَلاثاً حَولَ إليونٍ إزاءَ حِصارِها عَدَوا .

[فلما رأى زفس المشهد رقّ لهكطور ومال الى انقاذه، لِما كان يقدّم له البطل الطروادي من سَنيّ التقادم والمحرقات . فعارضته أثينا وأبت إلّا إنفاذ القدر المحتوم، فأذعن لها زفس . وتمثّلت بصورة ذيفوب أخي هكطور فحسّنت له التربّص لملاقاة أخيل، ووعدت ان تساعده على خصمه . فأذعن وارتدّ يطلب أخيل . ولما التقى البطلان رام هكطور أن يتواثق وأخيل على أن القاتل منهما لا يدنّس جثّة القتيل . فأبى أخيل مواثقته على شيء . وقال :]

« ... أثينا الآنَ تَبتَدِرُ بِرُمحي مِنكَ تَثَّأرُ ،[3]
لِبُهمٍ قَدْ أَبَدتَ وَأَنتَ بِالهَيجاءِ تَستَعِرُ . »[4]

١ « ينبوعين من زنث » : كان يُظَنّ انّ ذينك الينبوعين من تحلّب مياه اسكمندر اي زنث . ٢ « وما انبريا . . . . بالنصر » : كان اليونان شديدي الميل الى الالعاب الرياضية، ومن تلك الألعاب العدو . الذِّبح : مايذبح ٣ أثينا الملقّبة فالاس هي إلاهة الحكمة التي وُلدت من رأس زفس ، وكانت موالية للاغريق . ٤ البُهم ج بُهمة وهو الشجاع الذي لا يُدرى من أين يؤتى من شدّة بأسه .

وَأَطْلَقَ رُمْحَهُ فَمَضى ، وَهَكْطُورُ انْحَنى حَذَرًا ،
فَجاوَزَ رَأْسَهُ لِلأَرْضِ لا يَنْتابُهُ ضَرَرُ .
وَلٰكِنْ بادَرَتْ فالاسُ تَنْزِعُهُ عَلى عَجَلٍ ،
وتُرْجِعُهُ لِآخِيلٍ ، وَعَنْ هَكْطُورَ تَسْتَتِرُ .
فَصاحَ فَتى الطَّرَاوِدِ : « قَدْ شَطَطْتَ وَتَدَّعي زُورًا
بِعِلْمٍ مِنْ لَدى زَفْسٍ بِما لي في القَضا سُطِرا .

. . .

أَلِفْتَ المَيْنَ والكَذِبا لِتَثْنِيَ هِمَّتي رُعُبا ، [1]
فَلَسْتَ بِطاعِنٍ ظَهْري وَلَسْتُ بِمُنْثَنٍ هَرَبا ،
ودونَكَ لِلقَا صَدْري ، إِذا زَفْسٌ بِذاكَ قَضى ،
وذا رُمْحي عَسا أَلْقاهُ في أَحْشاكَ مُنْتَصِبا .
فَوا طَرَبَ الطَّرَاوِدِ إِنْ تَمُتْ فَلَأَنْتَ آفَتُهُمْ ،
وَبَعْدَكَ حَرْبُهُمْ لا أَزْمَةَ فيها ولا حَرَبا . » [2]
وزَجَّ فَطارَ عامِلُهُ لِقَلْبِ مِجَنِّ آخِيلٍ ،
وعَنْهُ ارْتَدَّ لا يَلْقى العَدُوُّ بِنَصْلِهِ الضَّرَرا .

. . .

فَهَكْطُورُ الْتَظى قَهْرًا لِنَصْلٍ زاهِقًا طَرًّا ؛ [3]
فَصاحَ يَرومُ ذيفُوبًا وَيَطْلُبُ صِعْدَةً أُخْرى ، [4]
ولا أَثَرٌ لِذيفُوبٍ يَلوحُ لَدَيْهِ ؛ فَاضْطَرَبَتْ
جَوارِحُهُ ، وَأَدْرَكَ كُنْهَ ذاكَ النُّكْرِ والمَكْرا ؛
وصاحَ يَقولُ : « وا لَهَفا أَرى الأَرْبابَ قاضِيَةً
عَلَيَّ ، فَخِلْتُ ذيفُوبًا إِلَيَّ مُسارِعًا جَهْرًا ،

---

١ المَين : الكذب . ٢ الحَرَب : نَهْب مال الانسان وتركه لا شيء عنده ؛ وهنا : الهلاك . ٣ زَهَق السَّهم : جاوز الهدف . وطرًّا : حدَّدَ . يقول : ان هكطور تلهَّب غيظاً عندما رأى نصله المحدَّد يرتدّ عن مِجَنّ أخيل ولا يعمل فيه . ٤ الصِّعْدَة : النَّصْل وهي في الاصل الرمح القصير ج صِعاد .

فَلَمْ يَتَعَدَّ أَسوارَ الحِصارِ، وتِلْكَ فالاسُ[١]
عَلى عَيْنَيَّ غَشَّتْ والحِمامَ أَراهُ مُنتظرا...

. . .

وسَلَّ حُسامَهُ مِنْ غِمْدِهِ بِلَباقَةٍ ومَضى
بِقَلْبٍ لا تُغَيِّرُهُ الخُطوبُ ولا يرى الغِيَرا؛

. . .

كَنَسْرٍ مِنْ عُلَى السُّحُبِ يَزِفُّ إلى رُبى كَثَبِ
عَلَى حَمَلٍ يُرى أَوْ أَرْنَبٍ في مَشْعَبِ الهِضَبِ،
وآخيلُ أنبرى مُتَضَرِّماً غَيْظاً بِعَزْمَتِهِ
بِجُنَّتِهِ الَّتي في الكَوْنِ أَضْحَتْ آيَةَ العَجَبِ؛[٢]
وَخُوذَتُهُ الَّتي مِنْ صُنْعِ هِيفَسْتٍ بِهامَتِهِ[٣]
تَهِيجُ مُنيرَةً، ويَهِيجُ فيها قَوْنَسُ الذَّهَبِ؛[٤]
وصَعْدَتُهُ تَوَهَّجُ، كَما بِلَيْلٍ حالِكٍ سَطَعَتْ
تَفوقُ الزُّهْرَ كَوْكَبَةُ المَساءِ وتَبْهَجُ النَّظَرا.[٥]

. . .

فَسَرَّحَ طَرْفَ مُقْلَتِهِ بِهَكْطورٍ وشِكَّتِهِ،[٦]
لِيُبْصِرَ مَنْفَذاً فيهِ يُواري حَدَّ صِعْدَتِهِ؟!
وَهَلْ تَمْضي النِّصالُ بِعُدَّةٍ فَطْرُقْلُ كَرَّ بِها،
وما هِيَ قَطُّ غَيْرَ سِلاحِ آخيلٍ ولأْمَتِهِ.[٧]

١ «... فالاس ...»: لم يرَ هكطور أثينا ولكنه يعلم كم تحبّ تلك الالاهة أخيل، ومن ثم لا يشكّ في انها هي التي خدعته. ٢ الجُنّة: التُّرس. ٣ هيفست: إلاه النار والحرارة؛ وكان يُشرف خصوصاً على شغل المعادن. ٤ القَوْنس: بيضة الخوذة. الصَّعْدة: ٥ كوكبة المساء: يريد بها الزُّهرة. يقول: كما انّ الزهرة تسطع فائقةً سائر الكواكب لمعاناً في ظلمة ليلٍ حالك، كذلك كان نصل أخيل. ٦ الشِّكّة: السلاح الكامل. كانت على هكطور شِكّة أخيل التي ألبسها فطرقل، فلم يكن من سبيل لاختراقها بضرب وطعن؛ ولهذا تشوّف أخيل وأحدق ليرى له منفذاً بجسم هكطور يطعنه به. ٧ اللأمة: الدرع ج لأم.

فَأَبْصَرَ بَعْدَ حِينٍ نَحْرَهُ بَرَزَتْ مَفَاصِلُهُ ،
فَبَيْنَ الجِيدِ والكَتِفَيْنِ بادَرَهُ بِطَعْنَتِهِ
فَغَاصَ سِنَانُهُ في مَخْرَجِ الأَرْوَاحِ مُنْتَصِبًا . .

[وسأل هكطور أخيل، قبل أن تفيض روحه ، أن يُعيد جُثَّته الى اهله فشتمه أخيل، فتنبّأ له هكطور بالحِمام القريب . فاجتمع الاغريق حول الجثّة ومثّلوا بها، ثمّ ربطها أخيل الى مركبته ودار بها حول البلد والطرواد ينظرون ويتوجّعون والنساء يندبنَ وينتحبنَ .]

ميزته : قال مخائيل صوايا : « كاني بالبستاني في قراءاته الاناشيد الهوميرية كان ينساب احساساً وخيالاً في اغواء تلك الاجواء السحيقة . واذ يتم ذلك الاندماج الرائع تتحول الترجمة الى الهام يعمل في اخراجه فكر نافذ وعلم غزير الالوان تحت سيطرة ذلك الفنّ البارع » . فتميز شعر الالياذة بالدقة والامانة الا انه لم يخل من تعقيد احياناً ومن اضطراب في سير الشعر وسلاسته .

جبران خليل جبران (١٨٨٣ــ١٩٣١م/١٣٠١ــ١٣٥٠هـ)

[أديب لبناني ولد في بشرّاي وانتقل الى اميركا حيث درس فنّ التصوير . وقد أصبح زعيم أدب المهاجر واول من سلك ذلك الأسلوب السحري المبلور في الادب العربي . وعلى ما لجبران من الأثر في عالم الانشاء ومن الافكار المصيبة فإن له آراء كثيرة متطرفة من شأنها ان تدك أسس السلطة الشرعية وتنشر الفوضى في الدين والاخلاق والنظام الاجتماعي . من آثاره : « دمعة وابتسامة » و « الاجنحة المتكسرة » و « عرائس المروج » و « النبي » . . .]

الكاتب الاجتماعي والمفكّر :

٤٠١ بين صرح الغني وكوخ الفقير

جاء المساء وأشعت الانوار الكهربائية في صرح الغني، فوقف الخدام على الابواب بملابس مخملية وعلى صدورهم الازرار اللامعة ينتظرون مجيء المدعوين .

صدحت الموسيقى بأنغامها المطربة وتقاطر الاشراف والشريفات تجرّهم الخيول المطهّمة نحو ذلـك القصر ، فدخلوا يرفلون بالملابس المزركشة ويجرّون اذيال العزة والفخر .

قام الرجال ودعوا النساء للرقص فوقفن واخترن الاعزاء واصبحت تلـك المقصورة روضة تمر بها نسمات الموسيقى فتتمايل ازاهرها تيهاً واعجاباً .

انتصف الليل فبسطت مائدة عليها كل ما عز من الفاكهة وطاب من الالوان، ودارت الكؤوس على الجميع فلعبت بنت الكرمة في عقولهم حتى العبتهم .

جاء الصباح وفرق شمل اولئك الاشراف الاغنياء بعد ان اضناهم السهر وسرقت عاقلتهم الخمرة واتعبهم الرقص واذبلهم القصف وذهب كلٌّ الى فراشه الناعم .

بعد ان غابت الشمس وقف رجل يرتدي اثواب الشغل امام باب كوخ حقير وقرع ففتح له ودخل وحيّ مبتسماً ثم جلس بين صبية يصطلون بقرب النار . وبعد بُرهة هيأت زوجته العشاء فجلسوا جميعاً حـول مائدة خشبية يلتهمون الطعام، ثم قاموا وجلسوا بقرب مسرجة ترسل سهام اشعتها الصفراء الضعيفة الى كبد الظلمة .

وبعد مرور الهزيع الاول من الليل قامـوا بسكينة كلية واستسلموا لملك الرقاد .

جاء الفجر فهب ذلك الفقير من نومه واكل مع صغاره وزوجته قليلاً من الخبز والحليب ثم قبلهم وحمل على كتفه معولاً ضخماً وذهب الى الحقل ليسقيه من عرق جبينه ويستثمر ويطعم قواه اولئك الاغنيـاء الاقوياء الذين صرفوا ليلة امس بالقصف والخلاعة .

طلعت الشمس من وراء الجبل وثقلت وطأة الحر على رأس ذلـك الحارث واولئك الاغنياء ما برحوا خاضعين لسنة الكرى الثقيل في صروحهم الشاهقة .

هذه مأساة الانسان المستتبة على مسرح الدهر وقد كثر المتفرجون المستحسنون وقلّ من تأمل وعقل .

٤٠٢ مناحة في حقل

عند الفجر قبيل بزوغ الشمس من وراء الشفق جلست في وسط الحقل اناجي الطبيعة . في تلك الساعة المملوءة طهراً وجمالاً بينما كان الانسان مستتراً في لحف الكرى تتنابه الاحلام تارة واليقظة اخرى كنت متوسداً الاعشاب استفسر كل ما ارى عن حقيقة الجمال واستحكي ما يرى عن جمال الحقيقة .

ولما فصلت تصوراتي بيني وبين البشريات وازاحت تخيلاتي برقع المادة عن ذاتي المعنوية شعرت بنموّ روحي يقربني من الطبيعة ويبين لي غوامض اسرارها ويفهمني لغة مبتدعاتها .

وبينما كنت على هذه الحالة مر النسيم بين الاغصان متنهداً تنهد يتيم يائس، فسألت مستفهماً : « لماذا تتنهد يا ايها النسيم اللطيف ؟ » فاجاب : « لانني ذاهب نحو المدينة مدحوراً من حرارة الشمس، الى المدينة حيث تتعلق باذيالي النقية جراثيم الامراض وتتشبث بي انفاس البشر السامة . من اجل ذلك تراني حزيناً » .

ثم التفتّ نحو الازهار فرأيتها تذرف من عيونها قطرات الندى دمعاً فسألت : لماذا البكاء يا ايتها الازهار الجميلة ؟ فرفعت واحدة منهن رأسها اللطيف وقالت : نبكي لان الانسان سوف يأتي ويقطع اعناقنا ويذهب بنا نحو المدينة ويبيعنا كالعبيد ونحن حرائر، واذا ما جاء المساء وذبلنا رمى بنا الى الاقذار . كيف لا نبكي ويد الانسان القاسية سوف تفصلنا عن وطننا الحقل ؟

وبعد هنيهة سمعت الجدول ينوح كالثكلى فسألته : لماذا تنوح يا ايها الجدول العذب ؟ فاجاب : لانني سائر كرهاً الى المدينة حيث الانسان يحتقرني ويستعيض عني بعصير الكرمة ويستخدمني لحمل ادرانه . كيف لا انوح وعن قريب تصبح نقاوتي وزراً[١] وطهارتي قذراً ؟

---

١ الوزر : الاثم والذنب .

ثم اصغيت فسمعت الطيور تغني نشيداً محزناً يحاكي الندب فسألتها : لماذا تندبين يا ايتها الطيور الجميلة ؟ فاقترب مني عصفور ووقف على طرف الغصن وقال: سوف يأتي ابن آدم حاملاً آلة جهنمية تفتك بنا فتك المنجل بالزرع، فنحن نودع بعضنا بعضاً لاننا لا ندري من منا يتملص من القدر المحتوم . كيف لا نندب والموت يتبعنا اينما سرنا ؟

طلعت الشمس من وراء الجبل وتوّجت رؤوس الاشجار باكاليل ذهبية وانا اسأل ذاتي لماذا يهدم الانسان ما تبنيه الطبيعة ؟

٤٠٣ العطاء

[في كتاب « النبي » لجبران عظات كثيرة . منها القطعة التالية التي تدور حول موضوع العطاء :]

انك اذا اعطيت فانما تعطي القليل من ثروتك، ولكن لا قيمة لما تعطيه ما لم يكن جزءاً من ذاتك . لانه اي شيء هي ثروتك ؟ أليست مادة فانية تخزنها في خزائنك، وتحافظ عليها جهدك خوفاً من ان تحتاج اليها غداً ؟ والغد، ماذا يستطيع الغد ان يقدّم للكلب البالغ الفطنة، الذي يطمر العظام في الرمال غير المطروقة، وهو يتبع الحجاج الى المدينة المقدسة ؟

أو ليس الخوف من الحاجة هو الحاجة بعينها ؟

من الناس مَن يعطون قليلاً من الكثير الذي عندهم – وهم يعطونه لاجل الشهرة – ورغبتهم الخفية في الشهرة الباطلة تضيع الفائدة من عطاياهم .

ومنهم مَن يملكون قليلاً ويعطونه بأسره . ومنهم المؤمنون بالحياة وبسخاء الحياة . هؤلاء لا تفرغ صناديقهم، وخزائنهم ممتلئة ابداً .

ومن الناس مَن يعطون بفرح، وفرحهم مكافأة لهم . ومنهم مَن يعطون بألم، وألمهم معمودية لهم . وهنالك الذين يعطون ولا يعرفون معنى للألم في عطائهم،

ولا يتطلّبون فرحاً، ولا يرغبون في اذاعة فضائلهم . هؤلاء يعطون مما عندهم، كما يعطي الريحان عبيره العطر في ذاك الوادي . بمثل أيدي هؤلاء يتكلّم الله، ومن خلال عيونهم يبتسم على الارض .

جميل ان تعطي من يسألك ما هو في حاجة اليه، ولكن أجمل من ذلك ان تعطي من لا يسألك، وانت تعرف حاجته؛ فان مَن يفتح يديه وقلبه للعطاء، يكون له فرح بسعيه الى مَن يتقبّل عطاياه، والاهتداء اليه، اكثر مما بالعطاء نفسه .

وهل في ثروتك شيء تقدر ان تستبقيه لنفسك ؟ فان كل ما تملكه اليوم سيتفرّق ولا شك يوماً ما . لذلك أعطِ منه الآن ليكون فصل العطاء من فصول حياتك انت دون ورثتك . وقد طالما سمعتك تقول متبجّحاً : « انني أحب ان اعطي، ولكن المستحقين فقط » . فهل نسيت يا صاح ان الاشجار في بستانك لا تقول قولك، ومثلها القطعان في مراعيك ؟ فهي تعطي لكي تحيا، لانها اذا لم تعطِ، عرّضت حياتها للتهلكة .

الحق اقول لك، ان الرجل الذي استحقّ ان يقتبل عطية الحياة ، ويتمتع بأيامه ولياليه، هو مستحق لكل شيء منك . والذي استحق ان يشرب من اوقيانوس الحياة، يستحق ان يملأ كأسه من جدولك الصغير . لانه اي صحراء اعظم من الصحراء ذات الجراءة والجسارة على قبول العطية ، بما فيها من الفضل والمنة ؟

وانت مَن انت حتى ان الناس يجب ان يمزّقوا صدورهم، ويحسروا القناع عن شهامتهم وعزة نفوسهم، لكي ترى جدارتهم لعطائك عارية، وانفتهم مجرّدة عن الحياء ؟ فانظر اولاً هل انت جدير بأن تكون معطاء ، وآلة للعطاء ؟ لان الحياة هي التي تعطي للحياة؛ في حين انك — وانت الفخور بأن قد صدر العطاء منك — لست بالحقيقة سوى شاهد بسيط على عطائك .

٤٠٤ بين العين واخواتها الحواس

قالت العين يوماً لرفيقاتها الحواس : انني ارى وراء هذه الاودية جبلاً مبرقعاً بالغيوم فما اجمله جبلاً !

فأصغت الاذن هنيهة لحديثها ثم قالت لها : اين ذلك الجبل الذي تنظرين ؟ انني لا اسمع صوته .

ثم قالت اليد : اما انا فعبثاً احاول ان اشعر بــه او المسه . فليس هنالك جبل البتة .

وقال لها الانف : انني لا استطيع ان افهم كيف يوجد الجبل وانا لا اقدر ان اشمّه . ألا ان وجوده لمستحيل .

فتحولت العين الى جهة اخرى ضاحكة في ذاتها، اما الحواس الاخرى فعقدن مجلساً بحثن فيه عما دعا العين الى مثل هذا الضلال وبعد البحث الدقيق قررن باجماع الآراء : ان العين قد خرجت ولا شك عن صوابها .

ميزته : جبران مفكر كبير ومصلح في بعض آرائه الاجتماعية التي امتزجت باضاليـل كثيرة . وهو لم ينح منحى التعمّق العلمي ولكنه صبغ اقواله باصباغ زاهية من صنع الخيال والعاطفة، واستغلّ القصص، فاستمال القلوب .

جبران الكاتب :

٤٠٥ مات اهلي

[كتب جبران هذه المقالة بعد ان ثقلت وطأة المجاعــة في الشرق من جراء الحرب الكونية الاولى :]

مات أهلي وانا في قيد الحياة، اندب أهلي في وحدتي وانفرادي .

مات احبائي، وقد اصبحت حياتي بعدهم بعض مصابي بهم .

مات أهلي واحبائي، وغمرت الدموع والدماء هضبات بلادي، وانا ههنا اعيش مثلما كنت عائشاً عندما كان اهلي واحبائي جالسين على منكبي الحياة، وهضبات بلادي مغمورة بنور الشمس .

مات أهلي أذلّ ميتة، وانا ههنا اعيش في رغد وسلام . وهـذه هي المأساة المستتبة على مسرح نفسي .

لو كنتُ جائعاً بين اهلي الجائعين، مضطهداً بين قومي المضطهدين، لكانت الايام اخفّ وطأة على صدري، والليالي اقلّ سواداً امام عينيّ ؛ لان مَن يشارك اهله بالأسى والشدّة، يشعر بتلك التعزية العلوية التي يولّدها الاستشهاد، بل يفتخر بنفسه لانه يموت بريئاً مع الابرياء . ولكنني لستُ مع قومي الجائعين المضطهدين، السائرين في موكب الموت نحو مجد الاستشهاد، بل انا ههنا وراء البحر اعيش في ظلّ الطمأنينة وخمول السلامة . انا ههنـا بعيد عن النكبة والمنكوبين، ولا استطيع ان افتخر بشيء، حتى ولا بدموعي .

وماذا عسى يقدر المنفي البعيد ان يفعل لاهله الجائعين ؟

لو كنتُ سنبلة من القمح نابتة في تربة بلادي، لكان الطفل الجائع يلتقطني، ويزيل بحبّاتي يد الموت عن نفسه .

لو كنت ثمرة يانعة في بساتين بلادي، لكانت المرأة الجائعة تتناولني، وتقضمني طعاماً .

لو كنت طائراً في فضاء بلادي، لكان الرجل الجائع يصطادني، ويزيل بجسدي ظلّ القبر عن جسده .

ولكن، واحرّ قلبـاه ! لستُ بسنبلة من القمح في سهول سوريا، ولا بثمرة

يانعة في أودية لبنان؛ وهذه هي نكبتي الصامتة التي تجعلني حقيراً امام نفسي وامام اشباح الليل .

لو ثار قومي على حكامهم الطغاة، وماتوا جميعاً متمردين، لقلت ان الموت في سبيل الحرية لاشرف من الحياة في ظلال الاستسلام . ومن يعتنق الابدية والسيف في يده، كان خالداً بخلود الحق .

لو اشتركت امتي بحرب الامم، وانقرضت عن بكرة ابيها في ساحة القتال، لقلت : هي العاصفة الهوجاء، تصهر بعزمها الاغصان الخضراء واليابسة معاً . والموت تحت اغصان العواصف، لاشرف منه بين ذراعي الشيخوخة .

ولو زلزلت الارض زلزالها، وقلبت ظهر بلادي صدراً ، وغمر التراب اهلي واحبائي، لقلت : هي النواميس الخفية تتحرك بمشيئة قوة فوق قوى البشر، فمن الجهالة ان نحاول ادراك اسرارها وخفاياها .

ولكن لم يمت اهلي متمردين، ولا هلكوا محاربين، ولا زعزع الزلزال بلادهم فانقرضوا مستسلمين .

مات اهلي على الصليب . ماتوا واكفهم ممدودة نحو الشرق والغرب، وعيونهم محدقة بسواد الفضاء . ماتوا صامتين لان آذان البشرية قد أغلقت دون صراخهم .

ماتوا لان الثعبان الجهنمي قد التهم كل ما في حقولهم من المواشي، وما في أهرائهم من الاقوات .

مات أهلي وأهلكم ايها السوريون، فماذا نستطيع ان نفعل لمن لم يمت منهم ؟ ان العاطفة التي تجعلك، يا اخي السوري، ان تعطي شيئاً من حياتك لمن يكاد ان يفقد حياته، هي هي الامر الوحيد الذي يجعلك حرياً بنور النهار، وهدوء الليل . وان الدرهم الذي تضعه في اليد الفارغة الممدودة اليك، هو هو الحلقة الذهبية التي تصل ما فيك من البشرية بما فوق البشرية .

٤٠٦ ايتها الريح

تمرّين آناً مترنحة فرحة، وآونة متأوهة نادبة، فنسمعك ولا نشاهدك، ونشعر بك ولا نراك، فكأنك بحر من الحب يغمر ارواحنا ولا يغرقها، ويتلاعب بافئدتنا وهي ساكنة .

تتصاعدين مع الروابي وتنخفضين مع الاودية وتنبسطين مع السهول والمروج . ففي تصاعدك عزم، وفي انخفاضك رقة، وفي انبساطك رشاقـة، فكأنك مليك رؤوف يتساهل مع الضعفاء الساقطين ويترفع مع الاقوياء المتشامخين .

في الخريف تنوحين في الاودية فتبكي لنواحك الاشجار، وفي الشتاء تثورين بشدة فتثور معك الطبيعة باسرها، وفي الربيع تعتلّين وتضعفين ولضعفـك تستفيق الحقول ، وفي الصيف تتوارين وراء نقاب السكون فنخالك ميتاً قتلتـه سهام الشمس ثم كفنته بحرارتها .

لكن — انادبة كنت ايام الخريف، ام ضاحكة من خجل الاشجار بعد ان عرّيتها من ملابسها ؟ أغاضبة كنت ايام الشتاء، ام راقصة حول قبور الليالي المكلسة بالثلوج ؟ أعليلة كنت ايام الربيع، ام حبيبة اضناها البعاد فجاءت تصعد بالتنهـد انفاسها على وجه حبيبها شاب الفصول لتنبهه من رقاده ؟ اميتةً كنت ايام الصيف، ام هاجعةً في قلوب الاثمار وبين جفنات الكروم وعلى بيادر القش ؟

انت تحملين من ازقة المدينة انفاس العلل ومن الروابي ارواح الازهار . وهكذا تفعل النفوس الكبيرة التي تحتمل اوجاع الحياة بسكينة ، وبسكينة تلتقي وافراحها .

انت تهمسين في اذن الوردة اسراراً غريبـة تفهم مفادها ، فتضطرب تارةً، وطوراً تبتسم . وهكذا تفعل الآلهة بارواح البشر .

انت تبطئين هنا، وتتسارعين هناك، وتتراكضين هنالك، ولكنك لا تقفين البتة، وهكذا تفعل فكرة الانسان التي تحيا بالحركة وتموت بالسبات .

انت تكتبين على وجه البحيرة اشعاراً ثم تمحينها، وهكذا يفعل الشعراء المترددون .

من الجنوب تجيئين حارة كالمحبة ، ومن الشمال تأتين باردة كالموت، ومن المشرق لطيفة كملامس الارواح، ومن المغرب تتدفقين شديداً كالبغضاء . امتقلبة انتِ كالدهر ؟ ام انتِ رسول الجهات تبلغين الينا ما تأتمنك عليه ؟

تمرّين غاضبة في الصحارى فتدوسين القوافل بقساوة ثم تلحدينها بلحف الرمال. فهل انت انت ذلك السيال الخفي، المتموج مع اشعة الفجر بين اوراق الغصون، المنسل كالاحلام في منعطفات الاودية حيث تتمايل الازهار شغفاً بك وتتخاصر الاعشاب سكراً من انفاسك ؟

تثورين ظلماً في البحار فتحركين ساكن اعماقها، حتى اذا ازبدت حنقاً عليك فتحت فاها لجة ولقمتها من السفن والارواح لقماً مرة . فهل انتِ انت ذلك المحب المتلاعب حنواً بغدائر الاطفال المتراكضين حول المنازل ؟

الى اين تتسارعين بارواحنا وتنهداتنا وانفاسنا ؟ الى اين تحملين رسوم ابتساماتنا ؟ وماذا تفعلين بشعلات قلوبنا المتطايرة ؟ هل تذهبين بها الى ما وراء الشفق – الى ما وراء هذه الحياة ؟ ام تجرّينها فريسة الى المغاور البعيدة والكهوف المخيفة وهناك تقذفينها يميناً وشمالاً حتى تضمحل وتختفي ؟

في سكينة الليل تبيح لك القلوب اسرارها ، وعند الفجر تحلك العيون اهتزازات اجفانها . فهل انت ذاكرة ما شعرت به القلوب وما رأته العيون ؟

بين جناحيك يستودع الفقير صدى انسحاقه، واليتيم حرقته، والحزينة تأوهاتها . وطي اثوابك يضع الغريب حنينه . والمتروك لهفته، والساقطة عويل نفسها . فهل

انت حافظة لهؤلاء الصغار ودائعهم ؟ ام انت كهذه الارض لا نودعهـا شيئاً الا تحوله الى جسمها ؟

اسامعةٌ انت هذا النداء وهذا العويل، وهذا الضجيج، وهـذا البكاء ؟ ام انت كالاقوياء من البشر تمد اليهم الأكف فلا يلتفتون وتتصاعد نحوهم الاصوات فلا يسمعون ؟

اسامعةٌ انت يا حياة للسامع ؟

ميزته : اوتي جبران خيالاً عجيباً غذاه بروح شرقية صوفية وبعاطفة متقدة وبالوان مقتبسة من الكتاب المقدس فكان في تعبيره مصوّراً اكثر منه كاتباً . وغرف من قرارة نفسه وابتدع بقوة قريحته صوراً تجلّت فيها ذاتيته . وكان انشاؤه ناعماً يسيل كالينبوع العذب ويسحر بموسيقاه ويبهر العين بالوانه الرائعة والفاظه المبلورة وان لم يخل من ركوة كثيرة ولين في التعبير .

أمين الريحاني (١٨٧٦ ـ ١٩٤٠ م/١٢٩٣ ـ ١٣٥٩ هـ)

[ولد في الفريكة بلبنان ثم ذهب الى المهجر وعاد منه مراراً . وقام برحلات في جزيرة العرب وفي بلاد المغرب، وذاع صيته وأصبح من قادة الفكر في لبنان والشرق إلا ان عقيدته لا تخلو من التطرّف واحكامه من التضارب . وهو من اخصب ادبائنا العصريين فقد ترك مصنفات بالانكليزية وأخرى بالعربية . ومن هذه الاخيرة : « ملوك العرب » و « تاريخ نجد الحديث » و « الريحانيات » و « قلب لبنان » . . .]

الكاتب الاجتماعي :

٤٠٧ الاصلاح

[موجز لإحدى خطبه الوطنية يدعو فيها الى اصلاح الأمة :]

ان في الشرق اليوم أثراً للتطور الاجتماعي ظاهراً اكثر من سواه . اما النشوء الطبيعي الذي فيه القوة المادية، والارتقاء الخلقي الذي فيه القوة الادبية، فلا يزالان مقيدين بكثير من التقاليد والعقائد التي لا تلتئم وروح الزمان .

واذا ما بحثنا اسباب التقهقر في الامم الشرقية اجمالاً نجد اهمها في ثلاثة : الجهل، والكسل، والادعاء ؛

الجهل اولاً، وهو الظلمة بعينها . الجهل هو الظلم والعبودية، هو التعصب والخرافة، هو الطاعة العمياء، هو الاثرة الاثيمة، هو الخوف والجبن والمذلة .

والكسل ثانياً، وهو الجمود بعينه . الكسل هو القناعة والفقر، هو المرض والشقاء، هو الخداع : خداع النفس والغبن والخمول .

أما الادعاء فهو في تلك المظاهر الاجتماعية التي تكاد تكون محض شرقية، اي مظاهر الفخفخة والابهة والمجد الباطل . انما هو في الالقاب التي نتعشقها، وفي المقامات التي نقدسها، وفي الوجاهات التي نبذل من اجلها المال والشرف ، وفي العظمة الجوفاء التي يرتدي كل رئيس رداءها، وان كان بالياً مرقعاً .

اني اطلب انقلاباً في الحياة الشرقية عاماً . نعم اني ادعو الناس لثورة فكرية تذهب بما في الاخلاق والعادات والتقاليد والعقائد من فساد وسخافة ، وعفونة

وضلال . الثورة الادبية قبل الثورة السياسية، والثورة الروحية قبل الثورة الاجتماعية. « ان الله لا يغيّر ما بقوم حتى يغيّروا ما بأنفسهم »؛ فالمرء الذي يثور اولاً على نفسه فيصلحها، انما هو المصلح الحقيقي . المرء الذي يثور على ما ورث من الاجداد، مما كان فاسداً أصلاً، او مما أفسده الزمان، فيصلحه او ينبذه، هو هو الذي يحق له ان يثور — اذا اقتضى الامر — على فساد الحكم السياسي . ان هذا الرجل وامثاله يشعرون بما عليهم من واجب الخدمة للوطن . ولكن هذا الشعور الوطني لا ينتشر في الأمة ويعمّ في الناس، الا بواسطة التهذيب الراقي، والتربية الوطنية الحقة : هي ذي اسباب الاصلاح الاولي .

ميزته : للريحاني آراء اجتماعية تدعو الى التحرر والى التآخي البشري على اوسع نطاق وهو يلبسها اسلوباً جذّاباً قد يغشي ما فيها احياناً من ضلال وشطط .

الرّحالة المؤرّخ :

٤٠٨ في الطريق الى صنعاء

[قام الريحاني سنة ١٩٢٢ برحلة الى بلاد العرب، وبعد ان بلـغ عدَن قصد مدينة صنعاء عاصمة اليمن، يصحبه رفيقه قسطنطين يني، فبلغاها في ١٨ نيسان سنة ١٩٢٢ بعد مسيرة اسبوعين كاملين، فاستقبلها فيها الامام يحيى بحفاوة بالغة .]

ركبنا قبل انبلاج الفجر سيارةً صغيرة، وخرجنـا من لحج نبغي الدَّكيم التي كانت يومئذٍ حدود السلطنة اللحجية شمالاً وفيها حامية انكليزية من الهنود وكانت الحملة قد سبقتنا اليها، ومعها الحرس يركبون الهجُن[1]، ورسول القاضي عبدالله العرشي الى امير الجيش، وبعض المسافرين الذين احبوا ان يرافقونا .

---

١ الهجُن ج هَجين وهو من الخيل الذي ولدته برذونة (فرس غير عربية) من حصان عربيّ.

وكان في الدُكيم ايضاً عشرة جنود من جيش سلطان الحواشب علي بن مانع، جاءوا بأمرٍ منه يستقبلوننا ويصحبوننا في بلادهم . والحواشي لا يُثقل نفسه بالعُدَّة والثياب . ليس في العالم جندي اخفّ منه حملاً، واشدّ منه بأساً . ولا أظنُّ ان في جنود الامم المتمدِّنة اجساماً مثل اجسام العرب في اليمن الاسفل . هاك الحواشي مثلاً وجلدُه الاسود او الاسمر يلمع في نور الشمس كالنحاس المصقول، وعضلاته الشديدة المفتولة تتحرك كالأجزاء الدقيقة في آلة كهربائية ، وقامته المتناسقة الاعضاء تُسرُّ بالعري ، فيكتفي بالفوطة يشدُّها على وسطه . — هوذا مَعرض محاسنَ من صُنع الله تمتّع به ناظريك اذ يثب صاحبه، والبندقية على كتفه والأمان في قلبه، كالغزال الشارد أمامك .

من هؤلاء الحواشب ولدٌ لا يتجاوز الخامسة عشرة، مشى الى جنبي وهو ينظر اليّ من حين الى حين، كأنه يبغي الحديث . سِرنا في وادي دُبن، وهو طويل يتصل شمالاً بمدينة اب، والشمس حتى في نيسان تشوي الضبّ[1] . وكنا بدأنا في التصعيد، فتراءى لنا خيال أسحم[2] على الأُفق البعيد، فوق قنَن[3] من الجبال كثيرة. فهتف الجندي الصغير قائلاً : « هذا وَرْوَه - جبل وروه — تراه من عدَن وستراه غداً من ماويه » . لم أتأكد القسم الاول من مقاله لاني لم اهتم وانا في عدَن بالجبال . ولكني تأكدت المبالغة في القسم الثاني منه . رافقنا ورده يوماً واحداً وغاب عن الابصار . وكذلك الجندي الصغير الذي تأسّفت على فراقه . كان يحدثني وهو ينقل البندق[4] لثقله من كتف الى كتف ، ويمشي على بؤس حاله سامد الرأس[5] .

— « العفو يا امير حضرتك من الشام ؟ » — أجبته بالايجاب .

---

١ الضبّ : حيوان من الزحّافات شبيه بالحرذون ذنبه كثير العقد . ٢ الاسحم : الاسود .
٣ القنَن ج قُنّة وهي اعلى الجبل . ٤ البُندق : الرّصاص . ٥ سامد الرأس : رافعه .

– « وهل راضية الشام بالسلطان ؟ » – أخبرته بأن حكم السلطان فيها قد انتهى، فما سرّه الخبر، فقال : « السلطان رجل طيّب يا أمير، ما فيه شرّ . »

سألته : « وهل تحبُّ الاتراك ؟ » فهزَّ رأسه وأشار بعينيه أنْ نعم، ثم قال : « سعيد باشا رجل طيّب . » كنا في أيامه مستريحين، اما الآن . . . انظر الى ذاك الجبل . وراءه الصبيحة شرُّ العرب . وهم دائماً يعتدون علينا نحن الحواشب المحافظين على الأمن . الحوشبي فقير ولكنه منيع . » ورفع بندقيته مشيراً اليها، ثم قال : « سلامة القوافل في يده » .

اما الصبيحة، يا حضرة الامير، فهم يحاربوننا لانهم لا يحبون الامن . ونحن نهجر حقولنا ومواشينا ورزقنا لنحمل هذا البندق، لنوجد في البلاد الأمن للعباد، وحضرة الامير – العفو – لا يقدر ان يسافر وحده، لا والله . بنادقنا وحياتنا ملك السلطان، وهي الآن تحت امر الامير . هل انتم تحكمون في بلادكم ؟ »

قلت له : « ان اسمي امين لا امير، واني محكوم مثلكم لا حاكم . »

– « ومن يحكمك يا حضرة الكامل ؟ »

– « يحكمني الآن الانكليز . هل تحب الانكليز ؟ » .

– « يقول السلطان ان الانكليز ما فيهم شر . »

– « وهل الحواشب يحبون سلطانهم ؟ »

– « اي والله نحبه، عليّ بن مانع رجل طيّب، ما فيه شر . ولكن من هو الحوشبي وما هي اهميته ؟ البندق على كتفه، والموت قدامه، ولا يعرف في الليل اذا كانت تشرق عليه الشمس . »

سرنا في الوادي وادي دُبن والجبال حولنا وامامنا تمنع عنا الهواء ولا تقينا حر الشمس، فوصلنا الظهر الى الخُندق، وهي قرية خيامها من القش والغَرَف[1]، فيها سمسرة للقوافل والمسافرين. فاسترحنا هناك ساعة الغداء، وارسلنا هجاناً يحمل منا كلمة سلام الى سمو السلطان عليّ وينبئه بقدومنا.

استأنفنا السير بعد الظهر فالتقينا في نصف الطريق بين الخُندق والمُسيمير بفرقة اخرى من جيش السلطان، يتقدمها ابنه الصغير راكباً جواداً رائعاً. جاءوا من قِبَله يلاقوننا، فدوت في ذاك الوادي أصوات البنادق ترحيباً. اطلقوا ثلاث طلقات فاجبناهم بمثلها، ورحنا وابن السلطان يتقدمنا، ورجله الحافية في الركاب، ويده اليمنى على عمامته الكبيرة الرفيعة، الكثيرة الالوان كأنها عمامة العيد، ترقص فرحاً على رأسه، وهو على ظهر الجواد اثبت منها.

وصلنا عند الغروب الى قصر السلطان في المسيمير، وهي قرية بيوتها من الحجر واللَّبِن قائمة على ربوة خضراء، ينساب عند سفحها في وادي دُبن سلسبيل[2] فضيّ، الى جنبيه الحقول المزروعة وهي تتموّج حول اكواخ من القش. ان الجمال الذي يجلب المكان لينبئ بالسِلم القروي ولكنه مفقود. فلا في سلطنة ابن مانع وجدناه ولا في قلبه. ومن المسؤول؟ سيجيب السلطان على سؤالنا. هذه جنوده تطلق البنادق ثانيةً ولاء لا عِداء، تأهيلًا لا تهويلًا.

دخلنا الى بيت في القصر أُعد للضيوف. وبعد قليل جاء سموه للسلام، يتبعه الخدم وبين ايديهم أطباق الطعام: خبز بسمن وسكر، ومرق وبرغل ولحم وعسل. فجلسنا في حَلقة على الارض ننطح بأيدينا الزاد. وكأن السلطان، وهو ينظر الينا، أُعجب بسفّي البرغل سفًّا فقال: «انت منّا يا امين! انت والله منا...»

---

١ الغَرَف: ورق الشجر. ٢ السلسبيل: الماء السهل المساغ.

كان السلطان عليٌّ نحيلاً كالخيال، عصبيَّ المزاج، حادَّ الطبع، حُرَّ الكلمة . حدثنا بعد العشاء عن احواله قال : « انا بين اربعة يا امين، والاربعة يقصّرون حياتي، هذا ابني وهذه لحيتي البيضاء . هو ابني الوحيد يا امين، ولكني اذبحه والله ولا أُسلّمه رهينة لاحد، أما الاربعة فالواحد منهم فوق[1] يشهر علينا الحرب لاننا هادئون ساكتون لا نعتدي على احد . والآخر تحت[2] يغزونا اظنّه اننا اغنياء وان خزنة الانكليز تحت أمرنا . والثالث هناك[3] لا يخاف الله . والرابع[4] عدوّنا اليوم، صديقنا غداً، لا نعرف والله متى ينقلب ولماذا ينقلب ! وعلينا ان نحاربهم كلهم . واننا والله نحاربهم يا امين، ونحاربهم حتى نفنيهم او يفنونا . . . لا والله . لا نأخذ من القوافل الا مجيدياً واحداً على كل جمل . والإمام يأخذ مجيديّين وصاحب لحج يأخذ ثلاثة . . . »

ودّعنا السلطان تلك الليلة شاكرين له حسن الحفاوة والضيافة، وأعلمناه اننا سننهض باكراً للرحيل، فلا نكلّفه مشقّة القيام مثلنا ليودّعنا ثانياً . وفهمنا منه انه قبل بذلك . الا اننا في صباح اليوم التالي، بينا كان المُكارون والخدَم يحمّلون دهشنا بل ذُعرنا لحادث فيه منتهى الغرابة . كنا مقيمين في جَناح من القصر، قبالةَ الجناح الذي يسكنه الحريم، وبيننا الحوش الذي كانت فيه الركائب والخدم، فسمعنا بغتة أنَّ إناء من الفخار تكسّر فيه، فظننا انه وقع من السطح . ولكنَّ اناء آخر تبعه – ورأيناه يُرمى من النافذة ولم نَرَ الرامي – فاصاب أحد العساكر فرفع صوته شاكياً . ثم جَفنة[6]، ثم قطعة أُخرى من الفخار تحطمت بين اقدام البغال، فعلت الضجة في الحوش، وسمعنا رجالنا يصيحون : «هم يطردوننا، عجّلوا يا ناس، هذه ضيافة ابن مانع، عجلوا بالرحيل . »

---

١ اي إمام صنعاء الامام يحيى . ٢ اي عرب الصبيحة . ٣ اي عرب الضالع جيران الحواشب شرقاً . ٤ اي سلطان لحج . ٦ الجَفْنة : القصعة وهي الصحفة الضخمة .

خرجت وقسطنطين مسرعين، فركبنا وسرنا نتقدم الحملة . نزلنا من الجبل الى السهل فالنهر، وقلبنا – اقول قلبي ولا أتهم رفيقي – يختلج حنقاً ورعباً . ظننا اننا بعدنا عن الخطر وعن ضيافة صاحب السمو الحوشي عند ما وصلنا الى النهر . ولكننا قبل ان اجتزناه سمعنا اصواتاً تنادي : « قفوا، قفوا ! » فلم نقف، فاطلقوا اذ ذاك البنادق طلقات متعددة، فقلت لرفيقي : « هوذا الخطر الذي نتوقعه . دنت الساعة يا قسطنطين، قف واشهر سلاحك . »

بعد قليل قرب القوم منا فاذا هم خدم السلطان يحملون على رؤوسهم الاطباق ومعهم بضعة عساكر . جاءونا بالفطور ! اي بالله . كيف نسافر قبل ان نفطر ؟ وكيف نسافر قبل ان نودع السلطان الذي نهض باكراً للوداع ؟

سألناهم عن الفخار الذي رمونا بـه، فاخبرونا ان السلطانة، وهي في خدرها رأتنا من على السطح في اهبة الرحيل، فنهضت كذلك باكراً من اجلنا . فأرادت تنبيه الخدم النائمين في الطابق الاسفل ولم تشأ ان تسمعنا صوتها او ترينا من النافذة وجهها فرمتهم بالفخار تستفيقهم لينهضوا ويهيئوا لنا الطعام . « الضيوف، انهضوا للضيوف، والحقوهم بالفطور، وأطلقوا الرصاص اذا كانوا لا يقفون . »

ميزته : قيل : « زار كثيرون من الاوروبيين بلاد العرب . . . انما قل بين الرحالة والسائحين من كانت له الفرص المؤاتية للتعرف الصحيح بتلك البلاد واحوالها كتلك التي اتيحت للسيد الريحاني » . ولذا امتازت مؤلفاته بدقة الملاحظة وصحة الاخبار غالباً مع اللباقة في سرد الحوادث .

الكاتب :

٤٠٩ ارز لبنان

[مقال من كتاب « قلب لبنان » الذي دوّن فيه الريحاني أخبار رحلتـه في وطنه وحال الموت بينه وبين اتمامه :]

رفعت حجراً من حجارة الطريق الى فمي، فقبلته ورعاً حامداً آملاً ، قبـل ان دخلت الظلال القدسية .

واستغفرت الارز لامتهاني حرمة عزلته – هذه العزلة الفريدة في اعالي الجبال، فوق وكر النسور، وراء حُجُب الآفاق .

استغفرت الارز لاني جئت اشق ستار كعبته، جئت استكشف مكنون سره .

. . .

إيه ربة الاشجار، وسيدة الجبل الجبار، انت الرافعة اعلامك الخضراء، بـين هذه الصخور الدكناء، بنت الجديدين، واخت القمرين، حدثيني .

حدثيني، وعلميني، وارفعي بي الى علياء ايمانك .

فقد جئتك مستعلماً، مسترفماً، مستمداً من ينبوعك العالي القوة والحكمة .

. . .

حدثيني عن رياح الشمال .

– هي تجيئني مولولة نائحة، فاوقفها لتستريح، فتستحيل انفاساً عطرية .

حدثيني عن الغيث اذا همى .

– هو يرقص على الصخور امامي، فتقهقه هازئة، ويضرب على اوتار قيثارتي، فتسمعه اغاني البلابل والامواج .

حدثيني عن العواصف .

– هي تصعد هائجة من الاودية، وتهبط مجلجلة من الآفاق، فتدق حولي طبولها، فافتح لها قلبي، فتدخل ثائرة . ثم تتحول اصواتها، بين ذراعي، الى اصوات البوق، والمزمار والناي، ثم تسكن وتنام، تحت اجنحة السلام .

حدثيني عن الثلوج .

– هي حصني في الشتاء، ودرعي في الربيع، فتفتّ من ساعد العاصفة، وتلطف حرارة الحب الآخذ بالازدهار . وهي في الصيف أم جذوري، ترضعهن تحت التراب وبين اصول الصخور، فيبتهج قلبي، ويرتفع رأسي ثناء وحمداً .

حدثيني عن السيول .

– هي تعبث في بيتي وتعيث، فتعري مني الجذور، فانثر فوقها ريشي في الصيف والخريف. وقد تعاونني الايام، فتحمل الي التراب على جناح الرياح، فألبس جذوري ثوباً جديداً .

حدثيني عن الصخور .

– هي المحدثة قبلي وبعدي . منها ترابي، واليها مصيري . وهي في حياتي قرة عيني، وزينة نفسي . بل هي هيكلي الخالد، العامر اليوم بي ، السائل غداً عني .

حدثيني عن السحب .

– هي حجابي وجلبابي، وهي بخور محرابي .

والفصول .

– الشتاء سميري، والربيع سفيري، والصيف قيّمي النديّ، والخريف كاهن معبدي .

حدثيني عن الجديدين .

– النهار جليسي، والليل سميري، وللاثنين يد في قِدَمي وأجلي .

وعن القمرين .

– الشمس مديرة اسبابي، والقمر حاجبٌ في بابي . الشمس تطعم اخضراري، والقمر يحفظ اسراري.

والنجوم .

– هي ايدي الله الوردية الفضية الذهبية البنفسجية . هي هي ايـدي الله، تعطي ولا تسأل، تنثر ولا تستعيد .

هي ايدي الله تحمل الي كل ما فيه جمالٌ وابتهاجٌ وسكينةٌ وهدى .

ايدي الله – النجوم – ربات الشعر والفنون، رباتُ الخيال الصفيّ والغبطة الشجية .

النجوم هن الحسان اللواتي ينشدن في ظلال منسكي، وهن العذارى اللواتي يرقصن في معبدي .

النجوم هنّ الوفيـات الصفيات، البعيدات القريبات، اللواتي يزلن وجومي، ويلأمن كلومي، ويعلمنني الابتسام، ونسج الاحلام .

. . .

أرزَ جبالي، أرزَ اجدادي، ان لياليك ليالي، وان نجومك نجومي .

ميزته : للريحاني في انشائه اسلوبان متباينان : اسلوب ادبيّ فني يتجلى في شعره المنثور وتأتي عباراته موسيقية التوقيع خيالية الصور منسجمة سلسة واسلوب علميّ واقعيّ ينتهجه في كتبه التاريخية تكثر فيه اللذعة القارصة والنكتة والفكاهة . على ان الريحاني على ما بذله من الجهود للتضلع من لغة اجداده رافقه شيء من الرطانة والركاكة طوال حياته .

جرجي زيدان (١٨٦١ ـ ١٩١٤ م/١٢٧٨ ـ ١٣٣٢ هـ)

[أديب مؤرخ لبناني نزح الى مصر وقضى فيها مدّة طويلة يخدم العلم والادب في مجلته «الهلال» وفي آثاره الكثيرة وأشهرها «تاريخ التمدن الاسلامي» في خمسة أجزاء، و«تاريخ الآداب العربية» في أربعة أجزاء وبضع روايات تاريخية.]

٤١٠ ادوات الكتابة عند الاقدمين

[المقالة التالية ردّ على سؤال طُرح على المؤرخ العلّامة في مجلته الهلال، السنة الخامسة:]

ان القدماء كانوا يدونون اخبارهم اما نقشاً على الاحجار او كتابة بالمداد على الرقوق او غيرها. فالنقش كان على نوعين نقشاً بالازميل او ما يشبهه على الرخام او الحجر او بعض المعادن كما كان يفعل المصريون القدماء والحثيون والفينيقيون. او طبعاً بالاداة على قرميد نيء وتركه حتى يجف كالكتابة الاسفينية على الآثار الاشورية وما جرى مجراها.

ومن هذا القبيل الحفر على الشمع باداة حادة كما كان يفعل الرومانيون فانهم كانوا يصبون الشمع على الواح من الخشب حتى يستوي سطحها ثم يرسمون الكتابة عليها حفراً باداة تشبهُ المسمار.

أما الكتابة بالمداد على الرقوق فلا بد لها من ثلاث مواد وهي الرق والقلم والمداد، فلنتكلم عن كل منها على حدة.

١) الرق: وهو ما يكتب عليه كقرطاس هذه الايام فقد كان لكل امة نوع من الرق يختلف باختلاف ما بلغوا اليه من الصناعة او الحضارة او ما تيسر

الحصول عليه مما يصلح لذلك . فالمصريون كانوا يكتبون على خشب البردي (البابيروس) وهو شجر كان ينبت بكثرة على ضفاف النيل في تلك الاعصر فكانوا يعالجون خشبهُ فيصطنعون منهُ رقوقاً كالورق يكتبون عليها وقد عثر الباحثون على كثير منها بين الآثار المصرية القديمة ومنهُ أمثلة كثيرة الآن في سائر متاحف العالم وخصوصاً المتحف المصري بسراي الجيزة . والعرب كانوا يكتبون على الجلود فينظفون الجلد من الشعر والدهن ويجففونه ويكتبون عليه وقد استخدمه كثير من الامم غيرهم وتفننوا في اصطناعه حتى بلغ حد الاتقان وفي الكتبخانة[1] الخديوية قرآن مكتوب على مئات من الجلود بالحرف الكوفي يقال انه كتب في عهد الخليفة عثمان في صدر الاسلام . وممن استخدم الجلود للكتابة ايضاً اليهود كانوا يكتبون التوراة عليها وقد شاهدنا في المتحف البريطاني الاسفار الخمسة مكتوبة على رقٍّ طولهُ نحو ثمانين قدماً مصنوع من جلود متصلة بعضها ببعض بصناعة عجيبة . وكان العرب يكتبون ايضاً على بعض الاقمشة وخصوصاً القباطي وهو نسيج من الكتان صنع مصر يسمون القطعة منهُ قبطية نسبة الى القبط والمعلقات السبع كانت مكتوبة بالذهب على هذا النسيج . وكان العرب يكتبون ايضاً على قطع العظام او الخشب او الاحجار او سعف النخل او ما شاكل ذلك . وما زالوا يكتبون على الجلود والاقمشة وربما كتبوا على البابيروس ايضاً حتى اصطنعوا الكاغد (الورق) في اوائل الدولة العباسية . وكان اليونان والرومان يكتبون على الاحجار والاخشاب والعظام والاقمشة ايضاً ولكنهم ما لبثوا ان اتخذوا البردي عن المصريين وشاع استخدامهُ بينهم ثم ما لبث الناس ان اتخذوا الورق من القطن او الكتان والمظنون ان الصينيين أقدم من اصطنعه ولكن المصريين كانوا يصطنعونه في القرن السادس للميلاد وكان القدماء اذا كتبوا على رقٍّ من جلد او بردي او قماش او غيره لفوه على نفسه لفّاً اسطوانياً وحفظوه .

٢) القلم : أما القلم فكانوا يتخذونه تارة من المعادن كالحديد والفضة

---

١ المكتبة .

والذهب وطوراً من القصب وأخرى من ريش الطيور يُبرى ويغمس في المداد ويكتب بهِ على الرقوق . والقصب اكثرها استعمالًا ولا يزال شائعاً الى الآن .

٣) المداد : وهو الحبر وكان القدماء يصنعونه من سخام القِدر وهو ما يرسب على اسفل القدر من المادة السوداء . او من الفحم الحيواني او من التِّنَاج وهو ما يرسب على المداخن او زجاجات القناديل من الهباب الاسود او من مسحوق الفحم الناعم فتمزج احدى هذه المواد بذوب الصمغ العربي ويكتب بها وكانوا يستخدمون حبراً أحمر يصنعونه من الزنجفر[1] والصمغ .

ميزته : لجرجي زيدان أسلوب علمي يعتمد الوضوح والدقة . ولكن مؤرخنا ان لم يشتهر بالاسلوب الفني ومتانة التعبير فقد تميز بسعة الاطلاع وكان له الفضل الاكبر في فتح باب التأليف التاريخي العلمي الحديث .

يعقوب صروف (١٨٥٢ ـ ١٩٢٧ م/١٢٦٩ ـ ١٣٤٦ ﻫ)

[هو من أبرز رجال النهضة ولد في الحدث بلبنان وانشأ مجلة المقتطف ، فطارت له شهرة واسعة لما كان عليه من سعة الاطلاع والثقافة العلمية العالية .]

٤١١ بين اقدام الفيل

[قطعة من كتاب « فصول التاريخ الطبيعي » .]

ذكر احد الرحالة قال : « رأيت مرة قطيعاً فيه خمسون فيلًا ، وكانت تصئي[2] شديداً ، وتكسّر القصب على نحو مئتي متر منا ، فعلمت أنها في قتال بينها ،

---

١ الزنجفر : معدن متفتت بصّاص يعمل منه الحبر الاحمر ويصبغ به .   ٢ صأى يصئي ويصأى : صات . يُستعمل للفرخ ولما له صوت كصوته .

وأسرعت اليها أنا والذين معي، حتى لم يبق بيننا وبينهـا إلا وادٍ عميق، وكانت رؤوس القصب الهندي تتمايـل وتنحني بسرعة كالأسل[١]، من شدّة الصدام، وأصوات الخصمين تُصمّ الآذان، واذا بأحدهما قد زأر زئير الالم، وقطع الوادي، وعبر الى الجهة التي كنا فيها، وجعل يكسر عيدان القنـا[٢] من غيظه، ويغط[٣] غطيط الالم والغيظ . وكان الدمُ يشخُب[٤] من جرح غائر في خاصرته اليسرى . وهو من الافيال الكبيرة، بنابين طويلتـين غليظتين، واليسرى منهما أقصر من اليمنى . ولا بدّ من أنّ خصمه كان جبّاراً عنيداً، وإلا ما استطاع قهره . واذا وقع الصدام بين فيلين نِدّين[٥]، فالغالب ان يستمرّ يوماً كاملًا او اكثر . فيقتتلان مدة ويفترقان، ثم يعودان الى القتال . وهكذا الى ان تدور الدائرة[٦] على أحدهما، فيقتل او يفرّ من وجه خصمه مُضرّجاً بدمائه . وكثيراً مـا تُبتر[٧] الاذناب في هذه المعارك .

ولما رأينا هذا الفيل علمنا ان الدائرة دارت عليه . وقلّما رأيت البأس والغيظ متمثلين في حيوانٍ كما رأيتهما فيه، وكان يحصد القنـا الغليظ بخرطومه حصداً، ويطحنه بقدميه من شدّة حنقه . ثم وقف بغتة كأنه استروحنا[٨]، ومدّ خرطومه نحونا لكي يتحقق الامر وكنا واقفين خلف قصباء[٩] تدرأنا[١٠]، فظننت أنـه يفرّ هارباً من وجهنا حالما يعلم أننا هناك، ولكنّ غيظه تغلّب على خوفه، فبسط أذنيه، وشال[١١] بذنبه، وهجم علينا .

ولم تكن القصباء لتقينا منه، وقد تعوّقنا عن تسديد رصاصنا اليـه، فخرجت من ورائها، وزعقت في وجهه، لعلّي أخيفـه، فلم يخف، ولم يقف . فأطلقت

١ الأسل : نبات دقيق الاغصان طويلها . واحدته : اسلة . وتستعمل « الاسل » للرمـاح .
٢ القنا : القصب الفارسي . واحدته : قناة . وتستعمل « القنا » للرماح لانهـا تُتخذ منه .
٣ غطّ النائم : نخر اي مدّ الصوت والنفَس في خياشيمه . ٤ شخَب الدم : سال .
٥ النِدّ : المِثل والنظير . ٦ دارت عليه الدائرة : غُلب . ٧ بتَر الذنَب : قطعه .
٨ استروَحه : تشمّمه، أحسّ بريحه . ٩ القَصباء : مجتمع القصب . ١٠ درأه : دفعه، والمراد هنا : تسترنا، وقد استعمله هنا بمعنى ستره ووقاه . ١١ شال بذنبه : رفعه .

الرّصاص على خرطومه ليخرقه ويصل الى جبهته بين عينيه، وانا واثقٌ أني أصبته وأنّ الضربة قاتلة . ولم يكد دخان البارود ينكشف من أمام عينيّ، حتى وجدت أنه لا يزال هاجماً عليّ، وقد خفض رأسه، وامتدّ ناباه امامه كالمذراة؛ فلم يَبق لي إلا أن أحيد من طريقه، وأرتمي على الارض . ولم اكد أصل اليهـا حتى كادت يداه تطآني . وصات صوتاً مُزعجاً، فعلمت أن خرطومه انبسط ، لانه لا يستطيع أن يصوت وهو معكوفٌ، ولا يبسطه كذلك وهو هاجم بل وهو هارب . ولو وقف لحظةً لطحن عظامي، لكنه استمرّ هارباً، وقـد غطّاني دمهُ ويبس على شعري .

ميزته : كان صرّوف واسع الاطلاع على المذاهب العلمية والفلسفية واحداث التاريخ ورجاله متقناً لاهم اللغات القديمة والحديثة، فبسط اختبارات العلماء الغربيين ونقل الى الشرقيين الآراء الحديثة ومهّد لهم سبل الرقيّ العلميّ وذلك بأسلوب واضح دقيق وغير جاف .

الاب لويس شيخو (١٨٥٩ ـ ١٩٢٧ م/١٢٧٥ ـ ١٣٤٦ هـ)

[كاهن يسوعي فاضل تنقل في بلاد أوروبا وبلاد الشرق منقباً في خزائنهـا عن آثار العرب، وكان من اركان النهضة الحديثة بما ألف من الكتب المدرسية والادبية والتاريخية وبما نشر من المخطوطات العربية .]

٤١٢ عرب الشام

[قطعة منتزعة من كتاب « النصرانية وادابها بين عرب الجاهلية » وفيها يتكلّم المؤلف على أصل عرب الشام ودياناتهم :]

اذا نظرت في خارطة الى بحر الشام وحدّدت مدينتيه الساحليتين طرابلس

شمالًا وعكاً جنوباً ثم سرت منها على خطّين متوازيين الى الشرق بلغ بك المسير بعد مرحلتين من طرابلس وثلاث الى اربع مراحل من عكا الى مفاوز متسعة تمتدُّ على مدى البصر الى جهة تدمر فالفرات شمالًا والى مشارف الشام فاللجا وتلال الصفا حتى جبال حوران وسهول البلقاء جنوباً، فكل تلك النواحي الرحبة الارجاء التي تقيس نحو اربع مائة كيلومتر طولًا في مثلها عرضاً تُعرف اليوم ببادية الشام·

ولم تكن هذه البادية في سالف الاجيال قفرة قليلة السكان لا تكاد تجد فيها كاليوم غير قرًى معدودة او بعض احياء البدو الذين يتنقلون فيها مع مواشيهم انتجاعاً[1] للمراعي · وانما كانت بعد تملّك الرومان عليها في اوائل التاريخ المسيحي أصبحت كروضة غنّاء· شيَّد فيها اصحابها المدن العامرة لسكنى الاهلين وابتنوا الحصون الحريزة تأميناً للطرق وعزَّزوا الزراعة والفلاحة وانبطوا الآبار وحفروا الصهاريج لجمع مياه الامطار وخدَّدوا القُنيّ[2] لسقي المزروعات · والآثار الباقية من هذه الاعمال الى يومنا تنطق بعمران تلك الاصقاع وحضارتها الراقية ·

اما سكانها فكانوا من عناصر شتّى بينهم الرومان المستعمرون لاسيا من الجنود الذين اتمّوا مدّة خدمتهم ثم جالية اليونان من بقايا الدول السابقة منذ عهد الاسكندر والسلوقيين ثم الوطنيون والفينيقيون الذين احتلّوا تلك البلاد لاستثمارها والمتاجرة فيها ·

وكانت تلك الانحاء اوفق ما يتمنّاه العرب لسكناهم فترى اهل الحضر منهم يسكنون القرى ويتعاطون اشغال الفلاحة · اما اهل الوبر فكانوا يرعون مواشيهم في الارياف ويرتزقون بلحومها والبانها واصوافها · وقد نما فيها عددهم حتى رسخت قدمهم وصار اليهم الامر ·

وكان الرومان في بدء احتلالهم يعدُّون العرب كخطر على البلاد لما اعتاده

---

١ انتجع القوم : رحلوا في طلب الكلإ والعشب ٢ القنيّ ج قناة ·

اهل البدو من الغزوات وشنّ الغارات والسلب والنهب فحاولوا غير مرة كسر شوكتهم غير انهم عرفوا بالاختبار انهم لا يظفرون بهم ظفراً تاماً ما لم يستنجدوهم ويستعينو ببعض عشائرهم لقطع دابر الشذّاذ[1] الباقين منهم. فحالف الرومان شيوخ قبائلهم ودفعوا لبعضهم قسماً من السلطة على بادية الشام بصفة شيوخ او ملوك فكانوا يتصرّفون مع اهل جنسهم تصرُّف السيّد مع المسود وربما زاحموا الدولة الرومانية كلما كانوا يشعرون بانتقاض حبلها او ضعف ولاتها. فترى النبطيين منهم في اواسط القرن الاول للمسيح متقلدين الحكم على دمشق نفسها كما ورد عن الحارث ملكهم في رسالة بولس الرسول في رسالته الثانية الى اهل كورنثية (١١ : ٣٢) وتبعهُ في الحكم غيره من النبط. وقد افادنا تاقيتس[2] المؤرخ في تاريخ طيطس بانَّ الرومان كانوا اتخذوا في مقدَّمة جندهم كتيبةً من العرب كانوا يتقدَّمون الجيش في محاربة اورشليم على عهد وسبسيانوس وابنه طيطس[3]. بل كان الرومان يدفعون لبعض الفرق العربية وظائف معلومة ليقوموا بحراسة التخوم الرومانية من جهة البادية...

اما الديانة التي كانت عليها امم بادية الشام وقبائلها فكانت خلطاً من اديان الوثنية فكان اليونان والرومان أتوا بمعبوداتهم المنوطة بالسيّارات كالمشتري وزحل وعطارد والزهرة والمريخ فاكرموها اكرام اجدادهم ومواطنيهم لها في اثينة ورومية. ونشر الفينيقيون عبادة تموز وعشتروت والبعل. اما النبط فكانوا يفضلون ذا الشرى واللات وشمس ويَثيع. ثم اختلطت هذه العناصر المتباينة وتداخلت اديانهم ببعضها واكرم كل قوم معبودات القوم الآخرين.

وفي غضون ذلك ظهرت النصرانية وقامت لمناهضة تلك الاديان كلّها دون ان ترضى ان تختلط بها او تبادلها بشيء. والمرجّح ان الدين المسيحي دخل بلاد العرب من غربيّ الجزيرة من جهة الشام حيث انتشر بعد صعود السيد المسيح بزمن

---

١ الشذاذ: الذين ليسوا في حيّهم وقبائلهم، وقد يعيثون فساداً. ٢ تاقيتس: مؤرخ لاتيني (حوالي ٥٥ – ١٢٠ م). ٣ طيطس: امبراطور روماني ملك من ٧٩ الى ٨١ م.

قليل كما ورد في سفر الاعمال . ولا يقبل العقل ان بولس الرسول رحل الى العربية كما جاء في رسالته الى اهل غلاطية (١ : ١٧) دون ان يكون سبقهُ اليها احد من المتنصّرين او خلّف فيها اثراً من دينه .

ميزته : لم يشتهر الاب شيخو باسلوبه وفنه وانما بدراساته العميقة واطلاعه الواسع فانه كان من اكبر العاملين على نشر الاساليب العلمية في النقد والدراسة والموازنة والتحليل .

مصطفى صادق الرافعي

(١٨٨٠ — ١٩٣٧ م/١٢٩٨ — ١٣٥٦ ه)

[ولد في ضواحي القاهرة وأخذ عن أبيه حبّ اللغة العربية . وأكبّ على المطالعة فاستفاد منها الشيء الكثير . اشتهر بالكتابة في الموضوعات الاجتماعية والدينية والعاطفية . من آثاره : « تاريخ آداب العرب » و « وحي القلم » ...]

٤١٣ بين خروفين

[قال الرافعي في مقدّمة هذه القطعة من « وحي القلم » : « اجتمع ليلة الاضحى خروفان من أضاحي العيد، فتكلّما، فماذا يقولان ؟ » هذا هو الموضوع الذي استخرجه لي اصغر أولادي « الاستاذ » عبد الرحمن، وسألني ان اكتب فيه للرسالة (وهي مجلة بمصر)، وهو اصغر قرآنها سناً ترفّ عليه النسمة الثالثة عشرة من ربيع حياته (كان ذلك في سنة ١٩٣٤) .]

اجتمع ليلة الاضحى خروفان من الاضاحيّ في دارنا ! اما الاول فكبش

أصوف أقرن، انتهى سِمنه حتى ضاق جلده بلحمه، وسحّ[1] بدنه بالشحم سحّاً؛ فإذا تحرّكَ رِخلته سحابة يضطرب بعضها في بعض، ويهتزّ شيء منها في شيء؛ وله وافرة[2] يجرّها خلفه جرّاً؛ فاذا رأيتها من بعيد حسبتها حملاً يتبع أباه، وهو من اجتماع قُوّته وجبروته أشبه بالقلعة، يعلوها من هامته كالبرج الحربي فيه مِدفعان بارزان؛ وتراه أبداً مصعِّراً[3] خدّه، كأنه أمير من الابطال .

وأما الآخر فهو جَذَع[4] في رأس الحَول الاول من مولده وكان يثغو لا ينقطع ثُغاؤه؛ فقد أُخذ من قطيعه انتزاعاً؛ فأحسّ الوَحشة، وتنبهت فيه غريزة الخوف من الذئب، فزادته الى الوحشة قلقاً واضطراباً .

فلما أدبر النهار وأقبل الليل، جيء للخروفين بالكلإ يعتلفانه؛ فاحسّ الكبش أنّ في الكلإ شيئاً، لم يدرِ ما هو؛ وانقبضت نفسه، كأنما أدركتْ أنه آخر رزقه على الارض؛ فعاف أن يطعَمْ[5]، ورجع كأول فِطامه عن أُمه، لا يعرف كيف يأكل . وكان الصغير قد أنس الى المكان والظلمة، وأقبل يعتلف، ويخضِمْ[6] الكلأ؛ فقال له الكبش : « أراك فارهاً[7] يا ابن أخي كأنك لا تجد ما أجد؛ إني لأحسّ أنّ القدَرَ مُصبِحُنا ما من ذلك بُدّ . » قال الصغير : « أتعني الذئب ؟ » قال : « ليته هو! فأنا الك به لو أنه الذئب . إنّ صوفي هذا درْع من أظافره، وقرنيّ هذين تُرس ورُمح . » قال الصغير : « فماذا تخاف بعد الذئب ؟ أتخشى العصا ؟ » قال الكبش : « إنك لو علمت ما أعلم، لما اطمأنّت بك الارض ولَوجمت من القلق كحبة القمح في غربال يهتزّ وينتفض . » قال الصغير : « أتعني ما كان في القرية، إذ تناولت ربّة الدار غربالها، تنفض به قمحها؛ فغافلتها ونطحت الغربال،

١ سحّت الشاة : سمنت غاية السِّمَن فكأنها من سمنها تصبّ الشحم . ٢ الوافرة : ألية الكبش اذا عظمت . ٣ صعّر خدّه : أماله عن النظر الى غيره تهاوناً من كبر . ٤ الجذَع : الحدَث، الصغير . ٥ طعِم طَعماً وطعاماً : أكل . ٦ خضَم خضماً الطعام : أكله بجميع فمه او بأقصى اضراسه . ٧ الفاره : النشيط البطِر .

فانقلب عن يدها، وانتثر الحبّ؛ فأسرعتُ فيه التقاطاً، حتى ملأتُ فيّ قبل أن تُزيحني المرأة عنه؟»

قال الكبش: «اسمع أيها الأبله؛ لقد رأيتُ أخي مذ كنت جذعاً مثلك، ورأيت صاحبنا الذي كان يعلفه ويُسمّنه قد أخذه فأضجعه؛ فجثم على صدره شرّاً من الذئب؛ وجاء بشفرة بيضاء لامعة، فجزّها على حلقه، فإذا دمُه يَشخُب[1] ويتفجّر؛ وجعل المسكين ينتفض، ويَدحص[2] برجله؛ ثم سكن وبرد، فقام الرجل ففصل عنقه.»

قال الصغير: «إنّ الانسان يستطيب لحمنا، ويتغذّى بنا. فما أسعدنا أن نكون لغيرنا فائدة وحياة!» قال الكبير: «لقد صدقت، ونحن بهذا أعقل وأشرف من الانسان، فإنه يقضي العمر حريصاً على الدنيا، فيشقى، ويَنصَب[3]. تعال أيها الذّابح؛ تعال خذ هذا اللحم، وهذا الشحم؛ تعال ايها الانسان لنعطيك، تعال ايها الشحّاذ!...»

ميزته: نزعة الرافعي نزعة اسلامية شديدة التديّن، وهو غزير الفكر يملي عليه العقل والتديّن كثيراً من الحكم والمواعظ الخلقية وبوجهانه توجيهاً اجتماعياً. في انطلاقه شيء من الكثافة والجمود وقصصه رغم طرافتها لا تخلو من الثقل. وانشاؤه متين جزل.

مي زيادة (١٨٩٥ ــ ١٩٤١ م/ ــ ١٣٦٠ هـ)

[أحبت مي اللغة العربية وروّضت عليها ملكتها الانشائية واستعانت على اتقانها بالمطالعة واستماع المحاضرات حتى استقامت لها. وكانت من المغرمين بالعلم

---

١ شخَب الدمُ: اندفع وسال. ٢ دحَص دحصاً المذبوح برجلـه: هزّها وارتكض للموت. ٣ نصِب: تعب وأعيا.

والادب وجعلت من منزلها ندوة يبحث فيها الادباء شؤون التأليف والثقافة والفن . وقد نشطت كثيراً لتحرير المرأة الشرقية ورفع مستواها . من آثارها : « باحثة البادية » و « ظلمات وأشعة » و « بين الجزر والمد » . . .]

٤١٤ تاريخ المرأة استشهاد طويل

[كانت مي بعد قاسم أمين وباحثة البادية من أشد الدعاة الى نهضة المرأة وقد تناولت ذلك الموضوع في كثير من مؤلفاتها .]

سل عنها الدهور المتدحرجة في هاوية الزمان، لو كان للدهور لسان لأنبأتك بما يدمي الفؤاد . المرأة ! لقد جعلتها الهمجية حيواناً بيتياً ، وحسبها الجهل متاعاً ممتلكاً للرجل يستعمله كيفما شاء، ويهجره اذا اراد، ويحطمه اذا خطر له في تحطيمه خاطر . كانت بعد ذلك عبدة شقية واسيرة ذليلة، ثم ارتقت مع مرور الاجيال الى درجة طفلة قاصرة، الى لعبة يلهو بها السيد في ساعات الفراغ، الى تمثال بهرجة تتراكم عليه الاثواب الحريرية والجواهر الثمينة . ومن منا يدري بما كانت تستره الاثواب الحريرية والجواهر الثمينة من قروح القلب الدامية التي لم يضمدها بشر ؟

تاريخ المرأة استشهاد طويل أليم، ومن أغرب الغرائب انها لم تجد لها في القِدَم صديقاً ولا نصيراً . كانت عامة الشعب تكرهها وتحتقرها وليس ذلك بكثير على قوم جاهلين، تحجرت منهم القلوب وصمّت الافهام فهم لا يدركون شيئاً مما يتجاوز دائرتهم الصغيرة . لكني ارى الامر عجيباً، بل فظيعاً، من رجال نحسبهم نوابغ زمانهم وقادة افكار العالم . لم يذكر شعراء اللاتين من المرأة الا جمال جسدها، وليس في قصائدهم ما يدل على تلمس آثار النفس وراء ظواهر الجسد، وجميعهم متفق على تسميتها الشيطان الجميل او ينبوع المسرات السامة .

وشعراء اليونان سخيلوس واوريبيدس وغيرهما يسمونها – ببساطة كلية – « بلية العالم » . اما الفلاسفة فأكتفي بان اذكر هنا كبيرهم افلاطون، افلاطون

الالهي، الذي يعتبره تاريخ الفكر امة باسرها، افلاطون ذا الاحلام الغامضة والمبادئ السامية الذي لم يترك موضوع اصلاح سياسي او ادبي الا عالجه رغبة في اسعاد العالم — افلاطون لم يفكر قط في تحسين حالة المرأة ولم يهتم بدرس اخلاقها واستكشاف درجتها العقلية والاستعدادية . ماذا أقول ؟ ان افلاطون هذا قضى حياته آسفاً لانه ابن المرأة، وكان يصرح بازدرائه بامه، ويعتقد ان من كان جباناً من الرجال في هذا العالم فعند ولادته مرة أخرى تتقمص روحه في جسد حيوان او في جسد امرأة . . . وما علم افلاطون ان امرأة ستعلّم الفلسفة الافلاطونية الجديدة في « مدرسة الاسكندرية » وان تلك المرأة لا يمنعها شبابها الغض وجمالها الرائع ان تكون اعلم علماء عصرها . تلك هي الفتاة هيباثيا ابنة ثيونوس الرياضي الشهير التي قُتلت رجماً في شوارع الاسكندرية في اوائل القرن الرابع فذهبت شهيدة علمها واخلاصها ورغبتها في اشهار التعاليم الافلاطونية الجديدة .

اول من عطف على المرأة واسمعها كلمات الاشفاق والغفران هو يسوع الناصري . وهو اول من سوى بينها وبين الرجل اذ جعل لهما خطة واحدة تفضي الى ثواب واحد، والا فللضالين عقاب واحد .

٤١٥ دمعة على المغرد والصامت

. . . طائر صغير نسجت أشعة الشمس ذهب جناحيه وانحنى الليل عليه فترك من سواده قبلة في عينيه . ثم سقطت عليه يد البشر فضيقت دائرة فضائه وسجنته في قفص كان عشه في حياته ونعشه في مماته .

طائر صغير أحببته شهوراً طوالا . غرّد لكآبتي فأطربها، ناجى وحشتي فآنسها، غنّى لقلبي فأرقصه، ونادم وحدتي فملأها ألحاناً .

امتزج ذكره بحياتي فحلّ عندي محلّ صديق لا تصلني به اللغة ولا يقربه مني التفاهم الروحي، بل يعززه اليّ حضوره الدائم وان لم يبالِ هو بحضوري، وصوته

الرخيم وإن لم يغرد الا لان التغريد من طبعه، وسروره الذي لا يعرف الكآبة، واصطباره على ضيق الفضاء وقناعته بما قدر له من النور والهواء .

لمّا أبكتني الآلام أريته منديلي مبللًا بالدموع فأعرض عني . انما تستدر الدموع ظلمة الاحزان كما يستدر الندى ظلام الليل، وروح الاطيار شعاع مغرد فكيف يتفهم النور الظلام ؟

ثم أشرت بيدي الى الاثير البعيد لعلي أرى من طائري زفرة تنبئني عن لوعة في قلبه . ولكنه اخذ يتنقل على قضبان قفصه غير مبالٍ بي، كمن يقول : «النور لا ينظر الى الشمس والقلب لا يحدق الى الروح لان كليهما واحد . انا لا انظر الى الاثير لان فيَّ نقطة منه . اني فيه وان بعدت عنه . كالشاعر الذي يظل محلقاً في سماء الخيال والمعاني وان وثق الناس من انه يجالسهم مصغياً الى احاديثهم . »

واذا اتيته بالازهار نازعة عنها وريقاتها فارشة بها مهبط القفص لعلّي أرضيه، شرع يدوسها استخفافاً متابعاً تغريده، كأنه فيلسوف لا يكترث للصغائر وان جملت منها المظاهر، ولا يهتم الا بما ينبّه قوى البحث والتفكير في جنانه .

في الصباح كنت افتح عيني فيستقبل استيقاظي بالغناء وتسيل موسيقى انغامه على قلبي فتذيبه وتسكره معاً .

وفي النهار كنت اجلس للدرس والتحبير فتشمئز نفسي احياناً من عبوس الكتب، ويثقل يراعي في يدي كأنه صولجان تنازل عن ملكه، فيأخذ كناري في الزقزقة والتغريد، وتأتي جماعة طير من الخارج فتتوحد التغاريد عند نافذتي كما تمتزج الالحان في قلب الامواج . اذ ذاك تبتسم الافكار على صفحات الكتب امـام ناظري، ويتمايل قلمي تمايل الصفصاف قرب الغدير ، وتنجلي الغيـوم عن صفحات نفسي وتطرب روحي .

وفي المساء كان الكنار يصمت إجلالًا لقداسة الظـلام فيخفي رأسه بين جناحيه، ويجمد جمود المفكر . ساعتئذ تأتي بنات خيـالي محاولة الشعر وورد

الابتسام منور على شفتيها ومصباح الشعر متقد في يمينها · فتعقد حلقة وتدور راقصة حول احلامي ومنشدة اناشيدها بألحان سرية كأعماق اللجج – اناشيد عجيبة لم يسمعها الا خيال روحي المتهادي بين اولئك العذارى الراقصات ولم افهمها الا بحاسة سادسة تنبثق في قلب الشاعر في ساعات الوحدة والكآبة، بينا ملوك الجوزاء تطل من اعالي علاها ناظرة اليَّ من نافذتي المفتوحة على آفاق الليل ، والكنار يرقبني بعينيه المخفيتين تحت جناحيه الذهبيين ·

. . .

والآن انظر الى القفص !!

لقد صمت الطائر المغني، وجمد الشعاع المحيي، فلا ترى في القفص الا قليلاً من الشمس المائتة !

مات الصغير الغريد، مات صغير حشاشتي !

مات عند بزوغ الفجر وقبل انقضاء الربيع، ولا يبقى في خاطري الا اثر من ذلك اللحن المتواضع البديع ·

شعاع ذهبي أطل حيناً واختفى في كبد الآفاق ·

ابتسامة لطف أشرقت، وما لبثت ان توارت في اخفية الظلام ·

نور فكر ضاء ثم اضمحل في لجج العدم ·

وردة اثير تنفست فعطرت واسكرت، ثم ذبلت ·

نغمة حب تموجت ساعة، ثم تلاشت في هاوية السكينة ·

صديق صغير غرّد فأطربني، وسكن في جواري فآنسني، ولما مزق قلبي العالم بشره وصغائره غنى طائري فأنساني قبح القباحة وجعلني افكر في كل حسن بهي ·

هذه قيثارتي فقدت احد اوتارها فناحت بلابل انغامها ·

فما ألمس القلوب الشديدة التأثر ! وما امرّ الجرح الصغير الذي يفتح جراحات كبيرات .

. . .

سر الوجود وسر الفناء من يستطيع اكتناههما ؟

في كل ذرة من ذرات الكون ظمأ لارتواء خمرة الحيـاة وشوق مبرح للنمو وبلوغ اكمل الحالات الممكنة . فما غاية هذا الشوق ، ولماذا وجد ذلـك الظمأ ، اذا كان الفناء كعبة الكمال ونهايته ؟

أتلاشى ما كان في طائري من أنس وايناس ؟ اضاعت نفسه الصغيرة الحلوة في الاثير كما امتزجت تغاريده بامواج الهواء وعناصر جسمه بالتراب والمـاء ؟ ام هو يحفظ جوهر ذاتيته ويظل هو هو في مجاهل الفضاء ؟

٤١٦ العيون

تلك الاحداق القائمة في الوجوه كتعاويذ[١] من حلك ولجين .

تلك المياه الجائلة بـين الاشفار[٢] والاهداب كبحيرات تنطّقن بالشواطئ واشجار الحور .

العيون ، ألا تدهشك العيون ؟

العيون الرمادية بأحلامها .

والعيون الزرقاء بتدوعها .

والعيون العسلية بحلاوتها .

والعيون البنيّة بجاذبيتها .

والعيون القائمة بما يتناوبها من قوة وعذوبة .

١ تعاويذ ج تعويذ : الرّقية ٢ الأشفار ج شُفر : حرف الجفن الذي ينبت عليه الشعر .

. . .

جميع العيون .

تلك التي تذكرك بصفاء السماء .

وتلك التي يرقد فيها عمق اليموم .

وتلك التي تريك مفاوز الصحراء وسرابها .

وتلك التي تعرج بخيالك في ملكوت أثيري كله بهاء .

وتلك التي تمر فيها سحائب مبرقة مهضبة .

وتلك التي لا يتحول عنها بصرك الّا ليبحث عن شامة في الوجنة .

العيون الضيقة المستديرة، والعيون اللوزية المستطيلة .

وتلك الغائرة في محاجرها لشدة ما تتمعّن وما تتبصّر .

وتلك الرحيبة اللواحظ البطيئة الحركات .

وتلك التي تطفو عليها الاجفان العليا بهدوء كما ترفرف اسراب الطيور البيضاء على بحيرات الشمال .

وتلك الاخرى ذات اللهيب الاخضر التي تلوي شعاعها كعقافة كلّاب على القلب فتحتجنه،[1] وغيرها، وغيرها، وغيرها .

العيون التي تشعر .

والعيون التي تفكر .

والعيون التي تتمتع .

والعيون التي تترنم .

وتلك التي عسكرت فيها الاحقاد والحفائظ .

---

١ احتجن الشيء : احتواه وضمّه الى نفسه .

وتلك التي غزرت في شعابها الاسرار .

. . .

جميع العيون وجميع اسرار العيون .

تلك التي يظل فيها الوحي ُطلَعة خبأة[1] .

وتلك التي تكاثفت عليها اغشيه الخمول .

وتلك التي يتسع سوادها امام من تحب وينكمش لدى من تكره .

وتلك التي لا تفتأ سائلة : « من انت ؟ » وكلما أجبتها زادت استفهاماً .

وتلك التي تقرر بلحظة : « انت عبدي ! »

وتلك التي تصرح : « بي احتياج الى الألم، أليس في الناس من يتقن تعذيبي؟ »

وتلك التي تقول : « بي حاجة الى الاستبداد فأين ضحيتي ؟ »

وتلك التي تبسم وتتوسل .

وتلك التي يشخص فيها انجذاب الصلاة وانخطاف المصلّي .

وتلك التي تظل مستطلعة خفاياك وهي تقول : « ألا تعرفني ؟ »

وتلك التي يتعاقب في مياهها كل استخبار وكل انجذاب وكل نفي وكل اثبات .

العيون، جميع العيون، ألا تدهشك العيون ؟

. . .

وانت ما لون عينيك ، وما معناهما، والى اي نقطة بين المرئيات او وراءها ترميان ؟

---

١ امرأة ُطلَعة ُخبأة : تطلع مرّة وتختبىء أخرى .

قم الى مرآتك !

وانظر الى طلسميك السحريين، هل درستهما قبل اليوم ؟

تفرّس في عمق اعماقهما، تتبين الذات العليمة التي ترصد حركات الأنام وتساير دورة الافلاك والازمنة .

في عمق اعماقهما ترى كل مشهد، وكل وجه، وكل شيء .

واذا شئت ان تعرفني، انا المجهولة، تفرّس في حدقتيك يجدني نظرك في نظرك على رغم منك .

ميزتها : تمتاز كتابات مي بطابع فكري تلمحه حتى في الموضوعات القصصية والوصفية . وموضوع فكرها هو اصلاح المجتمع ورقيّ الامة وتمتاز تلك الفكرة بالوضوح والاعتدال ولا تخلو من عمق في بعض الاحيان . ومي تعنى بالقلوب كما تعنى بالاذهان فتقصد الى هـذه عن طريق التأثير العاطفي والجمال الفني . اما اسلوبها فيتكيّف على ما تقتضيه الاغراض وهو موسيقي متأثر بالثقافات الاجنبية « وفيه خاصة عذوبة الحس الانثوي الرهيف » .

فهرس

	صفحة
مقدمة	١
العهد الجاهلي	
الباب الاول : بزوغ الشعر الجاهلي واستقراره	٣
المهلهل	٣
أهاج قذاء عيني الاذكار – كليب لا خير في الدنيا – ذهب الصلح او تردوا كليبا – على ان ليس عدلاً من كليب	
الشنفرى	٩
اقيموا بني أمي	
الباب الثاني : إزدهار النهضة الجاهلية	١١
اصحاب المعلقات	
امرؤ القيس	١١
قفا نبكِ – فاين ربيعة – الى الروم – تذكرت هندا	
طرفة بن العبد	١٧
لخولة اطلال	
الحارث بن حلزة	١٩
آذنتنا ببينها اسماء	
عمرو بن كلثوم	٢٢
ابا هند	
النابغة الذبياني	٢٦
القسم الاول : الغسانيات : كليني لهم	
القسم الثاني : الاعتذاريات : وعيد ابي قابوس – يا دار مية	
زهير بن ابي سلمى	٣٣
امن ام اوفى	
عنترة بن شداد العبسي	٣٩
والام من حام – العبد المتحرر – القلب المتيم – قائد الكتائب – هل غادر الشعراء من متردم	
الاعشى الاكبر	٤٧
ودع هريرة – وكأس كعين الديك	
لبيد ربيعة	٥٠
او لم تكن تدري نوار	
عدي بن زيد العبادي	٥١
رب الخورنق – في اليوم او في ضحى الغد	
الخنساء	٥٣
قذى بعينك	
الحطيئة	٥٥
الا حبذا هند – هجو الزبرقان بن بدر – كرم العرب	
النثر الجاهلي	
قس بن ساعدة الايادي	٦١
خطبة قس بن ساعدة – حسن التصرف – سابكيكما طول الليالي	

صفحة

العهد الراشدي والاموي

مقتطفات قرآنية ٦٧

الباب الاول: شعر النضال الديني

كعب بن زهير ٦٨
بانت سعاد

الباب الثاني: شعر اللهو

الغزل البدوي

جميل بن معمر ٧٠
يقولون من هذا وقد عرفوني – وما صائب من نابل – ألمّ خيال – هي السحر

الغزل الحضري

عمر بن ابي ربيعة ٧٧
امن آل نعم – قالت ابو الخطاب – وكان الحديث به اجدرا – توبة عمر

الباب الثالث: شعر السياسة

الاخطل ٨٣
خفّ القطين – نور اضاء لنا البلاد – بكر العواذل – الثور الوحشي وكلاب الصيد – الخمر المنتقة

الفرزدق ٩٢
عزفت باعشاش – عليّ بن زيد العابدين – الشاعر والذئب – الشاعر وابليس – مات الفرزدق والندى

جرير ١٠٢

صفحة

تفي بالله – كالفرخ في العش – هاج الهوى – اقلي اللوم – بان الخليط – موت الفرزدق – لولا الحياء

الباب الرابع

النثر الايجازي

عليّ بن ابي طالب ١١٣
الدنيا – الاستسقاء – الخطبة الشقشقية – ان ابوا اعطيتهم حد السيف – الجهاد – دعوتكم سرّاً وجهراً – وصف الطاووس – وصف النملة – رسالة الى احد عماله يوصيه بجمع اللين الى الشدة – رسالة الى معاوية – الامثال

زياد ابن ابيه ١٢٣
الخطبة البتراء

الحجاج بن يوسف ١٢٦
يا اهل العراق – انا ابن جلا – ان الشيطان طيفاً

النثر التفصيلي

عبد الحميد الكاتب ١٣٠
الى الكتاب – رسالة الشطرنج – تعزية

العهد العباسي

١

العهد العباسي في الشرق

الباب الاول: أدب الثورة التجديدية

في الشعر

صفحة

بشار بن برد ١٣٧
ليل تهاوى كواكبه - ابن برمك - حيّيا صاحيّ - والاذن تعشق قبل العين احيانا - عدمتك عاجلاً يا قلب - لعبدة دار - فالقلب لا بالعين يبصر ذو الحب - لم يطل ليلي - يا منظرا - خليليّ ان العسر سوف يفيق - مقامك بيننا دنس علينا

ابو نواس ١٥٢
زهما بالخصيب السيف والرمح - خبز الخصيب - هجاء الامين - كلب صيد - ان حياة الكلب في وفاتها - وانا على الاثر - اذا امتحن الدنيا لبيب - يا رب - دبّ في السقام - ابا ربّ - حامل الهوى تعب - وما يدرون ما دائي - فتانة المتجرد - الى بيت خمار - صفراء مثل شعاع الشمس - قطر بلّ موربعي - ادر الكاس - يا خاطب القهوة - من بنو اسد - تسقيك من طرفها خمرا - دع عنك لومي

ابو العتاهية ١٧٠
عتبة - يا ليتني - عني على عتبة منهلّة - تذكّر - اتته الخلافة منقادة - اجفوتني - اوالب - لم يشغل الموت عنا - لمة الآل - الهي لا تعذبني - لا تأمن الموت - لدوا للموت - كلنا بائد - مناهج السادات - الموت لا يلعب

في النثر

ابن المقفع ١٧٦
اصلاح الجند وفوضى الاحكام - رسالة تعزية - تصرّف العاقل - السلطان وما يتعلق به - الصديق وما يتعلق به - الاسد والثور - الحمامة المطوقة - السائح والصائغ

صفحة

الباب الثاني : أدب الحركة المعاكسة

في الشعر

ابو تمام ٢٠٣
السيف اصدق انباء من الكتب - هو البحر - الحق ابلج والسيوف عوار - كذا فليجلّ الخطب - كان الذي خفت ان يكونا - دمعة على اخ - مولى يعذّب عبده - وصف الروض

البحتري ٢١٤
فاسلم امير المؤمنين - تهنه دعمك - لا عزاء لمغرم - ولو لم تكن ساخطاً - اتاك الربيع - بين الشاعر والذئب - يا من رأى البركة الحسناء - وتنفست فيه الصبا - ايوان كسرى

ابن الرومي ٢٣٠
يا اخي - تظلّم شعري الى القاسم - سيبه عفو ماله - طال المطال - اخالد - شنطف - كنيزة - عيسى - ابو حفص الوراق - ابن فراس - حماه الكرى - ابنيّ - بكاؤكما يشفي - يا حرّ صدري - لهف نفسي - تيمتني وحيد - بلوت طعوم الناس - القيان - الزاهد - العنب الرازقي - الزلابية - الاحدب - وساق صبيح - الشباب الراحل - انا ذو القصد

في النثر

الجاحظ ٢٥٧
احمد بن عبد الوهاب - البيان - كذب بكذب - كلام بكلام - مريم الصناع - المسرجة والقنديل - معاذة العنبرية -

صفحة

الريح والشمس تأخذان من سائر الاشياء — الكتاب — تقسيم مخلوقات العالم — قوة الحية — عين الافعى — حكمة الحية — الحية والفزع — نهشة شديدة — وفاء الكلب — كلب يحسب لصاً — الذباب والبعوض — القاضي والذباب — الشك في الروايات — الجرذ والعقرب

الباب الثالث : أدب الاستقرار والتدرج نحو التعقيد والجمود

في الشعر

ابو الطيب المتنبي ٢٨٤
كم قتيل — ضيف المّ — لمن ادخرت الصارم المصقولا — ألا لا اري الاحداث مدحاً ولا ذما — افاضل الناس اغراض لدى الزمن — تعد المشرفية والعوالي — وا حرّ قلباه — لكل امرىء من دهره ما تعودا — على قدر اهل العزم — بمّ التعلل — عيد باية حال عدت يا عيد

ابو فراس الحمداني ٣٣٢
يا طول شوقي — لا شيء احسن من حانٍ على جان — الم ترنا اعزّ الناس جاراً — اذا اشتدّ الزمان — يا حسرة — اراك عصيّ الدمع — مصابي جليل — لولا العجوز — اوصيك بالحزن — اسيف الهدى — ناحت بقربي حمامة — زين الشباب ابو فراس

الشريف الرضي ٣٤٤
يا ظبية البان — لهفة المشتاق — لونك لون قلبي — يا قلب جدّد كمداً — ابكيك — اعلمت من حملوا على الاعواد — دفنته اعضاء — لغير العلى مني القلى — لله يوم

صفحة

ابو العلاء المعري ٣٥٣
لي الشرف الذي يطأ الثريا — الا في سبيل المجد ما انا فاعل — غير مجد في ملتي واعتقادي — علالي — سبيل الحياة — الحياة الدنيا — ظلم الاحباء — الرزء المتواصل — سبيلنا ان نبكي — التدين الكاذب — مرأى الناس ومخبرهم — يا نفس — اخلاق — جنة العفاريت

ابن الفارض ٣٦٩
انا القتيل — قلبي يحدثني — زدني بفرط الحب — ابق لي مقلة

الطغرائي ٣٧٥
لامية العجم — مثل الذئب والثعلب والاسد

في النثر

الترسل

ابن العميد ٣٧٧
رسالة في التهديد واللوم — رسالة شوق

القاضي الفاضل ٣٧٩
رسالة بشرى

القصص

الف ليلة وليلة ٣٨٠
حكاية خالد بن عبدالله القسري مع الشاب السارق

المقامات

بديع الزمان الهمذاني ٣٨٤
المقامة القريضية — المقامة البغدادية — رسالة عتاب — رسالة اعتذار

الحريري ٣٩٠
المقامة الصنعانية — المقامة الزبيدية

صفحة

التصنيف الادبي

ابو الفرج الاصبهاني ٤٠١
مجنون ليلى – قوة هلال – اطيب طعام واشهر بيت – موت بشار – ابو تمام – البحتري وابو تمام – معبد في السفينة – ابن جامع في دار الرشيد – ابراهيم الموصلي وابليس – بارك الله فيك وبارك الله عليك – اعرابي في عرس

النقد الادبي

ابن الاثير ٤٢٥
في الفصاحة والبلاغة – في اللفظة المفردة – ابو تمام والبحتري والمتنبي

التاريخ والجغرافية

الطبري ٤٣٨
خلافة الامين

المسعودي ٤٣٩
شكل البحار – النيل – اردشير بن بابك

العهد العباسي
٢

العهد العباسي في الغرب

الادب الاندلسي

الموشحات ٤٤٩
هل درى ظبي الحمى – جادك الغيث – ايها الساقي – قلب كواه تنفس الصعدا

في النثر

ابن عبد ربه ٤٥٦
كرامة العدل – مقدمة كتاب الاجوبة

صفحة

سائر الشعر

طور التقليد

ابن هانئ ٤٦٠
اما والجواري المنشآت – كأن الافق سد بثله – فتكات طرفك

طور الانتقال

ابن زيدون ٤٦٣
اضحى التنائي – ما على ظني باس – الرسالة الجديدة

المعتمد بن عباد ٤٦٩
فيا مضى

طور التجديد

ابن حمديس ٤٧٠
بركة المنصور – دار المعتمد بن عباد

ابن خفاجة ٤٧٣
بعيشك هل تدري – احس المدامة – يا ليل وجد بنجد – وصف رياض غب مطر

ابن سهل ٤٧٧
سل في الظلام – هل درى ظبي الحمى

لسان الدين بن الخطيب ٤٨٠
الفتح الغريب في الفتح القريب – الكسل

العهد التركي

او عصر الانحطاط

في الشعر

البوصيري ٤٨٥
وخالف النفس

	صفحة
ابن الوردي	٤٨٧
اعتزل ذكرى الاغاني	
صفي الدين الحلي	٤٩٠
لا يمتطي المجد – ورد الربيع	
ابن نباتة	٤٩٤
قطعت ولائي	
في النثر	
ابن بطوطة	٤٩٦
النارجيل – بلاد الصين	
ابن خلدون	٥٠٠
في وجوه المعاش – الذوق	
عهد النهضة	
في الشعر	
الشيخ ناصيف اليازجي	٥٠٧
عفة يوسف ومريم – يهنيك يهنيك – الميت والمولود – ذهب الحبيب – دعوت جنح الدجى – لعمرك ليس فوق الارض باق – اني لقد جربت اخلاق الورى – المقامة اللبنانية	
محمود سامي البارودي	٥١٩
السجين – يا دهر فيم فجعتني – طالب العز – الجارة الصاخبة – مرثية قندية	
حفني ناصف	٥٢٥
الشكوى من قنا – هدية عنب	
اسماعيل صبري	٥٢٧
اقصر فؤادي – وثب القلوب – مسامحة الصديق – يا سرحة – يا رب اهلي لفضلك – وصف الاهرام	
حافظ ابراهيم	٥٣١
وداع الشباب – خراب مسّينا – ابن سعد – الام مدرسة – غادة اليابان – انا البحر	
احمد شوقي	٥٤٠
انتم بنو المجد المؤثل – يا حافظ الفصحى – غاب بولونيا – خدعوها – ردت الروح – علوه كيف يجفو – حصار ادرنة في حرب البلقان – دمشق – مركب الهواء – الغواصة – لبنان – الحنين الى الوطن – نكبة دمشق – العلم والتعليم – انتحار الطلبة – طير الحجال متى يطير – الاسد ووزيره الحمار – الحمار في السفينة – القبّرة وابنها – مصرع كليوباترا	
جميل صدقي الزهاوي	٥٦٦
السقيم	
معروف الرصافي	٥٦٧
ام اليتيمة – كرة القدم – دجلة	
فوزي المعلوف	٥٧١
على بساط الريح	
خليل مطران	٥٧٥
المساء – الاسد الباكي – وفاة عزيزين – مقاطعة – مقتل بزرجمهر – فتاة الجبل الاسود – اقوال صريحة – قلعة بعلبك – حريق روما – اشعة رنتجن	
في النثر	
المعلم بطرس البستاني	٥٩٨
فوائد تعليم النساء – اضرار جهل النساء	
احمد فارس الشدياق	٦٠٤
من الناس – تعليم المرأة – العلم والطالب	

صفحة

اديب اسحاق ٦١١
التردد ـ الحرب وجرحاها

الشيخ محمد عبده ٦١٤
معنى الشرف

عبد الرحمن الكواكبي ٦١٧
الاستبداد

قاسم أمين ٦١٩
تحرير المرأة

مصطفى كامل ٦٢٢
لا نكوننّ امة ميراثها الذلّ والهوان

سعد زغلول ٦٢٥
خطاب وطني ـ ايها الشبان

الشيخ ابراهيم اليازجي ٦٢٧
دوران الارض ـ المرجان ـ اللغة والعصر ـ في الذكاء والبلادة ـ رواية عذراء الهند ـ القمر

ولي الدين يكن ٦٤٥
خليج البوسفور في احدى ليالي الشتاء ـ الكهول والشباب ـ العمال في البلاد العثمانية ـ المرأة

مصطفى لطفي المنفلوطي ٦٥٦
البائسات ـ غرفة الاحزان ـ يوم العيد ـ الاربعون

صفحة

سليمان البستاني ٦٦٨
الداء ـ الشعر : ابوابه واوزانه ـ ملاحم الجاهليين ـ مبارزة اخيل لهكطور

جبران خليل جبران ٦٨١
بين صرح الغني وكوخ الفقير ـ مناجاة في حقل ـ العطاء ـ بين العين واخواتها الحواس ـ مات اهلي ـ ايتها الريح

امين الريحاني ٦٩١
الاصلاح ـ في الطريق الى صنعاء ـ ارز لبنان

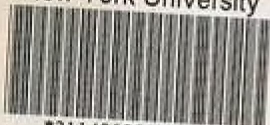
جرجي زيدان ٧٠٢
ادوات الكتابة عند الاقدمين

يعقوب صروف ٧٠٤
بين اقدام الفيل

الاب لويس شيخو ٧٠٦
عرب الشام

مصطفى صادق الرافعي ٧٠٩
بين خروفين

مي زيادة ٧١١
تاريخ المرأة استشهاد طويل ـ دمعة على المفرد والصامت ـ العيون


New York University
31142028247826

